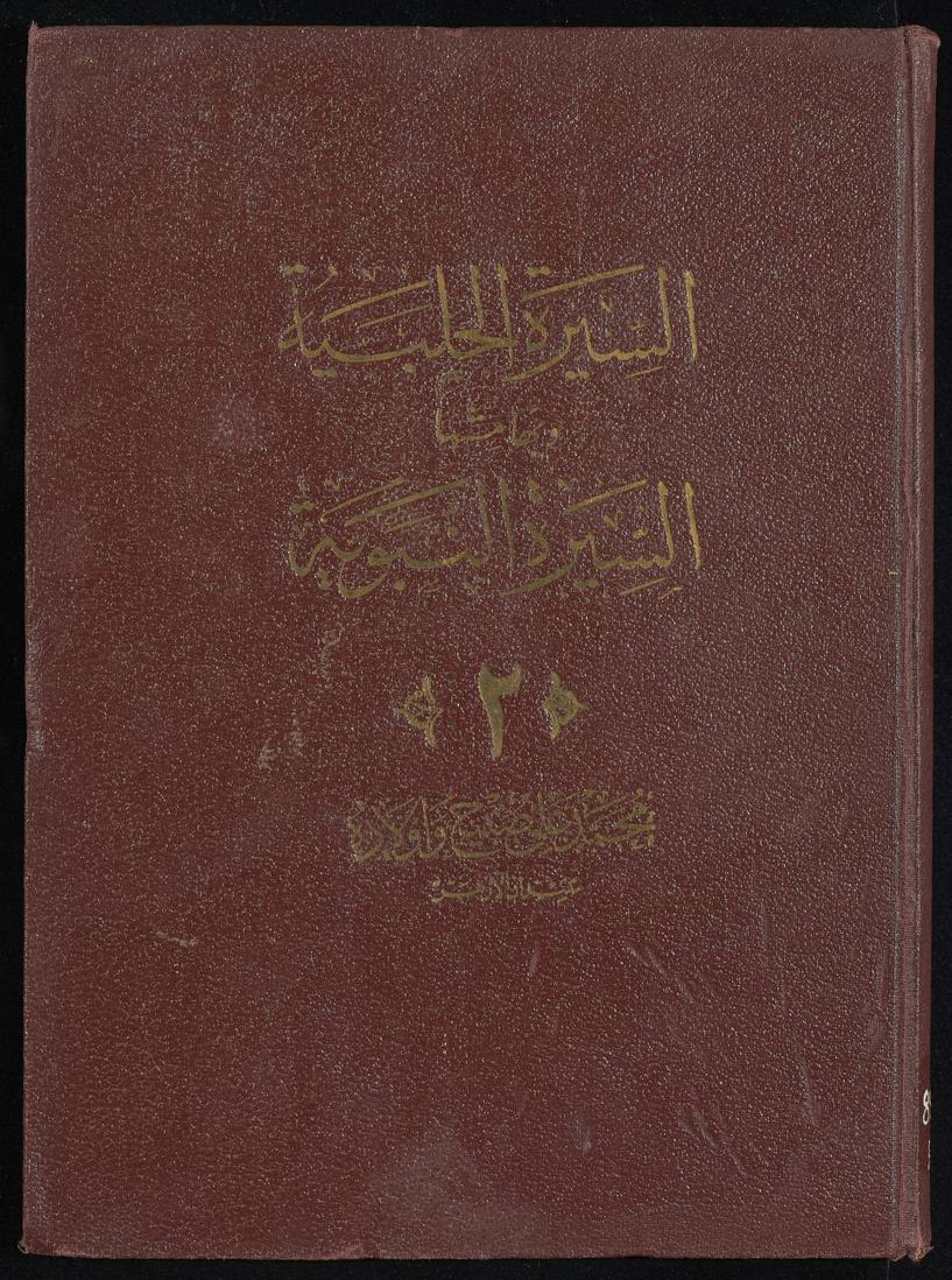

السيرة الحلبية
وبهامشها
السيرة النبوية
٢
محمد علي صبيح وأولاده



# الجزء الثاني

من

إنسان العيون فى سيرة الأمين المأمون المعروفة بالسيرة الحلبية تأليف الامام العالم العلامة الحبر البحر الفهامة على ابن برهان الدين الحلبى الشافعى نفع الله بعلومه آمين

---

وبهامشها

السيرة النبوية والآثار المحمدية لمفتى السادة الشافعية بمكة المشرفة السيد احمد زينى المشهور بدحلان نفع الله به المسلمين آمين


﴿ طبع على نفقة ﴾

**محمد على صبيح واولاده**

بميدان الأزهر الشريف بمصر

---

( سنة ١٣٥٣ هـ — ١٩٣٥ م )

مطبعة محمد على صبيح وأولاده بميدان الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

## باب عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه على القبائل من العرب ان يحموه و يناصروه على ما جاء به من الحق

أى لانه صلى الله عليه وسلم أخفى رسالته ثلاث سنين ثم أعلن بها فى الرابعة على ماتقدم ودعا الى الاسلام عشر سنين يوافى الموسم كل عام يتبع الحجاج فى منازلهم أى بمنى والموقف يسأل عن القبائل قبيلة قبيلة و يسأل عن منازلهم و يأتى اليهم فى أسواق المواسم وهى عكاظ ومجنة وذو المجاز فقد تقدم ان العرب كانت اذا حجت تقيم بعكاظ شهر شوال ثم تجىء الى سوق مجنة تقيم فيه عشرين يوما ثم تجىء سوق ذى المجاز فتقيم به الى ايام الحج يدعوهم الى ان يمنعوه حتى يبلغ رسالات ربه فعن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على الناس فى الموقف و يقول ألا رجل يعرض على قومه فان قريشا قد منعونى ان أبلغ كلام ربى وعن بعضهم رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يهاجر الى المدينة يطوف على الناس فى منازلهم أى بمنى يقول يا أيها الناس ان الله يأمركم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ووراءه رجل يقول يا أيها الناس ان هذا يأمركم ان تتركوا دين آبائكم فسألت من هذا الرجل فقيل أبو لهب يعنى عمه وفى رواية عن أبى طارق رضى الله تعالى عنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوق ذى المجاز يعرض نفسه على قبائل العرب يقول يا أيها الناس قولوا لا إله الا الله تفلحوا وخلفه رجل له غديرتان أى ذؤابتان يرجمه بالحجارة حتى أدمى كعبه يقول يا أيها الناس لا تسمعوا منه فانه كذاب فسألت عنه فقيل انه غلام عبد المطلب فقلت ومن الرجل الذى يرجمه فقيل هو عمه عبد العزى يعنى أبا لهب أى وفى السيرة الهشامية عن بعضهم قال انى لغلام شاب مع أبى بمنى ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقف فى منازل القبائل من

العرب

### غزوة بنى سليم

ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من بدر لم يقم إلا سبع ليال حتى غزا بنفسه يريد بنى سليم واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفارى وعلى الصلاة ابن أم مكتوم بل كل غزوة استعمل فيها ابن أم مكتوم فهو على الصلاة فقط بناء على ان قضاء الأعمى غير صحيح وقيل غير ذلك وكان لواؤه أبيض حمله على بن أبى طالب رضى الله عنه فبلغ صلى الله عليه وسلم ماء من مياههم يقال له الكدر فأقام صلى الله عليه وسلم ثلاث ليال ثم رجع الى المدينة ولم يلق حربا وارتفع القوم وهربوا وبقيت نعمهم فظفر بها صلى الله عليه وسلم وانحدر بها إلى المدينة وقسمها بصرار على ثلاثة أميال من المدينة وكانت خمسمائة بعير وكانت مدة غيبته خمس عشرة ليلة

### غزوة بنى قينقاع

بضم النون وقيل بكسرها وقيل بفتحها والضم أشهر قوم من اليهود كانت منازلهم بطحان مما يلى العالية وكانوا اشجع اليهود وكانوا صاغة وكانوا اخلفاء عبادة بن الصامت رضى الله عنه وعبدالله بن ابى بن

سلول فلما كانت وقعة بدر أظهروا البغي والحسد ونبذوا العهد أي لانه صلى الله عليه وسلم كان عاهدهم وعاهد بني قريظة وبني
النضير أن لا يحاربوه ولا يظاهروا عليه عدوه وقيل على ان يكونوا معه لا عليه وقيل على أن ينصروه على من دهمه من عدوه فهم
أول من غدر من اليهود مع ما هم عليه من العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسبب غدرهم ونقضهم العهد ان امرأة من العرب
وكانت زوجة لبعض الانصار الساكنين بالبدو وقدمت بجلب لها وهو  ما يجلب ليباع من ابل وغنم وغيرهما

العرب فيقول يا بني فلان اني رسول الله اليكم يأمركم ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وان تخلعوا
ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد وان تؤمنوا بي وتصدقوني وتمنعوني حتى أبين عن الله عز وجل
ما بعثني به قال وخلفه رجل أحول وضيء له غديرتان عليه حلة عدنية فاذا فرغ رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قوله قال ذلك الرجل يا بني فلان ان هذا الرجل انما يدعوكم الى ان تسلخوا اللات
والعزى من اعناقكم الى ما جاء به من البدعة والضلالة فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه فقلت لابي من
هذا الرجل الذي يتبعه يرد عليه ما يقول قال هذا عمه عبد العزى بن عبد المطلب * وذكر ابن
اسحق انه صلى الله عليه وسلم عرض نفسه على كندة وكلب أي الى بطن منهم يقال لهم بنو عبد
الله فقال لهم ان الله قد أحسن اسم أبيكم أي عبد الله اي فقد قال صلى الله عليه وسلم أحب الأسماء
الى الله عز وجل عبد الله وعبد الرحمن ثم عرض عليهم فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم وعرض
على بني حنيفة وبني عامر بن صعصعة أي فقال له رجل منهم أرأيت ان نحن بايعناك على امرك
ثم أظفرك الله على من خالفك أيكون لنا الامر من بعدك فقال الامر الى الله يضعه حيث شاء قال
فقال له أفنقاتل العرب دونك وفي رواية أنهدف نحورنا للعرب دونك اي نجعل نحورنا هدفا لنبلهم
فاذا أظهرك الله كان الامر لغيرنا لا حاجة لنا بأمرك وأبوا عليه فلما رجعت بنو عامر الى منازلهم
وكان فيهم شيخ أدركه السن حتى لا يقدر أن يوافي معهم الموسم فلما قدموا عليه سألهم عما كان
في موسمهم فقالوا جاءنا فتى من قريش أحد بني عبد المطلب يزعم انه نبي يدعونا الى أن نمنعه ونقوم
معه ونخرج به الى بلادنا فوضع الشيخ يده على رأسه ثم قال يا بني عامر هل لها من تلاف اي تدارك
هل لها من مطلب والذي نفس فلان بيده ما يقولها اي ما يدعي النبوة كاذبا احد من بني اسمعيل
قط وانها لحق وان رأيكم غاب عنكم * وذكر الواقدي انه صلى الله عليه وسلم أتى بني عبس أي
وبني سليم وغسان وبني محارب أي وفزارة وبني نضر ومرة وعذرة والحضارمة فيردون عليه صلى
الله عليه وسلم أقبح الرد يقولون أسرتك وعشيرتك أعلم بك حيث لم يتبعوك ولم يكن احد من العرب
أقبح ردا عليه من بني حنيفة أي وهم أهل اليمامة قوم مسيلمة الكذاب وقيل لهم بنو حنيفة لان
أمهم حنيفة قيل لها ذلك لحنف كان في رجلها وثقيف أي ومن ثم جاء شر قبائل العرب بنو حنيفة
وثقيف أي ودفع صلى الله عليه وسلم هو وأبو بكر رضى الله عنه الى مجلس من مجالس العرب
فتقدم أبو بكر فسلم وقال ممن القوم قالوا من ربيعة قال وأي ربيعة من هامتها أو من لهازمها قالوا بل الهامة
العظمى قال من أيها قالوا من ذهل الاكبر قال منكم حامي الذمار ومانع الجار فلان قالوا لا قال منكم قاتل
الملوك وسالبها فلان قالوا لا قال منكم صاحب العمامة الفردة فلان قالوا لا قال فلستم من ذهل الاكبر
انتم ذهل الاصغر فقام اليه شاب حين بقل وجهه أي طلع شعر وجهه فقال له ان على سائلنا ان نسأله
يا هذا انك قد سألتنا فاخبرناك فممن الرجل فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه أنا من قريش فقال الفتى
بخ بخ اهل الشرف والرياسة فمن أي قريش أنت قال من ولد تيم بن مرة فقال الفتى أمكنت أمنكم قصي

فباعته بسوق بني قينقاع وجلست الى صائغ منهم فجعل جماعة منهم يراودونها عن كشف وجهها فابت فعمد الصائغ الى طرف ثوبها فعقده الى ظهرها وقيل خله بشوكة وهي لا تشعر فلما قامت انكشفت سوأتها فضحكوا منها فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وشدت اليهود على المسلم فقتلوه فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود فغضب المسلمون وتواثبوا من كل جهة فبلغ الخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما على هذا أقررناهم فتبرأ عبادة بن الصامت من حلفهم وقال أتولى الله ورسوله وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار وتشبث به عبد الله بن أبي بن سلول ولم يتبرأ كما تبرأ عبادة بن الصامت رضى الله عنه وفي ذلك أنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى
أولياء بعضهم أولياء بعض الى قوله فان حزب الله هم الغالبون فجمعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهم يا معشر يهود
احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة أي ببدر وأسلموا فانكم قد عرفتم أني مرسل تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله تعالى
اليكم فقالوا يا محمد انك ترى أنا قومك أي تظننا انا مثل قومك ولا يغرنك انك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة إنا
والله لو حاربناك لتعلمن انا نحن الناس وفي لفظ لتعلمن انك لم تقاتل مثلنا أي لانهم كانوا اشجع اليهود وأكثرهم أموالا وأشدهم بغيا

وأنزل الله تعالى فيهم قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد قد كان لكم آية فى فئتين التقتا يعني وقعة بدر وأنزل الله تعالى وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء الآية ثم ان القوم تحصنوا فى حصونهم فسار اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاصرهم خمس عشرة ليلة أشد الحصار وكان خروجه فى نصف شوال واستمر الى هلال ذى القعدة الحرام وحمل اللواء حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه واستعمل على المدينة أبا لبابة الانصارى رضى الله عنه فقذف الله فى قلوبهم الرعب وكانوا أربعمائة حاسر وثلثمائة دراع فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخلى سبيلهم وأن يجلوا من المدينة أى يخرجوا منها وان لهم النساء والذرية ويجعلون بقية الاموال للنبى صلى الله عليه وسلم ومنها الحلقة التى هى السلاح ولم يكن لهم نخيل ولا أراضى تزرع فصالحهم على ذلك فنزلوا وخمست أموالهم جعل منها أربعة أخماس للمؤمنين المجاهدين وخمس له صلى الله عليه وسلم ثم أجلاهم الى الشام وقيل انهم نزلوا على أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بهم أن يكتفوا فكتفوا فاراد قتلهم فكلمه فيهم عبد الله بن أبى ابن سلول وألح عليه فقال يا محمد أحسن فى موالى فاعرض عنه صلى الله عليه وسلم فأدخل يده فى جيب درع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خلفه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك أرسلنى وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رأوا لوجهه سمرة لشدة غضبه ثم قال ويحك أرسلنى فقال والله لا أرسلك حتى تحسن فى موالى فانهم اعزتى وأنا امرؤ أخشى الدوائر وفى لفظ والله لا أرسلك حتى تحسن فى موالى أربعمائة حاسر أى لا درع له وثلثمائة دراع وقد منعونى من الاحمر والاسود وتحصدهم فى غداة واحدة انى والله امرؤ أخشى الدوائر فقال صلى الله عليه وسلم خلوهم لعنهم الله ولعنه معهم وتركهم من القتل وقال له خذهم لا بارك الله لك فيهم والى ذلك أشار

الذى كان يدعى مجمعا قال لا قال فمنكم هاشم الذى هشم الثريد لقومه قال لا قال فمنكم شيبة الحمد عبد المطلب مطعم طير السماء الذى كأن وجهه القمر يضىء فى الليلة الظلماء قال لا واجتذب أبو بكر رضى الله تعالى عنه زمام ناقته ورجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بذلك فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له على رضى الله تعالى عنه لقد وقعت من الاعرابى على باقعة أى داهية أى ذو دهاء وهو فى الاصل اسم لطائر حذر يطير يمنة ويسرة قال أجل أبا حسن ما من طامة الا فوقها طامة والبلاء موكل بالمنطق أى واستفهام الفتى توبيخى لا حقيقى لان من المعلوم ان من ذكر ليسوا من تيم لان أبا بكر كما تقدم انما يجتمع مع النبى صلى الله عليه وسلم فى مرة ومرة جد لقصى فكانه يقول له ان قبيلتكم لم تشتمل على هؤلاء الاشراف أى كما أن قبيلتنا لم تشتمل على أولئك الاشراف * وعن عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما انه صلى الله عليه وسلم لقى جماعة من شيبان بن ثعلبة وكان معه أبو بكر وعلى رضى الله تعالى عنهما وان أبا بكر سألهم ممن القوم فقالوا من شيبان بن ثعلبة فالتفت أبو بكر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بأبى أنت وأمى هؤلاء غرر أى سادات فى قومهم وفيهم مفروق بن عمرو وهانىء بالهمز ابن قبيصة بفتح القاف ومثنى بن حارثة والنعمان بن شريك وكان مفروق بن عمرو قد غلبهم جمالا ولسانا وله غديرتان أى ذؤابتان من شعر وكان أدنى القوم أى أقرب مجلسا من أبى بكر رضى الله تعالى عنه فقال له أبو بكر كيف العدد فيكم قال مفروق انا لنزيد على الألف ولن تغلب الألف من قلة والذى قاله صلى الله عليه وسلم لن تغلب اثنا عشر الفا من قلة قاله لما أراد أن يغزو هوازن وكان جيشه العدد المذكور كما سيأتى فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه كيف المنعة فيكم قال مفروق علينا الجهد أى بفتح الجيم وضمها اى الطاقة ولكل قوم جد بفتح الجيم أى حظ وسعادة أى علينا أن نجهد وليس علينا أن يكون لنا الظفر لانه من عند الله يؤتيه من يشاء فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه فكيف الحرب بينكم وبين عدوكم فقال مفروق انا لاشد ما يكون غضبا حين نلقى وانا لأشد ما يكون لقاء حين نغضب وانا لنؤثر الجياد أى من الخيل على الأولاد والسلاح على اللقاح أى ذوات اللبن من الابل وربما قيل للبقر والغنم أيضا والنصر من عند الله يديلنا بضم أوله وكسر الدال المهملة أى ينصرنا مرة ويديل علينا مرة أى ينصر علينا أخرى لعلك أخو قريش فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه أوقد بلغكم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها هو ذا فقال مفروق بلغنا انه يذكر ذلك فالام تدعو يا أخا قريش فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ادعو إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وانى رسول الله والى أن تؤونى وتنصرونى فان قريشا قد تظاهرت أى تعاونت على أمر الله وكذبت رسوله واستغنت بالباطل عن الحق والله هو الغنى الحميد قال مفروق والام تدعو أيضا يا أخا قريش فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون قال مفروق ما هذا من كلام أهل الارض ولو كان من كلامهم عرفناه ثم قال

والام

سبحانه وتعالى بقوله فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة الآية ثم أمر صلى الله عليه وسلم أن يجلوا من المدينة ووكل باجلائهم عبادة بن الصامت رضى الله عنه وأمهلهم ثلاثة أيام فجلوا منها بعد ثلاث أى بعد أن سألوا عبادة ابن الصامت أن يمهلهم فوق الثلاث فقال لا ولا ساعة واحدة وتولى اخراجهم وذهبوا الى أذرعات بلدة بالشأم ولم يدر الحول عليهم حتى هلكوا أجمعين بدعوته ﷺ فى قوله لابن أبى لا بارك الله لك فيهم (٥) ويذكر أن ابن أبى قبل خروجهم جاء الى منزله صلى الله عليه وسلم ليسأله فى اقرارهم فحجب عنه فأراد الدخول فدفعه بعض الصحابة فصدم وجهه فى الحائط فشجه فانصرف مغضبا فقال بنو قينقاع لا نمكث فى بلد يفعل فيه بأبى الحباب هذا ولا ننتصر له وتأهبوا للجلاء وقيل الذى تولى اخراجهم محمد بن مسلمة رضى الله عنه ولا مانع أن يكون هو وعبادة بن الصامت اشتركا فى اخراجهم ووجد صلى الله عليه وسلم فى منازلهم سلاحا كثيرا لأنهم كما تقدم كانوا أكثر اليهود أموالا وأشدهم بأسا وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلاحهم ثلاث قسى قوسا تدعى الكتوم لا يسمع لها صوت اذا رمى بها وقوسا تدعى الروحاء وقوسا تدعى البيضاء وأخذ درعين درعا يقال لها السغدية بسين مهملة وغين معجمة ويقال انها درع داود عليه السلام التى لبسها حين قتل جالوت والأخرى يقال لها فضة وثلاثة أرماح وثلاثة أسياف ووهب ﷺ درعا لمحمد بن مسلمة ودرعا لسعد بن معاذ رضى الله عنهما وقسم بقية الأموال والسلاح كما تقدم

﴿ قتل أبى عفك اليهودى ﴾

وقدم فى المواهب قتل أبى عفك على غزوة بنى قينقاع فقال ثم فى شوال كانت سرية سالم بن عمير الى أبى عفك بفتح المهملة والفاء اليهودى وكان شيخا كبيرا قد بلغ من السنين عشرين ومائة سنة وكان يحرض الناس على قتال النبى صلى الله عليه وسلم ويقول فيه الشعر فقال صلى

---

والأمم تدعوا أيضا يا أخا قريش فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون وهذه الآية ذكرها العز بن عبد السلام أنها اشتملت على جميع الأحكام الشرعية وبين ذلك فى سائر الابواب الفقهية وضمن ذلك كتابا سماه الشجرة فقال مفروق دعوت والله الى مكارم الأخلاق ومحاسن الاعمال ولقد أفك قوم أى صرفوا عن الحق كذبوك وظاهروا أى عاونوا عليك وكان مفروق أراد أن يشركه أى يشاركه فى الكلام هانىء بن قبيصة فقال هذا هانىء بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا فقال هانىء قد سمعنا مقالتك يا أخا قريش وانى أرى إن تركنا ديننا واتباعنا إياك على دينك بمجلس جلسته الينا ليس له أول ولا آخر لزلة فى الرأى وقلة نظر فى العاقبة وانما تكون الزلة مع العجلة ومن ورائنا قوم نكره ان نعقد عليهم عقدا ولكن نرجع وترجع وننظر وتنظر وكأنه أحب أن يشركه فى الكلام المثنى بن حارثة فقال هذا المثنى بن حارثة شيخنا وصاحب حربنا فقال المثنى قد سمعنا مقالتك يا أخا قريش والجواب هو جواب هانىء بن قبيصة فى تركنا ديننا واتباعنا دينك بمجلس جلسته الينا ليس له أول ولا آخر وان أحببت أن نؤويك وننصرك مما يلى مياه العرب دون ما يلى أنهار كسرى فعلنا فانا انما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى أن لا نحدث حدثا وأن لا نؤوى محدثا وانى أرى هذا الامر الذى تدعونا اليه أنت هو مما تكرهه الملوك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أسأتم فى الرد اذ أفصحتم بالصدق وان دين الله عزوجل لن ينصره الا من أحاط به من جميع جوانبه أرأيتم ان لم تلبثوا إلا قليلا حتى يورثكم الله أرضهم وأموالهم ويفرشكم نساءهم تسبحون الله وتقدسونه فقال النعمان بن شريك اللهم لك ذا فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين ثم نهض رسول الله صلى الله عليه وسلم أى وهؤلاء لم أقف على اسلام أحد منهم الا أن فى الصحابة شخصا يقال له المثنى بن حارثة الشيبانى وكان فارس قومه وسيدهم والمطاع فيهم ولعله هو هذا لقول هانىء بن قبيصة فيه انه صاحب حربنا ورأيت بعضهم ذكر أن النعمان بن شريك له وفادة فيكون من الصحابة أى وفى أسد الغابة أن مفروق بن عمرو من الصحابة ونقل عن أبى نعيم أنه قال لا أعرف لمفروق إسلاما * ولما قدمت بكر بن وائل مكة للحج قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر ائتهم فاعرضنى عليهم فأتاهم فعرض عليهم فقال لهم كيف العدد فيكم قالوا كثير مثل الثرى قال فكيف المنعة قالوا لامنعة جاورنا فارس فنحن لا نمتنع منهم ولا نجير عليهم قال فتجعلون لله عليكم ان هو أبقاكم حتى تنزلوا منازلهم وتستنكحوا نساءهم وتستعبدوا أبناءهم أن تسبحوا الله ثلاثا وثلاثين وتحمدونه ثلاثا وثلاثين وتكبرونه ثلاثا وثلاثين قالوا ومن أنت قال أنا رسول الله ثم مر بهم أبو لهب فقالوا هل تعرف هذا الرجل قال نعم فأخبروه بما دعاهم اليه وانه زعم أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم لا ترفعوا بقوله رأسا فانه مجنون يهذى من أم رأسه فقالوا لقد رأينا ذلك حيث ذكر من أمر فارس ما ذكر وفى رواية أنه لما سألهم قالوا له حتى يجىء شيخنا حارثة فلما جاء قال ان بيننا وبينك من

الله عليه وسلم من لي بهذا الخبيث فقال سالم بن عمير على نذر أن أقتل أباعفك أو أموت دونه فأمهل يطلب له غرة أي غفلة حتى كانت ليلة صائفة نام أبو عفك بفناء منزله وعلم به سالم فأقبل اليه ووضع سيفه على كبده ثم اعتمد عليه حتى خش أي دخل في الفراش فصاح عدو الله أبو عفك فثار اليه ناس ممن كانوا على موافقته في الكفر والتحريض فأدخلوه منزله فمات فقبروه ورجع سالم بن عمير رضي الله عنه الى النبي صلى الله عليه (٦) وسلم فبشر بذلك فدعا له بخير ﴿ غزوة السويق ﴾ لما أصاب قريشا في بدر ما أصابهم حلف أبو سفيان أن لا يمس النساء والطيب حتى يغزو محمدا فخرج في مائتي راكب من قريش ليبر يمينه حتى نزل بمحل بينه وبين المدينة نحو بريد ثم أتى لبني النضير وهم حي من اليهود وقصد حيي بن أخطب وكان من رؤساء بني النضير وكان مجيئه اليه في الليل فضرب عليه بابه فأبى أن يفتح له لأنه خافه فانصرف وجاء الى سلام ابن مشكم سيد بني النضير وصاحب كنزهم أي مالهم الذي كانوا يجمعونه ويدخرونه لنوائبهم فاستأذن عليه فأذن له واجتمع به ثم خرج به الى أصحابه فبعث رجالا من قريش فأتوا ناحية من المدينة فحرقوا نخلا منها ووجدوا رجلا من الأنصار وهو معبد بن عمرو وحليفا للأنصار فقتلوهما ثم انصرفوا راجعين فعلم بهم الناس فخرج رسول الله ﷺ في طلبهم في مائتين من المهاجرين والأنصار وكان خروجه لخمس خلون من ذي الحجة واستعمل على المدينة بشير بن ليلتين عبد المنذر الأنصاري رضي الله عنه وجعل أبو سفيان وأصحابه يخففون رواحلهم للهرب فجعلوا يلقون جرب السويق وهو عامة أزوادهم فأخذه المسلمون ولم يلحقوهم وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة وكانت غيبته صلى الله عليه وسلم خمسة أيام ورأى أبو سفيان أنه بفعله ذلك خرج من حلفه وهو أنه لا يمس النساء ولا الطيب حتى يغزو محمدا وحكى

الفرس حربا فاذا فرغنا عما بيننا وبينهم عدنا فنظرنا فيما تقول فلما التقوا مع الفرس قال شيخهم ما اسم الرجل الذي دعاكم اليه قالوا محمد قال فهو شعاركم فنصروا على الفرس فقال رسول الله ﷺ بي نصروا أي نصروا بذكرهم اسمي * ولا زال صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على القبائل في كل موسم ويقول لا أكره أحدا على شيء من رضي الذي أدعوه اليه فذلك ومن كره لم أكرهه انما أريد منعي من القتل حتى أبلغ رسالات ربي فلم يقبله أحد من تلك القبائل ويقولون قوم الرجل أعلم به أترون أن رجلا يصلحنا وقد أفسد قومه * وعن ابن اسحق لما أراد الله تعالى اظهار دينه واعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم وانجاز موعده له خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموسم وفي سيرة مغلطاي ومستدرك الحاكم أن ذلك كان في شهر رجب يعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم فبينما هو عند العقبة التي تضاف اليها الجمرة فيقال جمرة العقبة أي وهي عند يسار الطريق لقاصد منى من مكة وبها الآن مسجد يقال له مسجد البيعة اذ لقي بها رهطا من الخزرج أي لأن الأوس والخزرج كانوا يحجون فيمن يحج من العرب أي والأوس في الأصل أي اللغة العطية ويقال للذئب ويقال لرجل اللهو واللعب والخزرج في الأصل الريح الباردة قيل هي الجنوب خاصة وكانوا ستة نفر وقيل ثمانية أراد الله تعالى بهم خيرا وقد عد الستة في الأصل وبين الناس اختلاف في ذكرهم فقال لهم من أنتم قالوا نفر من الخزرج فقال أمن موالي يهود أي من حلفاء يهود المدينة قريظة والنضير لأنهم تحالفوا معهم على التناصر والتعاضد على من سواهم وأن يأمن بعضهم من بعض وهذا كان في أول أمرهم قبل أن تقوى شوكتهم على يهود ( ) قالوا نعم قال أفلا تجلسون أكلمكم قالوا بلى فجلسوا معه صلى الله عليه وسلم وفي لفظ وجدهم يحلقون رءوسهم فجلس اليهم فدعاهم الى الله عز وجل وعرض عليهم الاسلام أي ورأوا أمارات الصدق عليه صلى الله عليه وسلم لائحة فقال بعضهم لبعض تعلمون والله انه النبي الذي توعدكم به يهود فلا نسبقنكم اليه لأن يهود كانوا إذا وقع بينهم وبينهم شيء من الشر قالوا لهم سيبعث نبي قد أظل أي قرب زمانه نتبعه نقتلكم معه قتلة عاد وإرم أي كما تقدم في أخبار الأحبار والمراد نستأصلكم بالقتل فلما دعاهم الى الاسلام أجابوه وصدقوه وأسلموا وقالوا انا تركنا قومنا يعنون الأوس والخزرج بينهم من العداوة والشر ما بينهم أي فان الأوس والخزرج كانا أخوين لأب وأم فوقعت بينهما العداوة وتطاولت بينهما الحروب فمكثوا على المحاربة والمقاتلة أكثر من مائة سنة أي مائة وعشرين كما في الكشاف فان يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك ( أقول ) وفي رواية قالوا يا رسول الله إنما كانت بعاث أي بضم الموحدة ثم عين مهملة مخففة وفي آخره ثاء مثلثة وقيل بفتح الموحدة وبدل المهملة معجمة قيل وذكر المعجمة تصحيف فعن ابن دريد صحف الخليل بن أحمد يوم بغاث بالغين المعجمة وانما هو بالمهملة وفي القاموس بالمهملة والمعجمة عام أول يوم من أيامنا اقتتلنا به ونحن كذلك لا يكون لنا عليك اجتماع حتى نرجع الى غابرنا لعل الله أن يصلح ذات بيننا وندعوهم الى ما دعوتنا فعسى الله أن يجمعهم عليك فان اجتمعت كلمتهم عليك واتبعوك فلا أحد أعز منك وبعاث مكان قريب من المدينة على

بعضهم ان اباسفيان عبر عن ذلك بقوله لا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمداً وهذا يدل على أنهم كانوا يغتسلون من الجنابة ومن
ثم قال الدميرى ان الحكمة فى عدم بيان الغسل فى آية الوضوء كون الغسل من الجنابة معلوما قبل الاسلام وذلك من بقية دين ابراهيم
واسمعيل عليهما السلام فهو من الشرائع القديمة قال بعضهم كانوا فى الجاهلية يغتسلون من الجنابة و يغسلون موتاهم و يكفنونهم
و يصلون عليهم وهو ان يقوم وليه بعد ان يوضع على سريره ويذكر محاسنه ( ٧ ) و يثنى عليه ثم يقول رحمه الله ثم يدفن

وما ذكره الدميرى تبع فيه السهيلى حيث قال ان الغسل من الجنابة كان معمولا به فى الجاهلية بقية دين ابراهيم واسماعيل عليهما الصلاة والسلام كما بقى فيهم الحج والنكاح وكان الحدث الاكبر معروفا عندهم ولذلك قال تعالى وان كنتم جنبا فاطهروا فلم يحتاجوا الى تفسيره وأما الحدث الاصغر فلم يكن معروفا عندهم قبل الاسلام فلهذا لم يقل وان كنتم محدثين فتوضؤا بل قال فاغسلوا ونازع بعضهم فى ثبوت ذلك عندهم وقال ان أبا سفيان انما قال لا يمس الطيب ولا النساء وكنى بذلك عن التمتع بالنساء فغيره بعض الرواة بقوله لا يمس رأسه ماء من جنابة لان هذا اللفظ صار عند أهل الاسلام كناية عن التمتع بالنساء فساوى المراد منه ما قصده أبو سفيان والله أعلم بحقيقة الحال * (ذكر تزويج فاطمة
رضى الله عنها) * بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعلى رضى الله عنه وهى الزهراء والبتول أفضل نساء الدنيا حتى مريم رضى الله
عنها كما اختاره المقريزى والزركشى والحافظ السيوطى فى كتابيه شرح النقاية وشرح جمع الجوامع بالادلة الواضحة التى منها ان
هذه الأمة أفضل من غيرها والصحيح ان مريم ليست نبية بل حكى الاجماع على أنه لم يتنبأ امرأة قط وقد قال صلى الله عليه وسلم مريم
خير نساء عالمها وفاطمة خير نساء عالمها رواه الترمذى وقال صلى الله عليه وسلم يا بنية الا ترضين أنك سيدة نساء العالمين قالت يا ابت

---

ليلتين منها عند بنى قريظة و يقال إنه حصن للاوس كان به القتال قبل قدومه صلى الله عليه وسلم
المدينة بخمس سنين بين الاوس والخزرج وسيد الاوس و رئيسهم حينئذ حضير والد أسيد و به قتل مع
من قتل من قومه وكان النصر فيهم أولا للخزرج ثم صار للأوس * وسبب القتال انه كان من قاعدتهم
ان الاصيل لا يقتل بالحليف فقتل رجلا من الاوس أى وهو سويد بن الصامت رجلا حليفا للخزرج
أى وهو ذياد والد المحذر بن ذياد وذياد بالذال المعجمة مكسورة ومفتوحة وتخفيف المثناة تحت والمحذر
بالذال المعجمة مشددة مفتوحة فأرادوا أن يقتلوا سويدا فيه فابى عليه الاوس ذلك لان سويدا هذا
كان تسميه قومه الكامل لشرفه ونسبه وشعره وجلده كان ابن خالة عبد المطلب لان أمه أخت
سلمى أم عبد المطلب وكان قدم مكة حاجا أو معتمرا فتصدى له رسول الله ﷺ حين سمع
لانه صلى الله عليه وسلم كان لا يسمع بقادم قدم مكة من العرب له اسم وشرف إلا تصدى له ودعاه الى
الله تعالى فدعا سويدا الى الله عز وجل والى الاسلام فقال سويد لعل الذى معك مثل الذى معى فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم وما الذى معك قال حكمة لقمان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
اعرضها على فعرضها عليه فقال رسول الله ﷺ ان هذا الكلام حسن والذى معى أفضل
من هذا قرآن أنزله الله على هو هدى و نور فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن ودعاه الى
الاسلام فلم يبعد منه وقال ان هذا القول حسن ثم انصرف وقدم المدينة فلم يلبث ان قتله الخزرج وفى
كلام بعضهم أنه آمن بالله و رسوله وسافر حتى دخل المدينة الى قومه فشعروا بايمانه فقتلته الخزرج
بغتة وقيل القاتل له المحذر ولد ذياد الذى قتله سويد لان سويدا كان قد شرب الخمر وجلس يبول وهو
ممتلىء سكرا فبصر به انسان من الخزرج فخرج حتى أتى المحذر بن ذياد فقال هل لك فى الغنيمة الباردة
قال ماهى قال سويد أعزل لا سلاح معه فخرج المحذر بالسيف مصلتا فلما أبصره سويد قال له قد أمكن
الله منك قال ما تريد منى قال قتلك فقتله فكان ذلك سبب الحرب بين الأوس والخزرج ببعاث فلما قدم
رسول الله ﷺ المدينة أسلم الحرث بن سويد والمحذر بن ذياد وشهدا بدراً فجعل الحرث بن
سويد يطلب محذرا يقتله بأبيه فلم يقدر عليه حتى كان يوم أحد قدر عليه فقتله غيلة كما سيأتى * وممن
قتل فى هذه الحرب التى يقال لها بعاث شخص يقال له اياس بن معاذ قدم مكة هو وشخص يقال له أبو
الحيسر أنس بن رافع مع جماعة من قومهم يلتمسون الحلف من قريش على قومهم الخزرج فاتاهم
رسول الله ﷺ فجلس اليهم وقال لهم هل لكم فى خير مما جئتم له قالوا وما ذاك قال أنا رسول
الله بعثنى للعباد أدعوهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وأنزل على الكتاب ثم ذكر لهم الاسلام وتلا
عليهم القرآن فقال اياس بن معاذ وكان صغيرا أى قوم والله خير مما جئتنا اليه فاخذ أبو الحيسر حفنة من
تراب فضرب بها وجه اياس وانتهره وقال له دعنا منك لقد جئنا لغير هذا فسكت اياس وقام رسول الله
صلى الله عليه وسلم عنهم فلما دنا موت اياس صار يحمد الله و يسبحه و يهلله و يكبره حتى مات والله اعلم ثم
انصرف أولئك الرهط من الخزرج راجعين الى بلادهم قال وفى رواية انهم لما آمنوا به ﷺ

فابن مريم قال تلك سيدة نساء عالمها رواه ابن عبد البر وقد أخرج الطبرانى باسناد على شرط الشيخين قالت عائشة رضى الله عنها مارأيت
أحدا قط أفضل من فاطمة غير أبيها وكان تزوجها من على رضى الله عنه فى السنة الثانية من الهجرة عقد عليها فى صفر وقيل فى
المحرم وقيل فى رجب وقيل فى رمضان ودخل بها فى ذى الحجة من السنة المذكورة وهى ابنة خمس عشرة سنة وخمسة أشهر أو ستة
أشهر ونصف وكان سن على رضى الله عنه يومئذ إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر ولم يتزوج عليها رضى الله عنها

حتى ماتت وعن أنس
رضى الله عنه قال جاء ابو
بكر وعمر رضى الله عنهما
يخطبان فاطمة الى النبى
صلى الله عليه وسلم
فسكت ولم يرجع اليهما
شيئا وفى رواية قال لكل
منهما أنتظر بها القضاء
فانطلقا الى على رضى الله
عنه يأمرانه ان يخطبها
لنفسه قال على رضى الله
عنه فنبهانى لأمر كنت
غافلا عنه فقمت أجر
ردائى فرحا بما نبهت له
حتى أتيت النبى صلى
الله عليه وسلم فقلت
تزوجنى فاطمة قال أو
عندك شىء فقلت فرسى
و بدنى يعنى درعه قال أما
فرسك فلا بد لك منها وأما
بدنك فبعها فبعتها من
عثمان بن عفان رضى الله
عنه بأربعمائة وثمانين
درهما قال الزرقانى ثم ان
عثمان رضى الله عنه رد
الدرع الى على رضى الله
عنه فجاء بالدرع والدراهم
الى المصطفى صلى الله
عليه وسلم فدعا لعثمان
بدعوات ولما جاء على

رضى الله عنه بالدراهم وضعها فى حجر النبى صلى الله عليه وسلم فقبض منها قبضة فقال أى بلال كان
ابتع بها لنا طيبا وأمرهم أن يجهزوها فجعل لها سرير مشرط و وسادة من ادم حشوها ليف وقال لعلى رضى الله عنه اذا أتتك فلا
تحدث شيئا حتى آتيك فارسل صلى الله عليه وسلم أسماء بنت عميس فهيأت البيت فصلى العشاء وأرسل فاطمة رضى الله عنها
فجاءت مع أم أيمن بركة الحبشية مولاته صلى الله عليه وسلم حتى قعدت فى جانب البيت وعلى رضى الله عنه فى جانب آخر ثم جاء رسول

وصدقوه قالوا له انا نشير عليك ان تمكث على رسلك أى على حالك باسم الله حتى نرجع الى قومنا فنذكر
لهم شأنك وندعوهم الى الله عز وجل و رسوله ﷺ لعل الله يصلح ذات بينهم ونواعدك
الموسم من العام المقبل فرضى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى أى فلم يقع لهؤلاء الستة أو
الثمانية مبايعة و يسمى هذا ابتداء الاسلام للانصار و ربما سماه بعضهم العقبة الأولى فلما كان العام
المقبل قدم من الأوس والخزرج اثنا عشر رجلا أى عشرة من الخزرج واثنان من الاوس وقيل كانوا
أحد عشر رجلا منهم خمسة من الستة أو الثمانية الذين اجتمعوا به ﷺ عند العقبة أولا
فاجتمع بهم صلى الله عليه وسلم عند العقبة أيضا فبايعهم أى عاهدهم صلى الله عليه وسلم أى وسميت
المعاهدة مبايعة تشبيها بالمعاوضة المالية وتلا عليهم آية النساء أى الآية التى نزلت بعد ذلك فى شأن
النساء يوم الفتح لما فرغ من مبايعة الرجال وأراد مبايعة النساء * فعن عبادة بن الصامت بايعنا رسول
الله ﷺ بيعة النساء أى كبيعة النساء أى كمبايعته للنساء التى كانت يوم فتح مكة وهى على
ان لا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل أولادنا أى لأن قتل الاولاد كان سائغا فيهم وهو وأد
البنات قيل والبنين خوف الاملاق * وفى النهر كان جمهور العرب لا يئدون بناتهم وكان بعض ربيعة
ومضر يئدونهن وهو دفنهن احياء فبعضهم يئد خوف العيلة والافتقار و بعضهم خوف السبى قال ولا
نأتى ببهتان أى الكذب الذى يبهت صاحبه سامعه نفتريه بين ايدينا وأرجلنا أى فى الحال والاستقبال
قيل وغير ذلك ولا نعصيه فى معروف أى ماعرف من الشارع حسنه نهيا وأمرا * قال الحافظ ابن حجر
المبايعة المذكورة فى حديث عبادة الصامت على الصفة المذكورة لم تقع ليلة العقبة وانما نص
بيعة العقبة ماذكر ابن اسحق وغيره عن أهل المغازى ان النبى ﷺ قال لمن حضر من
الأنصار أبايعكم على أن تمنعونى ما تمنعون منه نساءكم فبايعوه على ذلك وعلى ان يرحل اليهم هو
ﷺ وأصحابه ثم ذكر جملة من الاحاديث وقال هذه أدلة صريحة فى ان هذه البيعة بعد
نزول الآية بعد فتح مكة (قول) ليس فى كلام عبادة ان هذه البيعة بيعة العقبة اذ لم يقل بايعنا رسول
الله ﷺ بيعة العقبة وان كان السياق يقتضيه وحينئذ فلا يحسن ان يكون كلام عبادة
شاهدا لمن قال وتلا عليهم آية النساء فلا يحسن التفريع المتقدم بل هو دليل على ان هذه المبايعة
متأخرة عن يوم الفتح كما قال الحافظ والله أعلم * زاد بعضهم والسمع والطاعة فى اليسر والعسر
والمنشط والمكره وأن لا ننازع الأمر أهله وان نقول الحق حيث كنا لا نخاف فى الله لومة لائم ثم قال
ومن وفى بالتخفيف والتشديد أى ثبت على العهد فاجره على الله ومن اصاب من ذلك شيئا فعوقب به
فى الدنيا فهو أى العقاب طهرة له أوقال كفارة له * واستشكل بان أبا هريرة روى أنه ﷺ
وسلم قال لا أدرى الحدود كفارة لأهلها أولا وإسلام أبى هريرة تأخر عن بيعة العقبة بسبع سنين كما
سيأتى فانه كان عام خيبر سنة سبع * ويجاب بان هذه البيعة التى ذكرها عبادة ليست بيعة العقبة
بل بيعة غيرها وقعت بعد فتح مكة كما علمت وحينئذ يكون مارواه أبو هريرة رضى الله تعالى عنه

الله صلى الله عليه وسلم بعد ماصلى العشاء الآخرة فقال أههنا أخى قالت أم أيمن أخوك وقد زوجته ابنتك قال نعم اى هو كأخى فى
المنزلة والمؤاخاة فلا يمنع على تزويجى اياه بنتى ودخل صلى الله عليه وسلم وقال لفاطمة رضى الله عنها ائتينى بماء فقامت تعثر فى ثوبها
من الحياء الى قعب فى البيت فاتت فيه بماء فاخذه ومج فيه أى وضعه فى فمه ورمى به فى القعب ثم قال لها تقدمى فتقدمت فنضح بين
ثدييها وعلى رأسها وقال اللهم انى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم  ثم قال ادبرى فادبرت فصب بين كتفيها
ثم فعل مثل ذلك بعلى وفى رواية ثم قال لعلى ائتنى بماء قال فعلمت الذى يريد فقمت فملأت القعب ماء فاتيته به فاخذه فمج فيه ثم صب على رأسى و بين ثديى ثم قال لى أدبر فصب بين كتفى ثم قال اللهم انى أعيذه بك وذريته من الشيطان الرجيم ثم قال له ادخل باهلك باسم الله والبركة وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم توضأ فى اناء ثم أفرغه على على وفاطمة رضى الله عنهما ثم قال اللهم بارك فيهما وبارك لهما فى شملهما وهو بالتحريك الجماع وفى رواية فى شبلهما والشبل ولد الاسد فيكون ذلك كشفا واطلاعا منه صلى الله عليه وسلم على انهما تلد الحسن والحسين رضى الله عنهما فاطلق عليهما شبلين وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم دعا بماء فمجه ثم صبه ثم رشه على جبينه و بين كتفيه وعوذه بقل هو
(٢ - حل - نى) الله أحد والمعوذتين والجمع بين هذه الروايات ممكن لاحتمال انه فعل جميع ذلك واقتصر بعض
الرواة فى كل رواية على البعض وروى ابن عساكر عن أنس رضى الله عنه خطبها على رضى الله عنه بعد أن خطبها أبو بكر ثم عمر
رضى الله عنهما فقال صلى الله عليه وسلم لعلى قد أمرنى ربى أن أزوجها منك وروى الطبرانى مرفوعا برجال ثقات إن الله أمرنى أن
أزوج فاطمة رضى الله عنها من على رضى الله عنه قال أنس ثم دعانى عليه الصلاة والسلام بعد أيام فقال لى ادع لى أبا بكر وعمر

كان قبل أن يعلم صلى الله عليه وسلم ذلك ثم علمه أى ان الحدود كفارة قال صلى الله عليه وسلم ومن
أصاب من ذلك شيئا فستره الله عليه فأمره الى الله عزوجل ان شاء غفر له وان شاء عذبه أى وكون الحدود
كفارة وطهرة مخصوص بغير الشرك فقتل المرتد لا يكون كفارة وطهرة له لان الله لا يغفر أن يشرك به
وفى رواية فان رضيتم فلكم الجنة وان غشيتم من ذلك شيئا فاصبتم بحد فى الدنيا فهو كفارة لكم فى الدنيا
وإن سترتم عليه فأمركم الى الله ان شاء عذب وان شاء غفر أى وفى هذا رد على من قال بوجوب التعذيب
لمن مات بلاتوبة وعلى من قال بكفر مرتكب الكبيرة فلما انصرفوا راجعين الى بلادهم بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم معهم ابن أم مكتوم واسمها عاتكة واسمه عمرو وقيل عبد الله وهو ابن خال خديجة
بنت خويلد أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها * قال الشعبى غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث
عشرة غزوة مافيها غزوة إلا واستخلف ابن أم مكتوم على المدينة وكان يصلى بهم وليس له رواية
ومصعب ابن عمير رضى الله تعالى عنهما يعلمان من أسلم منهم القرآن و يعلمانهم أى من أراد أن يسلم
الاسلام و يفقهانهم فى الدين و يدعوان من لم يسلم منهم الى الاسلام وهذا ما فى أكثر الروايات وهو
يفيد انه صلى الله عليه وسلم بعثهما معا ويدل له ماروى عن البراء بن عازب رضى الله تعالى عنه
أول من قدم علينا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير وابن أم مكتوم فجعلا يقرئان
الناس القرآن أى وفى رواية أن رسول الله ﷺ بعث اليهم مصعبا حين كتبوا اليه يبعث
اليهم * وفى رواية ثم بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن عفراء ورافع ابن مالك رضى
الله تعالى عنهما أن ابعث الينا رجلا من قبلك يفقهنا و يدعو الناس بكتاب الله وفى رواية كتبوا اليه
صلى الله عليه وسلم بذلك فبعث اليهم رسول الله ﷺ مصعب بن عمير وكان يقال له المقرىء
وهو أول من تسمى بهذا الاسم وهذا يدل على ان مصعبا لم يكن معهم (أقول) وقد يقال لامنافاة لانه
يجوز ان يكون كتبوا وأرسلوا اليه ﷺ بذلك عند خروجهم من مكة وقبل أن ينصرفوا
منها راجعين الى المدينة والاقتصار على مصعب لاينافى ماتقدم من ذكر ابن مكتوم معه ثم رأيت
ما يبعد الجمع الاول وهو عن ابن اسحق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انما بعثه يعنى مصعب بن عمير
بعدهم وانما كتبوا اليه ان الاسلام قد فشا فينا فابعث الينا رجلا من أصحابك يقرئنا القرآن و يفقهنا
فى الاسلام و يعلمنا بسنته وشرائعه و يؤمنا فى صلاتنا فبعث مصعب بن عمير ومايبعد الجمع الثانى وهو
مانقل عن الواقدى أن ابن أم مكتوم قدم المدينة بعد بدر بيسير وفى كلام ابن قتيبة وقدم ابن أم مكتوم
المدينة مهاجرا بعد بدر بسنتين وقد يقال لامنافاة لانه يجوز ان يكون كل من مصعب بن عمير وابن أم
مكتوم رجعا الى مكة بعد مجيئهما مع القوم وان مكاتبتهم بان الاسلام فشا فينا الى آخره كانت وهم
بالمدينة فجاء اليهم مصعب وتخلف ابن أم مكتوم فليتأمل ذلك والله تعالى أعلم * وهذه المبايعة يقال
لها العقبة الأولى لوجود تلك المبايعة عندها ولما قدم مصعب المدينة نزل على أبى امامة أسعد بن زرارة
رضى الله تعالى عنه دون بقية رفقته وكان سالم مولى أبى حذيفة رضى الله تعالى عنه يؤم المهاجرين بقباء

وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وعدة من الأنصار رضى الله عنهم فلما اجتمعوا عنده وأخذوا مجالسهم وكان على رضى الله عنه غائبا
قال صلى الله عليه وسلم الحمد لله المحمود بنعمته المعبود بقدرته المطاع سلطانه المرهوب من عذابه وسطوته النافذ أمره فى سمائه
وأرضه الذى خلق الخلق بقدرته وميزهم باحكامه وأعزهم بدينه وأكرمهم بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك اسمه
وتعالت عظمته جعل المصاهرة  سببا لاحقا وأمرا مفترضا أوشج به الارحام وألزم به الانام فقال عز من قائل
وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا فأمر الله يجرى الى قضائه وقضاؤه يجرى الى قدره ولكل قضاء قدر ولكل قدر أجل ولكل أجل كتاب يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ثم ان الله تعالى أمرنى أن أزوج فاطمة من على بن أبى طالب فاشهدوا انى قد زوجته اياها على أربعمائة مثقال فضة ان رضى بذلك على ثم دعا صلى الله عليه وسلم بطبق من بسر ثم قال انتهبوا فانتهبنا ودخل على رضى الله عنه فتبسم النبى صلى الله عليه وسلم فى وجهه ثم قال ان الله عز وجل أمرنى أن أزوجك فاطمة على أربعمائة درهم فضة أرضيت بذلك قال قد رضيت بذلك يارسول الله أى بعد ان خطب خطبة منها الحمد لله شكرا لأنعمه وأياديه وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة تبلغه وترضيه الحمد لله الذى لا يموت وهذا
محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجنى ابنته على صداق مبلغه أربعمائة درهم فاسمعوا الله
مايقول واشهدوا قالوا ما تقول يارسول الله قال اشهدوا أنى قد زوجته كذا رواه ابن عساكر ثم قال صلى الله عليه وسلم جمع الله
شملكما وأعز جدكما أى حظكما وبارك عليكما وأخرج منكما كثيرا طيبا وفى رواية أبى الحسن بن شاذان لما زوجه وهو غائب قال جمع
الله شملهما وجعل نسلها مفاتيح الرحمة ومعادن الحكمة وأمن الأمة فلما حضر على رضى الله عنه تبسم رسول الله صلى الله

قبل أن يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مصعب يؤم القوم أى الاوس والخزرج لان الاوس
والخزرج كره بعضهم أن يؤمه بعض وجمع بهم أول جمعة جمعت فى الاسلام قبل قدومه صلى الله عليه
وسلم المدينة وقبل نزول سورة الجمعة الآمرة بها فانها مدنية * وقال الشيخ أبو حامد فرضت الجمعة
بمكة ولم يتمكن من فعلها قال الحافظ ابن حجر وهو غريب أى وعلى صحته فهو مما تقدم حكمه على تلاوته *
وعند ابن اسحق أن أول من جمع بهم أبو أمامة أسعد بن زرارة وكانوا أربعين رجلا أى فعن كعب بن
مالك قال أول من جمع بنا فى المدينة أسعد بن زرارة قبل مقدم النبى صلى الله عليه وسلم فى نقيع
الخضمان والنقيع بالنون قيل أو بالباء الموحدة لكن قال الخطابى انه خطأ والخضمان جمع خضمة
وهى الماشية التى تخضم أى تاكل بفمها كله مما فى ذلك المحل من الكلأ وهو اسم لقرية من قرى
المدينة قال وكنا أربعين رجلا أى ولا مخالفة لان مصعب بن عمير كان عند أبى أمامة أسعد بن زرارة
كما علمت فكان هو المعاون على الجمع وكان الخطيب والمصلى مصعب بن عمير فنسب الجمع لكل منهما
أى ويكون مافى الرواية الآتية من أن أسعد بن زرارة هو الذى صلى بهم على التجوز أى جمعهم على
الصلاة ويؤيد ما تقدم من ان الاوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمه بعض وأيضا المأمور بالتجميع
مصعب بن عمير كما سيأتى قال السهيلى وتسميتهم أى الانصار اياها بهذا الاسم أى تسميتهم اليوم يوم
الجمعة لاجتماعهم فيه هداية من الله تعالى لهم والا فكانت تسمى فى الجاهلية العروبة أى يسمى
ذلك اليوم بيوم العروبة أى الرحمة وقال عليه الصلاة والسلام فى حق ذلك اليوم انه اليوم الذى فرض
عليهم أى على اليهود والنصارى أى طلب منهم تعظيمه والتفرغ للعبادة فيه كما فرض علينا أضلته
اليهود والنصارى وهدانا الله تعالى له أى ان كلا من اليهود والنصارى أمر بذلك اليوم يعظمون فيه
الحق سبحانه وتعالى ويتفرغون فيه لعبادته واختار اليهود من قبل أنفسهم بدله السبت لانهم يزعمون
أنه اليوم السابع الذى استراح فيه الحق سبحانه وتعالى من خلق السموات والارض وما فيهن من
المخلوقات أى بناء على ان أول الاسبوع الأحد وانه مبدأ الخلق قال بعضهم وهو الراجح وفى كلام بعضهم
أول الاسبوع الأحد لغة وأوله السبت عرفا أى فى عرف الفقهاء فى الايمان ونحوها ويؤيد الأول ان
السبت مأخوذ من السبات وهى الراحة قال تعالى وجعلنا نومكم سباتا أى راحة ظنا منهم انه أولى بالتعظيم
لهذه الفضيلة واختارت النصارى من قبل أنفسهم بدل يوم الجمعة يوم الأحد أى بناء على انه أول يوم
ابتدأ الله فيه بايجاد المخلوقات ظنا منهم انه أولى بالتعظيم لهذه الفضيلة وحينئذ يكون معنى قوله أضلوه
تركوه مع علمهم به ويؤيد ذلك ما جاء ان الله تعالى فرض على اليهود الجمعة فأبوا وقالوا ياموسى اجعل
لنا يوم السبت فجعل عليهم وهدى الله تعالى المسلمين ليوم الجمعة أى وهداية المسلمين له تدل على انهم
لم يعلموا عينه وانما اجتهدوا فيه فصادفوه وفى سفر السعادة كان من عوائده الكريمة صلى الله عليه
وسلم أن يعظم يوم الجمعة غاية التعظيم ويخصه بانواع التشريف والتكريم * وجاء ان أهل الجنة
يتباشرون فى الجنة بيوم الجمعة كما تتباشر به أهل الدنيا فى الدنيا واسمه عندهم يوم المزيد كما تقدم لان

عليه وسلم وقال ان الله أمرنى ان أزوجك فاطمة وان الله أمرنى ان أزوجكها على أربعمائة مثقال فضة فقال رضيتها يارسول الله ثم خر على رضى الله عنه ساجدا اشكر الله تعالى فلما رفع رأسه قال صلى الله عليه وسلم بارك الله لكما وبارك فيكما وأعزجدكما وأخرج منكما الكثير الطيب قال أنس رضى الله عنه فوالله لقد أخرج الله منهما الكثير الطيب وقد روى الطبرانى والخطيب عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبعث الله نبيا قط الا جعل ذريته من صلبه غيرى فان الله جعل ذريتى من صلب على رضى الله عنه والعقد لعلى رضى الله عنه وهو غائب محمول على انه كان له وكيل حاضر أو على انه لم يرد به العقد بل اظهار ذلك ثم عقد معه لما حضر كما علم من الروايات السابقة أو على تخصيصه بذلك لانه صلى الله عليه وسلم أولى بالمؤمنين من أنفسهم فله ان يزوج من شاء لمن شاء جمعا بينه وبين ماورد مما يدل على شرط القبول على الفور وقد ذهب المالكية الى ان التفريق اليسير لايضر فلعل غيبة على كانت قريبة جدا وقد يفهم من ظاهر الحديث انه أتى فى المجلس وهم ينتهبون البسر أو بعده وأجاز أبو حنيفة التفريق مطلقا ومنعه الشافعى مطلقا *وكانت وليمة على رضى الله عنه آصعا من شعير وتمر وحيس والحيس تمر يخلط بسمن وأقط ويعجن شديدا وفى رواية أولم بكبش من سعد وآصع من ذرة من عند جماعة من الانصار *وكان جهاز فاطمة رضى الله عنها خميلة أى بساطا له خمل أى هدب رقيق وقربة ووسادة من أدم حشوها ليف وسريرا مشروطا وكان فرشها ليلة عرسهما جلد كبش وعن الحسن البصرى كان لعلى وفاطمة رضى الله عنهما قطيفة اذا لبسوها بالطول انكشفت ظهورهما واذا لبسوها بالعرض انكشفت رؤسهما وجاء انه صلى الله عليه وسلم مكث لم يدخل عليهما بعد البناء ثلاثة أيام ثم دخل فى الرابع فى غدة باردة وهما فى لحاف واحد فقال كما أنتما وجلس عند رأسهما ثم أدخل قدميه

---

الله تعالى يتجلى عليهم فى ذلك اليوم ويعطيهم كل مايتمنونه ويقول لهم لكم ما تمنيتم لدينا مزيد فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم من الخير وقد جاء فى المرفوع يوم الجمعة سيد الايام وأعظمها عند الله تعالى فهو فى الايام كشهر رمضان فى الشهور وساعة الاجابة فيه كليلة القدر فى رمضان *والذى فى البخارى ثم هذا أى يوم الجمعة يومهم الذى فرض عليهم أى على اليهود والنصارى فاختلفوا فيه فهدانا الله تعالى له فالناس لنا فيه تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد وقوله فاختلفوا فيه يدل على انهم لم يعلموا عينه ويوافقه مانقل عن بعض أهل العلم ان اليهود أمروا بيوم من الاسبوع يعظمون الله تعالى فيه ويتفرغون لعبادته فاختاروا من قبل أنفسهم السبت فاكرموه فى شرعهم وكذلك النصارى أمروا على لسان عيسى بيوم من الاسبوع فاختاروا من قبل أنفسهم الاحد فالتزموه شرعا لهم وهو يخالف ماسبق فليتأمل *قال بعضهم والراجح ان أول الاسبوع السبت لانه أول يوم ابتدىء فيه بايجاد المخلوقات فقد جاء فى الصحيح ان الله خلق التربة يوم السبت والجبال يوم الاحد والشجر يوم الاثنين والمكروه يوم الثلاثاء والنور يوم الاربعاء كذا فى مسلم وعليه يشكل تسمية اليوم الذى يليه الاحد وأجيب بانه من تسمية اليهود وتبعهم غيرهم *وقد ذكر السهيلى ان تسمية هذه الايام طارئة ولو كان الله سبحانه وتعالى سماها فى القرآن بهذه الاسماء المشتقة من العدد لقلنا هى تسمية صادقة لكن لم يذكر منها الا الجمعة والسبت وانهما ليسا مشتقين من العدد هذا كلامه ورد بانه جاء ان الله تعالى خلق يوما فسماه الاحد ثم خلق ثانيا فسماه الاثنين ثم خلق ثالثا فسماه الثلاثاء ثم خلق رابعا فسماه الاربعاء ثم خلق خامسا فسماه الخميس وأجاب ابن حجر الهيثمى بان هذه أى التسمية المذكورة لم تثبت وان العرب تسمى خامس الورد أربعاء هذا كلامه فيكون أول الاسبوع السبت ثم رأيت السهيلى قال لم يسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاحد والاثنين الى سائرها الا حاكيا للغة قومه لا مبتدئا تسميتها ولعل قومه أن يكونوا أخذوا معانى هذه الاسماء من أهل الكتاب المجاورين لهم فالقوا عليها هذه الاسماء اتباعا لهم هذا كلامه فليتأمل *وفى السبعيات للهمدانى أكرم الله موسى عليه الصلاة والسلام بالسبت وعيسى بالاحد وداود بالاثنين وسليمان بالثلاء ويعقوب بالاربعاء وآدم بالخميس ومحمدا صلى الله عليه وسلم بالجمعة وهذا يدل على ان اليهود لم يختاروا يوم السبت والنصارى يوم الاحد من عند أنفسهم فليتأمل الجمع *وقد سئل صلى الله عليه وسلم عن يوم السبت قال يوم مكر وخديعة أى وقع فيه المكر والخديعة أى لانه اليوم الذى اجتمعت فيه قريش فى دار الندوة للاستشارة فى أمره صلى الله عليه وسلم *وسئل عن يوم الاحد فقال يوم غرس وعمارة لان الله تعالى ابتدأ فيه خلق الدنيا وعمارتها * وفى رواية لان الجنة بنيت فيه وغرست *وسئل عن يوم الاثنين فقال يوم سفر وتجارة لان فيه سافر شعيب فربح فى تجارته *وسئل عن يوم الثلاثاء فقال يوم دم لان فيه حاضت حواء وقتل ابن آدم أخاه * وذكر الهمدانى فى السبعيات أيضا انه قتل فيه سحرة جرجيس وزكريا ويحيى ولده عليهم الصلاة والسلام وسحرة فرعون وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون وبقرة بنى اسرائيل وهابيل بن آدم وبين قصة كل

وساقيه بينهما فاخذ على احداهما فوضعها على صدره و بطنه ليدفئها وأخذت فاطمة الاخرى فوضعتها على صدرها و بطنها لتدفئها وعن أنس رضى الله عنه قال جاءت فاطمة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله انى وابن عمى مالنا فراش الاجلد كبش ننام عليه ونعلف عليه ناضحنا بالنهار فقال يابنية اصبرى فان موسى بن عمران أقام مع امرأته عشر سنين مالهما فراش الاعباءة قطوانية أى بيضاء كثيرة الخمل وفى مسند



الامام أحمد عن على رضى الله عنه ان فاطمة رضى الله عنها شكت ماتلقى من أثر الرحى مما تطحن فاتى النبى صلى الله عليه وسلم سبى فانطلقت فلم تجده فاخبرت عائشة فلما جاء صلى الله عليه وسلم أخبرته عائشة بمجيئها قالت فاطمة رضى الله عنها فجاء صلى الله عليه وسلم الينا وقد أخذنا مضاجعنا فذهبت لأقوم فقال على مكانكما فقعد بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدرى وقال ألا أعلمكما خيرا مما سألتمانى قلنا بلى قال كلمات علمنيهن جبريل عليه السلام اذا أخذتما مضاجعكما من الليل فكبرا ثلاثا وثلاثين وسبحا ثلاثا وثلاثين وأحمدا ثلاثا وثلاثين فهن خير لكما من خادم ولم يتزوج على رضى الله عنه عليها حتى توفيت رضى الله عنها ولما خطب جويرية بنت أبى جهل قام صلى الله عليه وسلم على المنبر وقال ان بنى هشام بن المغيرة استأذنونى فى أن ينكحوا ابنتهم على بن أبى طالب فلا آذن لهم ثم لا آذن لهم الا ان يريد ابن أبى طالب ان يطلق ابنتى و ينكح ابنتهم انما هى بضعة منى يريبنى ماارابها و يؤذينى ما آذاها والله لاتجتمع بنت رسول الله و بنت عدو الله عند رجل أبدا فترك على الخطبة قال أبو داود حرم الله على على رضى الله عنه أن ينكح على فاطمة رضى الله عنها مدة حياتها لقوله عزوجل وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا والحق بعضهم اخواتها بها و يحتمل اختصاصها بذلك رضى الله عنها وعنهن وقد ورد فى فضائل على رضى الله عنه أحاديث كثيرة حتى قال الامام

---

واحد أى ومن ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحجامة يوم الثلاثاء أشد النهى وقال فيه ساعة لا يرقأ فيها الدم وفيه نزل إبليس الى الارض وفيه خلقت جهنم وفيه سلط الله ملك الموت على أرواح بنى آدم وفيه ابتلى أيوب وفى بعض الروايات ان اليوم الذى ابتلى الله فيه أيوب يوم الاربعاء *وسئل عن يوم الاربعاء قال يوم نحس لان فيه أغرق فرعون وقومه وأهلك فيه عاد وثمود وقوم صالح أى ومن ثم كان يسمى فى الجاهلية دبارا والدبار المهلك لكن الذى فى الحديث الموقوف على ابن عباس الذى لا يقال من قبل الرأى آخر اربعاء فى الشهر يوم نحس مستمر وجاء يوم الاربعاء لا أخذ ولا عطاء *وذكر الزمخشرى ان بعضهم قال لاخيه أخرج معى فى حاجة فقال هذا الاربعاء قال فيه ولد يونس قال لاجرم قد بانت له بركته أى حيث ابتلعه الحوت قال وفيه ولد يوسف قال فما أحسن مافعل به اخوته طال حبسه وغربته قال وفيه نصر المصطفى صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب قال أجل ولكن بعد ان زاغت الابصار و بلغت القلوب الحناجر *وورد فى بعض الآثار النهى عن قص الاظفار يوم الاربعاء وانه يورث البرص وعن ابن الحاج صاحب المدخل انه هم بقص أظفاره يوم الاربعاء فتذكر ذلك فترك ثم رأى ان قص الاظفار سنة حاضرة ولم يصح عنده النهى فقصها فلحقه البرص فرأى النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فقال له ألم تسمع نهيى عن ذلك فقال يارسول الله لم يصح ذلك عندى فقال يكفيك ان تسمع ثم مسح صلى الله عليه وسلم بيده على بدنه فزال البرص جميعا قال ابن الحاج فجددت مع الله توبة انى لا أخالف ماسمعت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبدا *وجاء فى حديث خرجه ابن ماجه عن ابن عمر مرفوعا وخرجه الحاكم من طريقين آخرين لا يبدو جذام ولا برص الا يوم الاربعاء وكره بعضهم عيادة المريض يوم الاربعاء *وفى منهاج الحليمى وشعب الايمان للبيهقى ان الدعاء مستجاب يوم الاربعاء بعد الزوال قبل وقت العصر لانه صلى الله عليه وسلم أستجيب له الدعاء على الاحزاب فى ذلك اليوم فى ذلك الوقت وكان جابر يتحرى ذلك الدعاء فى مهمانه وذكر انه مابدئ بشئ يوم الاربعاء الاوتم فينبغى البداءة بنحو التدريس فيه *وسئل عن يوم الخميس فقال يوم قضاء الحوائج لان فيه دخل ابراهيم الخليل على ملك مصر فقضى حاجته وأعطاه هاجر ومن ثم زاد فى رواية والدخول على السلطان *وسئل عن يوم الجمعة فقال يوم نكاح نكح فيه آدم حواء و يوسف زليخا وموسى بنت شعيب وسليمان بلقيس أى ونكح فيه صلى الله عليه وسلم خديجة وعائشة * وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أذن النبى صلى الله عليه وسلم لهم قبل الهجرة أى قبل أن يهاجر صلى الله عليه وسلم فى إقامة الجمعة أى فلم يفعلوها باجتهاد بل باذنه صلى الله عليه وسلم كتب الى مصعب بن عمير رضى الله تعالى عنه أما بعد فانظر اليوم الذى تجهر فيه اليهود بالزبور لسبتهم أى اليوم الذى يليه يوم السبت فاجمعوا نساءكم وأبناءكم فاذا مال النهار عن شطره فتقربوا الى الله بركعتين فجمع مصعب بن عمير عند الزوال أى صلى الجمعة حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أى استمر على ذلك حتى قدم النبى صلى الله عليه وسلم وهذا يدل على انه صلى الله عليه وسلم عين لهم ذلك اليوم وهو خلاف قوله السابق فهدانا الله له الظاهر فى

احمد بن حنبل رضى الله عنه ماورد لأحد من الصحابة رضى الله عنهم ماورد لعلى كرم الله وجهه أى من ثنائه صلى الله عليه وسلم
عليه وسبب ذلك كثرة أعدائه والطاعنين فيه من الخوارج وغيرهم فاضطر الصحابة أن يظهر كل منهم من فضله ماحفظه رداعلى
الخوارج وغيرهم وقال ابن عباس رضى الله عنهما مانزل فى أحد من الصحابة فى كتاب الله مانزل فى على كرم الله وجهه نزل فى على
ثلثمائة آية وعن ابن عباس رضى الله عنهما كل ما تكلمت به فى التفسير فانما أخذته عن على كرم الله وجهه
وقد أفردت مناقبه بالتأليف رضى الله عنه والله سبحانه وتعالى أعلم

( سرية محمد بن مسلمة ) التى قتل فيها كعب بن الاشرف اليهودى لعنه الله وكانت لأربع عشرة ليلة مضت من ربيع الأول على رأس خمسة وعشرين شهرا من الهجرة بعث صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة الأنصارى الأوسى ومعه أربعة من الأنصار الى كعب بن الأشرف اليهودى ليقتلوه قال ابن اسحق ان كعب ابن الأشرف كان مع اليهود بالحلف وكان أبوه عربيا من بنى نبهان أصاب دما فى الجاهلية فأتى المدينة فحالف بنى النضير فشرف فيهم وتزوج عقيلة بنت أبى الحقيق فولدت له كعبا وكان طويلا جسيما ذا بطن وهامة شاعرا مجيدا ساد يهود الحجاز بكثرة ماله فكان يعطى أحبار يهود ويصلهم فلما قدم النبى صلى الله عليه وسلم
المدينة جاءه أحبار اليهود من بنى قينقاع وبنى قريظة إلى كعب بن الأشرف ليأخذوا صلته على عادتهم فقال لهم ماعندكم من أمر هذا
الرجل فقالوا هو الذى كنا ننتظره ماأنكرنا من نعوته شيئا فقال لهم قد حرمتم كثيرا من الخير ارجعوا إلى أهليكم فان الحقوق فى مالى
كثير فرجعوا عنه خائبين ثم رجعوا اليه وقالوا انا عجلنا فيما أخبرناك به أولا ولما استثبتنا علماءنا غلطنا وليس هو المنتظر فرضى
عنهم ووصلهم وجعل لكل من تابعهم من الأحبار شيئا من ماله وكان يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أشعاره ويحرض كفار

ان هدايتهم له باجتهاد منهم ويدل له ماروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما باسناد صحيح أن
الأنصار قالوا ان اليهود يوما يجتمعون فيه كل سبعة أيام والنصارى مثل ذلك فهلم فلنجعل يوما نجتمع
فيه فنذكر الله ونصلى ونشكره فجعلوه يوم العروبة أى لأنه اليوم الذى وقع فيه خلق آدم الذى هو مبتدأ
هذا الجنس وجعل فيه فناء الخلق وانقضاءهم اذ فيه تقوم الساعة ففيه المبدأ والمعاد إذ هو المروى عن
ابن عباس يقتضى أن الأنصار اختاروه باجتهاد منهم الا أن يقال لامخالفة لأنه يجوز أن يكون هذا العزم
على ذلك حصل منهم أولا ثم أرسلوا اليه ﷺ يستأذنونه فى ذلك فأذن لهم فيه فقد جاء الوحى
موافقة لما اختاروه وفيه أنه لو كان كذلك لقال صلى الله عليه وسلم لمصعب بن عمير افعلوا ذلك ولم يقل له
انظر والى اليوم الى آخره الا أن يقال يجوز أنهم لما استأذنوه صلى الله عليه وسلم فى الاجتماع لم يعينوا
له اليوم فعينه صلى الله عليه وسلم لهم وتقدم عن الشيخ أبى حامد أن الجمعة أمر بها صلى الله عليه وسلم وهو
بمكة وتركها لعدم التمكن من فعلها وتقدم عن الحافظ ابن حجر أنه غريب ويؤيده أنه لو كان امر بها
صلى الله عليه وسلم وهو بمكة وتركها لعدم التمكن من فعلها لأمر بها مصعب بن عمير عند ارساله للمدينة
ولم يأمره بها الا بعد ذلك الا أن يقال انما لم يأمره بها حينئذ لأنه يجوز أن يكون انما أمر بها بعد ذهاب
مصعب إلى المدينة أوانه انما لم يأمره بذلك لأن لاقامتها شروطا منها العدد وهو عند إمامنا الشافعى رضى
الله تعالى عنه أربعون بشروط ولم يكن ذلك موجودا عند ارساله ﷺ ومن ثم لما علم صلى الله عليه
وسلم وجود العدد المذكور أرسل له يأمره بذلك فى قوله أما بعد فانظر اليوم الخ ثم لايخفى ان ظاهر
سياق الروايات يدل على أن الذى هداهم الله اليه انما هو ايقاع العبادة فى هذا اليوم لاتسميته يوم
الجمعة كما تقدم عن السهيلى على أن تسميتهم له بذلك لم أقف عليها فى رواية على أن السهيلى ذكر عن ابن
عباس رضى الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم سماها يوم الجمعة لما أرسل لمصعب ابن عمير
أن يفعلها كما تقدم فى الاسراء * وذكر أيضا ان كعب بن لؤى أول من سمى يوم العروبة الجمعة وقد
يقال لامخالفة لأنه يجوز أن تكون الأنصار ومن معهم من المهاجرين لم يبلغهم ماذكر عن كعب بن لؤى
ان ثبت أنهم سموها بهذا الاسم اجتهادا منهم * وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه سأل رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن سبب تسمية هذا اليوم بيوم الجمعة فقال لأن فيها جمعت طينة أبيك آدم
وقدمنا أنه لامخالفة بين ماهنا وماتقدم فى الاسراء والله أعلم * وأسلم سعد بن معاذ وابن عمه أسيد بن
حضير رضى الله تعالى عنهما على يد مصعب بن عمير وكان اسلام أسيد قبل سعد فى يومه فعن ابن اسحق
ان أسعد بن زرارة رضى الله تعالى عنه خرج بمصعب بن عمير الى حائط أى بستان من حوائط بنى ظفر
فجلسا فيه واجتمع اليهما رجال ممن أسلم وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير يومئذ سيدا قومهما أى بنى عبد
الأشهل وكلاهما مشرك على دين قومه فقال سعد بن معاذ لأسيد بن حضير لا أبالك انطلق بنا إلى هذين
الرجلين يعنى أسعد بن زرارة ومصعب بن عمير الذين أتيا دارينا تثنية دار وهى المحلة والمراد قبيلتنا
وعشيرتنا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما وانههما أى وفى لفظ قال له ائت أسعد بن زرارة فازجره عنا

قريش على قتاله وكان النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة مأمورا بتألف الناس وبالصبر على الأذى كما قال تعالى ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الأمور ولأنه صلى الله عليه وسلم ورد المدينة وأهلها اخلاط مجتمعون من قبائل شتى مختلفة أحوالهم وعقائدهم فأراد استصلاحهم بجمعهم على كلمة الاسلام وكان المشركون واليهود يؤذون المسلمين أشد الأذى فصبروا على ذلك وكان كعب بن الأشرف من أشد الناس أذى للنبي صلى الله عليه وسلم وللمسلمين وكان قد عاهد النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يعين عليه أحدا فنقض العهد وسبه وسب أصحابه وكان من عداوته أنه لما قدم البشيران بقتل من قتل ببدر وأسر من أسر قال كعب أحق هذا ترون أن محمدا قتل هؤلاء الذين يسمى هذان الرجلان فهؤلاء أشراف العرب وملوك الناس والله لئن كان محمدا أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من ظهرها فلما أيقن الخبر ورأى الأسرى مقرنين كبت وذل وخرج إلى قريش يبكي على قتلاهم ويحرضهم على قتال النبي صلى الله عليه وسلم فنزل بمكة على المطلب بن أبي وداعة السهمي وعنده زوجته عاتكة بنت أسيد بن أبي العيص فأنزلته وأكرمته فجعل يحرض على النبي صلى الله عليه وسلم وينشد الاشعار فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فدعا حسانا فهجا المطلب وزوجته وأسلما بعد ذلك رضي الله عنهما فلما بلغ ذلك عاتكة ألقت رحله وقالت ما لنا ولهذا اليهودي تخرج من عندها وصار يتحول من قوم الى قوم فيفعل مثل ما فعل عند عاتكة ويبلغ خبره النبي صلى الله عليه وسلم فيذكره لحسان فيهجوه فيفعلون معه مثل ما فعلت عاتكة ثم رجع إلى المدينة فتغزل في نساء المسلمين وذكرهن بسوء فلما أبى أن ينزع عن أذاه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لنا بابن الاشرف

فليكف عنا ما نكره فانه بلغني أنه قد جاء بهذا الرجل الغريب يسفه سفهاءنا وضعفاءنا فانه لولا أسعد بن زرارة مني حيث علمت لكفيتك ذلك هو ابن خالتي ولا أجد عليه مقدما فأخذ أسيد بن حضير حربته ثم أقبل اليهما فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب بن عمير هذا سيد قومه قد جاءك فأصدق الله فيه ثم قال مصعب أن يجلس هذا كلمته قال فوقف عليهما متشمتا قال ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا اعتزلانا ان كانت لكما بأنفسكما حاجة وفي لفظ قال يا أسعد ما لنا ولك تأتينا بهذا الرجل الغريب تسفه به سفهاءنا وضعفاءنا وفي رواية علام أتيتنا في دورنا بهذا الرجل الوحيد الغريب الطريد يسفه ضعفاءنا بالباطل ويدعوهم اليه فقال له مصعب أو تجلس بفتح الواو استفهاما فتسمع بالنصب في جواب الاستفهام فان رضيت أمرا قبلته وان كرهته كف عنك ما تكره أي منعنا عنك ما تكره قال أنصفت ثم ركز حربته وجلس اليهما فكلمه مصعب بالاسلام وقرأ عليه القرآن فقال ما أحسن هذا وأجمله بالنصب على التعجب كيف تصنعون اذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين قالا له تغتسل وتتطهر وتغسل ثوبك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي فقام واغتسل وطهر ثوبه وشهد بشهادة الحق ثم قام فركع ركعتين أي وهما صلاة التوبة فقد روى أصحاب السنن وقال الترمذي حديث حسن أنه صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ركعتين ثم يستغفر الله عز وجل إلا غفر له ثم قال لهما ان ورائي رجلا ان اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه وسأرسله اليكما الآن وهو سعد بن معاذ رضي الله تعالى عنه ثم أخذ حربته فانصرف الى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم فلما نظر اليه سعد مقبلا قال أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بن حضير بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم فلما وقف على النادي قال له سعد ما فعلت قال كلمت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأسا وقد نهيتهما فقالا نفعل ما أحببت وقد حدثت أن بني حارثة خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك أنهم عرفوا أنه ابن خالتك ليخفروك أي ينقضوا عهدك فقام سعد مغضبا مبادرا فأخذ الحربة من يده وقال والله ما أراك أغنيت شيئا ثم خرج اليهما ولما أقبل سعد قال أسعد لمصعب لقد جاءك والله سيد من وراءه من قومه أن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان فلما رآهما سعد مطمئنين عرف سعد ان أسيدا انما أراد منه أن يسمع منهما فوقف عليهما متشمتا ثم قال لأسعد بن زرارة يا أبا امامة والله لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت مني هذا أتغشانا في دارنا بما نكره فقال له مصعب أو تقعد تسمع فان رضيت أمرا قبلته وان كرهت عزلنا عنك ما تكره فقال سعد أنصفت ثم ركز الحربة وجلس فعرض عليه الاسلام وعرض عليه القرآن فقال لهما كيف تصنعون اذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين فقال تغتسل وتتطهر ثوبك ثم تشهد شهادة الحق ثم تركع ركعتين فقام سعد فاغتسل وطهر ثوبه ثم شهد شهادة الحق ثم ركع ركعتين ثم أخذ حربته فأقبل عامدا إلى نادي قومه ومعه أي مع ذلك النادي أسيد بن حضير فلما رآه قومه مقبلا قالوا نحلف بالله لقد رجع اليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم فلما وقف عليهم قال يا بني عبد الأشهل كيف تعلمون أمري فيكم قالوا سيدنا وأفضلنا

وأفضلنا رأيا وأيمننا وأبركنا نقيبة أى نفسا وأمرا قال فان كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله قال فوالله ما أمسى فى دار أى قبيلة بنى الاشهل رجل ولا امرأة الا مسلما ومسلمة فاسلموا فى يوم واحد كلهم وكان ذلك بعد العقبة الاولى وقبل العقبة الثانية الا ما كان من الاصيرم وهو عمرو بن ثابت من بنى عبد الاشهل فانه تأخر اسلامه الى يوم احد فاسلم واستشهد ولم يسجد لله سجدة وأخبره صلى الله عليه وسلم انه من أهل الجنة أى وفى كلام ابن الجوزى أول دار أى قبيلة أسلمت من دور الانصار دار بنى عبد الاشهل ثم رجع مصعب الى دار اسعد بن زرارة رضى الله تعالى عنه فاقام عنده يدعو الناس الى الاسلام حتى لم يبق دار من دور الانصار الا فيها رجال ونساء مسلمون الا ما كان من سكان عوالى المدينة أى قراها من جهة نجد قال وفى كلام بعضهم الا جماعة من الاوس بن حارثة وذلك انه كان فيهم أبو قيس وهو صيفى بن الاسلت وكان شاعرا لهم يسمعون منه ويطيعونه لانه كان قوالا بالحق معظما قد ترهب فى الجاهلية ولبس المسوح واغتسل من الجنابة ودخل بيتا له فاتخذه مسجدا وقال اعبد اله ابراهيم لا يدخل فيه حائض ولا جنب فوقف بهم عن الاسلام فلم يزل على ذلك حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ومضى بدر وأحد والخندق فاسلم وحسن اسلامه وهو شيخ كبير اه أى وسبب تأخر اسلامه ما ذكره بعضهم أنه لما أراد الاسلام عند قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة لقيه أبى بن سلول وكلمه بما أغضبه ونفره عن الاسلام وقال أبو قيس لا أتبعه الا آخر الناس فلما احتضر أرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قل لا إله إلا الله أشفع لك بها فقالها وهم ابنه أن ينكح امرأة أبيه أى على ما هو عادة الجاهلية أى وكان ذلك فى المدينة حتى فى أول الاسلام ان أكبر أولاد الرجل يخلفه على زوجته بعد موته فنزل التحريم أى قوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء وتقدم الكلام على سبب نزول هذه الآية مستوفى ثم ان مصعب بن عمير رجع إلى مكة مع من خرج من المسلمين من الانصار إلى الموسم مع حجاج قومهم من أهل الشرك حتى قدموا مكة أى وأخبر النبى صلى الله عليه وسلم بمن أسلم فسر بذلك وعن كعب بن مالك قال خرجنا فى حجاج قومنا من المشركين ومعنا البراء بن معرور سيدنا وكبيرنا والبراء بالمد لغة آخر ليلة من الشهر سمى بذلك لأنه ولد فيها ومعرور معناه لغة مقصود فلما خرجنا من المدينة قال البراء لنا انى قد رأيت رأيا ما أدرى أتوافقونى عليه أم لا قال قلنا وما ذاك قال رأيت ان لا أدع هذه البنية أى بفتح الموحدة وكسر النون وتشديد المثناة تحت المفتوحة ثم تاء التأنيث على وزن فعيلة يعنى الكعبة منى بظهر وأن أصلى إليها قال قلنا والله ما بلغنا أن نبينا صلى الله عليه وسلم يصلى الا الى الشام يعنون بيت المقدس أى صخرته وما نريد أن نخالفه قال فقال انى أصلى إليها قال فقلنا له لكنا لا نفعل قال فكنا إذا حضرت الصلاة صلينا إلى الشام يعنى بيت المقدس أى واستدبرنا الكعبة وصلى إلى الكعبة أى مستدبرا للشام حتى قدمنا مكة وقد كنا عبنا عليه ذلك وأبى الا الاقامة على ذلك فلما قدمنا مكة قال لى يا ابن أخى انطلق بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسأله عما صنعت فى سفرى هذا فانه والله لقد وقع فى نفسى منه شىء لما

وفى رواية من لكعب بن الأشرف أى من ينتدب لقتله فقد استعلن بعداوتنا وهجائنا وقد خرج إلى المشركين بمكة فجمعهم على قتالنا وجاء فى رواية انه حالف قريشا عند أستار الكعبة على قتال المسلمين فاخبر النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه بخبره وكعب بمكة وقال لهم ان الله أخبرنى بذلك ثم قرأ على المسلمين ما أنزل الله عليه فيه ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا عن عروة بن الزبير قال أنبعث عدو الله يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ويمتدح عدوهم ويحرضهم عليهم فلم يرض بذلك حتى ركب الى قريش فاستغواهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أبو سفيان والمشركون أديننا أحب إليك أم دين محمد وأصحابه وأى ديننا أهدى فى رأيك وأقرب إلى الحق فقال أنتم أهدى سبيلا وأفضل فأنزل الله تعالى ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب الآية وخمس آيات فيه وفى قريش فجزم عروة بانها نزلت فى كعب ونحوه ما روى الامام أحمد وغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما قدم كعب مكة قالت له قريش الا ترى الى هذا المتصبر المنبتر من قومه يزعم انه خير منا ونحن أهل الحجيج وأهل السدانة وأهل السقاية قال أنتم خير فنزل فيهم إن شانئك هو الأبتر ونزلت ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب الى نصيرا وأخرج ابن اسحق عن ابن عباس رضى الله عنهما كان الذين حزبوا الاحزاب من قريش وغطفان وبنى قريظة حيى بن أخطب وسلام بن ابى الحقيق وأبا رافع والربيع وعمارة وهوذة فلما قدموا مكة قالت قريش هؤلاء احبار اليهود وأهل العلم بالكتب الاولى فسلوهم أدينكم خير أم دين محمد فسألوهم فقالوا دينكم خير وأنتم أهدى منه وممن اتبعه فانزل الله ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب الى قوله ملكا عظيما ولذا قال الجلال والبيضاوى انها نزلت

فى كعب وفى جمع من اليهود خرجوا إلى مكة وساق نحو القصة وزاد البيضاوى أنهم سجدوا لآلهة الكفار ليطمئنوا إليهم من عداوة كعب بن الاشرف له صلى الله عليه وسلم و نقضه العهد ما جاء أن كعبا صنع طعاما وواطأ جماعة من اليهود أنه يدعو رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الوليمة فاذا حضر فتكوا به ثم دعاه فجاء صلى الله عليه وسلم ومعه بعض أصحابه فاعلمه جبريل عليه السلام بما اضمروه بعد أن جالسه فقام يستره جبريل بجناحه فلما فقدوه تفرقوا فقال حينئذ من ينتدب لقتل كعب

رأيت من خلافكم اياى فيه قال فخرجنا نسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنا لا نعرفه لأنا لم نره قبل ذلك فلقينا رجلا من أهل مكة فسألناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تعرفانه قلنا لا قال فهل تعرفان العباس بن عبد المطلب عمه قلنا نعم وكنا نعرف العباس كان لا يزال يقدم علينا تاجرا قال فاذا دخلتما المسجد فاذا هو الرجل الجالس مع العباس فدخلنا المسجد فاذا العباس جالس ورسول الله صلى الله عليه وسلم معه فسلمنا حين جلسنا إليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل قال نعم هذا البراء بن معرور سيد قومه وهذا كعب بن مالك قال كعب فوالله ما أنسى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الشاعر قال نعم فقال له البراء بن معرور يارسول الله انى خرجت فى سفرى هذا وقد هدانى الله بالاسلام فرأيت أن لا أجعل هذه البنية منى بظهر يعنى الكعبة فصليت إليها وخالفنى أصحابى فى ذلك حتى وقع فى نفسى من ذلك شىء فماذا ترى يارسول الله قد كنت على قبلة لو صبرت عليها فرجع البراء إلى قبلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى بيت المقدس أى ولم يأمره باعادة ما صلاه مع أنه كان مسلما وبين له أنه كان الواجب عليه استقبال بيت المقدس لانه كان متأولا فليتأمل وفى هذا تصريح بانه صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا بمكة قبل الهجرة وبعدها يصلون إلى بيت المقدس قبل أن تحول القبلة وقد تقدم الوعد بذلك قال كعب ثم خرجنا إلى الحج وواعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة أى إلى أن يوافوه فى الشعب الايمن إذا انحدروا من منى أسفل العقبة حيث المسجد اليوم أى الذى يقال له مسجد البيعة كما تقدم وأمرهم ان لا ينبهوا نائما ولا ينتظروا غائبا وذلك فى ليلة اليوم الذى هو يوم النفر الاول قال فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التى واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لها وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين امرنا وكان من جملة المشركين أبو جابر عبد الله بن عمرو بن حرام بفتح الحاء والراء المهملتين سيد من سادتنا فكلمناه وقلنا له يا أبا جابر إنك سيد من ساداتنا وشريف من أشرافنا وانا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطبا للنار غدا ثم دعوناه الى الاسلام فاسلم وأخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد معنا العقبة فمكثنا تلك الليلة مع قومنا فى رحالنا حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم أى بعد هدأة يتسلل الرجل والرجلان تسلل القطا مستخفين حتى إذا اجتمعنا فى الشعب عند العقبة ونحن ثلاث وسبعون رجلا وامرأتان نسيبة بالتصغير وهى أم عمارة من بنى النجار أى وكانت تشهد الحرب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم هى وزوجها وابناها حبيب وعبد الله رضى الله تعالى عنهم وحبيب هذا اكتنفه مسيلمة الكذاب وصار يعذبه يقول له أتشهد أن محمدا رسول الله فيقول نعم ثم يقول وتشهد انى رسول الله فيقول لا فيقطع عضوا من اعضائه وهكذا حتى فنيت اعضاؤه ومات وسيأتى ما وقع لها رضى الله تعالى عنها فى حرب مسيلمة وأم منيع أى وهذه الرواية لا تخالف رواية الحاكم خمسة وسبعون نفسا نعم تخالف قول ابن مسعود وهم سبعون رجلا يزيدون رجلا أو رجلين وامرأتان أى منهم أحد عشر رجلا من الاوس قال فلا زلنا ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءنا أى وفى رواية ان رسول الله

صلى

ويمكن الجمع بتعدد الاسباب ولما قال صلى الله عليه وسلم من ينتدب لقتل كعب قال محمد بن مسلمة الاوسى رضى الله عنه انا اتكفل لك به يارسول الله وفى رواية انا أقتله قال فافعل ان قدرت وفى رواية انت له ثم قال له ان كنت فاعلا فلا تعجل حتى تشاور سعد بن معاذ رضى الله عنه فشاوره فقال توجه إليه واشك إليه الحاجة وسله أن يسلفكم طعاما فمكث محمد بن مسلمة ثلاثا لا يأكل ولا يشرب الا ما تعلق به نفسه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه فقال لم تركت الطعام والشراب قال يارسول الله قلت لك قولا لا أدرى هل أفى لك به أم لا قال انما عليك الجهد ثم أتى أبا نائلة وعباد بن بشر والحرث بن أوس وأبا عبس بن جبر فاخبرهم بما وعد به رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتله فاجابوه وقالوا كلنا نقتله ثم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يارسول الله لابد لنا أن نقول أي قولا غير مطابق للواقع يسر كعبا لنتوصل به إلى التمكن من قتله قال قولوا ما بدا لكم فانتم فى حل من ذلك فاباح لهم الكذب لانه من خدع الحرب وكانهم استأذنوه فى أن يشكوا منه ويعيبوا دينه لأن كعبا كان يحرض على قتل المسلمين وكان فى قتله خلاصهم فكانه أكره الناس على النطق بهذا الكلام بتعريضه إياهم للقتل فدفعوا عن أنفسهم بالسنتهم مع أن قلوبهم مطمئنة بالايمان

ولولا هذا العذر لكان التعرض لمثل ذلك كفرا لكنه يباح بالاكراه وهذا بمنزلته فجاء محمد بن مسلمة كعب بن الاشرف فقال ان هذا الرجل يعنى النبي صلى الله عليه وسلم قدسألنا صدقة ونحن ما نجد ما نأكل وفى رواية ان نبينا أراد منا الصدقة وليس لنا مال نصدقه وأنه قد عنانا وإنى قد أتيتك أستسلفك قال كعب وأيضا والله لتملنه قال انا قد اتبعناه فلا نحب أن ندعه حتى ننظر الى أى شىء يصير شأنه وقد أردنا أن تسلفنا وسقا أو وسقين وفى رواية وأحب أن تسلفنا طعاما  قال وأين طعامكم قالوا أنفقناه على هذا الرجل وعلى أصحابه قال ألم يأن لكم ان تعرفوا ما أنتم عليه من الباطل ثم أجابهم بانه يسلفهم وقال ارهنونى قالوا أى شىء تريد قال ارهنونى نساءكم قالوا كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب ولا نأمنك وأى امرأة تمتنع منك لجمالك وقولهم هذا له على سبيل التهكم وان كان هو فى نفسه جميلا قال فارهنونى أبناءكم قالوا وكيف نرهنك أبناءنا فيسب أحدهم فيقال رهن بوسق أو وسقين هذا عار علينا ولكن نرهنك اللامة يعنى السلاح مع علمك بحاجتنا قال نعم وانما قالوا ذلك لئلا ينكر عليهم مجيئهم اليه بالسلاح فواعده ان يأتيه وجاءه أيضا أبو نائلة وقال له ويحك يا ابن الاشرف انى قد جئتك لحاجة أريد أن أذكرها لك فاكتم عنى قال افعل قال كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء عادتنا العرب ورمتنا عن قوس واحدة وقطعت عنا السبل حتى جاع العيال وجهدت الأنفس وأصبحنا قد جهدنا وجهد عيالنا فقال كعب انا ابن الاشرف أما والله لقد كنت أخبرك يا ابن سلامة إن الامر سيصير الى ما أقول فقال إنى أردت ان تبيعنا طعاما ونرهنك ونوثق لك وتحسن فى ذلك وان معى أصحابا على مثل رأيى وقد أردت ان آتيك بهم فتبيعهم وتحسن اليهم ونرهنك من الحلقة ما فيه وفاء فقال ان فى الحلقة لوفاء وكان أبو نائلة أخا لكعب من الرضاع ومحمد بن مسلمة ابن أخيه من الرضاع فجاء محمد بن مسلمة وأبو نائلة ومعهما عباد بن بشر والحرث ابن أوس بن معاذ وأبو عبس بن جبر وكلهم من الاوس ولما فارقوا النبي صلى الله عليه وسلم مشى معهم الى بقيع الغرقد

صلى الله عليه وسلم سبقهم وانتظرهم () (أقول) وقد يقال لا مخالفة لأنه يجوز أن يكون سبقهم وانتظرهم فلما لم يجيئوا ذهب ثم جاءهم بعد مجيئهم والله أعلم ومعه عمه العباس بن عبد المطلب أى ليس معه غيره وهو يومئذ على دين قومه الا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له (أقول) وهذا لا يخالف ما جاء أنه كان معه أيضا أبو بكر وعلى لأن العباس أوقف عليا على فم الشعب عينا له وأوقف أبا بكر على فم الطريق الآخر عينا فلم يكن معه عندهم الا العباس والله أعلم فلما جلسوا كان العباس أول من تكلم فقال يا معشر الخزرج أى قال ذلك لأن العرب كانت تطلق الخزرج على ما يشمل الاوس وكانت تغلب الخزرج على الأوس فيقولون الخزرجين () ان محمدا منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فهو فى عز من قومه ومنعة فى بلده وقد أبى الا الانحياز اليكم واللحوق بكم فان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك وان كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به اليكم فمن الآن تدعوه فانه فى عز ومنعة من قومه وبلده فقال البراء بن معرور إنا والله لو كان فى أنفسنا غير ما ننطق به لقلناه ولكنا نريد الوفاء والصدق وبذل مهج أنفسنا دون رسول الله ﷺ أى والبراء بن معرور هو أول من أوصى بثلث ماله وفى رواية ان العباس قال قد أبى محمد الناس كلهم غيركم فان كنتم أهل قوة وجلد وبصر بالحرب واستقلال بعداوة العرب قاطبة ترميكم عن قوس واحدة فأروا رأيكم وائتمروا بينكم ولا تفرقوا الا عن ملأ منكم واجتماع فان أحسن الحديث أصدقه (أقول) قول العباس قد أبى محمد الناس كلهم غيركم ربما يفيد أن الناس غير الانصار وافقوا على مناصرته فأباهم ولا يساعد عليه ما تقدم ولولا التأكيد بلفظ كلهم لأمكن ان يراد بالناس قبيلة شيبان بن ثعلبة فانهم كما تقدم قالوا والله ننصرك بما يلى مياه العرب دون ما يلى مياه كسرى فأبى ذلك ويحتمل ان المراد بالناس الذين أبى لهم أهله وعشيرته والله أعلم وعندما تكلم العباس بما ذكر قالوا قد سمعنا مقالتك فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت وفى رواية خذ لنفسك ما شئت واشترط لربك ما شئت فقال النبي صلى الله عليه وسلم أشترط لربى عز وجل ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ولنفسى ان تمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم وأبناءكم ونساءكم فقال ابن رواحة فاذا فعلنا فما لنا فقال صلى الله عليه وسلم لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل وفى رواية فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا القرآن ودعا الى الله عز وجل ورغب فى الاسلام ثم قال أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم أى وفى رواية انهم قالوا له يا رسول الله نبايعك قال تبايعونى على السمع والطاعة فى النشاط والكسل والنفقة فى العسر واليسر وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وان تقولوا فى الله لا تخافوا فى الله لومة لائم وعلى أن تنصرونى فتمنعونى إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وابناءكم ولكم الجنة فأخذ البراء بن معرور بيده ﷺ ثم قال نعم والذى بعثك بالحق لنمنعك مما نمنع به أزرنا أى نساءنا وأنفسنا لأن العرب تكنى بالازار

ثم وجههم وقال انطلقوا على اسم الله اللهم أعنهم ثم رجع صلى الله عليه وسلم الى بيته وكان ذلك بالليل وكانت الليلة مقمرة فأقبلوا
حتى انتهوا الى حصنه وكان حديث عهد بعرس فناداه أبو نائلة ثم بقية أصحابه فعرفهم فوثب فى ملحفته فأخذته امرأته بناحيتها
وقالت انك امرؤ تحارب وان أصحاب الحروب لا ينزلون فى مثل هذه الساعة قال لها انه أبو نائلة لو وجدنى نائما ما أيقظنى فقالت والله
انى لأعرف فى صوته الشر وفى رواية  قالت أسمع صوتا كأنه يقطر منه الدم قال انما هو ابن أخى محمد بن مسلمة ورضيعى

عن المرأة وعن النفس فنحن والله أهل الحرب وأهل الحلقة أى السلاح ورثناها كابرا عن كابر وبينا
البراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو الهيثم بن التيهان بتشديد المثناة تحت وتخفيفها فقبله
على مصيبة المال وقتل الاشراف فقال العباس اخفوا جرسكم أى صوتكم فان علينا عيونا ثم قال أبو الهيثم
يارسول الله ان بيننا وبين الرجال يعنى اليهود حبالا أى عهودا وانا قاطعوها فهل عسيت ان
نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله ان ترجع الى قومك وتدعنا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال
بل الدم الدم والهدم الهدم بفتح الدال وسكونها اهدار دم القتيل أى دمى دمكم أى تطلبون بدمى واطلب
بدمكم فدمى ودمكم واحد وفى لفظ بدل الدم اللدم وهو بالتحريك الحرم من القرابات أى حرمى حرمكم
تقول العرب اللدم اللدم اذا أرادت تأكيد المحالفة هدمى وهدمكم واحد أى واذا أهدرتم الدم أهدرته
وذمتى ذمتكم ورحلتى مع رحلتكم أنا منكم وأنتم منى أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم أى وعند ذلك قال
لهم العباس رضى الله تعالى عنه عليكم بما ذكرتم ذمة الله مع ذمتكم وعهد الله مع عهدكم فى هذا الشهر الحرام
والبلد الحرام يد الله فوق أيديكم لتجدن فى نصرته ولتشدن من أزره قالوا جميعا نعم قال العباس اللهم
انك سامع شاهد وان ابن أخى قد استرعاهم ذمته واستحفظهم نفسه اللهم كن لابن أخى عليهم شهيدا
ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجوا الى منكم اثنى عشر نقيبا يكونون على قومهم بما فيهم
فأخرجوا تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس أى وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال لهم ان موسى
أخذ من بنى إسرائيل اثنى عشر نقيبا فلا يجدن أحد فى نفسه ان يؤخذ غيره فانما يختار لى جبريل أى
لانه عليه السلام حضر البيعة فلما تخيرهم أى وهم سعد بن عبادة وأسعد بن زرارة وسعد بن الربيع
وسعد بن أبى خيثمة والمنذر بن عمرو وعبد الله بن رواحة والبراء بن معرور وأبو الهيثم بن التيهان
وأسيد بن حضير وعبد الله بن عمرو بن حرام وعبادة بن الصامت ورافع بن مالك كل واحد على
قبيلة رضى الله عنهم أجمعين وقال صلى الله عليه وسلم لأولئك النقباء أنتم كفلاء على غيركم ككفالة
الحواريين لعيسى بن مريم وأنا كفيل على قومى يعنى المهاجرين وقيل ان الذى تولى الكلام من الانصار
وشد العقدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أسعد بن زرارة أى وهو من أصغرهم فانه أخذ بيد النبى
صلى الله عليه وسلم وقال رويدا يا أهل يثرب انا لن نضرب اليه أكباد الابل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله
صلى الله عليه وسلم وان إخراجه اليوم مفارقة لجميع العرب وقتل خياركم وان تعضكم السيوف فاما
أنتم قوم تصبرون عليها إذا مستكم بقتل خياركم ومفارقة العرب كافة أى جميعا فخذوه وأجركم على الله
تعالى واما انتم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه فهو عذر لكم عند الله عز وجل فقالوا يا أسعد أعطنا
يدك فوالله لا نذر أى نترك هذه البيعة ولا نستقيلها أى لا نطلب الاقالة منها وقيل ان الذى تكلم مع
الانصار وشد العقدة العباس بن عبادة بن نضلة قال يامعشر الخزرج هل تدرون علام تبايعون هذا
الرجل انكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس أى على من حاربه منهم والا فهو صلى الله عليه وسلم
لم يؤذن له فى البداءة بالمحاربة الا بعد ان هاجر الى المدينة بمدة كما سيأتى وكان قبل ذلك مأمورا بالدعاء

أبو نائلة ان الكريم لو دعى
الى طعنة بليل لأجاب
فنزل فتحدث معهم ساعة
وتحدثوا معه ثم قالوا له
هل لك يا ابن الاشرف
ان تمشى الى شعب العجوز
اسم موضع كان قريبا
منهم نتحدث به بقية
ليلتنا فقال إن شئتم
فخرجوا يتماشون فمشوا
ساعة ثم ان أبا نائلة أدخل
يده فى باطن رأسه ثم شم
يده فقال ما رأيت كالليلة
طيبا أعطر ثم مشى
ساعة ثم عاد لمثلها حتى
اطمأن ثم مشى ساعة
ثم عاد لمثلها وأمسكه من
شعره وقال اضربوا عدو
الله وفى البخارى ان ابن
مسلمة قال لأصحابه إذا
ماجاء كعب فانى نائل
بشعره أى آخذ به فاذا
رأيتمونى استمكنت من
رأسه فاضربوه فنزل اليهم
متوشحا وهو ينفح منه
ريح الطيب فقال ابن
مسلمة ما رأيت كاليوم
طيبا فقال عندى أعطر
نساء العرب وأجملهن
فقال أتأذن لى ان أشم
رأسك قال نعم فشمه ثم أشم أصحابه ثم قال اتأذن لى قال نعم فيحتمل ان الى
كلا من محمد بن مسلمة وأبى نائلة استأذنه فى ذلك وكان كعب يدهن بالمسك المفتت والعنبر حتى يتلبد فى صدغيه فلما تمكن أبو نائلة
أو محمد بن مسلمة من إمساكه ضربوه بأسيافهم وقد صاح عدو الله صيحة منكرة وصاحت امرأته يا آل قريظة النضير مرتين فلم يبق
حصن إلا أوقدت عليه نار قال محمد بن مسلمة فوضعت سيفى فى ثنته ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته فوقع عدو الله فحزوا رأسه

واحتملوه فى مخلاة كانت معهم واجتمعت اليهود من كل ناحية فاخذوا على غير الطريق ففاتوهم فلما بلغوا بقيع الغرقد كبروا وقد قام النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة يصلى فلما سمع تكبيرهم كبر وعرف أنهم قد قتلوه ثم انتهوا اليه فأخبروه بمقتل عدو الله فقال أفلحت الوجوه قالوا ووجهك يارسول الله ورموا برأسه بين يديه فحمد الله على قتله لعنه الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال أصاب ذباب السيف الحرث بن أوس بن معاذ رضى الله عنه فجرح فى رجله أوفى (١٩) رأسه حتى نزف الدم فتفل صلى الله عليه وسلم على جرحه فلم يؤذه بعد وقد خافت اليهود بعد قتل عدو الله فليس بالمدينة يهودى الا وهو يخاف على نفسه وفى رواية فلما أصبح صلى الله عليه وسلم قال من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه فخافت اليهود فلم يطلع من عظمائهم أحد ولم ينطقوا وخافوا أن يبيتوا كما بيت وفى رواية فاصبحت يهود مذعورين فاتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا قتل سيدنا غيلة فذكرهم صنيعه وما كان يحرض عليه ويؤذى المسلمين فخافوا فلم ينطقوا ثم دعاهم إلى أن يكتبوا بينهم و بينه صلحا فكان ذلك الكتاب مع على رضى الله عنه وفى قصة قتل كعب المذكورة يقول عباد بن بشر

صرخت به فلم يعرض لصوتى * ووافى طالعا من رأس خدر
فعدت له فقال من المنادى * فقلت أخوك عباس بن بشر
وهذى درعنا رهنا فخذها * لشهران وفى أو نصف شهر
فقال معاشر سغبوا وجاعوا * وماعدموا الغنى من غير فقر
فاقبل نحونا يهوى سريعا * وقال لنا لقد جئتم لامر
وفى أيماننا بيض حداد * مجربة بها الكفار نفرى
فعانقه ابن مسلمة المردى * به الكفار كالليث الهزبر
وشد بسيفه صلتا عليه * فقطره أبو عبس بن جبر
وكان الله سادسنا فابنا * بانعم نعمة وأعز نصر
وجاء برأسه نفر كرام * هم ناهيك من صدق و بر

ولا يشكل قتله على

الى الله تعالى والصبر على الأذى والصفح عن الجاهل ثم ذكر ما تقدم عن أسعد بن زرارة أى ثم توفقوا على ذلك وقالوا يارسول الله ما لنا بذلك ان نحن قضينا قال رضوان الله والجنة قالوا رضينا ابسط يدك فبسط يده صلى الله عليه وسلم فبايعوه () أى وأول من بايعه صلى الله عليه وسلم البراء بن معرور وقيل أسعد بن زرارة وقيل أبو الهيثم بن التيهان ثم بايعه السبعون كلهم أى و بايعه المرأتان المذكورتان من غير مصافحة لانه صلى الله عليه وسلم كان لا يصافح النساء انما كان يأخذ عليهن فاذا أحرزن قال اذهبن فقد بايعتكن كما سيأتى فكانت هذه البيعة على حرب الاسود والاحمر أى العرب والعجم فهؤلاء الثلاثة لم يتقدم عليهم أحد غيرهم وحينئذ تكون الأولية فيهم حقيقية واضافية أى ويقال ان أبا الهيثم قال أبايعك يارسول الله على ما بايع عليه الاثنا عشر نقيبا من بنى اسرائيل موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام وان عبد الله بن رواحة قال أبايعك يارسول الله على ما بايع عليه الاثنا عشر من الحواريين عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام وقال أسعد بن زرارة أبايع الله عز وجل يارسول الله فابايعك على أن أتم عهدى بوفائى وأصدق قولى بفعلى فى نصرك وقال النعمان بن حارثة أبايع الله عز وجل يارسول الله وأبايعك على الاقدام فى أمر الله عز وجل لا أرأف فيه القريب ولا البعيد أى لا أعامل فيه بالرأفة والرحمة وقال عبادة بن الصامت أبايعك يارسول الله على أن لا تأخذنى فى الله لومة لائم وقال سعد بن الربيع أبايع الله وأبايعك يارسول الله على أن لا أعصى لكما أمرا ولا أكذبكما حديثا فلما انتهت البيعة وهذه البيعة يقال لها العقبة الثانية ولما وقعت صرخ الشيطان من رأس العقبة باشد صوت وأبعده ياأهل الجباجب أى بجيمين الأولى مفتوحة والثانية مكسورة و بعد كل جيم باء موحدة وهى منازل منى وفى الهدى ياأهل الاخاشب هل لكم فى مذمم والصباة معه يعنى بمذمم النبي صلى الله عليه وسلم لان قريشا كانت تقول بدل محمد صلى الله عليه وسلم مذمم ويعنى بالصباة أصحابه الذين بايعوه لأنهم كانوا يقولون لمن أسلم صابىء لان الصابىء من خرج من دين الى دين وقد جاء ألا تعجبون كيف يصرف الله عنى شتم قريش لعنهم يسبون مذمما وأنا محمد فانهم قد أجمعوا أى عزموا على حربكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ازب العقبة اسمع أى عدو الله أما والله لأفرغن لك وازب بكسر الهمزة واسكان الزاى ثم بالباء الموحدة الخفيفة وقيل بفتح الهمزة وفتح الزاى وتشديد الموحدة أى شيطان سمى بهذا الاسم المركب من المضاف والمضاف اليه عامرها والازب فى الأصل القصير ومن ثم رأى عبد الله بن الزبير رجلا طوله شبران على برذعة رحله فقال له ما أنت قال ازب قال وما ازب قال رجل من الجن فضربه على رأسه بعود سوطه فهرب وعند ذلك قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفضوا وفى لفظ انفضوا الى رحالكم (أقول) وفى رواية لما بايع الانصار بالعقبة صاح الشيطان من رأس الجبل يامعشر قريش هذه بنو الاوس والخزرج تحالف على قتالكم ففزعوا أى الانصار عند ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يروعكم هذا الصوت فانما هو عدو الله ابليس وليس يسمعه أحد ممن تخافون ولا مانع من اجتماع صراخ ازب العقبة وصراخ ابليس الذى هو أبو الجن و يجوز أن يكون المراد بعدو

هذا الوجه لانه نقض عهد النبي صلى الله عليه وسلم وهجاه وسبه وكان عاهده أن لا يعين عليه أحدا ثم جاء مع أهل الحزب معينا عليه قال القاضي عياض ان محمد بن مسلمة لم يصرح له بالامان في شيء من كلامه انما كلمه في أمر البيع والشراء واشتكى اليه وليس في كلامه عهد ولا أمان ولا يحل لأحد أن يقول ان قتله كان غدرا وقد قال ذلك انسان في مجلس علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأمر به فضربت عنقه وانما يكون  الغدر بعد أمان موجود وكعب كان قد نقض عهده صلى الله عليه وسلم ولم يؤمنه محمد ورفقته لكنه استأنس بهم فتمكنوا منه من غير عهد ولا أمان قال الحافظ ابن حجر ان كعبا كان محاربا حيث ترجم لقصته البخاري بالفتك بأهل الحرب والكذب في الحرب والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ غزوة غطفان ﴾

ويقال لها غزوة ذي أمر بفتح الهمزة والميم وشد الراء وغزوة أنمار وهي بناحية نجد وكانت لثنتي عشرة مضت من ربيع الأول على رأس خمسة وعشرين شهرا من الهجرة وسببها أن جمعا من بني ثعلبة ومحارب تجمعوا يريدون الاغارة جمعهم دعثور بن الحرث المحاربي سماه بعضهم غورث بن الحرث فخرج صلى الله عليه وسلم اليهم في أربعمائة وخمسين رجلا واستعمل على المدينة عثمان بن عفان رضي الله عنه فلما سمعوا بمجيئه صلى الله عليه وسلم هربوا في رءوس الجبال وأصاب المسلمون رجلا منهم يقال له جبار وقيل حبان فادخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم تقربا فأخبره بخبرهم وقال لن يلاقوك سمعوا بمسيرك وهربوا في رءوس الجبال وأنا سائر معك فدعاه رسول الله ﷺ للاسلام فاسلم وضمه إلى بلال ليعلمه الشرائع وأخذ ذلك الرجل للنبي ﷺ والمسلمين طريقا وهبط بهم على قومه فوصل المسلمون ماء يقال له ذو أمر فعسكر به ﷺ وأصابهم مطر كثير بل ثياب رسول الله صلى الله عليه وسلم وثياب أصحابه

---

الله ابليس أزب العقبة لأنه من الأبالسة وانه أتى باللفظين معا وقد حضر البيعة جبريل كما تقدم فعن حارثة بن النعمان رضي الله تعالى عنه لما فرغوا من المبايعة قلت يانبي الله لقد رأيت رجلا عليه ثياب بيض أنكرته قائما على يمينك قال وقد رأيته قلت نعم قال ذاك جبريل والله أعلم ثم ان الحديث نما وسمع المشركون من قريش بذلك أي وفي كتاب الشريعة ان الشيطان لما نادى بما ذكر شبه صوته بصوت منبه بن الحجاج فقال عمرو بن العاص ما نال أبو جهل قال عمرو وذهبت أنا وه والى عتبة بن ربيعة فاخبره بصوت منبه بن الحجاج فلم يرعه ما راعنا وقال هل أتاكم فأخبركم بهذا منبه قلنا لا فقال لعله ابليس الكذاب الحديث وفيه طول وأمور مستغربة ولا ينافي سماع عمرو وأبي جهل صوت ابليس قوله صلى الله عليه وسلم ليس يسمعه أحد مما تخافون لان سماعهما لم يحصل منه خوف لهم وعند فشو الخبر جاء أجلتهم وأشرافهم حتى دخلوا شعب الانصار فقالوا يا معشر الاوس والخزرج وفي رواية يا معشر الخزرج أي بالتغليب بلغنا انكم جئتم الى صاحبنا هذا لتخرجوه من بين أظهرنا وتبايعوه على حربنا والله ما من حي أبغض الينا أن تنشب الحرب بيننا وبينه منكم فصار مشركو الأوس والخزرج يحلفون لهم ما كان من هذا شيء وما علمناه أي حتى ان أبي بن سلول جعل يقول هذا باطل وما كان هذا وما كان قومي ليفتاتوا علي بمثل هذا لو كنت بيثرب ما صنع هذا قومي حتى يؤامروني وصدقوا لانهم لم يعلموه كما علم مما تقدم أي ونفر الناس من منى وبحثت قريش عن خبر الانصار فوجدوه حقا فلما تحققوا الخبر اقتفوا آثارهم فلم يدركوا الا سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو فاما سعد فامسك وعذب في الله وأما المنذر فافلت ثم أنقذ الله سعدا من أيدي المشركين قال نقل عنه انه قال لما ظفروا بي ربطوا يدي في عنقي فلا زالوا يلطمونني على وجهي ويجذبونني بجمتي أي وكان ذا شعر كثير حتى أدخلوني مكة فأومأ إلى رجل أي وهو أبو البحتري بن هشام مات كافرا () وقال ويحك مابينك وبين أحد من قريش جوار ولا عهد قال بلى كنت أجير لجبير بن مطعم تجارة وأمنعهم ممن أراد ظلمهم ببلادي وللحرث بن حرب بن أمية أي وهو أخو أبي سفيان والاول أسلم بعد الحديبية والثاني لا يعلم له اسلام فقال ويحك فاهتف باسم الرجلين ففعلت فخرج ذلك الرجل اليهما فوجدهما في المسجد فقال لهما ان رجلا من الخزرج يضرب بالابطح يهتف باسميكما فقالا من هو قال يقول انه سعد بن عبادة فجاآ فخلصاني من أيديهم اه وعن سعد بينا أنا مع القوم وأضرب اذ طلع علي رجل أبيض وضيء شعشاع أي طويل زائد الحسن حلو من الرجال فقلت في نفسي ان يكن عند أحد من القوم خير فعند هذا فلما دنا مني رفع يديه ولكمني لكمة شديدة فقلت في نفسي والله ما عندهم بعد هذا خير أي وهذا الرجل سهيل ابن عمرو رضي الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك فلما قدم الانصار المدينة أظهروا الاسلام أي ظهارا كليا وتجاهروا والا فقد تقدم ان الاسلام فشا فيهم قبل قدومهم لهذه البيعة وكان عمرو بن الجموح وهو من سادات بني سلمة بكسر اللام وأشرافهم ولم يكن أسلم وكان ممن أسلم ولده معاذ بن عمرو () وكان لعمرو في داره صنم أي من خشب يقال له المناة لان الدماء كانت تمنى أي تصب عنده

فنزع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبيه ونشرهما على شجرة ليجفا واضطجع تحتها وكان ذلك بموضع قريب من المشركين فكانوا ينظرون اليه وهم فى رءوس الجبال واشتغل المسلمون بشئونهم فقال المشركون لدعثور وكان شجاعا سيد قومه قد انفرد محمد فعليك به فاقبل ومعه سيفه حتى قام على رأسه صلى الله عليه وسلم فقال من يمنعك منى اليوم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم الله ودفع جبريل فى صدره فوقع السيف من يده وسقط هو على ظهره فأخذ السيف رسول الله



صلى الله عليه وسلم وقال له من يمنعك منى قال له أجل أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه ثم أتى قومه فجعل يدعوهم إلى الاسلام وأخبرهم انه رأى رجلا طويلا دفع فى صدره فوقع على ظهره قال فقلت انه ملك فاسلمت وعلمت انه رسول الله ولا أكثر عليه جمعا فاهتدى به خلق كثير وأنزل الله تعالى فى ذلك يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم وقيل نزلت فى بنى النضير حين أرادوا اغتياله صلى الله عليه وسلم كما سيأتى وقيل نزلت فى كفار قريش لما أرادوا الفتك به وهو والمسلمون بعسفان يصلون صلاة الخوف قال القشيرى وقد تنزل الآية فى قصة ثم تنزل فى أخرى لادكار ماسبق ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يلق كيدا وكانت غيبته احدى عشرة ليلة

تقرب اليه وكان يعظمه فكان فتيان قومه ممن أسلم كمعاذ بن جبل وولده عمرو بن معاذ ومعاذ بن عمرو يدلجون بالليل على ذلك الصنم فيطرحونه أى ولعله بعد اخراجه من داره فى بعض الحفر التى فيها خرء الناس منكسا فاذا أصبح عمرو قال ويحكم من عدا على إلهنا هذه الليلة ثم يعود يلتمسه حتى إذا وجده غسله فاذا أمسى عدوا عليه وفعلوا به مثل ذلك إلى أن غسله وطيبه وجاء بسيف علقه فى عنقه ثم قال له ما أعلم من يصنع بك فان كان فيك خير فامتنع فهذا السيف معك فلما أمسى عدوا عليه وأخذوا السيف من عنقه ثم أخذوا كلبا ميتا فقرنوه به بحبل ثم ألقوه فى بئر من آبار بنى سلمة فيها خرء الناس فلما أصبح عمرو غدا اليه فلم يجده ثم تطلبه إلى أن وجده فى تلك البئر فلما رآه كذلك رجع إلى عقله وكلمه من أسلم من قومه فأسلم وحسن اسلامه وأنشد أبياتا منها

والله لو كنت الهالم تكن * أنت وكلب وسط بئر فى قرن

أى حبل وأمر صلى الله عليه وسلم من كان معه من المسلمين بالهجرة إلى المدينة أى لأن قريشا لما علمت انه صلى الله عليه وسلم آوى أى استند إلى قوم أهل حرب وتحمل ضيقوا على أصحابه ونالوا منهم مالم يكونوا ينالونه من الشتم والأذى وجعل البلاء يشتد عليهم وصاروا مابين مفتون فى دينه و بين معذب فى أيديهم و بين هارب فى البلاد شكوا اليه صلى الله عليه وسلم واستأذنوه فى الهجرة أى فمكث أياما لا يأذن لهم ثم قال لهم أريت دار هجرتكم أرأيت سبخة ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان ولو كانت السراة أرض نخل وسباخ لقلت هى هى والسراة بفتح السين أعظم جبال بلاد العرب ثم خرج اليهم مسرورا فقال قد أخبرت بدار هجرتكم وهى يثرب فأذن لهم وقال من أراد أن يخرج فليخرج اليها فخرجوا اليها ارسالا أى متتابعين يخفون ذلك أى وفى رواية رأيت فى المنام أنى هاجرت من مكة إلى أرض بها نخل فذهب وهلى أى همى إلى أنها اليمامة أو هجر فاذا هى المدينة يثرب وفى الترمذى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله أوحى إلى أى هؤلاء الثلاثة نزلت هى دار هجرتك المدينة أو البحرين أو قنسرين قال الترمذى هذا حديث غريب وزاد الحاكم فاختار المدينة (أقول) فيه إن هذا السياق المتقدم يدل على أن استئذانهم فى الهجرة عبارة عن خروجهم من مكة لا لخصوص المدينة وان عدم اذنه صلى الله عليه وسلم لهم فى الهجرة لعدم تعيين المحل الذى يهاجرون اليه له صلى الله عليه وسلم وكل ذلك لايناسب ما تقدم فى حديث المعراج من قول جبريل له صليت بطيبة واليها المهاجرة وقد يجاب بانه يجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم انسى قول جبريل المذكور حينئذ ثم تذكره بعد ذلك فى قوله قد أخبرت بدار هجرتكم إلى آخره وفيه أن هذا لايحسن بعد مبايعته صلى الله عليه وسلم للاوس والخزرج على مناصرته ومحاربة عدوه مع علمه بان وطنه المدينة وكونهم يبايعونه على مناصرته مع كونه ساكنا فى البحرين أو قنسرين فى غاية البعد على أنه سيأتى فى غزوة بدر أنه صلى الله عليه وسلم خشى أن الانصار لاترى مناصرته إلا فى المدينة أى فان فى بعض الروايات وعلى ان تنصرونى إذا قدمت عليكم يثرب والله أعلم وقبل الهجرة آخى صلى الله عليه وسلم بين

﴿غزوة بحران﴾ بفتح الباء وتضم وسكون الحاء المهملة موضع بناحية الفرع وتسمى غزوة بنى سليم أيضا نخرج صلى الله عليه وسلم فى ثلثمائة من أصحابه لست خلون من جمادى الأولى ولم يظهر وجها للمسير واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضى الله عنه وكان قد بلغه أن جمعا كثيرا من بنى سليم اجتمعوا ببحران فاحث السير حتى بلغها وكان قبل وصوله اليها لقى رجلا فأخبره أن القوم قد تفرقوا فحبسه مع رجل فلما وصل اليها وجدهم قد تفرقوا فى مياههم فرجع ولم يلق كيدا وأطلق

الرجل وكانت غيبته عشر ليال * وفى هذه السنة عقد لعثمان رضى الله عنه على أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موت أختها رقية وتقدم أن موتها كان يوم جاء البشير أن يخبر أهل بدر * وفى شعبان من هذه السنة تزوج صلى الله عليه وسلم بحفصة بنت عمر رضى الله عنهما بعد أن انقضت عدتها من زوجها خنيس بن حذافة من شهداء بدر رضى الله عنه * وفى رمضان تزوج زينب بنت جحش



﴿سرية زيد بن حارثة رضى الله عنه إلى القردة﴾ بالقاف المفتوحة وسكون الراء اسم ماء من مياه نجد وسببها أن قريشا خافوا من طريقهم التى يسلكونها إلى الشام حين كان من وقعة بدر ما كان فسلكوا طريق العراق فخرج منهم تجار فيهم أبو سفيان ابن حرب وصفوان بن أمية وحويطب بن عبد العزى وكلهم أسلموا عام الفتح رضى الله عنهم ومعهم فضة كثيرة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة رضى الله عنه فى مائة راكب فلقيهم على ذلك الماء فأصاب العير وما فيها وهرب الرجال فقدم بالعير على رسول الله صلى الله عليه وسلم فخمسها فبلغ الخمس قيمة عشرين ألف درهم كانت هذه السرية فى جمادى الآخرة من السنة الثالثة من الهجرة

﴿غزوة أحد﴾

وهو جبل مشهور بالمدينة وكانت فى شوال سنة ثلاث من الهجرة يوم السبت لاحدى عشرة ليلة من شوال وسببها أن قريشا لما أصابهم يوم بدر ما أصابهم مشى عبدالله بن أبى ربيعة بنت وعكرمة بن أبى جهل وصفوان بن أمية وكلهم أسلموا بعد ذلك رضى الله عنهم ومشى معهم رجال آخرون من أشراف قريش إلى أبى سفيان رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك أيضا والى كل من كان له تجارة فى تلك العير التى كانت سبب وقعة بدر وكانت تلك العير موقوفة بدار الندوة لم تعط لأربابها فقالوا ان محمدا قد وتركم وقتل خياركم فأعينوا بهذا المال على حربه لعلنا ندرك منه ثارا عمن أصاب

---

المسلمين أى المهاجرين على الحق والمواساة فآخى بين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما وآخى بين حمزة وزيد ابن حارثة وبين عثمان وعبد الرحمن بن عوف وبين الزبير وابن مسعود وبين عبادة بن الحارث وبلال وبين مصعب بن عمير وسعد بن أبى وقاص وبين أبى عبيدة بن الجراح وسالم مولى أبى حذيفة وبين سعيد ابن زيد وطلحة بن عبيد الله وبين على ونفسه صلى الله عليه وسلم وقال أما ترضى أن أكون أخاك قال بلى يارسول الله رضيت قال فأنت أخى فى الدنيا والآخرة قال وأنكر العباس بن تيمية المؤاخاة بين المهاجرين سيما مؤاخاة النبى ﷺ لعلى رضى الله تعالى عنه قال لأن المؤاخاة بين المهاجرين والانصار انما جعلت لارتفاق بعضهم ببعض ولتأ لف قلوب بعضهم ببعض فلا معنى لمؤاخاة مهاجرى لمهاجرى قال الحافظ بن حجر وهذا رد للنص بالقياس وبعض المهاجرين كان أقوى من بعض بالمال والعشيرة فآخى بين الأعلى والادنى ليرتفق الأدنى بالأعلى وليستعين الاعلى بالأدنى ولهذا تظهر مؤاخاته صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله تعالى عنه كان هو الذى يقوم بامره قبل البعثة وفى الصحيح فى عمرة القضاء ان زيد ابن حارثة قال ان بنت حمزة بنت أخى أى بسبب المؤاخاة اه وكان أول من هاجر منهم اليها أى لا معهم أبو سلمة عبدالله بن عبد الأسد المخزومى اه وهو أخوه من الرضاع وابن عمته وهو أول من يدعى للحساب اليسير كما تقدم فانه لما قدم من الحبشة لمكة آذاه أهلها وأراد الرجوع إلى الحبشة فلما بلغه اسلام من أسلم من الانصار أى الاثنى عشر الذين بايعوا البيعة الاولى خرج اليهم وقدم المدينة بكرة النهار ولما عزم على الرحيل رحل بعيره وحمل عليه أم سلمة وابنها سلمة فى حجرها وخرج يقود البعير ورآه رجال من قوم أم سلمة فقاموا اليه وقالوا ايا أبا سلمة قد غلبتنا على نفسك فصاحبتنا هذه علام نتركك تسير بها فى البلاد ثم نزعوا خطام البعير منه فجاء رجال من قوم أبى سلمة وقال ان ابننا معها إذا انتزعتموها من صاحبنا ننزع ولدنا منها ثم تجاذبوه حتى خلعوا يده وأخذه قوم أبيه ففرق بينها وبين زوجها وولدها فكانت تخرج كل غداة بالأبطح فتبكى حتى المساء مدة سنة فمر بها رجل من بنى عمها فرأى ما بها فرحمها وقال لقومها أما ترحمون هذه المسكينة فرقتم بينها وبين ولدها وزوجها فقالوا لها الحقى بزوجك فلما بلغ ذلك قوم أبى سلمة ردوا عليها ولدها فارتحلت بعيرا وجعلت ولدها فى حجرها وخرجت تريد المدينة وما معها أحد من خلق الله تعالى حتى إذا كانت بالتنعيم لقيها عثمان بن طلحة أى الحجبى صاحب مفتاح الكعبة وكان عثمان بن طلحة يومئذ مشركا ثم اسلم رضى الله تعالى عنه فى هذه الحديبية وهاجر مع خالد ابن الوليد وعمرو بن العاص كما سيأتى فتبعها إلى المدينة حتى إذا وافى على قباء قال لها هذا زوجك هنا ثم انصرف وهى أول ظعينة دخلت من المهاجرين المدينة رضى الله تعالى عنها وكانت أم سلمة تقول ما رأيت صاحبا أكرم من عثمان بن طلحة قال وقال ابن اسحق وابن سعد ثم كان أول من قدمها بعد أبى سلمة عامر بن ربيعة ومعه امرأته ليلى بنت أبى حثمة بالحاء المهملة المفتوحة وسكون الثاء المثلثة وهى أول ظعينة قدمت المدينة اه (أقول) فام سلمة أول ظعينة قدمت المدينة لا مع زوجها وليلى أول ظعينة قدمت المدينة مع زوجها فلا منافاة وفى كلام ابن الجوزى أن من هاجر الى المدينة من النساء أم كلثوم

منا ونحن طيبو النفس أن تجهزوا بربح هذه العير جيشا إلى محمد فقال أبو سفيان وأنا أول من أجاب إلى ذلك و بنو عبد مناف معي فجعلوا لذلك ربح المال فسلم لأهل العير رءوس أموالهم وكانت خمسين ألف دينار وأخرجوا أرباحها وكان الربح لكل دينار دينارا فكان الذي أخرج خمسين ألف دينار وتجهزت قريش ومن والاهم من قبائل كنانة وتهامة وقال صفوان بن أمية لأبي عزة الجمحي يا أبا عزة انك رجل شاعر فأعنا بلسانك ولك علي إن رجعت ان اغنمك وإن أصبت  أجعل بناتك مع بناتي يصيبهن ما أصابهن من عسر ويسر فقال ان محمدا قد من علي وأطلقني يعني يوم بدر وأخذ علي أن لا أظاهر عليه أحدا حين أطلقني فلا أريد أن أظاهر عليه قال بلى فأعنا بلسانك فخرج أبو عزة ومسافع يستنفران الناس باشعارهما فقيل إن مسافعا لم يعرف له اسلام وقيل أسلم بعد ذلك وأما أبو عزة فجيء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأمر عاصم بن ثابت رضي الله عنه فضرب عنقه ودعا جبير بن مطعم رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك غلاما حبشيا يقال له وحشي رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وكان يقذف بحربة له قذف الحبشة قلما يخطىء بها فقال له اخرج مع الناس فان أنت قتلت حمزة بن عبد المطلب بعمي طعيمة بن عدي فأنت حر لأن حمزة هو القاتل لطعيمة بن عدي يوم بدر وقيل ان ابنة سيده طعيمة قالت له إن قتلت محمدا أو حمزة أو عليا في أبي فاني لا أرى في القوم كفئا له غيرهم فأنت عتيق فسار بقوم بالقيان والدفوف والمعازف أي آلات الملاهي والخمور والبغايا وخرج من نساء قريش خمس عشرة امرأة مع أزواجهن منهن هند بنت عتبة زوج أبي سفيان رضي الله عنهما فانهما أسلما عام الفتح هي وزوجها وخرجت أم حكيم بنت طارق مع زوجها عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنهما فانهما أسلما ايضا وفاطمة بنت الوليد بن المغيرة مع زوجها الحرث بن هشام وريطة بن منبه السهمية مع زوجها عمرو بن العاص وغيرهن من

بنت عقبة بن أبي معيط والله أعلم قال بينت أي أم سلمة ما تقدم عنها في حق عثمان بن طلحة بقولها فانه لما رآني قال الى أين قلت الى زوجي قال أو ما معك أحد قلت لا ما معي الا الله وابني هذا فقال والله لا أتركك ثم أخذ بخطام البعير وسار معي فكان إذا وصلنا المنزل أناخ بي ثم استأخر فاذا نزلت جاء وأخذ بعيري فحط عنه ثم قيده في الشجرة ثم أتى إلى شجرة فاضطجع تحتها فاذا دنا الرواح قام إلى بعيري فرحله وقدمه ثم استأخر عني وقال اركبي فاذا ركبت أخذ بخطامه فقادني اه أي فقد قال فقهاؤنا من الصغائر مسافرة المرأة بغير زوج ولا محرم ولا امرأة ثقة في غير الهجرة وفرض الحج والعمرة أما في ذلك فيجوز حيث أمنت الطريق وقولنا لامعهم لا ينافي أن أول من قدم المدينة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير لأن قدومه كان معهم على ما تقدم أو يقال أبو سلمة أول من قدم المدينة بوازع طبعه وأما مصعب فكان بارسال منه صلى الله عليه وسلم ثم رأيت في السيرة الهشامية أول من هاجر الى المدينة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني مخزوم أبو سلمة وعليه فلا اشكال ثم جاء عمار و بلال وسعد وفي رواية ثم قدم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسالا بعد العقبة الثانية فنزلوا على الانصار في دورهم فآووهم وواسوهم ثم قدم المدينة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وعياش بن أبي ربيعة في عشرين راكبا وكان هشام بن العاص واعد عمر بن الخطاب أن يهاجر معه وقال تجدني أو اجدك عند محل كذا ففطن بهشام قومه فحبسوه عن الهجرة وعن علي رضي الله تعالى عنه قال ما علمت أحدا من المهاجرين هاجر الا مختفيا الا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فانه لما هم بالهجرة تقلد بسيفه وتنكب قوسه وانتضى في يده أسهما واختصر عنزته أي وهي الحربة الصغيرة علقها عند خاصرته ومضى قبل الكعبة والملأ من قريش بفنائها فطاف بالبيت سبعا ثم أتى المقام فصلى ركعتين ثم وقف على الحلق واحدة واحدة فقال شاهت الوجوه لا يرغم الله إلا هذه المعاطس أي الانوف من أراد أن تثكله أمه أي تفقده أو يوتم ولده أو ترمل زوجته فيلقني وراء هذا الوادي قال علي رضي الله عنه فما تبعه أحد ثم مضى لوجهه ثم ان أبا جهل وأخاه شقيقه الحرث بن هشام رضي الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك يوم الفتح قدما المدينة والنبي صلى الله عليه وسلم بمكة لم يهاجر فكلما عياش بن أبي ربيعة وكان أخاهما لأمهما وابن عمهما كان أصغر ولد أمه وأخبراه أن أمه قد نذرت أن لا تغسل رأسها وفي لفظ ولا يمس رأسها مشط ولا تستظل من شمس حتى تراه أي وفي لفظ أن لا تأكل ولا تشرب ولا تدخل مسكنا حتى يرجع اليها وقالا له وأنت أحب ولد أمك اليها وأنت في دين منه بر الوالدين فارجع الى مكة فاعبد ربك كما تعبده بالمدينة فرقت نفسه وصدقهما أي وأخذ عليهما المواثيق أن لا يغشياه بسوء وقال له عمر إن يريدا الا فتنتك عن دينك فاحذرهما والله لو آذى أمك القمل امتشطت ولو اشتد عليها حر مكة لاستظلت فقال عياش ابر أمي ولي مال هناك آخذه فقال عمر خذ نصف مالي ولا تذهب معهما فأبى الا ذلك فقال له عمر حيث صممت فخذ ناقتي هذه فانها نجيبة ذلول فالزم ظهرها فان رابك منهما ريب فانج عليها فأبى ذلك وخرج راجعا معهما إلى مكة فلما خرجا من المدينة كتفاه بتخفيف التاء أي شدا يديه إلى

النسوة يبكين قتلى بدر ويتحن عليهم ويحرضنهم على القتال وعدم الهزيمة والفرار وكان خروجهم من مكة لخمس مضين من شوال وكتب العباس للنبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بجمعهم وخروجهم وراودوه على الخروج معهم فأبى واعتذر بما لحقه يوم بدر ولم يساعدهم بشيء من المال فجاء كتابه للنبي صلى الله عليه وسلم وهو بقباء وكان العباس أرسل الكتاب مع رجل من بني غفار استأجره وشرط عليه أن يأتي



المدينة في ثلاثة أيام بلياليها ففعل ذلك فلما جاء الكتاب فك ختمه ودفعه لأبي بن كعب فقرأه عليه فاستكتم أبيا ثم نزل صلى الله عليه وسلم على سعد بن الربيع فأخبره بكتاب العباس رضي الله عنه فقال والله اني لارجو أن يكون خيرا فاستكتمه اياه ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من عنده قالت له امرأته ماقال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها يا ام محمد ما انت وذاك فقالت قد سمعت ماقال واخبرته بما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسترجع واخذ بيدها ولحق النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره خبرها وقال يارسول الله اني خفت أن يفشو الخبر فترى اني انا المفشي له وقد استكتمتني اياه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خل عنها وسارت قريش وهم ثلاثة آلاف وفيهم مائتا فرس وسبعمائة دارع ومعهم الاحابيش الذين حالفوا قريشا وهم بنو المصطلق وبنو الهول بن خزيمة اجتمعوا عند حبيش وهو جبل بأسفل مكة وتحالفوا على انهم مع قريش يدا واحدة ماسجا ليل ووضح نهار ورسا حبيش مكانه فسموا احابيش باسم الجبل وقيل سموا بذلك لتحبشهم أي تجمعهم وخرج معهم ابو عامر الراهب في سبعين فارسا من الأوس وكان ابو عامر الراهب في المدينة مقاوما للنبي صلى الله عليه وسلم مباعدا له ومنكرا لنبوته وكان قبل ذلك مترهبا يزعم انه ينتظر النبي المبعوث ويذكر للناس كثيرا من صفاته ويقول لهم قد قرب خروجه فلما هاجر صلى الله عليه وسلم الى

---

خلف بالكتاف في الطريق أي وفي السيرة الهشامية أنه أخذ الناقة وخرج عليها معهما حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال له أبو جهل يا أخي والله لقد استغلظت بعيري هذا أفلا تعقبني على ناقتك هذه قال بلى قال فأناخ وأناخا ليتحول عليها فلما استووا بالأرض عدوا عليه وأوثقاه رباطا ودخلا به مكة نهارا موثقا وقالا يا أهل مكة هكذا فافعلوا بسفهائكم كما فعلنا بسفيهنا ثانيا وفي لفظ بسفيهنا فحبس بمكة مع هشام بن العاص فانه كما تقدم منع وحبس عن الهجرة وجعل كل في قيد وفي لفظ انهما لما ذكرا له أن أمه حلفت أن لا يظلها سقف بيت حتى تراه وأعطياه موثقا أن لا يمنعاه وأن يخليا سبيله بعد أن تراه أمه فانطلق معهما حتى إذا خرجا من المدينة عمدا اليه فشداه وثاقا وجلداه نحوا من مائة جلدة وكان أعانهما عليه رجل من بني كنانة أي يقال له الحرث بن يزيد القرشي وفي كلام ابن عبد البر انه كان ممن يعذبه بمكة مع أبي جهل وفي الينبوع جلده كل واحد منهما مائة جلدة وأنه لما جيء به إلى مكة ألقي في الشمس وحلفت أمه أنه لا يحل عنه حتى يرجع عن دينه ففتن قيل وكان سبب نزول قوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه الآية وفيه أنه تقدم أنها نزلت في سعد بن أبي وقاص إلا أن يقال يجوز أن يكون مما تكرر نزوله فتكون نزلت فيهما وحلف عياش ليقتلن ذلك الرجل إن قدر عليه قيل ولم يزل عياش محبوسا حتى فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فخرج عياش فلقي ذلك الرجل الكناني وكان قد أسلم وعياش لا يعلم باسلامه فقتله وأعلم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فانزل الله تعالى وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ فقرأها النبي صلى الله عليه وسلم وقال لعياش قم فحرر أي أعتق رقبة وما ذكر من أن عياشا استمر محبوسا إلى الفتح يخالف قول بعضهم مكث صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة كما سيأتي أربعين صباحا يقنت في صلاة الصبح بعد الركوع أي من الركعة الأخيرة وكان يقول في قنوته اللهم انج الوليد بن الوليد وعياش بن أبي ربيعة وهشام بن العاص والمستضعفين من المؤمنين بمكة الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فان هذا يدل على أن هشام بن العاص وعياش بن أبي ربيعة لم يفتتنا ولم يرجعا عن الاسلام وفي السيرة الهشامية ما يفيد أنهما فتنا الأول صريحا والثاني ظاهرا وفي السيرة الهشامية التصريح بافتتانهما وفيه نظر لما ذكر ولأنهما لو كانا فتنا لأطلقا من الحبس والقيد وادامة ذلك إلا أن يقال فعل بهما ذلك لعدم الوثوق برجوعهما عن الاسلام ومما يدل على أن رجوعهما عن الاسلام ان صح انما كان ظاهرا فقط دعاؤه صلى الله عليه وسلم لهما أي وسيأتي أن الوليد كان سببا لتخليص عياش بن أبي ربيعة وهشام بن أبي العاص بعد أن تخلص من الحبس وهاجر الى المدينة فان الوليد كان أسر ببدر ثم افتداه أخواه خالد وهشام ابنا الوليد بن المغيرة وذهبا به الى مكة فأسلم وأراد الهجرة فحبسوه بمكة وقيل له هلا أسلمت قبل أن تفدى قال كرهت أن يظن في اني جزعت الاسار ثم نجا وتوصل الى المدينة ورجع إلى مكة مستخفيا وخلص عياشا وهشاما وجاء بهما الى المدينة فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وشكر صنيعه وبه يعلم ضعف ما تقدم من أن عياشا لم يزل محبوسا الى يوم الفتح وممن هاجر قبل النبي صلى الله عليه وسلم سالم مولى أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة أي لأنه

لما

المدينة واتضحت صفاته للأنصار واتبعوه وحسده أبو عامر وأنكر ثبوته وكان رئيسا فى الاوس كعبدالله بن أبى فى الخزرج فكل منهما حسد النبى صلى الله عليه وسلم لكن عبدالله بن أبى دخل فى الاسلام ظاهرا وهذا خرج من المدينة كافرا مباعدا فدعا عليه النبى صلى الله عليه وسلم بانه يموت وحيدا طريدا فاستجاب الله دعاءه وسماه الفاسق بدلا عن الراهب وأما ابنه حنظلة فهو من فضلاء الصحابة رضى الله عنه وهو من المستشهدين بأحد وهو الذى غسلته الملائكة  ومات أبو عامر الفاسق كافرا بأرض الروم وحيدا طريدا إجابة لدعائه صلى الله عليه وسلم لانه لما فتحت مكة خرج فارا إلى الروم ثم ان القوم بعد ان تجهزوا خرجوا وكان قائدهم أبو سفيان فسار بهم حتى نزلوا ببطن الوادى من قبل أحد مقابل المدينة وكان وصولهم يوم الاربعاء ثانى عشر شوال فاقاموا به الاربعاء والخميس والجمعة فخرج اليهم صلى الله عليه وسلم فاصبح بالشعب من أحد يوم السبت للنصف من شوال وكان رجال من المسلمين أسفوا على مافاتهم من مشهد بدر وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم رؤيا قبل خروجه وكانت ليلة الجمعة فلما أصبح قال والله إنى قد رأيت خيرا رأيت بقرا تذبح ورأيت فى ذباب سيفى أى طرفه الذى يضرب به ثلما ورأيت انى أدخلت يدى فى درع حصينة وكأنى مردف كبشا فاما البقر فناس من أصحابى يقتلون وأما الثلم الذى رأيت فى سيفى فهو رجل من أهل بيتى يقتل وأولت الدرع الحصينة المدينة وأولت الكبش بانى أقتل صاحب الكتيبة وقد صدق الله رؤياه صلى الله عليه وسلم فكان الرجل الذى من أهل بيته حمزة سيد الشهداء رضى الله عنه وقتل على رضى الله عنه طلحة بن عثمان العبدرى صاحب لواء المشركين فهو صاحب الكتيبة وكبش القوم سيدهم وقال عروة بن الزبير وجماعة كان الذى بسيفه ما أصاب وجهه الشريف فان العدو أصابوا وجهه الشريف صلى الله عليه وسلم

لما أعتقته زوجة أبى حذيفة وكانت انصارية تبناه أبو حذيفة وكان يؤم المهاجرين بالمدينة فيهم عمر ابن الخطاب لأنه كان أكثرهم أخذا للقرآن فكان عمر بن الخطاب يثنى عليه كثيرا حتى قال لما أوصى عند قتله لو كان سالم مولى أبى حذيفة حيا ماجعلتها شورى قال ابن عبدالبر معناه أنه كان يأخذ برأيه فيمن يوليه الخلافة أى فانه قتل فى يوم اليمامة وأرسل عمر بميراثه لمعتقته فأبت أن تقبله فجعله فى بيت المال ولما أراد صهيب الهجرة إلى المدينة أى بعد أن هاجر اليها ﷺ خلافا لما يوهمه كلام الاصل والشامى قال له كفار قريش أتيتنا صعلوكا فقيرا فكثر مالك عندنا ثم تريد أن تخرج بمالك لا والله لا يكون ذلك فقال لهم صهيب أرأيتم ان جعلت لكم مالى أتخلون سبيلى قالوا نعم قال فانى جعلته لكم فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال ربح صهيب أقول وذكر أن صهيبا تواعد معه صلى الله عليه وسلم أن يكون معه فى الهجرة فلما أراد صلى الله عليه وسلم الخروج للغار أرسل اليه أبا بكر مرتين أو ثلاثا فوجده يصلى فكره أن يقطع عليه صلاته كما سيأتى وحينئذ يكون قول صهيب المذكور بعد هجرته ﷺ إلى المدينة كما تقدم وهو ما فى الخصائص الكبرى عن صهيب لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وخرج معه أبو بكر وقد كنت هممت بالخروج معه فصدنى فتيان من قريش أى بعد أن أردت الخروج بعده وقالوا له جئتنا فقيرا حقيرا صعلوكا فكثر مالك عندنا وتريد أن تخرج بمالك ونفسك لا يكون ذلك أبدا قال فقلت لهم أنا أعطيكم أواقى من الذهب وفى لفظ ثلث مالى وفى لفظ مالى وتخلون سبيلى ففعلوا فقلت احفروا تحت أسكفة الباب فان تحتها الاواقى وخرجت حتى قدمت على رسول الله ﷺ قباء قبل أن يتحول منها فلما رآنى قال ياأبا يحيى ربح البيع ثلاثا فقلت يارسول الله انه ماسبقنى اليك أحد وما أخبرك إلا جبريل عليه السلام أى وأخرج أبو نعيم فى الحلية عن سعيد بن المسيب قال أقبل صهيب مهاجرا نحو النبى صلى الله عليه وسلم وقد أخذ سيفه وكنانته وقوسه فاتبعه نفر من قريش فنزل عن راحلته وانتثل مافى كنانته ثم قال يامعشر قريش قد علمتم انى من أرماكم رجلا وأيم الله لا تصلون إلى حتى أرمى بكل سهم فى كنانتى ثم اضرب بسيفى مابقى فى يدى منه شىء ثم افعلوا ماشئتم وان شئتم دللتكم على مالى بمكة وخليتم سبيلى فقالوا نعم فقال لهم ما تقدم وفى رواية أنهم قالوا له دلنا على مالك ونخلى عنك وعاهدوه على ذلك ففعل وذكر بعض المفسرين أن المشركين أخذوه وعذبوه فقال لهم إنى شيخ كبير لا يضركم أمنكم كنت أم من غيركم فهل لكم أن تأخذوا مالى وتذرونى ودينى وتتركوا لى راحلة ونفقة ففعلوا ونزل قوله تعالى ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله قال فلما قدمت وجدت النبى ﷺ وأبا بكر جالسين فلما رآنى أبو بكر قام إلى فبشرنى بالآية التى نزلت فى أى وفى رواية فتلقانى أبو بكر وعمر ورجال فقال لى أبو بكر ربح بيعك أبا يحيى فقلت وبيعك هلا تخبرنى ماذاك فقال أنزل الله فيك كذا وقرأ على الآية وفى تفسير سهل بن عبدالله التسترى أن صهيبا كان من المشتاقين لم يكن له قرار كان لا ينام لا بالليل ولا بالنهار وقد حكى ان امرأة اشترته فرأته كذلك فقالت لا أرضى حتى تنام بالليل لانك تضعف فلا يتهيأ لك

يومئذ وكسروا رباعيته وجرحوا شفته السفلى ثم قال صلى الله عليه وسلم لأصحابه امكثوا بالمدينة فان دخل القوم المدينة قاتلناهم ورموا من فوق البيوت وفى رواية فان رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا فان أقاموا أقاموا بشر مقام وان هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها وأرسل النبي صلى الله عليه وسلم لعبدالله ابن أبى بن سلول يستشيره تالفا له ولم يستشره قبل ذلك فكان رأى عبدالله بن أبى ابن سلول مع رأيه صلى الله عليه وسلم فقال رجال من المسلمين لم يحضروا بدرا وأسفوا على مافاتهم من مشهدها يارسول الله انا كنا نتمنى هذا اليوم اخرج بنا إلى أعدائنا لايرون أنا جبنا عنهم فقال ابن أبى يارسول الله قم بالمدينة لاتخرج اليهم فوالله ماخرجنا منها إلى عدو لنا قط إلا أصاب منا ولادخلها علينا إلا أصبنا منهم فدعهم يارسول الله فان أقاموا أقاموا بشر مجلس وان دخلوا قاتلهم الرجال فى وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم وان رجعوا رجعوا خائبين كما جاؤا وقال حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنه وسعد بن عبادة والنعمان ابن مالك وطائفة من الانصار رضى الله عنهم إنا نخشى يارسول الله ان يظن عدونا أنا كرهنا الخروج جبنا عن لقائهم فيكون هذا جرأة منهم علينا زاد حمزة والذى أنزل عليك الكتاب لاأطعم اليوم طعاما حتى أجالدهم بسيفى خارج المدينة وقال النعمان يارسول الله لاتحرمنا الجنة فوالذى نفسى بيده لأدخلنها فقال له صلى الله عليه وسلم لمه فقال لأنى أحب الله ورسوله وفى لفظ أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ولاأفر يوم الزحف فقال صلى الله عليه وسلم صدقت فاستشهد يومئذ فيترجح عنده صلى الله عليه وسلم موافقة رأيهم وان كرهه ابتداء ليقضى الله أمرا كان مفعولا فصلى عليه الصلاة والسلام بالناس الجمعة ثم وعظهم وأمرهم بالجد والاجتهاد وأخبرهم بان لهم النصر ماصبروا أى مدة صبرهم على

---

الاشتغال بأعمالى فبكى وقال ان صهيبا إذا ذكر النار طار نومه وإذا ذكر الجنة جاء شوقه واذا ذكر الله طال شوقه أى وليتأمل هذا مع مافى تاريخ ابن كثير أن الروم أغارت على بلاد صهيب وكانت على دجلة وقيل على الفرات فاسرته وهو صغير ثم اشتراه منهم بنو كلب فحملوه إلى مكة فابتاعه عبدالله بن جدعان فاعتقه وأقام بمكة حينا فلما بعث رسول الله ﷺ أسلم وكان اسلامه واسلام عمار بن ياسر فى يوم واحد وقد يقال يجوز أن تكون تلك المرأة التي اشترته كانت من بنى كلب وعن صهيب رضى الله تعالى عنه صحبت النبي ﷺ قبل أن يوحى اليه وانه قال له عمر رضى الله تعالى عنه ياصهيب اكتنيت وليس لك ولد فقال كنانى رسول الله ﷺ بأبى يحيى فهو من جملة من كناه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاولد له وكان فى لسانه عجمة شديدة وكان فيه دعابة رآه رسول الله ﷺ يأكل قثاء ورطبا وهو أرمد إحدى عينيه فقال له تأكل رطبا وأنت أرمد فقال انما آكل من ناحية عينى الصحيحة فضحك ﷺ وفى المعجم الكبير للطبرانى عن صهيب قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم و بين يديه تمر وخبز فقال ادن فكل فاخذت آكل من التمر فقال لى أتأكل التمر وعينك رمدة فقلت يارسول الله أمصه من الناحية الأخرى فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم أى ولا مانع من التعدد ولما أذن ﷺ لأصحابه فى الهجرة وهاجر ومكث صلى الله عليه وسلم بعد أصحابه ينتظر أن يؤذن له فى الهجرة ولم يتخلف معه إلا على بن أبى طالب رضى الله عنه وأبو بكر أى وصهيب كما علمت ومن كان محبوسا أو مريضا أو عاجزا عن الخروج وكان أبو بكر رضى الله تعالى عنه كثيرا ما يستأذن رسول الله ﷺ فى الهجرة فيقول له لاتعجل لعل الله أن يجعل لك صاحبا فيطمع أبو بكر أن يكون هو وفى رواية تجهز أبو بكر فقال له رسول الله ﷺ على رسلك فانى أرجو أن يؤذن لى فقال له أبو بكر هل ترجو ذلك بأبى أنت وأمي قال نعم فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه وعلف راحلتين عنده الخبط أى وفى لفظ ورق السمر بفتح المهملة وضم الميم قال الزهرى وهو الخبط قال ابن فارس والخبط مايخبط بالعصا فيسقط من ورق الشجر وكان مدة علفهما أربعة أشهر وكان اشتراهما بثمانمائة درهم أقول ظاهر هذا السياق أن علفه للراحلتين كان بعد قول المصطفى ﷺ له ماذكر ومعلوم أن ذلك بعد مبايعة الأنصار له صلى الله عليه وسلم والمدة بين مبايعة الأنصار له صلى الله عليه وسلم والهجرة كانت ثلاثة أشهر أو قريبا منها لانها كانت فى ذى الحجة ومهاجرته صلى الله عليه وسلم كانت فى ربيع الاول وفى السيرة الشامية مايصرح بأن علفه للراحلتين كان بعد قول المصطفى ﷺ له ماذكر ففيها أنه صلى الله عليه وسلم لما قال لابى بكر وقد استأذنه فى الهجرة لاتعجل لعل الله يجعل لك صاحبا طمع بان رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما يعنى نفسه فابتاع راحلتين فحبسهما فى داره يعلفهما اعدادا لذلك وسيأتى عن الحافظ بن حجر أن بين ابتداء هجرة الصحابة و بين هجرته صلى الله عليه وسلم شهرين ونصف شهر على التحرير والله أعلم فلما رأت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صار

امره وأمرهم بالنهىء لغزوهم ففرح الناس بذلك لانهم لاغرض لهم فى الدنيا وزهرتها الموقر فى قلوبهم وارتاحت له نفوسهم من حب لقاء الله والمسارعة إلى جنات النعيم ثم صلى بالناس العصر وقد اجتمعوا وحضر أهل العوالى ثم دخل عليه الصلاة والسلام بيته ومعه صاحباه فى الدنيا والبرزخ والموقف والحوض والجنة فعمماه وألبساه أى عاوناه فى لبس عمامته وثيابه والتقليد بسيفه وغير ذلك مما تعاطاه عند ارادة الخروج وصف الناس ينتظرون خروجه عليه الصلاة والسلام فقال لهم سعد بن معاذ رضى الله عنه وأسيد بن حضير استكرهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخروج فردوا الامر اليه وكان سعد بن معاذ سيد الأوس وهو فى الانصار كالصديق فى المهاجرين رضي الله عنهم قال الزرقانى فهو أفضل الانصار فخرج صلى الله عليه وسلم وقد لبس لأمته وهي بالهمزة وتركه الدرع وقيل السلاح وتقلد سيفه فندم الطالبون لخروجه على ماصنعوا وقالوا ما كان ينبغى لنا أن نخالفك فاصنع ماشئت وفى رواية فان شئت فاقعد فقال ماينبغى لنبى إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضى الله عنه وعقد صلى الله عليه وسلم لواء للاوس وجعله بيد أسيد بن حضير ولواء للخزرج وجعله بيد الحباب بن المنذر وقيل بيد سعد بن عبادة ولواء للمهاجرين وجعله بيد على بن أبى طالب رضى الله عنه ثم سأل عمن يحمل لواء المشركين فقيل طلحة بن أبى طلحة العبدرى فقال نحن أحق بالوفاء منهم فأخذه من على ودفعه إلى مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار أكبر أولاد قصى فجعل أبوه قصى القيادة واللواء والحجابة والسقاية والرفادة ودار الندوة كلها اليه ثم اختلف بنو عبد الدار وبنو عبد مناف بعد موت عبد الدار ثم اتفقوا على أن اللواء والحجابة ودار الندوة لبنى عبد الدار والقيادة والسقاية والرفادة لبنى عبد مناف وتقدمت القصة مستوفاة ولهذا قال صلى الله

له شيعة أى انصار وأصحاب من غيرهم ورأوا خروج أصحابه اليهم وانهم أصابوا منعه لأن الانصار قوم أهل حلقة أى سلاح وبأس حذروا أى خافوا أن يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يجمع على حربهم فاجتمعوا فى دار الندوة يتشاورون فيما يصنعون فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت محل مشورتهم لا يقطعون أمرا إلا فيها أى وهى أول دار بنيت بمكة كانت منزل قصى بن كلاب كما تقدم ثم صارت لولده عبد الدار ثم ابتاعها معاوية للحج وهو خليفة من أولاد عبد الدار وتقدم أن معاوية إنما اشتراها من حكيم بن حزام ويدل لذلك ماجاء عن مصعب بن عبد الله قال جاء الاسلام ودار الندوة بيد حكيم بن حزام فباعها من معاوية بن أبى سفيان بمائة ألف درهم فقال له عبد الله بن الزبير بعت مكرمة قريش فقال له حكيم ذهبت المكارم إلا التقوى يا ابن أخى إلى آخر ما تقدم وكانت دار الندوة جهة الحجر عند المقام الحنفى الآن وكان لها باب للمسجد وكان لايدخلها عند المشورة من غير ولد قصي لا ابن أربعين سنة وفى كلام بعضهم ❊ ساد أبو جهل وماطر شاربه ❊ ودخل دار الندوة وما استدارت لحيته وقد أدخلت فى المسجد قيل لها دار الندوة لاجتماع الندى وهو الجماعة فيها وكان ذلك اليوم يسمى يوم الرحمة لانه اجتمع فيه أشراف بنى عبد شمس وبنى نوفل وبنى عبد الدار وبنى أسد وبنى مخزوم وبنى سهم وبنى جمح وغيرهم ممن لا يعد من قريش ولم يتخلف من أهل الرأى والحجى أحد ثم ان ابليس جاء اليهم فى صورة شيخ نجدى عليه طيلسان من خز وقيل من صوف أى وانما فعل ذلك ليقبل منه مايشير به لأن أهل الطيالسة فى العادة من أهل الوقار والمعرفة ووقف ذلك الشيخ على الباب فقالوا له من الشيخ قال شيخ من أهل نجد سمع بالذى اجتمعتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولون وعسى أن لا يعدمكم منه رأيا ونصحا قالوا أجل أى نعم فادخل فدخل معهم أى وانما قال لهم من أهل نجد لان قريشا قالوا لايدخلن معكم فى المشاورة أحد من أهل تهامة لأن هواهم كان مع محمد صلى الله عليه وسلم ❊ قيل لما سمعهم يقولون لايدخل معكم اليوم إلا من هو معكم قال لهم لما سألوه وقالوا له من أنت قال شيخ من نجد وانا ابن اختكم فقالوا ابن أخت القوم منهم وقيل ان ابليس لما دخل عليهم أنكروه وقالوا له من أنت وما أدخلك علينا فى خلوتنا هذه بغير اذننا فقال انى رجل من أهل نجد رأيتكم حسنة وجوهكم طيبة ريحكم فأحببت أن اجلس اليكم وأسمع كلامكم فان كرهتم ذلك خرجت عنكم فقال بعضهم لبعض هذا نجدى ولاعين عليكم منه وفى لفظ هذا من أهل نجد لا من مكة فلا يضركم حضوره معكم وعند المشورة قال بعضهم لبعض إن هذا الرجل يعنى النبى صلى الله عليه وسلم قد كان من أمره ما قد رأيتم ❊ إنا والله لانأمنه على الوثوب علينا بمن قد اتبعه من غيرنا فاجمعوا فيه رأيا فتشاوروا فقال قائل أى وهو أبو البخترى بن هشام احبسوه فى الحديد وأغلقوا عليه بابا ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء حتى يصيبه ما أصابهم من هذا الموت فقال الشيخ النجدى لا والله ماهذا لكم برأى والله لو حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب الذى اغلقتم دونه إلى أصحابه فلا تشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ثم يكاثروكم حتى يغلبوكم على أمركم ماهذا برأى فانظروا رأيا غيره فتشاوروا

عليه وسلم نحن أحق بالوفاء منهم وفى شرح الزرقانى على المواهب انه لما قتل مصعب بن عمير رضى الله عنه أعطى رسول الله صلى الله
عليه وسلم الراية عليا رضى الله عنه وكان فى المسلمين مائة دارع وهو لابس الدرع وركب صلى الله عليه وسلم فرسه السكب
وقيل خرج ماشيا وخرج السعدان أمامه يعدوان سعد بن معاذ وسعد بن عبادة القائل فيهما الهاتف بمكة فان يسلم السعدان يصبح
محمد * بمكة لا يخشى خلاف المخالف



وكانا دارعين ورد صلى الله عليه وسلم جماعة من المسلمين لصغرهم نحو
سبعة عشر منهم اسامة بن زيد وعبد الله بن عمر وزيد بن ثابت وأبو سعيد الخدرى والنعمان بن بشير ورافع بن خديج وسمرة بن جندب رضى الله عنهم ثم أجاز رافع بن خديج لما قيل له انه رام فخرج وأصيب بسهم فقال صلى الله عليه وسلم أنا اشهد له يوم القيامة وعاش الى زمن عبد الملك ابن مروان ولما أجازه قال سمرة بن جندب رضي الله عنه لزوج أمه أجاز رافعا وردنى وأنا أصرعه فاعلم النبى صلى الله عليه وسلم بذلك فقال تصارعا فصرع سمرة رافعا فاجازه ورأى صلى الله عليه وسلم جماعة من اليهود مع عبدالله بن أبى يريدون الخروج فقال وقد أسلموا قالوا لا يارسول الله قال مروهم فليرجعوا فانا لا نستعين بالمشركين على المشركين وكان المسلمون الخارجون معه صلى الله عليه وسلم ألفا رجل ثم انخزل عبد الله بن أبى
ورجع هو ومن معه من المنافقين وكانوا ثلثمائة فبقي المسلمون سبعمائة وكان المشركون ثلاثة آلاف رجل من قريش بعض
والاحابيش المحالفين لهم وقال ابن أبى حين أراد الرجوع عصانى وأطاع الولدان ومن لا رأى له علام نقتل أنفسنا ارجعوا أيها الناس
فقال لهم عبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر رضى الله عنه وكان خزرجيا كابن أبى أذكركم الله أن تخذلوا قومكم ونبيكم بعد ما حضر
عدوهم قالوا لو نعلم قتالا لا تبعناكم فلما أبوا قالوا أبعدكم الله سيغنى الله عنكم قال موسى ابن عقبة لما انخزل ابن أبى بمن معه سقط فى أيدى
طائفتين من المسلمين وهمتا ان تفشلا وهما بنو حارثة من الخزرج وبنو سلمة بكسر اللام من الأوس وفى الصحيح عن جابر رضى الله عنه

فقال قائل منهم أى وهو الاسود بن ربيعة بن عمير نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا فاذا خرج عنا
فوالله ما نبالى أين يذهب فقال الشيخ النجدى والله ما هذا برأى ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه
وغلبته على قلوب الرجال بما تأتى الله به والله لو فعلتم ذلك ما أمنتم أن يحل بفتح أوله وضم الحاء المهملة
أى ينزل ويجوز أن يكون بكسرها أى يسقط على حى من العرب فيغلب بذلك عليهم من قوله وحديثه
حتى يبايعوه ثم يسير به اليكم حتى يطأكم بهم فيأخذوا أمركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد دبروا فيه رأيا
غير هذا فقال أبو جهل بن هشام والله ان لى فيه لرأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد قالوا وما هو يا أبا الحكم قال
الرأى أن تأخذوا من كل قبيلة شابا جلدا أى قويا حسيبا فى قومه نسيبا وسطا ثم يعطى كل فتى منهم
سيفا صارما ثم يغدون اليه فيضربونه ضربة رجل واحد فيقتلونه فنستريح منه فانهم اذا فعلوا ذلك
تفرق دمه فى القبائل جميعا فلم تقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا فيرضوا منا بالعقل أى الدية
فعقلنا لهم فقال النجدى القول ما قال هذا الرجل هذا هو الرأى ولا أرى غيره فتفرق القوم على ذلك
فاتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تبت هذه الليلة فى فراشك الذى كنت تبيت عليه أى
واخبره بمكرهم وأنزل الله عز وجل عليه واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك
الآية فلما كانت عتمة من الليل أى الثلث الأول من الليل اجتمعوا على باب رسول الله صلى الله عليه
وسلم يرصدونه حتى ينام فيثبوا عليه أى وكانوا مائة (أقول) فى الدر المنثور أخرج ابن جرير وابن المنذر
وابن أبى حاتم عن عبيد بن عمير لما ائتمروا بالنبى ﷺ ليثبتوه أو يقتلوه أو يخرجوه قال له
أبو طالب هل تدرى ما ائتمروا بك قال يريدون أن يحبسونى أو يقتلونى أو يخرجونى قال من حدثك
بهذا قال ربى قال نعم الرب ربك فاستوص به خيرا قال أنا استوصى به بل هو يستوصى بى هذا كلامه ولم
يتعقبه بأن هذا كان بعد موت أبى طالب قال وكان ائتمارهم يوم السبت فقد سئل صلى الله عليه وسلم
عن يوم السبت فقال يوم مكر وخديعة قالوا ولم يارسول الله قال إن قريشا أرادوا أن يمكروا فيه بى أى
أرادوا فيه المكر فانزل الله تعالى وإذ يمكر بك الذين كفروا * وفى سيرة الحافظ الدمياطى فاجتمع
أولئك القوم من قريش يتطلعون من صير الباب أى شقه ويرصدونه يريدون بياته أى يوقعون به
الأمر ليلا ويأتمرون أيهم يحمل على المضجع وفيه أن ائتمارهم فى ذلك لا يناسب ما اجتمع رأيهم
عليه من أنهم يجتمعون على قتله ليتفرق دمه فى القبائل ثم رأيت بعضهم قال وأحدقوا ببابه صلى الله
عليه وسلم وعليهم السلاح يرصدون طلوع الفجر ليقتلوه ظاهرا فيذهب دمه لمشاهدة بنى هاشم قاتله
من جميع القبائل فلا يتم لهم أخذ ثاره وهو المناسب لما ذكر والله أعلم فلما رأى رسول الله صلى الله عليه
وسلم مكانهم أى علم ما يكون منهم قال لعلى بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه نم على فراشى واتشح
بردائى هذا الحضرمى وقد كان يشهد فيه العيدين وقد كان طوله أربعة أذرع وعرضه ذراعان وشبر
وهل كان أخضر أو أحمر يدل للثانى قول جابر كان يلبس رداء أحمر فى العيدين والجمعة ثم رأيت فى

نزلت هذه الآية فينا اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا بنى سلمة وبنى حارثة وما أحب أنها لم تنزل والله يقول والله وليهما أى الدافع عنهما قال الحافظ بن حجر أى ان الآية وان كان فى ظاهرها عتاب عليهم لكن فى آخرها غاية الشرف لهم قال ابن اسحق قوله والله وليهما أى الدافع عنهما ماهموا به من الفشل لان ذلك كان من وسوسة الشيطان من غير وهن منهم فى دينهم وفى الصحيح أيضا عن عبد الله بن زيد رضى الله عنه لما خرج صلى الله عليه وسلم الى غزوة أحد رجع ناس ممن خرج معه وكان أصحابه صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة تقول نقاتلهم وفرقة تقول لا نقاتلهم فنزل فما لكم فى المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا أى ردهم الى كفرهم بما كسبوا ثم مضى رسول الله ﷺ حتى نزل الشعب من أحد فى عدوة الوادى فى الجبل فجعل ظهره وعسكره الى أحد وصلى الصبح بأصحابه صفوفا ثم اصطف المسلمون بأصل أحد واصطف المشركون بالسبخة وكان على ميمنة خيل المشركين خالد بن الوليد رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وصار سيفا لله سله على المشركين وعلى ميسرتها عكرمة بن أبى جهل رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وعلى المشاة صفوان بن أمية وقيل عمرو بن العاص رضى الله عنهما فانهما أسلما بعد ذلك وقال النبي صلى الله عليه وسلم للزبير بن العوام استقبل خالد ابن الوليد وكن بازائه وأمر جماعة آخرين أن يكونوا بأزاء خيل أخرى للمشركين ولم يكن مع المسلمين إلا فرس أو فرسان قال الحلبي وما وقع فى الهدى لابن القيم أن الفرسان من المسلمين يوم أحد كانوا خمسين سبق قلم وجعل النبي ﷺ على الرماة عبد الله بن جبير ابن النعمان الاوسى البدرى المستشهد يوم أحد رضى الله عنه وهو أخو خوات بن جبير رضى الله عنه وكان الرماة خمسين رجلا فأقامهم النبي صلى الله عليه وسلم على جبل صغير مرتفع وقال لهم احموا ظهورنا لا يأتونا من خلفنا وارشقوهم بالنبل فان

بعض الروايات أنه كان أخضر فلينظر الجمع وفى سيرة الدمياطى وارتد بردا أى هذا الاحمر والحضرمى منسوب الى حضرموت التى هى البلدة أو القبيلة باليمن كان رسول الله ﷺ يتسجى بذلك البرد عند نومه فانه لن يخلص اليك شىء تكرهه منهم (أقول) وأما ماروى أن الله تعالى أوحى الى جبريل وميكائيل أنى قد آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة فاختار كلاهما الحياة فأوحى الله اليهما ألا كنتما مثل على بن أبى طالب آخيت بينه وبين محمد صلى الله عليه وسلم فبات على فراشه ليفديه بنفسه ويؤثره بالحياة اهبطا الى الأرض فاحفظاه من عدوه فنزلا فكان جبريل عند رأسه وميكائيل عند رجليه فقال جبريل بخ بخ من مثلك يا ابن أبى طالب باهى الله بك الملائكة وأنزل الله عز وجل ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله قال فيه الامام ابن تيمية انه كذب باتفاق أهل العلم بالحديث والسير وأيضا قد حصلت له الطمأنينة بقول الصادق له لن يخلص اليك شىء تكرهه منهم فلم يكن فيه فداء بالنفس ولا إيثار بالحياة والآية المذكورة فى سورة البقرة وهى مدنية باتفاق وقد قيل إنها نزلت فى صهيب رضى الله تعالى عنه لما هاجر أى كما تقدم لكنه فى الامتاع لم يذكر أنه ﷺ قال لعلى ماذكر وعليه فيكون فداؤه للنبى صلى الله عليه وسلم بنفسه واضحا ولا مانع من تكرر نزول الآية فى حق على وفى حق صهيب وحينئذ يكون شرى فى حق على رضى الله تعالى عنه بمعنى باع أى باع نفسه بحياة المصطفى صلى الله عليه وسلم وفى حق صهيب بمعنى اشترى أى اشترى نفسه بماله ونزول هذه الآية بمكة لا يخرج سورة البقرة عن كونها مدنية لان الحكم يكون للغالب وفى السبعيات أنه صلى الله عليه وسلم نظر الى أصحابه وقال أيكم يبيت على فراشى وأنا أضمن له الجنة فقال على أنا أبيت وأجعل نفسى فداءك هذا كلامه ولعله لا يصح ثم رأيت فى الامتاع مايدل لعدم الصحة وهو قال ابن اسحق ولم يعلم فيما بلغنى بخروجه صلى الله عليه وسلم حين خرج إلا على وأبو بكر الصديق فليتأمل والله تعالى أعلم وكان فى القوم الحكم بن أبى العاص وعقبة بن أبى معيط والنضر ابن الحارث وأمية بن خلف وزمعة بن الأسود وأبو لهب وأبو جهل فقال وهم على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم إن محمدا يزعم أنكم ان تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم ثم بعثتم بعد موتكم فجعلت لكم جنان كجنان الاردن أى بضم الهمزة وتشديد النون وهو محل بأرض الشام بقرب بيت المقدس وان لم تفعلوا كان فيكم ذبح ثم بعثتم من بعد موتكم فجعلت لكم نار تحترقون فيها وسمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج عليهم وهو يقول نعم أنا أقول ذلك وأخذ حفنة من تراب وتلا قوله تعالى يس والقرآن الحكيم الى قوله فأغشيناهم فهم لا يبصرون فأخذ الله تعالى على أبصارهم عنه فلم يروه وفى مسند الحارث بن أبى أسامة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه ذكر فى فضل يس أنها إن قرأها خائف أمن أو جائع شبع أو عار كسى أو عاطش سقى أو سقيم شفى وعند خروجه صلى الله عليه وسلم جعل ينثر التراب على رءوسهم فلم يبق رجل إلا وضع على راسه ترابا ثم انصرف الى حيث أراد فأتاهم آت فقال ما تنتظرون ههنا قالوا محمدا فقال قد خيبكم الله والله خرج عليكم محمد ثم ماترك منكم رجلا إلا وضع على

الخيل لا تقوم على النبل إنا لن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم اللهم انى أشهدك عليهم وفى رواية قال لهم إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا من مكانكم هذا حتى أرسل اليكم وان رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم أى مشينا عليهم وهم قتلى فلا تبرحوا حتى أرسل اليكم وفى رواية فان رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا اللهم إنى أشهدك عليهم ثم عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفا وقال من يأخذ (٣٠) هذا السيف بحقه وكان مكتوبا عليه في الجبن عار وفى الاقدام مكرمة * والمرء بالجبن لا ينجو من القدر

فقام رجال و بسطوا أيديهم كل انسان منهم يقول أنا يارسول الله منهم أبو بكر وعمر وعلى والزبير رضى الله عنهم فأمسكه عنهم ولم يعطه لهم حتى قام اليه أبو دجانة واسمه سماك ابن أوس الأنصارى رضى الله عنه فقال وما حقه يارسول الله قال أن تضرب به فى وجه العدو حتى ينحنى قال أنا آخذه يارسول الله قال لعلك ان أعطيتكه تقاتل فى الكبول أى مؤخر الصفوف قال لا يارسول الله فأعطاه اياه وكان رجلا شجاعا يختال عند الحرب فلما رآه ﷺ يتبختر قال انها لمشية يبغضها الله تعالى الا فى مثل هذا الموطن وليس فى هذه القصة دليل على أن أبا دجانة أشجع من النفر الذين منعهم النبى صلى الله عليه وسلم اعطاء السيف بل هذه خصوصية لأبى دجانة ولعل ذلك بوحى من الله تعالى لاظهار شأن الأنصار وفضلهم حيث أعطاه لرجل منهم قال الزبير رضى الله عنه لما منعنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطاه أبا دجانة قلت والله لأنظرن مايصنع أبو دجانة فاتبعته فأخذ عصابة له حمراء مكتوبا فى أحد طرفيها نصر من الله وفتح قريب وفى طرفها الآخر الجبانة فى الحرب عار ومن فر لم ينج من النار فعصب بها رأسه فقالت الأنصار أخرج عصابة الموت فخرج وهو يقول أنا الذى عاهدنى خليلى * ونحن بالسفح لدى النخيل

رأسه ترابا وانطلق لحاجته أفما ترون ما بكم قال فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فاذا عليه تراب قال فى النور وهذا يعارضه حديث مارية خادم النبى ﷺ تكنى أم الرباب أنها طأطأت لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد حائطا ليلة فر من المشركين و ينبغى أن يوفق بينهما إن صحا و إلا فالعبرة بالصحيح منهما هذا كلامه (أقول) التوفيق حاصل وهو أنه يجوز أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم لم يحب أن يخرج عليهم من الباب فتسور الحائط التى نزل منها عليهم والله أعلم أى وكان ذهابه صلى الله عليه وسلم فى تلك الليلة الى بيت أبى بكر رضى الله عنه فكان فيه الى الليل أى الى الليلة المقبلة ثم خرج هو وأبو بكر رضى الله عنه ثم مضيا الى جبل ثور كذا فى سيرة الدمياطى ثم أى بعد إخبارهم بخروجه صلى الله عليه وسلم ووضعه التراب على رءوسهم جعلوا يطلعون فيرون عليا نائما على الفراش مسجى ببرد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون والله إن هذا لمحمد نائما عليه برده فلم يزالوا كذلك أى يريدون أن يوقعوا به الفعل والله مانع لهم من ذلك حتى أصبحوا وأوا تضح النهار فقام على رضى الله تعالى عنه عن الفراش فقالوا والله لقد صدقنا الذى كان حدثنا أى ولما قام على رضى الله تعالى عنه سألوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا علم لى به وفى رواية فلما أصبحوا ساروا اليه يحسبونه النبى صلى الله عليه وسلم فلما رأوا عليا رضى الله تعالى عنه رد الله تعالى مكرهم فقالوا أين صاحبك قال لا أدرى فأنزل الله تعالى قوله أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون وأنزل الله عز وجل و إذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك و يمكرون و يمكر الله والله خير الماكرين كذا فى الأصل تبعا لابن اسحق ولا يخفى أن الآية الثانية موفية بما ذكروه من المشاورة قال والمانع من اقتحام الجدار عليه فى الدار مع قصر الجدار وقد جاؤا لقتله أنهم هموا بذلك فصاحت امرأة من الدار فقال بعضهم لبعض إنها لسبة فى العرب أن يتحدث عنا أنا تسورنا الحيطان على بنات العم وهتكنا ستر حرمنا انتهى (أقول) لا يخفى أن هذا لا يناسب ماقدمناه عن بعضهم أنهم إنما أرادوا قتله ﷺ عند طلوع الفجر ليظهر لبنى هاشم قاتلوه فلا يثبوا عليه لئلا يتسوروا الجدار إلا أن يقال إرادة ذلك منهم كانت عند طلوع الفجر ووجود الأسباب المانعة لهم من الوثوب عليه لا ينافى أن المانع لهم عن الوثوب عليه الذى جاؤا بصدده وهم مائة رجل من صناديد قريش إنما هى حماية الله تعالى الموجبة لخذلانهم و إظهار عجزهم وفى ذلك تصديق لرسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال لعلى لا يخلص اليك شىء تكرهه منهم على ما تقدم والمراد بقول بعضهم كان المشركون يرمون عليا يظنون أنه النبى ﷺ يرمونه بأبصارهم لا بنحو حجارة أو نبل كما لا يخفى فان قيل هلا نام صلى الله عليه وسلم على فراشه قلنا لو فعل ذلك لفات إذلالهم بوضع التراب على رءوسهم واظهار حماية الله تعالى له بخروجه عليهم ولم يبصره أحد منهم وفى رواية أنهم تسوروا عليه صلى الله عليه وسلم ودخلوا شاهرين سيوفهم فثار على فى وجوههم فعرفوه فقالوا هو أنت أين صاحبك فقال لا أدرى وهذا مخالف لما تقدم فلينظر الجمع بناء على صحة هذا وفى لفظ أمروه بالخروج فضربوه وأدخلوه المسجد وحبس به ساعة

أن لا أقوم الدهر فى الكيول * أضرب بسيف الله والرسول فجعل لا يلقى أحدا من المشركين الاقتله قال أنس ففلق أبو دجانة بالسيف هام المشركين قال الزبير وكان فى المشركين رجل لا يدع لنا جريحا الا ذفف عليه أى قتله فجعل كل واحد منهما يدنو من صاحبه فدعوت الله أن يجمع بينهما فالتقيا فاختلفا ضربتين فضرب المشرك أبا دجانة فاتقاه بدرقته فعضت بسيفه وضربه أبو دجانة فقتله ثم رأيته حمل بالسيف على رأس هند بنت عتبة ثم عدل السيف عنها (٣١) قال أبو دجانة رأيت انسانا يحمس الناس أى يشجعهم حمسا شديدا فعمدت اليه فلما حملت السيف عليه ولول أى دعا بالويل أى قال يا ويلاه فعلمت أنه امرأة فأكرمت سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أضرب به امرأة وعن الزبير رضى الله عنه قال خرج أبو دجانة بعد ما أخذ السيف وأتبعه فجعل لا يمر بشىء الا أفراه وهتكه وفلق به المشركين وكان إذا كل شحذه بالحجارة ثم يضرب به العدو كأنه منجل حتى أتى نسوة فى سفح الجبل ومعهن هند وهى تغنى تحرض المشركين فحمل عليها فنادت بالصخر فلم يجبها أحد فانصرف عنها فقلت له كل سيفك رأيته فأعجبنى غير أنك لم تقتل المرأة قال كرهت ان أضرب بسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة لا ناصر لها وكان أول من أنشب الحرب بينهم أبو عامر الراهب وسماه النبى صلى الله عليه وسلم الفاسق لأنه كما تقدم كان فى المدينة فلما هاجر صلى الله عليه وسلم اليها حسده وكفر به وخرج إلى مكة وكان يعد قريشا أنه لو لقى قومه لم يختلف عليه منهم رجلان فخرج بمن معه مع من خرج من قريش والاحابيش فنادى يا معشر الأوس أنا أبو عامر فقالوا لا أنعم الله بك عينا يا فاسق فلما سمع ردهم عليه قال لقد أصاب قومى بعدى شر ثم قاتلهم قتالا شديدا قال ابن سعد تراموا بالحجارة حتى ولى أبو عامر وأصحابه وجعل نساء المشركين يضربن بالدفوف ويحرضن ويذكرنهم قتلى بدر ويقلن ويها بنى عبد الدار * ويها حماة الادبار

ساعة ثم خلوا عنه والله أعلم ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن له فى الهجرة الى المدينة أى وأنزل الله تعالى عليه وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا قال زيد بن أسلم جعل الله عز وجل مدخل صدق المدينة ومخرج صدق مكة وسلطانا نصيرا الانصار ويعارضه ما جاء ان عند رجوعه صلى الله عليه وسلم من تبوك إلى المدينة قال جبريل سل ربك فان لكل نبى مسئلة فقال ما تأمرنى ان أسأله قال قل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا فأنزل الله تعالى عليه ذلك فى رجعته من تبوك بعد ما ختمت السورة أى الا أن يدعى تكرار النزول وعند الاذن له صلى الله عليه وسلم فى الهجرة قال لجبريل من يهاجر معى قال جبريل أبو بكر الصديق أى ومن الغريب قول بعضهم ومن ذلك اليوم سماه الله تعالى صديقا فقد تقدم أن تسميته بذلك كان عند تصديقه له صلى الله عليه وسلم عند إخباره بالاسراء وعن صفة بيت المقدس ومن الغريب أيضا ما فى السبعيات أن النبى صلى الله عليه وسلم تشاور مع أصحابه فقال أيكم يوافق معى ويرافقنى فقد أمرنى الله تعالى بالخروج من مكة إلى المدينة فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه أنا يا رسول الله ويرده ما فى السير أنه صلى الله عليه وسلم أتى أبا بكر ذات يوم ظهرا فناداه فقال أخرج من عندك فقال يا رسول الله انما هما ابنتاى أى يعنى عائشة وأسماء رضى الله تعالى عنهما قال شعرت أى علمت أنه قد أذن لى فى الهجرة فقال رسول الله الصحبة أى أسألك الصحبة فقال أى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحبة أى لك الصحبة عندى فانطلقا أى ليلا كما تقدم عن سيرة الدمياطى لكن تقدم عنها أنه دخل بيت أبى بكر فى ليلة خروجه من على فراشه وانه مكث ببيت أبى بكر الى الليلة القابلة التى كان فيها خروجه صلى الله عليه وسلم الى جبل ثور فيحتاج الى الجمع وقد يقال إن مجيئه صلى الله عليه وسلم ظهرا كان قبل تلك الليلة ومع خروجهما خرجا مستخفيين حتى أتيا الغار وهو بجبل ثور فتواريا فيه وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم قال عند خروجه من مكة أى متوجها الى المدينة والله انى لأخرج منك وانى لأعلم أنك أحب بلاد الله الى الله وأكرمها على الله ولولا ان أهلك أخرجونى منك ما خرجت أى وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم وقف أى على راحلته بالحزورة ونظر الى البيت وقال والله انك لأحب أرض الله إلي وانك لأحب أرض الله إلى الله ولولا أن أهلك أخرجونى منك قهرا ما خرجت وفى لفظ أنه صلى الله عليه وسلم وقف فى وسط المسجد والتفت إلى البيت فقال انى لأعلم ما وضع الله بيتا أحب إلى الله منك وما فى الأرض بلد أحب اليه منك وما خرجت منك رغبة ولكن الذين كفروا أخرجونى أى وهذا السياق يدل على أن وقوفه صلى الله عليه وسلم على الحزورة أو فى وسط المسجد يقتضى أنه جاء بعد خروجه من الغار الى ماذكر ثم ذهب إلى المدينة وفى رواية وقف صلى الله عليه وسلم على الحجون وقال والله انك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ولو لم أخرج منك ما خرجت وفى لفظ ولو تركت فيك لما خرجت منك ولا مانع من تكرر ذلك ثم رأيت كلام بعضهم ان وقوفه صلى الله عليه وسلم على الحجون كان فى عام الفتح وفى لفظ آخر قال لمكة ما أطيبك من

ضربا بكل بتار وويها كلمة اغراء وتحريض كما تقول دونك يافلان والأدبار الاعقاب أي الذين يحمون أعقاب الناس والبتار القاطع ويقلن أيضا نحن بنات طارق * نمشي على النمارق * مشي القطا البوارق * والمسك في المفارق * والدر في المخانق * ان تقبلوا نعانق * ونفرش النمارق * أو تدبروا نفارق * فراق غير وامق * والطارق النجم قيل المراد بنات رجل بلغ غاية العلو وارتفاع القدر كالنجم وكان صلى الله عليه وسلم اذا سمع تحريض النساء وقولهن ذلك يقول اللهم بك أجول وبك أصول وفيك أقاتل حسبي الله ونعم الوكيل وعند اصطفاف القوم نادى أبو سفيان رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك يامعشر الأوس والخزرج خلوا بيننا وبين بني عمنا وننصرف عنكم فشتموه أقبح شتم ولعنوه أشد اللعن وخرج رجل من المشركين على بعير له فدعا للبراز فاحجم عنه الناس حتى دعا ثلاثا فقام اليه الزبير رضي الله عنه فوثب حتى استوى معه على البعير ثم عانقه فاقتتلا فوق البعير فقال النبي صلى الله عليه وسلم الذي يلي حضيض الأرض مقتول فوقع المشرك فوقع عليه الزبير رضي الله عنه فذبحه فأثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لكل نبي حواري وان حواري الزبير وقال صلى الله عليه وسلم لو لم يبرز له الزبير لبرزت له لما رأى من أحجام الناس عنه * وخرج رجل من المشركين بين الصفين وهو طلحة بن أبي طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار وكان بيده لواء المشركين فطلب المبارزة مرارا فلم يخرج اليه أحد فقال يا أصحاب محمد زعمتم ان الله يعجلنا بسيوفكم إلى النار ويعجلكم بسيوفنا إلى الجنة فهل أحد منكم يعجلني بسيفه إلى النار أو اعجله بسيفي إلى الجنة كذبتم واللات والعزى لو تعلمون ذلك حقا لخرج الي بعضكم فخرج اليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه فاختلفا ضربتين وفي رواية فالتقيا بين الصفين فبدر علي رضي



بلدة وأحبك الي ولولا ان قومي أخرجوني ماسكنت غيرك أي وفي جمال القراء للسخاوي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما توجه مهاجرا إلى المدينة وقف ونظر إلى مكة وبكى فأنزل الله عز وجل عليه وكأين من قرية هي أشد قوة الآية وأما ماروى الحاكم عن أبي هريرة مرفوعا اللهم انك أخرجتني من أحب البقاع إلي فاسكني في أحب البقاع اليك فقال الذهبي إنه موضوع وقال ابن عبد البر لايختلف أهل العلم أنه منكر موضوع (أقول) والذي رأيته عن المستدرك للحاكم اللهم انك تعلم أنهم أخرجوني من أحب البلاد الي فاسكني أحب البلاد اليك والمعنى واحد واليه وإلى ماروي عن الزهري اللهم انك أخرجتني من أحب البلاد الي فاسكني أحب البلاد اليك استند من قال بتفضيل المدينة على مكة قال لأن الله تعالى أجاب دعاءه فأسكنه المدينة قيل وعليه جمهور العلماء ومنهم الامام مالك رضي الله عنه وإلى الأحاديث الأول واستند من قال بتفضيل مكة على المدينة وهم الجمهور منهم إمامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه واستندوا في ذلك إلى أنه صلى الله عليه وسلم قال في حجة الوداع أي بلد تعلمونه أعظم حرمة قالوا لانعلم الا بلدنا هذه يعنون مكة وهذا اجماع من الصحابة أقرهم عليه ﷺ أنها أي مكة أفضل من سائر البلاد لأن ما كان أعظم حرمة فهو أفضل وقد قال صلى الله عليه وسلم المقام بمكة سعادة والخروج منها شقاوة وقال صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت عنه جهنم مسيرة مائة عام قال ابن عبد البر واني لأعجب ممن ترك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله والله اني لأعلم أنك خير أرض وأحبها إلى الله ولولا أن أهلك أخرجوني منك ماخرجت وهذا حديث صحيح ويميل الى تأويل لايجامع ماتأوله عليه أي ولأن الحسنة فيها بمائة ألف حسنة فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حج ماشيا كتبت له بكل خطوة سبعمائة حسنة من حسنات الحرم قيل وماحسنات الحرم الحسنة قال فيه بمائة ألف حسنة والكلام في غير ماضم أعضاءه الشريفة صلى الله عليه وسلم من أرض المدينة والا فذاك أفضل بقاع الأرض بالاجماع بل حتى من العرش والكرسي على أن صاحب عوارف المعارف ذكر أن الطوفان موج تلك التربة المكرمة عن محل الكعبة حتى ارساها بالمدينة فهي من جملة أرض مكة وحينئذ لايحسن الاستناد في تفضيل المدينة على مكة بقول أبي بكر رضي الله تعالى عنه إنهم لما اختلفوا في أي محل يدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقبضه الله الا في أحب البقاع اليه ليدفن فيه كما سيأتي والله أعلم * وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت بينا نحن جلوس يوما في بيت أبي بكر الصديق في نحر الظهيرة أي وسطها وهو وقت الزوال قال قائل لأبي بكر أي وهذا القائل هي أسماء بنت أبي بكر وفي كلام بعض الحفاظ يحتمل أن يفسر بعامر بن فهيرة أي مولى أبي بكر قالت اسماء قلت يا أبت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا أي متطيلسا في ساعة لم يكن يأتينا فيها أي فعن عائشة رضي الله تعالى عنها لم يمر علينا يوم أي قبل الهجرة لا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفي النهار بكرة وعشيا وفي لفظ كان لايخطىء أن يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت أبي بكر أحد طرفي النهار اما بكرة واما عشيا أي ويحتاج إلى

الله عنه فضربه فقطع رجله ووقع على الأرض وبدت عورته فقال يا ابن عم أنشدك الله والرحم فرجع عنه ولم يجهز عليه فقال له بعض أصحابه أفلا أجهزت عليه فقال انه استقبلني بعورته فعطفني عليه السؤال بالرحم وعرفت ان الله قد قتله وفي رواية قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منعك ان تجهز عليه فقال ناشدني الله والرحم فقال أقتله فرجع اليه فقتله فأخذ لواء المشركين أخو طلحة وهو عثمان بن أبي طلحة وعثمان هذا هو أبو شيبة الذي تنسب اليه الشيبيون  فيقال لهم بنو شيبة فحمل عليه حمزة رضي الله عنه فقطع يده وكتفه حتى انتهى الى مؤتزره فرجع حمزة رضي الله عنه وهو يقول أنا ابن ساقي الحجيج يعني عبد المطلب فأخذه أخو عثمان وأخو طلحة وهو أبو سعيد بن أبي طلحة فرماه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فأصاب حجزته فقتله فحمله مسافع ابن طلحة بن أبي طلحة فرماه عاصم بن ثابت بن أبي الافلح فقتله ثم حمله أخو مسافع وهو الحرث ابن طلحة فرماه عاصم أيضا فقتله وكانت أمهما معهما واسمها سلافة فكان كل واحد منهما بعد ان رماه عاصم يأتي أمه ويضع رأسه في حجرها فتقول له يا بني من أصابك فيقول سمعت رجلا حين رمى يقول خذها وأنا ابن أبي الافلح فنذرت ان أمكنها الله من رأس عاصم ان تشرب الخمر فيه وجعلت لمن جاء برأس عاصم مائة من الابل فحمل اللواء أخو مسافع وأخو الحرث وهو كلاب بن طلحة فقتله الزبير رضي الله عنه فحمله أخوهم وهو جلاس بن طلحة فقتله طلحة بن عبيد الله فكل من مسافع والحرث وكلاب وجلاس الأربعة أولاد طلحة بن أبي طلحة وكلهم قتلوا كأبيهم وعميهم وهما عثمان وأبو سعيد وعند ذلك حمله أرطاة بن شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي وهو ابن عم مصعب بن عمير بن هاشم فقتله علي رضي الله عنه وقيل حمزة رضي الله عنه ثم حمله أبو زيد بن عمرو بن عبد مناف بن هاشم بن عبد الدار

الجمع بين هاتين الروايتين على تقدير صحة الثانية والا فالأولى في البخاري وتفسير التقنع بالتطيلس ذكره الحافظ ابن حجر حيث قال قوله متقنعا أي متطيلسا وهو أصل في لبس الطيلسان هذا كلامه واعترضه ابن القيم حيث قال لم ينقل عنه صلى الله عليه وسلم انه لبس الطيلسان ولا أحد من أصحابه وحينئذ لا يكون القناع هنا هو الطيلسان بل التقنع تغطية الرأس وأكثر الوجه بالرداء من غير ان يجعل منه شيء تحت رقبته الذي يقال له التحنيك وحمل قول ابن القيم المذكور على الطيلسان المقور التي تلبسها اليهود قال بعضهم وهذا الطيلسان المقور هو المعروف بالطرحة وقد اتخذت خلفاء بني العباس الطرحة السوداء على العمامة عند الخطبة واستمر ذلك شعار الخلفاء فالحاصل ان ما يغطى به الرأس مع أكثر الوجه ان كان معه تحنيك أي إدارة على العنق قيل له طيلسان وربما قيل له رداء مجازا وان لم يكن معه تحنيك قيل له رداء أو قناع وربما قيل له مجازا طيلسان وهو ما كان شعارا في القديم لقاضي القضاة الشافعي خاصة قال بعضهم بل صار شعارا للعلماء ومن ثم صار لبسه يتوقف على الاجازة من المشايخ كالافتاء والتدريس وكان الشيخ يكتب في اجازته وقد أذنت له في لبس الطيلسان لأنه شهادة بالأهلية وما يجعل على الاكتاف دون الراس يقال له رداء فقط وربما قيل له طيلسان ايضا مجازا وصح عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه وله حكم المرفوع التقنع من اخلاق الأنبياء وقد ذكر بعضهم ان الطيلسان الخلوة الصغرى وفي حديث لا يتقنع الا من استكمل الحكمة في قوله وفعله وكان ذلك من عادة فرسان العرب في المواسم والجموع كالأسواق وأول من لبس الطيلسان بالمدينة جبير بن مطعم رضي الله تعالى عنه وعن الكفاية لابن الرفعة ان ترك الطيلسان للفقيه مخل بالمروءة أي وهو بحسب ما كان في زمنه رحمه الله وفي الترمذي لم تكن عادته صلى الله عليه وسلم التقنع إنما كان يفعله لحر أو برد وتعقب بان في حديث أنس انه صلى الله عليه وسلم كان يكثر التقنع وفي طبقات ابن سعد مرسلا أنه ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا ثوب لا يؤدى شكره أي لأن فيه غض البصر ومن ثم قيل انه الخلوة الصغرى كما تقدم ولما قيل لأبي بكر رضي الله تعالى عنه ذلك أي هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا قال أبو بكر فدا له أبي وأمي والله ما جاء به في هذه الساعة الا أمر قال فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن فأذن له فدخل أي وتنحى أبو بكر عن سريره وجلس عليه رسول الله ﷺ فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر رضي الله تعالى عنه أخرج من عندك قال أبو بكر انما هي أهلك أي لأنه صلى الله عليه وسلم كان عقد على عائشة رضي الله تعالى عنها كما تقدم فأمها من جملة أهله وأختها كذلك وقيل هو على حد قول الشخص لآخر أهلي أهلك وفي رواية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرج من عندك فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه لا عين عليك انما هما ابنتاي أي وسكت عن أمهما سترا قال فانه قد أذن لي في الخروج فقال أبو بكر الصحبة يا رسول الله بأبي أنت وأمي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم أي فبكى أبو بكر سرورا قالت عائشة رضي الله تعالى عنها فرأيت أبا بكر يبكي وما كنت أحسب ان أحدا يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر ولله در القائل

فقتله قزمان فحمله ولد لشرحبيل بن هاشم فقتله قزمان أيضا ثم حمله صواب غلامهم وكان عبدا حبشيا فقتله على وقيل سعد بن أبى وقاص رضى الله عنهما ثم لم يزل اللواء طريحا حتى أخذته عمرة بنت علقمة الحارثية ولا يعرف لها اسلام فرفعته لقريش فلاثوا به أى استداروا حوله وقد كان أبو سفيان قبل القتال قال لأصحاب اللواء أى لواء المشركين من بنى عبد الدار يحرضهم على القتال يابنى عبد الدار انكم قد تركتم لواءنا يوم بدر (٣٤) فأصابنا ماقد رأيتم وانما يؤتى الناس من قبل راياتهم إذا زالت زالوا فاما أن تكفونا لواءنا واما ان تخلوا بيننا وبينه فنكفيكموه فهموا به وتواعدوه وقالوا نحن نسلم اليك لواءنا ستعلم غدا إذا التقينا كيف نصنع وذاك الذى أراد أبو سفيان ولما صرع صاحب لواء المشركين الذى هو طلحة بن أبى طلحة استبشر النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه أى لأنه كبش الكتيبة أى الجيش أى حاميهم الذى رأى صلى الله عليه وسلم انه مردفه فى رؤياه المتقدمة ثم قال أولت ذلك انى أقتل صاحب الكتيبة فهذا كبش الكتيبة وعند وجود ماذكر من قتل أصحاب اللواء صاروا كتائب متفرقة فجاس المسلمون فيهم ضربا حتى أجهضوه وأزالوهم عن أمكنتهم وكان شعار المسلمين يومئذ أمت أمت وهو أمر بالموت والمراد التفاؤل بالنصر وجعلوا هذه الكلمة يتعارفون بها مع حصول التفاؤل بها وشعار الكفار ياللعزى وهى شجرة كانوا يعبدونها ياهبل وهو صنم كان داخل الكعبة ابن وقيل خارجها بجانب الباب وخرج عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنهما فانه أسلم بعد ذلك فقال من يبارز فنهض اليه أبو بكر رضى الله عنه شاهرا سيفه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم شم سيفك وارجع الى مكانك ومتعنا بنفسك وتقدم طلب عبد الرحمن المبارزة أيضا يوم بدر وقد وقع للصديق رضى الله عنه ان العرب لما ارتدت بعد موته صلى الله عليه وسلم خرج مع الجيش لقتال أهل

ورد الكتاب من الحبيب بأنه * سيزورنى فاستعبرت أجفانى
غلب السرور على حتى أننى * من فرط ما قد سرنى أبكانى
ياعين صار الدمع عندك عادة * تبكين من فرح ومن أحزان

أى ومنه أقر الله عينه لمن يدعى له وهو قرة عين لمن يفرح به واسخن عينه لمن يدعى عليه وهو سخنة العين لما يحزن به لأن دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة وقد روى ان نبيا من الأنبياء اجتاز بحجر يخرج منه الماء فسأل ربه عن ذلك فانطق الله تعالى الحجر فقال منذ سمعت ان لله تعالى نارا وقودها الناس والحجارة وأنا أبكى هذا الدمع خوفا من تلك النار فاشفع لى عند ربك فشفع له فشفع فيه وبشره بذلك ثم مر به بعد مدة فاذا الماء يخرج منه فقال ألم أبشرك ان الله أنجاك من النار فما هذا فقال يانبى الله ذاك بكاء الخوف والخشية وهذا بكاء الفرح والسرور ومن ثم لما قال صلى الله عليه وسلم لأبى ابن كعب ان الله أمرنى ان اقرأ عليك سورة كذا أى لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب بكى من الفرح وقال أو ذكرت هناك أى ذكرنى الله عز وجل وفى لفظ وسمانى قال نعم * وفى سفر السعادة قال العلماء البكاء على عشرة أنواع بكاء فرح وبكاء حزن لما فات وبكاء رحمة وبكاء خوف لما يحصل وبكاء كذب كبكاء النائحة فانها تبكى بشجو غيرها وبكاء موافقة بأن يرى جماعة يبكون فيبكى مع عدم علمه بالسبب وبكاء المحبة والشوق وبكاء الجزع من حصول ألم لا يحتمله وبكاء الخور والضعف وبكاء النفاق وهو أن تدمع العين والقلب قاس والبكى بالقصر دمع العين من غير صوت والممدود ما كان معه صوت وأما التباكى فهو تكلف البكاء وهو نوعان محمود ومذموم فالأول مايكون لاستجلاب رقة القلب وهو المراد بقول سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه لما رأى المصطفى صلى الله عليه وسلم وأبا بكر يبكيان فى شأن أسارى بدر أخبرنى ما يبكيك يارسول الله فان وجدت بكاء بكيت والا تباكيت ومن ثم لم ينكر عليه صلى الله عليه وسلم ذلك والثانى مايكون لأجل الرياء والسمعة قال أبو بكر فخذ بأبى أنت وأمى يارسول الله احدى راحلتى هاتين فانى أعددتهما للخروج قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل بالثمن أى لتكون هجرته صلى الله عليه وسلم الى الله تعالى بنفسه وماله أى والا فقد أنفق أبو بكر رضى الله تعالى عنه أكثر ماله عليه صلى الله عليه وسلم أى فعن عائشة رضى الله تعالى عنها أنفق أبو بكر على النبى صلى الله عليه وسلم أربعين ألف درهم وفى لفظ دينار ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم ليس من أحد أمن على فى أهل ومال من أبى بكر وفى رواية ما أحد أمن على فى صحبته وذات يده من أبى بكر وما نفعنى مال ما نفعنى مال أبى بكر فبكى أبو بكر وقال هل أنا ومالى إلا لك يارسول الله وفى رواية مالاحد عندنا يد إلا وقد كافأناه ماخلا أبا بكر فان له عندنا يدا الله يكافئه بها يوم القيامة (أقول) ولا ينافى كونه صلى الله عليه وسلم أخذ احدى ناقتى أبى بكر بالثمن مارواه أبان بن أبى عياش أحد التابعين عن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر رضى الله تعالى عنه ما أطيب مالك منه بلال مؤذنى وناقتى التى هاجرت عليها وزوجتى ابنتك وواسيتنى بمالك كأنى أنظر اليك على باب الجنة تشفع لأمتى لأن أبان

الردة شاهرا سيفه فأخذ على كرم الله وجهه بزمام راحلته وقال إلى أين ياخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أقول لك كما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد شم سيفك ولا تفجعنا بنفسك وارجع إلى المدينة فوالله لئن فجعنا بك لا يكون للاسلام نظام أبدا فرجع وأمضى الجيش وعلى رضى الله عنه مع الجيش وفى أول الأمر يوم أحد حملت خيل المشركين على المسلمين ثلاثا والمسلمون ينضحوهم بالنبل فترجع متفرقة منهزمة وحمل المسلمون على المشركين فنهكوهم أى أضعفوهم قتلا ولما حميت الحرب قامت هند فى النسوة اللاتى معها وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويقلن ويها بنى عبد الدار الخ الأبيات المتقدمة ثم أنزل الله نصره على المسلمين فصاروا يحسون الكفار حسا أى يقتلونهم قتلا كما قال تعالى ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى كشفوهم وانهزموا فولى الكفار لا يلوون على شىء ونساؤهم يدعون بالويل قال الزبير والله لقد رأيتنى أنظر الى خدم هند بنت عتبة أى مافى ساقها من الحلى هى وصواحبها مشمرات هوارب وتبعهم المسلمون حتى أجهضوهم ووقعوا ينتهبون المعسكر ويأخذون مافيه من الغنائم واشتغلوا عند الحرب فقال أصحاب عبد الله بن جبير وهم الرماة الذين أمرهم النبى صلى الله عليه وسلم بالبقاء بمكانهم الغنيمة أى قوم قد غلب أصحابكم فما تنتظرون فقال لهم عبد الله بن جبير أنسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى قوله لا تبرحوا فأبوا أن يطيعوه وقالوا والله لنأتين الناس ولنصيبن من الغنيمة فان المشركين قد انهزموا فما مقامنا ههنا فلما أتوهم متوجهين إلى محل الغنيمة كر المشركون راجعين فرجعوا منهزمين عقوبة لهم لمخالفتهم قوله صلى الله عليه وسلم ونظر خالد بن الوليد الى خلاء الجبل الذي كان فيه الرماة وقلة أهله فكر بالخيل وتبعه عكرمة بن أبى جهل فحملوا على من بقى من الرماة وهم دون العشرة فقتلوهم وقتلوا أميرهم عبد الله بن جبير رضى

---

ابن أبى عياش معدود من الضعفاء وقد قال شعبة لأن اشرب من بول حمار حتى اروى أحب إلى من ان اقول حدثنا عن ابان بن أبى عياش وقال فيه مرة أخرى لأن يزنى الرجل خير من أن يروى عن ابان وقد طلب من شعبة أن يكف عن ابان هذا فقال الأمر دين وهذا يكذب على رسول الله ﷺ وقد بين ابن حبان عذر أبان بأنه كان يروى عن أنس وابان مجالس الحسن البصرى فكان يسمع كلامه فاذا حدث ربما جعل كلام الحسن عن أنس مرفوعا وهو لا يعلم وهو على تقدير صحة ماقاله لا منافاة أيضا لأنها كانت من مال أبى بكر قبل أن يأخذها ﷺ بثمنها على أن فى الترمذى مايوافق مارواه ابان ففيه عن على رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أبا بكر زوجنى ابنته وحملنى الى دار الهجرة وصحبنى فى الغار وأعتق بلالا من ماله قال وهذا حديث غريب والله أعلم وكان الثمن عن تلك الناقة التى هى القصواء وقد عاشت بعده صلى الله عليه وسلم وماتت فى خلافة أبى بكر رضى الله تعالى عنه أو الجدعاء أربعمائة درهم أى لما علمت أن الناقتين اشتراهما أبو بكر بثمانمائة درهم وأما ناقته صلى الله عليه وسلم العضباء فقد جاءان بنته فاطمة رضى الله تعالى عنها تحشر عليها قالت عائشة رضى الله تعالى عنها فجهزناهما أحب الجهاز أى أسرعه والجهاز بكسر الجيم أفصح من فتحها مايحتاج اليها فى السفر ووضعنا لهما سفرة فى جراب أى زادا فى جراب لأن السفرة فى الأصل الزاد الذى يصنع للمسافر ثم استعمل فى وعاء الزاد وكان فى السفرة شاة مطبوخة فقطعت أسماء بنت أبى بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب أى وأبقت الاخرى أى نطاقها وهو يوافق مافى صحيح مسلم عن أسماء رضى الله تعالى عنها أنها قالت للحجاج بلغنى أنك تقول أى لولدها عبد الله بن الزبير تعيره بابن ذات النطاقين أما أنا والله ذات النطاقين أما أحدهما فكنت أرفع به طعام رسول الله ﷺ وطعام أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وأما الآخر فنطاق المرأة أى الذى لا تستغنى عنه أى عند اشتغالها لان النطاق ماتشد به المرأة وسطها لئلا تعثر فى ذيلها على ثوب يلقى على أسفله وقيل النطاق ازار فيه تكة ومن ثم جاء ذات النطاق أى وكلاهما صحيح لكن فى لفظ قطعت نطاقها قطعتين فأوكت بقطعة منه فم الجراب وشدت فم القربة بالباقى أى فلم يبق لها شىء منه () ويوافقه ما فى البخارى عن أسماء لم نجد لسفرة رسول الله صلى الله عليه وسلم أى لمحلها الذى هو الجراب ولا لسقائه اى الذى هو القربة مانربطهما به فقلت لأبى بكر لا والله ما أجد شيئا أربط به الا نطاقى قال فشقيه اثنين واربطى بواحد السقاء الذى هو القربة وبواحد السفرة ففعلت فلذلك سميت ذات النطاقين أى سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لها أبدلك الله بنطاقك هذا نطاقين فى الجنة وفيه أن الرواية الاولى التى عن عائشة والرواية الثانية التى عن أسماء رواها مسلم ولم يذكر السقاء وفى رواية البخارى ذكر السقاء وإسقاط الجراب لكن ذكر بعد الجراب السفرة وقد يقال المراد بربط السفرة ربط محلها الذى هو الجراب كما أشار اليه قال بعضهم وما تقدم عن مسلم ينبغى أن يكون أقرب الى الضبط لأن أسماء قالت فى آخر عمرها مخبرة عن نفسها أى ولم تربط الا الجراب بأحد شقي النطاق وأبقت لها الآخر وقد يقال الحصر

الله عنه ووقعت الهزيمة فى المسلمين قال الحافظ ابن حجر وفيه شؤم ارتكاب النهى وأنه يعم ضرره من لم يقع منه كما قال تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ولذا قال تعالى ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين اذ تصعدون ولا تلوون (٣٦) على أحد والرسول يدعوكم فى اخراكم فأثابكم غما بغم أى أصابتكم الهزيمة التى أغمتكم

بسبب ادخالكم الغم على النبى صلى الله عليه وسلم فى مخالفة أمره ومع ذلك فقد أخبر الله فى كتابه بأنه عفا عنهم بقوله ولقد عفا عنكم وصرخ ابليس لعنه الله أى عباد الله يعنى المسلمين اخراكم أى احترزوا من جهة اخراكم وهى كلمة تقال لمن يخشى أن يؤتى عند القتال من ورائه فرجعت أولاهم فاقتتلت مع أخراهم واختلط العسكران فلم يتميزوا لشدة مادهشهم لكنه عليه الصلاة والسلام لم يفارق مكانه الذى وصل اليه وقت انهزام المشركين ولم تزل قدمه شبرا واحدا عن موقفه كما فى شرح الزرقانى وعند الاختلاط صاروا لا يعرفون المسلم من الكافر وترك المسلمون شعارهم الذى يتعارفون به وهو أمت أمت فوقع القتل فى المسلمين بعضهم فى بعض فكان ممن قتلوه خطأ اليمان والد حذيفة ابن اليمان رضى الله عنهما فقال ابنه غفر الله لكم وترك دينه وأحاط المشركون بالمسلمين وصاروا ينادون بشعارهم يا للعزى يا لهبل ووضعوا السيوف فى المسلمين وهم آمنون وتفرقت المسلمون من كل وجه وتركوا ما انتهبوا وقاتل حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه ذلك اليوم قتالا شديدا حتى بلغ الذين قتلهم أحدا وثلاثين رجلا كلهم من شجعانهم وكان رضى الله عنه يقاتل بسيفين بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول أنا اسد الله وخرج سباع بكسر السين وتخفيف الباء ابن عبد العزى الخزاعى فقال هل من

يشتد

ليس فى محله لمنافاته لرواية البخارى وحينئذ يجمع بأنه بجوازها لما شقت النطاق نصفين قطعت أحدهما قطعتين فشدت باحداها الجراب والأخرى السقاء فهى ذات النطاقين الذى أبقته والذى فعلت به ما ذكر (وفى السيرة الهشامية) أن أسماء بنت أبى بكر جاءت اليهما لما نزلا من الغار بسفرتهما ونسيت أن تجعل لها عصاما فدهشت لغلق السفرة فاذا ليس لها عصام فشقت نطاقها فجعلته عصاما فعلقتها به وانتطقت الآخر أى وهذا يدل على أن المراد بقول عائشة فجهزناهما أحب الجهاز أى عند خروجهما من الغار لا عند ذهابهما الى الغار كما قد يتبادر من السياق ثم على المتبادر جرى ابن الجوزى حيث قال أسماء بنت أبى بكر أسلمت بمكة قديما وبايعت وشقت نطاقها ليلة خروج رسول الله ﷺ الى الغار فجعلت واحدا لسفرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والآخر عصاما لقربته فسميت ذات النطاقين هذا كلامه وقد قال لا مانع من تعدد ذلك وكون النطاق ما تشد به المرأة وسطها لئلا تعثر فى ذيلها يخالفه قول بعضهم النطاق هو ثوب تلبسه المرأة ثم تشد وسطها بحبل ثم ترسل الأعلى على الاسفل وهذا يوافق القيل المتقدم ولعل له اطلاقين ويوافق الثانى ما قيل أول من فعله هاجر أم اسمعيل اتخذته لتخفى أثر مشيتها على سارة ولعله عند خروجها لما أمره الله عزوجل باخراجها مع ابراهيم فيذهب بها الى مكة قبل أن تركب مع ابراهيم على البراق ثم استأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رجلا من بنى الديل وهو عبد الله بن اريقط ويقال ابن ارقط أو أرقد اسم أمه فاريقط مصغرها ليدلهما على الطريق للمدينة وكان على دين قريش أى ثم أسلم بعد ذلك وقيل لم يعرف له اسلام وفى الروض ما وجدنا من طريق صحيح أنه أسلم بعد ذلك فدفعا اليه راحلتيهما وواعداه على جبل ثور بعد ثلاث ليال وقيل للجبل ذلك لأنه على صورة الثور الذى يحرث عليه وسياق النسائى يدل على أن استئجار عبد الله المذكور كان قبل التجهيز قالت عائشة رضى الله تعالى عنها ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار فى جبل ثور أى ليلا كما تقدم وعن ابن سعد لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيته إلى بيت أبى بكر رضى الله تعالى عنه فكان فيه الى الليل ثم خرج هو وأبو بكر فمضيا الى غار ثور فدخلاه أى وكان خروجهما من خوخة فى ظهر بيت أبى بكر فعن عائشة بنت قدامة رضى الله تعالى عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لقد خرجت من الخوخة متنكرا فكان أول من لقينى أبو جهل لعنه الله فأعمى الله بصره عنى وعن أبى بكر حتى مضينا وفى كلام سبط ابن الجوزى وعن وهب بن منبه أن رسول الله ﷺ انما خرج الى الغار من بيت أبى بكر فخرج من خوخة فى ظهر الدار والأصح انما كان خروجه من بيت نفسه وجعل أبو بكر رضى الله تعالى عنه يمشى مرة أمام النبى صلى الله عليه وسلم ومرة خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن شماله فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال يا رسول الله اذكر الرصد فأكون أمامك وأذكر الطلب فأكون خلفك ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك لا آمن عليك أقول فى الدر المنثور فمشى ﷺ ليلته على أطراف أصابعه لئلا يظهر أثر رجليه على الأرض حتى حفيت رجلاه فلما رآهما أبو بكر قد حفيتا حملهما على كاهله وجعل

مبارز فبرز له حمزة رضي الله عنه وقال هلم يا ابن مقطعة البظور أي لأن أمه أم أنمار مولاة شريق والد الاخنس كانت ختانة بمكة ثم قال له حمزة رضى الله عنه أتحاد الله ورسوله أى تحاربهما وتعاندهما ثم شد عليه حمزة رضى الله عنه فضربه ضربة قتله بها فكان كأمس الذاهب وكان ذلك آخر قتيل قتله حمزة رضى الله عنه وأكب حمزة عليه ليأخذ درعه قال وحشى غلام جبير بن مطعم انى لانظر الى حمزة يهد الناس بسيفه وقد عثر حمزة رضى الله عنه فانكشف الدرع عن بطنه فهززت حربتى حتى إذا رضيت منها دفعتها اليه فوقعت فى ثنته بالمثلثة وهو موضع تحت السرة وفوق العانة فاقبل نحوى ثم وقع فامهلته حتى مات فجئته فاخذت حربتى ثم تنحيت إلى العسكر ولم يكن لى فى شىء حاجة غيره لما تقدم ان حمزة رضى الله عنه قتل طعيمة بن عدى يوم بدر فقالت ابنة طعيمة لوحشى ان قتلت محمدا أو حمزة أو عليا فى أبى فانت عتيق وفى رواية قال لى مولاى جبير بن مطعم ان قتلت حمزة بعمى فانت حر ولا مخالفة لاحتمال ان كلا من ابنة طعيمة وجبير قالا له ذلك وجاء فى بعض الروايات عن وحشى رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك قال وخرجت ما أريد أن أقتل ولا أقاتل الا حمزة وكان وحشى يقذف بالحربة قذف الحبشة قلما يخطىء ثم أسلم بعد ذلك وقتل بتلك الحربة مسيلمة الكذاب وكان يقول أرجو أن هذه تكفر تلك وهذا لا ينافى ماورد ان الذى قتل مسيلمة عبد الله بن زيد بن عاصم الانصارى أو أبو دجانة رضى الله عنهم لاحتمال أن يكون وحشى ضربه بحربته وهما أجهزا عليه فيكونوا مشتركين فى قتله لعنه الله وكان عمر مسيلمة حين قتل مائة وخمسين سنة وكان مصعب بن عمير رضى الله عنه يقاتل يوم أحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان حامل اللواء فقاتل قتالا شديدا حتى قتل فاخذ اللواء ملك فى صورته وفى رواية لما قتل أعطى النبي صلى الله عليه وسلم الراية عليا رضى الله عنه فلعل الملك حمل اللواء عنه قبل ظهور موته لهم وشيوعه فيهم فلما ظهر

---

يشتد به حتى أتى على فم الغار فانزله وفى لفظ لم يصب رسول الله صلى الله عليه وسلم الغار حتى قطرت قدماه دما وفى كلام السهيلى عن أبى بكر رضى الله تعالى عنه انه قال نظرت الى قدمى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار وقد تقطرتا دما قال بعضهم ويشبه أن يكون ذلك من خشونة الجبل والا فبعد المكان لا يحتمل ذلك أو لعلهم ضلوا طريق الغار حتى بعدت المسافة ويدل عليه قوله فمشى ليلته رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى لفظ فانتهينا إلى الغار مع الصبح ولا يحتمل ذلك مشى ليلته الا بتقدير ذلك أو انه صلى الله عليه وسلم كما قيل ذهب الى جبل حنين فناداه اهبط عنى فانى أخاف ان تقتل على ظهرى فاعذب فناداه جبل ثور الى يارسول الله وساق فى الأصل رواية تقتضى انه ذهب إلى غار ثور راكبا ناقته الجدعاء ثم رأيته فى النور أشار الى أن ركوبه صلى الله عليه وسلم الجدعاء إنما كان بعد خروجه من الغار لأنه ركبها من منزل أبى بكر إلى الغار كما هو ظاهر الرواية وفى الخصائص الكبرى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لما تشاور المشركون فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأطلع الله نبيه على ذلك نخرج تلك الليلة حتى أتى الغار فلما أصبحوا اقتفوا أثره صلى الله عليه وسلم فلما بلغوا الجبل الحديث أى وهو مخالف لما تقدم من أن خروجه صلى الله عليه وسلم الى الغار وكان فى الليلة الثانية لا فى ليلة خروجه على قريش وقد يقال لا منافاة لأن قوله حتى لحق بالغار غاية المطلق الخروج من بيته لا فى خصوص تلك الليلة أى خرج من بيته واستمر على خروجه حتى لحق بالغار وذلك فى الليلة الثانية لكن تقدم أنه صلى الله عليه وسلم جاء الى بيت أبى بكر متقنعا فى وقت الظهيرة فليتأمل وأعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا بخروجه إلى الهجرة وأمره أن يتخلف بعده حتى يؤدى عنه الودائع التى كانت عند رسول الله ﷺ للناس لأنه لم يكن بمكة أحد عنده شىء يخشى عليه الا وضعه عنده صلى الله عليه وسلم لما يعلمون من أمانته أى ولعل اعلام على بذلك كان عند توجهه صلى الله عليه وسلم الى بيت أبى بكر لانه لم يثبت انه صلى الله عليه وسلم اجتمع بعلى رضى الله تعالى عنه بعد ذلك الا فى المدينة لكن سيأتى عن الدرما يقتضى انه اجتمع به عند خروجه من الغار وفى الفصول المهمة انه صلى الله عليه وسلم وصى عليا رضى الله تعالى عنه بحفظ ذمته وأداء أمانته ظاهرا على أعين النـاس وأمره أن يبتاع رواحل للفواطم فاطمة بنت النبى صلى الله عليه وسلم وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب ولمن هاجر معه من بنى هاشم ومن ضعفاء المؤمنين وشراء على رضى الله عنه الرواحل مخالف لما يأتى فى الأصل انه صلى الله عليه وسلم أرسل الى على حلة وأرسل يقول تشقها خمرا بين الفواطم وهى فاطمة ابنة حمزة وفاطمة بنت عتبة وفاطمة أم على وفاطمة بنته صلى الله عليه وسلم وارساله لتلك الحلة كان بعد وصوله إلى المدينة فليتأمل قال فى الفصول المهمة وقال له أى لعلى إذا أبرمت ما أمرتك به كن على أهبة الهجرة الى الله ورسوله وبقدوم كتابى عليك وإذا جاء أبو بكر توجهه خلفى نحو بئر أم ميمون وكان ذلك فى فحمة العشاء والرصد من قريش قد أحاطوا بالدار ينتظرون أن تنتصف الليلة وتنام الناس ودخل ابو بكر على على وهو يظنه أى وأبو بكر يظن عليا رسول الله صلى الله عليه وسلم

وشاع اعطي النبي صلى الله عليه وسلم الراية لعلي رضي الله عنه وكان الذي قتله عبد الله بن قمئة بكسر الميم لعنه الله وهو يظنه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن مصعبا رضي الله عنه كان إذا لبس لامته يشبه النبي صلى الله عليه وسلم فصاح ابن قمئة لظنه الخائب ان محمدا قد قتل روى ابن سعد أن مصعبا رضي الله عنه حمل اللواء يوم أحد فقطعت يده اليمنى فاخذه بيده اليسرى وهو يقول وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية ثم قطعت يده اليسرى فحنى على اللواء أي أكب عليه وضمه بعضديه إلى صدره وهو يقول وما محمد الا رسول الآية قال محمد بن شرحبيل وما نزلت هذه الآية يومئذ بل أنطقه الله بها لما سمع قول القائل قد قتل محمد وقيل ان الصارخ الذي قال قتل محمد ليس هو ابن قمئه بل ابليس لعنه الله وانه تصور في صورة جعال بن سراقة الضمري وكان رجلا صالحا ممن أسلم قديما ورجع المسلمون يقتل بعضهم بعضا وهم لا يشعرون واستمروا الى قرب المدينة وتفرق سائرهم ووقع فيهم القتل قال الحافظ ابن حجر انهم صاروا ثلاث فرق فرقة استمروا في الهزيمة إلى قرب المدينة فما رجعوا حتى انفض القتال وهم قليل وهم الذين نزل فيهم إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم وفرقة صاروا حيارى لما سمعوا ان النبي صلى الله عليه وسلم قد قتل فصارت غاية الواحد منهم أن يذب عن نفسه أو يستمر على بصيرته في القتال الى أن يقتل وهم أكثر الصحابة
حتى
وفرقة ثبتت مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم تراجعت اليه الفرقة الثانية شيئا فشيئا لما عرفوا أنه صلى الله عليه وسلم حي ووثب بعض الصحابة على جعال بن سراقة ليقتلوه فتبرأ من ذلك القول الذي نطق به الشيطان وهو على صورته وشهد خوات بن جبير وأبو بردة بان جعالا كان عندهما وبجنبهما حين صرخ ذلك الصارخ قال موسى بن عقبة لما غاب النبي صلى الله عليه وسلم عن أعين بعض

فقال له علي ان رسول الله ﷺ خرج نحو بئر أم ميمون وهو يقول لك أدركني فلحقه أبو بكر ومضيا جميعا يتسايران حتى أتيا جبل ثور فدخلا الغار فليتأمل الجمع بينه وبين ما تقدم ولما انتهيا الى فم الغار قال أبو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم والذي بعثك بالحق لا تدخل حتى أدخله قبلك فان كان فيه شيء نزل بي قبلك فدخل رضي الله تعالى عنه فجعل يلتمس بيده كلما رأى جحرا قال بثوبه فشقه ثم ألقمه الجحر حتى فعل ذلك بجميع ثوبه فبقي جحر وكان فيه حية فوضع عقبه عليه ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ان الحية التي في الجحر لما أحست بعقب سيدنا أبي بكر جعلت تلسعه وصارت دموعه تنحدر قال ابن كثير وفي هذا السياق غرابة ونكارة أي وقد كان صلى الله عليه وسلم وضع رأسه في حجر أبي بكر رضي الله تعالى عنه ونام فسقطت دموع أبي بكر رضي الله تعالى عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مالك يا أبا بكر قال لدغت بالدال المهملة والغين المعجمة فداك أبي وأمي فتفل رسول الله صلى الله عليه وسلم على محل اللدغة فذهب ما يجده قال بعضهم وقاه بعقبه فبورك في عقبه قال بعضهم والسر في اتخاذ رافضة العجم اللباد المقصص على رؤسهم تعظيما للحية التي لدغت أبا بكر في الغار أي لانهم يزعمون ان ذلك على صورة تلك الحية ولما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر أين ثوبك فاخبره الخبر زاد في رواية وانه رأى على أبي بكر أثر الورم فسأل عنه فقال من لدغة الحية فقال صلى الله عليه وسلم هلا أخبرتني قال كرهت أن أوقظك فمسحه النبي صلى الله عليه وسلم فذهب ما به من الورم والألم أي ويحتاج إلى الجمع بين هاتين الروايتين على تقدير صحتهما وحين أخبره أبو بكر بذلك رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه وقال اللهم اجعل أبا بكر معي في درجتي في الجنة فأوحى الله تعالى إليه قد استجاب الله لك وروى أنه لما صار يسد كل جحر وجده أصاب يده ما أدماها فصار يمسح الدم عن أصبعه وهو يقول

هل أنت الا أصبع دميت * وفي سبيل الله مالقيت

وسيأتي ان هذا البيت من كلام ابن رواحة وقيل من كلامه صلى الله عليه وسلم وانه يجوز أن يكون ابن رواحة ضم ذلك البيت لأبياته ومما قد يؤيد أن ذلك من كلامه صلى الله عليه وسلم ما ذكره سبط ابن الجوزي ان أبا بكر لما لحقه صلى الله عليه وسلم في أثناء الطريق ظنه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكفار فاسرع في المشي فانقطع قبال نعله ففلق ابهامه حجر فسال الدم فرفع أبو بكر صوته ليعرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرفه ومما يصرح بذلك ما رأيت عن جندب البجلي قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في غار كذا فدميت أصبعه فذكر البيت المذكور وأراد بالغار غارا من الغيران لا هذا الغار كما توهم وجاء في الصحيحين عن جندب بن عبد الله بينا نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أصابه حجر فدميت أصبعه فقال هل أنت الا أصبع دميت البيت أي ولما دخل رسول الله ﷺ وأبو بكر الغار وأمر الله تعالى شجرة أي وهي التي يقال لها العشار وقيل أم غيلان فنبتت في وجه الغار فسترته بفروعها أي ويقال انه صلى الله عليه وسلم دعا تلك الشجرة وكانت أمام الغار فاقبلت

القوم واختلط بعضهم ببعض وسمعوا الصارخ قال رجال من المنافقين لو كان لنا من الامر شيء ماقتلنا ههنا وقال بعض منهم لو كان
نبيا ماقتل فارجعوا إلى دينكم الأول وفى ذلك أنزل الله وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على
أعقابكم الآيات وقال رجل منهم لم يعرف اسمه ليت لنا رسولا إلى عبدالله بن أبى ليستأمن لنا من أبى سفيان ياقوم ان محمدا قد قتل
فارجعوا إلى قومكم ليؤمنوكم قبل أن يأتيكم الكفار فيقتلوكم فانهم يدخلون البيوت (٣٩) فقال أنس بن النضر عم أنس
ابن مالك رضى الله عنهما ياقوم ان كان محمد قتل فان رب محمد لم يقتل فقاتلوا على ماقاتل عليه وشهد له بهذه المقالة عند النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ رضى الله عنه ووافق أنس ابن النضر جماعة كثيرون على هذه المقالة وهم المؤمنون أهل الصدق واليقين الذين تمكن الايمان فى قلوبهم وروى ابن اسحق أن أنس بن النضر عم أنس بن مالك رضى الله عنهما جاء إلى عمر بن الخطاب وطلحة ابن عبيدالله فى رجال من المهاجرين والانصار رضى الله عنهم فقال ان كان قتل فما تصنعون بالحياة بعده قوموا فموتوا على مامات عليه ثم استقبل العدو فقاتل حتى قتل رضى الله عنه قال أنس ولقد وجدنا بأنس ابن النضر يومئذ سبعين ضربة فما عرفه الا أخته عرفته ببنانه وفى البخارى
عن أنس رضى الله عنه قال غاب عمى أنس بن النضر عن قتال بدر فقال يارسول الله غبت عن أول قتال قاتلته المشركين لئن أشهدنى
الله قتال المشركين ليرين الله ما أصنع فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال اللهم إنى أعتذر اليك مما صنع هؤلاء يعنى أصحابه
وأبرأ اليك مما صنع هؤلاء يعنى المشركين ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال ياسعد الجنة ورب النضر إنى أجد ريحها دون أحد قال
سعد فما أستطيع أن أصف ماصنع قال أنس فوجدنا به بضعا وثمانين مابين ضربة بالسيف وطعنة بالرمح ورمية بالسهم ووجدناه

---

حتى وقفت على باب الغار وانها كانت مثل قامة الانسان و بعث الله العنكبوت فنسجت مابين فروعها
أى نسجا مترا كما بعضه على بعض أى كنسج أربع سنين كما قال بعضهم وقد نسج العنكبوت أيضا
على عبدالله بن أنيس رضى الله تعالى عنه لما قتل سفيان بن خالد وقطع رأسه وأخذها ودخل فى غار
فى الجبل وكمن فيه حتى انقطع عنه الطلب كما يأتى ونسج على نبى الله داود لما طلبه طالوت ونسج
أيضا على عورة سيدنا زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم وهو أخو الامام
محمد الباقر وعم الامام جعفر الصادق وهو الذى ينسب اليه الزيدية كان اماما مجتهدا وكان ممن أخذ عن
واصل بن عطاء الآخذ عن الحسن البصرى ولما أثبت ابن عطاء المنزلة بين المنزلتين أمره الحسن
البصرى باعتزال مجلسه فقيل له معتزلى وصار يقال لأصحابه معتزلة ولا يلزم من كون شيخ سيدنا زيد
معتزليا ان يسلك زيد مسلكه وصلب سيدنا زيد عريانا وأقام مصلوبا أربع سنين وقيل خمس سنين
فلم تر عورته وقيل ان بطنه الشريف ارتخى على عورته فغطاها ولا مانع من وجود الأمرين وكان عند
صلبه وجهوه إلى غير القبلة فدارت خشبته التى صلب عليها إلى ان صار وجهه إلى القبلة أى وقد وقع
لخبيب نحو ذلك كما يأتى ثم أحرقوا خشبة زيد وجسده وذرى رماده فى الرياح على شاطىء الفرات
فانه خرج على هشام بن عبدالملك وقد سمت نفسه للخلافة فحاربه يوسف بن عمر الثقفى أمير العراقين
من قبل هشام بن عبدالملك فانهزم أصحاب زيد عنه بعد أن خذله وانصرف عنه أكثرهم فقد بايعه
ناس كثير من أهل الكوفة وطلبوا منه أن يتبرأ من الشيخين أبو بكر وعمر لينصروه فقال كلا بل
أتولاهما فقالوا اذن نرفضك فقال اذهبوا فانتم الرافضة فسموا بذلك من حينئذ رافضة وجاءت
اليه طائفة وقالوا نحن نتولاهما ونبرأ ممن يبرأ منهما وقاتلوا معه فسموا الزيدية (أقول) والعجب
ممن يتمذهب بمذهب سيدنا زيد و يتبرأ من الشيخين ويكرههما و يكره من يذكرهما بخير بل ربما
سبهما وعند مقاتلته أصابته جراحات وأصابه سهم فى جبهته وحال الليل بين الفريقين فطلبوا حجاما
من بعض القرى لينزع له النصل فاستخرجه فمات من ساعته فدفنوه من ساعته وأخفوا قبره وأجروا
عليه الماء واستكتموا الحجام ذلك فلما أصبح الحجام مشى إلى يوسف بن عمر متنصحا وأخبره ودله
على موضع قبره فاستخرجه و بعث برأسه إلى هشام فكتب اليه هشام ان اصلبه عريانا فصلبه كذلك
و يقال ان هشام بن عبدالملك قال يوما لزيد بلغنى أنك تريد الخلافة ولا تصلح لك لانك ابن أمة فقال
قد كان اسمعيل ابن أمة واسحق ابن حرة فاخرج الله من صلب اسمعيل خير ولد آدم فقال له هشام قم
قال اذن لاترانى إلا حيث تكره ومن شعره

لا تطمعوا أن تهينونا ونكرمكم * وان نكف الأذى عنكم وتؤذونا

قيل ورأس زيد دفنت بمصر القديمة بمسجد يقال له مشهد زين العابدين بن الحسين وكذلك وقع فى
طبقات الشيخ الشعرانى نفعنا الله به وببركاته وليس كذلك بل هو محل زيد بن زين العابدين كما ذكره
المقريزى فى الخطط و يقال له زيد الازيادوذكر فى حياة الحيوان ان ماينسجه العنكبوت يخرج من

قد قتل وقد مثل به المشركون فما عرفه أحد الا أخته عرفته ببنانه وانس بن مالك لم يحضر يوم أحد وإنما سمع ذلك من سعد بن معاذ رضى الله عنه وممن قال مثل مقالة أنس بن النضر ثابت بن الدحداح رضى الله عنه فانه قال يامعشر الانصار ان كان محمد قد قتل فان الله حى لا يموت قاتلوا عن دينكم فان الله مظفركم وناصركم فنهض اليه نفر من الانصار فحمل بهم على كتيبة فيها خالد بن الوليد وعمرو ابن العاص وعكرمة بن أبى جهل



وضرار بن الخطاب فحمل عليه خالد بن الوليد بالرمح فقتله وقتل من كان معه من الانصار رضى الله عنهم وثبت النبى صلى الله عليه وسلم وقت رجوع المسلمين ولم يحصل منه فرار ولا انهزام ولا انصراف عن موقفه الذى وصل اليه حين انهزام المشركين باجماع المسلمين قال ابن سعد مازال صلى الله عليه وسلم يرمى عن قوسه حتى صارت شظايا ويرمى بالحجر وكان أقرب الناس الى القوم وجاء عن على رضى الله عنه وغيره كنا إذا اشتد البأس أى حمى القتال اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم أى فيجعلونه فى وجه القوم ويكونون خلفه صلى الله عليه وسلم وروى البيهقى عن المقداد بن الاسود رضى الله عنه فوالذى بعثه بالحق مازالت قدمه شبرا واحدا وانه لفى وجه العدو وتفىء اليه طائفة من أصحابه مرة وتفترق مرة فربما رأيته قائما يرمى عن قوسه ويرمى بالحجر حتى انحازوا عنه وروى أبو يعلى بسند حسن عن على رضى الله عنه قال لما انجلى الناس يوم أحد نظرت فى القتلى من فلم أر رسول الله ﷺ فقلت والله ما كان ليفر وما أراه فى القتلى ولكن أرى أن الله غضب علينا بما صنعنا فرفع نبيه صلى الله عليه وسلم فمالى خير من أن أقاتل حتى أقتل فكسرت غمد سيفى ثم حملت على القوم فافرجوا لى فاذا أنا برسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم يقاتلهم صلى الله عليه وسلم وروى الحاكم فى المستدرك بسند على شرط مسلم عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه

---

خارج جلدها الا من جوفها وعن على رضى الله تعالى عنه طهروا بيوتكم من نسج العنكبوت فان تركه فى البيوت يورث الفقر وأمر الله تعالى حمامتين وحشيتين فوقفتا بفم الغار أى وروى انهما باضتا أى وفرختا قال لابى بكر ضع قدمك موضع قدمى فان الرمل لا ينم وتقدم مافى ذلك أى لأن المشركين لما فقدوا رسول الله ﷺ شق عليهم ذلك وخافوا ذلك وطلبوه بمكة أعلاها وأسفلها وبعثوا القافة أى الذين يقصون الأثر فى كل وجه يقفون أثره فوجدوا الذى ذهب إلى جبل ثور أثره وقال ماتقدم وأقبل فتيان قريش من كل بطن بعصيهم وسيوفهم أى ولما اقبلوا أشفق ﷺ على صهيب وخاف عليه وقال واصهيباه ولا صهيب لى أى لانه تواعد معهما أن يكون ثالثهما فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج للغار أرسل له أبو بكر مرتين أو ثلاثا فوجده يصلى فقال يارسول الله وجدت صهيبا يصلى فكرهت أن أقطع عليه صلاته فقال أصبت وتقدمت الحوالة على هذا فلما كان فتيان قريش على أربعين ذراعا من الغار تعجل بعضهم ينظر فى الغار فلم ير إلا حمامتين وحشيتين أى مع العنكبوت فقال ليس فيه أحد فسمع النبى ﷺ ماقال فعرف أن الله عز وجل قد درأ عنه أى دفع عنه وفى رواية فلما انتهوا إلى فم الغار قال قائل منهم ادخلوا الغار فقال أمية بن خلف وما أربكم أى حاجتكم إلى الغار ان عليه لعنكبوتا كان قبل ميلاد محمد ﷺ أى ولو دخل الغار لانفتح ذلك العنكبوت وتكسر البيض وهذا يدل على أن البيض لم يكن فرخ أى ويحتمل أن بعض البيض فرخ وبعضه لم يفرخ ثم جاء قبالة فم الغار فبال فقال أبو بكر يارسول الله انه يرانا فقال رسول الله ﷺ ياابابكر لو كان يرانا مافعل هذا وفى بعض الروايات لو رآنا ماتكشف عن فرجه أى مااستقبلنا بفرجه وبوله وقال أبو جهل أما والله إنى لأحسب قريبا يرانا ولكن بعض سحره قد أخذ على أبصارنا فانصرفوا وذكر ابن كثير أن بعض أهل السير ذكر أن أبا بكر رضى الله تعالى عنه لما قال للنبى ﷺ لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه قال له النبى صلى الله عليه وسلم لو جاؤنا من ههنا لذهبنا من ههنا فنظر الصديق إلى الغار قد انفرج من الجانب الآخر واذا البحر قد اتصل به وسفينة مشدودة الى جانبه قال ابن كثير وهذا ليس بمنكر من حيث القدرة العظيمة ولكن لم يرد ذلك باسناد قوى ولا ضعيف ولسنا نثبت شيئا من تلقاء أنفسنا ونهى النبى ﷺ يومئذ عن قتل العنكبوت وقال انها جند من جند الله انتهى وعن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه أنه قال لا أزال أحب العنكبوت منذ رأيت رسول الله ﷺ أحبها ويقول جزى الله العنكبوت عنا خيرا فانها نسجت على وعليك ياأبا بكر الا ان البيوت تطهر من نسجها أى ينبغى ذلك لما تقدم أن وجود نسجها فى البيوت يورث الفقر وفى الجامع الصغير جزى الله العنكبوت عنا خيرا فانها نسجت على الغار (أقول) فيه أن فى الحديث العنكبوت شيطان فاقتلوه وفى لفظ العنكبوت شيطان مسخه الله فاقتلوه فان صح وثبت تأخره فهو ناسخ له وان كان متقدما على ماهنا وصح ماهنا فهو منسوخ به والله أعلم وبارك صلى الله عليه وسلم على الحمامتين وفرض جزاء لحمام وانحدرتا فى الحرم فأفرختا كل شىء فى الحرم

قال لما جال الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الجولة يوم أحد قلت أذود عن نفسى فامان أستشهد واما أن ألحق حتى ألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينا أنا كذلك اذا برجل مخمر وجهه ماأدرى من هو فأقبل المشركون حتى قلت قد ركبوه فملا يده من الحصى ثم رمي به فى وجوههم فتنكبوا على أعقابهم القهقرى حتى أتوا الجبل ففعل ذلك مرارا ولا أدرى من هو و بينى و بينه المقداد فبينا أنا أريد أن أسأل المقداد عنه اذ قال المقداد ياسعد هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فقلت وأين هو فأشار اليه فقمت وكأنه لم يصبنى شىء من الأذى وأجلسنى أمامه فجعلت أرمى وأقول اللهم سهمك فارم به عدوك ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم استجب لسعد اللهم سدد رميته وأجب دعوته فكان سعد مجاب الدعوة قال حتى إذا فرغ النبل من كنانتى نثر صلى الله عليه وسلم لى مافى كنانته وانكشف الناس عنه صلى الله عليه وسلم وعن سعد رضى الله عنه قال اقدرأيتنى والنبي صلى الله عليه وسلم يناولنى النبل و يقول ارم فداك أبى وأمى حتي أنه ليناولنى السهم ماله نصل فيقول أرم به وجاء ان سعدا رضى الله عنه رمى يوم أحد ألف سهم مامنها سهم الا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ارم فداك أبى وأمى ففداه ذلك اليوم ألف مرة وعن على كرم الله وجهه قال ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فداك أبى وأمى الا لسعد رضى الله عنه يعنى يوم أحد فلا ينافى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل ذلك للزبير رضى الله عنه يوم الخندق كماسيأتى ان شاء الله وكان صلى الله عليه وسلم يفتخر بعد و يقول هذا سعد خالى فليرنى امرؤ خاله أى لأن سعدا رضى الله عنه كان من بنى زهرة وكانت أم النبى صلى الله عليه وسلم منهم وكان رضى الله عنه اذا غاب يقول النبي صلى الله عليه وسلم مالى لا أرى الصبيح المليح الفصيح رضي الله عنه وثبت معه صلى الله عليه وسلم أربعة



من الحمام أى ولأجل ذلك ذهب الغزالى من أئمتنا الى صحة الوقف على حمام مكة دون غيره من الطيور وهو الراجح ونظر فى الامتناع فى كون حمام الحرم من نسل ذلك الزوج فانه روى فى قصة نوح عليه الصلاة والسلام أنه بعث الحمامة من السفينة لتأتيه بخبر الأرض فوقعت بوادى الحرم فاذا الماء قد نضب من موضع الكعبة وكانت طينتها حمراء فاختضبت رجلاها ثم جاءته فمسح عنقها وطوقها طوقا ووهب لها الحمرة فى رجليها وأسكنها الحرم ودعا لها بالبركة وفى شعر الحرث بن مضاض الذى أوله

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر

ويبك لبيت ليس يؤذى حمامه * يظل به أمنا وفيه العصافر

فى هذا ان الحمام قد كان فى الحرم من عهد جرهم أى ونوح وذكر بعضهم أن حمام مكة أظله صلى الله عليه وسلم يوم فتحها فدعا له بالبركة وروى أن أبا بكر رضى الله تعالى عنه لما رأى قريشا أقبلت نحو الغار خصوصا ومعهم القافة بكى أى و يقال لما سمع القائف يقول لقريش والله ما جاز مطلوبكم من هذا الغار حزن و بكى وقال والله ما على نفسى أبكى ولكن مخافة أن أرى فيك ما أكره فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا وأنزل الله تعالى سكينته على أبى بكر رضى الله تعالى عنه أى وأنزل عليه أمنته التى تسكن عندها القلوب قيل قال له لا تحزن ولم يقل له لا تخف لأن حزنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا النهى تأنيس وتبشير له كما فى قوله تعالى له صلى الله عليه وسلم ولا يحزنك قولهم و به يرد مازعمته الرافضة ان ذلك غضبا من أبى بكر وذما له لأن حزنه رضى الله تعالى عنه إن كان طاعة فالنبى صلى الله عليه وسلم لا ينهى عن الطاعة فلم يبق الا أنه معصية وفى رواية عن أبى بكر رضى الله تعالى عنه قلت للنبى صلى الله عليه وسلم ونحن فى الغار لو أن أحدهم نظر الى قدميه لأبصرنا تحت قدميه أى لأنهما علوا على رءوسهما فعن أبى بكر قال نظرت إلى أقدام المشركين ونحن فى الغار وهم على رؤسنا فقلت يارسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه فقال يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما قال بعضهم كان معهما وثالثهما باللفظ والمعنى أما باللفظ فكان يقال يارسول الله و يقال لأبى بكر يا خليفة رسول الله وأما بالمعنى فكان مصاحبا لهما بالنصر والهداية والارشاد والضمير فى أيده بجنود لم تروها راجع للنبى ﷺ وتلك الجنود ملائكة أنزلهم الله تعالى عليه فى الغار يبشرونه صلى الله عليه وسلم بالنصر على أعدائه وروى أن أبا بكر رضى الله تعالى عنه عطش فى الغار فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب الى صدر الغار فاشرب فانطلق أبو بكر رضى الله تعالى عنه إلى صدر الغار فوجد ماء أحلى من العسل وأبيض من اللبن وأزكى رائحة من المسك فشرب منه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله أمر الملك الموكل بأنهار الجنة أن يخرق نهرا من جنة الفردوس الى صدر الغار لتشرب قال أبو بكر يارسول الله ولى عند الله هذه المنزلة فقال النبى صلى الله عليه وسلم نعم وأفضل والذى بعثنى بالحق نبيا لا يدخل الجنة مبغضك ولو كان عمله عمل سبعين نبيا أى وذكر بعضهم قال كنت جالسا عند أبى بكر رضى الله تعالى عنه فقال من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عدة

فليقم فقام رجل فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدنى بثلاث حثيات من تمر فقال أرسلوا إلى على فجاء فقال يا أبا الحسن ان هذا يزعم كذا وكذا فاحث له حتى له فقال أبو بكر عدوها فعدوها فوجدوها كل حثية ستين تمرة لا تزيد ولا تنقص فقال أبو بكر صدق الله ورسوله قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الهجرة فى الغار كفى وكف على فى العدد سواء ذكر الذهبى أنه موضوع ولعل قول الصديق صدق الله ورسوله علة لاختياره عليا على نفسه فى أن يحثو لا أن ذلك علة لكون كل حثية جاءت ستين حبة ولما أيست قريش منهما أرسلوا لأهل السواحل ان من أسر أو قتل أحدهما كان له مائة ناقة أى ويقال ان أبا جهل أمر مناديا ينادى فى أعلى مكة وأسفلها من جاء بمحمد أو دل عليه فله مائة بعير والى قصة الغار أشار صاحب الهمزية بقوله

أخرجوه منها وآواه غار * وحمته حمامة ورقاء
وكفته بنسجها عنكبوت * ما كفته الحمامة الحصداء
واختفى منهم على قرب مرآ * ه ومن شدة الظهور الخفاء

أى كانوا سببا لاخراجه من تلك الأرض التى هى مولده صلى الله عليه وسلم ومرباه ووطنه ووطن آبائه بسبب مبالغتهم فى ايذائه وايذاء أصحابه خصوصا ضعفاءهم وآواه غار وحمته منهم حمامة فى لونها بياض وسواد وكفته أعداءه عنكبوت بنسجها الذى كفته إياهم الحمامة الكثيرة الريش فتلك الحمامة كانت ورقاء حصداء واستتر منهم مع قرب محل رؤيته وحكمة خفائه واستتاره منهم مع ظهوره لهم لو نظر أحدهم إلى ماتحت قدميه شدة ظهوره عليهم بالغلبة والمعونة الالهية ومكثا فى الغار ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبى بكر وهو غلام يعرف مايقال يأتيهما حين يختلط الظلام ويدلج من عندهما بفجر فيصبح مع قريش كبائت فى بيته فلا يسمع أمرا يكادان به إلا وعاه ويخبرهما به وكان عامر بن فهيرة مولى أبى بكر رضى الله تعالى عنهما كان مملوكا للطفيل فأسلم وهو مملوك وكان ممن يعذب فى الله عز وجل فاشتراه أبو بكر من الطفيل وأعتقه كما تقدم فكان يروح عليهما بمنحة غنم أى قطعة من غنم أبى بكر فكان يرعاها حيث تذهب ساعة من العشاء ويغدو بها عليهما ثم يغلس أى اذا خرج من عندهما عبد الله تبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم حتى يقفوا أثر قدميه يفعل ذلك فى كل ليلة من تلك الليالى الثلاث أى وذلك بارشاد من أبى بكر رضى الله تعالى عنه ففى السيرة الهشامية وأمر أبو بكر ابنه عبد الله رضى الله تعالى عنهما أن يستمع لهما مايقول الناس فيهما نهاره ثم يأتيهما اذا أمسى بما يكون فى ذلك اليوم من الخبر وأمر عامر بن فهيرة أن يرعى غنمه نهاره ثم يريحها عليهما اذا أمسى فى الغار وكانت أسماء بنت أبى بكر رضى الله تعالى عنها تأتيهما إذا أمست بما يصلحهما من الطعام (أقول) وفى الدر عن عائشة رضى الله تعالى عنها ما كان أحد يعلم مكان ذلك الغار الا عبد الله بن أبى بكر وأسماء بنت بكر فانهما كانا يختلفان اليهما وعامر بن فهيرة فانه كان اذا سرح غنمه مر بهما فحلب لهما (وفى الفصول المهمة) وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام بلياليها فى الغار وقريش لا يدرون أين هو وأسماء بنت

---

عشر رجلا سبعة من المهاجرين وهم أبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف وسعد وطلحة والزبير وأبو عبيدة رضى الله عنهم وكذا على رضى الله عنه قال فى فتح البارى فقد صحت الأحاديث بأن عليا رضى الله عنه ممن ثبت وبعض الرواة لم يذكره لأنه كان حامل اللواء بعد مصعب فلا يحتاج الى أن يقال ثبت وسبعة من الأنصار وهم أبو دجانة والحباب بن المنذر وعاصم بن ثابت والحرث بن الصمة وسهل ابن حنيف وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير وزاد بعضهم سعد بن عبادة رضى الله عنهم وزاد بعضهم محمد بن مسلمة رضى الله عنه بل جاء أنه ثبت بين يديه يومئذ ثلاثون رجلا كلهم يقول وجهى دون وجهك ونفسى دون نفسك وعليك السلام غير مودع وعند الحاكم أن المقداد ممن ثبت ولا تنافى فى الروايات لأن اختلاف الأحاديث لاختلاف الأحوال فانهم تفرقوا فى القتال فلما ولى من ولى وصاح الشيطان اشتغل كل واحد بهمه والذب عن نفسه ثم عرفوا بقاءه صلى الله عليه وسلم فتراجعوا اليه أولا فأولا ثم بعد ذلك كان يقدمهم الى القتال فيشتغلون به وذكر بعضهم ممن ثبت جابر بن عبد الله وعمارا وابن مسعود رضى الله عنهم وفى بعض الروايات لم يبق معه سوى رجلين من قريش وسبعة من الانصار ولعله فى بعض اللحظات لاختلاف الحالات كما مر * وثبت أنه صلى الله عليه وسلم لما تفرقت عنه أصحابه صار يقول الى يافلان الى يافلان أنا رسول الله فما يعرج اليه أحد والنبل يأتيه من كل جانب والله يصرفه عنه والى هذا أشار سبحانه وتعالى بقوله اذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم فى أخراكم * وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال يومئذ أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب أنا ابن العواتك قال الحلبى فليتأمل فان المحفوظ أنه صلى الله عليه وسلم انما قال ذلك يوم حنين وان كان لا مانع من التعدد * وممن ثبت معه صلى الله عليه وسلم أبو طلحة زيد بن سهل الأنصارى زوج أم أنس

ابن مالك رضى الله عنه فانه استمر بين يدى النبي صلى الله عليه وسلم يحوز عنه بجحفته وكان رجلا راميا شديد الرمى فنثر له النبي
صلى الله عليه وسلم كنانته بين يديه وصار رضى الله عنه يقول نفسى لنفسك فداء ووجهى لوجهك وقاء فلم يزل يرمى بها وكان
الرجل يمر بالجعبة فيها النبل فيقول النبي صلى الله عليه وسلم انثرها لابى طلحة وكسر ذلك اليوم قوسين أو ثلاثة وصار رسول الله
صلى الله عليه وسلم يشرف أى ينظر الى القوم ليرى مواضع النبل فيقول له  أبو طلحة يا نبي الله بأبى أنت وأمى

لا تشرف يصبك سهم من سهام القوم نحرى دون نحرك وتطاول أبو طلحة رضى الله عنه بصدره يقى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما زال النبي صلى الله عليه وسلم يرمى عن قوسه حتى اندقت سيتها والسية ما انعطف من طرفى القوس اللذين هما محل الوتر وفى رواية حتى تقطع الوتر وبقى فى يده قطعة قدر شبر فاخذ القوس عكاشة بن محصن رضى الله عنه ليوتر له فقال يارسول الله لا يبلغ الوتر فقال مده يبلغ قال عكاشة فو الذى بعثه بالحق لقد مددته حتى بلغ وطويت منه لفتين أو ثلاثا وكان صلى الله عليه وسلم أقرب الناس الى القوم * وممن كان مشهورا بالرماية سهل بن حنيف رضى الله عنه وكان ممن ثبت مع النبي صلى الله عليه وسلم فى هذا اليوم وكان بايع النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ على الموت فثبت معه صلى الله عليه
وسلم حتى انكشف الناس عنه وجعل ينضح بالنبل يومئذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انبلوا سهلا اى اعطوه نبلا * وممن ثبت مع النبي صلى الله عليه وسلم ام عمارة المازنية واسمها نسيبة بالتصغير وهى زوج زيد بن
عاصم وام ولده عبد الله بن زيد فعنها رضى الله عنها قالت خرجت يوم احد لأنظر ما يصنع الناس ومعى سقاء فيه ماء أسقى به الجرحى
فانتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى اصحابه والريح للمسلمين فلما انهزم المسلمون انحزت الى رسول الله صلى الله عليه

---

أبى بكر رضى الله تعالى عنها تأتيهما ليلا بطعامهما وشرابهما فلما كان بعد الثلاث أمرها صلى الله عليه
وسلم أن تأتى عليا وتخبره بموضعهما وتقول له يستأجر لهما دليلا ويأتى معه بثلاث من الابل بعد مضى
ساعة من الليلة الآتية أى وهى الليلة الرابعة فجاءت اسماء الى على كرم الله وجهه فاخبرته بذلك فاستأجر
لهما رجلا يقال له الاريقط بن عبد الله الليثى وأرسل معه بثلاث من الابل فجاء بهن الى أسفل الجبل
ليلا فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم رغاء الابل نزل من الغار هو وأبو بكر فعرفاه أى والذى فى
البخارى فأتاهما براحلتيهما صبيحة ليال ثلاث فارتحلا وتقدم ان المستأجر لهما الدليل النبي صلى الله
عليه وسلم وأبو بكر وقد يجمع بان المراد باستئجار على رضى الله تعالى عنه اعطاؤه الاجرة وكونه استأجر
لهما ثلاث رواحل وأتى بها معه فيه نظر ظاهر وركب النبي صلى الله عليه وسلم وركب أبو بكر وركب
الدليل وفى الدر المنثور فمكث هو صلى الله عليه وسلم وأبو بكر فى الغار ثلاثة أيام يختلف اليهما بالطعام
عامر بن فهيرة وعلى يجهزهما فاشترى ثلاثة أباعر واستأجر لهم دليلا فلما كان فى بعض الليل من الليلة
الثالثة أتاهم على بالابل والدليل فليتأمل ذلك مع ماقبله وفى حديث مرسل مكثت مع صاحبى فى الغار
بضعة عشر يوما مالنا طعام الا ثمر البرير أى الاراك وتقدم فى باب رعية الغنم ان ثمر الاراك النضيج
يقال له الكباث بكاف فباء موحدة مفتوحتين فثاء مثلثة قال ابن عبد البر وهذا أى القول بانهما مكثا فى
الغار بضعة عشر يوما غير صحيح عند أهل العلم بالحديث قال الحافظ ابن حجر والمراد كما قال الحاكم انهما
مكثا مختفيين من المشركين فى الغار وفى الطريق بضعة عشر يوما وذكر فى الغار أى الاقتصار عليه من
بعض الرواة والله أعلم قال وعن أسماء بنت أبى بكر رضى الله تعالى عنهما أن أبا بكر أرسل ابنه عبد الله
فحمل ماله وكان خمسة آلاف درهم أو أربعة آلاف وكان حين أسلم أربعين ألف درهم وفى لفظ أربعين
ألف دينار أى ويؤيد ذلك ماجاء عن أنس رضى الله تعالى عنه أنفق أبو بكر على النبي صلى الله عليه
وسلم أربعين ألف دينار فحمل اليه ذلك فى الغار قالت أسماء فدخل علينا جدى أبو قحافة رضى الله
تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك وكان قد ذهب بصره فقال والله انى لأراه يعنى أبا بكر قد فجعكم بماله مع نفسه
فقالت كلا يا أبت انه ترك لنا خيرا كثيرا قالت فاخذت أحجارا فوضعتها فى كوة أى طاقة فى البيت كان
أبى يضع ماله فيها ثم وضعت عليها ثوبا ثم أخذت بيده فقلت ضع يدك على هذا المال قالت فوضع يده
عليه فقال لا بأس ان كان ترك لكم هذا فى هذا بلاغ لكم ولا والله ماترك لنا شيئا ولكن أردت أن أسكن
قلب الشيخ اهـ أى ولما بلغ ضمرة بن جندب خروجه صلى الله عليه وسلم وكان مريضا فقال لاعذر لى فى
مقامى بمكة فامر أهله فخرجوا به فلما وصل الى التنعيم مات به فانزل الله تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا
الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما وقيل نزلت فى خالد بن
حرام بن خويلد بن اسد أسلم قديما وهاجر الى الحبشة فى المرة الثانية فمات من نهش حية قبل ان يصل
وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال لحسان رضى الله تعالى عنه هل قلت فى ابى بكر شيئا قال نعم قال قل وأنا أسمع فقال

وثانى اثنين فى الغار المنيف وقد * طاف العدو به اذ صاعدوا الجبلا
وكان حب رسول الله قد علموا * من البرية لم يعدل به رجلا

فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه أى وفى لفظ فتبسم ثم قال صدقت يا حسان هو كما قلت انه أحب البرية اليه أى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعدل به غيره (أقول) فى ينبوع الحياة والذى أعرف فى هذين البيتين انهما من أبيات رثى بهما حسان أبا بكر رضى الله تعالى عنهما هذا كلامه وقد يقال لا مانع ان يكون أدخلهما حسان فى مرثيته لابى بكر بعد ذلك والله أعلم وعن أبى بكر رضى الله تعالى عنه قال لجماعة أيكم يقرأ سورة التوبة قال رجل انا أقرأ فلما بلغ اذ يقول لصاحبه لا تحزن بكى وقال أنا والله صاحبه وعن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه قال رآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم امشى امام أبى بكر فقال يا أبا الدرداء أتمشى امام من هو أفضل منك فى الدنيا والآخرة فوالذى نفس محمد بيده ما طلعت الشمس ولا غربت على احد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبى بكر وعن عبد الله بن عمرو ابن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أتانى جبريل فقال ان الله تعالى يأمرك ان تستشير أبا بكر وعن أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب أبى بكر واجب على أمتى

## ﴿ باب الهجرة الى المدينة ﴾

لايخفى انه لما كان صبيحة الليلة الثالثة من دخولهما الغار على ما تقدم جاءهما الدليل الذى هو الرجل الدؤلى براحلتيهما فركباوا نطلق بهما وانطلق معهما عامر بن فهيرة أى رديفا لأبى بكر يخدمهما اى وفى البخارى ان أبا بكر كان رديفا له صلى الله عليه وسلم أى ولا مخالفة لما سيأتى ويروى انه صلى الله عليه وسلم لما خرج من الغار وركب أخذ أبو بكر بغرزه أى بركابه والغرز بغين معجمة مفتوحة وراء ساكنة وزاى ركاب الابل خاصة فقال صلى الله عليه وسلم ألا أبشرك قال بلى فداك أبى وأمى قال ان الله عز وجل يتجلى للخلائق يوم القيامة عامة ويتجلى لك خاصة قال الخطيب هذا الحديث لا أصل له قال السيوطى رأيت له متابعات ودعا صلى الله عليه وسلم بدعاء منه اللهم أصحبنى فى سفرى واخلفنى فى أهلى وأخذبهم الدليل على طريق السواحل وصار أبو بكر اذا سأله سائل عن النبى صلى الله عليه وسلم من هذا الذى معك أى وفى رواية من هذا الذى بين يديك وفى رواية من هذا الغلام بين يديك أى بناء على انه كان رديفا له صلى الله عليه وسلم يقول هذا الرجل يهدينى الطريق يعنى طريق الخير اى لانه صلى الله عليه وسلم قال لابى بكر أله الناس أى اشغل الناس عنى أى تكفل عنى بالجواب لمن سأل عنى فانه لا ينبغى لنبى أن يكذب أى ولو صورة كالتورية فكان أبو بكر يقول لمن سأله عن النبى صلى الله عليه وسلم ماذكر وانما لم يسئل أبو بكر عن نفسه لان أبا بكر كان معروفا لهم لانه كان يكثر المرور عليهم فى التجارة للشام أى معروفا لغالبهم فلا ينافى ما جاء فى بعض الروايات انه كان اذا سئل من أنت يقول باغى أى طالب حاجة فعلم أن الانبياء لا ينبغى لهم الكذب ولو صورة ومن ذلك التورية لكن سيأتى فى غزوة

بدر

وسلم فقمت أباشر القتال دونه وأذب عنه بالسيف وارمى عن القوس حتى خلصت الجراحة الى روى انه كان على عاتقها جرح أجوف له غور فقيل لها من أصابك بهذا قالت ابن قمئة لما ولى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل ابن قمئة يقول دلونى على محمد فلا نجوت ان نجا فاعترضت له انا ومصعب بن عمير رضى الله عنه فضربنى هذه الضربة وضربته ضربات ولكن عدو الله كان عليه درعان وجاء فى رواية خرجت نسيبة يوم احد وزوجها زيد بن عاصم وابناها حبيب وعبد الله وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله عليكم أهل بيت فقالت له نسيبة رضى الله عنها ادع الله أن نرافقك فى الجنة فقال اللهم اجعلهم رفقائى فى الجنة وعند ذلك قالت رضى الله عنها ما أبالى ما أصابنى من أمر الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم فى حقها ما التفت يمينا ولا شمالا يوم أحد الا ورأيتها تقاتل دونى وقد جرحت رضى الله عنها اثنى عشر جرحا ما بين طعنة برمح وضربة بسيف وحضرت رضى الله عنها قتال مسيلمة الكذاب باليمامة وكان ابنها عبد الله بن زيد رضى الله عنه مشاركا لوحشى فى قتل مسيلمة فعنها رضى الله عنها قالت قاتلت يوم اليمامة فقطعت يدى وانا أريد قتل مسيلمة وما كان لى ناهية حتى رأيت الخبيث مقتولا واذا ابنى عبد الله بن زيد يمسح سيفه بثيابه فقلت أقتلته فقال نعم فسجدت شكراً لله تعالى وقتله له كان بعد ضرب وحشى له بحربته وجاء انه شاركهما فى ذلك أبو دجانة رضى الله عنه وأنزل الله يوم احد على المؤمنين النعاس قال الزبير بن العوام رضى الله عنه لقد رأيتنى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد حين اشتد علينا الخوف وأرسل علينا النوم فما منا أحد الا وذقنه فى صدره فوالله انى لأسمع كالحلم قول معتب بن قشير لو كان لنا من الامر شىء ما قتلنا ههنا قال تعالى ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم الآية وعن كعب بن عمرو الانصارى رضى الله عنه

قال لقد رأيتني يومئذ في أربعة عشر من قومي الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أصابنا النعاس امنة أي لانه لا ينعس الا
من يأمن فما منهم أحد إلا غط غطيطا حتى ان الحجف أي الدرق تتناطح ولقد رأيت سيف بشر بن البراء بن معرور سقط من يده
وماشعر وتقدم في غزوة بدر أنه حصل لهم النعاس ليلة القتال لا فيه وجاء ان النعاس في الصف من الايمان وفي الصلاة من الشيطان
وأما الطائفة المنهزمة فانها تفرقت فرقا فمنهم من ذهب الى المدينة فلقيتهم أم أيمن  رضى الله عنها فجعلت تحثو التراب
في وجوههم وتقول
لبعضهم هاك المغزل
فاغزل به وهلم سيفك أي
أعطني سيفك وطائفة
من المنهزمين لم يدخلوا
المدينة ويشكل على
استقبال أم أيمن اياهم أنه
جاء انها كانت في الجيش
تسقى الجرحى فقد جاء أن
حبان بن العرقة رمى
بسهم فاصاب أم أيمن وهي
تسقى الجرحى فتكشفت
فاغرق عدو الله في الضحك
فشق ذلك على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فدفع
الى سعد سهما لا نصل له
وقال ارم به فرمى به فوقع
عدو الله مستلقيا حتى
بدت عورته فضحك
رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى بدت نواجذه
ثم قال استقاد لها سعد
أجاب الله دعوته وفي
رواية اللهم استجب دعاء
سعد اذا دعاك فكان
مجاب الدعوة وقد يقال
لا منافاة بين كون أم أيمن
كانت في الجيش وبين
كونها بالمدينة حين وصول
بعض المنهزمين الى المدينة
لجواز أن تكون رجعت ذلك الوقت من الجيش إلى المدينة ❊ وممن قاتل دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو دجانة الانصاري
رضى الله عنه فقد جاء انه تترس دون رسول الله صلى الله عليه وسلم اي جعل نفسه ترسا فصار يقع النبل على ظهره وهو منحن عليه
حتى كثر فيه النبل وممن قاتل دونه صلى الله عليه وسلم عمارة بن زياد بن السكن رضى الله عنه حتى اثبتته الجراحة اي اصابت مقاتله
فقال صلى الله عليه وسلم ادنوه مني فوسده قدمه الشريف فمات رضى الله عنه وخده على قدمه الشريف صلى الله عليه وسلم

بدر وقوع التورية منه صلى الله عليه وسلم وفي رواية ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم وراء أبي بكر
ناقته وفي التمهيد لابن عبد البر أنه لما أتى براحلة أبي بكر سأل أبو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يركب ويردفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل أنت اركب وأردفك أنا فان الرجل أحق بصدر
دابته فكان اذا قيل له من هذا وراءك قال هذا يهديني السبيل (أقول) لا مخالفة بين هذا وما تقدم لانه
يجوز أن يكون ركب صلى الله عليه وسلم تارة خلف أبي بكر على ناقة أبي بكر وتارة ركب صلى الله
عليه وسلم على ناقة نفسه امامه وازركوبه لها كان في اثناء الطريق ويكون صلى الله عليه وسلم اما
أركب راحلته عامر بن فهيرة أو ترك ركوبها لاجل إراحتها والهداية كما تكون من المتقدم تكون من
المتأخر وان كان الاول هو الغالب والله أعلم والى توجهه صلى الله عليه وسلم الى المدينة أشار صاحب
الهمزية بقوله

ونحا المصطفى المدينة واشتا ❊ قت اليه من مكة الانحاء

أي وقصد صلى الله عليه وسلم المدينة واشتاقت اليه الجهات والنواحي من مكة وقد جاء انه لما خرج
صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة مهاجرا أو بلغ الجحفة اشتاق الى مكة فانزل الله تعالى عليه ان
الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد أي الى مكة وأهل الرجعة يقولون الى الدنيا أي من يقول
بأن النبي صلى الله عليه وسلم يرجع الى الدنيا كما يرجع عيسى وقد أظهرها عبد الله بن سبأ كان يهوديا
وأمه يهودية سوداء ومن ثم كان يقال له ابن السوداء أظهر الاسلام في خلافة عمر رضى الله تعالى عنه
وقيل في خلافة عثمان رضى الله تعالى عنه وكان قصده باظهار الاسلام بوار الاسلام فكان يقول العجب
ممن يزعم أن عيسى يرجع الى الدنيا ويكذب برجعة محمد صلى الله عليه وسلم وقد قال الله تعالى ان الذي
فرض عليك القرآن لرادك الى معاد فمحمد أحق بالرجعة من عيسى عليهما الصلاة والسلام وتقدم
ذلك في اثناء الكلام على بدء الوحي وسيأتي ذلك عند بناء المسجد وكانت قريش كما تقدم أرسلت
لاهل السواحل ان من قتل أو أسر أبا بكر أو محمدا كان له مائة ناقة اي فمن قتلهما أو اسرهما كان له
مائتان فعن سراقة جاءنا رسل كفار قريش يجعلون فيهما ان قتلا أو أسرا ديتين فبينا أنا جالس في
مجلس من مجالس قومي بني مدلج اي بقديد وهو محل قريب من رابغ اقبل رجل منهم حتى قام علينا
ونحن جلوس فقال يا سراقة إني رأيت اسودة أي شخاصا بالسواحل اراه محمدا وأصحابه قال سراقة
فعرفت انهم هم فقلت انهم ليسوا بهم ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا باعيننا أي بمعرفتنا يطلبون
ضالة لهم اي وفي لفظ قال رأيت ركبة بالتحريك جمع راكب ثلاثا مروا على آنفا أي قريبا اني لأراهم
محمدا وأصحابه قال سراقة فأومأت اليه ان اسكت ثم قلت إنما هم بنو فلان يتبعون ضالة لهم ثم لبثت
في المجلس ساعة ثم قمت الى منزلي فامرت جاريتي ان تخرج فرسي خفية الى بطن الوادي وتحبسها على
وأخذت رمحي وخرجت به من ظهر البيت فخططت بزجه في الارض والزج الحديدة التي تكون في
أسفل الرمح وخفضت عاليه أي أمسكت باعلاه وجعلت اسفله في الارض لئلا يراه احد وانما فعل ذلك
كله ليفوز بالجعل المتقدم ذكره ولا يشركه فيه احد من قومه بخروجه معه لقتلهما أو اسرهما زاد في

ومن قاتل دون رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير رضى الله عنه حتى قتله ابن قمئة لعنه الله وهو يظنه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما مر فرجع الى المشركين فقال قتلت محمدا كما تقدم وقيل ان القاتل لمصعب بن عمير أبى بن خلف الجمحى أخو أمية ابن خلف المقتول ببدر الذى كان يعذب بلالا رضى الله عنه يروى أنه أقبل أبى بن خلف يوم أحد نحو النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقول أين محمد لا نجوت ان نجا (٤٦) فاستقبله مصعب بن عمير رضى الله عنه فقتل مصعبا فاستقبله رجال من المسلمين فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخلوا طريقه فاقبل وهو يقول يا كذاب أين تفر فتناول النبى صلى الله عليه وسلم الحربة من الحرث بن الصمة أو الزبير بن العوام رضي الله عنه فرماه النبى صلى الله عليه وسلم بها فاصابت عنقه وخدشته خدشا غير كبير واحتقن الدم أى لم يخرج بذلك الخدش فرجع وهو يقول قتلنى والله محمد فقالوا ذهب والله فؤادك وفى رواية عقلك انا لنأخذ السهام من أضلاعنا فترمى بها فما بك والله من بأس ما أجزعك انما هو خدش ولو كان هذا الذى بك بعين أحدنا ما ضره فقال واللات والعزى لو كان هذا الذى بى بأهل ذى المجاز أى السوق المعروف من جملة أسواق الجاهلية كان عند عرفة وفى رواية لو كان بربيعة ومضر وفى رواية لو كان بأهل الارض لماتوا أجمعون أنه قال لى بمكة أنا أقتلك فوالله لو بصق على لقتلنى أى فضلا عن هذه الضربة وكان أبى يقول بمكة للنبى صلى الله عليه وسلم يا محمد ان عندى العود يعنى فرسا أعلفه كل يوم فرقا من ذرة أقتلك عليها والفرق بفتح الراء مكيال معروف يسع اثنى عشر مدا فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أقتلك ان شاء الله فحقق الله تعالى قول نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم وعن سعيد بن المسيب ان أبى بن خلف قال حين افتدى ببدر من الاسر والله ان عندى لفرسا أعلفها كل يوم فرقا من ذرة أقتل عليها

صارت

رواية ثم انطلقت فلبست لامتى وجعلت اجر الرمح مخافة أن يشركنى اهل الماء يعنى قومه قال حتى أتيت فرسى أى وكان يقال لها العود والفرس لغة تقع على الذكر والانثى قال فى النور والمراد هنا الانثى لقوله فركبتها ولقوله فرفعتها أى بالغت فى اجرائها حتى دنوت منهم وفى لفظ فرفعتها تقرب بى وحينئذ يكون المراد أسرعت بالسير بها لان التقريب دون العدو وفوق العادة فعثرت بى فرسى أى فوقعت لمنخريها كما فى حديث أسماء بنت أبى بكر رضى الله تعالى عنهما زاد فى رواية ثم قامت تحمحم فخررت عنها فقمت فأهويت بيدى على كنانتى فاستخرجت الأزلام أى وهى عيدان السهام التى لا ريش لها ولم تركب فيها النصال واستقسمت بها اضرهم أم لا فخرج الذى أكره وهو عدم اضرارهم أى لانه مكتوب عليها افعل لا تفعل ويقال للاول الآمر ويقال للثانى الناهى فركبت فرسى وعصيت الازلام تقرب بى حتى سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت اى غابت يدا فرسى فى الارض حتى بلغتا الركبتين أى وكانت الارض جلدة فخررت عنها ثم زجرتها فنهضت فلم تكد تخرج يديها فلما استوت قائمة اذا لاثر يديها عثان أى غبار ساطع فى السماء مثل الدخان أى مع كون الارض جلدة فاستقسمت بالازلام فخرج الذى أكره فناديتهم بالامان أى وقلت انظرونى لا أوذيكم ولا يأتيكم منى شىء تكرهونه أى وفى رواية ناديت القوم وقلت أنا سراقة بن مالك انظرونى أكلمكم أنا لكم نافع غير ضار وانى لا أدرى لعل الحى فزعوا لركوبى أى ان بلغهم ذلك وأنا راجع رادهم عنكم فقال رسول الله ﷺ لأبى بكر قل له ماذا تبتغى فوقفوا فاخبرتهم بما تريد الناس منهم وفى رواية قال يا محمد ادع الله ان يطلق فرسى وأرجع عنك وأرد من ورائى وفى رواية قال يا هذان ادعوا لى الله ربكما ولكما ان لا أعود ففعل أى دعا له رسول الله ﷺ فانطلق الفرس وحينئذ يكون زجره لها ونهوضها بعد الدعاء فلا مخالفة قال فركبت فرسى أى بعد نهوضها حتى جئتهم فقلت ان قومك جعلوا فيك الدية أى مائة من الابل لمن قتلك أو أسرك وهذا هو المراد بقوله فى الرواية السابقة فاخبرتهم بما يريد الناس منهم وكأنه رأى ان ذلك كاف فى لحوقه بهم عن ذكر أبى بكر قال سراقة وعرضت عليهما الزاد والمتاع فلم يقبلا وقالا اخف عنا أى وفى رواية عرضت عليهما الزاد والحملان أى ولعل الحملان هو المراد بالمتاع أى لانه جاء انه قال لهما خذا هذا السهم من كنانتى وغنمى وابلى بمحل كذا وكذا فخذا منهما ماشئتما فقالا لا كفنا نفسك فقال كفيتماها (أقول) وفى رواية قال له ﷺ يا سراقة اذا لم ترغب فى دين الاسلام فانى لا أرغب فى ابلك ومواشيك وفى رواية عن أبى بكر رضى الله تعالى عنه قال لما أدركنا سراقة قلت يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا قال لا تحزن ان الله معنا أى وقد تقدم انه قال ذلك له فى الغار فلما كان بيننا وبينه قيد أى مقدار رمح أو ثلاثة قلت يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا وبكيت قال لم تبكى قلت أما والله ما على نفسى أبكى ولكن أبكى عليك فدعا رسول الله ﷺ فقال اللهم اكفناه بما شئت فساخت به فرسه فى الارض الى بطنها وكانت الارض صلبة أى ولا يخالف ماسبق انها بلغت الركبتين لجواز أن يكون ذلك فى أول أمرها ثم

صارت الى بطنها وذلك كله فى المرة الاولى فلا يخالف ما فى الامتاع لما قرب من رسول الله صلى الله عليه
وسلم ساخت يدا فرسه فى الارض الى بطنها فقال ادع لى يا محمد أن يخلصنى الله تعالى ولك على أن أرد
عنك الطلب فدعا فخلص فعاد فتبعهم فساخت قوائم فرسه فى الأرض أشد من الأولى فقال يا محمد قد
علمت أن هذا من دعائك على الحديث إذ هو يدل على أنها فى المرة الأولى وصلت إلى بطنها وفى الثانية
وصلت إلى ما هو زائد على ذلك وقد يدل له ما يأتى عن الهمزية ولعل المراد أنه دخل جزء من بطنها فى
الأرض فى المرة الثانية وفى لفظ فقال يا محمد قد علمت أن هذا عملك فادع الله ينجينى مما أنا فيه فوالله
لأعمين على من ورائى من الطلب فدعا له فانطلق راجعا وفى السبعيات للهمدانى أن سراقة لما دنا منه
صلى الله عليه وسلم صاح وقال يا محمد من يمنعك منى اليوم فقال رسول الله ﷺ يمنعنى الجبار
الواحد القهار ونزل جبريل عليه السلام وقال يا محمد ان الله عزوجل يقول جعلت الأرض مطيعة
لك فأمرها بما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أرض خذيه فأخذت الأرض أرجل جواده
الى الركب فساق سراقة فرسه فلم يتحرك فقال يا محمد الامان وعزة العزى لو أنجيتنى لأكونن لك لا عليك
فقال يا أرض أطلقيه فأطلقت جواده * وروى فى بعض التفاسير أن سراقة عاهد سبع مرات ثم ينكث
العهد وكلما ينكث العهد تغوص قوائم فرسه فى الأرض وهذا أى الاقتصار على غوص قوائم فرسه
فى الأرض لا ينافى الزيادة فلا يخالف ما سبق وفى السابعة تاب توبة صدق وفى الفصول المهمة لما
اتصل خبر مسيره صلى الله عليه وسلم الى المدينة وذلك فى اليوم الثانى من خروجه صلى الله عليه وسلم
من الغار جمع الناس أبو جهل وقال بلغنى أن محمدا قد مضى نحو يثرب على طريق الساحل ومعه
رجلان آخران فأيكم يأتينى بخبره فوثب سراقة فقال أنا لمحمد يا أبا الحكم ثم انه ركب راحلته
واستجنب فرسه وأخذ معه عبدا له أسود كان ذلك العبد من الشجعان المشهورين فسار أى فى أثر النبى
ﷺ سيرا عنيفا حتى لحقا به فقال أبو بكر يا رسول الله قد دهينا هذا سراقة قد أقبل فى طلبنا ومعه
غلامه الأسود المشهور فلما أبصرهم سراقة نزل عن راحلته وركب فرسه وتناول رمحه وأقبل نحوهم
فلما قرب منهم قال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم اكفنا أمر سراقة بما شئت وكيف شئت وأنى شئت
فغابت قوائم فرسه فى الأرض حتى لم يقدر الفرس أن يتحرك فلما نظر سراقة الى ذلك هاله ورمى نفسه
عن الفرس إلى الأرض ورمى رمحه وقال يا محمد أنت أنت وأصحابك أى أنت كأنت أى آمن وأصحابك
فادع ربك يطلق لى جوادى ولك عهد وميثاق أن أرجع عنك فرفع النبى صلى الله عليه وسلم
يديه الى السماء وقال اللهم ان كان صادقا فيما يقول فأطلق له جواده قال فأطلق الله تعالى له قوائم
فرسه حتى وثب على الأرض سليما أى ولعل هذا فى المرة الثانية أو المرة الأخيرة من السبع على ما تقدم
وتقدم ان الاقتصار على القوائم لا ينافى الزيادة عليها فلا يخالف ما سبق فى هذه الرواية ورجع سراقة
الى مكة فاجتمع الناس عليه فأنكر أنه رأى محمدا فلا زال به أبو جهل حتى اعترف وأخبرهم بالقصة وفى
ذلك يقول سراقة مخاطبا لأبى جهل

محمدا فبلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بل أنا أقتله إن شاء الله تعالى و يمكن الجمع بأنه تكرر ذلك من أبى لعنه الله ومن
النبى صلى الله عليه وسلم وفى رواية أبصر صلى الله عليه وسلم ترقوته من فرجة من سابغة الدرع وهى ما يغطى العنق من
الدرع فطعنه طعنة كسر فيها ضلعا من أضلاعه وفى رواية طعنه طعنة وقع فيها من الفرس مرارا وجعل يخور كما يخور الثور اذا
ذبح وأنه صلى الله عليه وسلم حين أخذ الحربة انتفض بها انتفاضة شديدة حتى تباعد عنه من كان حوله ثم
استقبله فطعنه فى عنقه ولا منافاة لأن الترقوة فى أصل العنق ولا مخالفة أيضا بين كون الحاصل من الطعنة خدشة و بين كونه انتفض بالحربة انتفاضة شديدة وناهيك بعزمه صلى الله عليه وسلم لأن كون الطعنة خدشة انما هو بحسب ما يظهر للرائى والا فالطعنة شديدة فى الباطن وذلك أقوى فى النكاية ليكون من المعجزات أيضا ودليل وجود الشدة فى الباطن وقوعه مرارا عن الفرس وكونه خار كالثور الذى يذبح وكون الطعن فى العنق يفضى إلى كسر الضلع من خوارق العادة وجاء فى رواية أنه ضربه تحت ابطه حتى انكسر ضلع من اضلاعه وقد يقال يجوز أن تكون الحربة نفذت من المكان المذكور الى ابطه حتى كسرت ضلعه ولم يقتل صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة أحدا الا أبى بن خلف لا قبل ولا بعد ثم
مات عدو الله وهم راجعون الى مكة بسرف وهو مناسب لوصفه لأنه مسرف وقيل مات ببطن رابغ فعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه
قال انى لأسير ببطن رابغ بعد هدء من الليل واذا نار تأجج لى فهبتها واذا رجل يخرج منها فى سلسلة يجتذب بها يصيح العطش فنادانى
ياعبد الله فلا أدرى أعرف اسمى أو كما يقول الرجل لمن يجهل اسمه ياعبد الله فالتفت اليه فقال اسقنى فأردت أن أفعل واذا رجل
وهو الموكل بعذابه يقول لا تسقه هذا قتيل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أبى بن خلف لعنه الله رواه البيهقى و يدل لهذا ما جاء فى

الحديث كل من قتله نبي أو قتل بأمر نبي في زمنه يعذب من حين قتل إلى أن ينفخ في الصور وجاء أشد الناس عذابا من قتله نبي وفي رواية اشتد غضب الله على رجل قتله رسول الله فسحقا لأصحاب السعير أي لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مأمورون باللطف والشفقة على عباد الله فما يحمل الواحد منهم على قتل شخص إلا أمر عظيم ورسول الله صلى الله عليه وسلم أكملهم لطفا ورفقا وشفقة على عباد الله وتقدم أن ابن عمر رضي الله عنهما مر ببدر واذا رجل يعذب ويئن فناداه يا عبد الله قال فالتفت اليه فقال اسقني فأردت أن أفعل فقال الاسود الموكل بتعذيبه لا تفعل يا عبد الله فان هذا من المشركين الذين قتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أي قتلهم أصحابه رواه الطبراني في الاوسط ولا بعد في تعدد الواقعة بل في الخصائص الكبرى للجلال السيوطي ما يدل على التعدد وذكر فيها أن ابن عمر ذكر ذلك الذي رآه ببدر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له ذاك أبو جهل وذلك عذابه الى يوم القيامة وقد حفر أبو عامر الفاسق الذي كان مع المشركين كما تقدم حفرا في موضع المعركة وزعم أن ذلك من مكايد الحرب فوقع النبي صلى الله عليه وسلم في حفرة منها فاغمي عليه صلى الله عليه وسلم وجحشت أي خدشت ركبتاه فأخذ علي رضي الله عنه بيده ورفعه طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه حتى استوى قائما وكان سبب وقوعه ان ابن قمئة لعنه الله علاه بالسيف فلم يؤثر فيه السيف إلا أن ثقل السيف أثر في عاتقه فشكا صلى الله عليه وسلم منه شهرا او اكثر وقذف صلى الله عليه وسلم بالحجارة حتى وقع لشقه ورماه عتبة بن ابي وقاص اخو سعد بن ابي وقاص بحجر فكسر رباعيته اليمنى السفلى وشق شفته السفلى ودعا عليه صلى الله عليه وسلم فاستجاب الله دعاءه فقتله حاطب بن ابي بلتعة رضي الله عنه كما رواه الحاكم في المستدرك قال قال حاطب رضي الله عنه لما رأيت ما فعل عتبة برسول الله صلى الله عليه وسلم

---

أبا حكم والله لو كنت شاهدا * لأمر جوادي اذ تسوخ قوائمه
علمت ولم تشكك بأن محمدا * رسول ببرهان فمن ذا يقاومه

وسياق هذه الرواية يدل على أنه خرج خلف النبي صلى الله عليه وسلم من مكة ويدل لذلك ما ذكر أنه كان أحد القاصين لأثره صلى الله عليه وسلم في الجبل لكنه مخالف لما تقدم أنه خرج خلفه صلى الله عليه وسلم من قديد من مجلس قومه وأخفى خروج فرسه وخروجه عن قومه وقد يقال لا مخالفة لأنه يجوز أن يكون لما خرج من مكة سلك طريقا غير الطريق الذي سلكها النبي صلى الله عليه وسلم فلم يجده وسبقه على قديد فجلس في مجلس قومه فلما أخبر بمرورهم فعل ما تقدم ثم وجد عبده الاسود في مروره وكان معه راحلته فركبها واستجنب فرسه وصحب عبده ولا مانع أن يخرج من مكة بعد خروجهم من الغار ويسبقهم على قديد ولا ينافي ذلك قوله فأتانا رسل كفار قريش لأنه يجوز أن يكون ذلك هو الحامل لسراقة على الذهاب الى مكة لعله يجده بطريقه ولا ينافي ذلك كونه كان أحد القصاصين لأثره صلى الله عليه وسلم لأنه يجوز أن يكون عاد الى قديد قبل أن يجعل الجعل وفي كلام بعضهم أنه أرسل بهذين البيتين إلى أبي جهل ولا منافاة لجواز أن يكون أرسل بهما قبل أن يشافهه بهما وفي رواية أنه لما لحق بهم قال صلى الله عليه وسلم اللهم اصرعه فصرع عن فرسه فقال يا نبي الله مرني بما شئت قال تقف مكانك لا تتركن أحدا يلحق بنا * ثم لا يخفى ان صرعه عن فرسه يحتمل أن يكون لما ساخت ويحتمل أنه صرع عنها بعد ذلك وهو ظاهر سياق الرواية الأولى وهي فعثرت بي فرسي فخررت عنها وحينئذ يكون عثورها بدعائه صلى الله عليه وسلم والله أعلم * قال سراقة فسألته أن يكتب لي كتاب أمن لأنه وقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم * وفي السبعيات قال سراقة يا محمد اني لأعلم انه سيظهر أمرك في العالم وتملك رقاب الناس فعاهدني اني إذا أتيتك يوم ملكك فأكرمني فأمر عامر بن فهيرة أي وقيل أبا بكر فكتب لي في رقعة من أدم أي وقيل في قطعة من عظم وقيل في خرقة (أقول) وحينئذ يمكن أن يكون كتب عامر بن فهيرة أولا فطلب سراقة أن يكون أبو بكر هو الذي يكتب فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابة ذلك فأحدهما كتب في الرقعة من الادم والآخر كتب في العظم أو الخرقة أو المراد بالخرقة الرقعة من الادم فلا مخالفة ولما أراد الانصراف قال له كيف بك يا سراقة اذا تسورت بسواري كسرى قال كسرى ابن هرمز قال نعم وسيأتي أن سراقة أسلم بالجعرانة ولما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بها قال له مرحبا بك وعن سراقة لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من حنين والطائف خرجت ومعي الكتاب لألقاه فلقيته بالجعرانة فدخلت في كتيبة من خيل الانصار فجعلوا يقرعونني بالرماح ويقولون اليك ماذا تريد قال فدنوت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته فرفعت يدي بالكتاب ثم قلت يا رسول الله هذا كتابي وأنا سراقة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم وفاء وبشر ادنه فدنوت منه وأسلمت ولما جيء لعمر رضي الله تعالى عنه في زمن خلافته بسواري كسرى وتاجه ومنطقته أي وبساطه وكان ستين ذراعا في ستين ذراعا

قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أين توجه عتبة فاشار الى حيث توجه فمضيت حتى ظفرت به فضربته بالسيف فطرحت رأسه فنزلت فأخذت رأسه وفرسه وسيفه وجئت به الى رسول الله ﷺ فقال لى رضى الله عنك وأما ماذكره ابن منده من أنه أسلم واستند لقول أخيه سعد فى ابن أمة زمعة عهد الى أخى عتبة أنه ولده فليس فيه مايدل على اسلامه لاحتمال أن يكون عهد اليه وهو فى كفره بأن أمة زمعة حملت منه وقد شدد أبو نعيم فى الانكار على ابن  منده فى ذكره فى الصحابة واحتج بما رواه عبد الرزاق عن سعيد بن المسيب أنه صلى الله عليه وسلم دعا على عتبة حين كسر رباعيته وأدمي وجهه فقال اللهم لاتحول عليه الحول حتى يموت كافرا فما حال الحول حتى مات كافرا الى النار قال الحافظ ابن حجر ان ذكره فى الصحابة غلط وليس فى الآثار مايدل على اسلامه بل فيها مايصرح بموته على الكفر فلا معنى لايراده فى الصحابة اهـ وروى ابن اسحق عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال ماحرصت على قتل رجل قط حرصى على قتل أخى عتبة حين صنع برسول الله ماصنع ولقد كفانى فيه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتد غضب الله على من ادمي وجه رسوله وصح أنه لم يولد من نسل عتبة ولد فيبلغ الحلم الا وهو أبخر أى منتن الفم أهتم أى مكسور الثنايا يعرف ذلك فى عقبه وجاء أن الذى جرح وجهه الشريف صلى الله عليه وسلم عبدالله بن قمئة وفى رواية عبدالله بن شهاب الزهرى جد الامام الزهرى من قبل أبيه شهد أحدا مع الكفار ثم أسلم رضى الله عنه وهو الذى شجه فى جبهته وأن ابن قمئة جرح وجنته وهى ماارتفع من لحم خده فدخلت حلقتان من المغفر فى وجنته ﷺ وهشمت البيضة على رأسه أى كسرت وسال الدم على وجهه ورموه بالحجارة حتى سقط لشقه فى حفرة واحتضنه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائما وفى الصحيح عن قيس قال رأيت

---

ذراعا منظوما باللؤلؤ والجواهر الملونة على ألوان زهر الربيع كان يبسطه فى ايوانه ويشرب عليه إذا عدمت الزهور وجىء له بمال كثير من مال كسرى وبنات كسرى وكن ثلاثا وعليهن الحلى والحلل والجواهر مايقصر اللسان عن وصفه وعند ذلك دعا سراقة وقال ارفع يديك والبسه السوارين وقال له قل الحمد لله الذى سلبهما كسرى بن هرمز الذى كان يقول أنا رب الناس والبسهما سراقة بن مالك أى ورفع عمر بها صوته وصب المال الذى جىء به من أموال كسرى فى صحن المسجد وفرقه على المسلمين ثم قطع البساط وفرقه بين المسلمين فأصاب عليا رضى الله تعالى عنه منه قطعة باعها بخمسين ألف دينار ثم جىء ببنات الملك الثلاث فوقفن بين يديه وأمر المنادى أن ينادى عليهن وأن يزيل نقابهن عن وجوههن ليزيد المسلمون فى ثمنهن فامتنعن من كشف نقابهن ووكزن المنادى فى صدره فغضب عمر رضى الله تعالى عنه وأراد أن يعلوهن بالدرة وهن يبكين فقال له على رضى الله تعالى عنه مهلا ياأمير المؤمنين فانى سمعت رسول الله ﷺ يقول ارحموا عزيز قوم ذل وغنى قوم افتقر فسكن غضبه فقال له على ان بنات الملوك لايعاملن معاملة غيرهن من بنات السوقة فقال له عمر كيف الطريق الى العمل معهن فقال يقومن ومهما بلغ ثمنهن يقوم به من يختارهن فقومن وأخذهن على رضى الله تعالى عنه فدفع واحدة لعبدالله بن عمر فجاء منها بولده سالم وأخرى لمحمد بن ابى بكر فجاء منها بولده القاسم والثالثة لولده الحسين فجاء منها بولده على الملقب بزين العابدين وهؤلاء الثلاثة فاقوا أهل المدينة علما وورعا وكان أهل المدينة قبل ذلك يرغبون عن التسرى فلما نشأ هؤلاء الثلاثة فيهم رغبوا فيه ومن غريب الاتفاق ماحكاه بعضهم قال كنت أجالس سعيد بن المسيب وأعجب سعيد بى يوما فقال لى من أخوالك فقلت أمى فتاة فكأنى نقصت من عينه فأنا عنده اذ دخل عليه سالم بن عبدالله بن عمر فلما خرج من عنده قلت ياعم من هذا قال سبحان الله أتجهل مثل هذا من قومك هذا سالم بن عبدالله بن عمر قلت فمن أمه قال فتاة ثم دخل القاسم بن محمد فجلس عنده ثم نهض فلما خرج قلت ياعم من هذا قال ما أعجب أمرك أتجهل مثل هذا هذا القاسم بن محمد بن أبى بكر قلت فمن أمه قال فتاة ثم دخل عليه على بن الحسين فجلس ثم نهض فلما خرج قلت له من هذا قال عجبت منك أتجهل مثل هذا هذا على زين العابدين ابن الحسين قلت فمن أمه قال فتاة قلت ياعمى رأيتنى نقصت من عينك لما علمت أمى فتاة فمالى فى هؤلاء أسوة فقال أجل وعظمت فى عينه جدا ولما رجع سراقة صار يرد عنهم الطلب لايلقى أحدا إلا رده يقول سبرت أى اختبرت الطريق فلم أر أحدا وفى لفظ قال لقريش أى لجماعة منهم قصدوه ﷺ كأنهم أخبروا بمكان مسيره ذلك قد عرفتم بصرى بالطريق وقد سرت فلم أر شيئا فرجعوا أى فان كفار قريش لما سمعوا من الهاتف أى ومن غيره بأنه ﷺ نزل فى خيمة أم معبد كما سيأتى أرسلوا سرية فى طلبه يقول قائلهم اطلبوه قبل أن يستعين عليكم بكلبان العرب فيحتمل أن هؤلاء هم الذين ردهم سراقة فكان سراقة أول النهار جاهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وآخر النهار مسلحة أى سلاحا له وفى رواية قال سراقة خرجت وأنا أحب الناس فى تحصيلهما ورجعت وأنا أحب

الناس فى أن لا يعلم بهما أحد ويحتمل أنه بعد أن ردهم سراقة ذهبوا الى أم معبد ففى تتمة الخبر أن تلك السرية جاءت الى أم معبد فسألوها عن رسول الله ﷺ فأشفقت أى خافت عليه منهم فتعاجمت عليهم أى أظهرت عدم علمها بذلك فقالت انكم تسألونى عن أمر ما سمعت به قبل عامى هذا ثم قالت لئن لم تنصرفوا عنى لأصرخن فى قومى عليكم وكانت فى عز من قومها فانصرفوا ولم يعلموا أين توجه أى من أى طريق توجه أى ولعلها قالت لهم ذلك لما رأت منهم التثقيل عليها وهذا السياق يدل على ان قصة سراقة قبل قصة ام معبد والى قصة سراقة اشار صاحب الأصل بقوله

غرت سراقة اطماع فساخ به * جواده فانثنى للصلح مطلبا

واليها اشار ايضا صاحب الهمزية بقوله

واقتفى اثره سراقة فاستهـ * ـوته فى الأرض صافن جرداء
ثم ناداه بعد ما سيمت الخسـ * ـف وقد ينجد الغريق النداء

أى وتبع أثره سراقة فهوت أى سقطت به صافن وهى الفرس التى تقوم على ثلاث قوائم وتقيم الرابعة على طرف الحافر وهو وصف محمود فى الخيل جرداء قصيرة الشعر وذلك وصف محمود فى الخيل أيضا بعد أن قاربت أن يخسف بها كلها وقد يخلص الدعاء الغريق كما وقع ليونس صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه قال وعن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه أنه قال سرنا ليلتنا كلها حتى قام قائم الظهيرة وخلا الطريق فلا يرى فيه أحد رفعت لنا صخرة طويلة لها ظل فنزلنا عندها فأتيت الصخرة فسويت بيدى مكانا ينام فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ظلها ثم بسطت له فروة معى ثم قلت يارسول الله نم وأنا أتجسس وأتعرف من تخافه فنام صلى الله عليه وسلم وإذا براع يقبل بغنمه الى الصخرة يريد منها الذى أردناه أى وهو الظل فلقيته فقلت لمن أنت ياغلام فقال لرجل من أهل مكة فسماه فعرفته أى وقال الحافظ ابن حجر لم أقف على اسم هذا الراعى ولا على اسم صاحب الغنم قال أبو بكر رضى الله تعالى عنه فقلت هل فى غنمك من لبن قال نعم قلت أفتحلب لى قال نعم فأخذ شاة فحلب لى فى قعب معه وفى رواية فى اداوة معى على فيها خرقة فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم وكرهت أن أوقظه من نومه فوقفت حتى استيقظ فصببت على اللبن من الماء حتى برد أسفله فقلت يارسول الله اشرب من هذا اللبن فشرب لأنه جرت العادة باباحة مثل ذلك لابن السبيل إذا احتاج الى ذلك فكان كل راع مأذونا له فى ذلك أى كما تقدم فلا ينافى ما جاء لا يحلبن أحد ماشية أحد إلا باذنه أو أن هذا الحديث محمول على فعل ذلك اختلاسا من غير معرفة الراعى وأما قول بعضهم إنما استجاز شربه لأنه مال حربى ففيه نظر لأن الغنائم أى أموال الحربيين لم تكن أبيحت له حينئذ ثم قال يعنى النبى صلى الله عليه وسلم ألم يأن للرحيل قلت بلى فارتحلنا بعد ما زالت الشمس انتهى أى وفى رواية أن أبا بكر قال قد آن الرحيل يارسول الله أى دخل وقته قال الحافظ ابن حجر يجمع بينهما بأن يكون النبى ﷺ بدأ فسأل فقال له أبو بكر بلى ثم أعاد عليه بقوله قد آن الرحيل واجتازوا فى طريقهم بأم معبد أى واسمها عاتكة وكان منزلها بقديد أى وهو محل

---



يد طلحة شلاء لأنه وقى بها النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد وجاء ان طلحة رضي الله عنه جرح يوم احد تسعا وثلاثين او خمسا وثلاثين وشل اصبعاه اى السبابة والتى تليها وكان ابو بكر رضى الله عنه إذا ذكر يوم احد قال كان ذلك اليوم كله لطلحة وروى النسائى والبيهقى عن جابر رضى الله عنه قال ادرك المشركون رسول الله ﷺ فقال من للقوم فقال طلحة انا فذكر قتل الذين كانوا معه من الأنصار قال ثم قاتل طلحة قتالا شديدا حتى ضربت يده فقطعت اصابعه فقال حس فقال صلى الله عليه وسلم لو قلت باسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون اليك حتى تلج بك فى جو السماء وانتزع أبو عبيدة عامر بن الجراح الحلقتين اللتين كانتا فى وجنته صلى الله عليه وسلم وعض عليهما حتى سقطت ثنيتاه فكان ساقط الثنيتين قال بعضهم ولما سقط مقدم أسنان أبى عبيدة صار أهتم ولم ير قط أهتم أحسن من أبى عبيدة لأن ذلك الهتم حسن فمه وقيل إن عقبة ابن وهب بن كلدة هو الذى نزع الحلقتين من وجنته صلى الله عليه وسلم وقيل انه أبو بكر رضى الله عنه فيجوز أن الثلاثة عالجوهما وامتص مالك ابن سنان والد أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه الدم من وجنته صلى الله عليه وسلم ثم ازدرده فقال عليه الصلاة والسلام من مس دمه دمى لم تصبه النار وفى رواية من أراد أن ينظر الى رجل من أهل الجنة فلينظر الى هذا وأشار اليه فاستشهد فى هذه الغزوة رضي الله عنه وفى رواية من سره أن ينظر الى من لا تمسه النار فلينظر الى مالك بن سنان ولما رمى عبدالله بن قمئة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خذها وأنا ابن قمئة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقماك الله وهو يمسح الدم عن وجهه فسلط الله على ابن قمئة تيسا جبليا فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة زيادة فى نكاله وخزيه ووباله وجعل صلى الله عليه وسلم يمسح الدم عن وجهه وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم

سراقة

سراقة كما تقدم ولعلها كانت بطرفه الأخير الذي يلي المدينة ومنزل سراقة بطرفه الذي يلي مكة وكانت مسافته متسعة فليتأمل وكانت أم معبد امرأة برزة جلدة تحتبي بفناء بيتها وتطعم وتسقي وهي لا تعرفهم أي وسألوها لحما وتمرا أي وفي رواية أو لبنا يشترونه فقالت والله لو كان عندنا شيء ما أعوزناكم أي للشراء وفي رواية ما أعوزناكم القرى لأنهم كانوا مسنتين أي مجدبين فقال لها رسول الله ﷺ يا أم معبد هل عندك من لبن قالت لا والله فرأى شاة خلفها الجهد عن الغنم أي لم تطق اللحاق بها لما بها من الهزال قال هل بها من لبن قالت هي أجهد من ذلك () قال أتأذنين في حلابها قالت والله ما ضربها من فحل قط فشأنك أي أصلح شأنك بها ان رأيت منها حلبا فاحلبها فدعا بها فمسح ظهرها بيده أي وفي رواية فبعث النبي صلى الله عليه وسلم معبدا وكان صغيرا فقال ادع هذه الشاة ثم قال يا غلام هات فرقا فمسح ظهرها وفي رواية فمسح بيده ضرعها وظهرها وسمى الله تعالى أي وقال اللهم بارك لنا في شاتنا فدرت واجترت وتفاجت أي فتحت ما بين رجليها للحلب ثم دعا بإناء يربض الرهط أي يرويهم بحيث يغلب عليهم الري فيربضون وينامون والرهط من الثلاثة للعشرة وقيل من التسعة إلى الأربعين فحلب فيها ثجا أي بقوة لكثرة اللبن ومن ثم قال حتى علاه البهاء وفي رواية حتى علته الثمالة بضم المثلثة أي الرغوة وفي رواية فسقاها فشربت حتى رويت وسقى أصحابه حتى رووا عللا بعد نهل أي مرة ثانية بعد الأولى ثم شرب صلى الله عليه وسلم فكان آخرهم شربا وقال ساقي القوم آخرهم شربا () ثم حلب فيه وغادره أي تركه عندها وارتحل والى ذلك أشار الامام السبكي بقوله في تائيته

مسحت على شاة لدى أم معبد * بجهد فألقتها ادر حلوبة

والى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله في وصف راحته الشريفة

درت الشاة حين مرت عليها * فلها ثروة بها ونماء

أي أرسلت الشاة لبنها حين مرت راحته الشريفة على تلك الشاة فلتلك الشاة بسبب تلك الراحة كثرة لبن وزيادة وعن أم معبد ان هذه الشاة بقيت إلى خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه إلى سنة ثماني عشرة وقيل سبع عشرة من الهجرة ويقال لتلك السنة عام الرمادة أي وكانت تلك السنة أجدبت الأرض إجدابا شديدا حتى جعلت الوحوش تأوي إلى الانس ويذبح الرجل الشاة فيعافها أي لخبث لحمها وكانت الريح إذا هبت ألقت ترابا كالرماد فسمي ذلك العام عام الرمادة وعند ذلك آلى عمر رضى الله تعالى عنه ان لا يذوق لبنا ولا سمنا ولا لحما حتى تحيا الناس أي يجيء عليهم الحيا وهو المطر وقال كيف لا يعنيني شأن الرعية إذا لم يمسني ما مسهم وهذا السياق يدل على ان الذي حلبه ﷺ عند أم معبد شاة واحدة وفي تاريخ العيني شارح البخاري قال يونس عن ابن اسحق انه دعا ببعض غنمها فمسح ضرعها بيده ودعا الله وحلب في العس حتى أرغى وقال اشربي يا أم معبد فقالت اشرب فانت أحق به فرده عليها فشربت ثم دعا بحائل أخرى ففعل بها مثل ذلك فشربه ثم دعا بحائل أخرى ففعل بها مثل ذلك فسقى دليله ثم دعا بحائل أخرى ففعل بها مثل ذلك فسقى عامر بن فهيرة وطلبت

إلى ربهم فأنزل الله تعالى ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون قال الاوزاعي بلغنا انه لما جرح صلى الله عليه وسلم يوم أحد أخذ شيئا فجعل ينشف فيه دمه ليمنعه من النزول على الأرض ويقول لو وقع منه شيء على الأرض لنزل عليهم العذاب من السماء ثم قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون فاعتذر عنهم وتضرع إلى الله أن يمهلهم حتى يكون منهم أو من ذريتهم من يؤمن وقد حقق الله رجاءه وهذا دعاء لهم بالتوبة من الشرك حتى يغفر لهم وليس دعاء لهم بغفران الشرك فلا يشكل على ذلك قوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ولا قوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين وعن معمر بن راشد عن الزهري قال ضرب وجه النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد بالسيف سبعين ضربة ووقاه الله شرها كلها فلم يحصل مرادهم بالضرب ولله الحمد والمنة فان قيل كيف أشج وجهه صلى الله عليه وسلم وكسرت رباعيته والله تعالى يقول والله يعصمك من الناس أجيب بان هذه الآية نزلت بعد وعلى تسليم انها نزلت قبل فالمراد عصمته من القتل قال الشيخ محي الدين بن العربي رحمه الله تعالى لا يخفى ان أجر كل نبي في التبليغ يكون على قدر ما ناله من المشقة الحاصلة له من المخالفين له وعلى قدر ما يقاسيه منهم وله أجر الهداية لمن أطاعه ولا أحد أكثر من نبينا صلى الله عليه وسلم فانه لم يتفق لنبي من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ما اتفق له صلى الله عليه وسلم في كثرة طائعي أمة اجابته ولا في كثرة عصاة أمة دعوته الخارجين عن الاجابة وكان أول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة وقول الشيطان قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك الانصاري رضى الله عنه وهو أحد الثلاثة المذكورين في قوله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا الخ قال عرفت عينيه صلى الله عليه وسلم تزهران أي تضيئان وتتوقدان من تحت المغفر فناديت بأعلى صوتي يا معشر المسلمين أبشروا

هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن بعض الصحابة رضى الله عنهم قال لما صاح الشيطان قتل محمد لم نشك فى أنه حق ومازلنا كذلك حتى طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين السعدين يعنى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة رضى الله عنهما فعرفناه بكتفيه إذا مشى ففرحنا حتى كأنه لم يصبنا ما أصابنا فلما عرف المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم نهضوا به ونهض معهم نحو الشعب وفيهم أبو بكر وعمر وعلى وطلحة والزبير (٥٢) والحرث بن الصمة وجماعة آخرون وفى خصائص العشرة أن الزبير رضى الله عنه ثبت يوم أحد مع النبى صلى الله عليه وسلم وبايعه على الموت وأما قول الرافضة انهزم الناس كلهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا على بن أبى طالب فممنوع بل ثبت مع على رضى الله عنه غيره كما تقدم وأقبل عثمان بن عبدالله بن المغيرة على فرس أبلق وعليه لامة كاملة قاصدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوجه للشعب وهو يقول لانجوت ان نجا فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم فعثر بعثمان فرسه فى بعض تلك الحفر التى حفرها أبو عامر الفاسق فمشى اليه الحرث بن الصمة رضى الله عنه فاصطدما ساعة بسيفهما ثم ضربه الحرث على رجليه فبرك وذفف عليه وأخذ درعه ومغفره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى أحانه أى أهلكه وأقبل عبيد بن أبى جابر العامرى يعدو فضرب الحرث على عاتقه فجرحه فاحتمله أصحابه ووثب أبو دجانة الى عبيد فذبحه بالسيف ولحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أراد صلى الله عليه وسلم أن يعلو الصخرة التى فى الشعب فلما ذهب لينهض لم يستطع لانه صلى الله عليه وسلم ضعف لكثرة ما خرج من دم رأسه الشريف ووجهه مع كونه عليه درعان فجلس تحته طلحة بن عبيدالله رضى الله عنه فنهض به حتى استوى عليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوجب طلحة أى فعل شيئا استوجب به الجنة حين صنع برسول الله

---

قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغوا أم معبد فسألوا عنه صلى الله عليه وسلم ووصفوه لها فقالت ما أدرى ما تقولون قد ضافنى حالب الحائل فقالوا ذالك الذى نريده وعند قول عمر رضى الله تعالى عنه ذلك قال كعب لعمر يا أمير المؤمنين ان بنى اسرائيل كانوا إذا أصابهم مثل هذا استسقوا بعصبة الانبياء فقال عمر هذا عم النبى صلى الله عليه وسلم وصنو أبيه وسيد بنى هاشم يعنى العباس فمشى اليه عمر وشكا اليه ما فيه الناس فصعد عمر المنبر ومعه العباس وقال اللهم انا قد توجهنا اليك بعم نبينا وصنو أبيه صلى الله عليه وسلم فاسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ثم قال عمر للعباس يا أبا الفضل قم وادع فقام وحمد الله وأثنى عليه ودعا بدعاء منه اللهم شفعنا فى أنفسنا وأهلينا اللهم انا نشكو اليك جوع كل جائع اللهم انا لا نرجوا إلا اياك ولا ندعوا غيرك ولا نرغب الا اليك فسقوا قبل أن يصلوا إلى منازلهم وخاضوا فى الماء وأخصبت الأرض وعاش الناس فقال عمر هذا والله هو الوسيلة الى الله تعالى فصار الناس يتمسحون بالعباس و يقولون هنيئا لك ساقى الحرمين وذكر السهيلى ان جماعة كانت مقبلة إلى المدينة فى ذلك اليوم فسمعوا صائحا يصيح فى السحاب أتاك الغوث أبا حفص أتاك الغوث أبا حفص هذا وذكر العلامة ابن حجر الهيثمى فى الصواعق عن تاريخ دمشق ان الناس كرروا الاستسقاء عام الرمادة سنة سبع عشرة من الهجرة فلم يسقوا فقال عمر رضى الله تعالى عنه لاستسقين غدا بمن يسقينى الله به فلما أصبح غدا للعباس رضى الله تعالى عنه فدق عليه الباب فقال من قال عمر قال ما حاجتك قال اخرج حتى نستسقى الله بك قال اقعد فأرسل الى بنى هاشم ان تطهروا والبسوا من صالح ثيابكم فأتوه وأخرج طيبا وطيبهم ثم خرج وعلى امامه بين يديه والحسن عن يمينه والحسين عن يساره و بنو هاشم خلف ظهره وقال يا عمر لا تخلط بنا غيرنا ثم أتى المصلى فوقف فحمد الله تعالى وأثنى عليه وقال اللهم انك خلقتنا ولم تؤامرنا وعلمت ما نحن عاملون قبل ان تخلقنا فلم يمنعك علمك فينا عن رزقنا اللهم فكما تفضلت علينا فى أوله فتفضل علينا فى آخره قال جابر فما برحنا حتى سحت السماء علينا سحا فما وصلنا الى منازلنا الا خوضا فقال العباس أنا ابن المسقى ابن المسقى ابن المسقى ابن المسقى ابن المسقى خمس مرات أشار الى ان أباه عبد المطلب استسقى خمس مرات فسقى هذا كلامه فلينظر الجمع قال ابن شهاب كان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يعرفون للعباس فضله و يقدمونه و يشاورونه و يأخذون برأيه أى وكان لا يمر عمر وعثمان وهما راكبان الا نزلا حتى يجوز العباس وربما مشيا معه الى بيته اجلالا له أى لانه صلى الله عليه وسلم قال احفظونى فى العباس فانه عمى وصنو أبى وفى رواية فانه بقية آبائى قالت أم معبد فى وصف تلك الشاة وكنا نحلبها صبوحا وغبوقا أى بكرة وعشية ومافى الأرض قليل ولا كثير أى مما يتعاطى الدواب أكله ولما جاء زوجها أبو معبد قال السهيلى لا يعرف اسمه وقيل اسمه أكثم بالثاء المثلثة كما تقدم وقيل خنيس وقيل عبدالله جاء عند المساء يسوق أعنزا عجافا ورأى اللبن الذى حلبه صلى الله عليه وسلم عجب وقال يا أم معبد ما هذا اللبن ولا حلوب فى البيت أى والشاة عازب أى لم يطرقها فحل لكن رأيته فى النور فسر العازب بالبعيدة المرعى التى لا تأوى الى المنزل فى الليل وفى الصحاح العازب الكلأ

صلى الله عليه وسلم ماصنع وقد قيل ان طلحة رضى الله عنه كان فى مشيه اختلاف أى لعرج كان به فلما حمل النبى صلى الله عليه وسلم
تكلف استقامة المشى لئلا يشق عليه صلى الله عليه وسلم فذهب عرجه ولم يعد اليه وعطش النبى صلى الله عليه وسلم عطشا شديدا
وقد جاء على رضى الله عنه بماء فى درقته ليغسل به جرح النبى صلى الله عليه وسلم فلم يشرب صلى الله عليه وسلم من ذلك لتغير وجده
به من طول المكث فخرج محمد بن مسلمة رضى الله عنه يطلب له ماء فلم يجد  ثم ذهب الى موضع بعيد فأتى بماء
عذب فشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا له بخير وجاء ان نساء المدينة خرجن ومعهن فاطمة رضى الله عنها بنت النبى صلى الله عليه وسلم فلما لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتنقته وجعلت تغسل جراحاته وعلى يسكب الماء فيتزايد الدم فلما رأت ذلك أخذت شيئا من حصير فاحرقته بالنار حتى صار رمادا فاخذت ذلك الرماد وكمدته به حتى لصق بالجرح فاستمسك الدم وبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشعب مع بعض أصحابه إذ علت طائفة من قريش الجبل معهم خالد بن الوليد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انهم لا ينبغى لهم أن يعلونا اللهم لا قوة لنا الا بك فقاتلهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه وجماعة من المهاجرين رضى الله عنهم حتى هبطوا من الجبل ونزل فى ذلك قوله تعالى ولا تهنوا ولا
تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين وفى بعض الروايات ان النبى ﷺ قال لسعد بن أبى وقاص رضى الله عنه اردهم
قال سعد فاخذت سهما من كنانتى فرميت به رجلا منهم فقتلته ثم أخذت سهما فاذا هو سهمى الذى رميت به فرميت به آخر فقتلته
ثم اخذت سهما فاذا هو سهمى الذى رميت به فرميت به آخر فقتلته ثم اخذت سهما فاذا هو سهمى الذى رميت به فرميت به آخر
فقتلته فهبطوا من مكانهم فقلت هذا سهم مبارك فكان عندى فى كنانتى لا يفارق كنانتى وكان بعد سعد عند بنيه وجاء فى رواية

الكلأ البعيد الذى لم يؤكل ولم يوطأ قالت مر بنا رجل مبارك قال صفيه قالت رأيت رجلا ظاهر
الوضاءة متبلج الوجه أى مشرقه فى أشفاره أى أجفان عينيه أى شعرها النابت بها وطف أى طول وفى
عينيه دعج أى شدة سواد فى شدة بياض أى وهذا هو الحور ومن ثم فسر بعضهم الدعج بشدة السواد
وفيه أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن بياض عينيه شديد البياض بل كان أشكل العين والشكلة حمرة
فى بياض العين وهو دليل الشهامة وهى من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم فى الكتب القديمة كما
تقدم وفى صوته صحل أى بحة بضم الموحدة أى ليس حاد الصوت غصن بين الغصنين لا تشنؤه من طول
أى لا تبغضه لفرط طوله ولا تقتحمه من قصر أى تحتقره من قصره لم تعبه نجلة أى عظم البطن وكبرها
ولم تزر به صعلة أى صغر الرأس كان عنقه ابريق فضة أى والابريق السيف الشديد البريق إذا نطق
فعليه البهاء وإذا صمت فعليه الوقار له كلام كخرزات النظم زين أصحابه منظرا وأحسنهم وجها
أصحابه يحفون به إذا أمر ابتدروا أمره وإذا نهى انتهوا عند نهيه قال وفى لفظ انها قالت رأيت رجلا
ظاهر الوضاءة أبلج الوجه أى مشرقه حسن الخلق لم تعبه نجلة ولم تزره صعلة وسيما قسيما أى حسنا فى
عينيه دعج وفى أشفاره وطف وفى صوته صحل أو قالت صهل أحور أكحل أى فى أجفان عينيه سواد
خلقة وفى عنقه سطع أى نور وفى لحيته كثاثة أى لا طويلة ولا دقيقة أزج أى رقيق طرف الحاجب
أقرن أى مقرون الحاجبين شديد سواد الشعر ان صمت فعليه الوقار وان تكلم سما به أى ارتفع على
جلسائه وعلاه البهاء أجمل الناس وأبهاهم من بعيد وأحسنهم من قريب حلو المنطق فصل لا نزر
ولا هذر كان منطقه خرزات نظم يتحدرن ربعة لا تشنؤه أى تبغضه من طول أى من فرط طوله
ولا تقتحمه عين من نظر أى لا تتجاوزه الى غيره احتيارا له غصنا بين غصنين فهو أنضر الثلاثة منظرا
وأحسنهم قدرا له رفقاء يحفون به ان قال أنصتوا لقوله وان أمر ابتدروا الى أمره محفود مخدوم محشود
له حشد وجماعة لا عابس ولا مفند أى يكثر اللوم اهـ قال هذه والله صفة صاحب قريش ولو رأيته
لأتبعته ولأجتهدن أن أفعل أى وفى الامتاع و يقال انها أى أم معبد ذبحت لهم شاة وطبختها فاكلوا
منها ووضعت لهم فى سفرتهم منها ما وسعته تلك السفرة وبقى عندها أكثر لحمها وفى الخصائص
الكبرى انه صلى الله عليه وسلم بايعها أى أسلمت قبل أن يرتحلوا عنها وفى كلام ابن الجوزى ان أم
معبد هاجرت وأسلمت وكذا زوجها هاجر وأسلم (أقول) فى شرح السنة للبغوى وهاجرت هى وزوجها
وأسلم أخوها حبيش بن الأصفر واستشهد يوم الفتح وكان أهلها يؤرخون بيوم نزول الرجل المبارك
ويقال ان زوجها خرج فى أثرهم فادركهم وبايعه ﷺ ورجع وفى الأجوبة المسكتة
لابن عون قيل لام معبد مابال صفتك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أشبه به من سائر صفات من وصفه
أى من الرجال فقالت أما علمتم ان نظر المرأة من الرجل أشفى من نظر الرجل الى الرجل وفى ربيع
الابرار للزمخشرى عن هند بنت الجون انه صلى الله عليه وسلم لما كان بخيمة خالتها أم معبد قام من
رقدته فدعا بماء فغسل يديه ثم تمضمض ومج ذلك فى عوسجة الى جانب الخيمة فاصبحت وهى أعظم

عن سعد رضى الله عنه قال لقد رأيتني أرمي بالسهم يوم أحد فيرده على رجل أبيض حسن الوجه حتى كان بعد الحرب ولم أعرفه فظننت انه ملك وصلى صلى الله عليه وسلم ظهر ذلك اليوم وهو جالس من الجراح التي أصابته صلى الله عليه وسلم وصلى المسلمون خلفه قعودا ثم نسخ وقيل ان الذين صلوا قعودا هم الذين أصابتهم الجراح وقد جاء انه وجد بطلحة رضى الله عنه بضع وسبعون جراحة من طعنة وضربة ورمية وقطعت أصبعه (٥٤) وفي رواية انامله وفي البخاري عن قيس بن أبي حازم قال رأيت يد طلحة بن عبيد الله التي وقى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم شلاء ونزف الدم بطلحة رضى الله عنه حتى غشى عليه فجاءه أبو بكر رضى الله عنه ونضح الماء فى وجهه حتى أفاق فقال مافعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أبو بكر رضى الله عنه هو بخير وهو أرسلني فقال الحمد لله كل مصيبة بعده جلل أى قليلة وأصيب فم عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه وجرح عشرين جراحة فاكثر وأصاب كعب بن مالك سبع عشرة جراحة وقتل الاصيرم بن عبد الاشهل كان يأبى الاسلام على قومه بنى عبد الاشهل فلما كان يوم خروج النبي صلى الله عليه وسلم الى أحد جاء الى المدينة فسأل عن قومه فقيل باحد فبدا له الاسلام أى رغب فيه فاسلم ثم أخذ سيفه ورمحه ولامته وركب فرسه فغدا حتى دخل فى عرض الناس أى جانبهم فقاتل حتى أثبتته الجراحة فبينما رجال من بنى عبد الاشهل يلتمسون قتلاهم فى المعركة إذا هم به فقالوا والله ان هذا الاصيرم فسألوه ماجاء بك مناصرة لقومك أم رغبة فى الاسلام فقال بل رغبة فى الاسلام آمنت بالله وبرسوله ثم جئت وقاتلت حتى أصابني ما أصابني ثم لم يلبث ان مات فى أيديهم فذكروه لرسول الله ﷺ فقال انه لمن أهل الجنة وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول حدثوني برجل دخل الجنة ولم يصل يعني الاصيرم وقتل حنظلة رضى الله عنه وهو ابن أبي عامر الراهب الذى

دوحة أى شجرة ذات فروع كثيرة وجاءت بثمر كاعظم مايكون في لون الورس ورائحة العنبر وطعم الشهد ماأكل منها جائع الا شبع ولا ظمآن الا روى ولا سقيم الا برئ ولا أكل من ورقها بعير ولا شاة الا در فكنا نسميها المباركة فاصبحنا فى يوم من الايام وقد سقط ثمرها واصفر ورقها ففزعنا لذلك فما راعنا الا نعى رسول الله ﷺ قال والعجب كيف لم يشتهر أمر هذه الشجرة كما اشتهر أمر الشاة وعن أم معبد انها قالت مر على خيمتي غلام سهيل بن عمرو ومعه قربتان فقلت ماهذا قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى مولاي يستهديه ماء زمزم فانا أعجل السير كى لا تنشف القرب أى فانه صلى الله عليه وسلم كتب إلى سهيل بن عمرو ان جاءك كتابي ليلا فلا تصبحن أو نهارا فلا تمسين حتى تبعث إلى من ماء زمزم فجاء بقربتين فملأهما من ماء زمزم وبعث بهما على بعير مولاه ازهر ولا زال كفار قريش بمكة لا يعلمون أين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر حتى سمعوا هاتفا يذكرهما ويذكر أم معبد فى أبيات منها

جزى الله رب الناس خير جزائه * رفيقين قالا خيمتي أم معبد

هما نزلا بالبر ثم ترحلا * فافلح من أمسى رفيق محمد

فعلموا توجهه ليثرب أى وفي طريق اليمن محل يقال له الدهيم وبئر أم معبد قال بعضهم وليست بام معبد التي نزل بها رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة ويجوز أن يكون الخبر الذى وصل اليهم فى اليوم الثانى من خروجه من الغار هو قول هذا الهاتف أو عقبه من شخص رآهم والى قول الهاتف أشار صاحب الهمزية بقوله

وتغنت بمدحه الجن حتى * أطرب الانس منه ذاك الغناء

أى وأظهرت الجن أوصافه ﷺ الحميدة فى صورة الغناء الذى تتولع به النفس حتى أطرب ذلك الغناء الانس حيث سمعوه وأما قول بعضهم انهم علموا ذلك من هاتف هتف بقوله

ان يسلم السعدان يصبح محمد * من الأمر لا يخشى خلاف المخالف

فقالوا السعود سعد بن بكر وسعد بن زيد مناة وسعد هذيم فلما كانت القابلة سمعوا ذلك الهاتف يقول

فيا سعد سعد الأوس كن أنت مانعا * ويا سعد سعد الخزرجين الغطارف

فقالوا سعد الاوس سعد بن معاذ وسعد الخزرجين سعد بن عبادة ففيه نظر لأن السعدين المذكورين كانا أسلما قبل ذلك فلا يحسن قوله ان يسلم السعدان (أقول) يجوز أن تكون ان هنا بمعنى إذ أى صيرورته صلى الله عليه وسلم آمنا لا يخشى خلاف المخالف لاجل اسلام السعدين أو المراد دوامهما على الاسلام على انه ذكر فى الاصل ان انشاد هذين البيتين وسماع أهل مكة له كان قبل اسلام سعد بن معاذ وذكر بعضهم ان السعود من الانصار سبعة أربعة من الاوس سعد بن معاذ وسعد بن خيثمة وسعد بن عبيد وسعد بن زيد وثلاثة من الخزرج سعد بن عبادة وسعد بن الربيع وسعد بن عثمان أبو عبيدة والله أعلم قال وتقديم قصة سراقة على قصة أم معبد هو مافى الأصل وقد التزم فيه ترتيب الوقائع وقضية الترتيب ذكر قصة

أم

سماه النبي صلى الله عليه وسلم الفاسق ويقال لأبي عامر بن صيفي وتقدم ان أبا عامر خرج من المدينة مباعدا للنبي صلى الله عليه وسلم
ثم جاء مع كفار قريش يوم أحد وكان ولده حنظلة مع النبي صلى الله عليه وسلم فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتل أبيه
فنهاه صلى الله عليه وسلم وقد دعا صلى الله عليه وسلم على أبي عامر أن يموت طريدا وحيدا فاستجاب الله دعوته فخرج إلى الشام بعد
فتح مكة فمات وحيدا طريدا قال السبكي في تائيته   ومات ابن صيفي على الصفة التي  * ذكرت وحيدا بعد طرد وغربة

وسبب قتل ابنه حنظلة رضي الله عنه انه ضرب فرس أبي سفيان فوقع الارض فصاح وعلاه حنظلة يريد ذبحه فرآه شداد بن الاوس وهو غلط والصواب شداد بن الأسود فحمل عليه فقتله فقال صلى الله عليه وسلم ان صاحبكم يعني حنظلة لتغسله الملائكة وفي رواية رأيت الملائكة تغسل حنظلة بين السماء والأرض بماء المزن في صحائف الفضة فسئلت زوجته وهي جميلة بنت عبد الله بن أبي سلول رأس المنافقين وكانت من المؤمنات الصادقات فقالت خرج جنبا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك غسلته الملائكة وكان حنظلة رضي الله عنه دخل عليها عروسا تلك الليلة التي صبيحتها وقعة أحد وكان استأذن رسول الله ﷺ في الدخول بها فلما صلى الصبح غدا يريد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلزمته فكان معها وأجنب منها ونادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج إلى العدو فعجل عن
الغسل اجابة للداعي وفي رواية انها قالت خرج وهو جنب حين سمع الهاتفة أي الصائحة بالخروج للعدو وفي رواية انه غسل أحد
شقيه ثم خرج ولم يغسل الشق الآخر فلذلك غسلته الملائكة وجاء انه التمس في القتلى فوجدوه يقطر رأسه ماء وليس بقربه ماء
تصديقا لقوله ﷺ وقد رأت زوجته تلك الليلة ان السماء فرجت فدخل ثم أطبقت وجاء انها أشهدت أربعة من قومها حين

أم معبد قبل قصة سراقة لانه الصحيح الذي صرح به جماعة اه (أقول) ومما يدل لذلك ما تقدم من
أن كفار قريش لم يعلموا أين توجه ﷺ حتى سمعوا الهاتف يذكر أم معبد وعن أسماء
بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنهما قالت لما خرج رسول الله ﷺ أتانا نفر من قريش فيهم
أبو جهل وقفوا على الباب فخرجت اليهم فقالوا أين أبوك قلت والله لا أدري فرفع أبو جهل يده
فلطم خدي لطمة خرم منها قرطي أي وفي لفظ طرح منها قرطي والقرط ما يعلق في شحمة الاذن قالت
ثم انصرفوا فمضى ثلاث ليال ولم ندر أين توجه رسول الله ﷺ إذ أقبل رجل من الجن من أسفل
مكة يغني بأبيات وان الناس ليتبعونه يسمعون صوته حتى خرج بأعلى مكة يقول جزى الله رب
الناس الابيات كذا في الأصل وفيه أن قولها لما خرج رسول الله ﷺ ظاهر في خروجه
للغار وقولها فمضى ثلاث لا ندري أين توجه يقتضي أن المراد خروجه من الغار وتقدم انهم علموا
بخروجه إلى المدينة في اليوم الثاني من خروجه من الغار وتقدم انهم لم يعلموا بذلك الا من الهاتف
فليتأمل وقد تبع الأصل في ذلك شيخه الحافظ الدمياطي حيث قدم خبر سراقة على قصة أم معبد
الا أن يقال الدمياطي لم يلتزم الترتيب فلا تحسن تبعيته وهنا قصة أخرى فيها زيادة ونقص قيل
هي قصة أم معبد وقيل غيرها وهي أنه اجتاز ﷺ بغنم فقال لراعيها لمن هذه فقال لرجل من
أسلم فالتفت ﷺ لأبي بكر وقال سلمت ان شاء الله تعالى ثم قال للراعي ما اسمك قال مسعود
فالتفت الى أبي بكر رضي الله تعالى عنه فقال سعدت ان شاء الله تعالى وفي الامتاع أو لقي بريدة بن
الحصيب الاسلمي رضي الله تعالى عنه في ركب من قومه فدعاهم الى الاسلام فأسلموا أي والحصيب
بضم الحاء المهملة وفتح الصاد وفي الشرف ان بريدة لما بلغه ما جعلته قريش لمن يأخذ النبي ﷺ
طمع في ذلك فخرج هو في سبعين من أهل بيته وفي لفظ كانوا نحو ثمانين بيتا وحينئذ يراد ببيته
قومه فلما رآه ﷺ قال له من أنت قال بريدة بن الحصيب فالتفت النبي ﷺ وقال يا أبا
بكر برد أمرنا وصلح قال ممن أنت قال من أسلم من بني سهم قال النبي ﷺ سلمنا وخرج
سهمك يا أبا بكر أي لانه صلى الله عليه وسلم كان يتفاءل ولا يتطير كما تقدم ثم قال بريدة للنبي ﷺ
من أنت قال أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب رسول الله فقال بريدة أشهد أن لا إله الا الله
وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فأسلم بريدة وكل من كان معه أي وصلوا خلفه صلى الله عليه وسلم
العشاء الآخرة ثم قال بريدة يا رسول الله لا تدخل المدينة الا ومعك لواء فحل بردة عمامته ثم شدها
في رمح ثم مشى بين يديه أي وقال له كما في الوفاء تنزل علام يا نبي الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان
ناقتي هذه مأمورة فقال بريدة الحمد لله الذي أسلمت بنو سهم يعني قومه طائعين غير مكرهين ولما
سمع المسلمون بالمدينة بخروج رسول الله ﷺ من مكة كانوا يغدون كل غداة إلى الحرة ينتظرونه
حتى يردهم حر الظهيرة (أقول) ولعل خروجهم كان في ثلاثة أيام وهي المدة الزائدة على المسافة
المعتادة بين مكة والمدينة التي كان بها في الغار والله أعلم فانقلبوا يوما بعد أن طال انتظارهم أي

أراد الخروج بانه دخل بها خشية أن يحصل له موت فيكون فى ذلك نزاع قالت لانى رأيت السماء فرجت فدخل فيها ثم أطبقت
وعلقت منه بعبدالله بن حنظلة رضى الله عنه فى تلك الليلة وعبدالله هذا هو الذى ولاه أهل المدينة عليهم و بايعوه حين خلعوا يزيد
ابن معاوية وكان ذلك سببا لوقعة الحرة ولما مثل كفار قريش بشهداء أحد لم يمثلوا بحنظلة الغسيل لكون والده معهم وهو أبو عامر
الفاسق وقد جاء ان أبا قتادة ( ٥٦ ) الأنصارى رضى الله عنه لما رأى مافعله كفار قريش بالمسلمين من التمثيل أراد أن يمثل
بقتلاهم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ان قريشا أهل أمانة من بغاهم العواثر أكبه الله على فيه وعساك ان طالت بك حياة ان تحقر عملك مع أعمالهم وفعالك مع فعالهم لولا ان تبطر قريش لأخبرتها بمالها عند الله تعالى فقال أبو قتادة والله يارسول الله ماغضبت الالله ولرسوله فقال صدقت بئس القوم كانوا لنبيهم وجاء ان النبى صلى الله عليه وسلم أراد أن يدعو عليهم أى يكرر الدعاء عليهم أو يستديم الدعاء عليهم فلا ينافى انه قد دعا عليهم فى بعض الأوقات فانزل الله ليس لك من الأمر شىء الآية فكف عن الدعاء عليهم وقال لئن ظفرت بهم لأمثلن بسبعين منهم فانزل الله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين فقال اصبر واحتسب وأقبل رجل من المشركين مقنعا
بالحديد يقول أنا ابن عويف فتلقاه رشيد الانصارى الفارسى فضربه على عاتقه فقطع الدرع وبعيرين
فقال خذها وأنا الغلام الفارسى ورسول الله صلى الله عليه وسلم يرى ذلك ويسمعه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلاقلت
خذها وأنا الغلام الأنصارى وكان قد قتله بتلك الضربة فعرض لرشيد أخو ذلك المقتول يعدو كأنه كلب وهو يقول أنا ابن عويف
فضربه رشيد على رأسه وعليه المغفر ففلق رأسه فقال خذها وأنا الغلام الأنصارى فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال

وأحرقتهم الشمس واذا رجل من اليهود صعد على أطم أى محل مرتفع من آطامهم أى من محالهم
المرتفعة لامر ينظر اليه فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مبيضين أى لانهم لقوا الزبير فى
ركب من المسلمين كانوا تجارا قافلين من الشام فكسا الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر ثيابا
بيضا كما فى البخارى وقيل ان الذى كساهما طلحة بن عبيدالله قال فى النور ولعلهما لقياه معا أو
متعاقبين فكسواه وأبا بكر ماذكر وهذا الجمع أولى من ترجيح الحافظ الدمياطى لهذا القيل ومن ثم
ذكر الحافظ ابن حجر ان هذا القيل هو الذى فى السير ومال الدمياطى إلى ترجيحه على عادته فى ترجيح
مافى السير على مافى الصحيح لكنه ذكر ان ذلك كان شأنه فى ابتداء أمره فلما تضلع من الأحاديث
الصحيحة كان يرى الرجوع عن كثير مما وافق عليه أهل السير وخالف الأحاديث الصحيحة فلما
رآهم ذلك اليهودى يزول بهم السراب أى يرفعهم ويظهرهم أى والسراب مايرى كالماء فى وسط النهار
فى زمن الحر فلم يملك اليهودى أن قال بأعلى صوته يامعشر العرب هذا جدكم أى حظكم الذى تنتظرون
أى وفى رواية فلما دنوا من المدينة بعثوا رجلا من أهل البادية إلى أبى امامة وأصحابه من الأنصار
أى ولا مانع من وجود الامرين فثار المسلمون إلى السلاح فبلغوا رسول الله ﷺ بظهر الحرة
أى وفى لفظ فوافوه وهو مع أبى بكر فى ظل نخلة ولعل تلك النخلة كانت بظهر الحرة فلا مخالفة ثم قالوا
لهما ادخلا آمنين مطمئنين وفى لفظ فاستقبله زهاء خمسمائة أى مايزيد على خمسمائة من الانصار
فقالوا اركبا آمنين مطاعين فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بقباء فى دار بنى عمرو بن عوف وذلك فى يوم
الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول على كلثوم بن الهدم أى لانه كان شيخ بنى عمرو
ابن عوف أى وهم بطن من الاوس قيل وكان يومئذ مشركا ثم أسلم وتوفى قبل بدر بيسير وقيل أسلم
قبل وصوله ﷺ المدينة أى وعند نزوله صلى الله عليه وسلم نادى كلثوم بغلام له يانجيح فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنجحت ياأبا بكر وكان يجلس للناس ويتحدث مع أصحابه فى بيت
سعد بن خيثمة أى لانه كان عزبا لا أهل له هناك أى وكان منزله يسمى منزل العزاب والعزب من الرجال
من لازوجة له ولا يقال أعزب وقيل هى لغة رديئة ( أقول ) وبذلك يجمع بين قول من قال نزل على
كلثوم وقول من قال نزل على سعد بن خيثمة ثم رأيت الحافظ الدمياطى أشار إلى ذلك والله أعلم
ونزل على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه لما قدم المدينة على كلثوم أيضا بقباء بعد أن تأخر بمكة بعده
صلى الله عليه وسلم ثلاث ليال يؤدى الودائع التى كانت عند النبى ﷺ لامره له صلى الله عليه
وسلم بذلك كما تقدم فلما توجه ﷺ الى المدينة قام على رضى الله تعالى عنه بالابطح ينادى
من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وديعة فليأت نؤدى اليه أمانته فلما نفد ذلك
ورد عليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشخوص اليه فابتاع ركائب وقدم معه الفواطم
ومعه أم أيمن وولدها أيمن وجماعة من ضعفاء المؤمنين ( أقول ) سيأتى مايخالف ذلك وهو انه
ﷺ لما نزل فى دار أبى أيوب بعث زيد بن حارثة وأبا رافع الى مكة وأعطاها خمسمائة درهم

احسنت يا أبا عبد الله وكان يومئذ لا ولد له وقتل عمرو بن الجموح وكان أعرج شديد العرج وكان له بنون أربعة مثل الأسود يشهدون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه وقالوا له قد عذرك الله فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان بنى يريدون أن يحبسونى عن الخروج معك فوالله انى أريد ان أطأ بعرجتى هذه الجنة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اما أنت فقد أعذرك الله فلا جهاد عليك وقال لبنيه ما عليكم ان لا تمنعوه لعل الله يرزقه الشهادة فأخذ سلاحه وخرج وتوجه الى القبلة وقال اللهم ارزقنى الشهادة ولا تردنى خائبا الى أهلى فقتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ان منكم من لو أقسم على الله لأبره منهم عمرو بن الجموح ولقد رأيته يطأ فى الجنة بعرجته وفى رواية انه قال يارسول الله أرأيت ان قاتلت فى سبيل الله حتى أقتل أأمشى برجلى هذه صحيحة فى الجنة فقال له صلى الله عليه وسلم كأنى أنظر اليك تمشى برجلك هذه صحيحة فى الجنة ويمكن الجمع بانه فى أول دخوله الجنة يطؤها برجله غير صحيحة ثم تصير صحيحة (وأصيبت) يوم أحد على الصحيح عين قتادة ابن النعمان الأوسى رضى الله عنه حتى وقعت على وجنته وقيل صارت فى يده فأتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ان شئت صبرت ولك الجنة وان شئت رددتها ودعوت الله فلم تفقد منها شيئا فقال يارسول الله ان الجنة لجزاء جميل وعطاء جليل ولكنى رجل مبتلى بحب النساء وأخاف ان يقلن أعور فلا يردننى ولكن تردها وتسأل الله لى الجنة فقال أفعل ياقتادة وفى رواية وانى لى امرأة أحبها وأخشى ان رأتنى ان تقذرنى فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وردها الى موضعها وقال اللهم اكسه جمالا وعند الطبرانى عن قتادة رضى الله عنه قال كنت أتقى السهام بوجهى دون وجه صلى الله عليه وسلم فكان آخرها سهما ندرت

وبعير بن يقدمان عليه بفاطمة وأم كلثوم بنته وسودة زوجته وأم أيمن وولدها أسامة الا أن يقال يجوز أن يكون الكتاب الذى فيه استدعاء سيدنا على رضى الله تعالى عنه للهجرة كان مع زيد وأبى رافع رضى الله تعالى عنهما وأنهما صحباه ولا ينافى ذلك ما تقدم من أنه صلى الله عليه وسلم تأخر بعد على رضى الله عنه بمكة ثلاث ليال يؤدى الودائع لأن تلك الليالى الثلاث كانت مدة تأدية الودائع ومكث بعدها الى أن جاءه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحينئذ يكون قدم على النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد نزوله بقباء على أم كلثوم فلا مخالفة لكن فى السيرة الهشامية فنزل أى على معه أى مع النبى صلى الله عليه وسلم على أم كلثوم وهو لا يتأتى الا على القول بانه صلى الله عليه وسلم مكث فى قباء بضع عشرة ليلة كما سيأتى وحينئذ يخالف ما سبق من مجيئه مع زيد وأبى رافع لما علمت أنه صلى الله عليه وسلم انما أرسلهما بعد أن تحول من قباء الى المدينة وفى الامتاع لما قدم على من مكة كان يسير الليل ويكمن النهار حتى تقطرت قدماه فاعتنقه النبى صلى الله عليه وسلم وبكى رحمة لما بقدميه من الورم وتفل فى يديه وأمرهما على قدميه فلم يشكهما بعد ذلك ولا مانع من وقوع ذلك من على مع وجود ما يركبه لأنه يجوز أن يكون هاجر ماشيا رغبة فى عظم الأجر وفى السيرة الهشامية ان اقامة على بقباء كانت ليلة أو ليلتين وانه رأى امرأة مسلمة لا زوج لها يأتيها انسان من جوف الليل يضرب عليها بابها فتخرج اليه فيعطيها شيئا معه فتأخذه قال على فسألتها فقالت هذا سهل بن حنيف قد عرف انى امرأة لا أحد لى فاذا أمسى غدا على أوثان قومه فكسرها ثم جاءنى بها فقال احتطبى بهذا أى اجعليه للنار فكان على يعرف ذلك لسهل بن حنيف والله أعلم قال ونزل أبو بكر على حبيب بن أبى أساف وقيل على خارجة بن زيد بالسنح بضم السين المهملة فنون ساكنة فحاء مهملة وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ولد نبيكم يوم الاثنين وحملت به أمه يوم الاثنين وخرج من مكة أى من الغار يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين قال الحاكم تواترت الاخبار ان خروجه صلى الله عليه وسلم كان يوم الاثنين ودخوله المدينة كان يوم الاثنين زاد بعضهم وفتح مكة كان يوم الاثنين ووضع الركن كان يوم الاثنين ومن الغريب ما حكاه بعضهم عن الربيع المالكى وكان بمصر كان يوم الاثنين خاصة إذا نام فيه تنام عيناه ولا ينام قلبه وقيل خرج من مكة أى الى الغار يوم الخميس وعليه يكون مكث صلى الله عليه وسلم فى الغار تلك الليلة التى هى ليلة الجمعة وليلة السبت وليلة الأحد وعليه يكون خروجه من الغار صبيحة ليلة الأحد ففى البخارى أتاهما أى الدليل براحلتيهما صبح ثلاث وتقدم ان خروجهما الى الغار كان ليلا من بيت أبى بكر وقول أبى بكر سرنا ليلتنا كلها حتى قام قائم الظهيرة يقتضى أنهما خرجا من الغار ليلا بل أول الليل لأن مع التأكيد يبعد أن يكون المراد بقية ليلتنا وتقدم عن البخارى أتاهما براحلتيهما صبح ثلاث وحمل ذلك على ما قارب الصبح من الليل بعيد فليتأمل هذا المحل وقيل دخلها أى المدينة ليلا كما فى رواية لمسلم أى وقال الحافظ ابن حجر ويجمع بان القدوم كان آخر الليل فدخلها نهارا (أقول) لعل مراد الحافظ ان الوصول كان ليلا الى قرب المدينة فأقاموا بذلك

منه حدقتي فأخذتها بيدي وسعيت بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآها في كفي دمعت عيناه فقال اللهم ق قتادة كما وقى
وجه نبيك وردها الى موضعها وقال اللهم اجعلها أحسن عينيه وأحدهما أي أقواهما نظرا فكانت لا ترمد اذا رمدت الأخرى وفى
رواية أصيبت عيناى وهو من تصرف الرواة بل قال الدارقطني ان هذه الرواية تفرد بها عمار بن نصر قال النووي وقد غلطوه
فالصواب أنها عين واحدة وروى الأصمعي عن أبي معشر قال قدم على عمر بن عبد العزيز رجل من ولد قتادة بن
النعمان فقال ممن الرجل فقال

أنا ابن الذي سالت على الخد عينه
فردت بكف المصطفى ايما رد
فعادت كما كانت لأول أمرها
فيا حسن ما عين ويا حسن ما خد

فقال عمر

تلك المكارم لا قعبان من لبن
شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

وفى رواية فقال عمر بمثل هذا فليتوسل المتوسلون ووصله وأحسن جائزته ورمى أبو رهم الغفارى واسمه كلثوم بن الحصين ابن خالد بسهم فوقع فى نحره فبصق عليه صلى الله عليه وسلم فبرىء وانقطع سيف عبدالله بن جحش فأعطاه صلى الله عليه وسلم عرجون نخلة فعاد فى يده سيفا فقاتل به حتى قتل رضى الله عنه قتله أبو الحكم بن الأخنس ابن شريق الثقفى فقتل
على رضى الله عنه أبا الحكم بعد ذلك ودفن عبدالله بن جحش هو وخاله حمزة رضى الله عنهما
فى قبر واحد وكان ذلك السيف يسمى العرجون ولم يزل يتوارث حتى بيع من بغا التركى من امراء المعتصم بن الرشيد فى بغداد بمائتى
دينار وهذا نحو حديث عكاشة السابق فى غزوة بدر الآن سيف عكاشة يسمى العون وهذا يسمى العرجون واشتغل المشركون
ذكوراً وأناثاً بقتلى المسلمين يمثلون بهم يقطعون الآذان والأنوف والفروج ويبقرون البطون وهم يظنون أنهم أصابوا رسول الله

المحل الى ان اسفر النهار وساروا اليها وصلوا الاوقت الظهيرة فلا يخالف ما تقدم وقيل دخلها يوم الجمعة
وذكر الحافظ ابن حجر أنه شاذ والله أعلم وسرى السرور الى القلوب بحلوله صلى الله عليه وسلم فى المدينة
فعن البراء رضي الله تعالى عنه قال ما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله صلى الله عليه
وسلم وعن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال لما كان اليوم الذى دخل فيه رسول الله صلى الله عليه
وسلم المدينة أضاء منها كل شيء وصعدت ذوات الخدور على الاجاجير أى الاسطحة عند قدومه صلى
الله عليه وسلم يعلن بقولهن طلع البدر علينا الخ وعن عائشة رضى الله تعالى عنها لما قدم رسول الله صلى
الله عليه وسلم المدينة جعل النساء والصبيان والولائد يقلن

طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا * ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا * جئت بالأمر المطاع

قال واستشكل بان ثنيات الوداع ليست من جهة القادم من مكة بل هى من جهة الشام فقد قال ابن
القيم فى الهدى فى غزوة تبوك ثنيات الوداع من جهة الشام لا يطؤها القادم من مكة ونقل الحافظ ابن
حجر عنه عكس ذلك وليس فى محله وأجيب بأنه صلى الله عليه وسلم جاء من جهتها في دخوله المدينة عند
خروجه من قباء اه أى وفى كلام بعضهم ما كان أحد يدخل المدينة الا منها فان لم يعبر منها مات
قبل أن يخرج لوبائها كما زعمت اليهود فاذا وقف عليها قيل قد ودع فسميت به وقيل قيل لها ثنية
الوداع لأن المودع يمشى مع المسافر من المدينة اليها وهو اسم قديم جاهلي وقيل اسلامى سمى ذلك المحل
لذلك وقيل لأن الصحابة رضى الله تعالى عنهم ودعوا فيها النساء اللاتى استمتعوا بهن في خيبر عند
رجوعهم من خيبر أو وقع توديع من خرج الى غزوة تبوك فيها أو لكونه صلى الله عليه وسلم ودع
بعض المسافرين عندها وهذا يدل على ان هذا الشعر قيل له عند دخوله المدينة لا عند دخوله قباء
وسياق بعضهم يقتضيه وسياق بعض آخر يقتضى انه كان عند دخوله قباء ومن هذا تعلم ان المدينة
تطلق ويراد بها ما يشمل قباء ومنه قولنا وسرى السرور الى القلوب بحلوله صلى الله عليه وسلم فى المدينة
فعن البراء الى آخره وهى المرادة بدخوله المدينة يوم الاثنين على ما تقدم وتطلق ويراد بها ما قابل قباء
وحينئذ تكون هذه المرادة بقول أنس لما كان اليوم الذى دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة الى آخره ولعل منه ما فى بعض الروايات المتقدمة دخل المدينة يوم الجمعة الذى حكم الحافظ ابن
حجر بشذوذه كما تقدم ولما جلس رسول الله ﷺ قام أبو بكر للناس أى وأبو بكر شيخ أى
شيبه ظاهر والنبي ﷺ شاب أى شعر لحيته أسود من كونه أسن من أبى بكر كما تقدم وقد قال
أنس لم يكن فى الذين هاجروا أشمط غير أبى بكر فطفق من جاء من الأنصار ممن لم ير رسول الله ﷺ
يحيى أبا بكر فيعرفه بالنبي صلى الله عليه وسلم حتى أصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه فعرفه الناس أى عرفه من جاءهم بعد ذلك أى لأن عدم تأثير

الشمس

صلى الله عليه وسلم واشراف أصحابه وجاء وحشي بعد ان مات حمزة رضي الله عنه وأخذ حربته وأخرج كبده وذهب به الى هند بنت عتبة وقال لها هذا كبد حمزة قاتل أبيك فاخذتها ومضغتها فلم تقدر أن تسيغها فلفظتها وأعطته ثوبها وحليها ووعدته عشر دنانير بمكة وجاء في رواية أن النساء خرجن مع هند وصرن يمثلن بقتلى المسلمين يجدعن أي يقطعن آذانهم وأنوفهم واتخذن من ذلك قلائد وكانت هند نذرت ان تأكل من قلب حمزة رضي الله عنه لكونه قتل أباها فاستخرج  لها وحشي فلذة من قلبه فلاكتها فلم تستطع بلعها فلفظتها ولما أراد أبو سفيان الانصراف أشرف على الجبل ثم صرخ باعلى صوته وقال أنعمت فعال ان الحرب سجال حنظلة بحنظلة يوم أحد بيوم بدر اعل هبل وسبب قوله ذلك انه حين أراد الخروج كتب على سهم نعم وعلى الآخر لا واجالهما عند هبل فخرج سهم نعم فتوجه الى أحد فلذا قال أعل هبل أي زد علوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه أجبه فقل الله أعلى وأجل وقوله أنعمت فعال بسكون التاء أي أجابت بنعم في فعلها البالغ ففعال معدول عن فاعلة صيغة مبالغة يعني بالغت هذه الفعلة أي الوقعة ثم قال له عمر رضي الله عنه لا سواء أي لا نستوي نحن وأنتم قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار فقال أبو سفيان لنا العزى ولا عزى لكم فقال صلى الله عليه وسلم قولوا الله مولانا ولا مولى لكم أي لا ناصر لكم قال ابن اسحق وعلت هند بنت عتبة زوج ابي سفيان على صخرة مشرفة فصرخت باعلى صوتها فقالت نحن جزيناكم بيوم بدر * والحرب بعد الحرب ذات سعر ما كان عن عتبة لي من صبر * ولا اخي وعمه وبكري شفيت نفسي وقضيت نذري * شفيت وحشي غليل صدري فشكر وحشي عليّ عمري * حتى ترم اعظمي في قبري فاجابتها هند بنت اثاثة بن عباد بن المطلب المطلبية اخت مسطح بن اثاثة فقالت

---

الشمس فيه لتظليل الغمامة كان قبل البعثة إرهاصا كما تقدم ومما يدل على ان خروجه من قباء كان يوم الجمعة قول بعضهم ولبث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني عمرو بن عوف أي في قباء بقية يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الاربعاء ويوم الخميس وخرج يوم الجمعة وقيل لبث بضع عشرة ليلة وهو المنقول عن البخاري وعن ابن عقبة أقام صلى الله عليه وسلم ثنتين وعشرين ليلة وفي الهدى أقام أربعة عشر يوما وهو ما في صحيح مسلم فليتأمل وأسس في قباء المسجد الذي أسس على التقوى أي الذي نزلت فيه الآية وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في الهدى ولا ينافي هذا قوله صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن المسجد الذي اسس على التقوى فقال مسجدكم هذا وأشار لمسجد المدينة أي وفي رواية فاخذ حصاة فضرب بها الأرض وقال مسجدكم هذا يعني مسجد المدينة لان كلا منهما مؤسس على التقوى هذا كلامه ويوافقه ما نقل عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه كان يرى كل مسجد بني بالمدينة الشاملة لقباء أسس على التقوى أي لكن الذي نزلت فيه الآية مسجد قباء وكان خروجه صلى الله عليه وسلم من قباء يوم الجمعة حين ارتفع النهار قال قيل وكان محل مسجد قباء مربدا أي محلا يجفف فيه التمر لكلثوم بن الهدم وهو أول مسجد بني في الاسلام لعموم المسلمين فلا ينافي انه بني قبله غيره من المساجد لكن لخصوص الذي بناه كالمسجد الذي بناه الصديق بفناء داره بمكة كما تقدم انتهى أي وفي كلام ابن الجوزي أول من بنى مسجداً في الاسلام عمار بن ياسر (وفي السيرة الهشامية) عن الحكم بن عيينة لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل قباء قال عمار بن ياسر مالرسول الله صلى الله عليه وسلم بد من أن يجعل له مكانا يستظل به اذا استيقظ ويصلي فيه فجمع حجارة فبنى مسجد قباء اى فانه لما جمع الحجارة اسسه صلى الله عليه وسلم واستتم بنيانه عمار فعمار أول من بنى مسجداً لعموم المسلمين قال وعن جابر لبثنا بالمدينة قبل ان يقدم النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين نعمر المساجد ونقيم الصلاة انتهى ونعمر يحتمل ان يكون بالتخفيف فيكون عطف نقيم الصلاة من عطف التفسير ويحتمل ان يكون بالتشديد فيكون بناء المساجد تعدد في المدينة قبل قدومه صلى الله عليه وسلم وفيه ان الحافظ ابن حجر قال كان بين ابتداء هجرة الصحابة وبين هجرته صلى الله عليه وسلم شهران ونصف شهر على التحرير كما تقدم اي ورواية جابر تدل على انه كان بين اجتماع الاثني عشر من الانصار به صلى الله عليه وسلم ومجيئهم الى المدينة وبين قدومه صلى الله عليه وسلم لمدينة سنتان وقد يقال ليس مراد جابر ان ابتداء المدة من قدوم الاثنى عشر عليه بل مراده ان ابتداءها من قدوم الستة عليه الذين منهم جابر والمدة تزيد على السنتين فليتأمل وهو اى مسجد قباء أول مسجد صلى فيه صلى الله عليه وسلم باصحابه جماعة ظاهرين اى آمنين وقيل ان هذا المسجد بناه المهاجرون والانصار يصلون فيه فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وورد قباء صلى فيه ولم يحدث فيه شيئا ويخالفه ما تقدم عن السيرة الهشامية وما في الطبراني بسند رجاله ثقات عن الشموس بفتح الشين المعجمة بنت النعمان رضي الله تعالى عنها قالت نظرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم ونزل وأسس المسجد مسجد قباء فرأيته

خزيت فى بدرو بعد بدر * يابنت وقاع عظيم الكفر صبحك الله غداة الفجر * بالهاشميين الطوال الزهر بكل قطاع
حسام يفرى * حمزة ليثى وعلى صقرى اذرام شيب وأبوك غدرى * فخضبا منه ضواحى النحر ونذرك السوء فشر نذر *
قال العلامة الزرقانى قال الحافظ أبو الربيع فى الاكتفاء هذا قول هند والكفر يخنقها والوتر يقلقها والحزن يحرقها والشيطان ينطقها
ثم إن الله هداها للاسلام وعبادة الله  وترك الاصنام وأخذ بحجزتها عن سوء النار ودلها على دار الاسلام فصلحت
حالها وتبدلت أقوالها حتى قالت له صلى الله عليه وسلم والله يارسول الله ماكان على الارض أهل خباء أحب الى أن يذلوا من أهل خبائك وما أصبح اليوم أهل خباء أحب الى ان يعزو من أهل خبائك وكان اسلامها واسلام زوجها أبى سفيان عام الفتح وشهد أبو سفيان غزوة الطائف وقلعت عينه فجاء بها الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له ان شئت يرجعها الله اليك أحسن مما كانت وان شئت عينا خيرا منها فى الجنة فرمى بها وقال خيرا منها فى الجنة وشهد غزوة اليرموك فى خلافة عمر رضى الله عنه وكان يحث الناس على القتال و يقول الله عباد الله أنصروا دين الله ينصركم الله ثم قلعت عينه الاخرى وتوفى بالمدينة سنة احدى أوأربع وثلاثين وهو ابن ثمان وثمانين سنة وصلى عليه عثمان رضى الله عنه
وكان أبو سفيان رضى الله عنه فى اول دخوله فى الاسلام مكرها فتألفه النبى ﷺ
حتى شرح الله صدره للهدى وحسن اسلامه هو وزوجته هند بنت عتبة وقال له العباس رضى الله عنه بعد اسلامه أين قولك أنعمت
فعال وقولك أعل هبل فقال للعباس قد أذهب الله عنا أمر الجاهلية وهدانا للاسلام فاياك أن تصغى الى طعن الطاعنين فيه أوفى
أحد من أصحاب النبى ﷺ وقد قال ﷺ الله الله فى أصحابى واصهارى وهو من أصهاره وكذلك خالد بن

يأخذ الحجر أو الصخرة حتى يصهره الحجر أى يتعبه فيأتى الرجل من أصحابه فيقول يارسول الله بأبى
أنت وأمى تعطينى أكفك فيقول لا خذ مثله حتى أسسه أى وجاء انه صلى الله عليه وسلم لما اراد بناءه قال
ياأهل قباء ائتونى بأحجار من الحرة فجمعت عنده احجار كثيرة فخط القبلة وأخذ حجرا فوضعه ثم قال
ياأبا بكر خذ حجرا فضعه الى جنب حجرى ثم قال ياعمر خذ حجرا فضعه إلى جنب حجر أبى بكر ثم قال
ياعثمان خذ حجرا فضعه الى جنب حجر عمر قال بعضهم كأنه صلى الله عليه وسلم أشار الى ترتيب الخلافة
وسيجىء فى بناء مسجد المدينة نحوه ويحتاج للجمع بين هذه الروايات وبعد تحويله صلى الله عليه وسلم
الى المدينة كان يأتيه يوم السبت ماشيا وراكبا وقال من توضأ وأسبغ الوضوء ثم جاء مسجد قباء فصلى
فيه كان له أجر عمرة وروى أى الترمذى والحاكم وصححاه عن أسيد بن حضير عن النبى صلى الله عليه
وسلم انه قال صلاة فى مسجد قباء كعمرة وفى رواية من صلى فى مسجد قباء يوم الاثنين والخميس انقلب
باجر عمرة وكان عمر رضى الله تعالى عنه يأتيه يوم الاثنين ويوم الخميس وقال لوكان بطرف من الاطراف
وفى رواية فى أفق من الآفاق لضربت اليه أكباد الابل أى وصحح الحاكم عن ابن عمر رضى الله تعالى
عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الاختلاف الى قباء ماشيا وراكبا وعن أبى سعيد
الخدرى رضى الله تعالى عنه عن أبيه قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين الى قباء
وعن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم كان يأتى مسجد قباء فيصلى فيه ركعتين وعنه قال خرجنا مع رسول
الله ﷺ الى قباء فقام يصلى فجاءته الانصار تسلم عليه فقلت لبلال كيف رأيت رسول الله
ﷺ يرد عليهم قال يشير اليهم بيده وهو يصلى أى يجعل باطنها الى أسفل وظهرها الى
فوق وقد وقعت له ﷺ الاشارة فى الصلاة برد السلام لما قدمت عليه ابنته رضى الله
تعالى عنها من الحبشة وهو يصلى فسلمت فاومأ اليها برأسه (وفى الهدى) واما حديث من أشار فى
الصلاة اشارة تفهم عنه فليعد صلاته فحديث باطل وفى كلام بعضهم قد ثبت فى الاحاديث الصحيحة
انه ﷺ كان اذا سلم عليه أحد وهو فى الصلاة أشار باصبعه المباركة جواب السلام وليس
لهذه الاحاديث معارض الاحديث مجهول وهو من أشار فى صلاته اشارة مفهمة فليعد صلاته وهذا
الحديث لا يصلح للمعارضة ولما نزل قوله تعالى فيه رجال يحبون ان يتطهروا ارسل رسول الله صلى الله
عليه وسلم يسألهم عن ذلك فقال ماهذا الطهور الذى أثنى الله عليكم به فقالوا يارسول الله ماخرج منا
رجل ولا امرأة من الغائط الاغسل فرجه فقال هو هذا وفى لفظ أتاهم رسول الله ﷺ فى
مسجد قباء أى وفى الكشاف ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال
أمؤمنون أنتم فسكت القوم ثم أعادها فقال عمر يارسول الله انهم لمؤمنون وانا منهم فقال عليه الصلاة
والسلام أتؤمنون بالقضاء قالوا نعم قال وتصبرون على البلاء قالوا نعم قال تشكرون على الرخاء قالوا نعم
قال عليه الصلاة والسلام مؤمنون ورب الكعبة فجلس وقال يامعشر الانصار ان الله عزوجل قد أثنى
عليكم فما الذى تتبعون عند الوضوء وعند الغائط أى المعبر عنه بالطهور فقالوا يارسول الله نتبع الغائط
الاحجار

الوليد وعكرمة بن أبي جهل كل منهما حضر مع كفار قريش يوم أحد وكانا من أشد الناس على المسلمين ثم أسلما وحسن اسلامهما
حتى صار خالد بن الوليد سيفا من سيوف الله صبه الله على المشركين وصار عكرمة إذا فتح المصحف يصيح ويقول هذا كلام رب
العالمين ويغشى عليه فالحمد لله الذى هدانا برسوله أجمعين وقال أبو سفيان يوم أحد الحرب سجال وفى رواية يوم لنا ويوم علينا
ويوم نساء ويوم نسر وقد قال تعالى ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام

ندولها بين الناس ثم قال أبو
سفيان انكم ستجدون فى
قتلاكم مثلة لم آمر بها ولم
تسؤنى وفى رواية والله
مارضيت وما سخطت
وما أمرت ولا نهيت ولا
أحببت ولا كرهت ولا
ساءنى ولا سرنى ويروى أن
الحليس سيد الأحابيش
مر بأبى سفيان وهو يضرب
بزج الرمح فى شدق حمزة
ويقول ذق عقق أى ذق
طعم مخالفتك لنا وتركك
الدين الذى كنت عليه
ياعاق قومه جعل اسلامه
عقوقا فقال الحليس
يابنى كنانة هذا سيد
قريش يصنع بابن عمه
ما ترون فقال أبو سفيان
اكتمها عنى فانها زلة
ثم بعد اجابة عمر لأبى
سفيان ثم قال له أبو سفيان
هلم ياعمر فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم
ائته فانظر ما شأنه فجاءه
فقال له أبو سفيان أنشدك
الله ياعمر أقتلنا محمدا قال
عمر اللهم لا وانه ليسمع
كلامك الآن قال انك
عندى أصدق من ابن
قمئة وأبر أى لأن ابن قمئة
لما قتل مصعب بن عمير ظنه النبى صلى الله عليه وسلم فقال لهم قتلت محمدا كما تقدم وفى رواية ان أبا سفيان قبل ندائه عمر نادى أفى
القوم محمد ثلاثا فنهاهم صلى الله عليه وسلم أن يجيبوه ثم قال أفى القوم ابن أبى قحافة ثلاثا ثم قال أفى القوم عمر بن الخطاب ثم أقبل على
أصحابه فقال أما هؤلاء فقد قتلوا وقد كفيتموهم اذ لو كانوا أحياء لاجابوا فما ملك عمر رضى الله عنه نفسه فقال كذبت والله ياعدو الله
ان الذى دعوت لاحياء كلهم وقد بقى لك مايسوءك ثم نادى أبو سفيان إن موعدكم بدر العام القابل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

الأحجار الثلاثة ثم نتبع الأحجار الماء فتلا النبى صلى الله عليه وسلم فيه رجال يحبون أن يتطهروا هذا
كلامه وفى رواية فقال ان الله قد أحسن اليكم الثناء فى الطهور فما هذا الطهور الذى تتطهرون به قالوا
يارسول الله ما نعلم شيئا إلا أنه كان لنا جيران من اليهود فكانوا يغسلون أدبارهم من الغائط فغسلناها
كما غسلوا وفى لفظ كنا نستنجى بالماء فى الجاهلية فلما جاء الاسلام لم ندعه قال فلا تدعوه
وفى لفظ قالوا نتوضأ للصلاة ونغتسل من الجنابة فقال هل مع ذلك غيره قالوا لا غير ان أحدنا إذا خرج
الى الغائط أحب أن يستنجى بالماء وفى رواية نستنجى من البول والغائط زاد فى رواية ولا ننام الليل كله
على الجنابة قال هو ذاك فعليكموه أى الزموه أى وفى مسند البزار عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما
أنه صلى الله عليه وسلم لما سألهم قالوا انا نتبع الحجارة الماء قال بعضهم فى اسناده ضعف وبهذا وما
تقدم عن ذكر الحجارة يرد على الامام النووى حيث قال هكذا أى ذكر الحجر مع الماء فى خبر
الانصار بقباء رواه الفقهاء فى كتبهم وليس له أصل فى كتب الحديث بل المذكور فيها أنهم قالوا كنا
نستنجى بالماء وليس فيها مع الحجر أى ويكون السكوت عن ذكر الحجر لكونه كان معلوما فعله (وفى
الخصائص الصغرى) ان مما اختص به صلى الله عليه وسلم فى شرعه وأمته الاستنجاء بالجامد وبالجمع فيه بين
الماء والحجر (ومن أهل قباء) عويمر بن ساعدة قال فى حقه صلى الله عليه وسلم نعم العبد من عباد
الله والرجل من أهل الجنة عويمر بن ساعدة أى لأنه كان أول من استنجى بالماء كما قيل أى ومن ثم
جاء تخصيصه بالسؤال فقد روى البيهقى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى عويمر بن ساعدة فقال ما هذا الطهور الذى أثنى الله عليكم به فقال يانبى الله ما خرج منا
رجل ولا امرأة من الغائط الحديث وهذا السياق ربما يقتضى ان الاستنجاء بالماء لم يكن معروفا فى غير
أهل قباء قبل نزول هذه الآية وفى كلام بعضهم أول من استنجى بالماء ابراهيم الخليل وكره بعض
الصحابة الاستنجاء بالماء وهو حذيفة ولعله لكونه فى الاستنجاء بالماء عدول عن الرخصة ونقل عن
ابن عمر أنه كان لا يستنجى بالماء ولعله لما ذكرنا وكذا ما نقل عن ابن الزبير ما كنا نفعله عن الامام أحمد أنه
لم يصح حديث فى الاستنجاء بالماء وبالغ مغلطاى فى رده وعن سيدنا مالك انكار ان النبى صلى الله
عليه وسلم استنجى بالماء ولعل المراد انكار صحة ذلك عنه صلى الله عليه وسلم فليتأمل وذكر
الاحجار فى الخبر يؤيد ظاهره ماذكره امامنا فى الام ان سنة الجمع بين الحجر والماء تتوقف على
كون الاستنجاء بالحجر كافيا لو اقتصر عليه بقوله والاستنجاء بالحجر كاف ولو أتى به أى بالاستنجاء
الكافى رجل ثم غسل بالماء كان أحب الى وانما قلنا ظاهره لامكان رجوع الضمير للاستنجاء لا بقيد
كونه كافيا والذى عليه متأخرو أصحابنا أن سنة الجمع يكتفى فيها بازالة العين ولو بحجر واحد وقد
يقال هذا محبوب وماذكره الامام أحب ولا يخفى أن حديث الانصار يقتضى اختصاص سن الجمع
بين الحجر والماء بالغائط وبه قال القفال فى كتابه محاسن الشريعة والمفهوم من نص الام أن مثل
الغائط البول ثم بعد اقامته صلى الله عليه وسلم المدة المذكورة بقباء ركب راحلته الجدعاء وقيل القصواء

لرجل من أصحابه قل نعم بيننا و بينكم موعد يعنى العام القابل ثم ارتحل القوم وساروا و بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابن أبى طالب رضى الله عنه أو سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه فقال له اخرج فى آثار القوم فانظر ماذا يصنعون وماذا يريدون فان كانوا قد جنبوا الخيل أى جعلوها منقادة بجانبهم وامتطوا الابل أى ركبوا مطاها أى ظهورها فانهم يريدون مكة وان ركبوا الخيل وساقوا الابل فانهم يريدون



المدينة والذى نفسى بيده إن أرادوها لأسيرن اليهم فيها ثم لأناجزهم قال على أو سعد ابن أبى وقاص فخرجت فى آثارهم أنظر ماذا يصنعون فجنبوا الخيل وامتطوا الابل وتوجهوا الى مكة بعد ما تشاوروا فى نهب المدينة فأشار عليهم صفوان ان لاتفعلوا فانكم لاتدرون مايغشاكم ثم بعد ذهاب القوم فزع المسلمون لقتلاهم يتفقدونهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رجل ينظر ما فعل سعد بن الربيع أفى الاحياء هو أم فى الأموات أى لان النبى صلى الله عليه وسلم رأى الاسنة قد أشرعت اليه فقال رجل من الانصار وهو ابى بن كعب رضى الله عنه أنا أنظره لك يارسول الله فقال له ان رأيت سعد بن الربيع فاقرأه منى السلام وقل له يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يجدك فنظر أبى فوجده جريحا وبه رمق أى بقية روح فقال له إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنى أن أنظر أفى الاحياء أنت أم فى الاموات فقال قد طعنت اثنتى عشرة طعنة وقد أنفذت الى مقاتلى فأبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عنى السلام وقل له ان سعد بن الربيع يقول لك جزاك الله عنا خير ماجزى الله نبيا عن أمته وأبلغ قومك عنى السلام وقل لهم ان سعد بن الربيع يقول لكم لاعذر لكم عند الله أن يخلص الى نبيكم أى يصل اليه شىء من الاذى وفيكم عين تطرف قال ثم لم أبرح حتى مات فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته خبره وفى رواية اقرأ على قومى

وتزايد

وقيل العضباء أى قاصد المدينة والجدعاء بالدال المهملة المقطوعة الأنف أو مقطوعة الاذن كلها والقصواء المقطوع طرف أذنها والعضباء المشقوقة الاذن قال بعضهم وهذه القاب ولم يكن بها أى بتلك النوق شىء من ذلك وسيأتى عن الأصل أن هذه القاب لناقة واحدة (ولما ركب صلى الله عليه وسلم) وخرج من قباء وسار سار الناس معه مابين ماش وراكب أى ولازال أحدهم ينازع صاحبه زمام الناقة شخصا أى حرصا على كرامة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما له حتى دخل المدينة قال وصار الخدم والصبيان يقولون الله أكبر جاء رسول الله ﷺ جاء محمد صلى الله عليه وسلم ولعبت الحبشة بحرابها فرحا برسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قالت بنو عمرو بن عوف له صلى الله عليه وسلم يارسول الله أخرجت ملالا لنا أم تريد دارا خيرا من دارنا قال انى أمرت بقرية تأكل القرى أى تغلبها وتقهرها والمراد أهلها أى أن أهلها تفتح القرى فيأكلون أموال أهل تلك القرى ويسبون ذراريهم خلوا سبيلها يعنى ناقته ﷺ أى ومن أسماء تلك القرية المدينة وروى الشيخان أمرت بقرية تأكل القرى يثرب وهى المدينة فالمدينة علم بالغلبة على تلك القرية كالنجم للثريا إذا أطلق فهى المرادة وإن أريد غيرها قيد والنسبة اليها مدنى ولغيرها من المدن مدينى للفرق بينهما ويثرب اسم محل فيها سميت كلها به ولعل ذلك المحل سمى بذلك لأنه نزل به يثرب من نسل نوح وفى الحديث المدينة تنفى الناس أى شرارهم كما ينفى الكير خبث الحديد وفى بعض الروايات لاتقوم الساعة حتى تنفى المدينة شرارها قيل وذلك كان فى حياته صلى الله عليه وسلم وقيل يكون ذلك فى زمن الدجال فقد جاء أن الدجال يرجف بأهلها فلا يبقى منافق ولا كافر الا اخرج اليه وفى رواية ينزل الدجال السبخة فترجف المدينة ثلاث رجفات يخرج الله منها كل منافق وكافر وبهذا استدل من قال كون المدينة تنفى الخبث ليس عاما فى الأزمنة ولا فى الأشخاص لأن المنافقين كانوا بها وخرج منها جماعة من خيار الصحابة منهم على وطلحة والزبير وأبو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل وعبد الله بن مسعود وفى كلام ابن الجوزى أن عبد الله بن مسعود مات بالمدينة وقد قال ﷺ أى أرض مات بها رجل من أصحابى كان قائدهم ونورهم يوم القيامة وفى رواية فهو شفيع لأهل تلك الأرض وأما قوله ﷺ والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون أى خير لهم من بلاد الرخاء بدليل صدر الحديث يأتى على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه وقريبه هلم الى الرخاء هلم الى الرخاء والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون والذى نفسى بيده لايخرج أحد منها رغبة عنها إلا أخلف الله من هو خير منه أى من خرج منها رغبة عنها الى غيرها من بلاد الرخاء والسعة فلا دليل فى ذلك على أنها أفضل من مكة ومن أسمائها أكالة البلدان ومن أسمائها البارة بتشديد الراء وتسمى الفاضحة لأن من أضمر فيها شيئا أظهر الله ما أضمره وافتضح به أى فالمراد أضمر شيئا من السوء وقد قال ﷺ من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله تعالى هى طابة كشامة هى طابة هى طابة قال ذلك ثلاثا وفى رواية فليستغفر الله فليستغفر الله فليستغفر الله هى طيبة كهيبة هى طيبة هى طيبة هى طائب ككاتب قيل وانما سميت طيبة لطيب رائحة من مكث بها

السلام وقل لهم يقول لكم سعد بن الربيع الله الله وما عاهدتم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة فوالله ما لكم عند الله عذر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمه الله نصح لله ولرسوله حيا وميتا ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتمس عمه حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه فقال له رجل رأيته بتلك الصخرات وهو يقول أنا أسد الله وأسد رسوله اللهم انى أبرأ اليك مما جاء به هؤلاء النفر يعنى أبا سفيان وأصحابه وأعتذر اليك مما صنع هؤلاء أى بانهزامهم فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو حمزة فوجده ببطن الوادى قد بقر بطنه ومثل به فجدع أنفه وقطعت أذناه ومذا كيره فنظر صلى الله عليه وسلم الى شىء لم ينظر الى شىء قط كان أوجع لقلبه منه وقال أصاب بمثلك ما وقفت موقفا أغيظ لى من هذا وقال رحمة الله عليك فقد كنت فعولا للخيرات وصولا للرحم أما والله لأمثلن بسبعين منهم ولما رأى المسلمون جزع رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمه قالوا لئن أظفرنا الله بهم يوما من الدهر لنمثلن بهم مثلة لم يمثل بها أحد من العرب فانزل الله تعالى على النبي صلى الله عليه وسلم وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون فصبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى عن المثلة وكفر عن يمينه وفى كلام بعضهم ان هذه الآية مكية قال الحلبي يجوز ان تكون مما تكرر نزوله وعن ابن مسعود رضى الله عنه ما رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم باكيا أشد من بكائه على حمزة رضى الله عنه فانه وضعه فى القبلة ثم وقف على جنازته وانتحب حتى شهق وبلغ به الغشى وقال ياعم رسول الله وأسد الله وأسد رسوله ياحمزة يا فاعل الخيرات ياحمزة يا كاشف الكربات ياحمزة ياذاب عن وجه رسول الله وقال ذلك لامع البكاء فلا يقال هذا من الندب المحرم وهو تعديد محاسن الميت لان ذلك مخصوص بما اذا قارنه البكاء وليس من نعى

وتزايد روائح الطيب بها ولا يدخلها طاعون ولا دجال ولا يكون بها مجذوم أى لان ترابها يشفى من الجذام وتسميتها يثرب القرآن انما هو حكاية لقول المنافقين أى بعد نهيهم عن ذلك وقوله صلى الله عليه وسلم لا أراها الا يثرب أى ونحو ذلك من كل ما وقع فى كلامه صلى الله عليه وسلم من تسميتها بذلك كان قبل النهى عن ذلك انتهى أى وجاء الايمان ليأزر الى المدينة كما تأزر الحية الى جحرها ويأزر بكسر الزاى أى ينضم ويجتمع بعضه الى بعض وفى رواية ان الاسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدا يأزر كما تأزر الحية الى جحرها وانما كرهت تسميتها بيثرب لان يثرب مأخوذ من التثريب وهو المؤاخذة بالذنب ومنه قوله تعالى لا تثريب عليكم اليوم أو من الثرب بالتحريك وهو الفساد وعن القاسم بن محمد قال بلغنى ان للمدينة فى التوراة اربعين اسما وقيل احد عشر من جملتها سكينة أى ومن جملتها الجابرة أى التى تجبر والعذراء والمرحومة وفى كلام بعضهم لها نحو مائة اسم منها دار الاخيار ودار الابرار ودار الايمان ودار السنة ودار السلامة ودار الفتح قال الامام النووى لا يعرف فى البلاد أكثر اسما منها ومن مكة ومما يدل على ان خروجه صلى الله عليه وسلم من قباء متوجها الى المدينة كان يوم الجمعة قول بعضهم وعند مسيره صلى الله عليه وسلم الى المدينة ادركته صلاة الجمعة فى بنى سالم بن عوف فصلاها فى المسجد الذى فى بطن الوادى بمن معه من المسلمين وهم مائة وصلاها بعد ذلك فى المدينة وكانوا به صلى الله عليه وسلم اربعين فعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه انه صلى الله عليه وسلم جمع بالمدينة وكانوا اربعين رجلا أى ولم يحفظ انه صلاها مع النقص عن هذا العدد ومن حينئذ صلى الجمعة فى ذلك المسجد سمى هذا المسجد بمسجد الجمعة وهو على يمين السالك نحو قباء فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة أى وخطب لها وهى أول خطبة خطبها فى الاسلام أى ومن خطبته تلك فمن استطاع ان يقى وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ومن لم يجد فبكلمة طيبة فانها تجزى الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ورحمة الله وبركاته وفى رواية والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ونقل القرطبي هذه الخطبة فى تفسيره وأوردها جميعها فى المواهب وليس فيها هذا اللفظ (أقول) هذا واضح ان كان أقام فى قباء الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس كما تقدم واما على انه صلى الله عليه وسلم أقام بضع عشرة ليلة أو أكثر من ذلك كما تقدم فيبعد أنه لم يصل الجمعة فى قباء فى تلك المدة ثم رأيت فى كلام بعضهم انه كان يصلى الجمعة فى مسجد قباء فى اقامته هناك أى ويبعد انه صلاها من غير خطبة وفى الجامع الصغير ان الله كتب عليكم الجمعة فى مقامى هذا فى ساعتى هذه فى مشهدى هذا فى عامى هذا إلى يوم القيامة من تركها من غير عذر مع امام عادل أو امام جائر فلا جمع له شمله ولا بورك له فى أمره ألا ولا صلاة له ولا حج له ألا ولا بركة له ولا صدقة له فان كان قال ذلك فى هذه الخطبة التى خطبها فى مسجد الجمعة كما هو المتبادر اقتضى ذلك انها لم تكن واجبة قبل ذلك وهو مخالف قول فقهائنا انها وجبت بمكة ولم تقم بها لعدم قدرتهم على اظهارها بمكة لان إظهارها أقوى من اظهار جماعة الصلوات الخمس وفى الاتقان مما تأخر حكمه عن نزوله آية الجمعة فانها مدنية والجمعة

الجاهلية المكروه وهو النداء بذكر محاسن الميت لان محل كراهته اذا كان على وجه التفاخر والتعاظم ولم يكن وصفا لنحو صالح للحث على سلوك طريقته وقال صلى الله عليه وسلم جاءنى جبريل فاخبرنى أن حمزة مكتوب فى أهل السموات السبع حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله وأمر رسول الله ﷺ الزبير أن يرجع أمه صفية أخت حمزة عن رؤيته فقال لها يا أمة الله ان رسول الله ﷺ يأمرك ان ترجعى فدفعت فى صدره وقالت له لم وقد بلغنى انه مثل باخى وذلك فى



الله فما أرضانى بما كان فى الله من ذلك أى أنا أشد رضا بذلك من غيرى لأحتسبن ولأصبرن ان شاء الله تعالى فجاء الزبير فاخبر النبى صلى الله عليه وسلم بذلك فقال خل سبيلها فجاءت واسترجعت واستغفرت له وفى رواية ان صفية لقيت عليا والزبير رضى الله عنهما فقالت لهما ما فعل حمزة فارياها انهما لايدريان أى رحمة بها فجاءت الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال انى اخاف على عقلها فوضع يده الشريفة على صدرها ودعا لها فاسترجعت وبكت لما رأته وفى رواية أنها لما منعها على والزبير رضى الله عنهما قالت لا أرجع حتى أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأته قالت يارسول الله أين ابن أمى حمزة قال صلى الله عليه وسلم هو فى الناس قالت لا أرجع حتى انظر اليه فجعل الزبير يمنعها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعها فلما رأته بكت فصارت كلما بكت بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أمر به فسجى ببرده وفى رواية قال ألا كفن فرمى رجل من الانصار بثوبه عليه ثم قام آخر فرمى بثوبه عليه فقال ياجابر هذا الثوب لابيك وهذا لعمى وفى رواية جاءت صفية بثوبين معها لحمزة فكان لحمزة أحدهما والآخر لرجل من الانصار ولعله والد جابر رضى الله عنه وفى رواية كفن حمزة رضى الله عنه بنمرة كانوا اذا مدوها على رأسه انكشفت رجلاه وان مدوها على رجليه انكشفت رأسه فمدوها

فرضت بمكة وقول ابن الغرس ان اقامة الجمعة لم تكن بمكة قط يرده ما أخرجه ابن ماجه عن عبد الرحمن ابن كعب بن مالك قال كنت قائد أبى حين ذهب بصره فكنت اذا خرجت به الى الجمعة فسمع النداء يستغفر لابى امامة أسعد بن زرارة فقلت يا ابتاه أرأيت صلاتك على أسعد بن زرارة كلما سمعت النداء بالجمعة لم هذا قال أى بنى كان أول من صلى بنا الجمعة قبل ان يقدم رسول الله ﷺ من مكة هذا كلامه وليتأمل ماوجه الرد من هذا وجاء صلاة الجمعة بالمدينة كألف صلاة فيما سواها وصيام شهر رمضان فى المدينة كصيام ألف شهر فيما سواها كذا فى الوفاء عن نافع عن ابن عمر وأول قرية صليت فيها الجمعة بعد المدينة قرية عبد القيس بالبحرين وهل كانت الخطبة قبل الصلاة أو بعدها فى الدرانه صلى الله عليه وسلم كان وهو بالمدينة يخطب الجمعة بعد ان يصلى مثل العيدين فبينما هو يخطب يوم الجمعة فاذا قدمت عير دحية الكلبى وكان اذا قدم يخرج أهله للقائه بالطبل واللهو ويخرج الناس للشراء من طعام تلك العير والتفرج عليها وقيل للتفرج على وجه دحية فقد قيل كان اذا قدم دحية المدينة لم تبق معصر الاخرجت لتنظر اليه لفرط جماله ولامانع ان يكون ذلك لاجتماع الامرين فانفض الناس ولم يبق معه ﷺ الانحواثنى عشر رجلا والجلال المحلى فى قطعة التفسير اسقط لفظ نحو أى وانفضاض ماعدا هؤلاء يحتمل ان يكون بعد ذلك فى حال الخطبة قبل تمام الاركان ويحتمل ان يكون بعد ذلك وعلى الاول يجوز ان يكون رجع ممن انفض ما يكمل به العدد أربعين قبل طول الفصل وقد اعاد صلى الله عليه وسلم مالم يسمعوه من أركان الخطبة عند انفضاضهم فلا يخالف ماذهب اليه امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه من وجوب سماع اربعين لأركان الخطبة قال مقاتل بلغنى انهم فعلوا ذلك أى الانفضاض عند الخطبة ثلاث مرات فانزل الله تعالى واذا رأوا تجارة أو لهوا الآية ثم صار ﷺ يخطب قبل ان يصلى أى ليحافظ الناس على عدم الانفضاض لاجل الصلاة وعليه انعقد الاجماع فلا نظر لمخالفة الحسن البصرى وحينئذ يكون قول بعض فقهائنا استدلالا على وجوب تأخر صلاة الجمعة عن الخطبتين يثبت صلاته ﷺ بعد خطبتين أى استقر ثبوت ذلك وعن الزهرى بلغنا عن رسول الله ﷺ انه كان يقول اذا خطب أى فى غير الخطبة المتقدمة كل ماهو آت قريب لابعد لما هو آت لايعجل الله لعجلة أحد ولايخف لامر من الناس يريد الناس أمراً ويريد الله أمرا فما شاء الله كان لاماشاء الناس وماشاء الله كان ولو كره الناس لامبعد لما قرب الله ولامقرب لما بعد الله ولايكون شىء الا باذن الله والله أعلم ثم ركب ﷺ راحلته بعد الجمعة متوجها للمدينة أى وقد أرخى زمامها ولم يحركها وهى تنظر يمينا وشمالا فسأله بنو سالم منهم عتبان بكسر العين المهملة ابن مالك ونوفل بن عبد الله بن مالك وعبادة بن الصامت فقالوا يارسول الله أقم عندنا فى العدد والعزة والمنعة وفى لفظ والثروة وفى لفظ انزل فينا فان فينا العدد والعدة والحلقة أى السلاح ونحن أصحاب الحدائق والدرك يارسول الله كان الرجل من العرب يدخل هذه البحيرة خائفا فليلجأ الينا فقال لهم خيرا وقال خلوا سبيلها يعنى ناقته دعوها فانها مأمورة أى وفى رواية انها

مأمورة

على رأسه وجعلوا على رجليه الاذخر وفى رواية الحرمل وعن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال قتل مصعب بن عمير يوم أحد
وكفن فى بردة ان غطى بها رأسه بدت رجلاه وان غطى بها رجلاه بدا رأسه وفى رواية قتل مصعب بن عمير فلم يترك الا نمرة اذا غطينا
بها رجليه خرج رأسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غطوا بها رأسه واجعلوا على رجليه الاذخر وكان مصعب بن عمير قبل
الاسلام فتى مكة شبابا وجمالا ولباسا وعطرا فلما أسلم رضى الله عنه تقشف  وعن عبد الرحمن بن عوف رضى الله
عنه أنه كان يوما صائما فجىء له بطعامه فقال قتل مصعب بن عمير وهو خير منى فلم يوجد له ما يكفن فيه الا بردة ان غطى بها رأسه بدت رجلاه وان غطى بها رجلاه بدا رأسه وقد بسط لنا من الدنيا ما بسط وأعطينا منها ما أعطينا وخشيت أن تكون عجلت لنا طيباتنا فى حياتنا الدنيا ثم جعل يبكى حتى ترك الطعام وعن أنس رضى الله عنه قال قلت الثياب وكثرت القتلى يوم أحد فكان الرجل والرجلان والثلاثة فى الثوب الواحد ثم يدفنون فى القبر الواحد وقال صلى الله عليه وسلم فى حق حمزة لولا أن تجزع صفية ونساؤنا أى يتطاول جزعهن وفى رواية لولا تجد صفية فى نفسها ويكون سنة من بعدى لتركنا حمزة ولم ندفنه حتى يحشر فى بطون الطير والسباع وفى رواية حتى تأكله العافية ويحشر فى بطونها لشدة غضب الله
على من فعل به ذلك ثم صلى عليه فكبر أربع تكبيرات ثم أتى بالقتلى يوضعون إلى جنب
حمزة رضى الله عنه واحدا بعد واحد فيصلى على كل واحد منهم مع حمزة ثم يرفع ويؤتى بآخر فصلى عليهم وعليه حتى صلى عليه ثنتين
وسبعين صلاة ولم يغسلهم وفى رواية ولم يصل عليهم وهذا هو الذى فى صحيح البخارى ولفظه أمر النبى ﷺ بدفن شهداء
أحد ولم يصل عليهم ولم يغسلوا وهو أثبت من روايات صلاته عليهم أو ان الصلاة بمعنى الدعاء وحملوا على ذلك أيضا حديث عقبة بن

مأمورة خلوا سبيلها وهو يتبسم و يقول بارك الله عليكم فانطلقت حتى وردت دار بنى بياضة أى محلتهم
أى والمراد القبيلة فسأله بنو بياضة أى ومنهم زياد بن لبيد وفروة بن عمرو بمثل ما تقدم وأجابهم
بأنها مأمورة خلوا سبيلها فانطلقت حتى وردت دار بنى ساعدة أى ومنهم سعد بن عبادة والمنذر بن
عمرو وأبو دجانة فسأله بنو ساعدة بمثل ذلك وأجابهم بخلوا سبيلها فانها مأمورة فانطلقت حتى مرت
بدار عدى بن النجار وهم أخواله ﷺ أى أخوال جده عبد المطلب كما تقدم أى بأوائل دورهم فسأله
بنو عدى بن النجار أى أولئك الطائفة منهم بمثل ما تقدم أى وفى رواية انهم قالوا له نحن أخوالك هلم
إلى العدة والمنعة والعزة مع القرابة لا تجاوزنا الى غيرنا يا رسول الله أى زاد فى رواية لا تجاوزنا ليس أحد
من قومنا أولى بك منا لقرابتنا وأجابهم بأنها مأمورة فانطلقت حتى بركت فى محل من محلات بنى النجار
وذلك فى محل المسجد أى محل بابه أو فى محل المنبر الآن وذلك عند دار بنى مالك بن النجار وعند باب أبى
أيوب الأنصارى أى واسمه خالد بن زيد النجار الأنصارى الخزرجى شهد العقبة وسائر المشاهد مع
رسول الله ﷺ وكان مع على بن أبى طالب من خاصته شهد معه الجمل وصفين والنهروان وغزا
أيام معاوية أرض الشام مع يزيد بن معاوية سنة خمسين وقيل إحدى وخمسين فتوفى عند مدينة
قسطنطينية فدفن هناك وأمر يزيد بالخيل فجعلت تقبل وتدبر على قبره حتى خفى أثر القبر خوفا أن
تنبشه الكفار فكان المشركون اذا أمحلوا كشفوا عن قبره فيمطروا فلم ينزل عنها ﷺ ثم وثبت
وسارت غير بعيد ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع لها زمامها ثم التفتت خلفها ورجعت إلى
مبركها فبركت فيه وتحلحلت أى بالجيم تضعضعت ووضعت جرانها أى باطن عنقها من المذبح إلى
المنحر وارزمت أى صوتت من غير أن تفتح فاها فنزل عنها صلى الله عليه وسلم وقال رب انزلنى منزلا
مباركا وأنت خير المنزلين أى قال ذلك أربع مرات وأخذه ﷺ الذى كان يأخذه عند الوحى
أى وسرى عنه وقال هذا إن شاء الله يكون المنزل أى وأمر أن يحط رحله وفى لفظ ان أبا أيوب قال له ائذن
لى أن أنقل رحلك فأذن له واحتمل أبو أيوب رحله فوضعه فى بيته أى وجاء أسعد بن زرارة فأخذ بزمام
راحلته فكانت عنده أى وذكر بعضهم ان أبا أيوب لما نقل رحله أناخ الناقة فى منزله وقد يقال لا مخالفة
لجواز أن يكون أسعد أخذ بزمامها بعد ذلك فكانت عنده أى وعن أبى أيوب رضى الله تعالى عنه لما
قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة اقترعت الأنصار أيهم يأويه فقرعتهم الحديث وقد يقال مراده
بالأنصار أهل تلك المحلة التى بركت فيها الناقة (وذكر السهيلى) أنها لما ألقت جرانها فى دار بنى النجار
أى فى محل من محلاتها جعل رجل من بنى سلمة وهو جبار بن صخر أى وكان من صالحى المسلمين
ينخسها رجاء أن تقوم فينزل فى دار بنى سلمة فلم تفعل وجاء أنه ﷺ قال خير دور الأنصار بنو
النجار ثم بنو عبد الأشهل ثم بنو الحرث ثم بنو ساعدة وفى كل دور الأنصار خير ولما بلغ ذلك سعد بن
عبادة وجد فى نفسه وقال خلفنا فكنا آخر الأربع أسرجوا لى حمارى آتى رسول الله ﷺ
فكلمه ابن أخته سهل فقال أتذهب لترد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه

عامر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى على قتلى أحد بعد ثمان سنين صلاته على الميت أى دعا لهم كدعائه للميت كالمودع للأحياء والأموات حين قرب أجله فذلك توديع لهم بذلك قال السهيلى لم يروعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه صلى على شهيد فى شىء من مغازيه إلا هذه الرواية فى أحد وكذلك لم يصل على الشهداء أحد من الأئمة بعده ثم جاء ان حنظلة كان جنبا فغسلته الملائكة كما تقدم  * وممن مثل به عبد الله بن جحش رضى الله عنه بدعوة دعاها على نفسه فقال قبل أحد بيوم اللهم ارزقنى غدا رجلا شديدا بأسه فيقتلنى ثم يجدع أنفى و يقطع أذنى فاذا لقيتك قلت ياعبد الله فيم جدع أنفك وأذنك فأقول فيك وفى رسولك فيقول الله صدقت وهذا ليس من تمنى الموت المنهى عنه لأن المنهى عنه أن يكون ذلك لضر نزل به وتقدم أن عبد الله ابن جحش انقطع سيفه يوم أحد فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عرجون نخلة فصار سيفا فى يده وكان يسمى العرجون ودفن هو وخاله حمزة بن عبد المطلب فى قبر واحد وانما كان حمزة خاله لأن أم عبد الله أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم وكان القاتل له كما تقدم أبو الحكم بن الأخنس بن شريق الثقفى وأبو الحكم هذا قتل كافرا فى ذلك اليوم أعنى يوم أحد قتله على رضى الله عنه كما تقدم وقال صلى الله عليه وسلم ادفنوا عبد الله بن عمر وهو وعمرو بن الجموح فى قبر واحد لما بينهما من الصفا وعبد الله بن عمر وهذا هو والد جابر رضى الله عنه وكان عمرو بن الجموح متزوجا بعمة جابر أخت عبد الله بن عمر وجاء ان عبد الله بن عمر والد جابر رضى الله عنه أصابه جرح فى وجهه ومات و يده على جرحه فأميطت يده عن وجهه فانبعث الدم فردت يده الى مكانها فسكن وحفر السيل قبر عبد الله بن عمرو هذا وهو أيضا قبر عمرو بن الجموح فوجدا طريين لم يتغيرا كأنما ماتا بالامس فأزيلت يد عمرو عن

---

وسلم أعلم أو ليس حسبك أن تكون رابع أربع فرجع وقال الله ورسوله أعلم وأمر بحماره فخلى عنه وفى رواية قال له اجلس ألا ترضى أن سماك رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الأربع الدور التى سمى فمن ترك فلم يسم أكثر ممن سمى فانتهى سعد بن عبادة عن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرجت جويريات من بنى النجار بالدفوف يقلن

نحن جوار من بنى النجار * ياحبذا محمد من جار

فخرج اليهن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أتحببننى وفى رواية أتحبوننى قلن نعم يارسول الله فقال الله يعلم ان قلبى يحبكن وفى رواية والله أحبكم وفى رواية وأنا والله أحبكم وأنا والله أحبكم وأنا والله أحبكم قال ذلك ثلاثا وهذا دليل لسماع الغناء على الدف من المرأة لغير العرس و يدل لذلك أيضا ماجاء عن ابن عباس مرفوعا ان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم جلسوا سماطين وجاءت جارية يقال لها سيرين معها مزهر تختلف به بين القوم وهى تغنيهم وتقول

هل على و يحكم * ان لهوت من حرج

فتبسم النبى صلى الله عليه وسلم وقال لاحرج ان شاء الله تعالى ومار وى عن عائشة رضى الله تعالى عنها دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندى جاريتان من جوارى الأنصار يغنيان وفى رواية يضربان بدفين فاضطجع ﷺ على الفراش وحول وجهه ودخل أبو بكر رضى الله تعالى عنه فانتهرنى فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دعها وفى رواية قال أبو بكر بمزمور وفى رواية بمزمار وفى لفظ بمزمارة الشيطان فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك مرتين وانتهرنى وكان ﷺ متغشيا بثوبه فكشف النبى صلى الله عليه وسلم عن وجهه الشريف فقال دعها ياأبا بكر فانها أيام عيد أى لأن تلك كانت أيام منى وقيل كان يوم عيد الفطر وقيل الأضحى ولا مانع من تعدد الواقعة (أقول) فى البخارى عن الربيع بنت معوذ أنه صلى الله عليه وسلم دخل عليها غداة بنى عليها وعندها جويريات يضربن بالدف يندبن من قتل من آبائهن يوم بدر حتى قالت جارية وفينا نبى يعلم مافى غد فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم لاتقولى هكذا وقولى ما كنت تقولين وفى حديث أبى هريرة أن النبى ﷺ خرج فى بعض مغازيه فلما انصرف جاءت جارية سوداء فقالت يارسول الله انى كنت نذرت ان ردك الله سالما أن أضرب بين يديك بالدف فقال لها ان كنت نذرت فاضربى فجعلت تضرب فدخل أبو بكر وهى تضرب ثم دخل عمر فألقت الدف تحتها وقعدت عليه فقال النبى ﷺ ان الشيطان ليفرق منك يا عمر إنى كنت جالسا وهى تضرب ودخل أبو بكر وهى تضرب فلما دخلت أنت ألقت الدف أى وإذا كان الشيطان يخاف منك فما بالك بامرأة ضعيفة العقل ولا ينافى هذا أى سماعه الغناء من المرأة مع الضرب على الدف ماتقدم فى باب ماحفظ به ﷺ فى صغره من أمر الجاهلية لأن الدف ثم كان معه مزمار بخلافه هنا وتسمية أبى بكر رضى الله تعالى عنه الدف مزمار الأنه كان يعتقد حرمة ذلك فشبهه بالمزمار المحرم سماعه

(قال

(قال بعضهم) واعلم أن السماع فى طريق القوم معروف وفى الجواذب الى المحبة معدود وموصوف وقال بعض آخرانه من أكبر مصايد النفوس أى والرجوع بها الى الله تعالى وقد شوهد تأثير السماع فى الحيوانات غير الناطقة بل فى الاشجار ومن لم يحركه السماع فهو فاسد المزاج غايظ الطبع وعن أبى بشر أن النبي ﷺ وأبا بكر مرا بالحبشة وهم يلعبون ويرقصون ويقولون

يا ايها الضيف المعرج طارقا * لولا مررت بآل عبد الدار

لولا مررت بهم تريد قراهم * منعوك من جهد ومن اقتار

أى ولم ينكر عليهم وبه استدل أئمتنا على جواز الرقص حيث خلا عن التكسر فقد صحت الاخبار وتواترت الآثار بانشاد الاشعار بين يديه ﷺ بالاصوات الطيبة مع الدف وبغيره وبذلك استدل أئمتنا على جواز الضرب بالدف ولو فيه جلاجل لما هو سبب لاظهار السرور وعلى جواز إنشاد الشعر واستماعه حيث خلا عن هجو لغير نحو فاسق متجاهر بفسقه وخلا عن تشبب بمعين من امرأة أو غلام والخلاف إنما هو فى سماع الملاهى كالاوتار والمزامير وخوف الفتنة من سماع صوت المرأة أو الامرد الجميل (ونقل) عن الجنيد أنه قال الناس فى السماع أى سماع الآلات على ثلاثة أضرب العوام وهو حرام عليهم لبقاء نفوسهم والزهاد وهو مباح لهم لحصول مجاهداتهم والعارفون وهو مستحب لهم لحياة قلوبهم وذكر نحوه أبو طالب المكى وصححه السهروردى فى عوارف المعارف وفى كلام بعضهم جبلت النفوس حتى غير العاقلة على الاصغاء الى ما يحسن من سماع الصوت الحسن فقد كانت الطيور تقف على رأس داود عليه الصلاة والسلام لسماع صوته لكن يشكل على ذلك ما أخرجه ابن أبى شيبة عن صفوان بن أمية وهو من المؤلفة قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ جاء عمر بن قرة فقال يارسول الله إن الله كتب على الشقوة فلا أنال الرزق إلا من دفى بكفى فأذن لى فى الغناء من غير فاحشة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا اذن لك ولا كرامة ولا نعمة كذبت أى عدو الله أى ياعدو الله والله لقد رزقك الله طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما أحل الله لك من حلاله أما انك لو قلت بعد كهذه المقالة لضربتك ضربا وجيعا إلا أن يقال هذا النهى إن صح محمول على من يتخذ ضرب الدف حرفة وهو مكروه تنزيها وقوله ﷺ اخترت ما حرم الله عليك الى آخره للمبالغة فى التنفير عن ذلك (ونزل النبي صلى الله عليه وسلم) على أبى أيوب وقال المرء مع رحله أى بعد أن قال أى بيوت أهلنا يعنى أهل تلك المحلة من بنى النجار أقرب فقال أبو أيوب دارى هذه وقد حططنا رحلك فيها فذهبت تلك الكلمة أى التى هى المرء مع رحله مثلا وقال اذهب فهيىء لنا مقيلا فذهب فهيأ ذلك ثم جاء فقال يانبى الله قد هيأت مقيلا فقم على بركة الله تعالى ونزل معه صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة رضى الله تعالى عنه (أقول) وفى رواية فتنازع القوم أيهم ينزل عليه أى كل يحرص على أن تكون داره له منزلا أى مقاما فقال رسول الله ﷺ أنزل الليلة على بنى النجار أخوال عبد المطلب لأكرمهم بذلك فلما أصبح غدا حيث أمر وحينئذ يكون قوله صلى الله عليه وسلم أنزل الليلة أى غد

جرحه ثم أرسلت فرجعت وكان ذلك بعد الوقعة بست وأربعين سنة وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أنه قال استصرخنا الى قتلانا بأحد وذلك حين أجرى معاوية رضى الله عنه العين وسط مقبرة شهداء أحد وأمر الناس بنقل موتاهم فأتيناهم فأخرجناهم طرايا تتثنى أطرافهم وذلك على رأس أربعين سنة وأصابت المسحاة قدم حمزة رضى الله عنه فانبعث الدم وذكر أنه فاح من قبورهم مثل المسك وفى لفظ على رأس خمسين سنة مع أن أرض المدينة سبخة يتغير الميت فى قبره من ليلة وانما لم يتغيروا لأن الأرض لا تأكل لحوم شهداء المعركة كالأنبياء عليهم الصلاة والسلام وزاد قارىء القرآن والعالم العامل ومحتسب الأذان ويدل له حديث الطبرانى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما المؤذن المحتسب كالمتشحط فى دمه لا يدود فى قبره أى كشهيد المعركة لا يأكله الدود وقد نظم هؤلاء الشيخ التتائى المالكى فقال

لم تأكل الأرض جسما للنبي ولا

لعالم وشهيد قتل معترك

ولا لقارىء قرآن ومحتسب

آذانه لاله مجرى الفلك

ودفن خارجة بن زيد وسعد بن الربيع فى قبر واحد لانه كان ابن عمه وذكر أن خارجة أخذته الرماح فجرح بضعة عشر جرحا فمر به صفوان بن أمية بن خلف فعرفه فأجهز عليه وقال الآن شفيت نفسى حين قتلت الاماثل من أصحاب محمد قتلت خارجة بن زيد وقتلت زيد بن أرقم وقتلت أبا نوفل وصفوان هذا أسلم عام الفتح رضى الله عنه وحمل أناس موتاهم ليدفنوهم بالمدينة فجاءهم منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ردوا القتلى الى مضاجعهم فأدرك المنادى واحداً لم يكن يدفن فردوه ومن دفن أبقوه وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال فى قتلى أحد أنا شهيد على هؤلاء وما من جريح يجرح فى الله إلا والله يبعثه يوم القيامة يدمى جرحه اللون لون الدم والريح ريح المسك وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أصيب اخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم فى أجواف طير

خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وحسن مقيلهم قالوا ياليت اخواننا يعلمون ماصنع الله بنا لئلا يزهدوا فى الجهاد ولا ينكلوا أى يمتنعوا عن الحرب فقال الله أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون  بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم أن لاخوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين وقال النبى ﷺ لجابر رضى الله عنه إن الله كلم أباك كفاحا فقال سلنى أعطك فقال ان أرد الى الدنيا فاقتل فيك ثانية فقال الرب عز وجل انه سبق أنهم لا يرجعون الى الدنيا قال أى رب فأبلغ من ورائى فأنزل الله ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا الآية وعن جابر ابن عبد الله رضى الله عنهما قال لما قتل أبى جعلت أبكى وأكشف الثوب عن وجهه فجعل أصحاب النبى ﷺ ينهونى والنبى ﷺ لم ينه وقال تبكيه أو لا تبكيه مازالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفع وكان جابر رضى الله عنه لم يحضر القتال إنما جاء بعد انصراف القوم وعن بشير بن عفرة رضى الله عنه قال أصيب أبى يوم أحد فمر بى النبى ﷺ وأنا أبكى فقال أما ترضى أن تكون عائشة أمك وأنا أكون أباك ومر رسول الله ﷺ بامرأة قد أصيب وأردف زوجها وأخوها وأبوها وابنها يوم أحد فلما نعوا لها أى بلغها خبر موتهم قالت مافعل رسول الله ﷺ أى ما فعل به قالوا خيرا ياأم فلان هو بحمد الله كما تحبين فقالت أرونيه حتى أنظر اليه فلما رأته قالت كل مصيبة بعدك جلل تريد صغيرة والجلل كما يقال للشىء الصغير يقال للشىء الكبير فهو من الاضداد ويعلم المراد بالقرينة وفى رواية أنها مرت بأخيها وزوجها

تلك الليلة ولا يخالف هذا ماقبله من قول بنى النجار هلم الينا وقوله لهم إنها مأمورة لجواز أن يكون أمر بالنزول عليهم واعلم أن خصوص البقعة والمحلة من محلات بنى النجار التى ينزل بها من دارهم ماتبرك به الناقة وفيه أنه يبعد مع ذلك أى مع قوله المذكور أى انه ينزل على بنى النجار سؤال غير بنى النجار فى النزول عنه لا أن يقال لعل السائلين له صلى الله عليه وسلم فى ذلك لم يبلغهم قوله المذكور أو جوزوا أن يكون رسول الله ﷺ بداله فى ذلك رأى وقد أشار الى نزوله صلى الله عليه وسلم على بنى النجار الامام السبكى فى تائيته بقوله

نزلت على قوم بأيمن طائر ٭ لانك ميمون السنا والنقيبة
فيالبنى النجار من شرف به ٭ يجرون أذيال المعالى الشريفة

وهذا السياق يدل على أن تنازع القوم وقوله لهم المذكور كان فى آخر ليلة وهو فى قباء وهو يرد قول بعضهم يشبه أن يكون ذلك فى أول قدومه ﷺ من مكة قبل نزوله قباء لافى قدومه باطن المدينة فالمراد بأهل المدينة أهل قباء ويرد قول سبط بن الجوزى لعله نزل على بنى النجار ليلة انتهى أى تلك الليلة ثم ارتحل الى بنى عمرو بن عوف أى فى قباء هذا وفى رواية عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه لما قدم رسول الله ﷺ المدينة نزل فى علو المدينة فى حى يقال لهم بنو عمرو بن عوف فأقام فيهم أربع عشرة ليلة ثم أرسل الى ملأ من بنى النجار فجاءوا متقلدين سيوفهم قال أنس فكأنى أنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته وأبو بكر رديفه وملأ من بنى النجار حوله حتى أناخ بفناء أبى أيوب وهذه الرواية وقع فيها اختصار كبير ويقال إنه ﷺ عرج على عبد الله بن أبى ابن سلول وكان جالسا محتبيا وأراد النزول عليه فقال له اذهب الى الذين دعوك وانزل عليهم فقال له سعد بن عبادة يارسول الله لا تجد فى نفسك من قوله فقد قدمت علينا والخزرج تريد أن تملكه (وقد وقع له فى بعض الأيام ) أنه ﷺ قيل له يارسول الله لو أتيت عبد الله بن أبى ابن سلول أى متألفا له ليكون ذلك سببا لاسلام من تخلف من قومه ولزوال ماعنده من النفاق فانطلق النبى صلى الله عليه وسلم وركب حمارا وانطلق المسلمون يمشون معه فلما أتاه النبى ﷺ قال له اليك عنى والله لقد أذانى نتن حمارك فقال رجل من الأنصار والله لحمار رسول الله ﷺ أطيب ريحا منك فغضب لعبد الله رجل من قومه فشتمه فغضب لكل واحد منهما أصحابه فكان بينهما ضرب بالجريد والأيدى والنعال فنزل وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما كذا فى البخارى وفيه أيضا أن رسول الله ﷺ مر على ابن أبى ابن سلول وهو فى جماعة فقال ابن أبى لقد عثا ابن أبى كبشة فى هذه البلاد فسمعها ابنه عبد الله رضى الله تعالى عنه فاستأذن رسول الله ﷺ أن يأتيه برأسه فقال له ﷺ لا ولكن بر أباك وكان أبى جميل الصورة ممتلىء الجسم فصيح اللسان وهو المعنى بقوله تعالى وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم الآية ولكونه متبوعا جىء فيه بصيغة الجمع وعن الزهرى أخبرنى عروة بن أسامة بن زيد أن رسول الله ﷺ ركب حمارا على اكاف

وابنها وأبيهما صرعى وصارت كلما سألت عن واحد وقالت من هذا قيل لها أخوك وزوجك وابنك وأبوك فلم تكثرت بل صارت تقول بأبى أنت وأمى يارسول الله لا أبالى اذا سلمت من عطب واختلف العلماء هل قاتلت الملائكة يوم أحد أم لا قال مجاهد حضرت الملائكة ولم تقاتل وما قاتلت الا يوم بدر لكن جاء عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال رأيت عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان عنه كأشد القتال ما رأيناهما قبل ولا بعد أى وهما جبريل وميكائيل قال البيهقى لا منافاة لانهم لم يقاتلوا يوم أحد عن القوم فلا ينافى انهم قاتلوا عنه صلى الله عليه وسلم خاصة لكن جاء عن الحرث بن الصمة رضى الله عنه قال سألنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى الشعب عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه فقلت رأيته فى جنب الجبل فقال الملائكة تقاتل معه قال الحرث فرجعت الى عبد الرحمن فاذا بين يديه سبعة صرعى فقلت ظفرت يمينك كل هؤلاء قتلت فقال اما هذا وهذا فانا قتلتهما واما هؤلاء فقتلهم من لم أره فقلت صدق الله ورسوله صلى الله عليه وسلم قال بعضهم ان مقاتلة الملائكة عن خصوص عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه لا تنافى مقاتلهم يوم بدر عن عموم القوم وتقدم انه لما سقط اللواء بعد قتل مصعب بن عمير



وأردف اسامة وراءه يعود سعد بن عبادة فى بنى الحرث بن الخزرج قبل وقعة بدر حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن أبى ابن سلول وذلك قبل أن يسلم عبد الله ابن أبى بن سلول فاذا فى المجلس اخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الاوثان واليهود وفى المسلمين عبد الله بن رواحة فثار غبار من مشى الحمار فخمر ابن أبى انفه بردائه ثم قال لا تغبروا علينا فسلم رسول الله ﷺ عليهم ثم نزل ودعاهم الى الله وقرأ عليهم القرآن فقال ابن أبى أيها المرء إنه لا أحسن مما تقول ان كان حقا فلا تؤذينا به فى مجالسنا ارجع الى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه فقال عبد الله بن رواحة بلى يارسول الله فاغشنا فانا نحب ذلك واستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتبادرون فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكنوا ثم ركب رسول الله ﷺ دابته حتى دخل على سعد بن عبادة فقال رسول الله ﷺ ياسعد ألم تسمع ما قال أبو حباب يعنى ابن أبى قال كذا وكذا فقال سعد بن عبادة يارسول الله اعف عنه واصفح فوالله الذى أنزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذى أنزل عليك وقد اصطلح أهل هذه البحيرة على أن يتوجوه فيعصبوه بالعصابة فلما رد بالحق الذى أعطاك الله شرق فذلك الذى فعل به ما رأيت فعفا عنه رسول الله ﷺ والله أعلم (ومكث) صلى الله عليه وسلم ببيت أبى أيوب الى أن بنى المسجد وبعض مساكنه وقد مكث فى بناء ذلك من شهر ربيع الاول الى شهر صفر من السنة القابلة أى وذلك اثنا عشر شهرا وقيل مكث ببيت أبى أيوب سبعة أشهر قال ولما تحول رسول الله ﷺ من بنى عمرو بن عوف الى المدينة تحول المهاجرون أى غالبهم أخذا مما يأتى فتنافس فيهم الأنصار ان ينزلوا عليهم حتى اقترعوا فيهم بالسهمان فما نزل أحد من المهاجرين على أحد من الانصار الا بقرعة بينهم فكان المهاجرون فى دور الانصار وأموالهم انتهى وكان من جملة محل مسجده ﷺ مسجد لأبى امامة أسعد بن زرارة رضى الله تعالى عنه وكان أبو امامة يجمع فيه بمن يليه بناه فى بعض مربد للتمر لسهل وسهيل أى يجفف فيه التمر وبرادف المربد الجرين والمسطح والبيدر وهو ما يبسط فيه الزرع أو التمر للتجفيف وكان رسول الله ﷺ يصلى فى ذلك المسجد قال فعن أم زيد بن ثابت أنها قالت رأيت أسعد بن زرارة قبل ان يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يصلى بالناس الصلوات الخمس ويجمع بهم فى مسجد بناه فى مربد سهل وسهيل قالت فكأنى أنظر الى رسول الله ﷺ لما قدم وصلى بهم فى ذلك المسجد وبناه أى مع ادخال بقية ذلك المربد فهو مسجده وحينئذ لا يخالف ذلك قول الحافظ الدمياطى عن الزهرى قال بركت ناقة رسول الله ﷺ عند موضع مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ يصلى فيه رجال من المسلمين قبل قدومه ﷺ وكان مربدا لسهل وسهيل وكان جدارا مجدرا ليس عليه سقف وقبلته الى بيت المقدس وكان أسعد بن زرارة بناه وكان يصلى بأصحابه ويجمع بهم فيه الجمعة قبل قدوم رسول الله ﷺ أى ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة صار يصلى فيه وفى الامتاع كان أسعد بن زرارة بنى فيه جدارا نجاه بيت المقدس كان يصلى اليه بمن أسلم

رضى الله عنه أخذه ملك فى صورة مصعب وجاء انه لما تصور الملك بصورة مصعب وأخذ اللواء جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تقدم يامصعب فالتفت اليه الملك وقال لست بمصعب فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ملك وفى رواية ان عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أقدم مصعب قال يارسول الله ألم يقتل مصعب قال بلى ولكن ملك قام مكانه وتسمى باسمه وتقدم أن النبى صلى الله عليه وسلم أعطى اللواء بعد ذلك لعلى رضى الله عنه وجاء فى

رواية انه حمله أيضا أخو مصعب واسمه أبو الروم (ويجمع بين الاحاديث) باحتمال ان يكون كل من أولئك حمل اللواء برهة من الزمن * ولما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتوجه الى المدينة ركب فرسه وخرج المسلمون حوله وعامتهم جرحى ومعه اربع عشرة امرأة كن باصل احد وقال اصطفوا حتى اثنى على ربي عز وجل فاصطف الرجال خلفه صفوفا وخلفهم النساء فقال اللهم لك الحمد كله لاقابض لما بسط ولا باسط



لما قبضت ولا هادى لمن أضللت ولا مضل لمن هديت ولا معطى لما منعت ولا مانع لما أعطيت ولا مقرب لما أبعدت ولا مبعد لما قربت الحديث ثم توجه صلى الله عليه وسلم الى المدينة فلقيته حمنة بنت جحش رضى الله عنها بنت عمته صلى الله عليه وسلم أخت زوجته زينب بنت جحش أم المؤمنين رضى الله عنها فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم احتسبي فقالت من يارسول الله قال خالك حمزة قالت انا لله وانا اليه راجعون غفر الله له هنيئاله الشهادة ثم قال لها احتسبي قالت من يارسول الله قال أخاك عبد الله بن جحش قالت انا لله وانا اليه راجعون هنيئاله الشهادة ثم قال لها احتسبي قالت من يارسول الله قال زوجك مصعب بن عمير فقالت واحزناه وصاحت وولولت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان زوج المرأة لبمكان ماهو لاحد لما رأى من تثبتها على أخيها وخالها وصياحها على زوجها ثم قال لها لم قلت هذا قالت تذكرت يتم بنيه فراعنى أى فلا ثؤاخذنى فدعا لها ان يحسن الله عليهم الخلق فتزوجت طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه فكان أوصل الناس لولدها وولدت له محمد بن طلحة وجاءت أم سعد بن معاذ رضى الله عنها وعنه تعدو نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على فرسه وابنها سعد بن معاذ آخذ بلجام فرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له سعد يارسول الله أمي فقال صلى الله عليه وسلم مرحبا بها فوقف لها فدنت حتى تأملت رسول الله صلى الله عليه

قبل قدوم مصعب بن عمير ثم صلى بهم اليه مصعب هذا كلامه وتعلم مافيه لما قدمناه فى قدوم مصعب المدينة لكن فى البخارى انه صلى الله عليه وسلم كان يصلى فى مرابض الغنم قبل ان يبنى المسجد أى ولعله اتفق له ذلك فى بعض الاوقات لانه ﷺ كان يصلى حيث ادركته الصلاة ثم انه ﷺ بعد ذلك سأل أسعد بن زرارة أن يبيعه تلك البقعة التى كان من جملتها ذلك المسجد ليجعلها مسجدا فانها كانت فى يده ليتيمين فى حجره وهما سهل وسهيل وقيل كانا فى حجر معاذ بن عفراء قال فى الاصل وهو الاشهر وفى المواهب أن الأول هو المرجح واليتيمان المذكوران من بنى مالك ابن النجار وقيل كانا فى حجر أبى أيوب الانصارى قال بعضهم والظاهر ان الكل أى من أسعد ومعاذ وأبى أيوب كانوا يتكلمون لليتيمين لانهم بنوعم فنسبا الى حجر كل (وقد عرض أبو أيوب عليه ﷺ أن يأخذ تلك الارض ويغرم لليتيمين قيمتها فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابتاعها بعشرة دنانير أداها من مال أبى بكر أى وفى رواية فدعا الغلامين فساومهما بالمربد فقالا نهبه لك يارسول الله فابى ان يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما بعشرة دنانير وأمر أبا بكر ان يعطيهما ذلك أى وحينئذ يكون وصفهما باليتم باعتبار ما كان وفى رواية ارسل ﷺ الى ملأ من بنى النجار ولعلهم من تقدم وهم أسعد ومعاذ وأبو أيوب ومعهم سهل وسهيل فجاؤه ﷺ فقال لهم ثامنونى بحائطكم هذا أى خذوا منى ثمنه قالوا لا يارسول الله والله لا نطلب ثمنه إلا الى الله فابى ان ياخذه الا بالثمن قال وجاء أن أسعد بن زرارة عوض اليتيمين من تلك الارض نخلا أى له فى بنى بياضة وقيل ارضاهما فيها ابو أيوب وقيل معاذ بن عفراء وطريق الجمع بين ذلك انه يحتمل ان كلا من أسعد وأبى أيوب ومعاذ ابن عفراء دفع للغلامين شيئا أى زيادة على العشرة دنانير فنسب ذلك لكل منهم وجاء انه كان فى تلك الارض قبور جاهلية فامر بها ﷺ فنبشت وأمر بالعظام فالقيت انتهى أى وفى رواية وأمر بالعظام ان تغيب أى وفى رواية كان فى موضع المسجد نخل وخرب أى حفر ومقابر للمشركين فامر ﷺ بالقبور فنبشت وبالخرب فسويت وبالنخل فقطعت أى وفى سيرة الحافظ الدمياطى فامر رسول الله ﷺ بالنخل الذى فى الحديقة أى وهى تلك الارض التى كانت مربدا أى وسمى حديقة لوجود النخل به وأمر بالغرقد الذى فيه ان يقطع أى والغرقد شجر معروف وبقيع الغرقد مقبرة أهل المدينة وشجر الغرقد يقال له شجر اليهود فانه لا يدل على اليهودى اذا توارى به عند نزول عيسى عليه الصلاة والسلام وقتله للدجال وجنده من اليهود فاذا توارى اليهودى بشجرة نادته ياروح الله ههنا يهودى فيأتى حتى يقف عليه فاما ان يسلم واما ان يقتل الاشجر الغرقد فانه لا يدل على اليهودى اذا توارى به فقيل له شجر اليهود لذلك قال وكان فى المربد ماء مستبحل فسيروه حتى ذهب والمستبحل الذى ينشع ويظهر من الأرض (ثم ان رسول الله ﷺ) أمر باتخاذ اللبن فاتخذ وبنى به المسجد وجاء انه ﷺ عند الشروع فى البناء وضع لبنة ثم دعا ابا بكر فوضع لبنة أى بجانب لبنته ﷺ ثم دعا عمر فوضع لبنة بجانب لبنة أبى بكر ثم جاء عثمان فوضع لبنة

بجانب

وسلم فعزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بابنها عمرو بن معاذ فقالت أما إذا رأيتك سالما فقد أشويت المصيبة اى استقللتها ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن قتل باحد بعد أن قال لأم سعد يا أم سعد ابشرى و بشرى أهلهم ان قتلاهم ترافقوا فى الجنة جميعا وقد شفعوا فى أهليهم قالت رضينا يا رسول الله ومن يبكى عليهم بعد هذا ثم قالت يا رسول الله ادع الله لمن خلفوا فقال اللهم اذهب حزن قلوبهم واجبر مصيبتهم وأحسن الخلف على من خلفوا (وسمع صلى الله عليه وسلم)  نساء الأنصار يبكين على أزواجهن وأبنائهن واخوانهن فقال حمزة لا بواكى له وبكى صلى الله عليه وسلم ولعله لم يكن لحمزة رضى الله عنه بالمدينة زوجة ولا بنات فامر سعد بن معاذ رضي الله عنه نساءه و نساء قومه أن يذهبن إلى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكين حمزة بين المغرب والعشاء وكذلك أسيد بن حضير أمر نساءه ونساء قومه أن يذهبن إلى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكين حمزة ولما وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أنزله السعدان عن فرسه سعد بن معاذ وسعد بن عبادة ثم اتكأ عليهما حتى دخل بيته ثم أذن بلال لصلاة المغرب فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على مثل تلك الحال يتوكأ على السعدين فصلى صلى الله عليه وسلم المغرب فلما رجع من صلاة المغرب إلى بيته سمع البكاء فقال ماهذا فقيل نساء الانصار يبكين على حمزة فقال رضى الله عنكن وعن أولادكن وأمر أن يرجع النساء الى بيوتهن وفى رواية خرج عليهن بعد ثلث الليل لصلاة العشاء وان بلالا اذن للعشاء حين غاب الشفق فلم يخرج رسول الله ﷺ فلما ذهب ثلث الليل نادى بلال الصلاة يا رسول الله فقام من نومه وخرج وهن على باب المسجد يبكين حمزة ولا منافاة لاحتمال أن يكون الامر عند رجوعه من صلاة المغرب كان لطائفة واللاتى رآهن عند خروجه لصلاة العشاء طائفة أخرى فقال لهن ارجعن رحمكن الله لقد واسيتن رحم الله الانصار فان المواساة

بجانب لبنة عمر أى وقد اخرج ابن حبان لما بنى رسول الله ﷺ المسجد وضع فى البناء حجرا وقال لأبى بكر ضع حجرك إلى جنب حجرى ثم قال لعمر ضع حجرك الى جنب حجر أبى بكر ثم قال لعثمان ضع حجرك إلى جنب حجر عمر ثم قال هؤلاء الخلفاء بعدى قال أبو زرعة أسناده لا بأس به فقد أخرجه الحاكم فى المستدرك وصححه وفى رواية هؤلاء ولاة الأمر بعدى قال ابن كثير وهذا الحديث بهذا الاسناد غريب جدا قال بعضهم وقوله ﷺ لعثمان ماذكر أى ضع حجرك إلى جنب حجر عمر يرد على من زعم ان هذا منه ﷺ اشارة إلى قبورهم أى اذ لو كان اشارة إلى ذلك لدفن عثمان بجانب عمر كما دفن عمر بجانب أبى بكر بل هو اشارة إلى ترتيب الخلافة أى لانه لا يستفاد من قوله ﷺ هؤلاء الخلفاء بعدى الا ذلك ومن ثم جاء فى رواية فسئل رسول الله ﷺ عن ذلك فقال أمر الخلافة من بعدى وتصحيح الحاكم لما ذكر يظهر التوقف فى قول بعضهم انهذا لم يجىء فى الصحيح الا أن يريد صحيح الشيخين وأما قوله قال البخارى فى تاريخه ان ابن حبان لم يتابع على الحديث المذكور لان عمر وعثمان وعليا قالوا لم يستخلف النبى ﷺ فقد يقال عليه معناه لم ينص على استخلاف أحد بعينه عند موته وذلك لا ينافى الاشارة الى وقوع الخلافة لهؤلاء بعده ولا ينافيه قوله هؤلاء الخلفاء بعدى لجواز ان يراد الخلافة فى العلم ثم رأيت ابن حجر الهيتمى أشار إلى ذلك حيث قال قلت هذا أى وضع تلك الاحجار وقوله ﷺ هؤلاء الخلفاء بعدى مع احتماله للخلافة فى العلم والارشاد متقدم على وقت الاستخلاف عادة وهو قرب الموت فلم يكن نصا سالما من المعارض هذا كلامه ثم قال للناس ضعوا أى الحجارة فوضعوا ورفع بالحجارة أى قريب من ثلاثة أذرع و بنى باللبن وجعل عضادتيه أى جانبيه بالحجارة وسقفه بالجريد وجعلت عمده وفى رواية سواريه من جذوع النخل وطول جداره قامة أى كان ارتفاعه قدر قامة قال وعن شهر بن حوشب قال لما أراد رسول الله ﷺ ان يبنى المسجد قال ابنوا الى عريشا كعريش موسى ثمامات وخشبات وظلة كظلة موسى والامر أعجل من ذلك قيل وما ظلة موسى قال كان إذا قام أصاب رأسه السقف انتهى أى فالمراد جعلوا سقفه يكون بحيث إذا قمت أصاب رأسى السقف أو رفعت يدى أصابت السقف والجمع بين هاتين الروايتين يدل على ان المراد ماهو قريب من ذلك بحيث لا يكون كثير الارتفاع فلا ينافى ما يأتى من أمره بجعل ارتفاعه سبعة أذرع فليتأمل وفى سيرة الحافظ الدمياطى فقيل له ألا تسقف فقال عريش كعريش موسي خشبات وثمام أى وقيل للحسن ماعريش موسى قال اذا رفع يده بلغ العرش يعنى السقف وفى رواية لما أراد رسول الله ﷺ بناء المسجد قال قيل لى أى قال له جبريل عريش كعريش أخيك موسى سبعة اذرع طولا فى السماء أى وكان سبعة أذرع بحيث يصيب رأسه ولا تزخرفه ثم الامر أعجل من ذلك أى وفيه ان هذا يقتضى ان موسى كان طوله سبعة أذرع وهو يخالف ما اشتهر أن قامة موسى كانت أربعين ذراعا وعصاه كذلك ووثبته كذلك وقد جاء ما امرت بتشييد المساجد أى ولعل قوله ذلك كان لما جمع الانصار مالا وجاؤا به الى رسول الله

فيهم وصارت المرأة من نساء الانصار بعد ذلك لاتبكى على ميتها الا بدأت بحمزة رضى الله عنه أى بكت عليه ثم بكت على ميتها وباتت وجوه الأوس والخزرج تلك الليلة على بابه ﷺ بالمسجد يحرسونه خوفا من قريش أن تعود إلى المدينة وجاء انه صلى الله عليه وسلم نهى نساء الانصار عن النوح فقال له الانصار بلغنا يارسول الله انك نهيت عن النوح وانما هو شىء نندب به موتانا ونجد فيه بعض الراحة فاذن لنا فيه فقال صلى الله عليه وسلم ان فعلن فلا يخمشن ولا يلطمن ولا يحلقن شعرا ولا يشققن جيبا (وجملة القتلى) من المسلمين يوم أحد سبعون أربعة من المهاجرين وهم حمزة ومصعب بن عمير وعبد الله ابن جحش وشماس بن عثمان وقيل ثمانون أربعة وسبعون من الانصار وستة من المهاجرين قال الحافظ ابن حجر لعل الخامس سعد مولى حاطب بن أبى بلتعة والسادس ثقيف بن عمرو حليف بنى عبد شمس والذين قتلوا من المشركين قيل ثلاثة وعشرون وفيه نظر فانه جاء ان حمزة وحده قتل احدا وثلاثين فلعل المشركين احتملوا بعض قتلاهم أو دفنوهم ولما سمع المنافقون بكاء المسلمين على قتلاهم أظهروا الشماتة هم واليهود وأظهروا أقبح القول فقالوا ما محمد الا طالب ملك ما أصيب بمثل هذا نبى قط أصيب فى بدنه وأصيب فى أصحابه وقالوا لو كان من قتل معكم عندنا ماقتل فاستأذن عمر رضى الله عنه النبى صلى الله عليه وسلم فى قتل هؤلاء المنافقين فقال أليسوا يظهرون شهادة أن لا اله الا الله وانى رسول الله فقال بلى ولكن تعوذا من السيف وقد بان أمرهم وأبدى الله أضغانهم فقال صلى الله عليه وسلم نهيت عن قتل من أظهر ذلك وصار ابن أبى لعنه الله يوبخ ابنه عبد الله رضى الله عنه وقد أثبتته الجراحة فقال له ابنه الذى صنع الله لرسوله وللمسلمين خير وكان من عادة عبد الله بن أبى ابن سلول انه اذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر قام فقال

---

صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله ابن هذا المسجد وزينه إلى متى نصلى تحت هذا الجريد وجاء لاتقوم الساعة حتى يتباهى الناس فى المساجد وجاء من اشراط الساعة أن يتباهى الناس فى المساجد أى تزخرفها كما زخرف اليهود والنصارى كنائسهم وبيعهم ولم يكن على السقف كبير طين إذ كان المطر يكف أى ينزل منه ماء المطر المخالط للطين عليهم بحيث يمتلىء أى المسجد طينا فقالوا يارسول الله لو أمرت فطين أى جعل عليه طين كثير بحيث لا ينزل عليه المطر فقال لا عريش كعريش موسى فلم يزل كذلك حتى قبض رسول الله ﷺ وعند بنائه عمل فيه المسلمون المهاجرون والانصار وعمل فيه رسول الله ﷺ بنفسه ليرغب المسلمين فى العمل فيه قال فقد جاء انه ﷺ صار ينقل اللبن أى فى ثيابه وفى رواية فى ردائه حتى اغبر صدره الشريف وصار يقول

هذا الحمال لاحمال خيبر * هذا أبر ربنا وأطهر

أى هذا المحمول من اللبن ابر واطهر يا ربنا مما يحمل من خيبر من نحو التمر والزبيب فالحمال بالحاء المهملة بمعنى المحمول ووقع فى رواية بالجيم جمع جمل قال بعضهم وله وجه والأول أظهر ولا يحسن هذا الوجه الا إذا كانت جمال خيبر أنفس من جمال غيرها وصار يقول

اللهم ان الاجر أجر الآخره * فارحم الانصار والمهاجره

قال البلاذرى وهذا القول لامرأة من الانصار وتمامه

وعافهم من حر نار ساعره * فانها لكافر وكافره

والذى فى البخارى فاغفر للانصار والمهاجره ولعله ﷺ هو الذى اخرجه عن الوزن كما هو عادته فى انشاد الشعر كما سيأتى وفى لفظ فاصلح وفى لفظ فاكرم وفى رواية اللهم لاخير الاخير الآخره فارحم المهاجرين والانصاره وفى رواية فانصر الانصار والمهاجره وعن الزهرى انه كان يقول اللهم لاخير الاخير الآخره فارحم المهاجرين والانصار لانه كان لايقيم الشعر أى لايأتى به موزونا ولو متمثلا وفيه انه مع قوله اللهم ان الاجر الى آخره لايكون شعرا موزونا الا أن حذف أل من اللهم وقال لاهم وكسر همزة فارحم وحينئذ تكون المرأة من الانصار إنما نطقت بذلك أى قالت لاهم الى آخره وهو ﷺ هو الذى غيره ونقل عن الزهرى انه صلى الله عليه وسلم لم يقل بيتا موزونا متمثلا به الا قوله هذا الحمال البيت ولم أقف على قائله وسيأتى عن الزهرى انه من انشائه ﷺ وسيأتى مافيه وفى كلام بعضهم قال ابن شهاب يعنى الزهرى لم يبلغنا فى الاحاديث انه ﷺ تمثل ببيت شعر تام أى موزون الا هذه الابيات قال ابن عائذ أى التى كان يرتجز بهن وهو ينقل اللبن لبناء المسجد أى وفيه ان هذا مخالف لما تقدم عن الزهرى انه ﷺ لم يقل بيتا موزونا الا قوله هذا الحمال فلا يحسن أن يفسر كلامه بذلك على انه تمثل ببيت شعر تام موزون غير ذلك فقد جاء انه صلى الله عليه وسلم جعل يدور بين قتلى بدر ويقول

نفلق هاما من رجال أعزة * علينا وهم كانوا أعق وأظلما

وفى

يا أيها الناس هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهركم أكرمكم الله به وأعزكم به فانصروه وعزروه واسمعوا له وأطيعوا ثم يجلس فبعد أحد أراد أن يفعل كذلك فلما قام أخذ المسلمون بثوبه من نواحيه وقالوا له اجلس يا عدو الله لست لذلك بأهل وقد صنعت ماصنعت فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول كأني انما قلت شرا وقال له بعض الانصار ارجع يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله ما أبتغي أن يستغفر لي وأنزل الله تعالى قصة أحد في آل عمران في (٧٣) قوله واذغدوت من أهلك تبوىء المؤمنين مقاعد للقتال وقد ذكر الله تعالى الحكمة فيما أصاب المؤمنين بحنا فتهم أمر النبي صلى الله عليه وسلم وعرفهم سوء عاقبة المعصية وشؤم ارتكاب المخالفة بما وقع من ترك الرماة موقفهم الذى أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يبرحوا عنه بقوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الامر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين ومن الحكم فى ذلك ان عادة الله جرت ان الرسل تبتلى ثم تكون العاقبة لهم ولو انتصروا دائما لدخل فى المسلمين من ليس منهم ولم يتميز الصادق من غيره كما قال تعالى وليبتلى الله ما فى صدوركم وليمحص ما فى قلوبكم والله عليم بذات الصدور ولو انغلبوا دائما لم يحصل المقصود من البعثة فاقتضت الحكمة الجمع بين الامرين ليتميز الصادق من الكاذب كما قال تعالى ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وذلك أن نفاق المنافقين كان مخفيا ومستورا عن المسلمين فلما جرت هذه القصة وأظهر أهل النفاق ما أظهروه من الفعل والقول كانخذالهم وقولهم لو نعلم قتالا لاتبعناكم عاد ما كانوا يضمرونه و يتكلمون به فيما بينهم و يخفونه عن المسلمين مصرحا به وعرف المسلمون ان لهم عدوا

وفى المواهب وقد قيل ان الممتنع عليه ﷺ انشاء الشعر لا انشاده أى ولذلك جاء ما أبالى ما أو تيت إن أنا قلت الشعر من قبل نفسي وفى الكشاف وقد صح أن الانبياء معصومون من الشعر ولا دليل على منع انشاده أى الشعر موزونا متمثلا (أقول) نقل الحافظ الدمياطى عن الزهرى انه كان يقول انه ﷺ لم يقل شيئا من الشعر الا ماقد قيل قبله الا قوله

هذا الحمال لاحمال خيبر * هذا أبر ربنا وأطهر

أى فانه من قوله وهو يخالف ماتقدم عنه ولعله سقط من عبارة الزهرى المذكورة شىء والاصل انه لم يقل شيئا من الشعر الاماقد قيل قبله ولم يقل ماقبله تاما أى موزونا الا قوله هذا الحمال الى آخره فلا يخالف ماتقدم عنه وكونه كان لا يقيم الشعر أى لا يأتى به موزونا ولو متمثلا هو المنقول عن عائشة رضى الله تعالى عنها فقد قيل لها هل كان رسول الله ﷺ يأتى بشىء من الشعر فقالت كان أبغض الحديث اليه الشعر غير انه كان يتمثل و يجعل أوله آخره وآخره أوله أى غالبا كان يقول و يأتيك من لم تزود بالاخبار و يقول كفى بالاسلام والشيب للمرء ناهيا أى وذلك قول سحيم بمهملة مصغرا عبد بنى الحساس شاعر مشهور مخضرم * كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا * ولما غير ذلك رسول الله ﷺ قال له الصديق رضى الله تعالى عنه انما قال الشاعر كذا فأعاده صلى الله عليه وسلم كالاول فقال الصديق أشهد انك رسول الله وماعلمناه الشعر (ولما سمع) رسول الله صلى الله عليه وسلم قول سحيم

الحمد لله حمدا لا انقطاع له * فليس احسانه عنا بمقطوع

قال أحسن وصدق وقول الصديق أشهد انك رسول الله وما علمناه الشعر يدل على انه ﷺ لا يجرى الشعر على لسانه موزونا وقد قيل له ﷺ من أشعر الناس قال الذى يقول

ألم ترياني كلما جئت طارقا * وجدت بها وان لم تطيب طيبا

الأصل وجدت بها طيبا وان لم تطيب وكان أبو بكر رضى الله تعالى عنه يقول له بأبى أنت وأمى يارسول الله ما انت بشاعر ولا راويه والمراد بكون الشعر أبغض اليه الاتيان به والا فقد كان يسمع الشعر كما تقدم و يستنشده فقد ذكر بعضهم انه ﷺ كان يستنشد الخنساء أخت صخر لامه و يعجبه شعرها فكانت تنشده وهو يقول هيه يا خناس و يومىء بيده وقد قال بعضهم أجمع أهل العلم انه لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها ومن شعرها فى أخيها المذكور

أعينى جودا ولا تجمدا * ألا تبكيان لصخر الندا
طويل النجاد عظيم الرماد * وساد عشيرته أمردا

وللجلال السيوطى كتاب سماه نزهة الجلساء فى أشعار الخنساء وقولنا فى قول عائشة انه كان يتمثل بالشعر و يجعل أوله آخره أى غالبا حتى لا ينافى ماجاء عنها كان يتمثل بشعر بن رواحة * و يأتيك بالأخبار من لم تزود * وقولها ماسمعت رسول الله ﷺ ينشد شعرا إلا بيتا واحدا

فى دورهم فاستعدوا لهم وتحرزوا منهم ومن الحكم فى ذلك أيضا أن فى تأخير النصر فى بعض المواطن هضما للنفس وكسراً لشماختها وتكبرها وتعاظمها فلما ابتلى المؤمنين صبروا وجزع المنافقون ومنها ان الله تعالى هيأ لعباده المؤمنين منازل فى دار كرامته لا تبلغها أعمالهم فقيض لهم أسباب الابتلاء والمحن ليصلوا اليها قال تعالى أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم و يعلم الصابرين قال ابن اسحق أى أحسبتم أن تدخلوا الجنة فتصيبوا من ثوابى الكرامة ولم اختبركم بالشدة وابتليكم بالمكاره حتى أعلم صدقكم فى الايمان بى والصبر على ما أصابكم أى أعاملكم معاملة المبتلى المختبر ليظهر علمى لكم ويكون ما أظهره مطابقا لما سبق فى علمى ومنها ان الشهادة من أعلى مراتب الأولياء فساقهم الله اليها اكراما لهم حيث اتخذ منهم شهداء وكانوا يتمنون ذلك قبل لقاء العدو كما قال تعالى ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون قال تعالى إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وقد قال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لولا أن رجالا من المؤمنين لا تطيب نفوسهم ان يتخلفوا عنى ولا أجد ما أحملهم عليه ما تخلفت عن سرية تغزو فى سبيل الله والذى نفسي بيده لوددت انى أقتل فى سبيل الله ثم أحيي ثم أقتل ثم أحيي ثم أقتل ثم أحيي ثم أقتل ومنها ان الله اراد إهلاك اعدائه فقيض لهم الاسباب التى يستوجبون بها ذلك حيث اعتقدوا انهم على شىء من ظفرهم الصورى بالمسلمين فزادوا عتوا وتجبرا وطغيانا فى إيذاء أوليائه ومحص الله بذلك المؤمنين ومحق لذلك الكافرين كما قال تعالى وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين أى يهلك الكافرين الذين حاربوا يوم أحد ولم يسلموا والمعنى إن كانت الدولة على المؤمنين فللتمييز والاستشهاد والتمحيص وان كانت

تفاعل لما تهوى يكن فلقلما * يقال لشىء كان الا تحققا

( وفى الخصائص الكبرى ) قال المزنى ولم يبلغنى انه ﷺ أنشد بيتا تاما على رويه بل اما الصدر كقول لبيد * ألا كل شىء ما خلا الله باطل * أو العجز كقول طرفة * ويأتيك بالاخبار من لم تزود * أى وفيه ما تقدم عن عائشة وكقوله وقد أنشده أعشى بنى مازن أبياتا فى ذم النساء آخر تلك الابيات * وهن شر غالب لمن غلب * فجعل صلى الله عليه وسلم يقول * وهن شر غالب لمن غلب * فان أنشد بيتا كاملا غيره أى غالبا لما تقدم كبيت العباس بن مرداس أى فانه ﷺ قال يوما للعباس بن مرداس أرأيت قولك وفى لفظ أنت القائل * أصبح نهبى ونهب العبيد بين الاقرع وعيينة فقيل له انما هو بين عيينة والاقرع فقال عليه الصلاة والسلام انما هو الاقرع وعيينة فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه بابى أنت وأمى يارسول الله وفى لفظ أشهد أنك رسول الله ما أنت بشاعر ولا راو ولا ينبغى لك انما قال بين عيينة والاقرع أى أنه لا ينبغى لك أن تكون شاعرا كما قال الله ولا ينبغى لك أن تكون راويا للشعر أى بان تأتى به على وجه أى لا يكون شأنك ذلك مباعدة عن الشعر وكون شأنه ذلك لا ينافى وجوده منه على وجهه فى بعض الاحيان فليتأمل ( وعن بعضهم ) ما جمع رسول الله ﷺ بيت شعر قط أى موزونا وقد يقال لا يخالف هذا ما تقدم عن المواهب لانه يجوز أن يكون هذا المنقول عن عائشة وعن المزنى وعن بعضهم كان أغلب أحواله كما قدمناه فى المنقول عن عائشة ثم رأيته فى الامتاع أشار الى ذلك بقوله وربما أنشد ﷺ البيت المستقيم فى النادر وقول المواهب لا دليل على منع انشاده متمثلا أى دائما وأبدا ويدل لذلك قول الزهرى انه لم يقل بيتا موزونا متمثلا به الا قول هذا الحمال الى آخره وفيه ما علمت ولا يخفى ان الشعر عرف بانه كلام عربى موزون عن قصد قال البدر الدمياطى وقولنا عن قصد يخرج ما كان وزنه اتفاقيا كآيات شريفة اتفق جريان الوزن فيها أى من بحور الشعر الستة عشر وقد ذكرها الجلال السيوطى فى نظمه للتلخيص وذلك كما فى قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وكقوله تعالى وجفان كالجواب وقدور راسيات وقوله تعالى نصر من الله وفتح قريب وككلمات شريفة نبوية جاء الوزن فيها اتفاقا غير مقصود كما فى قول النبى صلى الله عليه وسلم

هل أنت الا أصبع دميت * وفى سبيل الله ما لقيت

أى بناء على تسليم انه من قوله ﷺ والا فقد قيل انه من قول عبد الله بن رواحة أى فان ذلك مذكور فى أبيات قالها فى غزوة مؤتة وقد صدمت أصبعه فدميت وذكر بدل فى سبيل الله فى كتاب الله ولا مانع أن يكون ابن رواحة أدخل ذلك البيت فى تلك الابيات التى صنعها كما تقدم وفى كلام ابن دحية ولا يمر على لسان رسول الله ﷺ من ضروب الرجز الا ضربان منهوك ومشطور فالمنهوك * أنا النبى لا كذب * والمشطور * هل أنت الا أصبع دميت * وقيل البيت الواحد لا يكون شعرا على أنه قيل ان الرجز ليس من الشعر عند الاخفش خلافا للخليل أى فان الاخفش

احتج

على الكافرين فلمحقهم ومحوا آثارهم ومنها ان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إذا أصيبوا ببعض العوارض الدنيوية من الجراحات والآلام والأسقام تعظيما لأجورهم تأسى بهم أتباعهم فى الصبر على المكاره قال تعالى قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين وقال تعالى وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب  الصابرين وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين قال ابن اسحق أنزل الله فى شأن أحد ستين آية من آل عمران وعن المسور بن مخرمة رضى الله عنه قال قلت لعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه أخبرنى عن قصتكم يوم أحد قال اقرأ العشرين ومائة من آل عمران تجدها وإذ غدوت من أهلك تبوىء المؤمنين مقاعد للقتال والله سبحانه وتعالى أعلم

*(غزوة حمراء الأسد)*

بفتح الحاء والمد مضافة إلى أسد اسم موضع على ثمانية أميال من المدينة عن يسار الطريق إذا أردت ذا الحليفة وكانت صبيحة أحد إذ وقعة أحد يوم السبت والغزوة المذكورة يوم الأحد لست عشرة مضت من شوال على رأس اثنين وثلاثين شهراً من الهجرة وكانت لطلب العدو والذين كانوا بالامس قال الواقدى باتت وجوه الانصار على بابه ﷺ خوفا من كثرة العدو فلما طلع الفجر وأذن بلال بالصلاة جاء عبد الله بن عمرو المزنى فاخبر النبى صلى الله عليه وسلم أنه قد أقبل من عند أهله بملل بهم ولامين اسم موضع قرب المدينة إذا قريش قد نزلوا فسمعهم يقولون ما صنعتم شيئا أصبتم شوكة القوم وحدهم ثم تركتموهم ولم تبيدوهم قد بقى منهم رءوس يجمعون لكم فارجعوا نستأصل من بقى وصفوان بن أمية يأبى ذلك عليهم و يقول لا تفعلوا فان القوم قد غضبوا وأخاف أن يجتمع عليكم من تخلف من الخزرج فارجعوا

احتج على ان الرجز ليس بشعر راداً على الخليل ومن تبعه القائلين بانه من الشعر حيث قال لاحتجن عليهم بحجة إن لم يقروا بها كفروا لو كان شعراً ما جرى على لسان رسول الله ﷺ لان الله تعالى يقول وما علمناه الشعر وما ينبغى له هذا كلامه قال فى النور والصحيح انه شعر أى موافقة للخليل وقد علمت انه ما جرى منه على لسانه صلى الله عليه وسلم ليس شعراً لعدم قصده فليتأمل وقد نقل الماوردى من أئمتنا انه كما يحرم عليه قول الشعر أى انشاؤه يحرم عليه روايته أى دون انشاده متمثلا وفرق بعضهم بين الانشاد والرواية بان الرواية يقول قال فلان كذا وأما انشاده متمثلا فلا يقول ذلك هذا كلامه وفيه انه قال لما قيل له من أشعر الناس قال الذى يقول إلى آخره وقال للعباس بن مرداس أنت القائل إلى آخره قال ذلك البعض وكأن الفرق بين الرواية والانشاد أن فى قوله قال فلان فيه رفعة للقائل بسبب قوله وهذا متضمن لرفع شأن الشعر والمطلوب منه الاعراض عن الشعر من حيث كونه شعراً وفيه ان الصديق قال له عند كل من الرواية والانشاد لست براويه كما تقدم وعن الخليل كان الشعر أحب اليه ﷺ من كثير من الكلام أى وقد يقال لا يخالف هذا ما تقدم عن عائشة رضى الله تعالى عنها كان أبغض الحديث اليه ﷺ الشعر لان المراد بالشعر الذى يحبه ما كان مشتملا على حكمة أو وصف جميل من مكارم الأخلاق والذى يبغضه ما كان مشتملا على ما فيه هجنة أو هجو ونحو ذلك ومن ثم قيل الشعر كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح وفى الجامع الصغير الشعر بمنزلة الكلام فحسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام الشعر الحسن أحد الجمالين يكسوه الله المرء المسلم وقد قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما إذا خفى عليكم شىء من غريب القرآن فالتمسوه فى الشعر فان الشعر ديوان العرب وفى كلام سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه نعم الأبيات من الشعر يقدمها الرجل فى صدر حاجته يستعطف بها قلب الكريم ويستميل بها لؤم اللئيم والحاصل ان الحق الحقيق بالاعتماد و به تجتمع الأقوال ان المحرم عليه ﷺ انما هو انشاء الشعر أى الاتيان بالكلام الموزون عن قصد وزنه وهذا هو المعنى بقوله تعالى وما علمناه الشعر فان فرض وقوع كلام موزون منه ﷺ لا يكون ذلك شعراً اصطلاحا لعدم قصد وزنه فليس من الممنوع منه والغالب عليه ﷺ انه إذا أنشد بيتا من الشعر متمثلا أو مسندا لقائله لا يأتى به موزونا وربما أتى به موزونا وادعى بعض الأدباء انه صلى الله عليه وسلم كان يحسن الشعر أى يأتى به موزونا قصداً ولكنه كان لا يتعاطاه أى لا يقصد الاتيان به موزونا قال وهذا أتم وأكمل مما لو قلنا بانه كان لا يحسنه وفيه ان فى ذلك تكذيبا للقرآن (وفى التهذيب للبغوى) من أئمتنا قيل كان صلى الله عليه وسلم يحسن الشعر ولا يقوله والأصح انه كان لا يحسنه ولكن كان يميز بين جيد الشعر ورديئه ولعل المراد بين الموزون منه وغير الموزون ثم رأيته فى ينبوع الحياة قال كان بعض الزنادقة المتظاهرين بالاسلام حفظا لنفسه وماله يعرض فى كلامه بان النبى ﷺ كان يحسن الشعر يقصد بذلك تكذيب كتاب الله تعالى فى قوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغى له قال بعضهم والحكمة فى تنزيه القرآن عن الشعر الموزون مع ان

والدولة لكم فانى لا آمن إن رجعتم ان تكون الدولة عليكم فقال صلى الله عليه وسلم أرشدهم صفوان وما كان برشيد والذى نفسى بيده لقد سومت لهم الحجارة ولو رجعوا لكان كأمس الذاهب ودعا ﷺ أبا بكر وعمر رضى الله عنهما فذكر لهما ما أخبر به المزنى فقالا يارسول الله اطلب العدو لا يقتحمون على الذرية أى يدخلون فلما صلى الصبح ندب الناس وأذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج



أى أمر بلالا أن ينادى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم بطلب العدو وان لا يخرج منا أحد إلا من خرج معنا أمس يعنى من شهد أحداً وأراد بذلك إظهار الشدة للعدو فيعلمون من خروجهم مع كثرة جراحاتهم انهم على غاية من القوة والرسوخ فى الايمان وحب النبى صلى الله عليه وسلم وأراد أيضا الزيادة فى تعظيم من شهد أحداً وأيضا خاف اختلاط المنافقين بهم فيمنون عليهم بخروجهم معهم وهم مسلمون ظاهرا فلا يمكنه منعهم وفى البخارى ومسلم وغيرهما عن عائشة رضى الله عنها قالت لما انصرف المشركون عنه صلى الله عليه وسلم خاف ان يرجعوا فقال من يذهب فى أثرهم فانتدب منهم سبعون رجلا فيهم أبو بكر والزبير زاد الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما وعمر وعثمان وعلى وعمار وطلحة وسعد وابن عوف وأبو عبيدة وحذيفة وابن مسعود قال الحافظ ابن كثير والمشهور عند أهل المغازى أن الذين خرجوا إلى حمراء الأسد كل من شهد أحدا وكانوا سبعمائة قتل منهم عثمان سبعون وبقى الباقون قال العلامة الشامى فى سيرته والظاهر انه لاتخالف بين قولى عائشة وأصحاب المغازى لان معنى قولها فانتدب منهم سبعون انهم سبقوا غيرهم ثم تلاحق الباقون وانما خرج ﷺ مرهبا للمشركين لما بلغه انهم يريدون العود نخرج لارهابهم حتى لا يرجعوا وليبلغهم أنه خرج فى طلبهم فيظنوا بالمسلمين قوة وان الذى أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم ولم يشتغلوا بدواء

---

الموزون من الكلام رتبته فوق رتبة غيره أن القرآن منبع الحق ومجمع الصدق وقصارى أمر الشاعر التخيل بتصور الباطل فى صورة الحق والافراط فى الاطراء والمبالغة فى الذم والايذاء دون اظهار الحق واثبات الصدق ولهذا نزهه الله تعالى نبيه عنه ولاجل شهر الشعر بالكذب سمى أصحاب البرهان القياسات المؤدية فى أكثر الأمر الى البطلان والكذب شعرية وقد جاء التنفير عن إنشاد الشعر فى المسجد قال صلى الله عليه وسلم من رأيتموه ينشد شعراً فى المسجد فقولوا فض الله فاك ثلاث مرات والأخذ بعمومه فيه من العسر ما لا يخفى وفى العرائس عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال من قال آدم قد قال الشعر فقد كذب على الله ورسوله ورمى آدم بالاثم وان محمداً والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم كلهم فى النهى عن الشعر سواء وفى كلام الشيخ محيى الدين بن العربى فى قوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغى له إعلم ان الشعر محل الاجمال واللغز والتورية أى مارمزنا لمحمد صلى الله عليه وسلم شيئا ولا ألغزنا ولا خاطبناه بشئ ونحن نريد شيئا آخر ولا أجملنا له الخطاب بحيث لم يفهمه وأطال فى ذلك وهل يشكل على ذلك الحروف المقطعة أوائل السور ولعله رضى الله تعالى عنه لا يرى ان ذلك من المتشابه أو أن المتشابه ليس مما استأثر الله بعلمه والله أعلم (ولما رآه صلى الله عليه وسلم) الصحابة ينقل اللبن بنفسه دأبوا فى ذلك أى فى نقل اللبن وهو المراد بالصخر فى قول بعضهم وجعل أصحابه ينقلون الصخر أو المراد الصخر الذى يبنى به الجدار وجانبا الباب كما تقدم حتى قال قائلهم

لئن قعدنا والنبى يعمل * لذاك منا العمل المضلل

وجعل يحمل كل رجل لبنة لبنة وعمار بن ياسر يحمل لبنتين لبنتين فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفض التراب عن رأس عمار ويقول ياعمار ألا تحمل كما يحمل أصحابك قال انى أريد الأجر من الله تعالى وفى رواية كان يحمل لبنة عن نفسه ولبنة عنه ﷺ فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهره وقال يا ابن سمية للناس أجر ولك أجران وآخر زادك أى من الدنيا شربة من لبن وجاء فى حق عمار بن سمية ماعرض عليه أمران قط إلا اختار رضى الله عنه الارشد منهما إذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق وتقتلك الفئة الباغية تدعوهم إلى الجنة وتدعوك إلى النار وعمار يقول أعوذ بالله وفى رواية بالرحمن من الفتن أى وهذا السياق يدل على انه ﷺ لم يستمر ينقل اللبن بل نقل ذلك فى بعض الأوقات وفى مسلم وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال أخبرنى من هو خير منى أن رسول الله ﷺ نظر لعمار حين شغل بحفر الخندق فجعل يمسح رأس عمار ويقول ابن سمية تقتلك فئة باغية وفى رواية تعيين منى أبهمه أبو سعيد وهو أبو قتادة وزاد فى رواية أن النبى ﷺ لما حفر الخندق وكان الناس يحملون لبنة لبنة أى من الحجارة التى تقطع وعمار ناقه من وجع كان به فجعل يحمل لبنتين لبنتين قال لعمار بؤسا لك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية ثم رأيت بعضهم قال يشبه أن يكون ذكر الخندق وهما أو قالها عند بناء المسجد وقالها يوم الخندق هذا كلامه أى ويكون عمار بن ياسر فى الخندق قد صار يحمل الحجرين وكان فى بناء المسجد يحمل اللبنتين وكان

جراحاتهم مع أن منهم من كان به بضع وسبعون جراحة (وذكر ابن سعد) انه صلى الله عليه وسلم ركب فرسه وهو مجروح فبعث ثلاثة نفر من أسلم طليعة فى آثار القوم فلحق اثنان منهم القوم بحمراء الأسد ولهم رجل ويأتمرون بالرجوع وصفوان ينهاهم فبصروا بالرجلين فقتلوهما ومضى صلى الله عليه وسلم بأصحابه ودليله ثابت بن الضحاك بن ثعلبة بن الخزرج حتى عسكر بحمراء الأسد فوجد الرجلين فدفنهما وروى النسائى والطبرانى بسند صحيح عن ابن عباس رضى الله ( ٧٧ ) عنهما قال لما رجع المشركون عن أحد قالوا لا محمدا قتلتم ولا الكواعب أردفتم بئسما صنعتم أرجعوا فسمع بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فندب المسلمين فانتدبوا فخرج بهم حتى بلغ حمراء الأسد أو بئر أبى عتبة فأنزل الله عزوجل الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم وخرج صلى الله عليه وسلم وهو مجروح وفى وجهه أثر الحلقتين ورباعيته مكسورة وشفته السفلى مشقوقة وركبتاه مجروحتان من وقعة الحفيرة ولقيه طلحة بن عبيدالله رضى الله عنه فقال له ياطلحة أين سلاحك فقال قريب فذهب وأتى به وبه بضع وسبعون جراحة منها سبعة بصدره فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ياطلحة أين تظن القوم فقال بالسيالة فقال صلى الله عليه وسلم ذلك الذى ظننت أما أنهم ياطلحة لن ينالوا منا مثلها حتى يفتح الله علينا مكة وقال لعمر بن الخطاب رضى الله عنه يا ابن الخطاب ان قريشا لن ينالوا منا مثل هذا حتى تستلم الركن ولما وصل ﷺ حمراء الأسد أقام بها الاثنين والثلاثاء والاربعاء وكان المسلمون يوقدون تلك الليالى خمسمائة نار حتى ترى من المكان البعيد وذهب صوت معسكرهم ونيرانهم فى كل وجه فكبت الله بذلك عدوهم وكان اللواء فى هذه الغزوة بيد على بن أبى طالب رضى الله عنه (واستعمل) ﷺ على المدينة ابن أم مكتوم قال ابن اسحق ان النبى صلى الله

عثمان بن مظعون رضى الله تعالى عنه رجلا متنظفا أى مترفها فكان إذا حمل اللبنة يجافى بها عن ثوبه لئلا يصيبه التراب فان أصابه شىء من التراب نفضه فنظر اليه على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وأنشد يقول أى مباسطة مع عثمان بن مظعون لا طعنا فيه

لا يستوى من يعمر المساجدا * يدأب فيها قائما وقاعدا * ومن يرى عن التراب حائدا

أى وكان عثمان هذا من جملة من حرم الخمر على نفسه فى الجاهلية وقال لا أشرب شرابا يذهب عقلى ويضحك بى من هو أدنى منى وذكر ابن اسحق قال سألت غير واحد من أهل العلم بالشعر عن هذا الرجز هل تمثل به على أو انشاه فكل يقول لا أدرى فسمع ذلك الرجز عمار بن ياسر فصار يرتجز بذلك وهو لا يدرى من يعنى بذلك فمر يرتجز بذلك على عثمان فظن عثمان ان عمارا يقصد التعريض به فقال له عثمان يا ابن سمية ما أعرفنى بمن تعرض به لتكفن أو لأعترضن بهذه الحديدة لحديدة كانت معه وجهك وفى لفظ والله انى أرانى سأعرض هذه العصا بأنفك لعصا كانت فى يده فسمعه رسول الله ﷺ فغضب وقال ان عمار بن ياسر جلدة ما بين عينى ووضع يده الشريفة بين عينيه الشريفتين فقال الناس لعمار قد غضب رسول الله ﷺ أى ونخاف أن ينزل فينا قرآن فقال أنا ارضيه فقال يارسول الله مالى ولأصحابك قال مالك ولهم قال يريدون قتلى فيحملون لبنة لبنة ويحملون على لبنتين لبنتين أى وفى لفظ يحملون على اللبنتين والثلاث أى ولعله حمل ثلاث لبنات فى بعض الأوقات فأخذ بيده وطاف به المسجد وجعل يمسح ذفرته من التراب والذفرة بالذال المعجمة الشعر الذى جهة القفا ويقول يا ابن سمية ليسوا بالذين يقتلونك تقتلك الفئة الباغية ويقول ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم الى الجنة أى الى سببها وهو اتباع الامام الحق لأنه كان يدعو الى اتباع على وطاعته وهو الامام الواجب الطاعة إذ ذاك ويدعونه الى النار أى إلى سببها وهو عدم اتباع على وطاعته واتباع معاوية وطاعته وفيه ان تلك الفئة التى كان فيها قاتله كان فيها جمع من الصحابة وهم معذورون بالتأويل الذى ظهر لهم الا ان يقال يدعونه إلى النار باعتبار اعتقاده واطلاق البغى عليهم حينئذ باعتبار ذلك قال بعضهم وفئة معاوية وان كانت باغية لكنه بغى لا فسق فيه لأنه إنما صدر عن تأويل يعذر به أصحابه انتهى أى ومازاده بعضهم فى الحديث لا أنالهم الله شفاعتى يوم القيامة قال ابن كثير من روى هذا فقد افترى فى هذه الزيادة على رسول الله ﷺ فانه لم يقلها إذ لم تنقل عمن يقبل وقال الامام أبو العباس بن تيمية وهذا كذب مزيد فى الحديث لم يروه أحد من أهل العلم باسناد معروف وكذلك قوله ﷺ عمار جلدة ما بين عينى لا يعرف له اسناد والذى فى الصحيح تقتل عمارا الفئة الباغية وعن أبى العالية سمعت رسول الله ﷺ يقول قاتل عمار فى النار ومن العجب ان أبا العالية هذا هو القاتل لعمار يوم صفين فكان أبو العالية مع معاوية وكان عمار مع على أى ويقول ان عمارا لما برز للقتال قال اللهم لو أعلم رضاك عنى ان أوقد نارا فارمى نفسى فيها لفعلت أو أغرق نفسى لفعلت وانى لا أريد قتال هؤلاء الا وجهك الكريم وأنا أرجو ان لا يخيبنى وجعلت يده ترتعش على الحربة

عليه وسلم لقي بحمراء الاسد معبد بن أبى معبد الخزاعى وهو يومئذ مشرك وأسلم بعد رضى الله عنه وكان بنو خزاعة عيبة نصح للنبى صلى الله عليه وسلم مسلمهم وكافرهم كلهم يحبونه صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد والله لقد عز علينا ما أصابك فى نفسك وما أصابك فى أصحابك ولوددنا أن الله أعلى كعبك وان المصيبة كانت بغيرك ثم مضى حتى أتى أباسفيان وأصحابه وهم بالروحاء وقد أجمعوا على الرجوع وقالوا أصبنا  فى أحد أصحاب محمد وقادتهم واشرافهم ثم نرجع قبل أن نستأصلهم لنكرن عليهم فلنفرغن منهم فلما رأى أبو سفيان معبدا قال ماوراءك قال محمد خرج فى أصحابه يطلبكم فى جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقا قد اجتمع معه من كان تخلف عنه فى يومكم وندموا على ماصنعوا وفيهم من الحنق عليكم شىء لم أر مثله قط قال ويلك ماتقول قال ماأرى ان ترتحل حتى ترى نواصى الخيل قال لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم قال فانى أنهاك عن ذلك فملئوا رعبا من ذلك ورجعوا الى مكة وروى ابن جرير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ان الله قذف فى قلب أبى سفيان الرعب بعد الذى كان منه يوم أحد فرجع الى مكة وقال صلى الله عليه وسلم ان أبا سفيان قد أصاب منكم طرفا وقذف الله فى قلبه الرعب (ثم رجع صلى الله عليه وسلم) بأصحابه بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء ووصلوا المدينة يوم الجمعة وقد غاب خمسا وظفر صلى الله عليه وسلم عند رجوعه الى المدينة بمعاوية منهما ابن المغيرة بن أبى العاص بن أمية بن شمس وهو جد عبد الملك بن مروان أبو أمه عائشة فأمر بقتله وحاصل قصته أنه لما رجع المشركون من أحد ذهب على وجهه ثم أتى باب عثمان فدقه فقالت أم كلثوم بنت النبى صلى الله عليه وسلم ورضى عنها من أنت قال ابن عم عثمان فقالت ليس هو ههنا فقال ارسلى اليه فله عندى ثمن بعير كنت اشتريته منه فجاء عثمان رضى الله عنه فلما نظر اليه

أى لأن عمره يومئذ كان ثلاثا وسبعين سنة أى وقد كان جىء له بلبن فضحك فقيل له مايضحكك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول آخر شراب تشربه حين تموت لبن وفى رواية آخر زادك من الدنيا مشيج من اللبن ثم نادى اليوم زخرفت الجنان وزينت الحور الحسان اليوم نلقى الأحبه محمدا وحزبه ولما قتل عمار دخل عمرو بن العاص على معاوية فزعا وقال قتل عمار فقال معاوية قتل عمار فماذا قال عمرو سمعت رسول الله ﷺ يقول تقتل عمار الفئة الباغية فقال له معاوية دحضت أى زلقت فى بولك أنحن قتلناه إنما قتله من أخرجه وفى رواية قال له اسكت فوالله ماتزال تدحض أى تزلق فى بولك إنما قتله على وأصحابه جاؤا به حتى ألقوه بيننا وذكر أن عليا رضى الله تعالى عنه لما احتج على معاوية رضى الله تعالى عنه بهذا الحديث ولم يسع معاوية انكاره قال انما قتله من أخرجه من داره يعنى بذلك عليا فقال على رضى الله تعالى عنه فرسول الله صلى الله عليه وسلم إذن قتل حمزة حين أخرجه ولما قتل عمار جرد خزيمة بن ثابت رضى الله تعالى عنه سيفه وقاتل مع على وكان قبل ذلك اعتزل عن الفريقين وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تقتل عمارا الفئة الباغية فقاتل معاوية حتى قتل وكان ذو الكلاع رضى الله تعالى عنه مع معاوية وقال له يوما ولعمرو بن العاص كيف تقاتل عليا وعمار بن ياسر فقالا له ان عمارا يعود الينا ويقتل معنا فقتل ذو الكلاع قبل قتل عمار ولما قتل عمار قال معاوية لو كان ذو الكلاع حيا لمال بنصف الناس الى على أى لأن ذا الكلاع كان ذووه أربعة آلاف أهل بيت وقيل عشرة آلاف وكان عبد الله بن بديل بن ورقاء رضى الله تعالى عنه مع على رضى الله تعالى عنه فلما قتل عمار أخذ سيفين ولبس درعين ولم يزل يضرب بسيفيه حتى انتهى الى معاوية فأزاله عن موقفه وأزال أصحابه الذين كانوا معه عن موقفهم ثم قام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال ألا ان معاوية ادعى ماليس له ونازع الأمر أهله ومن ليس قبله وجادل بالباطل ليدحض به الحق وصال عليكم بالاعراب والاحزاب وزين لهم الضلالة وزرع فى قلوبهم حب الفتنة ولبس عليهم الأمر وأنتم والله على الحق على نور من ربكم وبرهان مبين فقاتلوا الطغاة الجناة قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين قاتلوا الفئة الباغية الذين نازعوا الأمر أهله قوموا رحمكم الله ولما قتل عمار ندم ابن عمر رضى الله تعالى عنهما على عدم نصرة على والمقاتلة معه وقال عند موته ما أسى على شىء ما أسى على ترك قتال الباغية قال بعضهم شهدنا صفين مع على بن أبى طالب فى ثمانمائة من أهل بيعة الرضوان وقتل منهم ثلاثة وستون منهم عمار بن ياسر وكان خزيمة بن ثابت الذى جعل رسول الله ﷺ شهادته بشهادة رجلين كان مع على يوم صفين كافا سلاحه حتى قتل عمار جرد سيفه وقاتل حتى قتل لأنه كان يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عمار تقتله الفئة الباغية وفى الحديث من عادى عمارا عاداه الله ومن أبغض عمارا أبغضه الله عمار يزول مع الحق حيث يزول عمار خلط الايمان بلحمه ودمه عمار ماعرض عليه أمران الا اختار الأرشد

قال أهلكتنى وأهلكت نفسك فقال يا ابن عم لم يكن أحد أمس بى منك رحما فاجرنى فادخله عثمان رضى الله عنه منزله وجعله فى ناحية ثم خرج عثمان رضي الله عنه ليأخذ له أمانا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع رسول الله ﷺ يقول ان معاوية بالمدينة فاطلبوه فدخلوا منزل عثمان رضى الله عنه فاشارت اليهم أم كلثوم رضى الله عنها بأنه فى ذلك المكان بعد أن علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم بذلك فاخرجوه وأتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم



فامر بقتله فقال عثمان رضى الله عنه والذى بعثك بالحق ماجئت إلا لآخذ له أمانا فهبه لى فوهبه له وأجله ثلاثا وأقسم انه ان وجده بعدها قتله وخرج رسول الله ﷺ الى حمراء الاسد فاقام معاوية ثلاثا ليستعلم أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأتى بها قريشا فلما كان فى اليوم الرابع عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فخرج معاوية هاربا فقال صلى الله عليه وسلم انكم ستجدونه بموضع كذا وكذا فاقتلوه فادركه زيد بن حارثة وعمار رضي الله عنهما فقتلاه وقيل انما قتلاه بعد ان جاآبه الى النبي صلى الله عليه وسلم فامر بضرب عنقه صبرا بان أوثقوه حتى أمر بقتله وفى سيرة ابن هشام وظفر صلى الله عليه وسلم بأبى عزة عمرو بن عبد الله الجمحى وكان قد أسره ببدر ثم من عليه من غير فداء لاجل بناته وكان شاعرا يشتغل بسب النبي صلى الله عليه وسلم وهجاء أصحابه ويستنفر الناس للقتال وكان عاهد النبي صلى الله عليه وسلم بعد بدر على أن لا يعود إلى شىء من ذلك فلما من عليه وأطلقه رجع الى مكة ونقض العهد واشتغل بما كان مشتغلا به قبل من السب والهجاء فلما كان يوم أحد خرج مع المشركين وهو على ذلك الحال فلما نزل المشركون بحمراء الاسد نزل معهم ثم ساروا وتركوه نائما فادركه المسلمون وأسروه وكان الذى أسره عاصم بن ثابت رضى الله عنه فلما ظفر به ﷺ قال يارسول الله أقلنى وامنن على ودعنى لبناتى

منهما وجاء ان عمار أدخل النبي ﷺ فقال مرحبا بالطيب المطيب ان عمار بن ياسر حشى ما بين أخمص قدميه الى شحمة أذنه إيمانا وفى رواية ان عمارا ملىء ايمانا من قرنه إلى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه وتخاصم عمار مع خالد بن الوليد فى سرية كان فيها خالد أميرا فلما جاآ اليه ﷺ استبا عنده فقال خالد يارسول الله أيسرك ان هذا العبد الأجدع يشتمنى فقال رسول الله ﷺ ياخالد لاتسب عمارا فان من سب عمارا فقد سب الله ومن أبغض عمارا أبغضه الله ومن لعن عمارا لعنه الله ثم ان عماراً قام مغضبا فقام خالد فتبعه حتى أخذ بثوبه واعتذر اليه فرضى عنه وعن سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال الحق مع عمار مالم يغلب عليه دلهة الكبر وهذا الحديث من اعلام النبوة فان عمارا وقع بينه وبين عثمان بن عفان بعض الشحناء وأشيع عنه أنه يريد أن يخلع عثمان فاستدعاه سعد بن أبى وقاص وكان مريضا فقال له ويحك يا أبا اليقظان كنت فينا من أهل الخير فما الذى بلغنى عنك من السعى فى الفساد بين المسلمين والتألب على أمير المؤمنين أمعك عقلك أم لا فغضب عمار ونزع عمامته وقال خلعت عثمان كما خلعت عمامتى هذه فقال سعد إنا لله وإنا اليه راجعون ويحك حين كبر سنك ورق عظمك ونفد عمرك خلعت ربقة الاسلام من عنقك وخرجت من الدين عريانا كما ولدتك أمك فقام عمار مغضبا موليا وهو يقول أعوذ بربى من فتنة سعد وعند ذلك روى سعد الحديث وقال قد دله وخرف عمار وأظهر عمار القوم على ذلك قال وجعلت قبلة المسجد إلى بيت المقدس وجعل له ثلاثة أبواب باب فى مؤخره والباب الذى كان يقال له باب عاتكة وكان يقال له باب الرحمة والباب الذى يقال له الآن باب جبريل انتهى أى وهو الباب الذى كان يدخل منه ﷺ ويقال له باب عثمان لانه كان يلى دار عثمان وهو الذى يخرج منه الآن الى البقيع أقول وجعل قبلته إلى بيت المقدس كان قبل أن تحول القبلة ولما حولت حولت قبلته إلى الكعبة وهذا محمل قوله ﷺ ماوضعت قبلة مسجدى هذا حتى رفعت لى الكعبة فوضعتها أتيممها أو أؤمها أى اقصدها وفى رواية ما وضعت قبلة مسجدى هذا حتى فرج لى ما بينى وبين الكعبة والله أعلم أى وفى كلام بعضهم ومن الفوائد الحسنة ماذكره مغلطاى ان موضع المسجد كان ابتاعه تبع لرسول الله ﷺ قبل مبعثه بألف سنة وانه لم يزل على ملكه أى متعلقا به من ذلك العهد على مادل عليه كتاب تبع (أقول) سيأتى ان تبعا بنى للنبي ﷺ دارا بالمدينة اذا قدمها ينزل فى تلك الدار وانه يقال انها دار أبى أيوب وقد يجمع بأنه يجوز أن يكون ذلك المربد ودار أبى أيوب بمجموعهما تلك الدار وان تلك الدار قسمت فكان دار أبى أيوب بعضها وذلك المربد بعضها الآخر وان الايدى تداولت سكنى تلك الدار الى أن صارت سكنا لأبى أيوب وهذا هو المراد بقول المواهب تداولت الدار والملاك الى أن صارت لأبى أيوب لكن قد يقال لو كانت الدار مذكورة فى الكتاب لذكر ذلك لرسول الله ﷺ فان الكتاب كما سيأتى وصل اليه فى مكة فى أول البعثة ونزوله دار أبى أيوب وأخذه المربد على الكيفية المذكورة يبعد ذلك أى انه ذكر له أمر تلك الدار والله

وأعاهدك أن لا أعود فقال والله لا تمسح عارضيك بمكة تقول خدعت محمدا مرتين وفي رواية تمسح لحيتك تجلس بالحجر تقول خدعت محمدا وفي لفظ سحرت محمدا مرتين ان المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين اضرب عنقه يازبير وفي رواية ياعاصم بن ثابت فضرب عنقه وأنزل الله فيه وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم قيل ولما قتل حملت رأسه على رمح إلى المدينة وهي أول رأس حملت في الاسلام إلى المدينة  أي على رمح فلا ينافي ان أول رأس حملت رأس كعب بن الأشرف فلا تعارض (قال

أعلم قال ومكث صلى الله عليه وسلم يصلي في المسجد بعد تمامه إلى بيت المقدس خمسة أشهر ولما حولت القبلة سد ﷺ الباب الذي كان في مؤخر المسجد (وفي كلام بعضهم) لما حولت القبلة لم يبق من الأبواب التي كان يدخل منها ﷺ الا الباب الذي يقال له باب جبريل عليه السلام أي فانه بقي في محله وأما باب الرحمة الذي كان يقال له أيضا باب عاتكة فأخر عن محله (وسبب) وضع الحصا في المسجد ان المطر جاء ذات ليلة فأصبحت الارض مبتلة فجعل الرجل يأتي بالحصا في ثوبه فيبسطه تحته ليصلي عليه فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال ما أحسن هذا وفي رواية ما أحسن هذا البساط وقد يعارض هذا ماقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يحصب المسجد فمات قبل ذلك فحصبه عمر رضي الله تعالى عنه (أقول) قد يقال لا معارضة لانه يجوز أن يكون ﷺ لما أعجبه ذلك من فعل بعض الصحابة أمره أن يحصب جميع المسجد لأن الواقع تحصيب بعضه لكن يشكل على ذلك قول بعضهم من البدع فرش المساجد الآن يراد بالحصر ونحوها لأنه لم يكن في زمنه ﷺ ولا أمر به ثم رأيت بعضهم ذكر ذلك حيث قال أول من فرش الحصر في المساجد عمر بن الخطاب وكانت قبل ذلك مفروشة بالحصباء أي في زمنه صلى الله عليه وسلم كما تقدم (وفي الاحياء) أكثر معروفات هذه الأعصار منكرات في عصر الصحابة رضي الله تعالى عنهم اذ من عزيز المعروف في زماننا فرش المساجد بالبسط الرقيقة فيها وقد كان بعد فرش البواري في المسجد بدعة كانوا لا يرون أن يكون بينهم وبين الأرض حائل هذا كلام الاحياء أي والحصباء لا تعد حائلا وسيأتي ان المسجد بني بعد فتح خيبر وهي التي عناها خارجة رضي الله تعالى عنه بقوله لما كثر الناس قالوا يارسول الله لو زيد فيه ففعل ولعلها هي التي أدخل فيها الأرض التي اشتراها عثمان رضي الله تعالى عنه من بعض الأنصار بعشرة آلاف درهم ثم جاء عثمان الى النبي ﷺ فقال يارسول الله أتشتري مني البقعة التي اشتريتها من الأنصار أي التي كانت مجاورة للمسجد فاشتراها منه ببيت في الجنة أي وفي رواية أن عثمان رضي الله تعالى عنه لما حصر أي الحصرة الثانية وأشرف على الناس من فوق سطح داره وقد اشتد به العطش قال أههنا علي قالوا لا قال أههنا طلحة قالوا لا قال أنشدكم بالله الذي لا إله الا هو أتعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من يبتاع مربد بني فلان أي لمربد كان مجاورا للمسجد غفر الله له فابتعته بعشرين ألفا أو بخمسة وعشرين ألفا شك عثمان وتقدم انه اشتراها بعشرة آلاف درهم فليتأمل فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت قد ابتعته فقال اجعله مسجدنا وأجره لك قالوا اللهم نعم قد كان ذلك وفي لفظ أنشدكم بالله وبالاسلام هل تعلمون ان المسجد ضاق بأهله فقال رسول الله ﷺ من يشتري بقعة ابن فلان لبقعة كانت إلى جنب المسجد فقال ﷺ من يشتريها ويوسعها في المسجد له مثلها وفي لفظ بخير له منها في الجنة فاشتريتها ووسعتها في المسجد فأنتم الآن تمنعوني أن أصلي فيها ركعتين أي وزاد فيه عثمان رضي الله تعالى عنه بعد ذلك زيادة كبيرة وبنى جداره بالحجارة المنقوشة وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج كما في البخاري وعدد عثمان رضي الله

تعالى

بعضهم) في معنى قوله صلى الله عليه وسلم لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين انه ينبغي للمرء أن يستعمل الحزم وهذا المثل لم يسمع من غيره صلى الله عليه وسلم (وفي هذه السنة) كانت ولادة الحسن بن علي رضي الله عنهما وهي سنة ثلاث من الهجرة منتصف رمضان وحملت فاطمة رضي الله عنها بعد ولادته بخمسين ليلة بالحسين بن علي رضي الله عنهما وفي هذه السنة أيضا حرمت الخمر في شوال بعد وقعة أحد

﴿سرية أبي سلمة﴾

عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم القرشي المخزومي وكانت هلال المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهرا من الهجرة إلى قطن بفتح القاف والطاء وبالنون جبل بناحية فيد بفتح الفاء وسكون الياء وبالدال المهملة آخره وهو اسم ماء لبني أسد بنجد بعث صلى الله عليه وسلم أبا سلمة ومعه مائة وخمسون رجلا من المهاجرين والانصار منهم أبو عبيدة وسعد وأسيد بن حضير وأبو نائلة لطلب طليحة وسلمة ابني خويلد الاسديين وسبب ذلك انه بلغه صلى الله عليه وسلم انهما يدعوان قومهما ومن أطاعهما لحربه صلى الله عليه وسلم فنهاهم قيس بن الحرث فلم ينتهوا فدعا ﷺ أبا سلمة وعقد له لواء وقال سر حتى تنزل أرض بني أسد بن خزيمة فأغر عليهم فخرج فأسرع السير حتى انتهى إلى أدنى قطن فأغار على سرح لهم مع رعاء لهم مماليك

ثلاثة وأفلت الباقون وتفرقوا فى كل وجه وفى رواية خافوا وهربوا عن منازلهم ووجد أبو سلمة إبلا وشاء فأغار عليها ولم يلق كيدا
أى حربا وفى رواية فعسكر به أى بقطن وتفرق قومه ثلاث فرق فرقة قامت معه وفرقتان أغارتا فى ناحيتين فرجعتا اليه سالمتين
وقد أصابتا نعما وشاء فانحدر بها أبو سلمة الى المدينة وأخرج منها صفى رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدا وأعطى الوليد بن زبيد
الطائى وهو الدليل مارضى به ثم خمسها وقسم الباقى على أهل السرية فبلغ سهم  كل واحد سبع بعير وأغناما ومدة
غيبته فى تلك السرية عشرة أيام والله أعلم

﴿ سرية عبد الله ﴾
ابن أنيس رضى الله عنه الجهنى السلمى الأنصارى بعثه صلى الله عليه وسلم وحده يوم الاثنين لخمس خلون من المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهرا من الهجرة لقتل سفيان ابن خالد بن نبيح الهذلى ثم اللحيانى وكان بعرنة موضع قريب من عرفة لأنه بلغه صلى الله عليه وسلم أنه جمع الجموع لحربه فقال لعبد الله ائته فاقتله فقال صفه لى يارسول الله حتى أعرفه قال اذا رأيته هبته وفرقت منه ووجدت له قشعريرة وذكرت الشيطان قال عبد الله وكنت لا أهاب الرجال فقلت يارسول الله مافرقت من شىء قط فقال آية ما بينك وبينه ذلك واستأذنته أن أقول فقال قل مابدا لك وقال انتسب لخزاعة فأخذت سيفى وخرجت أعتزى لخزاعة فلما

وصلت اليه بعرنة لقيته يمشى ووراءه الأحابيش فهبته وعرفته بنعت النبى صلى الله عليه وسلم
فقلت صدق الله وصدق رسوله وقد دخل وقت العصر حين رأيته فصليت وأنا أمشى وأومىء برأسى ايماء ثم دنوت منه فقال ممن
الرجل قلت من بنى خزاعة سمعت بجمعك لمحمد فجئت لأكون معك قال أجل انى لفى الجمع له فمشيت معه وحدثته فاستحلى حديثى
فقلت له عجبا لما أحدث محمد من هذا الدين المحدث فارق الآباء وسفه أحلامهم قال انه لم يلق أحدا يشبهنى ثم مشيت معه وهو يتوكأ

---

تعالى عنه أشياء منها أنه قال أنشدكم بالله وبالاسلام هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة ولم يكن يشرب منها أحد الا بالثمن فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من يشترى بئر رومة يجعل دلوه فيها مع دلاء المسلمين وفى لفظ ليكون دلوه فيها كدلاء المسلمين
بخير له منها فى الجنة وفى لفظ له بها مشرب فى الجنة فاشتريتها من صلب مالى فجعلتها للغنى والفقير وابن
السبيل قالوا اللهم نعم قال فأنتم اليوم تمنعونى أن أشرب منها بل وتمنعونى الماء ألا أحد يسقينا فانى
أفطر على الماء الملح وفى رواية هل فيكم من يبلغ عليا عطشنا فأبلغوه فلما بلغ ذلك عليا أرسل اليه
بثلاث قرب مملوأة ماء فما كادت تصل اليه وجرح بسببها عدة من موالى بنى هاشم وبنى أمية أى وكانت
هذه البئر ركية ليهودى يقال له رومة يقال انه أسلم وكان يبيع المسلمين ماءها كانت بالعقيق وتفل
فيها صلى الله عليه وسلم فعذب ماؤها ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يشترى بئر رومة فيجعلها للمسلمين
يضرب بدلوه فى دلائهم وله بها مشرب فى الجنة فساومه فيها عثمان فأبى أن يبيعها كلها فاشترى نصفها
باثنى عشر ألف درهم وجعل ذلك للمسلمين وجعل له يوما ولليهودى يوما فاذا كان يوم عثمان استقى
المسلمون مايكفيهم يومين فلما رأى اليهودى ذلك قال لعثمان أفسدت على ركيتى فاشترى النصف
الآخر بثمانية آلاف وقيل جملة ما اشتراها به خمسة وثلاثون ألف درهم وقول عثمان جعلتها للغنى
والفقير وابن السبيل دليل على أن قوله دلوى فيها كدلاء المسلمين على أنه لم يشترط ذلك بل قصد به
التعميم فى الموقوف عليه ولا دليل فيه على جواز أن للواقف أن يشترط له الانتفاع بما وقفه كما زعمه
بعضهم وكان حصار عثمان رضى الله تعالى عنه شهرين وعشرين يوما وفى كلام سبط ابن الجوزى
كان الحصار الأول عشرين يوما والثانى أربعين يوما وفى يوم من تلك الأيام قال وددت لو أن رجلا
صادقا أخبرنى عن أمرى هذا أى من أين أوتيت فقام رجل من الأنصار فقال أنا أخبرك ياأمير
المؤمنين انك تطأطأت لهم فركبوك وما جرأهم على ظلمك الا افراط حلمك فقال له صدقت اجلس (وأول
من دخل عليه الدار) محمد بن أبى بكر تسور عليه هو وجماعة من الحائط من دار عمرو بن حزم فأخذ
بلحيته فقال له دعها يا ابن أخى فوالله لقد كان أبوك يكرمها فاستحى وخرج وفى رواية لما أخذ بلحيته
هزها وقال له ما أغنى عنك معاوية وما أغنى عنك ابن أبى سرح فقال له يا ابن أخى أرسل لحيتى فوالله انك
لتجر لحية كانت تعز على أبيك وما كان أبوك يرضى مجلسك هذا منى فتركه وخرج ويقال انه قال له ما أريد
بك أشد من قبضى على لحيتك فقال عثمان استنصر بالله عليك واستعين به ثم طعن جبينه بمشقص كان فى يده
ثم ضربه بعض هؤلاء بالسيف فاتقته نائلة زوج عثمان فقطع أصابع يدها الخمس * وعن ابن الماجشون
عن مالك أن عثمان بعد قتله ألقى على المزبلة ثلاثة أيام وقيل أغلق عليه بابه بعد قتله ثلاثة أيام لا
يستطيع أحد أن يدفنه فلما كان الليل أتاه اثنا عشر رجلا منهم حويطب بن عبد العزى وحكيم بن
حزام وعبيد الله بن الزبير وقيل صلى عليه أربعة وان ابن الزبير لم يشهد قتل عثمان فاحتملوه فلما
اجتازوا به للمقبرة منعوهم وقالوا والله لا يدفن فى مقابر المسلمين فدفنوه بمحل كان الناس يتوقون أن

على عصا يهد الارض حتى انتهى إلى خبائه وتفرق عنه أصحابه إلى منازل قريبة منه وهم يطيفون به فقال هلم يا أخا خزاعة فدنوت منه قال اجلس قال فجلست معه حتى اذا نام الناس اغتررته وقتلته وفي رواية انه قال مشيت معه حتى اذا أمكنني حملت عليه السيف وقتلته وأخذت رأسه ثم أقبلت فصعدت جبلا ودخلت غارا وأقبل الطلب وأنا كامن في الغار وضربت العنكبوت على الغار وأقبل رجل معه اداوة ضخمة ونعلاه في يده وكنت حافيا فوضع اداوته ونعله وجلس يبول قريبا من فم الغار ثم قال لأصحابه ليس أحد في الغار فانصرفوا راجعين فخرجت فشربت ما في الأداوة ولبست النعلين ولم يرني أحد فطلبهما صاحبهما بعد ذلك فلم يجدهما فرجع إلى قومه وكنت أسير الليل وأتوارى النهار خوفا من الطلب ان يدركني حتى قدمت المدينة فوجدته صلى الله عليه وسلم بالمسجد فقال صلى الله عليه وسلم أفلح الوجه قلت أفلح وجهك يا رسول الله ووضعت الرأس بين يديه وأخبرته خبري فدفع إلى عصا وقال تخصر بها في الجنة فان المتخصرين في الجنة قليل فكانت العصا عنده حتى إذا حضرته الوفاة أوصى أن يدرجوها في أكفانه ففعلوا والتخصر الاتكاء على قضيب ونحوه وكانت غيبته ثماني عشرة ليلة وقدم يوم السبت لسبع بقين من المحرم قال موسى ابن عقبة وقد أخبر صلى الله عليه وسلم أصحابه بقتل عبد الله بن أنيس لسفيان بن خالد قبل قدوم عبدالله بن أنيس رضى الله عنه والله أعلم

﴿بعث الرجيع﴾ وهي سرية عاصم بن ثابت الأنصاري رضى الله عنه وكان رضى الله عنه من السابقين الى الاسلام روى الحسن ابن سفيان قال لما كانت ليلة العقبة أو ليلة بدر قال صلى الله عليه وسلم لمن عنده كيف تقاتلون فقام عاصم بن ثابت رضى الله عنه فأخذ القوس والنبل وقال اذا كان القوم قريبا من مائتي ذراع كان الرمي واذا دنوا حتى تنالهم الرماح كانت المداعبة أي

يدفنوا موتاهم به فكان يمر به ويقول سيدفن هنا رجل صالح فيتأسى به الناس في دفن موتاهم به وكان ذلك المحل بستانا فاشتراه عثمان وزاده في البقيع فكان هو أول من قبر فيه وحملوه على باب وان رأسه ليقرع الباب لاسراعهم به من شدة الخوف ولما دفنوه عفوا قبره خوفا عليه ان ينبش وأما غلاماه اللذان قتلا معه فجروهما برجليهما وألقوهما على التلال فأكلتهما الكلاب وسبب هذه الفتنة انهم نقموا عليه أمورا منها عزله لأكابر الصحابة ممن ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من أوصى عمر رضى الله تعالى عنه بأن يبقى على ولايته وهو أبو موسى الأشعري رضى الله تعالى عنه من البصرة فان عمر رضى الله تعالى عنه أوصى بأن يبقى على ولايته فعزله عثمان وولى ابن خاله عبدالله بن عامر محله وعزل عمرو بن العاص عن مصر وولاها ابن أبي سرح وعزل المغيرة بن شعبة عن الكوفة وعزل ابن مسعود رضى الله تعالى عنه عنها أيضا وأشخصه إلى المدينة وعزل سعد بن أبي وقاص رضى الله تعالى عنه عن الكوفة وولى أخاه لأمه الوليد بن عقبة بن أبي معيط الذي سماه الله تعالى فاسقا بقوله تعالى أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا وصار الناس يقولون بئس ما فعل عثمان عزل اللين الهين الورع المستجاب الدعوة وولى أخاه الخائن الفاسق المدمن للخمر ولعل مستندهم في ذلك ما رواه الحاكم في صحيحه من ولى رجلا على عصابة وهو يجد في تلك العصابة من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين ومنها انه أدخل عمه الحكم بن أبي العاص والد مروان المدينة وكان يقال له طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعينه وقد كان صلى الله عليه وسلم طرده الى الطائف ومكث به مدة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدة أبي بكر بعد أن سأله عثمان في ادخاله المدينة فأبى فقال له عثمان عمي فقال عمك إلى النار هيهات هيهات ان أغير شيئا فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا رددته أبدا فلما توفي أبو بكر وولي عمر كلمه عثمان في ذلك فقال له ويحك يا عثمان تتكلم في لعين رسول الله صلى الله عليه وسلم وطريده وعدو الله وعدو رسوله فلما ولي عثمان رده إلى المدينة فاشتد ذلك على المهاجرين والأنصار فأنكر ذلك عليه أعيان الصحابة فكان ذلك من أكبر الأسباب على القيام عليه واعتذر عثمان عن ذلك بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان وعده برده وهو في مرض موته قال فشهدت عند أبي بكر فقال انك شاهد واحد ولا تقبل شهادة الواحد ثم قال لي عمر كذلك فلما صار الأمر الى قضيت بعلمي أي وأما عزله لأبي موسى فان جند عمله شكوا شحه فعزله خوف الفتنة ومنها أنه جاء إلى عثمان أهل مصر يشكون ممن ولاه عليهم وهو ابن أبي سرح وقالوا كيف توليه على المسلمين وقد أباح رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح دمه وتعزل عمرو بن العاص عنا ورد هذا بأن عزله لعمرو انما كان لكثرة شكايتهم منه وابن أبي سرح أسلم بعد الفتح وحسن حاله ووجدوه لسياسة الأمر أقوى من عمرو بن العاص وعزله للمغيرة بأنه أنهى اليه فيه انه ارتشى فرأى المصلحة في عزله فلما عادوا إلى مصر قتل ابن أبي سرح رجلا منهم فعادوا إلى عثمان وكلموا أكابر الصحابة كعلي وطلحة بن عبيد الله فقالوا اعزله عنهم فانهم سألونك رجلا مكانه فقال لهم عثمان يختارون رجلا أوليه عليهم فاختاروا محمد بن أبي بكر فكتب اليه عهده وولاه فخرج وخرج معه جماعة من المهاجرين والأنصار

الملاعبة بالرماح حتى تنقصف فاذا انقصفت وضعناها وأخذنا السيوف وكانت المجالدة فقال صلى الله عليه وسلم هكذا أنزلت
الحرب من قاتل فليقاتل كما يقاتل عاصم وشهد رضى الله عنه العقبة و بدرا وأحدا وكان بعثه فى صفر على رأس ستة وثلاثين شهرا من
الهجرة فيكون فى أول السنة الرابعة والرجيع اسم ماء لهذيل ابن مدركة بن الياس بين مكة وعسفان وانما أضيف البعث إلى اسم
ذلك الماء لأن الوقعة كانت بالقرب منه وسبب هذا أن بنى لحيان من هذيل بعد قتل (٨٣) سفيان بن خالد بن نبيح الهذلى مشوا الى
عضل والقارة وهما قبيلتان من بنى الهون ابن خزيمة بن مدركة فجعلوا لهم ابلا على أن يكلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخرج اليهم نفرا من أصحابه فقدم سبعة نفر مظهرين الاسلام فقالوا يارسول الله ان فينا اسلاما فابعث معنا نفرا من أصحابك يفقهوننا فى الدين ويقرئوننا القرآن ويعلموننا شرائع الاسلام وقيل أنه صلى الله عليه وسلم أراد أن يبعث عيونا الى مكة ليأتوه بخبر قريش فلما جاء هؤلاء النفر يطلبون من يفقههم بعث معهم ستة من أصحابه للأمرين جميعا وهو عاصم بن ثابت ومرثد بن أبى مرثد الغنوى وخبيب بن عدى الأوسى البدرى وزيد بن الدثنة بفتح الدال وكسر الثاء المثلثة وشد النون المفتوحة وعبد الله بن طارق وخالد بن البكير وزاد بعضهم معتب بن عبيد و بعضهم مغيث بن
عوف وأمر صلى الله عليه وسلم عاصم بن ثابت وقيل مرثد بن أبى مرثد فخرجوا مع القوم حتى أتوا الرجيع فغدروا بهم واستصرخوا
عليهم هذيلا ليعينوهم على قتلهم فلم يرع القوم وهم فى رحالهم الا الرجال بأيديهم السيوف وهم نحو مائتى رجل فأخذ عاصم ومن معه
أسيافهم ليقاتلوا القوم فقالوا انا والله لا نريد قتلكم ولكم عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم وقالوا ذلك لانهم يريدون أن يسلموهم لكفار
قريش و يأخذوا فى مقابلتهم مالا لعلمهم أنه لاشىء أحب الى قريش من أن يؤتوا بأحد من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يمثلون

والانصار وجماعة من التابعين لينظروا بين أهل مصر و بين ابن أبى سرح فلما كان محمد بن أبى بكر
ومن معه على مسيرة ثلاثة مراحل من المدينة فاذاهم بغلام أسود على بعير فقالوا والله ماقضيتك فقال لهم أنا
غلام أمير المؤمنين أرسلنى الى عامل مصر فقال له واحد منهم هذا عامل مصر يعنى محمد بن أبى بكر فقال
ماهذا أريد فلما أخبر ذلك الرجل محمد بن أبى بكر استدعاه فقال له بحضور من معه من المهاجرين والانصار
أنت غلام من فصار تارة يقول غلام أمير المؤمنين وتارة يقول غلام مروان فعرفه رجل من القوم وقال
هذا غلام عثمان فقال له محمد إلى من أرسلت قال الى عامل مصر برسالة قال معك كتاب قال لا ففتشوه
فاذا معه كتاب من عثمان الى ابن أبى سرح فى قصبة من رصاص فى جوف الأداوة فى الماء ففتح الكتاب
بحضره جميع من معه فاذا فيه إذا أتاك محمد وفلان وفلان فاحتل فى قتلهم وفى رواية انظر فلانا وفلانا
إذا قدموا عليك فاضرب أعناقهم وعاقب فلانا بكذا وفلانا بكذا منهم نفر من الصحابة ونفر من
التابعين وفى رواية اذبح محمد بن أبى بكر واحش جلده تبنا وكن على عملك حتى يأتيك كتابى فلما قرءوا
الكتاب فزعوا ورجعوا الى المدينة وقرىء الكتاب على جميع من بالمدينة من الصحابة والتابعين فما
منهم أحد الا واغتم لذلك فدخل عليه على مع جماعة من أهل بدر ومعه الكتاب والغلام فقالوا والله هذا
الغلام غلامك قال نعم قالوا والبعير بعيرك قال نعم قالوا أفأنت كتبت هذا الكتاب فقال لا وحلف بالله ما
كتبت هذا الكتاب ولا أمرت به ولا علم لى به فقال له على والخاتم خاتمك قال نعم قال فكيف يخرج غلامك
ببعيرك و بكتاب عليه ختمك وأنت لا تعلم به فحلف بالله ما أمرت بهذا الكتاب ولا وجهت هذا الغلام
الى مصر فعرفوا أنه خط مروان لا عثمان لان عثمان لا يحلف باطلا وفى رواية الخط خط كاتبى والخاتم
خاتمى وفى رواية انطلق الغلام بغير أمرى وأخذ الجمل بغير علمى قالوا انما نقش خاتمك قال نقش عليه
مروان فسألوه أن يدفع لهم مروان وكان مروان عنده فى الدار فأبى فخرجوا من عنده غضابا وقالوا الا
يبرأ عثمان إلا أن يدفع الينا مروان حتى نبحث ونعرف حال الكتاب فان كان عثمان أمر به عزلناه وان كان
مروان كتبه على لسان عثمان نظرنا مايكون فى أمر مروان فأبى عثمان أن يخرج اليهم مروان خوفا عليه
من القتل فحوصر عثمان بسبب ذلك ومنعوه الماء ووقع ماتقدم وذكر ابن الجوزى أنه لما دخل المصريون
على عثمان رضى الله عنه والمصحف فى حجره يقرأ فيه فمدوا اليه أيديهم فمد يده فضربت فسال الدم
وقيل وقعت قطرة على فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم فقال أما انها أول يد خطت المفصل هذا
كلامه أى وهذا من أعلام نبوته فقد أخرج الحاكم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله
ﷺ قال ياعثمان تقتل وأنت تقرأ سورة البقرة فتقع قطرة من دمك على فسيكفيكهم الله قال
الذهبى انه حديث موضوع أى قوله فيه وأنت تقرأ الى آخره وروى أنه لما حوصر قال والله ما زنيت
فى جاهلية ولا اسلام ولا تمنيت ان لى بدينى بدلا منذ هدانى الله ولا قتلت نفسا فبم تقتلوننى وقال ياقوم
لايجرمنكم شقاقى أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وماقوم لوط منكم ببعيد
ياقوم لاتقتلونى إنكم ان قتلتمونى كنتم هكذا وشبك بين أصابعه وقال معددا لنعم الله تعالى عليه

به و يقتلونه بمن قتل منهم ببدر وأحد فأبوا ان يقبلوا منهم فأما مرثد وخالد بن البكير وعاصم بن ثابت فقالوا والله لا نقبل من مشرك عهدا وقاتلوا حتى قتلوا رضى الله عنهم واما زيد وخبيب وعبد الله بن طارق فلانوا ورقوا جبلا ورغبوا فى الحياة وفى رواية انهم لما نزلوا بالرجيع أكلوا تمر عجوة فسقط نواه فى الأرض وكانوا يسيرون بالليل و يكمنون بالنهار لانهم لقلتهم غير آمنين من عدوهم من قريش وهذيل خصوصا وذلك قرب وقعة احد وقتل سفيان بن خالد الهذلى فجاءت امراة من هذيل ترعى غنما فرأت النوى فانكرت صغرهن وقالت هذا تمر يثرب فصاحت فى قومها وقالت قد أتيتم من قبل العدو فجاءوا فى طلبهم حين أخبرتهم واتبعوا آثارهم فوجدوهم قد كمنوا فى الجبل فأحاطوا بهم وقالوا لكم العهد والميثاق ان نزلتم الينا أن لا نقتل منكم رجلا فنزل اليهم على العهد والميثاق خبيب بن عدى وزيد بن الدثنة وعبد الله ابن طارق وقال عاصم ابن ثابت رضى الله عنه أيها القوم اما انا فلا انزل فى ذمة كافر ثم قال اللهم أخبر عنا رسولك فاستجاب الله لعاصم فأخبر رسوله خبرهم يوم أصيبوا فحين امتنعوا من النزول رماهم الكفار بالنبل ورماهم عاصم بنبله حتى فنى وكان عنده سبعة أسهم فقتل بكل سهم رجلا من عظماء المشركين ثم طاعنهم حتى انكسر رمحه ثم سل سيفه وقال اللهم انى حميت دينك صدر النهار فاحم لحمى آخره اى عن ان يمثلوا به بعد القتل فقتلوا عاصما واطلقوا أوتار قسيهم فربطوا بها خبيب بن عدى وزيد بن الدثنة وعبد الله بن طارق فقال ابن طارق هذا اول الغدر لا اصحبكم ان لى بهؤلاء يعنى القتلى أسوة فجرروه وعالجوه على ان يصحبهم فلم يفعل فقتلوه وقيل مشى معهم حتى اذا كانوا بمر الظهران جذب يده واخذ سيفه واستأخر عن القوم فرموه بالحجارة حتى قتلوه وانطلقوا بخبيب وزيد بن الدثنة حتى باعوهما بمكة باعهما جامع وزهير الهذليان باسيرين من هذيل

ماوضعت يدى على فرجى منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومامرت بى جمعة منذ أسلمت الاوأنا أعتق فيها رقبة إلا ان لا يكون عندى شىء فاعتقها بعد ذلك (قال بعضهم) وجملة من أعتقه عثمان ألفان وأربعمائة رقبة تقريبا (وذكر) أنه رأى فى الليلة التى قتل فى يومها المصطفى صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر فى المنام وقالوا له اصبر فانك تفطر عندنا الليلة القابلة فلما أصبح دعا بالمصحف فنشره بين يديه ولبس السراويل ولم يكن لبسها قبل ذلك فى الجاهلية ولا فى الاسلام خوفا ان يطلع على عورته عند قتله وكان من جملة ما انتقم به على عثمان رضى الله تعالى عنه أنه أعطى ابن عمه مروان ابن الحكم مائة ألف وخمسين أوقية وأعطى الحرث عشر ما يباع فى السوق أى سوق المدينة وأنه جاءه أبو موسى بكيلة ذهب وفضة فقسمها بين نسائه و بناته وأنه أنفق أكثر بيت المال فى عمارة ضياعه ودوره وأنه حمى لنفسه دون ابل الصدقة وأنه حبس عبد الله بن مسعود وهجره وحبس عطاء وأبى ابن كعب ونفى أباذر الى الربذة وأشخص عبادة بن الصامت من الشام لما شكاه معاوية وضرب عمار ابن ياسر وكعب بن عبدة ضربه عشرين سوطا ونفاه الى بعض الجبال وقال لعبد الرحمن بن عوف انك منافق وأنه أقطع أكثر أراضى بيت المال وان لا يشترى أحد قبل وكيله وان لا تسير سفينة فى البحر الا فى تجارته وأنه أحرق الصحف التى فيها القرآن وأنه أتم الصلاة بمنى ولم يقصرها لما حج بالناس وأنه ترك قتل عبيد الله وقد قتل الهرمزان (وقد أجاب) عن ذلك كله فى الصواعق فراجعه ومارواه الزبير بن بكار عن أنس من أنه صلى الله عليه وسلم لم يعمل اللبن ولم يبن به المسجد إلا بعد أربع سنين من الهجرة رأيت ما يرده فى تاريخ المدينة ونصه ماروى عن أنس واه أو مؤول والمعروف خلافه والله أعلم وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو بنى مسجدى هذا الى صنعاء كان مسجدى قال بعضهم ان صح هذا كان من إعلام نبوته صلى الله عليه وسلم أى لأنه وسع بعد ذلك أى وسعه المهدى وذلك فى سنة ستين ومائة ثم زاد فيه المأمون فى سنة ثنتين ومائتين و به يرد القول بأن المضاعفة خاصة بالموجود حين الاشارة أى لكن المحافظة على الصلاة فيما كان فى عهده صلى الله عليه وسلم أولى قال و بنى حجرتين لعائشة وسودة أى بناهما مجاورتين للمسجد و ملاصقتين له على طرز بناء المسجد من لبن وجعل سقفهما من جذوع النخل والجريد أى وقدم رجل من أهل اليمامة عند الشروع فى بناء المسجد يقال له طلق من بنى حنيفة فعنه رضى الله تعالى عنه قال قدمت على النبى صلى الله عليه وسلم وهو يبنى مسجده والمسلمون يعملون معه فيه وكنت صاحب علاج الطين فأخذت المسحاة وخلطت بها الطين فقال لى يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله امرأ أحسن صنعته وقال لى الزم أنت هذا الشغل فانى أراك تحسنه وفى لفظ ازهذا الحنفى لصاحب طين وفى لفظ قربوا اليمانى من الطين فانه أحسنكم له مسكا وأشدكم منكبا وفى لفظ دعوا الحنفى والطين فانه من أصنعكم للطين وأرسل وهو فى بيت أبى أيوب زيد بن حارثة وأبا رافع مكة وأعطاهما خمسمائة درهم و بعيرين ليأتيا بأهله أى والخمسمائة أخذها من أبى بكر ليشتريا بها ما يحتاجان اليه فاشترى بها زيد ثلاثة أبعرة وأرسل معهما أبو بكر رضى

الله

الله تعالى عنه عبدالله بن الاريقط دليلا أي ببعيرين أو ثلاثة فقدما بفاطمة وأم كلثوم بنتيه صلى الله عليه وسلم وسودة زوجته وأم أيمن حاضنته صلى الله عليه وسلم زوج زيد بن حارثة وابنها أسامة ابن زيد فأسامة أخو أيمن لأمه وكان أسامة حب رسول الله ﷺ وابن حبه وابن حاضنته عن عائشة رضي الله تعالى عنها ان أسامة عثر يوما في أسكفة الباب فشج وجهه فقال لي رسول الله ﷺ أميطي عنه قالت عائشة فكأني تقذرته أي لأنه كان أسود أفطس فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمصه يعني الدم ثم يمجه (وأما بنته صلى الله عليه وسلم) زينب التي هي أكبر بناته فكانت مع زوجها ابن خالتها أبي العاص بن الربيع فمنعها من الهجرة وسيأتي أنها هاجرت بعد ذلك قبله وتركته على شركه و بعد أن أسر في بدر وأطلق وأمره صلى الله عليه وسلم بان يخلي سبيلها ففعل ثم لما أسلم ردها اليه (وأما بنته) رقية فتقدم أنها هاجرت مع زوجها عثمان بن عفان وخرج مع فاطمة ومن ذكر معها عبدالله بن أبي بكر ومعه عيال أبي بكر فيهم زوجته أم رومان وعائشة وأختها أسماء زوج الزبير أي وهي حامل بابنها عبدالله بن الزبير وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها كانت هي وأمها على بعير في محفة فنفر البعير قالت فصارت أمي تقول وابنتاه واعروساه فمسك البعير وسلم الله وفي رواية عن عائشة رضي الله تعالى عنها لما صارت أمي تقول واعروساه وابنتاه سمعت قائلا يقول ارسلي خطامه فأرسلت خطامه فوقف باذن الله وسلمنا الله وأم رومان ولدت لأبي بكر عائشة وعبدالرحمن رضي الله عنهم وكانت قبل أبي بكر تحت عبدالله بن الحرث فولدت له الطفيل قال صلى الله عليه وسلم في حقها من يسره ان ينظر الى امرأة من الحور العين فلينظر الى أم رومان وتوفيت في حياة رسول الله ﷺ ماتت سنة ست من الهجرة ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبرها وقال اللهم انه لم يخف عليك مالاقت أم رومان فيك وفي رسولك صلى الله عليه وسلم وعورض القول بموتها في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم بما في البخاري عن مسروق قال سألت أم رومان وهي أم عائشة رضي الله تعالى عنهما ومسروق ولد بعد موت النبي ﷺ بلا خلاف وما في البخاري حديث صحيح مقدم على ماذكره أهل السير من موتها في حياته صلى الله عليه وسلم وفي البخاري عن أسماء فنزلت بقباء فولدته بها يعني ولدها عبدالله بن الزبير ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فوضعته في حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حنكه بتمرة أي بتلك التمرة ففي المواهب وحنكه بها ثم دعا له وبرك عليه وهو أول مولود ولد في الاسلام أي للمهاجرين وفيه ان أسماء إنما قدمت المدينة أي الى قباء بعد تحوله صلى الله عليه وسلم من قباء و يدل له قول بعضهم قدم آل أبي بكر من مكة وهو ﷺ يبني مسجده وأنزلهم أبو بكر في السنح الا أن يقال يجوز ان يكون ﷺ جاء الى قباء بعد ذلك فقد قال بعضهم وهذا السياق يدل على ان عبدالله بن الزبير ولد في السنة الأولى لا في الثانية كما قاله الواحدي وتبعه غيره فقال ولد بعد عشرين شهرا من الهجرة ففرح به المسلمون فرحا شديدا لأن اليهود كانوا يقولون قد سحرناهم فلا

بمكة وقيل إنهم باعوا خبيبا بامة سوداء والذي اشتراه بنوا الحرث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف لأن خبيبا هو الذي قتل عامر بن نوفل يوم بدر و بنوا الحرث هؤلاء الذين اشتروه هم عقبة وأبو سروعة وأخوهما لأمهما حجير بن اهاب حليف بني نوفل وقد أسلم هؤلاء الثلاثة بعد ذلك وصحبوا النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم واشترى زيد بن الدثنة صفوان بن أمية رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وقتل زيدا بأبيه أمية وكان شراؤهما في ذي القعدة فحبسوهما حتى خرجت الاشهر الحرم فقتلوا زيدا وأما خبيب فكذلك مكث أسيرا حتى خرجت الاشهر الحرم ثم أجمعوا على قتله وكانوا في أول الأمر أساءوا اليه في حبسه فقال لهم مايصنع القوم الكرام هكذا بأسيرهم فأحسنوا اليه بعد ذلك وجعلوه عند امرأة تحرسه وهي ماوية مولاة حجير وكان معها زوجها موهب مولى آل نوفل وقد أسلم هو وزوجه ماوية بعد ذلك رضي الله عنهما روى ابن سعد عن موهب مولى آل نوفل قال قال لي خبيب وكانوا جعلوه عندي ياموهب أطلب اليك ثلاثا أن تسقيني العذب وان تجنبني ماذبح على النصب وان تعلمني إذا أرادوا قتلي وقالت ماوية زوج موهب كان خبيب رضي الله عنه يتهجد بالقرآن فاذا سمعه النساء بكين ورققن عليه فقالت له هل لك من حاجة قال لا إلا أن تسقيني العذب ولا تطعميني ماذبح على النصب وتخبرني إذا أرادوا قتلي فلما أرادوا ذلك أخبرته فوالله ما اكترث بذلك وحين أجمعوا على قتله استعار من زينب بنت الحرث موسى ليستحد به أي يحلق عانته لئلا تظهر عند قتله فغفلت عن ابن لها صغير فأقبل عليه الصغير فأجلسه على فخذه والموسى بيده فخشيت المرأة أن يقتله ففزعت فقال لها أتخشين أن أقتله ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله ما كنت لأغدر قالت زينب والله ما رأيت أسيرا خيرا من خبيب والله لقد وجدته يأكل قطفا أي عنقودا من عنب مثل رأس الرجل وانه لموثق بالحديد وما بمكة من ثمرة عنب وروت ماوية أيضا

مثل ذلك وقالت وما أعلم فى الارض حبة عنب وما كان الا رزقا رزقه الله خبيبا قال فى المواهب وهذه كرامة جليلة جعلها الله لخبيب آية على الكفار وبرهانا لنبيه صلى الله عليه وسلم لتصحيح رسالته ثم خرجوا بخبيب من الحرم ليقتلوه خارجه فقال أتركونى أصلى فتركوه فصلى ركعتين قال موسى بن عقبة صلاهما فى موضع مسجد التنعيم عند طرف حرم مكة من جهة المدينة على ثلاثة أميال من مكة ثم انصرف اليهم وقال لولا  ان تروا ان ما بى جزع من الموت لزدت وفى رواية لسجدت سجدتين أخريين ثم قال اللهم احصهم عددا ولا تبق منهم أحداً واقتلهم بددا أى متفرقين فلم يحل الحول ومنهم أحد حى وفى رواية فلما رفع على الخشبة استقبل الدعاء فلبد رجل بالأرض خوفا من دعائه فلم يحل الحول ومنهم أحد حى غير ذلك الرجل الذى لبد فى الأرض قيل ان ذلك الرجل هو معاوية ابن أبى سفيان رضى الله عنهما فقد حكى ابن اسحق عن معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما قال كنت مع أبى أى حين قتلوا خبيبا فجعل أبى يلقينى الى الأرض خوفا من دعوة خبيب وكانوا يقولون ان الرجل إذا دعى عليه فاضطجع لجنبه زالت عنه قال العلامة الزرقانى ان دعوة خبيب أصابت منهم من سبق فى علمه تعالى ان يموت كافرا وأما من سبق فى علمه ان يسلم فلم يعنه خبيب ولا قصده بدعائه فلم تصبه وعلامة استجابة دعوته ان من هلك منهم بعد الدعوة فانما هلك بددا لأنهم قتلوا غير معسكرين ولا مجتمعين قلت كاجتماعهم فى أحد وبدر لأن الدعوة بعدهما فنفذت الدعوة على صورتها وفى رواية ان خبيبا رضى الله عنه قال اللهم إنى لا أجد من يبلغ رسولك منى السلام فبلغه فجاء جبريل عليه السلام الى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره فأخبر أصحابه بذلك وروى موسى بن عقبة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ذاك اليوم وهو جالس وعليك السلام خبيب قتلته قريش ثم انشأ خبيب رضى الله عنه يقول

يولد لهم مولود وهذا ربما يؤيد القول الثانى الا ان يقال يجوز ان يكون عبد الله مكث فى بطنها المدة المذكورة فقد ذكر أن مالكا رضى الله تعالى عنه مكث فى بطن أمه سنتين وكذا الضحاك بن مزاحم التابعى مكث فى بطن أمه سنتين وفى المحاضرات للجلال السيوطى ان مالكا مكث فى بطن أمه ثلاث سنين وأخبر سيدنا مالك ان جارة له ولدت ثلاثة أولاد فى اثنتى عشرة سنة تحمل أربع سنين وحينئذ يجوز أن تكون سيدتنا أسماء جاءت الى قباء فولدت سيدنا عبد الله وصادف مجيئه ﷺ الى قباء فى ذلك اليوم وقد سماه صلى الله عليه وسلم عبد الله وكناه أبا بكر بكنية جده الصديق رضى الله تعالى عنه وروى أنه جاء الى النبى ﷺ وهو ابن سبع أو ثمان سنين ليبايع رسول الله ﷺ وقد أمره والده الزبير بذلك فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعه وكون آل أبى بكر نزلوا عند مجيئهم المدينة فى السنح لا ينافى كون أسماء نزلت بقباء وولدت بها لأنه يجوز ان يكون نزول أسماء فى السنح بعد نزولها فى قباء قصد الراحتها لكونها كانت حاملا حتى وضعت والسياق المتقدم يدل على ذلك وكون عبد الله بن الزبير أول مولود ولد فى الاسلام للمهاجرين بالمدينة كذلك عبد الله بن جعفر بن أبى طالب أول مولود ولد للمهاجرين بالحبشة ويقال له عبد الله الجواد واتفق ان النجاشى ولد له مولود يوم ولد عبد الله هذا فأرسل الى جعفر يقول له كيف سميت ابنك فقال سميته عبد الله فسمى النجاشى ابنه عبد الله وأرضعته أسماء بنت عميس مع ابنها عبد الله المذكور فكانا يتراسلان بتلك الأخوة من الرضاع (وأول مولود ولد) للأنصار بعد الهجرة مسلمة بن مخلد وقيل النعمان بن بشير وذكر ان أم أسماء قدمت المدينة وهى مشركة على أسماء بهدية فحجبتها أسماء وردت عليها هديتها فسألت عائشة رضى الله تعالى عنها رسول الله ﷺ عن ذلك فأمر أسماء ان تؤوى أمها وتقبل هديتها قيل وفى ذلك وفى ارسال عبد الرحمن بن ابى بكر وهو بمكة على دينه قبل ان يسلم الى أبيه يسأله النفقة فأبى أبوه ان ينفق عليه أنزل الله الاذن فى الانفاق على الكفار وقال أبو أيوب الانصارى لما نزل رسول الله ﷺ فى بيتى نزل فى أسفل البيت وأنا وأم أيوب فى العلو فقلت يارسول الله بأبى أنت وأمى انى أكره وأعظم ان أكون فى العلو وتكون تحتى فاظهر أنت وكن فى العلو وننزل نحن فنكون فى السفل فقال ﷺ يا أبا أيوب ارفق بنا أى السفل ارفق بنا وبمن يغشانا أى وفى لفظ ان ارفق بنا وبمن يغشانا ان نكون فى سفل البيت قال أبو أيوب فانكسر حب لنا فيه ماء والحب بضم الحاء المهملة الجرة الكبيرة فقمت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا ما لنا لحاف غيرها ننشف بها الماء تخوفا ان يقطر منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم شىء فيؤذيه ولم أزل أتضرع للنبى ﷺ حتى تحول فى العلو أى وفى رواية عن أبى أيوب قال نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة فكنت فى العلو فلما خلوت الى أم أيوب فقلت لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق بالعلو منا ينتثر التراب عليه من وطء أقدامنا وتنزل عليه الملائكة وينزل عليه الوحى وفى رواية ينزل عليه القرآن ويأتيه جبريل فما بت تلك الليلة انا ولا أم أيوب فلما أصبحت قلت يارسول الله ما بت الليلة أنا ولا أم أيوب قال لم يا أبا أيوب

ولست أبالي حين أقتل مسلما * على أي شق كان لله مصرعي وذلك في ذات الاله وان يشأ * يبارك على أوصال شلو ممزع
لقد جمع الأحزاب في وألبوا * قبائلهم واستجمعوا كل مجمع إلى الله اشكو غربتي بعد كربتي * وما أرصد الأحزاب لى عند مصرعي
قال الزرقاني في شرح المواهب روى ان قريشا طلبوا جماعة ممن قتل آباؤهم وأقرباؤهم ببدر فاجتمع أربعون بأيديهم الرماح
والحراب وقالوا لهم هذا الرجل قتل آباءكم فطعنوه بالرماح والحراب فتحرك (٨٧) على الخشبة فانقلب وجهه إلى الكعبة
فقال الحمد لله الذى جعل وجهى نحو قبلته فلم يستطع أحد أن يحوله وقد ذكر ابن اسحق زيادة فى الشعر المتقدم وكذا الواقدى وغيره وهذا لفظهم
لقد جمع الأحزاب حولى وألبوا
قبائلهم واستجمعوا كل مجمع
وكلهم مبدى العداوة جاهد
على لأنى فى وثاق مضيع
وقد جمعوا ابناءهم ونساءهم
وقربت من جزع طويل ممنع
إلى الله أشكو غربتي ثم كربتي
وما أرصد الأحزاب لى عند مصرعي
وذلك فى ذات الاله وان يشأ
يبارك على أوصال شلو ممزع
وقد خيروا فى الكفر والموت دونه
وقد هملت عيناى من غير مجزع
ومابى حذار الموت انى لميت
ولكن حذارى حجم نار مسفع

قلت كنت أحق بالعلو منا ينزل عليك الملائكة وينزل عليك الوحى والذى بعثك بالحق لا أعلو سقيفة أنت تحتها أبدا أى وعن أفلح مولى أبى أيوب ان رسول الله ﷺ لما نزل أسفل وأبو أيوب فى العلو انتبه أبو أيوب ذات ليلة فقال نمشى فوق رسول الله ﷺ فباتا فى جانب فلما أصبح الحديث (وعند نزوله) صلى الله عليه وسلم فى بيت أبى أيوب صارت تأتى اليه جفنة سعد بن عبادة وجفنة أسعد بن زرارة كل ليلة أى وكانت جفنة سعد بن عبادة بعد ذلك تدور معه صلى الله عليه وسلم فى بيوت أزواجه فقد جاء كانت لرسول الله ﷺ من سعد بن عبادة جفنة من ثريد اى عليه لحم أو خبز فى لبن أو فى سمن أو فى عسل أو بخل وزيت فى كل يوم تدور معه أينما دار مع نسائه وصار وهو فى بيت أبى أيوب يأتى اليه الطعام من غيرهما أى فقد جاء وما كان من ليلة إلا وعلى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم الثلاثة والأربعة يحملون الطعام يتناوبون حتى تحول رسول الله ﷺ من منزل أبى أيوب أى وفى لفظ وجعل بنو النجار يتناوبون فى حمل الطعام اليه صلى الله عليه وسلم مقامه فى منزل أبى أيوب رضى الله تعالى عنه وهو تسعة أشهر وأول طعام جيء به اليه ﷺ فى دار أبى أيوب قصعة أم زيد بن ثابت فعن زيد بن ثابت أول هدية دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت أبى أيوب قصعة أرسلتنى بها أمى اليه فيها ثريد خبز بر بسمن ولبن فوضعتها بين يديه وقلت يارسول الله أرسلت بهذه القصعة أمى فقال له بارك الله فيها أى وفى رواية بارك الله فيك ودعا أصحابه فأكلوا قال زيد فلم أرم الباب أى أرده حتى جاءت قصعة سعد بن عبادة ثريد وعراق لحم أى بفتح العين عظم عليه لحم فان أخذ عنه اللحم قيل له عراق بضم العين وقد جاء كان أحب الطعام إلى رسول الله ﷺ الثريد ويقال له الثفل بالمثلثة والفاء (ولما بنى المسجد) جعل فى المسجد محلا مظللا يأوي اليه المساكين يسمى الصفة وكان أهله يسمون أهل الصفة وكان ﷺ فى وقت العشاء يفرقهم على أصحابه ويتعشى معه منهم طائفة وظاهر السياق ان ذلك أى المحل فعل فى زمن بناء المسجد وأوى اليه المساكين من حينئذ لكن روى البيهقى عن عثمان بن اليمان قال لما كثر المهاجرون بالمدينة ولم يكن لهم زاد ولا مأوى أنزلهم رسول الله ﷺ المسجد وسماهم أصحاب الصفة وكان يجالسهم ويأنس بهم أى وكان إذا صلى أتاهم فوقف عليهم فقال لو تعلمون مالكم عند الله لأحببتم أن تزدادوا فقرا وحاجة (أقول) ذكر أن المسجد كان إذا جاءت العتمة يوقد فيه بسعف النخل فلما قدم تميم الدارى المدينة صحب معه قناديل وحبالا وزيتا وعلق تلك القناديل بسوارى المسجد وأوقدت فقال له رسول الله ﷺ نورت مسجدنا نور الله عليك أما والله لو كان لى ابنة لأنكحتكها هذا وفى كلام بعضهم أول من جعل فى المسجد المصابيح عمر بن الخطاب رضى الله عنه ويوافقهم قول بعضهم والمستحب من بدع الأفعال تعليق القناديل فيها أى المساجد وأول من فعل ذلك عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فانه لما جمع الناس على أبى بن كعب فى صلاة التراويح علق القناديل فلما رآها على تزهر قال نورت مساجدنا نور الله قبرك يا ابن الخطاب ولعل المراد تعليق ذلك بكثرة فلا

ووالله ما أخشى إذا مت مسلما * على أى جنب كان فى الله مضجعى فلست بمبد للعدو تخشعا * ولا جزعا انى الى الله مرجعى
قال الحافظ ابن حجر وفى هذا انشاد الشعر عند الموت وقوة نفس خبيب وشدة قوته فى دينه وفى رواية قام اليه أبو سروعة عقبة بن الحرث بن عامر فقتله وقد أسلم عام الفتح رضى الله عنه وكان يقول ما أنا قتلت خبيبا لانى كنت صغيرا ولكن أبا ميسرة العبدرى أخذ الحربة وجعلها فى يدى ثم أخذ بيدى وبالحربة فطعنه بها حتى قتله وكان خبيب هو الذى سن لكل مسلم قتل صبرا الصلاة لانه

فعل ذلك فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم فاستحسن ذلك من فعله وأخبر ﷺ أصحابه بذلك والصلاة خير ما ختم به
من عمل العبد وعن عروة بن الزبير رضى الله عنه قال لما أرادوا قتل خبيب ووضعوا فيه السلاح والرماح والحراب أى طعنوه بها
طعنا خفيفا وهو مصلوب نادوه وناشدوه أتحب أن محمدا مكانك قال لا والله ما أحب أن يفدينى بشوكة فى قدمه وقيل ان زيد بن الدثنة
قالوا له ذلك أيضا عند قتله فأجابهم بمثل ذلك فقال أبو سفيان رضى الله عنه ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا
كحب أصحاب محمد محمدا
ثم بعد ان قتلوا خبيبا
رضى الله عنه أبقوه على
خشبته مصلوبا مدة وحوله
جماعة منهم يحرسونه
فارسل صلى الله عليه
وسلم الزبير بن العوام
والمقداد بن الاسود وفى
رواية عمرو بن أمية
الضمرى فأتوه فاذا هو
رطب لم يتغير منه شىء بعد
أربعين يوما فحمله الزبير
على فرسه وسار فلحقهم
سبعون من الكفار فقذفه
الزبير فابتلعته الأرض
والذى أنزله من الخشبة
عمرو بن أمية الضمرى
رضى الله عنه فقد روى
الامام أحمد رضى الله عنه
عن عمرو بن أمية قال
بعثنى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وحدى عينا
الى قريش فجئت خشبة
خبيب بن عدى لانزله
من الخشبة فصعدت
خشبته ليلا فقطعت عنه
وألقيته فسمعت وجبة
خلفى فالتفت فلم أر خبيبا
وكأنما ابتلعته الأرض
فلم أر له أثرا حتى الساعة
ويمكن الجمع بأنه أرسله ﷺ أولا ثم أرسل الزبير والمقداد فحين أنزله عن
الخشبة كانا حاضرين فأخذه الزبير الى آخر ما تقدم و بعثت قريش فى طلب عاصم بن ثابت رضى الله عنه حين بلغهم انه قتل ليؤتوا
بشىء من جسده يعرفونه به كرأسه لانه كان قتل عظيما من عظمائهم يوم بدر قال الحافظ ابن حجر ولعل العظيم المذكور هو عقبة بن
أبى معيط فان عاصما قتله على قول ابن اسحق صبرا بامر النبى ﷺ بعد ان انصرفوا من بدر وقيل الذى قتله هو على

يخالف ما تقدم عن تميم الدارى ثم رأيت فى أسد الغابة عن سراج غلام تميم الدارى قال قدمنا على رسول
الله ﷺ ونحن خمسة غلمان لتميم الدارى فأمرنى يعنى سيده فاسرجت المسجد بقنديل
فيه زيت وكانوا لا يسرجون فيه الا بسعف النخل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسرج مسجدنا
فقال تميم غلامى هذا فقال ما اسمه فقال فتح فقال رسول الله ﷺ بل اسمه سراج فسمانى
رسول الله صلى الله عليه وسلم سراجا وعن بعضهم قال أمرنى المأمون ان أكتب بالاستكثار من المصابيح
فى المساجد فلم أدر ما أكتب لانه شىء لم أسبق اليه فاريت فى المنام أكتب فان فيها أنسا للمتهجدين ونفيا
لبيوت الله عن وحشة الظلم فانتبهت وكتبت بذلك قال بعضهم لكن زيادة الوقود كالواقع ليلة النصف
من شعبان ويقال لها ليلة الوقود ينبغى أن يكون ذلك كتزويق المساجد ونقشها وقد كرهه بعضهم
والله أعلم قال وذكر ابن اسحق فى كتاب المبدأ وقصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ان تبع بن
حسان الحميرى وهو تبع الأول أى الذى ملك الأرض كلها شرقها وغربها وتبع بلغة اليمن الملك
المتبوع ويقال له الرئيس لانه رأس الناس بما أوسعهم من العطاء وقسم فيهم من الغنائم وكان أول
من غنم ولما عمد إلى البيت يريد تخريبه رمى بداء تمخض منه رأسه قيحا وصديدا وأنتن حتى
لا يستطيع أحد أن يدنو منه قيد رمح كما تقدم وتقدم انه بعد ذلك كسا الكعبة و بعد ذلك اجتاز
بيثرب وكان فى ركابه مائة ألف وثلاثون ألفا من الفرسان ومائة ألف وثلاثة عشر ألفا من الرجالة
فأخبر ان اربعمائة رجل من أتباعه من الحكماء والعلماء تبايعوا أن لا يخرجوا منها فسألهم عن الحكمة
فى ذلك فقالوا ان شرف البيت انما هو برجل يخرج يقال له محمد هذه دار اقامته ولا يخرج منها فبنى
فيها لكل واحد منهم دارا واشترى له جارية وأعتقها وزوجها منه وأعطاهم عطاء جزيلا وكتب
كتابا وختمه ودفعه إلى عالم عظيم منهم وأمره أن يدفع ذلك الكتاب لمحمد ﷺ ان
أدركه وفى ذلك الكتاب انه آمن به وعلى دينه و بنى دارا له صلى الله عليه وسلم ينزلها إذا قدم تلك
البلد و يقال انها دار أبى أيوب أى كما تقدم وانه من ولد ذلك العالم الذى دفع اليه الكتاب أى فهو
صلى الله عليه وسلم لم ينزل الا داره أى على ما تقدم ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم أى دعا إلى
الاسلام أرسلوا اليه ذلك الكتاب مع شخص يسمى أبا ليلى فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال له أنت أبو ليلى الذى معك كتاب تبع الأول فقال له أبو ليلى من أنت قال أنا محمد هات الكتاب
فلما قرأه أى قرىء عليه وذكر بعضهم ان مضمون الكتاب أما بعد يا محمد فانى آمنت بك و بربك ورب
كل شىء وبكل ما جاءك من ربك من شرائع الاسلام والايمان وانى قلت ذلك فان أدركتك فيها
ونعمت وان لم أدركك فاشفع لى يوم القيامة ولا تنسنى فانى من أصل الأولين و بايعتك قبل مجيئك
وقبل أن يرسلك الله وأنا على ملتك وملة ابراهيم وختم الكتاب وتلا أى قرأ عليه لله الأمر من قبل ومن
بعد و يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله فقد قرأ هذا قبل نزوله وكتب عنوان الكتاب الى محمد بن
عبد الله خاتم النبيين والمرسلين ورسول رب العالمين من تبع الأول حمير أمانة الله فى يد من وقع هذا
الكتاب فى يده إلى أن يدفعه الى صاحبه ودفعه إلى رأس العلماء المذكورين ثم وصل الكتاب المذكور
الى

رضى الله عنه ولعلهما اشتركا فى ذلك فنسب الى كل منهما وجاء فى رواية أن عاصما لما قتل أرادت هذيل أخذ رأسه ليبيعوه من سلافة بنت أسعد وهى أم مسافع وجلاس ابنى طلحة العبدرى وكان عاصم قتلهما يوم أحد وكانت قد نذرت حين أصاب ابنيها يوم أحد لئن قدرت على رأس عاصم لتشربن الخمر فى قحفه وهو ما انفلق من الجمجمة وكانت جعلت لمن جاء برأسه مائة ناقة فمنعه منهم الدبر أى الزنابير بعث الله عليه مثل الظلة من الدبر فحمته من رسلهم فلم يقدروا على شىء منه وفى رواية للبخارى فلم يقدروا أن يقطعوا من لحمه شيئا وفى رواية فبعث الله عليهم الدبر تطير فى وجوههم وتلدغهم فحالت بينهم وبين أن يقطعوا فقالوا دعوه حتى يمسى فتذهب الدبر عنه فنأخذه فبعث الله سيلا فاحتمل عاصما فذهب به وفى رواية فاحتمله السيل فذهب به الى الجنة وحمل خمسين من المشركين الى النار وقيل إن الله حماه بالدبر عن أن يمثلوا به حتى أخذه المسلمون فدفنوه وكان عاصم بن ثابت رضى الله عنه قد أعطى الله عهداً أن لا يمسه مشرك ولا يمس مشركا بمصافحة ونحوها فاعطاه الله ذلك والمراد أنه قوى رجاءه فى الله فعاهده على ذلك أو المراد أنه عاهد الله أنه لا يمكن هو مشركا من مسه أو المراد سأل الله ذلك وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما بلغه خبره يقول يحفظ الله العبد المؤمن بعد وفاته كما حفظه فى حياته ففيه استجابة دعاء المسلم وإكرامه حيا وميتا وإنما استجاب الله له فى حماية لحمه من المشركين لقوله اللهم إنى حميت لك دينك صدر النهار فاحم لحمى آخره ولم يمنعهم من قتله لما أراد الله له من إكرامه بالشهادة ومن كرامته حمايته من هتك حرمته بقطع لحمه وفق ما طلب ولا يستلزم ذلك كونه أفضل من حمزة ونحوه رضى الله عنهم لأن المزية لا تقتضى الأفضلية والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿سرية بئر معونة﴾ وتسمى سرية المنذر بن عمرو الخزرجى رضى الله عنه الى أهل بئر معونة ليدعوهم الى الاسلام أو مددا لهم وبئر



الى النبي صلى الله عليه وسلم على يد بعض ولد العالم المذكور حين هاجر وهو بين مكة والمدينة وسياق الرواية الأولى يدل على أن ذلك كان فى أول البعثة وبعد قراءة الكتاب عليه ﷺ قال مرحبا بتبع الأخ الصالح ثلاث مرات وكان بين تبع هذا أى بين قوله أنه آمن به وعلى دينه وبين مولد النبي صلى الله عليه وسلم ألف سنة سواء أى وتقدم أنه ابتاع المحل الذى بناه دارا له قبل مبعثه بألف سنة فليتأمل ويقال إن الأوس والخزرج من أولاد أولئك العلماء والحكماء اه أقول قد علمت أن نزوله صلى الله عليه وسلم دار أبى أيوب على الوجه المتقدم وأخذه المربد على الكيفية المتقدمة مع وصول الكتاب اليه أول البعثة أو بين مكة والمدينة وهو مهاجر الى المدينة يبعد هذا وفيه أيضا أن الذى فى التنوير لابن دحية أن هذا تبع الاوسط وأنه الذى كسا البيت بعدما أراد غزوه وبعدما غزا المدينة وأراد خرابها انصرف عنها لما أخبر أنها مهاجر نبى اسمه محمد أى فقد ذكر بعضهم أن تبعا أراد تخريب المدينة واستئصال اليهود فقال له رجل منهم بلغ من العمر مائتين وخمسين سنة الملك أجل من أن يستخفه غضب وأمره أعظم أن يضيق عنا حلمه أو تحرم صفحه مع أن هذه البلدة مهاجر نبى يبعث بدين ابراهيم فكتب كتابا وذكر فيه شعرا فكانوا يتوارثون ذلك الكتاب إلى أن هاجر النبي صلى الله عليه وسلم فأدوه اليه ويقال إن الكتاب كان عند أبى أيوب الانصارى وكان ذلك قبل مبعثه بسبعمائة عام وفى التنوير أيضا أن ابن أبى الدنيا ذكر أنه حفر قبرا بصنعاء قبل الاسلام فوجد فيه امرأتان لم يبليا وعند رؤسهما لوح من فضة مكتوب فيه بالذهب هذا قبر فلانة وفلانة ابنتى تبع ماتتا وهما يشهدان أن لا إله إلا الله ولا يشركان به وعلى ذلك مات الصالحون قبلهما جاء ولا تسبوا تبعا فانه كان مؤمنا وفى رواية لا تسبوا تبعا الحميرى فانه أول من كسا الكعبة قال السهيلى وكذا تبع الاول كان مؤمنا بالنبى ﷺ وقال شعرا ينبىء فيه بمبعثه صلى الله عليه وسلم والله اعلم * وكانت المدينة فى الجاهلية معروفة بالوباء أى الحمى وكان إذا أشرف على واديها أحد ونهق نهيق الحمار لا يضره الوباء وفى لفظ كان إذا دخلها غريب فى الجاهلية يقال له إن أردت السلامة من الوباء فانهق نهيق الحمار فاذا فعل ذلك سلم وفى حياة الحيوان كانوا فى الجاهلية إذا خافوا وباء بلد عشروا كتعشير الحمار أى نهقوا عشرة أصوات فى طلق واحد قبل أن يدخلوها وكانوا يزعمون أن ذلك يمنعهم من الوباء ولما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة وجد أهلها من أخبث الناس كيلا فأنزل الله تعالى ويل للمطففين الآية فأحسنوا الكيل بعد ذلك ولما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة وأصحابه أصابت أصحابه الحمى وفى لفظ استوخم المهاجرون هواء المدينة ولم يوافق أمزجتهم فمرض كثير منهم وضعفوا حتى كانوا يصلون من قعود فرآهم ﷺ فقال اعلموا أن صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم فتجشموا المشقة وصلوا قياما قالت عائشة رضى الله تعالى عنها قدمنا المدينة وهى أوبأ أرض الله ولما حصلت لها الحمى قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم مالى أراك هكذا قالت بأبى أنت وأمى هذه الحمى وسبتها فقال لا تسبيها فانها مأمورة ولكن إن شئت علمتك كلمات إذا قلتهن أذهبها الله تعالى عنك قالت فعلمنى قال قولى اللهم ارحم جلدى

معونة اسم لموضع ببلاد هذيل بين مكة وعسفان وقيل هى بين أرض بنى عامر وحرة بنى سليم كلا البلدين قريب منه وهو الى حرة بنى سليم أقرب قال الزرقانى والظاهر أنه لا تنافى لجواز أن يكون ذلك الموضع المنسوب لهذيل بين مكة وعسفان وبجواره أرض بنى عامر وحرة بنى سليم وكانت هذه السرية فى شهر صفر على رأس ستة وثلاثين شهرا من الهجرة على رأس أربعة أشهر من أحد وبعث صلى الله عليه وسلم مع المنذر المطلب السلمى رضى الله عنه ليدلهم على الطريق وكانت هذه السرية الى رعل وذكوان وسميت باسم المكان المذكور لنزولهم به وكان مع رعل بطن



من بنى سليم ومع ذكوان بطن منهم أيضا وتعرف هذه السرية أيضا بسرية القراء وكان من أمرها كما قاله ابن اسحق عن شيوخه أنه قدم على رسول الله ﷺ أبو براء عامر بن مالك بن جعفر العامرى واختلف فى اسلامه وصحبته بعد ذلك قال الذهبى والصحيح أنه لم يسلم ويعرف بملاعب الاسنة فعرض النبى صلى الله عليه وسلم عليه الاسلام فلم يسلم ولم يبعد وفى رواية أنه اهدى الى النبى صلى الله عليه وسلم فرسين وراحلتين فقال صلى الله عليه وسلم لا أقبل هدية مشرك وعرض عليه الاسلام فقال يا محمد انى أرى أمرك هذا حسنا شريفا وقومى خلفى فلو انك بعثت معى نفرا من أصحابك لرجوت أن يتبعوا أمرك فانهم إن اتبعوك فما أعز أمرك وفى رواية لو بعثت رجلا من أصحابك الى أهل نجد فدعوتهم الى أمرك لرجوت أن يستجيبوا لك فقال عليه الصلاة والسلام إنى أخشى أهل نجد عليهم قال أبو براء أنا لهم جار أى هم فى ذمامى وعهدى وجوارى فابعثهم فبعث صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو ومعه القراء وهم سبعون وقيل أربعون قال قتادة كانوا رضى الله عنهم يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل زاد ثابت البنانى عن أنس رضى الله عنه وكانوا يشترون الطعام لأهل الصفة ويأتون به الى حجر أزواجه صلى الله عليه وسلم ويتدارسون القرآن بالليل ويصلون فساروا فلما وصلوا الى بئر معونة بعثوا حرام بن ملحان أخا أم سليم خال أنس بن مالك رضى الله عنه بكتابه صلى الله عليه وسلم الى عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر الكلابى العامرى وهو ابن أخى أبى براء ومات كافرا بالاجماع

الرقيق وعظمى الدقيق من شدة الحريق يا أم ملدم إن كنت آمنت بالله العظيم فلا تصدعى الرأس ولا تنتنى الفم ولا تأكلى اللحم ولا تشربى الدم وتحولى عنى الى من اتخذ مع الله إلها آخر فقالها فذهبت عنها وعن على رضى الله تعالى عنه لما قدمنا المدينة أصبنا من ثمارها فأصابنا وعك أى حمى ومن جملة من أصابته الحمى سيدنا أبو بكر رضى الله تعالى عنه ومولياه عامر بن فهيرة وبلال أى وكان أبو بكر إذا أخذته الحمى أنشد

كل امرىء مصبح فى أهله * والموت أدنى من شراك نعله

أى وهذا من شعر حنظلة بن يسار بناء على الصحيح أن الرجز يقال له شعر كما تقدم وليس من شعر أبى بكر فعن عائشة رضى الله تعالى عنها أن أبا بكر لم يقل شعرا فى الاسلام أى ولا فى الجاهلية كما فى رواية عنها والله ما قال أبو بكر بيت شعر فى الجاهلية ولا فى الاسلام أى لم ينشئه حتى مات أى وهذا ربما ينافى ما فى الينبوع ليس عمل الشعر رذيلة قد كان الصديق وعمر وعلى رضوان الله تعالى عليهم يقولون الشعر وعلى كرم الله وجهه أشعر من أبى بكر وعمر وما تقدم عن عائشة معارض بظاهر ما روى عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه إذا رأى النبى صلى الله عليه وسلم يقول

أمين مصطفى بالخير يدعو * كضوء البدر زايله الظلام

إلا أن يحمل قولها على أنها لم تسمع ذلك منه بناء على أن ذلك من انشاء الصديق وكان بلال إذا أقلعت عنه الحمى يرفع عقيرته أى صوته يقول متشوقا الى مكة

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة * بواد وحولى اذخر وجليل

وهل أردن يوما مياه مجنة * وهل يبدون لى شامة وطفيل

اللهم العن شيبة بن ربيعة وأمية بن خلف كما أخرجونا من أرضنا الى أرض الوباء وأراد بلال بالوادى وادى مكة والاذخر نبت معروف وجليل بالجيم نبت ضعيف وشامة وطفيل جبلان بقرب مكة أى وفى رواية وهل يبدون لى عامر وطفيل وعامر أيضا جبل من جبال مكة وفى شرح البخارى للخطابى كنت أحسب شامة وطفيلا جبلين حين مررت بهما فاذا هما عينان من ماء هذا كلامه وقد يقال يجوز أن تكون العينان بقرب الجبلين المذكورين فاطلق اسم كل منهما على الآخرين ولعل هذا اللعن من بلال كان قبل النهى عن لعن المعين لأنه لا يجوز لعن الشخص المعين على الراجح الا إن علم موته على الكفر كأبى جهل وأبى لهب دون الكافر الحى لأنه يحتمل أن يختم له بالحسنى فيموت على الاسلام لان اللعن هو الطرد عن رحمة الله تعالى المستلزم لليأس منها وأما اللعن على الوصف كآكل الربا فجائز أو أن ذلك محمول فى ذلك على الاهانة والطرد عن مواطن الكرامة لا على الطرد عن رحمة الله تعالى الذى هو حقيقة اللعن وكان كل من أبى بكر وعامر وبلال فى بيت واحد قالت عائشة رضى الله تعالى عنها فاستأذنت رسول الله

صلى الله عليه وسلم فى عيادتهم فدخلت عليهم وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب فاذا بهم مالا يعلمه الا الله تعالى من شدة الوعك فسلمت عليهم أى وقالت لأبيها يا أبت كيف أصبحت فأنشدها الشعر المتقدم قالت فقلت انالله ان أبى ليهذى قالت فقلت لعامر بن فهيرة كيف تجدك فقال

انى وجدت الموت قبل ذوقه * ان الجبان حتفه من فوقه

قالت فقلت هذا والله لايدرى مايقول قالت ثم قلت لبلال كيف أصبحت فاذا هو لا يعقل وفى رواية فأنشدها البيتين قالت وذكرت حالهم للنبى صلى الله عليه وسلم وقلت انهم يهذون ولا يعقلون من شدة الحمى وهذا السياق يخالف مافى السيرة الهشامية أن الصديق رضى الله تعالى عنه لما قدم المدينة أخذته الحمى هو وعامر بن فهيرة وبلال الا أن يقال لا مخالفة لأنه يجوز أنها أخذتهم أولا وأقلعت عنهم ثم عادت عليهم بعد دخوله صلى الله عليه وسلم بعائشة أو ان عائشة استأذنته فى ذلك وذكرت له حالهم قبل دخوله بها لأنها كانت معقودا عليها ولعل الصديق كان فى غير بيت أم عائشة والذى فى تاريخ الأزرقى عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت لما قدم المهاجرون المدينة شكوا بها فعاد النبى صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضى الله تعالى عنه فقال كيف تجدك فأنشده ماتقدم ثم دخل على بلال فقال كيف تجدك يا بلال فأنشده ماتقدم ثم دخل على عامر بن فهيرة فقال كيف تجدك يا عامر فأنشده ماتقدم ولا مانع من التعدد فليتأمل وحين ذكرت عائشة رضى الله تعالى عنها له ذلك نظر إلى السماء أى لأنها قبلة الدعاء وقال اللهم حبب الينا المدينة كما حببت الينا مكة أو أشد وفى رواية وأشد وبارك لنا فى مدها وصاعها وصححها لنا ثم انقل وباءها إلى مهيعة أى الجحفة كما فى رواية وهى قرية قريبة من رابغ محل احرام من يجىء من جهة مصر حاجا وكان سكانها اذ ذاك يهود ودعاؤه صلى الله عليه وسلم ان يحبب اليهم المدينة انما هو لما جبلت عليه النفوس من حب الوطن والحنين اليه ومن ثم جاء فى حديث أن عائشة رضى الله تعالى عنها سألت رجلا بحضور رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة من مكة فقالت له كيف تركت مكة فذكر من أوصافها الحسنة ماغرغرت منه عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تشوقنا يا فلان وفى رواية دع القلوب تقر (أقول) ودعاؤه صلى الله عليه وسلم بنقل الحمى كان فى آخر الأمر وأما عند قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة فخير بين الطاعون والحمى أى بقائها فأمسك الحمى بالمدينة وأرسل الطاعون إلى الشام كما جاء فى بعض الأحاديث أتانى جبريل بالحمى والطاعون فأمسكت الحمى بالمدينة وأرسلت الطاعون إلى الشام وقولنا أى بقائها رد لما قد يتوهم من الحديث أن الحمى لم تكن بالمدينة قبل قدومه صلى الله عليه وسلم اليها وانما اختار الحمى على الطاعون لأنه كان حينئذ فى قلة من أصحابه فاختار بقاء الحمى لقلة الموت بها غالبا بخلاف الطاعون ثم لما احتاج للجهاد وأذن له فى القتال ووجد الحمى تضعف أجساد الذين يقاتلون دعا بنقل الحمى من المدينة إلى الجحفة فعادت المدينة أصح بلاد الله تعالى بعد أن كانت بخلاف ذلك كذا قيل فليتأمل فانه يقتضى أن الحمى لما نقلت إلى الجحفة لم يبق منها بقية بالمدينة وهو الموافق لما يأتى عن الخصائص

---

وليس هو عامر بن طفيل الاسلمى الصحابى رضى الله عنه فلما أتى حرام بن ملحان إلى عامر بن الطفيل لم ينظر فى كتابه بل استمر فى طغيانه حتى عدا على الرجل فقتله وفى رواية الطبرى فخرج حرام فقال يا أهل بئر معونة انى رسول رسول الله اليكم فآمنوا بالله و رسوله فخرج رجل برمح فضرب به فى جنبه حتى خرج من الشق الآخر وفى الصحيح فجعل يحدثهم فأومؤا إلى رجل فأتاه من خلفه فطعنه بالرمح فقال الله أكبر فزت ورب الكعبة قال ابن اسحق وهذا الذى طعنه هو عامر بن الطفيل وقيل انه مامات بتلك الطعنة وانما أثخن وظنوا أنه مات فقال الضحاك بن سفيان الكلابى رضى الله عنه وكان مسلما يكتم اسلامه لامرأة من قومه هل لك فى رجل ان صح كان نعم الراعى فضمته اليها فعالجته فسمعته يقول

أباعامر ترجو المودة بيننا وهل عامر إلا عدو مداهن

إذا مارجعنا ثم لم يك وقعة بأسيافنا فى عامر أو نطاعن

فوثبوا عليه فقتلوه ثم ان عامر بن الطفيل استصرخ بنى عامر قومه على بقية القوم أصحاب حرام بن ملحان فلم يجيبوه وقالوا لن نخفر أبا براء أى لن ننقض عهده وذمامه لأنه قد عقد لهم عقدا وجوارا فاستصرخ عليهم قبائل من بنى سليم عصية ورعلا وذكوان فأجابوه إلى ذلك ثم خرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم فى رحالهم فلما رأوهم أخذوا سيوفهم وقاتلوهم حتى قتلوا كلهم إلا كعب بن زيد الأنصارى الخزرجى النجارى البدرى رضى الله عنه فانهم تركوه وبه رمق فعاش حتى قتل يوم الخندق شهيدا باصابة سهم وإلا عمرو بن أمية الضمرى فانه أسر وأطلق قال ابن اسحق كان عمرو فى سرح القوم هو ورجل من الأنصار وهو المنذر بن محمد بن عقبة فلم ينبئهما بمصاب أصحابهما الا الطير تحوم على المعسكر فقالا والله ان لهذه الطير لشأنا فأقبلا لينظرا فاذا القوم فى دمائهم والخيل التى أصابتهم واقفة فقال الأنصارى لعمرو ماترى قال أرى ان نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره الخبر فقال الأنصارى لكنى ما كنت لأرغب بنفسى عن موطن قتل فيه

المنذر بن عمرو ثم قاتل حتى قتل وأما عمرو فأسروه ثم أخذه عامر بن الطفيل وجز ناصيته أي الشعر المجاور لها وأعتقه عن رقبة زعم انها كانت على أمه قال أنس بن مالك رضي الله عنه جاء خبرهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم على لسان جبريل عليه السلام في تلك الليلة فقال هذا سببه عمل أبي براء حيث أخذهم في جواره قد كنت لهذا كارها متخوفا فبلغ ذلك أبا براء فمات عقب ذلك أسفا على ماصنع ابن أخيه عامر بن الطفيل  ومات عامر بن الطفيل بعد ذلك كافرا وقال حسان رضي الله عنه لربيعة بن عامر ملاعب الاسنة يحرضه بعامر بن الطفيل باخفاره ذمة أبي براء

ألا من مبلغ عني ربيعا
بما قد أحدث الحدثان بعدي
أبوك أبو الفعال أبو براء
وخالك ماجد حكم بن سعد
بني أم البنين ألم يرعكم
وأنتم من ذوائب أهل نجد
تحكم عامر بأبي براء
ليخفره وما خطأ كعمد

فلما بلغ ربيعة هذا الشعر جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أيغسل عن أبي هذه الغدرة ان أضرب عامرا ضربة أو طعنة قال نعم فرجع فضرب عامرا ضربة أشواه بها فوثب عليه قومه فقالوا لعامر اقتص فقال قد عفوت ثم ان من جملة القراء الذين قتلوا ببئر معونة عامر بن فهيرة مولى أبي بكر رضي الله عنه ولم يوجد جسده لأن الملائكة دفنته ولما قتلوه سألوا عنه عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه وكان أسيرا في أيديهم كما تقدم فقال له عامر بن الطفيل من هذا فقال هذا عامر بن فهيرة فقال لقد رأيته بعدما قتل رفع إلى السماء حتى اني لأنظر الى السماء بينه وبين الارض ثم وضع وفي هذا تعظيم لعامر بن فهيرة رضي الله عنه وترهيب للكفار وتخويف ومن ثم تكرر سؤال ابن الطفيل عن ذلك فقد روى ابن اسحق عن عروة بن الزبير أن عامر بن الطفيل لما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم قال له من الرجل الذي لما قتل رأيته رفع بين السماء والأرض حتى رأيت السماء دونه ثم وضع قال هو عامر بن فهيرة رضي الله عنه وروى

---

وحين نقلت الحمى الى الجحفة صارت الجحفة لايدخلها أحد الا احم بل قيل اذا مر بها الطائر حم واستشكل حينئذ جعلها ميقاتا للاحرام وقد علم من قواعد الشرع أنه صلى الله عليه وسلم لا يأمر بما فيه ضرر وأجيب بأن الحمى انتقلت اليها مدة مقام اليهود بها ثم زالت بزوالهم من الحجاز أو قبله حين التوقيت بها كذا قيل فليتأمل (وعنه صلى الله عليه وسلم) قال رأيت أي في النوم امرأة سوداء ثائرة الرأس خرجت من المدينة حتى نزلت مهيعة فأولتها ان وباء المدينة نقل إلى مهيعة وفي الخصائص الصغرى للسيوطي وصرف الحمى عنها يعني المدينة أول ماقدمها ونقلها إلى الجحفة ثم لما أتاه جبريل بالحمى والطاعون أمسك الحمى بالمدينة وأرسل الطاعون إلى الشام ولما عادت الحمى إلى المدينة باختياره صلى الله عليه وسلم إياها لم تستطع أن تأتي أحدا من أهلها حتى جاءت ووقفت ببابه واستأذنته فيمن يبعثها اليه فأرسلها إلى الأنصار فقد جاء أن الحمى جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت أنا أم ملدم وفي رواية أنا الحمى أبري اللحم وأشرب الدم قال لامرحبا بك ولا أهلا وفيه أنه تقدم أنه صلى الله عليه وسلم نهى عائشة عن سبها فقالت له امضى الى أحب قومك أو أحب أصحابك اليك فقال اذهبي للأنصار فذهبت اليهم فصرعتهم فقالوا له ادع لنا بالشفاء فقال ان شئتم دعوت الله عز وجل يكشفها عنكم وان شئتم تركتموها فأسقطت ذنوبكم وفي رواية كانت لكم طهورا فقالوا بلى دعها يارسول الله ولعل هذا كان لطائفة من الأنصار فلا ينافي ماجاء ان الأنصار لما شكوا له الحمى وقد مكثت عليهم ستة أيام بلياليها دعا لهم بالشفاء وصار صلى الله عليه وسلم يدخل دارا دارا أو بيتا بيتا يدعو لهم بالعافية وهذا الذي في الخصائص يدل على أن الحمى لما ذهبت إلى الجحفة لم يبق منها بقية بالمدينة وانها بعد ذلك عادت الى المدينة باختيار منه صلى الله عليه وسلم والذي نقله هو عن الحافظ ابن حجر أن الحمى كانت تصيب من أقام بالمدينة من أهلها وغيرهم فارتفعت بالدعاء عن أهلها الا النادر ومن لا يألف هواها وقد جاء ان حمى ليلة كفارة سنة ومن حم يوما كانت له براءة من النار وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه والذي رواه الامام أحمد وابن حبان في صحيحه عن جابر استأذنت الحمى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من هذه قالت أم ملدم فأمر بها الى أهل قباء فلقوا مالا يعلمه الا الله تعالى فشكوا اليه صلى الله عليه وسلم فقال ان شئتم دعوت الله تعالى ليكشفها وان شئتم تكون لكم طهورا قالوا أو يفعل قال نعم قالوا فدعها والله أعلم (ثم دعا صلى الله عليه وسلم) بقوله اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ماجعلت بمكة من البركة وفي رواية واجعل مع البركة بركتين وجاء انهم شكوا له صلى الله عليه وسلم سرعة فناء طعامهم فقال لهم قوتوا طعامكم يبارك لكم فيه قيل معناه تصغير الأرغفة ودعا لغنم كانت ترعى بالمدينة فقال اللهم اجعل نصف أكراشها مثل ملئها في غيرها من البلاد أي ولعل الدعاء بذلك ليس خاصا بتلك الأغنام الموجودة في زمنه صلى الله عليه وسلم ويدل لذلك ماذكره السيوطي في الخصائص الصغرى مما اختصت به المدينة ان غبارها يطفيء الجذام ونصف أكراش الغنم فيها مثل ملئها في غيرها من البلاد والكرش كالمعدة للانسان وكما صينت المدينة عن الطاعون بارساله إلى الشام صينت عن الدجال روى الشيخان عن أبي

هريرة

هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ على انقاب المدينة أى على أبوابها ملائكة لايدخلها الطاعون ولا الدجال وفى رواية لها أى المدينة سبعة أبواب على كل باب ملكان قيل كيف مدحت المدينة بعدم دخول الطاعون وكيف أرسله صلى الله عليه وسلم الى الشام مع انه شهادة وأجيب بانه إنما أرسله الى الشام لما تقدم وصينت عنه بعد انتفاء ما تقدم لأن سببه طعن كفار الجن وشياطينهم فمنع من المدينة احتراما لها ولم يتفق دخول الطاعون بها فى زمن من الازمنة بخلاف مكة فانه وجد بها فى بعض السنين وهى سنة تسع وأربعين وسبعمائة ويقال انه وقع فى سنة تسع وثلاثين بعد الألف لما هدم السيل الكعبة أى الجانب الذى جهة الحجر قال بعضهم فمن حين انهدم وجد الطاعون بمكة واستمر الى ان أقاموا الاخشاب موضع المنهدم وجعلوا عليها الستر فعند ذلك ارتفع الطاعون كذا أخبر بعض الثقات من أهل مكة وكونه لم يتفق دخول الطاعون فى المدينة فى زمن من الازمنة يخالفه قول بعضهم وفى السنة السادسة من الهجرة وقع طاعون فى المدينة أفنى الخلق وهو أول طاعون وقع فى الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وقع بأرض فلا تخرجوا منها وان سمعتم به فى أرض فلا تقربوها ويروى انه لما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة رفع يديه وهو على المنبر وقال اللهم انقل عنها الوباء ثلاثا أى وفيه ان هذا قد يخالف ماسبق من ان هذا كان فى آخرة الأمر لاعند قدومه ﷺ المدينة الا ان يحمل على ان قدومه صلى الله عليه وسلم كان من سفر لا للهجرة (وفى الحديث) سيأتى على الناس زمان يلتمسون فيه الرخاء فيحملون بأهليهم الى الرخاء والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون لايلبث فيها أحد فيصبر للأوائها وشدتها حتى يموت الا كنت له يوم القيامة شهيدا أو شفيعا وفى مسلم لايصبر على لأواء المدينة وشدتها أحد من أمتى الا وكنت له شفيعا يوم القيامة أو شهيدا أى شفيعا للعاصى وشهيدا للطائع واللأواء بالمد الجوع وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من استطاع منكم ان يموت بالمدينة فليمت فانى أشفع لمن يموت بها لايريد أحد أهل المدينة بسوء الا أذابه الله تعالى ذوب الملح فى الماء وفى رواية اذابه الله فى النار ذوب الرصاص أو ذوب الملح فى الماء لاتقوم الساعة حتى تنفى المدينة شرارها كما ينفى الكير خبث الحديد أى وفى رواية فى مسلم تنفى الخبث كما تنفى النار خبث الفضة وتقدم ان هذا ليس عاما فى الازمنة ولا فى الأشخاص وفى رواية مكة والمدينة ينفيان الذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد من أخاف أهل المدينة ظلما أخافه الله عز وجل وعليه لعنة الله والملائكة والناس لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا أى وبهذا الحديث تمسك من جوز اللعن على يزيد لما تقدم عنه فى اباحة المدينة فى وقعة الحرة ورد بأنه لادلالة فيه على جواز لعن يزيد باسمه والكلام إنما هو فيه وإنما يدل على جواز لعنه بالوصف وهو من أخاف أهل المدينة وليس الكلام فيه والفرق بين المقامين واضح كما علمت (وجاء) أهل المدينة جيرانى وحقيق على أمتى حفظ جيرانى ما اجتنبوا الكبائر من حفظهم كنت له شهيدا وشفيعا يوم القيامة ومن لم يحفظهم سقى من طينة الخبال أى وهى عصارة أهل النار وفى لفظ من أخاف

ابن المبارك عن عروة أيضا قال كان الذى قتله رجلا من بنى كلاب اسمه جبار بن سلمى وذكر أنه لما طعنه قال فزت والله قال فقلت فى نفسى ماقوله فزت فأتيت الضحاك بن سفيان فسألته فقال بالجنة قال فأسلمت ودعانى الى ذلك مارأيت من عامر بن فهيرة من رفعه الى السماء علوا قال البيهقى يحتمل انه رفع ثم وضع ثم فقد بعد ذلك ثم روى عن عائشة رضى الله عنها موصولا بلفظ لقد رأيته بعد ماقتل رفع الى السماء حتى انى لانظر الى السماء بينه و بين الأرض ولم يذكر فيها (٩٣) ثم وضع وروى ابن سعد مرفوعا ان الملائكة وارت جثته وأنزل فى عليين قال الجلال السيوطى قويت الطرق وتعددت بمواراته فى السماء وجبار بن سلمى صحابى رضى الله عنه ووقع فى بعض الروايات ان عامر بن الطفيل هو الذى قتل عامر بن فهيرة رضى الله عنه ولعل نسبة ذلك اليه على سبيل التجوز لكونه كان رأس القوم وقد مات كافرا بالاجماع كما تقدم روى ابن سعد عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد أى حزن على أحد ماوجد على أهل بئر معونة لكونه لم يرسلهم لقتال إنما هم مبلغون رسالته وقد جرت عادة العرب قديما بأن الرسل لاتقتل ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الذين قتلوا أصحابه ببئر معونة شهرا وفى رواية أربعين يوما يدعو على رعل وذكوان وعصية ولحيان قال أنس رضى الله عنه و بلغ الله نبيه صلى الله عليه وسلم على لسان جبريل عليه السلام أنهم لقوا ربهم فرضى عنهم وأرضاهم وفى رواية فكنا نقرأ بلغوا قومنا انا لقينا ربنا فرضى عنا ورضينا عنه ثم نسخ قال السهيلى هذا اللفظ ليس عليه رونق الاعجاز فلعله لم ينزل بهذا النظم ولكن بنظم معجز كنظم القرآن وانما ذكر بنى لحيان وان كانوا ليسوا معهم فى هذه الوقعة وانما هم فى قصة أصحاب الرجيع لأن الخبر أتى النبى صلى الله عليه وسلم بكل من الوقعتين فى ليلة واحدة فدعا على الذين أصابوا أصحابه فى الموضعين فى دعاء واحد ولهذا

جمع البخاري القصتين في ترجمة واحدة حتى توهم بعضهم أنها قصة واحدة في موضع واحد وليس كذلك قال العلامة الزرقاني لما أصيب أهل بئر معونة جاءت الحمى اليه صلى الله عليه وسلم فقال لها اذهبي الى رعل وذكوان وعصية فانهم عصوا الله ورسوله فأتتهم فقتلت منهم سبعمائة رجل بكل رجل من المسلمين عشرة قال وإنما لم يخبره سبحانه وتعالى بما ترتب على ذهاب القراء وأهل الرجيع قبل خروجهم كما أخبره (٩٤) بنظير ذلك في كثير من الأشياء لأنه سبق في علمه تعالى اكرامهم بالشهادة وأراد حصول ذلك بمجيء أبي براء ومن جاء في طلب أصحاب الرجيع اه

## ﴿غزوة بني النضير﴾

هي قبيلة كبيرة من اليهود ينسبون الى هرون أخي موسى عليهما الصلاة والسلام سكنوا مع العرب ودخلوا فيهم واختلف أهل السير في السنة التي كانت فيها فذهب الزهري وجماعة وجرى عليه البخاري أنها كانت بعد غزوة بدر وقبل أحد وذهب ابن اسحق الى أنها كانت بعد بئر معونة ورجح المحققون من الحفاظ قوله قالوا وكانت في ربيع من السنة الرابعة وسببها ماتقدم قريبا ان عامر بن الطفيل اعتق عمرو بن أمية الضمري لما قتل أهل بئر معونة وكان عتقه اياه عن رقبة كانت على أمه فخرج عمرو إلى المدينة فصادف بمحل يسمى القرقرة رجلين من بني عامر ثم من بني كلاب وفي رواية أنهما من بني سليم فنزلا معه في ظل كان هو فيه وكان معهما عقد وعهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يشعر به عمرو فقال لهما عمرو من أنتما فذكرا له أنهما من بني عامر فتركهما حتى ناما فقتلهما وظن أنه ظفر بثار بعض أصحابه الذين قتلوا ببئر معونة وجاء وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال له لقد قتلت قتيلين لأديتهما أي أعطى ديتهما أي للجوار والعهد الذي عقده لهما ثم خرج صلى الله عليه وسلم الى بني النضير ليستعين بهم في دية ذينك القتيلين اللذين قتلهما عمرو وكان بين بني النضير

---

هذا الحي من الانصار فقد أخاف ما بين هذين ووضع يده على جنبيه وقيل لها طيبة لطيب العيش بها ولأن للعطر أي الطيب بها رائحة لا توجد فيه في غيرها (ومن خصائصها) ان ترابها شفاء من الجذام كما تقدم زاد بعضهم ومن البرص بل من كل داء وعجوتها شفاء من السم أي وفي الحديث تخرب المدينة قبل يوم القيامة بأربعين سنة وان خرابها يكون من الجوع وأن خراب اليمن يكون من الجراد أي وقد دعا ﷺ على الجراد فقال اللهم أهلك الجراد واقتل كباره وأهلك صغاره واقطع دابره وخذ بأفواهها عن مواشينا وأرزاقنا إنك سميع الدعاء وفي مسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه كان صلى الله عليه وسلم يؤتى بأول الثمر فيقول اللهم بارك لنا في مدينتنا وفي ثمارها وفي مدنا وفي صاعنا بركة مع بركة ثم يعطيه أصغر من يحضره من الولدان اللهم ان ابراهيم عبدك وخليلك ونبيك دعاك لمكة واني عبدك ونبيك أدعوك للمدينة بمثل مادعاك لمكة ومثله معه ثم بني صلى الله عليه وسلم بقية الحجر التسع عند الحاجة اليها أي وهذا هو الموافق لما سبق ان بعضها بني مع المسجد وهي حجرة سودة وحجرة عائشة رضي الله تعالى عنهما كما تقدم وفي كلام أئمتنا ان بيوته صلى الله عليه وسلم كانت مختلفة وأكثرها كان بعيدا عن المسجد وكلام الأصل يقتضي أنها بنيت كلها في السنة الأولى من الهجرة حيث قال وفيها أي السنة الأولى بني مسجده صلى الله عليه وسلم ومساكنه أي وخط ﷺ للمهاجرين في كل أرض ليست لأحد وفيما وهبته له الانصار من خططها وأقام قوم منهم ممن لم يمكنه البناء بقباء عند من نزلوا عليه بها قال عبدالله بن زيد الهزلي رأيت بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم حين هدمها عمر بن عبدالعزيز بأمر الوليد بن عبدالملك أي بعد موت أزواجه صلى الله عليه وسلم قال بعضهم حضرت كتاب الوليد بن عبدالملك يقرأ بادخالها في المسجد فما رأيت أكثر باكيا من ذلك اليوم أي وكانت تسعة أربعة مبنية باللبن أي وسقفها من جريد النخل مطين بالطين ولها حجر من جريد أي غير بيت أم سلمة فانها جعلت حجرتها بناء وكان ﷺ في غزوة دومة الجندل فلما قدم دخل عليه أول نسائه فقال لها ماهذا البنيان قالت أردت ان اكف أبصار الناس فقال ﷺ ان شر ماذهب فيه مال المرء المسلم البنيان وعن علي رضي الله تعالى عنه ان لله بقاعا تسمى المنتقمات فاذا اكتسب الرجل المال من حرام سلط الله عليه الماء والطين ثم لا يمتعه به أي وكانت تلك الحجر التي من الجريدة مغشاة من خارج بمسوح الشعر وخمسة أبيات من جريد مطينة لا حجر بها على أبوابها ستور من مسوح الشعر أي وهي التي يقال لها البلانس ذرع الستر فوجد ثلاثة أذرع في ذراع هذا وفي كلام السهيلي كانت مساكنه ﷺ مبنية من جريد عليه طين وبعضها من حجارة موضوعة وسقوفها كلها من جريد وكانت حجرته عليه الصلاة والسلام أكسية من شعر مربوطة بخشب من عرعر هذا كلامه قال بعضهم وليتها تركت ولم تهدم حتى يقصر الناس عن البناء ويرون مارضي الله تعالى لنبيه ﷺ ومفاتيح خزائن الأرض بيده أي فان ذلك مما يزهد الناس في التكاثر والتفاخر في البنيان وجاء انه صلى الله عليه وسلم خرج الى بعض طرق المدينة فرأى فيه مشرعة فقال ما

وبني عامر عقد وحلف فيسهل الدفع منهم لكون المدفوع لهم من حلفائهم فلما أتاهم عليه الصلاة والسلام يستعينهم في ديتهما قالوا نعم
يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه وقد آن لك أن تزورنا وأن تأتينا اجلس تطعم وترجع بحاجتك وتقوم
فنتشاور ونصلح أمرنا فيما جئتنا به ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا انكم لن تجدوه على مثل هذا الحال منفردا ليس معه أحد من أصحابه
الا نحو العشرة وكان صلى الله عليه وسلم قاعدا الى جنب دار من بيوتهم فقالوا ( ٩٥ ) من يعلو على هذا البيت فيلقي هذه



الصخرة عليه فيقتله ويريحنا منه فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب فقال أنا لذلك فصعد ليلقي عليه الصخرة وفي رواية فجاء الى رحى عظيمة ليطرحها عليه ورسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وعبد الرحمن ابن عوف وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير وسعد ابن عبادة رضي الله عنهم وفي روايه قالوا لما رأوا قلة أصحابه نقتله ونأخذ أصحابه أسارى الى مكة فنبيعهم من قريش فقال سلام بن مشكم لليهود لا تفعلوا فوالله ليخبرن بما هممتم به وانه لنقض للعهد الذي بيننا وبينه وفي رواية قال لهم ياقوم أطيعوني في هذه المرة وخالفوني الدهر والله لئن فعلتم ليخبرن بانا قد غدرنا به وان هذا نقض للعهد الذي بيننا وبينه قال ابن اسحق وأتى رسول الله الخبر من السماء مع

ماهذه قالوا هذه لرجل من الأنصار فجاء ذلك الرجل فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فأعرض عنه فعل ذلك مرارا فأعلم بالقصة فهدمها الرجل وعن الحسن البصري قال كنت وأنا مراهق أدخل بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم في خلافة عثمان فأتناول سقفها بيدي أي لأن الحسن البصري ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب يقينا وكان ابنا لمولاة لأم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم اسمها خيرة وكانت أم سلمة تخرجه للصحابة يباركون عليه وأخرجته الى عمر رضي الله تعالى عنه فدعا له بقوله اللهم فقهه في الدين وحببه الى الناس وكان والده من جملة السبي الذي سباه خالد في خلافة الصديق من الفرس وروى عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه لأن عمره كان قبل أن يخرج علي من المدينة الى الكوفة وذلك بعد قتل عثمان أربع عشرة سنة قيل له يا أبا سعيد انك تقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وانك لم تدركه فقال للذلك السائل كل شيء سمعتني أقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه غير أني في زمان لا أستطيع أن أذكر عليا أي خوفا من الحجاج وقد أخرج له عن علي جماعة من الحفاظ كالترمذي والنسائي والحاكم والدارقطني وأبو نعيم ما بين حسن وصحيح وبه يرد قول من أنكر أنه لم يسمع من علي لأن المثبت مقدم على النافي أو هو محمول على أنه لم يسمع من علي بعد خروج علي من المدينة قال بعضهم وتلك الفصاحة التي كانت عند الحسن والحكمة من قطرات لبن شربها من ثدي أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها فان أمه ربما غابت فيبكي فتعطيه أم سلمة ثديها تعلله به إلى أن تجيء أمه فربما درعليه ثديها فشربه قال بعضهم كان الحسن البصري أجمل أهل البصرة وفي كلام ابن كثير كان الحسن البصري شكلا ضخما طوالا هذا كلامه وكان إذا أقبل كأنه أقبل من دفن حميمه واذا جلس فكأنه أسير أمر بضرب عنقه واذا ذكرت النار فكأنها لم تخلق إلا له وعن الواقدي كان لحارثة بن النعمان منازل قرب المسجد وحوله فكلما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلا تحول له حارثة عن منزل حتى صارت منازله كلها لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي وهذا يخالف ما تقدم عن الأصل من أن مساكنه بنيت في السنة الاولى ومات عثمان بن مظعون وهو أخوه صلى الله عليه وسلم من الرضاعة وأمر صلى الله عليه وسلم أن يرش قبره بالماء ووضع حجرا عند رأس القبر أي بعد أن أمر رجلا أن يأتيه بحجر فأخذ الرجل حجرا ضعف عن حمله فقام اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فحسر عن ذراعيه ثم حمله ووضعه في المحل المذكور وقال أعلم به قبر أخي وأدفن اليه من مات من أهلي أي ومن ثم دفن ولده ابراهيم عند رجليه (وعن عائشة) رضي الله تعالى عنها أنه صلى الله عليه وسلم قبل عثمان بن مظعون وهو ميت قالت ورأيت دموع رسول الله صلى الله عليه وسلم على خدي عثمان بن مظعون أي في الاستيعاب أنه مات بعد شهوده بدرا فلما غسل وكفن قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عينيه ولا معارضة بينه وبين خبر عائشة رضي الله تعالى عنها السابق كما لا يخفى وجعل النساء يبكين فجعل عمر يسكتهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا يا عمر ثم قال اياكن ونعيق الشيطان ومهما كان من العين فمن الله ومن الرحمة وما كان من اليد واللسان فمن

جبريل عليه السلام بما أراد القوم فقام عليه الصلاة والسلام مظهرا أنه يقضي حاجة خوفا أن يفطنوا له فيؤذوا أصحابه ولذا ترك أصحابه في مجالسهم ورجع مسرعا الى المدينة ثم إن أصحابه صلى الله عليه وسلم استبطؤه فقاموا في طلبه فقال لهم حيي بن أخطب اليهودي لقد عجل أبو القاسم كنا نريد أن نقضي حاجته ونقربه وندمت اليهود على ما صنعوا وكان حيي هو المتولي أمر ذلك وكان سيد بني النضير وهو والد صفية رضي الله عنها وفي رواية بينما بنو النضير على ارادة القاء الحجر اذ جاء رجل من اليهود فقال ما تريدون

الشيطان وقالت امرأته وهى خولة بنت حكيم وقيل أم العلاء الانصارية وكان نزل عليها وقيل أم خارجة بن زيد طبت هنيئا لك الجنة أبا السائب فنظر اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم نظرة غضب وقال ما يدريك فقالت يارسول الله فارسك وصاحبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أدرى ما يفعل بى فأشفق الناس على عثمان وعن عائشة رضى الله تعالى عنها أن خولة بنت حكيم دخلت عليها وهى متشوشة الخاطر فقالت لها عائشة ما بالك قالت زوجى تعنى عثمان بن مظعون يقوم الليل و يصوم النهار فدخل النبى صلى الله عليه وسلم على عائشة فذكرت له ذلك فلقي عثمان فقال له يا عثمان ان الرهبانية لم تكتب علينا أمالك بى أسوة والله ان أخشاكم لله وحدوده لأنا أى وسماه السلف الصالح فقال عند دفن ولده ابراهيم الحق بسلفنا الصالح وقال عند دفن بنته زينب الحقى بسلفنا الخير عثمان ابن مظعون ومات أسعد بن زرارة رضى الله تعالى عنه ووجد أى حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجدا شديدا عليه وكان نقيبا لبنى النجار فلم يجعل لهم رسول الله ﷺ نقيبا بعده أى بعد أن قالوا له اجعل لنا رجلا مكانه يقيم من أمرنا ما كان يقيم وقال لهم أنتم أخوالى وأنا نقيبكم وكره أن يخص بذلك بعضهم دون بعض فكانت من مفاخرهم أى ووهم ابن منده وأبو نعيم فى قولهما ان أبا أمامة كان نقيبا لبنى ساعدة لأنه ﷺ كان يجعل نقيب كل قبيلة منهم ومن ثم كان نقيب بنى ساعدة سعد ابن عبادة أى وقد قيل إن قبل قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة مات البراء بن معرور فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ذهب هو وأصحابه فصلى على قبره وقال اللهم اغفر له وارحمه وارض عنه وقد فعلت وهى أول صلاة صليت على الميت في الاسلام بناء على أن المراد بالصلاة حقيقتها والا جاز أن يراد بالصلاة الدعاء ويوافق ذلك قول الامتاع لم أجد فى شىء من كتب السير متى فرضت صلاة الجنازة ولم ينقل أنه صلى الله عليه وسلم صلى على عثمان بن مظعون وقد مات فى السنة الثانية وكذلك أسعد بن زرارة مات فى السنة الأولى ولم ينقل أنه صلى الله عليه وسلم صلى عليه الصلاة الحقيقية وقد تقدم ذلك وتقدم ما فيه وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا بين المهاجرين والأنصار وادع فيه يهود أى بنى قينقاع و بنى قريظة و بنى النضير أى صالحهم على ترك الحرب والأذى أى أن لا يحاربهم ولا يؤذيهم وان لا يعينوا عليه أحدا وانه ان دهمه بها عدو ينصروه وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم وقد ذكر فى الأصل صورة الكتاب وآخى صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والانصار فى دار أنس بن مالك وهى دار أبى طلحة زوج أم أنس أى واسمه زيد بن سهل وقد ركب البحر غازيا فمات فلم يجدوا جزيرة يدفنونه فيها الا بعد سبعة أيام فدفنوه بها ولم يتغير وعن أنس رضى الله تعالى عنه أن أبا طلحة لم يكن يكثر من الصوم فى عهد رسول الله ﷺ بسبب الغزو فلما مات صلى الله عليه وسلم سرد الصوم وكانت المؤاخاة بعد بناء المسجد وقيل والمسجد يبنى على المواساة والحق وأن يتوارثوا بعد الموت دون ذوى الأرحام وفى لفظ دون القرابة فقال تآخوا فى الله أخوين أخوين (أقول) ذكر ابن الجوزى عن زيد بن أبى أوفى قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد

المدينة

---

ذكروا له الامر فقال أين محمد قالوا هذا محمد يعنون تحت الجدار فقال لهم والله لقد تركت محمدا داخل المدينة فسقط فى أيديهم اى ندموا وقالوا قد أخبر بأمرنا وفى رواية فقال لهم كنانة بن صوريا هل تدرون لم قام محمد ﷺ قالوا والله ما ندرى ولا تدرى أنت فقال والله أخبر بما هممتم به من الغدر فلا تخدعوا أنفسكم والله إنه لرسول الله فأبوا أن يقبلوا قوله ولما انتهى أصحابه اليه صلى الله عليه وسلم قالوا قمت ولم نشعر فأخبرهم بما أرادت اليهود من الغدر به قال موسى بن عقبة ونزل فى ذلك قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم وقيل نزلت فى الاعرابى الذى اخترط سيف النبى صلى الله عليه وسلم وهو نائم تحت شجرة وأراد أن يقتله فاستيقظ صلى الله عليه وسلم فقال الاعرابى يا محمد من يمنعك منى قال الله فسقط السيف من يده فأخذه النبى صلى الله عليه وسلم وقال للاعرابى من يمنعك منى فقال كن خير آخذ فعفا عنه فأسلم وجاء الى قومه ودعاهم الى الاسلام وقال جئتكم من عند خير الناس وقيل فى سبب نزولها غير ذلك ولا مانع أن تكون نزلت فى الجميع قال ابن اسحق ثم أمر النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه بالتهيء لحرب بنى النضير ثم سار بالناس اليهم وحمل الراية على بن أبى طالب رضى الله عنه واستعمل على المدينة ابن ام مكتوم رضى الله عنه وكان بينهم و بين المدينة نحو ميلين فى عوالى المدينة من ناحية قباء فنزل بهم وحاصرهم ست ليال وقيل خمسة عشر يوما وقيل قريبا من عشرين فتحصنوا منه بالحصون فقطع نخلا لهم يسمى العجوة وآخر يسمى اللين وكان ذلك احرق لهم لأن ذلك خير أموالهم فلما قطعت العجوة شق النساء الجيوب وضربن الخدود ودعون بالويل وحرق بعض نخيلهم ايضا فنادوه يا محمد قد كنت عن الفساد وتعيبه على من صنعه فما بال قطع النخيل وتحريقها أهو فساد أم

المدينة فجعل يقول ابن فلان ابن فلان فلم يزل يتفقدهم و يبعث اليهم حتى اجتمعوا عنده فقال انى محدثكم بحديث فاحفظوه وعوه وحدثوا به من بعدكم ان الله تعالى اصطفى من خلقه خلقا ثم تلا هذه الآية الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس وانى أصطفى منكم من أحب أن أصطفيه وأواخى بينكم كما آخى الله تعالى بين ملائكته قم ياأبا بكر فقام فجثا بين يديه صلى الله عليه وسلم فقال ان لك عندى يدا الله يجزيك بها ولو كنت متخذا خليلا لاتخذتك خليلا فأنت منى بمنزلة قميصى من جسدى وحرك قميصه بيده ثم قال ادن ياعمر فدنا فقال قد كنت شديد البأس علينا ياأبا حفص فدعوت الله أن يعز بك الدين أو بأبى جهل ففعل الله ذلك بك وكنت أحبهما الى الله فأنت معى فى الجنة ثالث ثلاثة من هذه الأمة وآخى بينه و بين أبى بكر هذا كلام ابن الجوزى وهو يقتضى أنه ﷺ بعد الهجرة آخى بين المهاجرين والأنصار أيضا كما آخى بينهم قبل الهجرة وهذا لايتم إلا لو آخى بين غير أبى بكر وعمر من المهاجرين و يكون ابن أبى أوفى اقتصر والمعروف المشهور أن المؤاخاة انما وقعت مرتين مرة بين المهاجرين قبل الهجرة ومرة بين المهاجرين والأنصار بعد الهجرة والله أعلم و يدل لذلك قول بعضهم كانوا اذ ذاك خمسين من المهاجرين وخمسين من الانصار أى وقيل كانوا تسعين فأخذ بيد على ابن أبى طالب وقال هذا أخى فكان رسول الله ﷺ وعلى أخوين وآخى بين أبى بكر وخارجة بن زيد وكان صهرا لأبى بكر كانت ابنته تحت أبى بكر و بين عمر وعتبان بن مالك و بين ابى رويم الخثعمى و بين بلال و بين أسيد بن حضير و بين زيد بن حارثة وكان أسيد ممن كناه النبى ﷺ كناه أباعبس وكان من أحسن الناس صوتا بالقرآن وكان أحد العقلاء أهل الرأى وكان الصديق رضى الله تعالى عنه يكرمه ولا يقدم عليه أحدا وآخى بين أبى عبيدة و بين سعد بن معاذ وآخى بين عبد الرحمن بن عوف و بين سعد بن الربيع وعند ذلك قال سعد لعبد الرحمن ياعبد الرحمن انى من أكثر الانصار مالا فانا مقاسمك وعندى امرأتان فأنا مطلق احداهما فاذا انقضت عدتها فتزوجها فقال له بارك الله لك فى أهلك ومالك وفى الاصل عن ابن اسحق آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه من المهاجرين والانصار فقال تآخوا فى الله أخوين أخوين وفى كلام بعضهم أنه ﷺ آخى بين حمزة و بين زيد بن حارثة واليه أوصى حمزة يوم أحد فليتأمل فانهما مهاجران ثم أخذ بيد على بن أبى طالب وقال هذا أخى فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أخوين وفيه أن هذا ليس من المؤاخاة بين المهاجرين والانصار وقد تقدم فى المؤاخاة بين المهاجرين قبل الهجرة مؤاخاته له صلى الله عليه وسلم وفى رواية لما آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه جاء على تدمع عيناه فقال يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بينى و بين أحد فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت أخى فى الدنيا والآخرة قال الترمذى هذا حديث حسن غريب وآخى بين جعفر بن أبى طالب وهو غائب بالحبشة و بين معاذ بن جبل أى أرصد معاذا لاخوة جعفر اذا قدم من الحبشة و به يرد ماقيل جعفر بن أبى طالب انما قدم فى فتح خيبر سنة سبع فكيف يؤاخى بينه و بين معاذ بن جبل أول مقدمه عليه الصلاة والسلام وآخى بين

الصلاح حتى ان بعض المسلمين وقع فى نفوسهم من هذا الكلام شىء فخافوا أن يكون فعلهم ذلك فسادا و بعض المسلمين قالوا بل نقطع لنغيظهم بذلك والذين وقع فى نفوسهم وتوقفوا لم يكونوا سمعوا أمر النبي صلى الله عليه وسلم الذى لاينطق عن الهوى فاعتقدوا ان ذلك كان باجتهاد القاطعين حتى أنزل الله تعالى ماقطعتم من لينة أوتركتموها قائمة على أصولها فباذن الله وليخزى الفاسقين يعنى اليهود قال بعضهم واللينة أنواع التمر ماعدا العجوة والبرنى وقيل اللينة كرام النخل (٩٧) وقيل كل الأشجار للينها وأنواع نخل المدينة مائة وعشرون نوعا وقال السيد السمهودى مائة و بضع وثلاثون نوعا وكان موضع نخل بنى النضير الذى حرق بالبويرة تصغير بورة وهى الحفرة وهو مكان معروف من جهة مسجد قباء الى جهة الغرب قال ابن اسحق وقد كان رهط من المنافقين منهم عبد الله بن أبى ابن سلول بعثوا الى بنى النضير حين هموا بالخروج ان اثبتوا وتمنعوا فانا لن نسلمكم ان قوتلتم قاتلنا معكم وان أخرجتم خرجنا معكم فانتظروا ذلك وقذف الله الرعب فى قلوبهم فلم ينصروهم وفى ذلك نزل قوله تعالى ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لاينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون ثم لما اشتد عليهم الحصار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجليهم



عن أرضهم و يكف عن دمائهم وكان جلاؤهم نقمة عليهم من الله تعالى وروى ابن سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم حين هموا بغدره وأعلمه الله بذلك نهض الى المدينة سريعا ثم بعث اليهم محمد بن مسلمة رضى الله عنه ان اخرجوا من بلدى فلا تساكنونى بها وقد هممتم بما هممتم به من الغدر وقد أجلتكم عشرا فمن رؤى منكم بعد ذلك ضربت عنقه فمكثوا على ذلك أياما يتجهزون وأكتروا من أناس

من اشجع ابلا فأرسل اليهم عبدالله بن أبي لاتخرجوا من دياركم وأقيموا في حصونكم فان معي ألفين من قومي من العرب يدخلون حصونكم و يموتون عن آخرهم قبل أن يصل اليكم شيء وتمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان فطمع حيي بن أخطب بما قاله عبدالله بن أبي فأرسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا لن نخرج من ديارنا فاصنع مابدا لك وكان قد نهى حييا عن فعله ذلك أحد سادات بني النضير وهو سلام بن مشكم وقال له ياحيي منتك نفسك والله ياحيي ان قول ابن أبي ليس بشيء وانما يريد أن يورطك في الهلكة حتى تحارب محمدا فيجلس في بيته و يتركك فأبى ولما ارسل حيي انا لا نخرج اظهر صلى الله عليه وسلم التكبير وكبر المسلمون بتكبيره وقال حاربت يهود وسار اليهم عليه الصلاة والسلام في اصحابه مشاة على ارجلهم لقرب الموضع وقيل ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار فصلى العصر بفناء بني النضير فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قاموا على حصونهم ومعهم النبل والحجارة واعتزلتهم قريظة ولم تعنهم واعتزلهم عبدالله بن أبي ولم يعنهم وكذا حلفاؤهم من غطفان فقال سلام بن مشكم لحيي أين الذي زعمت قال ما أصنع ملحمة كتبت علينا وبني لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبة من خشب عليها مسوح ارسل بها اليه سعد بن عبادة وجعلوها عند مسجد بني خطمة ودخلها صلى الله عليه وسلم وكان عزوك اليهودي راميا فيرمي فيبلغ القبة فحولت إلى مسجد الفضيخ فتباعدت من النبل ثم فقد علي رضي الله عنه في ليلة قرب العشاء فقال الناس يارسول الله ما نرى عليا فقال دعوه فانه في بعض شأنكم فعن قليل جاء برأس عزوك وكان قد كمن له حين خرج يطلب غرة من المسلمين وكان شجاعا راميا فشد عليه علي رضي الله عنه فقتله وفر من كان معه و بعث صلى الله عليه وسلم خلفهم أبا دجانة وسهل بن حنيف في عشرة فادركوا اليهود الذين فروا من علي رضي الله عنه

أبي ذر الغفاري والمنذر بن عمرو وبين حذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر و بين مصعب بن عمير وأبي أيوب وفي الاستيعاب أنه آخى بين سلمان وأبي الدرداء وجاء سلمان لأبي الدرداء زائرا فرأى أم الدرداء مبتذلة فقال ماشأنك قالت إن أخاك ليس له حاجة في شيء من الدنيا فقال له سلمان ان لربك عليك حقا ولأهلك عليك حقا ولجسدك عليك حقا فأعط كل ذي حق حقه فسأل أبو الدرداء النبي صلى الله عليه وسلم عما قال سلمان فقال له مثل ما قال سلمان ولعل هذه المؤاخاة بين سلمان وأبي الدرداء كانت قبل عتق سلمان لأنه تأخر عتقه عن أحد لأن أول مشاهده الخندق كما تقدم * وروى الامام أحمد عن أنس أنه آخى بين أبي عبيدة و بين أبي طلحة وقد تقدم أنه آخى بينه و بين سعد بن معاذ وقال المهاجرون يارسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليل ولا أحسن بذلا في كثير كفونا المؤنة وأشركونا في المهنة أي الخدمة حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله قال لا ما أثنيتم عليهم ودعوتم لهم أي فان ثناءكم عليهم ودعاءكم لهم حصل منكم به نوع مكافأة قال بعضهم والمؤاخاة من خصائصه ﷺ ولم يكن ذلك لنبي قبله ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لي بعياش بن أبي ربيعة وهشام بن العاص أي المحبوسين عند قريش المانعين لهما من الهجرة فقال الوليد بن الوليد بن المغيرة أي بعد أن خرج الى المدينة من حبس أهله له بمكة كما تقدم انا لك يارسول الله بهما فخرج الى مكة فقدمها مستخفيا فلقي امرأة تحمل طعاما فقال لها أين تريدين يا أمة الله قالت أريد هذين المحبوسين تعنيهما فتبعها حتى عرف موضعهما وكان بيتا لاسقف له فلما أمسى تسور عليهما ثم أخذ مروة أي حجرا فوضعها تحت قيدهما ثم ضربهما بسيفه فقطعهما فكان يقال لسيفه ذو المروة ثم جعلهما على بعيره وساق بهما فعثر فدميت أصبعه فأنشد أي متمثلا

هل أنت الا اصبع دميت * وفي سبيل الله مالقيت

ثم قدم بهما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم أن ذلك يرد القول بأن عياشا استمر محبوسا حتى فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وقد دعا ﷺ في قنوت الصلاة بقوله اللهم انج الوليد ابن الوليد أي وذلك قبل أن يتخلص من حبسه بمكة أي فان الوليد أسر يوم بدر أسره عبد الله بن جحش فقدم في فدائه أخواه خالد وكان أخاه لأبيه وهشام وكان أخاه لأمه وأبيه أي ومن ثم لما أبى عبدالله أن يأخذ في فداء الوليد الأربعة آلاف درهم وصار خالد يأبى ذلك قال له هشام انه ليس بابن أمك والله لو أبى فيه الا كذا وكذا لفعلت ويقال انه ﷺ قال لعبدالله بن جحش لا تقبل في فدائه إلا شكة أبيه وهي درع فضفاضة مقومة بمائة دينار فجاءا بها وسلماها الى عبدالله فلما افتدى وقدم إلى مكة اسلم فقيل له هلا أسلمت قبل أن تفتدي فقال كرهت أن يظنوا بي أني جزعت من الاسار فلما أسلم حبسه أهل مكة ثم أفلت ولحق برسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد عمرة القضاء وكتب الى أخيه خالد فوقع الاسلام في قلب خالد وكان خالد ممن خرج من مكة فارا لئلا يرى رسول الله ﷺ وأصحابه كراهة الاسلام وأهله فسأل رسول الله ﷺ الوليد عنه وقال لو أتانا خالد لأكرمناه

فقتلوهم وطرحوا رؤسهم فى بعض الآبار فيئسوا من نصرهم فقالوا نحن نخرج من بلادك فقال لا أقبله اليوم ثم قال لهم اخرجوا منها ولكم دماؤكم وما حملت الابل الا الحلقة وهى الدروع والسلاح فرضوا بذلك ونزلوا عليه فكانوا يخربون بيوتهم بأيديهم لينقلوا ما استحسنوه منها من خشب وغيره وأيدى المؤمنين يخربون باقيها فكان أهلها يخربونها من داخلها والمؤمنون من خارجها نكالا وخزيا لهم وقيل كانوا يخربون بيوتهم بأيديهم حسدا وبغضا للمسلمين أن يسكنوها بعدهم ثم أجلاهم عن المدينة



قال الله تعالى ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم فى الدنيا أى بالقتل والسبى ولهم فى الآخر عذاب النار أى مع ذلك فلذا لم يستأصلهم بالقتل أو ان الله رأى مصلحة فى اجلائهم وان حربهم قد يؤدى الى سفك دماء المسلمين وقد يرجع حلفاؤهم ويعينونهم وولى صلى الله عليه وسلم اخراجهم محمد بن مسلمة الانصارى رضى الله عنه وحملوا النساء والصبيان على الهوادج وعليهن الديباج والحرير والخز الأخضر والأحمر والمعصفر وحلى الذهب والفضة وأظهروا تجلدا عظيما قال ابن اسحق خرجوا بالنساء والابناء والأموال ومعهم الدفوف والمزامير والقينات يعزفن خلفهم بزهاء وفخر لم ير مثله ولم يسلم منهم الا يامين بن عمير وأبو سعد بن وهب فأحرزا أموالهما قال وحدثنى بعض آل يامين ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ليامين ألم تر مالقيت من ابن عمك وماهم به فى شأنى يعنى عمرو بن جحاش الذى هم بالقاء الحجر فجعل يامين لرجل من قيس عشرة دنانير وقيل خمسة أوسق من تمر على أن يقتل عمرو بن جحاش فقتله غيلة وحملوا أمتعتهم على ستمائة بعير ولحق أكثرهم بخيبر منهم حيى بن أخطب وسلام بن أبى الحقيق وكنانة بن الربيع ودان لهم أهل خيبر فبقوا هناك حتى أهلكهم الله فى غزوة خيبر كما سيأتى إن شاء الله تعالى وذهب بعضهم الى أذرعات وأريحاء من أرض الشام وروى موسى بن عقبة أنهم قالوا الى أين نخرج يا محمد قال الى الحشر يعنى أرض المحشر وهى الشام

---

لأكرمناه ومامثله يجهل الاسلام فكتب له أخوه الوليد بذلك وفى مدة حبس الوليد كان ﷺ فى كل ليلة إذا صلى العشاء الآخرة قنت فى الركعة الأخيرة يقول اللهم انج الوليد بن الوليد اللهم انج سلمة بن هشام اللهم انج عياش بن أبى ربيعة اللهم انج هشام بن العاص اللهم انج المستضعفين من المؤمنين اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين مثل سنى يوسف فأكلوا العلهز ثم لم يزل يدعو للمستضعفين حتى نجاهم الله أى بعد أن نجى عياشا وهشاما والوليد (أقول) هذه الرواية تدل على أنه كان يدعو بما ذكر فى الركعة الأخيرة من العشاء الآخرة وفى البخارى ان ذلك كان فى الركعة الأخيرة من الصبح وقد يقال لا مخالفة لأنه كان صلى الله عليه وسلم تارة يدعو فى الركعة الأخيرة من صلاة العشاء الآخرة وتارة فى الركعة الاخيرة من الصبح أو كان يدعو بذلك فيهما وكل روى بحسب ما رأى والله أعلم ثم لازال المهاجرون والانصار يتوارثون بذلك الاخاء دون القرابات الى أن نزل قوله تعالى فى وقعة بدر وأولو الارحام أى القرابات بعضهم أولى ببعض أى فى الارث فى كتاب الله أى اللوح المحفوظ فنسخت ذلك أى لأنه كان الغرض من المؤاخاة ذهاب وحشة الغربة ومفارقة الأهل والعشيرة وشد أزر بعضهم ببعض فلما عز الاسلام واجتمع الشمل وذهبت الوحشة بطل التوارث ورجع كل انسان الى نسبه وذوى رحمه أى ومن ثم قيل لزيد بن حارثة زيد بن حارثة أى بعد أن كان يقال له زيد بن محمد وكانت المؤاخاة بعد الهجرة بخمسة أشهر وقيل غير ذلك (أقول) تقدم ان سبب امتناع أن يقال زيد بن محمد نزول قوله تعالى ادعوهم لآبائهم أى ومن ثم قيل للمقداد بن عمرو وكان يقال له المقداد بن الأسود لأن الأسود كان تبناه فى الجاهلية ومن لم يعرف أبوه رد الى مواليه ومن ثم قيل لسالم مولى أبى حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بعد أن كان يقال له سالم بن أبى حذيفة فكان أبو حذيفة يرى أنه ابنه ومن ثم انكحه ابنة أخيه فاطمة بنت الوليد بن عتبة وجاءت سهلة بنت سهيل ابن عمرو امرأة أبى حذيفة الى رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله انا كنا نرى سالما ولدا وكان يدخل على وقد بلغ ما يبلغ الرجال وأنه يدخل على وأظن فى نفس أبى حذيفة من ذلك شيئا فماذا ترى فيه فقال ارضعيه تحرمى وعن أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت لعائشة ما نرى هذه الا رخصة رخصها رسول الله ﷺ لسالم وكان سالم رضى الله تعالى عنه يؤم المهاجرين الأولين فى مسجد قباء فيهم أبو بكر وعمر وفى ينبوع الحياة كانت المؤاخاة بين المهاجرين والانصار توجب التوارث بينهم ثم نسخ ذلك قبل العمل به وأما قول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كانوا يتوارثون بذلك حتى نزلت وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض فمعناه أنهم التزموا هذا الحكم ودنوا به ومن المشكل حينئذ ما نقل ان الحتات بضم الحاء وفتح المثناة فوق مخففة كان صلى الله عليه وسلم آخى بينه وبين معاوية ولما مات الحتات عند معاوية فى خلافته ورثه بالاخوة مع وجود أولاده ثم رأيت الحافظ ابن حجر فى الاصابة ذكر ذلك ونظر فيه والله أعلم

## باب بدء الأذان ومشروعيته

وقيل الحشر الجلاء فأول الحشر الجلاء والحشر الثاني هو حشر النار التي يخرج من قعر عدن فتحشر الناس الى الموقف تبيت معهم
حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا وتأكل من تخلف وحزن المنافقون عليهم حزنا شديداً لكونهم اخوانهم وقبض صلى الله عليه وسلم
ما تركوه من الأموال والدروع والسلاح فوجد خمسين درعا وخمسين بيضة وهي الخودة وثلثمائة وأربعين سيفا فكانت أموال بني
النضير صفيا أي مختار الرسول الله (١٠٠) صلى الله عليه وسلم أي خاصة به لأن المسلمين لم يوجفوا عليهم بخيل ولا ركاب

ولم يقع قتال بينهم فكانت حبسا لنوائبه صلى الله عليه وسلم فكان ينفق منها على أهله ويدخر قوت سنة من الشعير والتمر لأزواجه وبني عبد المطلب وما فضل جعله في السلاح والكراع أي الخيل هذا ما ذهب اليه الامام أبو حنيفة رضي الله عنه وجاء في بعض الروايات أنه خمسها واليه ذهب الامام الشافعي رضي الله عنه فقال قسمها عليه الصلاة والسلام بين المهاجرين ليرفع بذلك مؤنتهم أي مشقتهم عن الأنصار أي بحسب الواقع ونفس الأمر وان كان الأنصار يرون ذلك من أعظم النعم قال تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وكانوا قد قاسموهم في الأموال والديار لما هاجروا وآخى بينهم صلى الله عليه وسلم فذهب كل أنصاري بالمهاجري الذي آخى بينه وبينه صلى الله عليه وسلم الى منزله وكفاه المؤنة ثم تنافسوا حتى آل أمرهم الى القرعة فأي أنصاري
تخرج القرعة باسمه ذهب بالمهاجري فبلغت مواساتهم الغاية القصوى رضي الله عنهم حتى ورد في الصحيح ان هو
سعد بن الربيع الأنصاري رضي الله عنه قال لأخيه عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه هلم اقسم مالي بيني وبينك نصفين ولي امرأتان
انظر أعجبهما اليك أطلقها فاذا انقضت عدتها فتزوجها فقال عبد الرحمن بارك الله لك في أهلك ومالك ثم قال دلوني على السوق وصار
يبيع ويشتري حتى كان أكثر الصحابة مالا رضي الله عنه وعنهم (وروى الحاكم) عن أم العلاء رضي الله عنها قالت طار لنا عثمان

أي والاقامة ومشروعيتها وكل منهما من خصائص هذه الأمة كما ان من خصائصها الركوع والجماعة
وافتتاح الصلاة بالتكبير فان صلاة الأمم السابقة كانت لا ركوع فيها ولا جماعة وكانت الأنبياء كأممهم
يستفتحون الصلاة بالتوحيد والتسبيح والتهليل أي وكان دأبه ﷺ في إحرامه لفظة الله
أكبر ولم ينقل عنه سواها أي كالنية ولا يشكل على الركوع قوله تعالى لمريم واسجدي واركعي مع
الراكعين لأن المراد به في ذلك الخضوع أو الصلاة لا الركوع المعهود كما قيل لكن في البغوي قيل إنما
قدم السجود على الركوع لأنه كان كذلك في شريعتهم وقيل بل كان الركوع قبل السجود في الشرائع
كلها وليست الواو للترتيب بل للجمع هذا كلامه فليتأمل وكان وجود ذلك أي الاذان والاقامة في
السنة الأولى وقيل في الثانية ذكر أن الناس إنما كانوا يجتمعون للصلاة لتحين مواقيتها أي لدخول
أوقاتها من غير دعوة أي وقد قال ابن المنذر هو ﷺ كان يصلي بغير آذان منذ فرضت
الصلاة بمكة الى أن هاجر الى المدينة والى أن وقع التشاور قال ووردت أحاديث تدل على أن الآذان شرع
بمكة قبل الهجرة من تلك الأحاديث ما في الطبراني عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال لما أسري
برسول الله ﷺ أوحى الله تعالى اليه بالأذان فنزل به وعلمه بلالا قال الحافظ ابن رجب هو
حديث موضوع ومنها ما رواه ابن مردويه عن عائشة رضي الله عنها مرفوعا لما أسري بي أذن
جبريل فظنت الملائكة أنه أي جبريل يصلي بهم فقدمني فصليت قال فيه الذهبي حديث منكر بل
موضوع هذا كلامه على أنه يدل على أن المراد بالأذان الاقامة كما تقدم أنها المرادة بالأذان انتهى
(أقول) ومن أغرب ما وقع في بدء الأذان ما رواه أبو نعيم في الحلية بسند فيه مجاهيل ان جبريل نادى
بالأذان لآدم حين أهبط من الجنة وقد سئل الحافظ السيوطي هل ورد أن بلالا أو غيره أذن بمكة قبل
الهجرة فأجاب بقوله ورد ذلك بأسانيد ضعيفة لا يعتمد عليها والمشهور الذي صححه أكثر العلماء ودلت
عليه الأحاديث الصحيحة ان الأذان إنما شرع بعد الهجرة وأنه لم يؤذن قبلها لا بلال ولا غيره وذكر في
الدر في قوله تعالى ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا أنها نزلت بمكة في شأن المؤذنين والأذان
إنما شرع في المدينة فهي مما تأخر حكمه عن نزوله هذا كلامه وفي كلام الحافظ ابن حجر ما يوافقه
حيث ذكر أن الحق أنه لا يصح شيء من الأحاديث الدالة على أن الأذان شرع بمكة قبل الهجرة وذكر
ما تقدم عن ابن المنذر من أنه ﷺ كان يصلي من غير أذان منذ فرضت الصلاة بمكة الى أن
هاجر ﷺ إلى المدينة والى أن وقع التشاور في ذلك أي فقد ائتمر صلى الله عليه وسلم هو
وأصحابه كيف يجمع الناس للصلاة فقيل له انصب راية عند حضور الصلاة فاذا رآها الناس آذن أي
أعلم بعضهم بعضا فلم يعجبه ذلك فذكر له بوق يهودي أي ويقال له الشبور بفتح الشين المعجمة ثم موحدة
مشددة مضمومة ثم واو ساكنة ثم راء ويقال له القبع بضم القاف واسكان الموحدة وقيل بفتحها وقيل
باسكان النون وبالعين المهملة قال السهيلي وهو أولى بالصواب وقيل بالمثناة فوق وقيل بالمثلثة وهو
القرن الذي يدعون به لصلاتهم أن يجتمعون لها عند سماع صوته فكرهه صلى الله عليه وسلم وقال

ابن مظعون فى القرعة فكان فى منزله حتى توفى رضى الله عنه قالت فكان المهاجرون فى دور الأنصار وأموالهم فلما غنم صلى الله عليه وسلم أموال بنى النضير دعا ثابت بن قيس بن شماس فقال ادع لى قومك قال ثابت الخزرج فقال صلى الله عليه وسلم الأنصار كلها فدعا له الأوس والخزرج فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم ذكر الأنصار وما صنعوا بالمهاجرين وانزالهم اياهم فى منازلهم وأموالهم وإيثارهم إياهم على أنفسهم ثم قال ان أحببتم قسمت بينكم و بين المهاجرين



ماأفاء الله على من بنى النضير وكان المهاجرون على ماهم عليه من السكنى فى منازلكم وأموالكم وان أحببتم أعطيتهم وخرجوا من دوركم فقال سعد بن عبادة رضى الله عنه يارسول الله بل تقسم بين المهاجرين و يكونون فى دورنا كما كانوا وقالت الأنصار كلهم رضينا وسلمنا يارسول الله فقال صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وفى رواية وأبناء أبناء الانصار رضى الله عنهم وقسم ما أفاء الله وأعطى المهاجرين ولم يعط أحدا من الأنصار شيئا غير أنه أعطى أبادجانة وسهل ابن حنيف لحاجتهما وأعطى سعد بن معاذ سيف بن أبى الحقيق اليهودى وكان سيفا له ذكر عندهم وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال للأنصار ليس لاخوانكم من المهاجرين أموال فان شئتم قسمت هذه وأموالكم بينكم و بينهم جميعا وان شئتم أمسكتم أموالكم وقسمت هذه خاصة فقالوا بل اقسم هذه فيهم واقسم لهم من أموالنا ماشئت فنزلت و يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه جزاكم الله خيرا يامعشر الأنصار فوالله مامثلنا ومثلكم الا كما قال الغنوى

جزى الله عنا جعفرا حين أزلقت * بنا نعلنا فى الواطئين فزلت
أبوا ان يملونا وان كان أمنا * تلاقى الذى يلقون منا لملت

وكان صلى الله عليه وسلم يزرع تحت النخيل فى أرضهم فيدخر من ذلك قوت أهله وأزواجه سنة ومافضل جعله فى الكراع والسلاح

---

هو من أمر اليهود فذكر له الناقوس الذى يدعون به النصارى لصلاتهم فقال هو من أمر النصارى أى فقالوا لو رفعنا نارا أى فاذا رآها الناس أقبلوا إلى الصلاة فقال ذلك للمجوس وقيل كما فى حديث الشيخين عن ابن عمر ان عمر رضى الله تعالى عنهما قال أولا تبعثون رجلا ينادى بالصلاة أى بحضورها أى ففعلوا ذلك وكان المنادى هو بلال رضى الله تعالى عنه قال الحافظ ابن حجر وكان اللفظ الذى ينادى به بلال أى قبل رؤيا عبدالله الصلاة جامعة كما رواه ابن سعد وسعيد بن منصور عن سعيد بن المسيب مرسلا وقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم قال لقد هممت ان أبث رجالا ينادون الناس بحين الصلاة أى فى حينها أى وقتها وقد هممت ان آمر رجالا تقوم على الاطام ينادون المسلمين بحين الصلاة أى ولعل هذا كان منه صلى الله عليه وسلم قبل وقوع ما تقدم عن بلال ثم أمر بلالا بما تقدم وقيل ائتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه بالناقوس أى اتفقوا عليه فنحت ليضرب به المسلمون أى وهو خشبة طويلة يضرب عليها بخشبة صغيرة فنام عبدالله بن زيد فأرى الأذان أى والاقامة فى منامه فعنه رضى الله تعالى عنه قال لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناقوس فطاف بى وأنا نائم رجل وفى لفظ إنى لبين نائم و يقظان طاف بى رجل والمراد أنه نام نوما خفيفا قريبا من اليقظة فروحه كالمتوسطة بين النوم واليقظة قال الحافظ السيوطى أظهر من هذا ان يحمل على الحالة التى تعترى أرباب الأحوال و يشاهدون فيها ما يشاهدون و يسمعون ما يسمعون والصحابة رضى الله تعالى عنهم أجمعين هم رءوس أرباب الأحوال أى وهذه الحالة هى التى عناها الشيخ عبدالله الدلاصى بقوله كنت بالمسجد الحرام فى صلاة الصبح فلما أحرم الامام وأحرمت أخذتنى أخذة فرأيت رسول الله ﷺ يصلى إماما وخلفه العشرة فصليت معهم فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الركعة الأولى سورة المدثر وفى الثانية عم يتساءلون ثم سلم الامام فعقلت تسليمه فسلمت أى و يدل لذلك قول عبدالله بن زيد كما جاء فى رواية ولولا أن يقول الناس أى يستبعد الناس ذلك لقلت انى كنت يقظان غير نائم وذلك الرجل عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوسا فى يده فقلت ياعبدالله أتبيع الناقوس قال وما تصنع به فقلت ندعو به إلى الصلاة قال أفلا أدلك على ماهو خير لك من ذلك فقلت بلى أى وفى رواية فقلت أتبيع الناقوس فقال ماذا تريد به فقلت أريد ان ابتاعه لكى أضرب به للصلاة لجماعة الناس قال فأنا أحدثك بخير لك من ذلك فقلت بلى قال تقول الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمدا رسول الله أشهد أن محمدا رسول الله حى على الصلاة حى على الصلاة حى على الفلاح حى على الفلاح الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله قال عبدالله ثم استأخر عنى أى ذلك الرجل غير بعيد ثم قال وتقول اذا قمت إلى الصلاة الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا إله الا الله أشهد أن محمدا رسول الله حى على الصلاة حى على الفلاح قد قامت الصلاة قد قد قامت الصلاة الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله أى فى هذه الرواية افراد ألفاظ الاقامة الا لفظها ولفظ التكبير أولا وآخرا وفى رواية رأى رجلا عليه ثياب خضر وهو قائم على سقف المسجد وفى رواية على جذم حائط بكسر الجيم وسكون المعجمة أى أصل الحائط ولا مخالفة لما سيعلم فأذن ثم قعد قعدة ثم قام

فقال مثلها أى مثل الكلمات أى كلمات الاذان الا أنه يقول قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة أى زيادة
على تلك الكلمات التى هى الاذان ففي هذه الرواية تثنية ألفاظ الاقامة والاتيان بالتكبير فى أولها أربعا
كالاذان أى وهذا أى كونه على سقف المسجد وكونه على جذم حائط لامخالفة بينهما لأنه يجوز أن يكون
لما قال له تقول الله أكبر الى آخر الاذان والاقامة كان قائما على سقف المسجد قريبا من جذم الحائط
فنسب قيامه إلى كل منهما ويكون قوله ثم استأخر عنى غير بعيد أى سكت غير طويل قال عبد الله فلما
أصبحت أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بما رأيت أى وفى رواية أنه أتاه ليلا وأخبره وهى
المذكورة فى سيرة الحافظ الدمياطى ولا منافاة لأنه يجوز أن يكون قول عبد الله فلما أصبحت أى
قاربت الصباح فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انها لرؤيا حق ان شاء الله تعالى فقم مع بلال فألق
عليه ما رأيت فليؤذن به فانه أندى وفى رواية أمد صوتا منك أى أعلى وأرفع وقيل أحسن وأعذب
ولا مانع من ارادة ذلك كله هنا فقمت مع بلال وفى رواية فقال لبلال قم فانظر ما أمرك به عبد الله بن زيد
فافعله فجعلت ألقيه عليه ويؤذن به أى فبلال أول مؤذنيه صلى الله عليه وسلم أى وقيل أول مؤذنيه
عبد الله بن زيد ذكره الامام والغزالى وأنكره ابن الصلاح أى حيث قال لم أجد هذا بعد البحث عنه هذا
كلامه وقد يقال لا منافاة لأن عبد الله أول من نطق بالاذان و بلال أول من أعلن به وحينئذ يكون أول
مشروعيته كان فى أذان الصبح فلما سمع بذلك أي باذان بلال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه
وهو فى بيته خرج يجر رداءه وفى رواية ازاره أى عجلا أى وقد أعلم بالقصة لقوله والذى بعثك بالحق
يارسول الله لقد رأيت مثل ما رأى عبد الله بن زيد رضى الله تعالى عنه وفى رواية مثل ما يقول أى بلال
رضى الله تعالى عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلله الحمد قال الترمذى عبد الله بن زيد بن عبد ربه
لا نعرف له عن النبي ﷺ شيئا يصح الا هذا الحديث الواحد فى الاذان وقيل رأى مثل ما رأى
عبد الله أبو بكر رضي الله تعالى عنه وقيل سبعة من الأنصار وقيل أربعة عشر قال ابن الصلاح
لم أجد هذا بعد امعان النظر وتبعه النووى فقال هذا ليس بثابت ولا معروف وانما الثابت خروج
عمر يجر رداءه وقيل رآه صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء أسمع ملكا يؤذن أى فقد جاء فى حديث بعض
رواته متروك بل قيل انه من وضعه انه لما أراد الله عز وجل ان يعلم رسوله الاذان جاء جبريل عليه السلام
بدابة يقال لها البراق فركبها حتى أتى الحجاب الذى يلى الرحمن فبينما هو كذلك خرج من الحجاب ملك
فقال الله أكبر فقيل من وراء الحجاب صدق عبدى أنا أكبر أنا أكبر وذكر بقية الاذان فرؤيا عبد الله دلت
على ان هذا الذى رآه فى السماء يكون سنة فى الأرض عند الصلوات الخمس التى فرضت عليه تلك الليلة
أى فلذلك قال انها لرؤيا حق ان شاء الله وفيه ان الذى تقدم عن الخصائص أن المراد بهذا الاذان الذي
أتى به الملك الاقامة لا حقيقة الاذان أى ويدل لذلك أن الملك قال فيه قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة
فقال الله صدق عبدى أنا أقمت فريضتها ثم قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم تقدم فأم أهل السماء
فيهم آدم ونوح قال بعضهم والاذان ثبت بحديث عبد الله بن زيد باجماع الأمة لا يعرف بينهم

قال ابن اسحق ونزل فى أمر بنى النضير سورة الحشر بأسرها قال السهيلى اتفاقا وفى البخارى عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس
رضى الله عنهما سورة الحشر قال قل سورة النضير قال الداودى كأنه كره تسميتها بذلك لئلا يظن أنه يوم القيامة أو لاجلاله فكره النسبة
إلى غير معلوم وجاء عن ابن عباس رضى الله عنهما سورة الحشر فى بنى النضير وذكر الله فيها ما أصابهم من النقمة والله سبحانه وتعالى
أعلم وقد أشار صاحب الهمزية لبعض تلك القصة بقوله (١٠٢) خدعوا بالمنافقين وهل ينـ * ـفق الا على السفيه الشقاء
ونهتهم وما انتهت عنه قوم
فأبيد الامار والنهاء
اسلموهم لأول الحشر لاميـ
ـعادهم صادق ولا الايلاء
سكن الرعب والخراب قلوبا
وبيوتا منهم نعاها الجلاء

《 غزوة ذات الرقاع 》

وتسمى غزوة محارب وغزوة بنى ثعلبة وغزوة بنى أنمار وغزوة صلاة الخوف لوقوعها فيها وغزوة الأعاجيب لما وقع فيها من الامور العجيبة واختلف فيها متى كانت وفى سبب تسميتها بذلك فقال ابن اسحق انها كانت بعد بنى النضير سنة أربع فى شهر ربيع الآخر وبعض جمادى الأولى وقيل انها كانت سنة خمس ومال البخارى إلى انها كانت بعد خيبر وخيبر انما كانت سنة سبع واستدل لذلك بأمور منها ان هذه الغزوة حضرها أبو موسي الأشعرى رضى الله عنه وهو انما جاء بعد فتح خيبر وقال الغزالى انها آخر
الغزوات وغلطه ابن الصلاح وانتصر بعضهم للغزالى بأن مراد آخر الغزوات التى صلى فيها خلاف
صلاة الخوف ونازع بعضهم فى ذلك وسبب تسميتها بذات الرقاع انهم رقعوا فيها راياتهم وقيل لشجرة فى ذلك الموضع يقال لها ذات
الرقاع وقيل إن الأرض التى نزلوا بها فيها بقع سود وبيض كأنها مرقعة برقاع فسميت ذات الرقاع لذلك وقيل لأن خيلهم كان
بها سواد وبياض وقيل لصلاتهم فيها صلاة الخوف فسميت بذلك لترقيع الصلاة فيها لأنهم فعلوا بعضها منفردين عن النبي صلى الله

عليه وسلم و بعضها معه فاشبه ذلك اصلاح خلل الثوب برقعه قال السهيلي وأصح الاقوال كلها مارواه البخاري ومسلم عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ونحن ستة نفر أي من الاشعريين بيننا بعير نعتقبه فنقبت أقدامنا ونقبت قدماي وسقطت اظفاري أي من الحفاء فكنا نلف على أرجلنا الخرق فسميت غزوة ذات الرقاع لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا وكان من خبر هذه الغزوة ماقاله ابن اسحق قال غزا رسول الله  صلى الله عليه وسلم نجدا يريد بني محارب بن حفصة بن قيس بن عيلان و بني ثعلبة بن سعد بن غطفان ابن قيس بن عيلان فمحارب وسعد ابناعم وسبب ذلك انه عليه الصلاة والسلام بلغه انهم جمعوا جموعا لمحاربته صلى الله عليه وسلم فاخبر أصحابه وأمرهم بالتجهز ثم خرج في أربعمائة من أصحابه وقيل سبعمائة وقيل ثمانمائة واستعمل على المدينة أباذر الغفاري رضي الله عنه وقيل عثمان ابن عفان رضي الله عنه وسار الى ان وصل الى موضع يسمى وادي الشقرة و بث السرايا فرجعوا اليه من الليل وأخبروه انهم لم يروا أحدا فسار حتى نزل نخلا وهو موضع من نجد من أراضي غطفان فلم يجد في مجالسهم الا نسوة فاخذهن فبلغ الخبر القوم فخافوا وتفرقوا في رؤس الجبال ثم اجتمع جمع منهم وجاؤا المحاربة جيش النبي صلى الله عليه وسلم فتقارب الناس ودنا بعضهم من بعض وأخاف الناس بعضهم بعضا حتى صلى النبي صلى الله عليه وسلم بالناس صلاة الخوف في صلاة العصر ولم يكن بينه و بين القوم حرب وألقى الله في قلوبهم الرعب وتفرقت جموعهم خائفين منه صلى الله عليه وسلم (وفي هذه الغزوة) نزل صلى الله عليه وسلم ليلا في شعب استقبله وكانت تلك الليلة ذات ريح فقال صلى الله عليه وسلم بعد نزوله من يكلؤنا فقام عباد بن بشر وعمار بن ياسر رضي الله عنهما فقالا نحن يارسول الله فجلسا على فم الشعب فقال عباد بن بشر لعمار بن ياسر رضي الله عنهما انا

خلاف في ذلك الاما روي عن محمد بن الحنفية وعن أبي العلاء قال قلت لمحمد بن الحنفية انا لنتحدث ان بدء هذا الاذان كان من رؤيا رآها رجل من الأنصار في منامه قال ففزع لذلك محمد بن الحنفية فزعا شديدا وقال عمدتم الى ماهو الاصل في شرائع الاسلام ومعالم دينكم فزعمتم انه إنما كان من رؤيا رآها رجل من الانصار في منامه تحتمل الصدق والكذب وقد تكون اضغاث أحلام قال فقلت له هذا الحديث قد استفاض في الناس قال هذا والله هو الباطل ثم قال وانما أخبرني أبي ان جبريل عليه السلام اذن في بيت المقدس ليلة الاسراء واقام ثم أعاد جبريل الاذان لما عرج بالنبي ﷺ الى السماء فسمعه عبدالله بن زيد وعمر بن الخطاب وفي رواية عنه انه لما انتهى الى مكان من السماء وقف به و بعث الله ملكا فقيل له علمه الاذان فقال الملك الله أكبر فقال الله صدق عبدي أنا الله أكبر الى ان قال قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة وفيه ماعلمت ان هذا الاقامة لا الاذان وقد رد عليه بانه لو ثبت بقول جبريل لما احتاج صلى الله عليه وسلم الي المشورة والمعراج كان بمكة قبل الهجرة والاولى ان يتمسك ابن الحنفية بما يأتي عن بعض الروايات من قوله ﷺ لعبد الله قد سبقك بذلك الوحي وكونه أتى بالبراق الى الحجاب هو بناء على ان العروج كان على البراق وتقدم مافيه و يحتمل أن يكون هذا عروجا آخر غير ذلك وحينئذ لا يخالف هذا ما تقدم انه لما أسرى به اذن جبريل وتقدم مافيه ولا ماجاء عن علي رضي الله تعالى عنه مؤذن أهل السماء جبريل لجواز حمل ذلك على الغالب وحينئذ لا يخالف أيضا ماجاء اسرافيل مؤذن أهل السماء وامامهم ميكائيل عند البيت المعمور وفي لفظ يؤم بالملائكة في البيت المعمور ولعل كون ميكائيل امام أهل السماء لا يخالف ماجاء عن عائشة رضي الله تعالى عنها امام أهل السماء جبريل لما علم وجاء ان مؤذن أهل السماء يؤذن لاثنتي عشرة ساعة من النهار ولاثنتي عشرة ساعة من الليل أقول وفي النور لو رآه أي الاذان ليلة الاسراء لم يحتج الى مايجمع به المسلمين الى الصلاة و يرد بانه لم يكن يعلم قبل هذه الرؤيا ان مارآه في السماء يكون سنة للصلوات الخمس التي فرضت عليه تلك الليلة فبتلك الرؤيا علم ان ذلك سنة في الأرض كما تقدم (وعبارة بعضهم) ولا يشكل على أذان جبريل ببيت المقدس ان الاذان إنما كان بعد الهجرة لانه لامانع من وقوعه ليلة الاسراء قبل مشروعيته للصلوات الخمس وهذا كله على تسليم ان المرئي له الاذان حقيقة لا الاقامة وقد علمت مافيه ثم رأيت بعضهم قال واما قول القرطبي لا يلزم من كونه سمعه ليلة الاسراء أن يكون مشروعا في حقه ففيه نظر لقوله في أوله لما أراد الله تعالى ان يعلم رسوله الاذان أي لان المتبادر تعليمه الاذان الذي يأتي به في الأرض للصلوات وقد يقال على تسليم ذلك قد علمت ان المراد بالاذان الذي سمعه ليلة الاسراء الاقامة وقد قال الحافظ ابن حجر الحق انه لم يصح شيء من هذه الاحاديث الواردة بانه سمعه ليلة الاسراء ومن ثم قال ابن كثير في بعض الاحاديث الواردة بانه سمع هذا الاذان في السماء ليلة المعراج هذا الحديث ليس كما زعم البيهقي انه صحيح بل هو منكر تفرد به زياد بن المنذر أبو الجارود الذي تنسب اليه الفرقة الجارودية وهو من المتهمين و بهذا يعلم ما في الخصائص الصغرى خص ﷺ بذكر اسمه في الاذان في

أ كفيك أول الليل وتكفيني أنت آخره فنام عمار وقام عباد رضي الله عنهما وكان زوج بعض النسوة اللاتي اصابهن رسول الله صلى الله عليه وسلم غائبا فلما جاء أخبر الخبر فتبع الجيش وحلف لا ينثني حتى يصيب محمدا أو يوثق في أصحاب محمد دما فلما قرب من الشعب رأى سواد عباد فقال هذه ربابة القوم ففوق سهما فوضعه في عباد فانتزعه فرماه بآخر فانتزعه أيضا فرماه بآخر فانتزعه فلما غلبه الدم قال لعمار اجلس فجلس (١٠٤) عمار فلما رأى المشرك عماراً جلس علم انه قد نذر به فهرب فقال عمار لعباد أي أخي ما منعك ان توقظني له في أول سهم رماك به فقال كنت اقرأ في سورة يعني سورة الكهف فكرهت أن أقطعها وفي رواية جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شخصين من أصحابه يقال لهما عباد بن بشر من الانصار وعمار بن ياسر من المهاجرين في مقابلة العدو فرمى أحدهما أي وهو عباد بن بشر بسهم فاصابه ونزفه الدم وهو يصلي ولم يقطع صلاته بل ركع وسجد ومضى في صلاته ثم رماه بثان وثالث وهو يصلي ولم يقطع صلاته وقد قال عباد معتذرا عن ترك ايقاظ صاحبه لولا أني خشيت أن أضيع ثغرا أمرني به رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انصرفت ولو آتى على نفسي (وفي هذه الغزوة أيضا) وقعت قصة الرجل الذي اخترط سيفه صلى الله عليه وسلم وهو نائم تحت الشجرة وقد تقدمت قريبا استطرادا عند ذكر عزم بني النضير على الغدر به صلى الله عليه وسلم واسم الرجل غورث وقيل دعثور وقيل انهما قصتان لرجلين في واذ غزوتين هذه وغزوة أمر وتقدم أيضا ان ذلك الرجل أسلم وأسلم قومه باسلامه ثم رجع صلى الله عليه وسلم ولم يلق كيدا وكانت غيبته خمس عشرة ليلة وبعث جعال بن سراقة رضي الله عنه بشيرا بسلامته وسلامة المسلمين ﴿غزوة بدر الاخيرة﴾ وتسمى غزوة بدر الصغرى لعدم وقوع القتال فيها فهي صغرى بالنسبة للتي وقع فيها القتال وهي الكبرى وتسمى هذه أيضا بدر الموعد

عهد آدم وفي الملكوت الاعلى والله أعلم أي وروي بسند واه ان أول من أذن بالصلاة جبريل عليه السلام في سماء الدنيا فسمعه عمر وبلال رضي الله تعالى عنهما فسبق عمر بلالا فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم ثم جاء بلال فقال له سبقك بها عمر وهذا لا دلالة فيه لانه يجوز أن يكون ذلك بعد رؤيا عبد الله وذكر ان عمر رضي الله تعالى عنه رآه من عشرين يوما وكتمه ولما أخبر صلى الله عليه وسلم بذلك قال له ما منعك ان تخبرني قال سبقني عبد الله بن زيد فاستحييت منه (أقول) في هذا الكلام ما لا يخفى فليتأمل إنما قال له انها رؤيا حق لانه يجوز أن يكون جاءه صلى الله عليه وسلم الوحي بذلك قبل أن يجيء اليه عبد الله بن زيد به ومن ثم قال له حين أخبره بذلك على ما في بعض الروايات قد سبقك بذلك الوحي فالاذان إنما ثبت بالوحي لا بمجرد رؤيا عبد الله قال بعضهم في قوله واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزوا الآية كان اليهود إذا نودي إلى الصلاة وقام المسلمون اليها يقولون قاموا لا قاموا صلوا لا صلوا على طريق الاستهزاء والسخرية وفيها دليل على مشروعية الاذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده هذا كلامه ورده أبو حيان بان هذه جملة شرطية دلت على سبق المشروعية لا على انشائها هذا كلامه أي وذلك على تسليم أن يكون المدعو به للصلاة خصوص اللفظ الذي وجد في المنام وصار بلال يؤذن بذلك للصلوات الخمس وينادي في الناس لغير الصلوات الخمس لامر يحدث يطلب له حضور الناس كالكسوف والخسوف والاستسقاء الصلاة جامعة قيل وكان بلال اذا اذن قال أشهد أن لا اله الا الله حي على الصلاة فقال له عمر على أثرها أشهد ان محمدا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال قل كما قال عمر وهذا روي عن ابن عمر في حديث فيه راو ضعيف ولولا التعبير بكان لامكن حمل ذلك عن ان بلالا أتى بذلك ناسيا في ذلك الوقت لما لقنه عبد الله بن زيد ثم رأيت ابن حجر الهيتمي قال والحديث الصحيح الثابت في أول مشروعية الاذان يرد هذا كله هذا كلامه قيل وزاد بلال في أذان الصبح بعد الحيعلات الصلاة خير من النوم مرتين فاقرها صلى الله عليه وسلم أي لان بلالا كان يدعو النبي صلى الله عليه وسلم للصلاة فيقول له الصلاة فدعاه ذات غداة الى الفجر فقيل له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نائم فصرخ باعلى صوته الصلاة خير من النوم مرتين أي اليقظة الحاصلة للصلاة خير من الراحة الحاصلة بالنوم (أقول) وهذا يقال له التثويب وذكر فقهاؤنا انه صح أنه صلى الله عليه وسلم لقن ذلك لأبي محذورة أي قال له فان كانت صلاة الصبح قلت الصلاة خير من النوم ولا منافاة لان تعليم أبي محذورة الاذان كان عند منصرفه صلى الله عليه وسلم من حنين على ما سيأتي وكذا ما ورد من انه صلى الله عليه وسلم قال ان ذلك من السنة لانه يجوز أن يكون ذلك صدر منه بعد أن أقر بلالا عليه نعم ذكر انه لم ينقل ان ابن أم مكتوم كان يقوله أي لقول بلال له في الاذان الأول وهو يدل لمن قال انه اذا قيل في الاذان الأول لا يقال في الثاني لان أذانه للصبح كان متأخرا عن أذان بلال في أكثر الاحوال وهو محمل ما جاء في كثير من الاحاديث ان بلالا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم ومن غير الاكثر محمل ما جاء ان ابن أم مكتوم ينادي بليل وكلوا واشربوا حتى يؤذن بلال ان ابن أم مكتوم اعمى فاذا اذن ابن أم مكتوم فكلوا

للواعدة عليها مع أبى سفيان يوم أحد وتسمى بدراً الثالثة وكانت فى شعبان سنة أربع بعد ذات الرقاع على قول ابن اسحق قال ابن اسحق لما قدم رسول الله ﷺ المدينة من غزوة ذات الرقاع أقام بها بقية جمادى الأولى وجمادى الآخرة ورجبا ثم خرج فى شعبان إلى بدر لميعاد أبى سفيان وقيل كانت فى ذى القعدة وميعاد أبى سفيان هو ما سبق ان أبا سفيان قال يوم أحد الموعد بيننا وبينكم بدر من العام القابل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر قل  نعم هو بيننا وبينكم موعد فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ألف وخمسمائة من أصحابه وعشرة أفراس واستعمل على المدينة عبد الله بن رواحة الخزرجى رضى الله عنه وحمل اللواء على بن أبى طالب رضى الله عنه وخرج أبو سفيان فى قريش وهم ألفان ومعهم خمسون فرسا حتى نزل موضعا قريبا من مر الظهران وقيل نزل عسفان ثم بدا له الرجوع وكان قد دبر ذلك فى نفسه وهو بمكة لما ألقى الله فى قلبه من الرعب روى ان نعيم بن مسعود الأشجعى قدم مكة فاخبر قريشا بتهيء المسلمين لحربهم فكره أبو سفيان الخروج وجعل لنعيم عشرين بعيرا على ان يذهب الى المسلمين ويخذلهم وضمنها له سهيل بن عمرو وحمله على بعير فقدم نعيم المدينة وأرجف المسلمين بكثرة العدو حتى قذف فى قلوبهم الرعب ولم يبق لهم نية فى الخروج حتى خشى عليه الصلاة والسلام ان لا يخرج معه أحد فجاءه العمران أى أبو بكر وعمر رضى الله عنهما فقالا ان الله مظهر دينه ومعز نبيه وقد وعدنا القوم موعداً لا نحب أن نتخلف عنه فيرون أن هذا جبن فسر لموعدهم فوالله ان فى ذاك الخير إن شاء الله فسر صلى الله عليه وسلم بذلك وقال والذى نفسى بيده لأخرجن وان لم يخرج معى أحد فاذهب الله عن المسلمين ما كان الشيطان أرعبهم به وقال أبو سفيان لقريش قد بعثنا نعيما يخذل أصحاب محمد عن الخروج وهو جاهد فى تخذيلهم لكن نخرج فنسير ليلة أو ليلتين ثم



واذا أذن بلال فامسكوا ولا تأكلوا والراجح انه يقول فيهما لكن ربما يخالف ذلك ما فى الموطأ ان المؤذن جاء عمر يؤذنه لصلاة الصبح فوجده نائما فقال الصلاة خير من النوم فامره عمر رضى الله عنه أن يجعلها فى نداء الصبح. فى الترمذى ان بلالا قال قال رسول الله ﷺ لا تثويب فى شىء من الصلاة أى من أذان الصلاة الا فى صلاة الفجر أى يقول الصلاة خير من النوم وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما انه سمع الاذان فى مسجد فاراد أن يصلى فيه فسمع المؤذن يثوب فى غير الصبح فقال لرفيق له اخرج بنا من عند هذا المبتدع فان هذه بدعة أى سمع المؤذن يقول بين الاذان والاقامة على باب المسجد الصلاة الصلاة وهذا هو المراد بالتثويب الذى سمعه ابن عمر كما قاله بعضهم وفى كلام بعضهم من المحدثات ان المؤذن يجىء بين بالاذان والاقامة الى باب المسجد فيقول حى على الصلاة قيل وأول من أحدثه مؤذن معاوية رضى الله عنه فكان يأتيه بعد الاذان وقبل الاقامة يقول حى على الصلاة حى على الصلاة حى على الفلاح حى على الفلاح يرحمك الله أما قول المؤذن بين الاذان والاقامة الصلاة الصلاة فليس بدعة لان بلالا كان يقول ذلك للنبى ﷺ وأما قوله حى على الصلاة فهذا لم يعهد فى عصره صلى الله عليه وسلم ثم رأيت فى درر المباحث فى أحكام البدع والحوادث اختلف الفقهاء فى جواز دعاء الأمير إلى الصلاة بعد الاذان وقبل الاقامة بان يأتى المؤذن باب الأمير فيقول حى على الصلاة حى على الفلاح أيها الأمير وفسر به التثويب فاحتج من قال بجوازه أى بسنيته ان بلالا كان اذا أذن يأتى النبى ﷺ ثم يقول حى على الصلاة حى على الفلاح الصلاة يرحمك الله أى كما كان يفعل مؤذن معاوية رضى الله تعالى عنه فليس من المحدثات وفى الحديث المشهور انه فى مرضه صلى الله عليه وسلم أتاه بلال فقال السلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته الصلاة يرحمك الله فقال ﷺ لهمر أبا بكر فليصل بالناس واحتج من قال بالمنع بان عمر رضى الله تعالى عنه لما قدم مكة أتاه أبو محذورة فقال الصلاة ياأمير المؤمنين حى على الصلاة حى على الفلاح فقال ويحك أمجنون أنت أما كان فى دعائك الذى دعوتنا ما يكفيك حتى تأتينا ولو كان هذا سنة لم ينكر عليه أى وكون عمر رضى الله تعالى عنه لم يبلغه فعل بلال من البعيد وعن أبى يوسف لا أرى باسا ان يقول المؤذن السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته حى على الصلاة حى على الفلاح الصلاة يرحمك الله لاشتغال الأمراء بمصالح المسلمين أى ولهذا كان مؤذن عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه يفعله وذكر بعضهم أن فى دولة بنى بويه كانت الرافضة تقول بعد الحيعلتين حى على خير العمل فلما كانت دولة السلجوقية منعوا المؤذنين من ذلك وأمروا أن يقولوا فى أذان الصبح بدل ذلك الصلاة خير من النوم مرتين وذلك فى سنة ثمان وأربعين وأربعمائة ونقل عن ابن عمر وعن على بن الحسين رضى الله تعالى عنهم انهما كانا يقولان فى أذانهما بعد حى على الفلاح حى على خير العمل وورد الترجيع فى خبر أذان أبى محذورة أيضا وهو ان يخفض صوته بالشهادتين قبل رفعه بهما ففى مسلم عن أبى محذورة انه قال قلت يارسول الله علمنى سنة الاذان قال فمسح مقدم رأسى وقال تقول أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمدا رسول الله أشهد أن محمداً

رجع فان لم يخرج محمد بلغه انا خرجنا فرجعنا لانه لم يخرج فيكون لنا هذا عليه وان خرج أظهرنا ان هذا عام جدب ولا يصلحنا الا عام عشب قالوا نعم ما رأيت فلما أراد الرجوع قال يامعشر قريش لا يصلحكم أى لايريحكم و يزيل عنكم مشقة السفر الا عام ذو خصب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن وان عامكم هذا عام جدب وانى راجع فارجعوا فرجع الناس فسماهم أهل مكة جيش السويق يقولون انما خرجتم تشربون السويق وأما النبى صلى الله عليه وسلم فخرج على الموعد هو وأصحابه



وسمع الناس بمسيره وذهب صيته إلى كل جانب وكبت الله عدوهم فقال صفوان بن أمية لأبى سفيان والله نهيتك يومئذ ان تعد القوم وقد اجترءوا علينا ورأونا قد أخلفناهم وأقام صلى الله عليه وسلم وأصحابه ببدر ثمانية أيام ينتظر أباسفيان لميعاده وباعوا مامعهم من التجارة فربحوا الدرهم درهمين وأنزل الله فى ذلك الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم الذين قال لهم الناس وهو نعيم بن مسعود إن الناس وهو أبو سفيان وأصحابه قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين

رسول الله تخفض بها صوتك ثم ترفع صوتك بالشهادة أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمدا رسول الله أشهد أن محمدا رسول الله وكان أبو محذورة يشفع الاقامة كالاذان أى يكرر ألفاظها فيقول الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمدا رسول الله أشهد أن محمدا رسول الله حى على الصلاة حى على الصلاة حى على الفلاح حى على الفلاح قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله لقنه ﷺ ذلك وهى الرواية الثانية التى تقدمت عن عبد الله بن زيد رضى الله تعالى عنه وذكر الامام أبو العباس بن تيمية رحمه الله ان النقل ثبت ان النبى ﷺ علم أبا محذورة الاذان فيه الترجيع والاقامة مثناة كالاذان وان بلالا كان يشفع الاذان و يوتر الاقامة أى ولا يرجع الاذان ففى الصحيحين أمر بلال أن يشفع الاذان أى ومن شفع الاذان التكبير أوله أربعا ولم يصح عنه ﷺ الاقتصار فيه على مرتين وان كان هو عمل أهل المدينة كما سيأتى ثم يرد على شفع الاذان التهليل آخره فانه مفرد فالأولى أن يقال يشفع معظم الاذان و يوتر الاقامة الا الاقامة أى لفظها أى وهى قد قامت الصلاة فانه يكررها مرتين يقول قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة ولم يصح عنه ﷺ إفرادها البتة أى وان كان هو عمل أهل المدينة كما سيأتى وصح عنه تكرير لفظ التكبير مرتين أولا وآخرا وحينئذ يكون المراد بافراد الاقامة إفراد معظمها فكان يقول فى الاقامة الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمدا رسول الله حى على الصلاة حى على الفلاح قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله ولم يكن فى أذانه ترجيع أى وهو الاتيان بالشهادتين مرتين سرا ثم يأتى بهما جهرا أى كما تقدم قال فنقل إفراد الاقامة صحيح بلاريب وتثنيتها صحيح بلاريب أى وكل روى عن عبد الله بن زيد كما علمت قال أى ابن تيمية وأحمد وغيره أخذوا باذان بلال واقامته أى فلم يستحبوا الترجيع فى الاذان واستحبوا افراد الاقامة الالفظها والشافعى رضى الله تعالى عنه أخذ باذان أبى محذورة واقامة بلال فاستحب الترجيع فى الاذان والافراد فى الاقامة الالفظها وأبو حنيفه رحمه الله أخذ باذان بلال واقامة أبى محذورة أى فلم يستحب الترجيع واستحب تثنية ألفاظ الاقامة قال فى الهدى وأخذ مالك بما عليه عمل أهل المدينة من الاقتصار فى التكبير على مرتين فى الاذان وعلى كلمة الاقامة مرة واحدة أى ولعل هذا بحسب ما كان فى المدينة والافى أبى داود ولم يزل ولد أبى محذورة وهم الذين يلون الاذان بمكة يفردون الاقامة أى معظم ألفاظها و يحكونه عن جدهم غير ان التثنية عنه أكثر فيحتمل ان اتيان أبى محذورة بالاقامة فرادى واستمراره وولده بعده على ذلك كان بامر منه ﷺ له بذلك بعد أمره أولا له بتثنيتها أى فيكون آخر أمره الافراد وقد قيل لأحمد رضى الله تعالى عنه وقد كان يأخذ باذان بلال أى كما تقدم أليس أذان أبى محذورة بعد أذان بلال أى لان النبى صلى الله عليه وسلم علمه له عند منصرفه من حنين على ما سيأتى وهو الذى رواه امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه عن أبى محذورة أنه قال خرجت فى نفر وكنا ببعض طريق حنين فقفل رسول الله صلى الله عليه وسلم من حنين

وقيل إن قوله الذين استجابوا الى أجر عظيم انما نزلت فى شأن حمراء الأسد وهو خروجهم فى أثر قريش بعد وقعة أحد وهذا هو الصحيح وقوله الذين قال لهم الناس الخ نزلت فى غزوة بدر الصغرى ولا مانع أن يكون صدر الآية مشيرا إلى الامرين والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ غزوة دومة الجندل ﴾

وهى مدينة بينها وبين دمشق خمس ليال و بعدها من المدينة خمس عشرة ليلة وكانت فى شهر ربيع الأول سنة خمس من الهجرة وسببها انه بلغه صلى الله عليه وسلم ان بها جمعا عظيما

يظلمون من مربهم وانهم يريدون أن يدنوا من المدينة فخرج صلى الله عليه وسلم فى ألف من أصحابه واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفارى وكان صلى الله عليه وسلم يسير الليل ويكمن النهار فلما دنا منهم قال له مدكور العذرى رضى الله عنه وكان هو الدليل مع النبى صلى الله عليه وسلم أقم لى حتى أطلع لك على سوائم القوم فانها ترعى هنا فخرج العذرى فوجد آثار النعم والشاء وهم مغربون فأخبره فهجم على ماشيتهم ورعاتهم فأصاب من أصاب وهرب من هرب فى كل وجهة وجاء الخبر أهل دومة فأصابهم الرعب فتفرقوا فرقا من المنصور بالرعب صلى الله عليه وسلم ونزل بساحتهم فلم يلق بها أحدا فاقام بها أياما وبعث السرايا وفرقها فرجعوا سالمين وأصابوا رجلا من القوم فجاءوا به للنبى صلى الله عليه وسلم فسأله عنهم فقال هربوا حين علموا انك أخذت نعمهم فعرض عليه الاسلام فاسلم ورجع النبى صلى الله عليه وسلم ودخل المدينة فى عشرين من ربيع الآخر والله سبحانه وتعالى أعلم

## ﴿ غزوة المريسيع ﴾

وهو ماء لبنى خزاعة بينه وبين الفرع مسيرة يوم وتسمى غزوة بنى المصطلق وهم بطن من خزاعة وكانت فى شعبان سنة خمس من الهجرة وسببها انه بلغه عليه الصلاة والسلام ان رئيسهم الحرث بن أبى ضرار والد جويرية أم المؤمنين رضى الله عنها وقد أسلم لما جاء فى فدائها كما سيأتى سار فى قومه ومن قدر عليه من العرب فدعاهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجابوه وتهيؤا للمسير معه وكانوا ينزلون ناحية الفرع فبعث عليه الصلاة والسلام بريدة بن الحصيب الأسلمى رضى الله عنه ليعلم حالهم الذى هم عليه واستأذن النبى صلى الله عليه وسلم أن يقول فأذن له فأتاهم ولقى الحرث بن أبى ضرار وكلمه فوجده قد جمع الجموع وقالوا والله من الرجل قال منكم قدمت لما بلغنى من جمعكم لهذا الرجل فأسير فى قومى ومن أطاعنى فنكون يدا واحدة حتى نستأصله قال الحرث فنحن على ذلك فعجل علينا فقال لهم بريدة اركب

حنين فلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض الطريق فاذن مؤذن رسول الله ﷺ بالصلاة فسمعنا صوت المؤذن ونحن متنكبون أى عن الطريق فصرنا نحكيه ونستهزئ به فسمع النبى صلى الله عليه وسلم فأرسل الينا الى أن وقفنا بين يديه فقال رسول الله ﷺ أيكم الذى سمعت صوته قد ارتفع فأشار القوم كلهم الى فحبسنى أى أبقانى عنده وأرسلهم وقال قم فاذن فقمت ولاشىء أكره إلى من النبى صلى الله عليه وسلم ولا مما يأمرنى به فقمت بين يدى رسول الله ﷺ فألقى على التأذين هو بنفسه صلى الله عليه وسلم الحديث ثم دعانى حين قضيت التأذين فاعطانى صرة فيها شىء من فضة ثم وضع يده على ناصيتى ومر بها على وجهى ثم بين يدى ثم على كبدى حتى بلغت يده سرتى وقال بارك الله فيك وبارك عليك فقلت يارسول الله مرنى بالتأذين بمكة فقال صلى الله عليه وسلم قد أمرتك به وذهب كل شىء كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم من كراهته وعاد ذلك كله محبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقدمت على عتاب بن أسيد رضى الله تعالى عنه عامل رسول الله ﷺ على مكة فأذنت بالصلاة عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل علمه صلى الله عليه وسلم ذلك يوم فتح مكة لما أذن بلال رضى الله تعالى عنه للظهر على ظهر الكعبة وصار فتية من قريش يستهزؤن ببلال ويحكون صوته وكان من جملتهم أبو محذورة فأعجبه صلى الله عليه وسلم صوته فدعاه وعلمه الأذان وأمره أن يؤذن لأهل مكة فليتأمل الجمع وانما يؤخذ بالاحدث فالأحدث من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أى بالمتأخر عنه لأن المتأخر ينسخ المتقدم فقال أليس لما عاد الى المدينة أقر بلالا على أذانه قال أبو داود وتثنية الاذان وافراد الاقامة مذهب أكثر علماء الأمصار وجرى به العمل فى الحرمين والحجاز وبلاد الشام واليمن وديار مصر ونواحى المغرب أى الامصر فى المساجد التى تغلب صلاة الأروام بها فان الاقامة تثنى كالاذان فيها وقد ذكر أن أبا يوسف رحمه الله ناظر إمامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه فى المدينة بين يدى مالك رضى الله تعالى عنه والرشيد فأمر الشافعى باحضار أولاد بلال وأولاد سائر مؤذنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهم كيف تلقيتم الاذان والاقامة عن آبائكم فقالوا الاذان مثنى مثنى والاقامة فرادى هكذا تلقيناه من آبائنا وآباؤنا عن أسلافنا إلى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء انه صلى الله عليه وسلم سمع بلالا يقيم الصلاة فلما قال قد قامت الصلاة قال صلى الله عليه وسلم أقامها الله وأدامها وفى البخارى من قال حين يسمع النداء أى الاذان اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمد الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته وجبت له شفاعتى يوم القيامة قال بعضهم كان المؤذنون فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذنين بلال وابن أم مكتوم فلما كان زمن عثمان رضى الله تعالى عنه جعلهم أربعا وزاد الناس بعده ولما مات صلى الله عليه وسلم ترك بلال الاذان ولحق بالشام فمكث زمانا فرأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال له يا بلال جفوتنا وخرجت من جوارنا فاقصد إلى زيارتنا وفى لفظ انه قال له ماهذه الجفوة يا بلال ما آن لك أن تزورنا فانتبه بلال رضى الله تعالى عنه فقصد المدينة فلما انتهى إلى المدينة تلقاه

الآن وآتيكم بجمع كثير من قومي فسروا بذلك ورجع هو إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره خبرهم فندب صلى الله عليه وسلم
الناس وخرج مسرعا في جمع كثير وخرج معه كثير من المنافقين لم يخرجوا في غزوة قط مثل خروجهم في هذه الغزوة وكان معه صلى الله
عليه وسلم ثلاثون من الخيل عشرة للمهاجرين وعشرون للانصار واستعمل على المدينة زيد بن حارثة وقيل أبا ذر الغفاري وقيل نميلة
ابن عبد الله الليثي رضي الله عنهم  وخرجت معه عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما وأصاب صلى الله عليه وسلم في
طريقه عينا أي جاسوسا للمشركين فسأله عنهم فلم يذكر من شأنهم شيئا فعرض عليه الاسلام فأبى فأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه فضرب عنقه وبلغ الحرث ومن معه مسيره صلى الله عليه وسلم وانه قتل جاسوسه فسيء بذلك الخبر هو ومن معه وخافوا خوفا شديدا وتفرق عنهم كثير ممن كان معهم من العرب الذين اجتمعوا وبلغ عليه الصلاة والسلام المريسيع وضرب عليه قبته وهيأ أصحابه للقتال وصف أصحابه ودفع راية المهاجرين لأبي بكر رضي الله عنه وقيل لعمار بن ياسر رضي الله عنه وراية الأنصار لسعد ابن عبادة رضي الله عنه وأمر عمر فنادى في الناس قولوا لا إله إلا الله تمنعوا بها أنفسكم وأموالكم فأبى المشركون أن يقولوها فتراموا بالنبل ساعة ثم أمر صلى الله عليه وسلم أصحابه فحملوا حملة رجل واحد فما أفلت منهم
أحد قتلوا عشرة وأسروا باقيهم وكانوا أكثر من سبعمائة وسبوا الرجال والنساء والذرية
وساقوا النعم والشاء وكانت الابل ألفي بعير والشاء خمسة آلاف شاة وكان السبي مائتي بيت ولم يقتل من المسلمين الا رجل واحد وهو
هشام بن صبابة أصابه رجل من رهط عبادة بن الصامت رضي الله عنه خطأ وكان من جملة السبي جويرية بنت الحرث فاختص بها
النبي صلى الله عليه وسلم واعتقها وتزوج بها وخرج الخبر الى الناس أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوج بها فقال الناس أصهار

الناس أي وأتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وجعل يبكي عنده ويتمرغ عليه وأقبل على الحسن
والحسين يقبلهما ويضمهما وألحوا عليه ان يؤذن فلما صعد ليؤذن اجتمع أهل المدينة رجالهم
ونساؤهم وخرجت العذارى من خدورهن ليسمعوا أذانه رضي الله تعالى عنه فلما قال الله أكبر
ارتجت المدينة وصاحوا وبكوا فلما قال أشهد أن لا إله الا الله ضجوا جميعا فلما قال أشهد أن محمدا
رسول الله لم يبق ذو روح إلا بكى وصاح وكان ذلك اليوم كيوم موت رسول الله ﷺ ثم انصرف
إلى الشام وكان يرجع إلى المدينة في كل سنة مرة فينادي بالاذان الى أن مات رضي الله تعالى عنه
(أقول) في كلام بعضهم كان سعد القرظ رضي الله تعالى عنه مؤذنه صلى الله عليه وسلم بقباء فلما
لحق بلال بالشام أيام عمر رضي الله تعالى عنه أمر سعد القرظ أن يؤذن في مسجد رسول الله صلى الله
عليه وسلم أي فان بلالا لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء إلى أبي بكر رضي الله تعالى عنه
فقال يا خليفة رسول الله اني سمعت رسول الله ﷺ يقول أفضل أعمال المؤمن الجهاد في سبيل الله
وقد أردت أن أرابط في سبيل الله حتى أموت فقال له أبو بكر رضي الله تعالى عنه أنشدك الله يا بلال
وحرمتي وحقي عليك أن لا تفارقني فأقام بلال حتى توفي أبو بكر رضي الله تعالى عنه وهو يؤذن ثم جاء إلى
عمر فقال له كما قال لأبي بكر ورد عليه رضي الله تعالى عنه كما رد عليه أبو بكر فأبى وخرج إلى الشام مجاهدا
(وفي أنس الجليل) لما فتح أمير المؤمنين عمر رضي الله تعالى عنه بيت المقدس حضرت الصلاة فقال
يا بلال أذن لنا يرحمك الله قال بلال يا أمير المؤمنين والله ما أردت أن أؤذن بعد رسول الله ﷺ
إلى أحد ولكن سأطيعك اذ أمرتني في هذه الصلاة وحدها فلما أذن بلال وسمعت الصحابة رضي
الله تعالى عنهم صوته ذكروا النبي ﷺ فبكوا بكاء شديدا ولم يكن من الصحابة يومئذ أطول
بكاء من أبي عبيدة ومعاذ بن جبل حتى قال لهما عمر رضي الله تعالى عنه حسبكما رحمكما الله تعالى فلم
يؤذن بلال بعد رسول الله ﷺ الا مرة واحدة لما أمره عمر بالأذان هذا ما في أنس الجليل أي
فالمراد بالمرة هذه المرة التي كانت ببيت المقدس وفيه ان هذا يخالف ما تقدم مما ظاهره انه استمر يؤذن
مدة خلافة أبي بكر رضي الله تعالى عنه وما تقدم من إلحاح الحسن والحسين عليه في أن يؤذن عند
مجيئه للمدينة إلا أن يقال المراد لم يؤذن خارج المدينة فلا يخالف ما سبق من أذانه بعد الحاح الحسن
والحسين ولعل ما سبق كان بعد فتح بيت المقدس بل وبعد موت الخلفاء الأربعة ثم رأيت الزين
العراقي قال لم يؤذن بلال بعد موت النبي ﷺ لأحد من الخلفاء الا أن عمر لما قدم الشام حين فتحها
أذن بلال هذا كلامه فليتأمل مع ما سبق * وفي الكتاب المذكور روي عن جابر بن عبد الله رضي الله
تعالى عنه ان رجلا قال يا رسول الله أي الخلق أول دخولا الجنة قال الأنبياء قال ثم من قال الشهداء قال
ثم من قال مؤذنو بيت المقدس قال ثم من قال مؤذنو البيت الحرام قال ثم من قال مؤذنو مسجدي قال
ثم من قال سائر المؤذنين ثم رأيت في نسخة من شرح المنهاج للدميري عن جابر تقدم مؤذني المسجد
الحرام على مؤذني بيت المقدس ورأيت في بعض الروايات ما يوافقه وهي أول من يدخل الجنة بعدي

أبو

رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسلوا ما بايديهم قالت عائشة رضى الله عنها فما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها رضى الله عنها وقيل إنها طلبت قومها من النبي صلى الله عليه وسلم ليلة دخوله بها فوهبهم لها وهذا لا يمنع كون المسلمين حين سمعوا أنه تزوجها أطلقوا الأسرى فكان ذلك زيادة اكرام من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم حتى لا يسأل أحدا منهم فى ذلك بشيء أو مجانا ثم هدى الله أكثرهم للاسلام وجاء ان جويرية رضى الله عنها قالت رأيت



قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم بثلاث ليال كأن القمر يسير من يثرب حتى وقع فى حجرى فكرهت أن أخبر بها أحدا من الناس حتى قدم صلى الله عليه وسلم فلما سبينا رجوت الرؤيا فلما أعتقنى وتزوجنى ماشعرت الا بجارية من بنات عمى تخبرنى بفك الاسرى فحمدت الله تعالى وجاء ان بعض الاسرى انما أطلقوا بفداء ولعل هذا قبل التزوج بها رضى الله عنها وجاء عن جويرية رضى الله عنها انها قالت لما أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن على المريسيع سمعت أبى يقول أتانا مالا قبل لنا به فلبثت أرى من الناس والخيل والسلاح مالا أصف من الكثرة فلما أسلمت وتزوجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجعنا جعلت أنظر الى المسلمين فليسوا كما كنت أرى فعلمت أنه رعب من الله يلقيه فى قلوب المشركين ثم ان أباها الحرث قدم على النبي صلى الله عليه وسلم المدينة بعد رجوعه يريد فداء ابنته وفكاكها فلما كان بالعقيق نظر إلى إبله التى يريد أن يفدى ابنته بها فرغب فى بعيرين منها كانا من أفضلها فأعقبها فى شعب من شعاب العقيق ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اصبتم ابنتى وهذا فداؤها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فأين البعيران اللذان عقبتهما بالعقيق فى شعب كذا وكذا فقال ارث أشهد ان لا اله الا الله وأنك رسول الله والله ما اطلع على ذلك أحد الا الله وقيل انه أسلم قبل ذلك وهذا اظهار

أبو بكر ثم الفقراء ثم مؤذنو المسجد الحرام ثم مؤذنو بيت المقدس ثم مؤذنو مسجدى ثم سائرهم على قدر أعمالهم * وفى البدور السافرة عن جابر رضى الله تعالى عنه ان رجلا قال يارسول الله أى الخلق أول دخولا الجنة يوم القيامة قال الانبياء قال ثم من قال الشهداء قال ثم من قال مؤذنو الكعبة قال ثم من قال مؤذنو بيت المقدس قال ثم من قال مؤذنو مسجدى هذا قال ثم من قال سائر المؤذنين على قدر أعمالهم * وفيها عن جابر أيضا أول من يكسى حلل الجنة ابراهيم ثم محمد صلى الله عليه وسلم ثم النبيون والرسل ثم يكسى المؤذنون وجاء ان الصحابة رضى الله تعالى عنهم قالوا يارسول الله لقد تركتنا نتنافس فى الأذان بعدك فقال اما أنه يكون قوم بعدكم كفلتهم مؤذنوهم قيل وهذه الزيادة منكرة وقال الدارقطنى ليست محفوظة وجاء اذا أخذ المؤذن فى آذانه وضع الرب جل وعز يده فوق رأسه ولا يزال كذلك حتى يفرغ من أذانه وانه ليغفر له مد صوته فاذا فرغ قال الرب صدق عبدى وشهدت شهادة الحق فابشر والله أعلم قال وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال كان رجل من اليهود أى من التجار وعن السدى من النصارى بالمدينة سمع المؤذن يقول أشهد أن محمدا رسول الله قال خزى الله الكاذب وفى رواية أحرق الله الكاذب فدخلت خادمه بنار وهو نائم وأهله نيام فسقطت شرارة فاحرقت البيت واحترق هو وأهله انتهى أى وفى بعض الاسفار حضر وقت الصلاة أى صلاة الصبح فطلبوا بلالا يؤذن فلم يوجد أى لتأخره فى السير عن رسول الله ﷺ فاذن زياد بن الحرث الصدائى أى بامره صلى الله عليه وسلم فقال له أذن يا أخا صداء وصداء حى من اليمن وعنه رضى الله تعالى عنه سألت رسول الله ﷺ يؤمرنى على قومى فقال لا خير فى الامرة لرجل مؤمن فقلت حسبى ثم سار النبي ﷺ مسيرا فسرت معه فانقطع عنه أصحابه وأضاء الفجر فقال لى اذن يا أخا صداء فاذنت ثم لما حضرت الصلاة أراد بلال أن يقيم فقال رسول الله ﷺ لا انما يقيم من أذن * واختلف هل أذن صلى الله عليه وسلم بنفسه فقيل نعم أذن مرة واستدل على ذلك بانه جاء فى بعض الاحاديث أى وقد صح انه صلى الله عليه وسلم أذن فى السفر وصلى وهم على رواحلهم فتقدم على راحلته صلى الله عليه وسلم فصلى بهم يومىء ايماء يجعل السجود أخفض من الركوع وقيل ما أذن وانما أمر بلالا بالاذان كما فى بعض طرق ذلك الحديث ففى الهدى وصلى بهم الفرض على الرواحل لأجل المطر والطين وقد روى أحمد والترمذى انه صلى الله عليه وسلم انتهى الى مضيق هو وأصحابه والسماء من فوقهم والمسيل من أسفل منهم فحضرت الصلاة فامر المؤذن فاذن وأقام ثم تقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بهم الحديث والمفصل يقضى على المجمل وفى رواية اذن اختصارا أى أمر بالاذان أى وهذا المجمل الذى نشير اليه هو فاذن صلى الله عليه وسلم على راحلته وأقام أى وروى ان بلالا كان يبدل الشين فى أشهد سينا فقال صلى الله عليه وسلم سين بلال عند الله شين قال ابن كثير لا أصل لرواية سين بلال شين فى الجنة ولا يلزم من كون هذه الرواية لا أصل لها أن تكون تلك الرواية كذلك وكان بلال وابن أم مكتوم يتناوبان فى أذان الصبح فكان أحدهما يؤذن بعد مضى

لاسلامه ثم أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخبرا بنته باسلامه فقالت له أحسنت وأجملت فقال لها أبوها يا بنية لا تفضحى قومك يعنى بالرق فقالت اخترت الله ورسوله فرضى أبوها بذلك وفى هذه الغزوة نزلت آية التيمم ففى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره قال ابن عبد البرهى غزوة بنى المصطلق قالت حتى اذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لى فأقام رسول الله



صلى الله عليه وسلم على التماسه وأقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فاتى الناس الى أبى بكر رضى الله عنه فقالوا له ألا ترى الى ماصنعت عائشة رضى الله عنها أقامت برسول الله صلى الله عليه وسلم والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء فجاء أبو بكر رضى الله عنه ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع رأسه على فخذى قد نام فقال حبست رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء قالت عائشة رضى الله عنها فعاتبنى أبو بكر رضى الله عنه وقال ماشاء الله أن يقول وجعل يطعننى بيده فى خاصرتى فلا يمنعنى من التحرك الا مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذى فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصبح على غير ماء فانزل الله آية التيمم فتيمموا فقال أسيد بن حضير رضى الله عنه ماهى باول بركتكم يا آل أبى بكر قالت فبعثنا البعير فاصبنا العقد تحته وفى رواية قال أسيد لها جزاك الله خيرا ما نزل بك أمر تكرهينه الا جعل الله لك سمعتم
منه مخرجا وللمسلمين فيه خيرا وقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعظم بركة قلادتك وقال لها أبو بكر رضى الله عنه والله يا بنى انك كما علمت مباركة وفى هذه الغزوة كانت قصة الافك فيكون العقد قد سقط مرتين وقد اختلف ائمة السير اختلافا كثيرا هل كان ذلك فى غزوة واحدة أو غزوتين فقيل فى غزوة واحدة وهى غزوة بنى المصطلق والقائلون بذلك اختلفوا هل قصة آية التيمم أسبق أم قصة

نصف الليل الاول والليل باق والثانى يؤذن بعد طلوع الفجر وروى الشيخان أن بلالا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم أى وفى مسلم عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ لا يمنعن أحدا منكم أذان بلال أو قال نداء بلال من سحوره فانه يؤذن أو قال ينادى ليرجع قائمكم ويوقظ نائمكم انما يؤذن بليل بعد نصفه الاول فيرجع القائم المتهجد الى راحلته لينام غفوة ليصبح نشيطا ويستيقظ النائم ليتأهب للصبح قال فى الهدى وانقلب على بعض الرواة فقال ان ابن أم مكتوم ينادى بليل فكلوا واشربوا حتى ينادى بلال أى وقد علمت انه لا قلب وانهما كانا يناديان فكان بلال تارة يؤذن بليل وابن أم مكتوم عند الفجر الثانى وتارة يكون ابن أم مكتوم بالعكس فوقع كل من الاحاديث باعتبار ماهو موجود عند النطق ولم يكن بين أذانيهما الا أن ينزل هذا ويرقى هذا أى أن ينزل المؤذن الاول من أذانه ويرقى المؤذن الثانى كما ذكر فمن كان يؤذن أولا يتربص بعد أذانه للدعاء ثم يرقب الفجر فاذا قارب طلوعه نزل فاخبر صاحبه فيرقى ويؤذن مع الفجر أو عقبه من غير فاصل وهذا هو المراد مما قيل ان ابن أم مكتوم كان لا يؤذن حتى يقال له أصبحت أصبحت وعن ابن عمر كان ابن أم مكتوم يتوخى الفجر فلا يخطئه وفى أبى داود عن ابن عمر أن بلالا اذن قبل طلوع الفجر فامره صلى الله عليه وسلم ان يرجع فينادى الا أن العبد نام فرجع فنادى ألا ان العبد نام ألا إن العبد نام أى غفل عن الوقت أو رجع لينام لبقاء الليل ولعل هذا كان قبل ان يتخذ ابن أم مكتوم مؤذنا ثانيا أو كان أذان بلال فى هذه المرة بعد أذان ابن أم مكتوم على ما تقدم فلا مخالفة والثابت فى الجمعة أذان واحد كان يفعل بين يديه صلى الله عليه وسلم إذا صعد المنبر وجلس عليه كذا قال فقهاؤنا مستدلين على ذلك بحديث البخارى عن السائب بن يزيد قال كان التأذين يوم الجمعة حين يجلس الامام على المنبر فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما وليس فيه ان ذلك الاذان كان بين يديه ولما كثر المسلمون أمر عثمان رضى الله تعالى عنه أى وقيل عمر وقيل معاوية بان يؤذن قبله على المنارة وعبارة بعضهم وفى السنة الرابعة والعشرين زاد عثمان النداء على الزوراء يوم الجمعة ليسمع الناس فيأتوا الى المسجد وأول من أحدثه بمكة الحجاج والتذكير قبل الاذان الاول الذى هو التسبيح أحدث بعد السبعمائة فى زمن الناصر محمد بن قلاوون وأول ما أحدثت الصلاة والسلام على النبى صلى الله عليه وسلم أى على الكيفية المعهودة الآن بعد تمام الاذان على المنارة أى فى غير المغرب فى زمن السلطان المنصور حاجى بن الاشرف شعبان بن حسن بن محمد بن قلاوون بأمر المحتسب نجم الدين الطنبدى فى أواخر القرن الثامن واستمر ذلك الى الآن لكن فى غير أذان الصبح الثانى وغير أذان الجمعة أول الوقت اما أذان الصبح الثانى وأذان الجمعة المذكور فتقدم الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم على الاذان فيهما وكان أحدث ذلك فى زمان صلاح الدين بن أيوب ولعل الحكمة فى ذلك اما فى الاول فلاستيقاظ النائم وأما فى الثانى فلاجل حصول التبكير المطلوب فى الجمعة ولا يخفى ان من السنة مطلق الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم بعد فراغ الاذان ففى مسلم اذا

الافك واستدل بعضهم لتقدم قصة الافك بقول أسيد بن حضير رضى الله عنه ماهى باول بركتكم يا آل أبى بكر أى بل مسبوقة بغيرها من البركات فهو يشعر بان هذه القصة كانت بعد قصة الافك و بعضهم أخر قصة الافك عنها والقائلون بان ضياع العقد كان فى غزوتين قالوا مرة فى غزوة الرقاع ومرة فى غزوة بنى المصطلق واستدل كل قائل بادلة يطول ذكرها والتحقيق ان قصة الافك فى غزوة بنى المصطلق قطعا والاختلاف إنما هو فى قصة التيمم هل هى فى تلك الغزوة و به جزم



ابن عبد البر وجماعة أوفى غزوة ذات الرقاع أوغيرها و به جزم آخرون والله أعلم وحاصل قصة الافك مارواه البخارى ومسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ماأنزل الحجاب فانا أحمل فى هودجى وأنزل فيه حتى اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة قافلين اذن ليلة بالرحيل فقمت حين أذنوا بالرحيل فمضيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأنى أقبلت إلى رحلى فلمست صدرى فاذا عقد لى من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدى فحبسنى ابتغاؤه وقالت وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بى فاحتملوا هودجى فرحلوه على بعيرى الذى كنت أركب عليه وهم يحسبون انى فيه وكان النساء إذ ذاك خفافا لم يغشهن اللحم إنما يأكلن العلقة من الطعام فلم

سمعتم المؤذن فقولوا مثل مايقول ثم صلوا على وقيس بذلك الاقامة فالأذان والاقامة من المواطن التى يستحب فيها الصلاة والسلام على النبى صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى و رفعنا لك ذكرك فقد قيل فى معناه لاأذكر الاوتذكر معى لكن بعد فراغهما لاعند الابتداء بهما كما يقع لبعض الاروام أن يقول المقيم للصلاة عند ابتداء الاقامة اللهم صل على سيدنا محمد الله أكبر الله أكبر فان ذلك بدعة (ومن البدع) التطريب فى الأذان والتلحين فيه وفى كلام امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه و يكون الأذان مرسلا بغير تمطيط ولا تغن قيل التمطيط التفريط فى المد والتغنى أن يرفع صوته حتى يجاوز المقدار (ومن البدع) رفع المؤذنين أصواتهم بتبليغ التكبير لمن بعد عن الامام من المقتدين قال بعضهم ولا بأس به لما فيه من النفع أى حيث لم يبلغهم صوت الامام بخلاف ما إذا بلغهم ففى كلام بعضهم التبليغ بدعة منكرة باتفاق الأئمة الأربعة حيث بلغ المأمومين صوت الامام ومعنى منكرة أنها مكروهة * (وأول ما أحدث التسبيح) بالاسحار فى زمن موسى عليه الصلاة والسلام حين كان بالتيه واستمر إلى ان بنى داود عليه الصلاة والسلام بيت المقدس فرتب فيه جماعة يقومون به على الآلات إلى ثلث الليل الأخير ثم بعد ثلث الليل الأخير يقومون به على الآلات عند الفجر (وأول حدوثه فى ملتنا) كان بمصر أمر به أميرها من قبل معاوية مسلمة بن مخلد الصحابى رضى الله تعالى عنهما فانه لما اعتكف بجامع عمرو سمع أصوات النواقيس عالية فشكا ذلك إلى شرحبيل بن عامر عريف المؤذنين بجامع عمرو ففعل ذلك من نصف الليل إلى قريب الفجر ومسلمة هذا تولى مصر من معاوية بعد عتبة بن أبى سفيان أخى معاوية رضى الله تعالى عنهما وعتبة تولاها حين مات أميرها عمرو بن العاص وهذا مما يدل على ان عمرو بن العاص مدفون بمصر وكان عتبة خطيبا فصيحا قال الاصمعى الخطباء من بنى أمية عتبة بن أبى سفيان وعبد الملك بن مروان خطب عتبة يوما أهل مصر فقال يا أهل مصر خف على ألسنتكم مدح الحق ولا تأتونه وذم الباطل وأنتم تفعلونه كالحمار يحمل أسفارا يثقله حملها ولا ينفعه علمها وانى لا أداوى داءكم إلا بالسيف ولا أبلغ السيف ما كفانى السوط ولا أبلغ السوط ما صلحتم على الدرة فالزموا ما ألزمكم الله لنا تستوجبوا ما فرض الله لكم علينا وهذا يوم ليس فيه عتاب ولا بعده عتاب (ومما يؤثر عنه) ازدحام الكلام فى السمع مضلة للفهم وقال لبنيه يوما تلقوا النعم بحسن مجاورتها والتمسوا المزيد منها بالشكر عليها (ومسلمة) أول من جعل بنيان المنابر التى هى محل التأذين فى المساجد فلما ولى أحمد بن طولون رتب جماعة يكبرون و يسبحون و يحمدون فلما ولى صلاح الدين يوسف بن أيوب وحمل الناس على اعتقاد مذهب الاشعرى والخروج عما كان يعتقد الفواطم أمر المؤذنين أن يعلنوا وقت التسبيح بذكر العقيدة المرشدة وقد وقفت عليها فاذا هى ثلاث ورقات ولم أقف على اسم مؤلفها فواظبوا على ذكرها فى كل ليلة قيل فى سبب نزول قوله تعالى قل كل من عند الله أن اليهود قالوا فى حق رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ دخل المدينة نقصت ثمارها وغلت أسعارها فرد الله تعالى عليهم بقوله قل كل من عند الله أى يبسط الأرزاق و يقبضها وعند ظهور الاسلام وقوته فى المدينة قامت نفوس أحبار

يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدى بعد ما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فتيممت منزلى الذى كنت به وظننت انهم سيفقدونى فيرجعون الى فبينا أنا جالسة فى منزلى غلبتنى عينى فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمى ثم الذكوانى من وراء الجيش فاصبح عند منزلى فرأى سواد إنسان نائم فعرفنى حين رآنى وكان رآنى قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفنى فخمرت وجهى بجلبابى ووالله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت

منه غير استرجاعه وهوى حتى أناخ راحلته فوطىء على يدها فقمت اليها فركبتها فانطلق يقود بى الراحلة حتى أتينا الجيش فى نحر الظهيرة وهم نزول فهلك من هلك وكان الذى تولى كبر الافك عبدالله بن أبى ابن سلول فانه كان أول من أشاعه فى العسكر لانه كان ينزل مع جماعة من المنافقين مبتعدين من الناس فمررنا عليه فقال من هذه قالوا عائشة وصفوان فقال فجر بها ورب الكعبة وفى لفظ مابرئت منه ومابرىء منها وفى رواية قال والله مانجت منه ولانجا منها وصار يقول امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت ثم أشاع ذلك فى المدينة بعد دخولهم بها لشدة عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عروة بن الزبير أخبرت أن حديث الافك كان يشاع و يتحدث به عند ابن أبى فيقره و يستمعه ويستوشيه وقال عروة أيضا لم يسم من أهل الافك إلا حسان بن ثابت رضى الله عنه ومسطح ابن اثاثة رضى الله عنه وحمنة بنت جحش رضى الله عنها فى ناس آخرين لاعلم لى بهم غير انهم عصبة كما قال الله تعالى ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم وكانت عائشة رضى الله عنها تكره أن يسب عندها حسان وتقول إنه الذى قال

فان أبى ووالده وعرضى لعرض محمد منكم وقاء

قالت عائشة رضى الله عنها فقدمنا المدينة واشتكيت حين قدمت شهرا والناس يفيضون فى قول أصحاب الافك لاأشعر بشىء من ذلك و يريبنى فى وجعى إنى لاأعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذى كنت أرى منه حين اشتكى إنما يدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسلم على ثم يقول كيف تيكم ثم ينصرف فذاك يريبنى ولاأشعر بالشرحتى خرجت حين نقهت فخرجت مع ام مسطح قبل المناصع وكان متبرزنا أى موضع قضاء حاجتنا وكنا لانخرج إلا ليلا إلى ليل وذلك قبل أن تتخذ الكنف قريبا من بيوتنا قالت وأمرنا أمر العرب الأول فى البرية أى فى الخروج اليها قالت فانطلقت أنا وأم مسطح وهي سلمي

اليهود ونصبوا العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل قوله تعالى لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد بدت البغضاء من أفواههم وماتخفى صدورهم أكبر وقال فى موضع آخر إن تمسسكم حسنة تسؤهم (وعن صفية) أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها بنت حيى قالت كنت أحب ولد أبى اليه والى عمى أبى ياسر وكانا من أكبر اليهود وأعظمهم فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة غدوا اليه ثم جاآ من العشى فسمعت عمى يقول لابى أهو هو قال نعم والله قال أتعرفه وتثبته قال نعم قال فما فى نفسك منه قال عداوته والله ما بقيت قال وفى رواية انها قالت ان عمى أبا ياسر حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ذهب اليه وسمع منه ﷺ وحادثه ثم رجع إلى قومه فقال ياقوم أطيعونى فان الله قد جاءكم بالذى كنتم تنتظرونه فاتبعوه ولاتخالفوه ثم انطلق أبى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع منه ثم رجع إلى قومه فقال لهم أتيت من عند رجل والله لاأزال له عدوا فقال له أخوه أبو ياسر يابن أم أطعنى فى هذا الأمر واعصنى فيما شئت بعد لاتهلك فقال والله لانطيعك اه أى ثم وافق أخاه حييا فكانا أشد اليهود عداوة لرسول الله ﷺ جاهدين فى رد الناس عن الاسلام بما استطاعا فانزل الله تعالى فيهما وفيمن كان موافقا لهما فى ذلك ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق (وحيي بن أخطب هذا) قيل هو الذى قال لما نزل قوله تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا يستقرض ربنا وانما يستقرض الفقير الغنى فانزل الله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء أى وقيل فى سبب نزولها ان أبا بكر رضى الله تعالى عنه دخل بيت المدارس فقال لفيحاص اتق الله واسلم فوالله انك لتعلم أن محمدا رسول الله فقال والله ياأبا بكر ما بنا إلى الله من فقر وانه الينا لفقير فغضب أبو بكر وضرب وجه فيحاص ضربا شديدا وقال والله لولا العهد الذى بيننا وبينك لضربت عنقك فشكاه فيحاص إلى رسول الله ﷺ فذكر له أبو بكر ما كان منه فانكر قوله ذلك فنزلت الآية وقيل فى سبب نزولها أيضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل أبا بكر رضى الله تعالى عنه إلى فيحاص بن عازوراء بكتاب وكان انفرد بالعلم والسيادة على يهود بنى قينقاع بعد اسلام عبدالله بن سلام يأمرهم فى ذلك الكتاب بالاسلام واقام الصلاة وإيتاء الزكاة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فلما قرأ فيحاص الكتاب قال أقد احتاج ربكم سنمده وفى رواية قال ياأبا بكر تزعم أن ربنا يستقرضنا أموالنا وما يستقرض إلا الفقير من الغنى فان كان حقا ما تقول فان الله جل وعلا إذ الفقير ونحن أغنياء فضرب أبو بكر وجه فيحاص ضربا شديدا وقال لقد هممت ان أضربه بالسيف وما منعنى ان أضربه بالسيف إلا أن رسول الله ﷺ لما دفع إلى الكتاب قال لى لاتفتت على بشىء حتى ترجع إلى فجاء فيحاص إلى النبى صلى الله عليه وسلم وشكا أبا بكر رضى الله تعالى عنه فقال ﷺ لأبى بكر ماحملك على ماصنعت قال يارسول الله انه قال قولا عظيما زعم أن الله عز وجل فقير وانهم أغنياء فغضبت لله تعالى وقال فيحاص والله ماقلت هذا فنزلت الآية تصديقا لأبى بكر رضى الله تعالى عنه وقد قال بعض اليهود لبعض العلماء

إنما

ابنة رهم بن المطلب بن عبد مناف وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف فاقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي حين فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها بئسما قلت أتسبين رجلا شهد بدرا فقالت أي هنتاه أي ياهذه أولم تسمعي ماقال قالت عائشة رضي الله عنها فقلت لها ماقال فاخبرتني بقول أهل الافك قالت فازددت مرضا على مرضي فلما رجعت الى بيتي دخل علي (١١٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم قال كيف تيكم فقلت له أتأذن لي أن آتي أبوي قالت وأريد أن استيقن الخبر من قبلهما قالت فاذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيتهما فقلت لأمي ماذا يتحدث الناس قالت يابنية هوني عليك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها لها ضرائر الا أكثرن عليها قالت فقلت سبحان الله أوقد تحدث الناس بهذا قالت فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لايرقأ لي دمع ولا اكتحل بنوم ثم أصبحت أبكي قالت ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي أي طال لبث نزوله يسألهما ويستشيرهما في فراق أهله قالت فاما اسامة بن زيد رضي الله عنهما فأشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم لهم في نفسه فقال اسامة هم أهلك ولانعلم الاخيرا وأما علي رضي الله عنه فقال يارسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وسل الجارية أي التي كانت تخدم عائشة تصدقك قالت فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك قالت له بريرة رضي الله عنها والذي بعثك بالحق مارأيت عليها أمرا قط أغمصه غير انها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن أي الشاة فتأكله قالت فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه فاستعذر من عبد الله بن

إنما قلنا ان الله فقير ونحن أغنياء لانه استقرض أموالنا فقال له ان كان استقرضها لنفسه فهو فقير وان كان استقرضها لفقرائكم ثم يكافيء عليها فهو الغني الحميد (ومن شدة عداوتهم) أي اليهود أن لبيد بن الاعصم اليهودي سحر النبي صلى الله عليه وسلم في مشط أي له صلى الله عليه وسلم وقيل في اسنان من مشطه ﷺ ومشاطة وهي مايخرج من الشعر اذا مشط أي من شعر رأسه صلى الله عليه وسلم أعطاها لهم غلام يهودي كان يخدمه صلى الله عليه وسلم وجعل مثالا من شمع وقيل من عجين كمثال رسول الله صلى الله عليه وسلم وغرز فيه ابرا وجعل معه وترا عقد فيه احدى عشرة عقدة وفي لفظ ان الابر كانت في العقد ودفن ذلك تحت راعونة في بئر ذي اروان وقد مسخ الله تعالى ماءها حتى صار كنقاعة الحناء فكان يخيل اليه ﷺ انه يفعل الفعل وهو لايفعله أي ومكث في ذلك سنة وقيل ستة أشهر وقيل أربعين يوما (قال بعضهم) ويمكن أن تكون السنة أو الستة أشهر من ابتداء تغير مزاجه الشريف وان مدة اشتداده كانت في الاربعين وقيل اشتد عليه ثلاثة أيام وقد يقال هي أشد الاربعين فلامنافاة وعند ذلك نزل جبريل عليه السلام وقال له ان رجلا من اليهود سحرك وعقد لك عقدا ودفنها بمحل كذا فأرسل ﷺ عليا رضي الله تعالى عنه فاستخرجها فجاء بها فجعل كلما حل عقدة وجد ﷺ بذلك خفة حتى قام كأنما نشط من عقال وفي رواية ان اليهودي دفن ذلك بقبر فأنزل الله تعالى سورة الفلق وسورة الناس وهما احدى عشرة آية سورة الفلق خمس آيات وسورة الناس ست آيات كلما قرأ آية انحلت عقدة حتى انحلت العقد كلها وفي لفظ فاذا وتر فيه احدى عشرة عقدة مغروزة بالابر فلم يقدروا على حل تلك العقد فنزلت المعوذتان فكلما قرأ جبريل آية انحلت عقدة ووجد ﷺ بعض الخفة حتى قام عند انحلال العقدة الاخيرة كأنما نشط من عقال وجعل جبريل يقول بسم الله أرقيك والله يشفيك من كل داء يؤذيك أي ولعله كان يقول ذلك عند حل كل عقدة بعد قراءة الآية أي وكان ذلك بين الحديبية وخيبر وذكر بعضهم انه بعد خيبر جاءت رؤساء يهود الذين بقوا في المدينة ممن يظهر الاسلام الى لبيد بن الاعصم وكان أعلمهم بالسحر فقالوا له ياأبا الاعصم قد سحرنا محمدا أسحره منا الرجال فلم يصنع شيئا أي ولم يؤثر سحرهم وأنت ترى أمره فينا وخلافه في ديننا ومن قتل وأجلى ونجعل لك على سحره ثلاثة دنانير ففعل ذلك ثم انه ﷺ قال جاءني رجلان أي وهما جبريل وميكائيل كما في بعض طرق الحديث فقعد أحدهما عند رأسي والآخر تحت رجلي فقال أحدهما ماوجع الرجل فقال الآخر مطبوب أي مسحور فقال من طبه قال لبيد بن الاعصم قال فيم قال في مشط ومشاطة وفي لفظ ومشاقة أي وهي المشاطة وقيل هي مشاقة الكتان وجف بالجيم والفاء وقيل بالباء الموحدة طلعة ذكر أي غشاء طلع الذكر الذي يقال له كوز الطلع قال فاين هو قال في بئر ذي ذروان على وزن مروان وفي لفظ بئر ذي اروان وفي لفظ بئر ذروان وعليه اقتصر في الامتاع تحت صخرة في الماء قال فما دواء ذلك قال تنزح البئر ثم تقلب الصخرة فتوجد الكدية فيها تمثال فيه احدى عشرة عقدة فتحرق فانه يبرأ باذن الله تعالى ثم احضر ﷺ لبيدا

أبي وهو على المنبر فقال يامعشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلي والله ماعلمت على أهلي إلا الخير أو لقد ذكروا رجلا
يعني صفوان بن المعطل رضي الله عنه ماعلمت عليه إلا الخير أو ما يدخل على أهلي الا معي فقام سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال
أنا يارسول الله أعذرك منه فان كان من الاوس قبيلتنا ضربت عنقه وان كان من اخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرك قالت
عائشة رضي الله عنها فقام سعد بن عبادة (١١٤) رضي الله عنه وهو سيد الخزرج فقال لسعد بن معاذ كذبت لعمر الله لا تقتله
ولا تقدر على قتله ولو كان من رهطك ما أحببت ان يقتل فقام أسيد بن حضير وكان ابن عم لسعد بن معاذ فقال سعد بن عبادة كذبت لعمر الله لتقتلنه أي ولو كان من الخزرج اذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله فانك منافق تجادل عن المنافقين قالت فثار الحيان الاوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا وسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عائشة رضي الله عنها فبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا اكتحل بنوم قالت واصبح أبواي عندي وقد بكيت ليلتين ويوما لا يرقأ لي دمع ولا اكتحل بنوم حتى اني لأظن ان البكاء فالق كبدي فبينا أبواي جالسان عندي وأنا أبكي استأذنت على امرأة من الانصار فاذنت
لها فجلست تبكي معي قالت فبينا نحن على ذلك دخل رسول الله ﷺ علينا
فسلم ثم جلس قالت ولم يجلس عندي منذ قيل ماقيل قبلها وقد لبث شهراً لا يوحى اليه في شأني بشيء قالت فتشهد رسول الله
ﷺ حين جلس ثم قال أما بعد ياعائشة انه بلغني عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت ألممت بذنب
فاستغفري الله وتوبي اليه فان العبد إذا اعترف ثم تاب تاب الله عليه قالت فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعي

---

فاعترف فعفا عنه لما اعتذر له بان الحامل له على ذلك حب الدنانير وقيل له يارسول الله لو قتلته فقال
صلى الله عليه وسلم قد عافاني الله وما وراءه من عذاب الله تعالى أشد و يحتاج إلى الجمع بين كون جبريل قال
له سحرك الى آخره وكون جاء رجلان فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال أحدهما للآخر
ماوجع الرجل الى آخره قيل وهذا أي عدم قتل الساحر ربما يعارض القول بان الساحر يتحتم قتله
وفيه انه عندنا لا يتحتم قتله ولا يقتل الا اذا قتل بسحره واعترف بأن سحره يقتل غالبا ولبيد هذا قيل
انه أول من قال بنفي صفات الباري وقال بها الجهم بن صفوان وأظهرها فقيل لاتباعه في ذلك الجهمية
فعند ذلك بعث صلى الله عليه وسلم عليا وعمار بن ياسر الى تلك البئر فاستخرجا ذلك وقيل الذي
استخرج السحر بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم قيس بن محصن (وفي الصحيح) عن عائشة رضي
الله تعالى عنها انه ﷺ توجه الى البئر مع جماعة من أصحابه فاذا ماؤها كأنه خضب بالحناء
فاستخرجا أي النبي صلى الله عليه وسلم وجماعته منها ذلك ويحتاج الى الجمع بين كونه ﷺ أرسل
لاستخراج السحر عليا كرم الله وجهه وكونه بعث لاستخراجه عليا وعمار بن ياسر وكونه امر قيس
ابن محصن باستخراجه وكونه صلى الله عليه وسلم ذهب هو وجماعته لاستخراجه فاذا وتر فيه احدى
عشرة عقدة أي واذا فيها ابر مغروزة ونزلت المعوذتان فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما قرأ آية
انحلت عقدة حتى انحلت العقد فذهب عنه صلى الله عليه وسلم ما كان يجد أي ولا ينافي ماتقدم أن
القارىء لذلك جبريل عليه السلام لجواز أن يكون كلاهما صار يقرأ الآية أو انه صلى الله عليه وسلم
صار يقرأ بعد قراءة جبريل وفي الامتاع عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت له أفلا استخرجته قال
لا أما أنا فقد عافاني الله وكرهت ان أثير على الناس شرا ومراد عائشة بقولها أفلا استخرجته السحر أي
هلا استخرجت السحر من الجف والمشاطة حتى تنظر اليه فقال أكره ان أثير على الناس شرا قال ابن
بطال أي كره أن يخرجه فيتعلم منه بعض الناس فذلك هو الشر الذي كرهه صلى الله عليه وسلم وذكر
السهيلي انه يجوز أن يكون الشر غير هذا وهو انه لو أظهر للناس لربما قتله طائفة من المسلمين
و يغضب آخرون من عشيرته فيثور شر وعن عائشة رضي الله تعالى عنها انها قالت له ﷺ
هلا تنشرت أي استعملت النشرة قال بعضهم وفيه دليل على عدم كراهة استعمال النشرة حيث لم
ينكر عليها قولها وكرهها جمع واستندوا الحديث في أبي داود مرفوعا النشرة من عمل الشيطان وحمل
ذلك على النشرة التي تصحبها العزائم المشتملة على الاسماء التي لا تفهم فامر بها فطمت أي تلك البئر
وحفروا بئرا أخرى فاعانهم رسول الله ﷺ في حفرها حيث طموا الاخرى التي سحر
فيها هذا كلامه فليتأمل مع ماقبله وقيل إنما سحره بنات أعصم أخوات لبيد ودخلت احداهن
على عائشة فسمعت عائشة تذكر ما أنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم من بصره ثم خرجت الى
أخواتها فاخبرتهن بذلك فقالت احداهن ان يكن نبيا فسيخبر وان يكن غير ذلك فسوف يذهله
هذا السحر حتى يذهب عقله فدله الله تعالى عليه (وقد يجمع) بين كون الساحر له ﷺ
لبيدا

حتى ما أحس منه قطرة فقلت لأبى اجب رسول الله صلى الله عليه وسلم عنى فقال أبى والله ما أدرى ما أقول لرسول الله صلى الله عليه
وسلم فقلت لأمى أجيبى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال قالت أمى والله ما أدرى ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ من القرآن كثيرا انى والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر فى أنفسكم وصدقتم به فلئن
قلت لكم انى بريئة لا تصدقونى ولئن اعترفت لكم بامر والله يعلم أنى منه بريئة  لتصدقنى فوالله لا أجد لى ولكم مثلا
الا أبا يوسف عليه السلام
حين قال فصبر جميل
والله المستعان على
ما تصفون ثم تحولت
فاضطجعت على فراشى
وأنا أعلم أنى حينئذ بريئة
وأن الله مبرئى ولكن والله
ما ظننت ان الله تعالى
منزل فى شأنى وحيا يتلى
ولشأنى فى نفسى كان أحقر
من أن يتكلم الله فى بأمر
ولكن كنت أرجو أن
يرى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى النوم رؤيا
يبرئنى الله بها وعند ذلك
قال أبو بكر رضى الله عنه
ما أعلم أهل بيت من
العرب دخل عليهم ما دخل
على والله ما قيل لنا هذا
فى الجاهلية حيث لا يعبد
الله فيقال لنا فى الاسلام
وأقبل على عائشة مغضبا
قالت عائشة رضى الله عنها
فوالله ما قام رسول الله
صلى الله عليه وسلم من
مجلسه ولا خرج أحد من
أهل البيت حتى أنزل
عليه الوحى فاخذه ما كان
يأخذه عند نزول الوحى
من البرحاء بسبب شدة
الوحى حتى انه ليتحدر منه العرق مثل الجمان وهو فى يوم شات قالت فسرى عن رسول الله ﷺ وهو يضحك فكانت
أول كلمة تكلم بها أن قال ياعائشة أما الله فقد برأك أى بما أوحاه اليه من القرآن قالت فقالت لى أمى قومى اليه ﷺ
فقلت لا والله لا أقوم اليه فانى لا أحمد إلا الله عز وجل الذى برأنى قالت وأنزل الله تعالى ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم العشر الآيات
وتاب الله على من كان تكلم من المؤمنين وأقيم الحد على من أقيم عليه كسطح وحسان وحمنة رضى الله عنهم قال السهيلى إن من نسب

لبيدا او كون الساحر له أخوات لبيد بان الساحر له أخوات لبيد ونسب السحر الى لبيد لانه جاء انه الذى
ذهب به فادخله تحت راعونة البئر أى أو فى القبر كما تقدم ولا منافاة لجواز ان يكون وضعه فى القبر مدة
ثم أخرجه منه ووضعه تحت تلك الراعونة أى وهى حجر يوضع على رأس البئر يقوم عليه المستقى وقد
يكون فى أسفل البئر يجلس عليه الذى ينظف البئر أى والثانى هو المراد بدليل ما سبق وفى النهر لابى
حيان ونص القرآن والحديث ان السحر تخييل أى لا يقلب الاعيان ولا شك فى وجوده فى زمن
الرسول صلى الله عليه وسلم وأما فى زماننا الآن فكل ما وقفنا عليه من كتبه فهو كذب وافتراء لا يترتب
عليه شىء فلا يصح منه شىء البتة وطعنت المعتزلة وطوائف من أهل البدع فى كونه ﷺ
سحر وقالوا لا يجوز على الأنبياء أن يسحروا ولو جاز أن يسحروا لجاز أن يجنوا وقد عصموا من الناس
ورد بان الحديث الدال على ذلك صحيح والعصمة انما وجبت لهم فى عقولهم واديانهم واما ابدانهم فيبتلون
فيها والسحر انما أثر فى بعض جوارحه ﷺ فقد تقدم عن عائشة رضى الله تعالى عنها من
ذكرها ما أنكر صلى الله عليه وسلم من بصره لكن تقدم انه ﷺ صار يخيل له انه يفعل
الشىء ولا يفعله وهذا متعلق بالعقل ثم رأيت أبا بكر بن العربى قال لم يقل كل الرواة انه اختلط عليه
ﷺ أمر وانما هذا اللفظ زيد فى الحديث لا أصل له قال ومثل هذه الأخبار من وضع الملحدين
تلعبا واستجرارا الى القول بابطال معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والقدح فيها وأنه لا فرق بين
معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وبين فعل السحرة وان جميعه من نوع واحد هذا كلامه (وممن
كان حريصا على رد الناس عن الاسلام أيضا) شاس بن قيس كان شديد الطعن على المسلمين شديد
الحسد لهم مر يوما على الانصار الاوس والخزرج وهم مجتمعون يتحدثون فغاظه ما رأى من ألفتهم
بعد ما كان بينهم من العداوة فقال قد اجتمع بنو قيلة والله ما لنا معهم إذا اجتمعوا من قرار فامر فتى شابا
من يهود فقال اعمد اليهم فاجلس معهم ثم اذكر يوم بعاث أى يوم الحرب الذى كان بينهم وما كان فيه
وأنشدهم ما كانوا يتقاولون به من الاشعار ففعل فتكلم القوم عند ذلك أى قال أحد الحيين قد قال
شاعرنا كذا وقال الآخر قد قال شاعرنا كذا وتنازعوا وتواعدوا على المقاتلة أى قالوا تعالوا نرد الحرب
جذعا كما كانت فنادى هؤلاء يا للأوس ونادى هؤلاء يا للخزرج ثم خرجوا اليهم وقد أخذوا السلاح
واصطفوا للقتال فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين حتى
جاءهم فقال يا معشر المسلمين الله الله أى اتقوا الله أبدعوى الجاهلية أى وهى يا للخزرج يا للاوس وأنا
بين أظهركم بعد أن هداكم الله الى الاسلام وألفكم به وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر
وألف به بينكم فعرف القوم انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فبكوا وعانق الرجال من الاوس
الرجال من الخزرج ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى فى شاس بن قيس
يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا الآية وقد جاء فى ذم هذه الكلمة التى هى
دعوى الجاهلية وهى يا لفلان قوله ﷺ إذا رأيتم الرجل يتعزى بعزاء الجاهلية فاعضوه

عائشة رضي الله عنها إلى الزنا كغلاة الرافضة كان كافرا لأن ذلك تكذيب للنصوص القرآنية ومكذبها كافر وفي الخصائص للسيوطي من قذف أزواجه صلى الله عليه وسلم فلا توبة له البتة كما قال ابن عباس رضى الله عنهما وغيره ويقتل كما نقله القاضي عياض وغيره وقيل يختص القتل بمن قذف عائشة رضى الله عنها وحضر بعض الشيعة في مجلس الحسن بن زيد الرافعي وكان من عظماء أهل طبرستان فذكر الشيعي عائشة (١١٦) رضى الله عنها ونسب اليها شيئا من القبيح فقال الحسن لغلامه ياغلام اضرب عنقه وكان عنده بعض العلويين فأراد أن يمنعه من قتله وقال هذا رجل من شيعتنا فقال معاذ الله هذا طعن على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات فان كانت عائشة رضى الله عنها خبيثة فان زوجها يكون خبيثا وحاشاه صلى الله عليه وسلم من ذلك بل هو الطيب الطاهر وهي الطاهرة المبرأة ياغلام اضرب عنق هذا الكافر يعني الشيعي الذي تكلم في عائشة رضي الله عنها فضرب عنقه وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه ينفق على مسطح بن أثاثة رضى الله عنه لقرابته منه وفقره فقال والله لا أنفق على مسطح شيئا أبدا بعد الذي قال لعائشة رضي الله عنها ما قال فانزل الله تعالى ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى

بهن أبيه ولا تكنوا أي قولوا له اعضض على ذكر أبيك ولا تكنوا عنه بالهن فلا تقولوا على هن أبيك بل قولوا على ذكر أبيك تنكيلا له وزجرا عما أتى به أي وقد كان أنزل الله تعالى فيهم يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب الآية وقد قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم وهو بين الصفين رافعا بها صوته فالقوا السلاح وفعلوا ما تقدم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان يهود كانوا يستفتحون أي يستنصرون على الاوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه أي يقولون سيبعث نبي صفته كذا وكذا نقتلكم معه قتل عاد وارم كما تقدم عند مبايعة العقبة فقال لهم معاذ ابن جبل وبشر بن البراء يامعشر يهود اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم ونحن أهل شرك وكفر وتخبروننا انه مبعوث وتصفونه لنا بصفته فقال سلام أي بالتشديد ابن مشكم من عظماء يهود بني النضير ماجاءنا بشيء نعرفه ماهو الذي كنا نذكره لكم فانزل الله تعالى في ذلك قوله تعالى ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين وقيل في سبب نزول قوله تعالى ما أنزل الله على بشر من شيء انه صلى الله عليه وسلم قال لمالك بن الصيف وكان رئيسا على اليهود أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين قد سمنت من مالك الذي تطعمك اليهود فضحك القوم فغضب والتفت إلى عمر رضى الله تعالى عنه فقال ما أنزل الله على بشر من شيء فقالت له اليهود ماهذا الذي بلغنا عنك فقال إنه أغضبني فنزعوه من الرياسة وجعلوا مكانه كعب ابن الأشرف أي لأن في قوله المذكور طعنا في التوراة وقيل ان يهود المدينة من بني قريظة وبني النضير وغيرهم كانوا إذا قاتلوا من بينهم من مشركي العرب من أسد وغطفان وجهينة وعذرة قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم يقولون اللهم انا نستنصرك بحق النبي الأمي الذي وعدتنا انك باعثه في آخر الزمان الا نصرتنا عليهم وفي لفظ قالوا اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته وصفته في التوراة فينصرون وفي لفظ يقولون اللهم ابعث النبي الذي نجده في التوراة يعذبهم ويقتلهم وفي لفظ ان يهود خيبر كانت تقاتل غطفان فكلما التقوا هزمت يهود فدعت يوما اللهم انا نسألك بحق محمد النبي الأمي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا في آخر الزمان الا نصرتنا عليهم فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا الدعاء فيهزموا غطفان وصار اليهود يسألونه صلى الله عليه وسلم عن أشياء ليلبسوا الحق بالباطل أي ومن جملة ما سألوه صلى الله عليه وسلم عن الروح فعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرث المدينة يتوكأ على عسيب أي جريدة من جريد النخل إذ مر بنفر من اليهود فقال بعضهم لبعض لاتسألوه لئلا يسمعكم ما تكرهون وفي رواية لئلا يستقبلكم بشيء تكرهونه أي يجيبكم بما هو دليل عندكم على انه النبي الامي وأنتم تنكرون نبوته فقاموا اليه فقالوا يامحمد وفي رواية يا أبا القاسم ما الروح وفي رواية أخبرنا عن الروح فسكت قال ابن مسعود فظننت انه صلى الله عليه وسلم يوحى اليه فقال ويسألونك عن الروح أي التي يكون بها الحيوان حيا قل الروح من أمر ربي فقالوا هكذا نجد

والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم فقال أبو بكر رضى الله عنه بلى والله اني لأحب أن يغفر الله لى فرجع الى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه وقال والله لا انزعها منه أبدا وكفر عن يمينه وروى الطبراني والنسائي انه أضعف له النفقة ﴿ لطيفة ﴾ وهي أن ابن المقرى منع عن ولده النفقة تأديبا له على أمر وقع منه فكتب إلى والده يقول

لاتقطعن عادة برولا * تجعل عقاب المرء في رزقه
فان أمر الافك من مسطح *

يحط أمر النجم من أفقه وقد جرى منه الذى قد جرى * وعوتب الصديق فى حقه فكتب اليه والده يقول
قد يمنع المضطر من ميتة * إذا عصى بالسير فى طرقه لأنه يقوى على توبة * تكون ايصالا إلى رزقه لولم يتب مسطح من
ذنبه * ماعوتب الصديق فى حقه قالت عائشة رضى الله عنها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل زينب بنت جحش أم
المؤمنين رضى الله عنها عن أمرى فقال لها ماذا علمت أو رأيت فقالت يارسول الله (١١٧) أحمى سمعى و بصرى والله ماعلمت
عليها إلا الخير أقالت عائشة رضى الله عنها وهى التى كانت تساميني أى تضاهيني وتفاخرني بجمالها من أزواج النبى صلى الله عليه وسلم فعصمها الله بالورع وطفقت أختها حمنة تحارب لها ولما بلغ صفوان بن المعطل رضى الله عنه ما قاله الناس قال سبحان الله فوالذى نفسى بيده ما كشفت من كنف أنثى قط وروى أنه كان حصورا أى عنينا وان معه مثل الهدبة ثم قتل بعد ذلك شهيدا رضى الله عنه ويكفى شهادة الله له ولعائشة رضى الله عنها بالبراءة بقوله فى ختم تلك الآيات أولئك أى صفوان وعائشة مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿وفى هذه الغزوة﴾

قال عبد الله بن أبى ابن سلول لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل وسبب ذلك أن رجلا من المهاجرين اسمه جهجاه ابن مسعود كان أجيرا
لعمر رضى الله عنه ويقود له فرسه انطلق ليملأ قربا للنبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر رضى الله عنهما فوجد الناس يزدحمون على
الماء فأمر الناس بالامساك ليملأ قرب النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر رضى الله عنهما فنازعه رجل من الأنصار وكان
أجيرا لعبد الله بن أبى فتنازعا فضرب المهاجرى الأنصارى فقال الأنصارى ياللأنصار وقال المهاجرى ياللمهاجرين فأقبل جمع من
الجيش وشهروا السلاح حتى كادوا أن يقتتلوا فأسمع الله رسوله صلى الله عليه وسلم ذلك فقال ماهذا فأخبروه فقال دعوها فانها منتنة

نجده فى كتابنا أى التوراة وقد تقدم الكلام على ذلك عند الكلام على فترة الوحى قال صاحب الافصاح انما سأل اليهود عن الروح تعجيزا أو تغليظا لأن الروح تطلق بالاشتراك على الروح للانسان وعلى القرآن وعلى عيسى وعلى جبريل وعلى ملك آخر وعلى صنف من الملائكة فقصد اليهود أنه بأى شئ أجابهم به قالوا ليس هو فجاءهم الجواب مجملا فكان هذا الجواب لرد كيدهم لأن كل واحد مماذكر أمر من مأمورات الحق تعالى ولما أنزل الله تعالى فى حق اليهود وما أوتيتم من العلم الا قليلا قالوا أوتينا علما كثيرا أوتينا التوراة ومن أوتى التوراة فقد أوتى خيرا كثيرا فأنزل الله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا وفى الكشاف انهم قالوا نحن مخصوصون بهذا الخطاب أم أنت معنا فيه فقال صلى الله عليه وسلم نحن وأنتم لم نؤت من العلم إلا قليلا فقالوا ما أعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو أن مافى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله هذا كلامه وسألوه صلى الله عليه وسلم متى الساعة ان كنت نبيا فأنزل الله تعالى يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربى الآية أى وجاء يهوديان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه عن قوله تعالى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فقال صلى الله عليه وسلم لهما لا تشركوا بالله شيئا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا تسرقوا ولا تسحروا ولا تمشوا ببرىء إلى سلطان ولا تأكلوا الربا ولا تقذفوا محصنة وعليكم يايهود خاصة ان لا تعتدوا فى السبت فقبلا يديه ورجليه صلى الله عليه وسلم وقالا نشهد انك نبى قال ما يمنعكما أن تسلما فقالا نخاف ان أسلمنا أن تقتلنا يهود أى وسألوه صلى الله عليه وسلم عن خلق السموات أى فى أى زمن والأرض وما بينهما أى مدة ما بينهما فقال لهم خلق الأرض فى يوم الأحد والاثنين وخلق الجبال وما فيها يوم الثلاثاء أى ولذلك يقول الناس انه يوم ثقيل وخلق البحر والماء والمدائن والعمران والخراب يوم الأربعاء وخلق السموات يوم الخميس وخلق الشمس والقمر والنجوم والملائكة يوم الجمعة قالوا ثم ماذا يامحمد قال ثم استوى على العرش قالوا قد أصبت لو تممت ثم استراح أى لو قلت هذا اللفظ لأنهم يقولون إنه استراح جل وعز يوم السبت ومن ثم يسمونه يوم الراحة فأنزل الله تعالى ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ومامسنا من لغوب أى تعب فاصبر على ما يقولون وفى رواية خلق الله الأرض يوم الأحد والاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء وخلق الأنهار والأشجار يوم الأربعاء وخلق الطير والوحش والسباع والهوام والآفة يوم الخميس وخلق الانسان يوم الجمعة وفرغ من الخلق يوم السبت وهذا يشكل على ما تقدم أن مبدأ الخلق يوم السبت حتى يكون آخر الأسبوع يوم الجمعة وهو الراجح على ما تقدم وقد قيل فى سبب نزول قوله تعالى شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم إلى قوله ان الدين عند الله الاسلام أن حبرين من أراضى الشام لم يعلما ببعثته صلى الله عليه وسلم فقدما المدينة فقال أحدهما للآخر ما أشبه هذه بمدينة النبى الخارج فى آخر الزمان فأخبرا بمهاجرة النبى صلى الله عليه وسلم ووجوده فى تلك المدينة فلما رأياه قالا له أنت محمد قال

نعم قالا نسألك مسئلة ان أخبرتنا بها آمنا فقال صلى الله عليه وسلم اسألانى فقال أخبرنا عن أعظم الشهادة في كتاب الله تعالى فنزلت هذه الآية فتلاها ﷺ عليهما فآمنا قال وعن قتادة رضى الله تعالى عنه ان رهطا من اليهود جاؤا إلى رسول الله ﷺ فقالوا يا محمد هذا الذى خلق الجن والانس من خلقه وفى لفظ خلق الله الملائكة من نور الحجاب وآدم من حمأ مسنون وابليس من لهب النار والسماء من دخان والأرض من زبد الماء فأخبرنا عن ربك من أى شيء خلق فغضب صلى الله عليه وسلم حتى انتقع لونه فجاء جبريل عليه السلام وقال له خفض عليك فأنزل الله تعالى عليه قل هو الله أحد السورة أى متوحد فى صفات الجلال والكمال منزه عن الجسمية واجب الوجود لذاته أى اقتضت ذاته وجوده مستغن عن غيره وكل ماعداه محتاج اليه اه (أقول) ونزول جبريل بذلك ربما يدل على أنه صلى الله عليه وسلم توقف ولم يدر مايقول كما وقع له لما سأله ﷺ عبد الله بن سلام رضى الله تعالى عنه وقال له صف ربك كما سيأتى ثم رأيت عن الشيخين وغيرهما أن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه ذكر فى سبب نزول هذه السورة غير ماذكر ولعله ماسيأتى فى قصة اسلام عبد الله بن سلام ولا مانع من تكرر النزول لأسباب مختلفة ثم رأيته فى الاتقان ذكر أن سورة الاخلاص تكرر نزولها فنزلت جوابا للمشركين بمكة وجوابا لأهل الكتاب بالمدينة وقال قبل ذلك انها انما نزلت بالمدينة وفى دعوى تكرر نزولها يقال حيث سئل أولا ونزلت جوابا كيف يتوقف ثانيا عند السؤال الثانى حتى يحتاج إلى نزولها مع بعد نسيان ذلك له صلى الله عليه وسلم ثم رأيت عن البرهان قد ينزل الشيء مرتين تعظيما لشأنه وتذكيرا عند حدوث سببه خوف نسيانه وهو كما ترى لا يدفع التوقف وكان من أعلم أحبار يهود عبد الله بن سلام بالتخفيف وكان قبل أن يسلم اسمه الحصين فلما أسلم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله وكان من ولد يوسف الصديق أى وقد أثنى الله تعالى عليه فى قوله تعالى وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم وكان من يهود بنى قينقاع كما تقدم جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم وسمع كلامه فى أول يوم دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم دار أبى أيوب () أى ولعل الذى سمعه من النبى صلى الله عليه وسلم هو قوله يا أيها الناس افشوا السلام وصلوا الأرحام وأطعموا الطعام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام فعنه رضى الله تعالى عنه قال لما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل اليه الناس أى بالجيم أسرعوا فكنت ممن أتى اليه أى وهذا يدل على أنه جاءه فى قباء وسيأتى قال فلما رأيت وجهه صلى الله عليه وسلم عرفت أنه وجه غير كذاب أى لأن صورته وهيئته وسمته صلى الله عليه وسلم تدل العقلاء على صدقه وانه لا يقول الكذب قال عبد الله فسمعته صلى الله عليه وسلم يقول أيها الناس إلى آخره أى ولا مانع أن يكون ذلك تكرر منه ﷺ وعند ذلك قال أشهد أنك رسول الله حقا وانك جئت بحق ثم رجعت إلى أهل بيتى فأمرتهم فأسلموا وكتمت اسلامى من اليهود ثم جئته صلى الله عليه وسلم أى فى بيت أبى أيوب وقلت له لقد علمت اليهود انى سيدهم وابن سيدهم وأعلمهم وابن أعلمهم فأخبئنى يارسول

---

يعنى دعوى الجاهلية وقال عبد الله بن أبى أوقد فعلوا أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل وقال لجماعة من أصحابه آو يتموهم وقاسمتموهم أموالكم و يصنعون بكم هكذا وفى رواية أنه قال والله مارأيت كاليوم مذلة أوقد فعلوها نافرونا أى غلبونا وكاثرونا فى بلادنا وأنكروا ملتنا والله ماأعدنا أى أظننا يعنى معاشر الأنصار وقريش الا كما قال الأول أى الأقدمون فى أمثالهم سمن كلبك يأكلك وأجع كلبك يتبعك والله لقد ظننت انى سأموت قبل أن أسمعها تفاهتف بما سمعت والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل يعنى بالأعز نفسه وبالأذل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أيضا لأصحابه لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا عنكم إلى غير داركم ثم لم ترضوا بما فعلتم حتى جعلتم أنفسكم أغراضا للمنايا فقتلتم دونه يعنى النبى صلى الله عليه وسلم فأيتمتم أولادكم وقللتم وكثروا فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد والى ذلك أشار سبحانه وتعالى بقوله حكاية عنهم لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا أى الناس عنه فسمع مقالته زيد ابن أرقم رضى الله تعالى عنه فجاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره وشاع كلام ابن أبى بين الناس فقال له بعض الأنصار انطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتذر له حتى يستغفر لك فأبى فلم يزالوا به حتى رضى وذهب معهم إلى النبى صلى الله عليه وسلم واعتذر وحلف أنه ماقال ذلك فقبل النبى ﷺ عذره ظاهرا تألفا له كما كانت عادته صلى الله عليه وسلم الله مع المنافقين ثم أنزل الله تكذيبا لابن أبى وتصديقا لزيد بن أرقم اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله الآيات فقال النبى ﷺ لزيد بن أرقم رضى الله عنه ياذا الأذن الواعية إن الله صدق مقالتك وتلا صلى الله عليه وسلم الآيات فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه يارسول الله دعنى أضرب عنق ابن أبى فانه رأس المنافقين فقال النبى ﷺ لا يتحدث الناس أن محمدا

يقتل أصحابه وأنزل الله تعالى فى حق عمر رضى الله عنه قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزى قوما بما كانوا يكسبون من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم إلى ربكم ترجعون وجاء فى رواية عن عمر رضى الله عنه قال لما كان من أمر ابن أبى ما كان جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى فىء شجرة أى ظلها عنده غلام اسود يغمز ظهره أى يكبسه فقلت يارسول الله كأنك تشتكى ظهرك فقال تقحمت بى الناقة فقلت يارسول الله ائذن لى أن اضرب عنق ابن أبى أومر محمد بن مسلمة أو عباد ابن بشر فليقتله فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف ياعمر اذا تحدث الناس بان محمدا يقتل أصحابه وفى رواية قال عمر يارسول الله ان كرهت ان يقتله مهاجرى فأمر به انصاريا فقال صلى الله عليه وسلم لا آمر ولكن ائذن بالرحيل وكان ذلك فى ساعة لم يكن يرحل فيها أى لشدة الحر ولعل النبى صلى الله عليه وسلم أراد اطفاء الشر وخشى من اتساع الأمر بين المهاجرين والانصار فارتحل الناس (وجاء) إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسيد ابن حضير فحياه بتحية النبوة وسلم عليه أى قال السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ثم قال يانبى الله لقد رحلت فى ساعة منكرة ما كنت ترحل فى مثلها أى لانه كان لا يرحل الا إذا برد الوقت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بلغك ماقال صاحبكم زعم أنه ان رجع إلى المدينة أخرج الأعز منها الأذل فقال أسيد بن حضير رضى الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله أنت والله تخرجه ان شئت وهو والله الذليل وأنت العزيز ثم قال ارفق به فوالله لقد جاء الله بك وان قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه وانه ليرى انك قد استلبته ملكا ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس سيرا حثيثا بحيث صار يضرب راحلته بالسوط فى مراقها أى مارق من جلد أسفل بطنها وساروا يومهم ذلك وليلتهم وصدر اليوم الثانى حتى آذتهم الشمس ثم نزل بالناس وكان لعبد الله بن أبى ابن يسمى الحباب فسماه النبى

الله قبل أن يدخلوا عليك فادعهم فاسألهم عنى قبل أن يعلموا أنى أسلمت فانهم قوم بهت أى بضم الباء والهاء يواجهون الانسان بالباطل وأعظم قوم عضيهة أى كذبا وانهم ان يعلموا انى قد أسلمت قالوا فى ماليس فى وخذ عليهم ميثاقا أنى ان اتبعتك وآمنت بكتابك أن يؤمنوا بك وبكتابك الذى أنزل عليك فأرسل رسول الله ﷺ اليهم فدخلوا عليه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يامعشر يهود ويلكم اتقوا الله فوالله الذى لا إله الا هو انكم لتعلمون انى رسول الله حقا وانى جئتكم بحق اسلموا قالوا ما نعلم فاعاد ذلك عليهم ثلاثا وهم يجيبونه كذلك قال فأى رجل فيكم ابن سلام قالوا ذاك سيدنا وابن سيدنا واعلمنا وابن اعلمنا وفى رواية خيرنا وابن خيرنا بالخاء المعجمة والياء المثناة تحت افعل تفضيل وقيل بالمهملة والباء الموحدة أى أعلمنا بكتاب الله سيدنا وعالمنا وافضلنا قال أفرأيتم ان شهد أنى رسول الله وآمن بالكتاب الذى أنزل على تؤمنوا بى قالوا نعم فدعاه فقال يا ابن سلام أخرج عليهم فخرج عليهم فقال يا عبد الله بن سلام أما تعلم انى رسول الله تجدنى عندكم مكتوبا فى التوراة والانجيل أخذ الله ميثاقكم ان تؤمنوا بى وان تتبعونى من أدركنى منكم قال ابن سلام بلى يامعشر يهود ويلكم اتقوا الله والله الذى لا اله الا هو انكم لتعلمون انه رسول الله حقا وانه جاء بالحق قال زاد فى رواية تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة اسمه وصفته قالوا كذبت أنت أشرنا وابن أشرنا وهذه لغة رديئة والفصحى شرنا وابن شرنا بغير همزة وهى رواية البخارى قال ابن سلام رضى الله تعالى عنه هذا الذى كنت أخاف يارسول الله ألم أخبرك انهم قوم بهت أهل غدر وكذب وفجور انتهى فاخرجهم رسول الله ﷺ وأظهرت اسلامى وانزل الله تعالى قل أرأيتم ان كان من عند الله يعنى الكتاب او الرسول وكفرتم به وشهد شاهد من بنى اسرائيل يعنى عبد الله بن سلام على مثله يعنى اليهود فآمن واستكبرتم ان الله لا يهدى القوم الظالمين (أقول) هذا السياق لا يناسب ما حكاه فى الخصائص الكبرى عن تاريخ الشام لابن عساكر ان ابن سلام اجتمع بالنبى ﷺ بمكة قبل أن يهاجر فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أنت ابن سلام عالم أهل يثرب قال نعم قال ناشدتك بالذى انزل التوراة على موسى هل تجد صفتى فى كتاب الله يعنى التوراة قال انسب ربك يا محمد فارتج النبى ﷺ أى توقف ولم يدر ما يقول فقال له جبريل قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فقال ابن سلام اشهد انك رسول الله وان الله مظهرك ومظهر دينك على الاديان وانى لاجد صفتك فى كتاب الله تعالى يا أيها النبى إنا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا أنت عبدى ورسولى إلى آخر ما تقدم عن التوراة فانه يدل على ان ابن سلام اسلم بمكة وكتم اسلامه ولو كان كذلك لما قال فلما رأيت وجهه الشريف عرفت انه غير وجه كذاب ولما قال وكنت عرفت صفته واسمه ولما سأله عن الأمور الآتية ولما احتاج الى الاسلام ثانيا الى أن يقال على تسليم صحة ما قاله ابن عساكر جاز أن يكون قال ذلك وفعل ما ذكر اقامة للحجة على اليهود (وقد وقع لابن سلام) هذا انه لقى عليا بالربذة وقد خرج بعد قتل عثمان وبعد أن بويع بالخلافة متوجها الى البصرة لما بلغه ان عائشة وطلحة والزبير ومن معهم خرجوا الى البصرة فى طلب دم عثمان وكان ذلك

صلى الله عليه وسلم عبد الله يوم موت أبيه وكان مؤمنا صادقا رضى الله عنه فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم لما بلغته مقالة عمر رضى الله
عنه من قتل أبيه فقال يارسول الله إنه بلغنى انك تريد قتل عبد الله بن أبى يعنى أباه فيما بلغك عنه فان كنت تريده فمرنى أنا أحمل لك
رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل أبر بوالده منى وانى أخشى أن تأمر به غيرى فيقتله فاقتل مؤمنا بكافر فادخل النار
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم  بل نترفق به ونحسن صحبته مابقى معنا وفى رواية فمرنى فوالله لأحملن اليك رأسه قبل
ان تقوم من مجلسك هذا
وانى لأخشى يارسول الله
ان تأمر به غيرى فيقتله فلا
تدعنى نفسى ان انظر قاتل
أبى يمشى فى الناس فاقتله
فادخل النار وعفوك
أفضل ومنتك أعظم فقال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما أردت قتله ولا أمرت
به ولنحسنن صحبته ما كان
بين أظهرنا ولما انتهى
رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى وادى العقيق
تقدم الحباب بن عبد الله
ابن ابى حتى أمسك بناقة
أبيه وقال والله لا تدخلها
يعنى المدينة حتى يأذن
لك رسول الله صلى الله
عليه وسلم وتعلم اليوم
من الأعز من الاذل وفى
رواية حتى تقول رسول
الله صلى الله عليه وسلم
الأعز وأنت الأذل أو
لأضرب عنقك فلما رأى
منه الجد قال أشهد أن
العزة لله ولرسوله وللمؤمنين
فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لابنه جزاك الله
خيرا وكانت غيبته صلى
الله عليه وسلم فى هذه
الغزوة ثمانية وعشرين يوما وقدم المدينة فى رمضان والله سبحانه وتعالى أعلم ﴿غزوة الخندق﴾
وتسمى غزوة الأحزاب قال موسى بن عقبة كانت سنة أربع وقال ابن اسحق سنة خمس فى شوال وبذلك جزم أهل المغازى ومال
البخارى الى قول موسى بن عقبة وسبب هذه الغزوة انه لما وقع اجلاء بنى النضير سار نفر من اليهود منهم سلام بن مشكم وابن أبى الحقيق
وحيى بن أخطب وغيرهم وخرجوا من خيبر حتى قدموا مكة على قريش فقالوا لهم انا سنكون معكم على محمد حتى نستأصله قال ابن

---

سببا لوقعة الجمل فأخذ بعنان فرس على وقال يا أمير المؤمنين لا تخرج منها يعنى المدينة فوالله لئن خرجت
منها لا يعود اليها سلطان المسلمين أبدا فسبه بعض الناس وقال له مالك ولهذا يا ابن اليهودية فقال على
دعوه فنعم الرجل من أصحاب النبي ﷺ وعن أبى هريره رضى الله تعالى عنه قال لقد
لقيت عبد الله بن سلام فقلت له أخبرنى عن ساعة الاجابة يوم الجمعة فقال فى آخر ساعة فى يوم الجمعة
قلت وكيف وقد قال رسول الله ﷺ لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلى وتلك الساعة لا صلاة
فيها فقال ابن سلام ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا ينتظر الصلاة فهو فى صلاة
حتى يصلى وفيه ان فى الصحيحين ان فى يوم الجمعة ساعة لا يوافقها مسلم وهو قائم يصلى فسأل الله عز وجل
شيئا الا أعطاه اياه ثم رأيت عن سنن ابن ماجه ان جواب ابن سلام تلقاه عن النبي صلى الله عليه وسلم
ونص السنن المذكورة عن عبد الله بن سلام رضى الله تعالى عنه قال قلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم
جالس انا لنجد فى كتابنا يعنى التوراة فى الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يسأل الله عز وجل فيها شيئا الا
قضى حاجته قال عبد الله بن سلام فأشار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أو بعض ساعة فقلت صدقت
يارسول الله أو بعض ساعة قلت أى ساعة هى قال آخر ساعة من ساعات النهار قلت انها ليست ساعة
صلاة قال بلى ان العبد المؤمن اذا صلى ثم جلس لا يحبسه الا الصلاة فهو فى الصلاة أى ولعل لفظ قائم فى
رواية الصحيحين يراد به مريد القيام الى الصلاة أى صلاة العصر وقد قيل ان تلك الساعة رفعت بعد
موته ﷺ وقيل هى باقية وهو الصحيح وعليه فقيل لا زمن لها معين وقيل هى فى زمن
معين وعليه ففى تعينها أحد عشر قولا وقيل أربعون قولا (وقد وقع لميمون بن يامين) وكان رأس
اليهود مثل ما وقع لابن سلام مع اليهود فانه جاء إلى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله ابعث
اليهم واجعلنى حكما فانهم يرجعون إلى فادخله داخلا وأرسل اليهم فجاؤه ﷺ فقال لهم
اختاروا رجلا حكما يكون بينى وبينكم قالوا قد رضينا ميمون بن يامين فقال اخرج اليهم فقال أشهد انه
لرسول الله فابوا أن يصدقوه والله أعلم (وقد أشار) الى انكارهم نبوته ﷺ مع معرفتهم
لها صاحب الهمزية بقوله

عرفوه وأنكروه فظلما ✻ كتمته الشهادة الشهداء
أو نور الاله تطفئه الأف ✻ واه وهو الذى به يستضاء
كيف يهدى الاله منهم قلوبا ✻ حشوها من حبيبه البغضاء

أى عرفوا انه النبي المنتظر وأنكروه بظواهرهم ولأجل ظلمهم كتمت الشهادة به العارفون به أو نور
الاله الذى هو النبوة تذهبه الالسن لا يكون ذلك وكيف يكون ذلك وهو الذى يستضاء به فى الظاهر
والباطن كيف يوصل الاله قلوبا للحق وملؤها البغضاء لحبيبه ﷺ أقول وقيل فى سبب
نزول سورة قل هو الله أحد أن وفد نجران لما نطقوا بالتثليث قال لهم المسلمون من خلقكم قالوا الله قالوا
لهم فلم عبدتم غيره وجعلتم معه الهين فقالوا بل هو اله واحد لكنه حل فى جسد المسيح اذ كان فى بطن أمه

فقالوا

اسحق فقالت لهم قريش انكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد أفديننا خير أم دينه قالوا بل دينكم خير من
دينه وأنتم أولى بالحق منه فأنزل الله تعالى فيهم ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين
كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا إلى قوله وكفى بجهنم سعيرا فسرت
قريش بقول اليهود لهم ذلك وبشهادتهم لهم فنشطوا لما دعوهم اليه فاجتمعوا لذلك  واستعدوا وتواعدوا على وقت يخرجون
فيه ثم خرج أولئك اليهود حتى جاؤا غطفان من قيس بن عيلان فدعوهم الى حربه صلى الله عليه وسلم وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه وجعلوا لهم تمر خيبر سنة ان هم نصروهم وأخبروهم ان قريشا تابعوهم على ذلك فاجتمعوا معهم وخرجت قريش في أربعة آلاف وعقدوا اللواء في دار الندوة وحمله عثمان ابن أبي طلحة وقائد القوم أبو سفيان بن حرب وقد أسلم بعد ذلك رضي الله عنه وقادوا معهم ثلثمائة فرس وألفا وخمسمائة بعير ولاقتهم بنو سليم بمر الظهران في سبعمائة يقودهم سفيان بن عبد شمس حليف حرب بن أمية وخرجت معهم بنو أسد يقودهم طليحة بن خويلد الأسدي وقد أسلم بعد ذلك رضي الله عنه وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن الفزاري وقد أسلم بعد ذلك ثم ارتد ثم أسلم في زمن الصديق
رضي الله عنه وخرج الحرث بن عوف المري في بني مرة وقد أسلم بعد تبوك رضي الله عنه وكان
قومه الذين خرجوا معه أربعمائة وخرجت أشجع وهم أربعمائة يقودهم مسعود بن رخيلة وقد أسلم بعد ذلك رضي الله عنه وخرج
غيرهم من قبائل العرب وكان عدة أولئك الاحزاب عشرة آلاف كما قال ابن اسحق وكان المسلمون ألفا وقيل ثلاثة آلاف وكان مع
المسلمين ست وثلاثون فرسا ولما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاحزاب وما أجمعوا عليه من الأمر الذي زعموه وهو استئصال

فقالوا لهم هل كان المسيح يأكل الطعام قالوا كان يأكل الطعام فأنزل الله تعالى قل هو الله أحد الله الصمد
تكذيبا لهم في أنه ثالث ثلاثة والصمد هو الذي لا جوف له فهو غير محتاج الى الطعام وقيل سبب
نزولها ان قريشا هم الذين قالوا له انسب لنا ربك يا محمد وتقدم فيه والله أعلم وقد جاء عن ابن عباس رضي
الله تعالى عنهما في تفسير قوله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي
أوف بعهدكم قال الله تعالى للأحبار من اليهود أوفوا بعهدي الذي أخذته في أعناقكم للنبي صلى الله
عليه وسلم إذ جاءكم بتصديقه واتباعه أوف بعهدكم أنجز لكم ما وعدتكم عليه بوضع ما كان عليكم من
الاصر والاغلال ولا تكونوا أول كافر به وعندكم فيه من العلم ما ليس عند غيركم وتكتموا الحق وأنتم
تعلمون أي لا تكتموا ما عندكم من المعرفة برسولي وبما جاء به وأنتم تجدونه عندكم فيما تعلمون من
الكتب التي بأيديكم (قال بعضهم) ولم يسلم من رؤساء علماء اليهود الا عبد الله بن سلام وضم اليه
السهيلي عبد الله بن صوريا قال الحافظ ابن حجر لم أقف لعبد الله بن صوريا على اسلام من طريق صحيح
وانما نسب لتفسير النقاش أي وبضم لعبد الله بن سلام ميمون المتقدم ذكره وروى في سبب اسلام
عبد الله بن سلام أي اظهار اسلامه على ما تقدم أنه لما بلغه مقدم النبي صلى الله عليه وسلم أتاه في قباء فعنه
رضي الله تعالى عنه جاء رجل حتى أخبر بقدومه ﷺ وأنا في رأس نخلة أعمل فيها وعمتي
تحتي جالسة فلما سمعت بقدوم رسول الله ﷺ كبرت فقالت لي عمتي لو كنت سمعت
بموسى بن عمران ما زدت فقلت لها أي عمة فوالله هو أخو موسى بن عمران وعلى دينه بعث بما بعث به
قالت يا ابن أخي أهو النبي الذي كنا نخبر أنه يبعث مع بعث الساعة وفي لفظ مع نفس الساعة فقلت لها
نعم أي وقد جاء عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده
لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذل والصغار على من خالف أمري وجاء انه صلى الله
عليه وسلم قال بعثت أنا والساعة كهاتين وقال بأصبعيه هكذا يعني السبابة والوسطى أي جمع بينهما
وفي رواية بعثت في نفس الساعة سبقتها كما سبقت هذه هذه وفي رواية سبقتها بما سبقت هذه هذه وأشار
بأصبعيه الوسطى والسبابة قال الطبري الوسطى تزيد على السبابة بنصف سبع أصبع كما أن نصف يوم
من سبعة أيام نصف سبع أي وقد تقدم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الدنيا سبعة أيام كل يوم
ألف سنة وبعث رسول الله ﷺ في آخر يوم منها وتقدم في حديث أخرجه أبو داود لن يعجز
الله ان يؤخر هذه الأمة نصف يوم يعني خمسمائة سنة قال بعضهم فان قيل ما وجه الجمع بين هذا وبين
قوله ﷺ لما سئل عن الساعة ما المسؤل عنها بأعلم من السائل لدلالة الرواية الأولى على علمه
بها أجيب بان القرآن نطق بان علمها عند الله لا يعلمها الا هو ومعنى قوله بعثت أنا والساعة كهاتين
أنه ليس بيني وبينها نبي آخر يأتي بشريعة ولا يتراخى الى أن تندرس شريعتي فهو ﷺ
أول أشراطها لأنه نبي آخر الزمان وهذا لا يقتضي ان يكون عالما بخصوص وقتها قال ابن سلام وكنت
عرفت صفته واسمه أي في التوراة زاد في رواية فكنت مسرا لذلك ساكتا عليه حتى قدم المدينة فجئته

المسلمين اتخذ الخندق ولم يكن ذلك من شأن العرب ولكنه من مكايد الفرس وكان الذى أشار به سلمان الفارسى رضى الله عنه فقال يارسول الله انا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفره وعمل فيه بنفسه ترغيبا للمسلمين وأمر صلى الله عليه وسلم أصحابه بالجد ووعدهم النصر ان هم صبروا واتقوا وأمرهم بالطاعة وكان الخندق فى شامى المدينة من طرف الحرة الشرقية الى طرف الحرة الغربية عند جبل سلع وخط صلى الله عليه وسلم لكل عشرة من الناس عشرة أذرع يعملون فيها وكان سلمان رضي الله عنه يعمل عمل عشرة فتنافس فيه المهاجرون والأنصار فقال المهاجرون سلمان منا وقالت الأنصار سلمان منا فقال النبي صلى الله عليه وسلم سلمان منا أهل البيت وتأخر عن العمل أناس من المنافقين ومن خرج منهم صار يعمل عملا ضعيفا و يعتذرون بالضعف وفى البخارى عن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فى الخندق ونحن ننقل التراب على أكتافنا فقال صلى الله عليه وسلم اللهم لاعيش الاعيش الآخرة فاكرم الأنصار والمهاجره وهو من كلام ابن رواحة رضى الله عنه وأصله * لاهم ان العيش عيش الآخره فنطق به النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لاعيش الخ لأنه يعسر عليه النطق بالشعر وان كان من قول غيره وفى البخارى أيضا عن أنس رضى الله عنه



صلى الله عليه وسلم فقلت يامحمد انى سائلك عن ثلاث لايعلمهن الا نبى ما أول أشراط الساعة وما أول طعام يأكله أهل الجنة ومابال الولد ينزع الى أبيه أو الى أمه فقال النبي صلى الله عليه وسلم أخبرنى بهن جبريل آنفا فقال ابن سلام ذلك يعنى جبريل عدو اليهود من الملائكة وقيل قائل ذلك عبد الله بن صوريا ولامانع من ان يكون قال ذلك كل منهما أى وعن ابن صوريا أنه قال له صلى الله عليه وسلم من ينزل عليك بالوحى قال جبريل قال ذلك عدونا ولو كان غيره وفى لفظ لو كان ميكائيل لآمنا بك لأن جبريل ينزل بالخسف والحرب والهلاك وميكائيل ينزل بالخصب والسلم وسبب العداوة أنهم زعموا انه أمر أن يجعل النبوة فيهم أى يجعل النبي المنتظر فى بنى اسرائيل الذين هم أولاد اسحق فجعلها فى غيرهم أى فى ولد اسمعيل وقيل سبب عداوتهم لجبريل أنه أنزل على نبيهم ان بيت المقدس سيخرب به بختنصر فبعثوا من يقتله من أعظم بنى اسرائيل قوة فأراد قتله فمنعه عنه جبريل وقال ان كان ربكم أمره باهلاككم فانه لايسلطكم عليه فصدقه ورجع عنه أى فان بنى إسرائيل لما اعتدوا وقتلوا اشعياء جاء بختنصر ملك فارس وحاصر بيت المقدس وفتحها عنوة وأحرق التوراة وخرب بيت المقدس وقيل فى سبب العداوة كونه يطلع النبي صلى الله عليه وسلم على سرهم ولامانع من أن يكون كل ذلك سببا للعداوة ثم قال ﷺ أما اشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت أى وهى القطعة المنفردة المعلقة بالكبد قال بعضهم وهى فى الطعم فى غاية اللذة ويقال انها أهنأ طعام وأمرؤه وروى ان الثور ينطح الحوت بقرنه فيموت فتأكل منه أهل الجنة ثم يحيا فينحر الثور بذنبه فتأكله أهل الجنة ثم يحيا قال وأما الولد فاذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد اليه وان سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع الولد اليها أى لكن فى فتح البارى عن عائشة رضى الله تعالى عنها إذا علا ماء الرجل ماء المرأة أشبه أعمامه واذا علا ماء المرأة ماء الرجل أشبه أخواله والمراد بالعلو السبق وعن ثوبان اذا علا منى الرجل منى المرأة جاء الولد ذكرا وان علا منى المرأة منى الرجل جاء أنثى والعلو فيه على بابه هذا كلامه أى واذا استوى الما آن جاء خنثى وفى رواية قال والله صلى الله عليه وسلم أين تكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ومن أول الناس اجازة وما تحفتهم أى الناس حين يدخلون الجنة وما غذاؤهم على أثره وماشرابهم عليه فأجابهم عليه الصلاة والسلام بأنهم يكونون فى ظلمة دون الجسر ولعل المراد بالجسر الصراط لكن فى رواية مسلم أين الناس يومئذ قال على الصراط ثم رأيت عن البيهقى ان قوله على الصراط مجاز لكونهم بمجاورته ونقل القرطبى عن صاحب الافصاح ان الأرض والسماء يتبدلان مرتين المرة الأولى تتبدل صفتهما فقط وذلك قبل نفخة الصعق فتتناثر كواكبها وتخسف الشمس والقمر وتتناثر السماء كالمهل وتنكشط الأرض وتسير الجبال والمرة الثانية تتبدل ذاتهما وذلك إذا وقفوا فى المحشر فتتبدل الأرض بأرض من فضة لم يقع عليها معصية وهى الساهرة أى والسماء تكون من ذهب كما جاء عن على رضى الله تعالى عنه وفى الصحيحين عن أبى سعيد الخدرى تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفأها الجبار كما يكفأ أحدكم خبزته فى السفر نزلا لأهل

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الخندق فاذا المهاجرون والأنصار يحفرون فى غداة باردة فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم فلما رأى صلى الله عليه وسلم مابهم من النصب قال اللهم ان العيش عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجره وأراد صلى الله عليه وسلم تسلية أصحابه وتهوين الأمر عليهم فان العيش الدائم المعتبر عيش الآخرة لاعيش الدنيا لكدورته وكونه مع المنغصات التى لاتتناهى ثم هو فان وان طال قل متاع الدنيا قليل وقال المهاجرون والأنصار

مجيبين للنبي صلى الله عليـه وسلم نحن الذين بايعوا محمدا * على الجهاد ما بقينا أبدا وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم كان يجيبهم بقوله اللهم ان العيش الخ ويحتمل أنه كان يجيبهم ويجيبونه فلا تنافى وفى انشاد الشعر تنشيط على العمل وبذلك جرت عادتهم فى الحرب وأكثر ما يستعملونه الرجز وفى البخارى من حديث البراء بن عازب رضى الله تعالى عنهما قال لما كان يوم الأحزاب وخندق صلى الله عليه وسلم رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى الغبار جلدة



بطنه الشريفة صلى الله عليه وسلم وكان كثير الشعر وكان يرتجز وهو ينقل التراب بقول ابن رواحة رضى الله عنه

والله لولا أنت ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا
فانزلن سكينة علينا
وثبت الأقدام إن لاقينا
ان الالى قد رغبوا علينا
إذا أرادوا فتنة أبينا

ورفع صوته بقوله أبينا أبينا وأخرج البيهقى عن سلمان رضى الله عنـه أنه صلى الله عليـه وسلم حين ضرب فى الخندق قال

باسم الاله وبه بدينا
ولو عبدنا غيره شقينا
فحبـذا ربا وحب دينا

وهو من كلام بعض أصحابه يتمثل به أو من كلامه بناء على أن الرجز ليس بشعر أو ان الشعر شرطه أن يكون مقصودا كونه شعرا موزونا أما إذا خرج موزونا بلا قصد فلا يسمى شعرا وقد وقع فى حفر الخندق آيات من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم منها ما فى صحيح البخارى وغيره عن جابر رضى الله عنه انا يوم الخندق نحفر فعرضت أى ظهرت لنا كدية بضم الكاف مصغرا وهى القطعة الصلبة من الأرض لا يعمل فيها المعول فجاؤا للنبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله هذه كدية عرضت فى الخندق فقال رشوها بالماء فقام وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة أيام لا نذق ذواقا فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم المعول فسمى ثلاثا ثم ضرب فعاد المضروب كثيبا أهيل أى رملا يسيل وفى رواية دعا باناء من ماء فتفل فيه ثم دعا بما شاء الله أن يدعو ثم نضح ذلك الماء على تلك الكدية قال من حضرها فو الذى

---

لأهل الجنة فيأكل المؤمن من تحت رجليه ويشرب من الحوض قال الحافظ ابن حجر ويستفاد منه أن المؤمنين لا يعذبون بالجوع فى طول زمان الموقف بل يقلب الله بقدرته طبع الأرض خبزا حتى يأكلوا منها من تحت أقدامهم ما شاء الله من غير علاج ولا كلفة قال ويؤيد أن هذا مراد الحديث ما جاء تبدل الأرض بيضاء مثل الخبزة يأكل منها أهل الاسلام حتى يفرغوا من الحساب هذا كلامه فليتأمل مع ما قبله من أن الأرض تبدل بأرض من فضة وأن هذا يدل على أن تلك الأرض التى تكون خبزة تكون فى موقف الحساب وما جاء عن على رضى الله تعالى عنه يدل على أنها تكون بعد مجاوزتهم الصراط وأول الناس اجازة فقراء المهاجرين وتحفة أهل الجنة حين يدخلونها زيادة كبد النون أى الحوت وغذاؤهم ينحر لهم ثور الجنة الذى يأكل من أطرافها وشرابهم من عين تسمى سلسبيلا وسألوه ﷺ فقالوا أخبرنا عن علامة النبي فقال عليه الصلاة والسلام تنام عيناه ولا ينام قلبه وسألوه أى طعام حرم اسرائيل على نفسه قبل أن تنزل التوراة قال أنشدكم بالله الذى أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن اسرائيل يعقوب مرض مرضا شديدا وطال سقمه فنذر لله لئن شفاه الله تعالى من سقمه ليحرمن أحب الشراب اليه وأحب الطعام اليه فكان أحب الطعام اليه لحمان الابل وأحب الشراب اليه ألبانها قالوا اللهم نعم أى حرمها ردعا لنفسه ومنعا لها عن شهواتها وقيل لأنه كان به عرق النسا وكان اذا طعم ذلك هاج به (وذكر) أى سبب نزول قوله تعالى كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه قول اليهود له ﷺ كيف تقول انك على ملة ابراهيم وأنت تأكل لحوم الابل وتشرب ألبانها وكان ذلك محرما على نوح وابراهيم حتى انتهى الينا أى علمه فى التوراة فنحن أولى الناس بابراهيم منك ومن غيرك فأنزل الله تعالى الآية تكذيبا لهم أى بأن هذا انما حرمه يعقوب على نفسه ومن ثم جاء فيها فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين وكانت اليهود إذا حاضت المرأة منهم أخرجوها من البيت ولم يؤاكلوها ولم يشاربوها أى وفى كلام الواحدى قال المفسرون كانت العرب فى الجاهلية إذا حاضت المرأة لم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يساكنوها فى بيت كفعل المجوس هذا كلامه فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك أى قال له بعض الاعراب يا رسول الله البرد شديد والثياب قليلة فان آثرناهن بالثياب هلك سائر أهل البيت وان استأثرنا بها هلك الحيض فأنزل الله تعالى ويسألونك عن المحيض قل هو أذى الآية فقال لهم رسول الله ﷺ اصنعوا كل شيء الا النكاح أى الوطء وما فى معناه وهو مباشرة ما بين السرة والركبة أى فان الآية لم تنص الا على عدم قربانهن بالوطء فى الحيض ومن ثم جاء فى رواية انما أمرتم أن تعتزلوا مجامعتهن إذا حضن ولم يأمركم باخراجهن من البيوت فبلغ ذلك اليهود فقالوا ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئا الا خالفنا فيه فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشر الى رسول الله ﷺ وقالا إن اليهود قالت كذا فهلا نجامعهن أى نوافقهن فتغير وجه رسول الله ﷺ أى وعند ذلك قال بعض الصحابة فظننا أنه قد وجد أى غضب عليهما فلما خرجا استقبلتهما هدية من لبن الى النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل فى أثرهما فسقاهما

بعثه بالحق لقد انهالت حتى عادت مثل الكثيب لاترد فاسا ولا مسحاة وفى رواية للبراء بن عازب رضى الله عنهما عرضت لنا فى بعض الخندق صخرة لا تأخذ فيها المعاول فاشتكينا ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فجاء وأخذ المعول من سلمان رضى الله عنه فقال باسم الله ثم ضرب بها فنثر ثلثها وخرج نور أضاء ما بين لابتى المدينة فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام والله إنى لابصر قصورها الحمر الساعة من مكانى ثم ضرب الثانية فقطع



ثلثا آخر فبرقت برقة من جهة فارس أضاءت ما بين لابتيها فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس والله انى لابصر قصر المدائن الابيض الآن أى مدائن كسرى وفى رواية والله انى لابصر قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب من مكانى هذا وأخبرنى جبريل أن أمتى ظاهرة عليها فابشروا بالنصر فسر المسلمون ثم ضرب الثالثة وقال باسم الله فقطع بقية الحجر وخرج نور من قبل اليمن فأضاء ما بين لابتى المدينة حتى كأنه مصباح فى جوف ليل مظلم فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن والله انى لابصر أبواب صنعاء من مكانى الساعة وقد حكى الله عن المنافقين انهم حين سمعوا ذلك قالوا ماوعدنا الله ورسوله الا غرورا قال ابن اسحق وحدثنى من لاأتهم عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه كان يقول حين فتحت هذه الامصار فى زمان عمر وعثمان رضى الله عنهما افتحوا مابدا لكم والذى نفس أبى هريرة بيده مافتحتم من مدينة ولا تفتحونها الى يوم القيامة الا وقد أعطى الله محمدا صلى الله عليه وسلم مفاتيحها قبل ذلك ومن أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم ماثبت فى الصحيح من حديث جابر رضى الله عنه من تكثير الطعام القليل فانه رضى الله عنه كان عنده صاع من شعير وشويهة فأحب أن يدعو النبى صلى الله عليه وسلم و بعض أصحابه عليه فلما أخبره دعا أهل الخندق وكفاهم ذلك الطعام كما سيأتى إن شاء الله تعالى فى مبحث المعجزات وجاءت ابنة لبشير بن سعد أخت

فعرفنا أنه لم يجد عليهما وذكر المفسرون أن فى منع الوطء للحائض اقتصادا من افراط اليهود وتفريط النصارى فانهم لا يمتنعون من وطء الحيض أى وذكر أن ابن سلام وغيره ممن أسلم من يهود استمروا على تعظيم السبت وكراهة أكل لحم الابل وشرب ألبانها فأنكر ذلك عليهم المسلمون فقالوا إن التوراة كتاب الله فنعمل به أيضا فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة أى وفى رواية قالوا له ماهذا السواد الذى فى القمر فأجابهم ﷺ عن ذلك بأنهما كانا شمسين أى شمس فى الليل وشمس فى النهار قال الله تعالى فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة فالسواد الذى يرى هو المحو أى أثره قال بعضهم فى قوله تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار ان الليل ذكر والنهار أنثى فالليل كآدم والنهار كحواء وقد ذكر ان الليل من الجنة والنهار من النار ومن ثم كان الانس بالليل أكثر وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال لرجل من علماء اليهود أتشهد أنى رسول الله قال لا قال أتقرأ التوراة قال نعم قال والانجيل قال نعم فناشده هل تجدنى فى التوراة والانجيل قال نجد مثلك ومثل مخرجك ومثل هيئتك فلما خرجت خفنا أن تكون أنت فنظرنا فاذا أنت لست هو قال ولم ذاك قال معه من أمته سبعون ألفا ليس عليهم حساب ولا عذاب وانما معك نفر يسير قال والذى نفسى بيده لأنا هو وانهم لاكثر من سبعين ألفا وسبعين ألفا وقد سأله صلى الله عليه وسلم اليهود عن الرعد أى والبرق فقال صوت ملك موكل بالسحاب يسوقه أى بمخراق من نار فى يده يزجر به السحاب الى حيث أمره الله تعالى * وعن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قال البرق مخاريق من نار بايدى ملائكة يزجرون به السحاب والمخراق المنديل يلف ليضرب به أى وحينئذ فالمراد بالملك الجنس وفى رواية ان الله ينشىء السحاب فينطق أحسن النطق ويضحك أحسن الضحك ومنطقها الرعد وضحكها البرق (وفى بعض الآثار) لله ملائكة يقال لهم الحيات فاذا حركوا أجنحتهم فهو البرق أى وتحريكهم لأجنحتهم يكون غالبا عند الرعد لأن الغالب وجود البرق عند الرعد * وعن بعضهم قال بلغنى أن البرق ملك له أربعة وجوه وجه انسان ووجه ثور ووجه نسر ووجه أسد فاذا مصع بذنبه أى حركه فذلك البرق أى وتحريكه غالبا يكون عند وجود الرعد * وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما البرق ملك يتراءى أى يظهر ويغيب وفى رواية الرعد ملك يزجر السحاب والبرق طرف ملك أى ينظر به عند وجود الرعد غالبا وفى رواية أن ملكا موكل بالسحاب فى يده مخراق فاذا رفع برقت واذا زجر رعدت واذا ضرب به صعقت * وعن مجاهد الرعد ملك والبرق أجنحة يسوق بها السحاب فيكون المسموع صوته أو صوت سوقه فليتأمل الجمع بين هذه الروايات وذهب الفلاسفة إلى أن الرعد صوت اصطكاك أجرام السحاب والبرق ما ينقدح من اصطكاكها فقد زعموا أن عند اصطكاك اجرام السحاب بعضها ببعض تخرج نار لطيفة حديدة لا تمر بشىء إلا أتت عليه الا أنها مع حدتها سريعة الخمود وقيل فى سبب نزول قوله تعالى ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ان اليهود أنكروا النسخ فقالوا ألا ترون الى محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه و يقول اليوم قولا و يرجع عنه غدا فنزلت وسألوه ﷺ مم يخلق

النعمان بحفنة من تمر لابيها وخالها ابن رواحة رضى الله عنهما ليتغذيا به فقال لها صلى الله عليه وسلم هاتيه فصبته فى كفيه فما
ملاهما ثم أمر بثوب فبسط له ثم قال لانسان أصرخ فى أهل الخندق ان هلم الى الغداء فاجتمعوا عليه فجعلوا يأكلون وجعل التمر
يزيد حتى صدروا عنه وانه ليسقط من اطراف الثوب وأقاموا فى حفر الخندق ستة أيام وقيل عشرين يوما وقيل اربعة وعشرين
وقيل شهرا ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من حفره أقبلت قريش



حتى نزلت بمجتمع السيول بين الجرف والغابة هم ومن تبعهم من بنى كنانة وأهل تهامة ونزل عيينة بن حصن مع غطفان ومن تبعهم من أهل نجد الى جنب أحد وكلهم عشرة آلاف كما تقدم وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين وكانوا ثلاثة آلاف فجعلوا ظهورهم الى سلع وهو جبل معروف بالمدينة فضرب هنالك عسكره والخندق بينه وبين القوم واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم رضى الله عنه وكان لواء المهاجرين بيد زيد بن حارثة رضى الله عنه ولواء الانصار بيد سعد بن عبادة رضى الله عنه وكان صلى الله عليه وسلم فى تلك المدة يبعث سلمة ابن أسلم رضى الله عنه فى مائتى رجل وزيد بن حارثة رضى الله عنه فى ثلثمائة رجل يحرسون المدينة ويظهرون التكبير خوفا على الذرارى من بنى قريظة وخرج عدو
الله حيي بن اخطب حتى اتى كعب بن اسد القرظى صاحب عقد بنى قريظة وعهدهم وكان قد صالح رسول الله صلى الله عليه وسلم
على قومه وعاقده فاغلق كعب دونه باب حصنه وأبى ان يفتح له فقال له حيي ويحك يا كعب افتح لى اكلمك فقال له اذهب عنى انك
امرؤ مشئوم وانى قد عاهدت محمدا فلست بناقض ما بينى وبينه فانى لم ارمنه الا وفاء وصدقا فنسبه حيي الى البخل وقال له والله ما اغلقت
دونى الا تخوفا على جشيشتك ان آكل معك منها والجشيشة بالجيم والشين البر يطحن غليظا ويقال الدشيش بالدال ولم يزل به حتى

---

يخلق الولد فقال يخلق من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة أما نطفة الرجل فنطفة غليظة أى بيضاء منها
العظم والعصب وأما نطفة المرأة فنطفة رقيقة أى صفراء منها اللحم والدم فقالوا هكذا كان يقول من
قبلك أى من الأنبياء وتقدم فى ترجمة سطيح ايراد عيسى عليه الصلاة والسلام على ذلك أى وقالوا اغاظة
له ﷺ ماترى لهذا الرجل همة الا النساء والنكاح ولو كان نبيا كما زعم لشغله امر النبوة
عن النساء فانزل الله تعالى ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية فقد جاء انه كان
لسليمان عليه الصلاة والسلام مائة امرأة وتسعمائة سرية (وسألوه صلى الله عليه وسلم) عن رجل زنى
بامرأة بعد احصانه أى كان شريفا من خيبر زنى بشريفة وهما محصنان فكرهوا رجمهما لشرفهما
فبعثوا رهطا منهم الى بنى قريظة ليسألوا رسول الله ﷺ أى قالوا لهم ان هذا الرجل الذى
بيثرب ليس فى كتابه الرجم ولكنه الضرب فسألوه فاجابهم بالرجم فلم يفعلوا ذلك فقال لجمع من علمائهم
أنشدكم بالله الذى أنزل التوراة على موسى اما تجدون فى التوراة على من زنى بعد احصان الرجم فانكروا
ذلك فقال عبدالله بن سلام كذبتم فان فيها آية الرجم فأتوا بالتوراة فوضع واحد منهم يده على تلك الآية
فقال له ابن سلام ارفع يدك عنها فرفعها فاذا آية الرجم (أقول) هذا كان فى السنة الرابعة وهو يخالف
مافى بعض الروايات ان بعض احبار يهود أى وهم كعب بن الاشرف وسعيد بن عمرو ومالك بن
الصيف وكنانة بن أبى الحقيق اجتمعوا فى بيت المدارس حين قدم رسول الله ﷺ
المدينة وقد زنى رجل من يهود بعد احصانه بامرأة محصنة من اليهود وقالوا ان افتانا بالجلد أخذنا به
واحتججنا بفتواه عند الله وقلنا فتيا نبى من أنبيائك وان افتانا بالرجم خالفناه لانا خالفنا التوراة فلا
علينا من مخالفته وفى رواية الصحيحين عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ان اليهود جاؤا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فذكروا له ان امرأة منهم ورجلا زنيا أى بعد احصان فقال لهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما تجدون فى التوراة فى شأن الرجم قالوا نفضحها أى بأن نسود وجوههما ثم يحملان على
حمارين وجوههما من قبل ادبار الحمار وفى لفظ يحملان على الحمار وتقابل أقفيتهما ويطاف بهما
ويجلدان أى بحبل من ليف مطلى بقار فقال عبد الله بن سلام كذبتم ان فيها آية الرجم فأتوا بالتوراة
فنشروها فوضع احدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها فقال له عبد الله بن سلام ارفع يدك
فرفع يده فاذا فيها آية الرجم فقالوا صدقت يا محمد فيها آية الرجم وقد جاء ان موسى عليه الصلاة
والسلام خطب بنى اسرائيل فقال يا بنى اسرائيل من سرق قطعنا يده ومن افترى جلدناه ثمانين جلدة
ومن زنى وليست له امرأة جلدناه مائة جلدة ومن زنى وله امرأة رجمناه حتى يموت والله أعلم * قال ولما
جاؤا اليه ﷺ قالوا يا أبا القاسم ماترى فى رجل وامرأة زنيا أى بعد احصان فقال لهم ما تجدون
فى التوراة فقالوا دعنا من التوراة فقل لنا ما عندك فافتاهم بالرجم فانكروه فلم يكلمهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم حتى أتى بيت مدارسهم فقام على الباب فقال يا معشر يهود اخرجوا الى اعلمكم فاخرجوا
إليه عبدالله بن صوريا وأبا ياسر بن اخطب ووهب بن يهود فقالوا هؤلاء علماؤنا فقال انشدكم

فتح له فقال ويلك يا كعب اني قد جئتك بعز الدهر جئتك بقريش حتى أنزلتهم بمجتمع السيول ومن دون منزل قريش غطفان وقد عاهدوني على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمدا ومن معه فقال كعب جئتني والله بذل الدهر وبجهام قد أهراق ماءه يرعد ويبرق وليس فيه شيء ويحك يا حيي دعني وما أنا عليه فاني لم أر من محمد الا صدقا ووفاء ولم يزل به يفتله في الذروة والغارب حتى نقض عهده وبرىء مما كان بينه وبين رسول الله



صلى الله عليه وسلم وأعطاه حيي عهدا على انه إن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمدا ان ادخل معك في حصنك يصيبني ما أصابك ثم أرسل حيي ابن أخطب الى قريش ان يأتيه منهم ألف رجل والى غطفان ان يأتيه منهم الف ليغيروا على المدينة وجاء الخبر بذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعظم البلاء وصار الخوف على النساء والذراري اشد من الخوف على اهل الخندق ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بني قريظة نقضوا العهد قال من يأتي بني قريظة فيأتيني بخبرهم قال الزبير رضي الله عنه فقلت انا يا رسول الله فانطلقت اليهم فلما رجعت اليه جمع لي رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ابويه في الفداء اي قال فداك ابي وأمي وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم بعث سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وعبد الله ابن رواحة وخوات بن جبير رضي الله عنهم ليعرفوا الخبر فقال انطلقوا فانظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم ام لا فان كان حقا فالحنوا الى لحنا اعرفه ولا تفتوا في اعضاد الناس اي تكلموا الي بكلام فيه اشارة وتلويح ولا تأتوا بكلام صريح لئلا يفهمه كل الناس خوفا على الناس ان يقع لهم تثبيط وأصل اللحن العدول بالكلام عن الوجه المعروف عند الناس الى وجه لا يعرفه الا صاحبه وان كانوا على الوفاء فاجهروا به للناس فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغه عنهم حتى ان بعضهم كلم بني قريظة في شأن عهدهم مع

---

بالله الذي أنزل التوراة على موسى ما تجدون في التوراة على من زنى بعد احصان قالوا يحمم أي يعير ويجتنب فقال عبد الله بن سلام كذبتم فان فيها آية الرجم أي وفي رواية لما سألهم وأجابوه الا شابا منهم فانه سكت فألح عليه صلى الله عليه وسلم في النشدة فقال اللهم إذ نشدتنا فانا نجد في التوراة الرجم ولكن رأينا انه ان زنى الشريف جلدناه والوضيع رجمناه كان من الحيف فاتفقنا على ما نقيمه على الشريف والوضيع وهو ما علمت فعند ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أحكم بما في التوراة ولعل هذا الشاب ابن صوريا ففي الكشاف انه لما أمرهم عليه الصلاة والسلام بالرجم فابوا أن يأخذوا به فقال له جبريل عليه السلام اجعل بينك وبينهم ابن صوريا حكما أي ووصفه له جبريل فقال صلى الله عليه وسلم هل تعرفون شابا أمرد أبيض أعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم وهو أعلم يهودي على وجه الأرض بما أنزل الله على موسى في التوراة ورضوا به حكما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدك الله الذي لا اله الا هو الذي أنزل التوراة على موسى وفلق البحر ورفع فوقكم الطور وأنجاكم وأغرق فرعون وظلل عليكم الغمام وأنزل عليكم المن والسلوى والذي أنزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم على من أحصن قال نعم فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب وفي رواية قال نعم والذي ذكرتني به لولا خشيت أن تحرقني التوراة ان كذبتك ما اعترفت لك ولكن كيف هي في كتابك يا محمد قال إذا شهد أربعة رهط عدول أنه قد أدخله فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليه الرجم فقال ابن صوريا والذي أنزل التوراة على موسى هكذا أنزل الله في التوراة على موسى فليتأمل الجمع بين هذه الروايات على تقدير صحتها ثم سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء يعرفها من أعلامه فقال أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله النبي الأمي وهذا مما يدل على اسلامه وتقدم انكار صحته عن الحافظ ابن حجر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائتوا بالشهود فجاءوا بأربعة فشهدوا انهم رأوا ذكره في فرجها مثل الميل في المكحلة فامر بهما فرجما عند باب مسجده صلى الله عليه وسلم قال ابن عمر فرأيت الرجل يحني على المرأة يقيها الحجارة فكان ذلك سببا لنزول قوله تعالى انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور ولنزول قوله تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الظالمون وفي آية أخرى فاولئك هم الفاسقون وفي أخرى فاولئك هم الكافرون وعن عمرو بن ميمون قال رأيت الرجم في الجاهلية في غير بني آدم كنت في اليمن في غنم لاهلي فجاء قرد ومعه قردة فتوسد يدها ونام فجاء قرد أصغر منه فغمزها فسلت يدها من تحت رأس القرد برفق وذهبت معه ثم جاءت فاستيقظ القرد فزعا فشمها فصاح فاجتمعت القردة فجعل يصيح ويومي اليها بيده فذهبت القردة يمنة ويسرة فجاءوا بذلك القرد فحفروا لهما حفرة فرجموهما وفي لفظ رأيت في الجاهلية قردة زنت فرجموها يعني القردة ورجمتها معهم قال في الاستيعاب وهذا عند جماعة من أهل العلم منكر لاضافة الزنا الى غير المكلف واقامة الحدود في البهائم ولو صح هذا لكانوا من الجن لان العبادات في الانس والجن دون غيرهما هذا كلامه فليتأمل والله اعلم وقد ذكر غير واحد ان احبار يهود غيروا صفته صلى الله عليه وسلم

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا من رسول الله وتبرؤا من عقده وعهده وقال بعضهم لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد ثم قبل السعدان ومن معهما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلحنوا له كما أمرهم وقالوا عضل والقارة كغدرها بأصحاب الرجيع أى غدروا كغدرهما بأصحاب الرجيع فقال صلى الله عليه وسلم الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين ولا منافاة بين ارسال هؤلاء وارسال الزبير رضى الله عنه لاحتمال انهم أرسلوا دفعة أو بعد ارساله وخص هؤلاء القوم بالارسال  لانهم حلفاؤهم فيحتمل أن يرجعوا إلى العهد بعد نقضه حياء من حلفائهم فغلبت عليهم الشقوة فعند ذلك عظم البلاء واشتد الخوف فأتاهم عدوهم من فوقهم أى من أعلى الوادى من قبل المشرق فانه نزل به غطفان ومن أسفل منهم أى من أسفل الوادى من قبل المغرب فانه نزل به قريش قال ابن عباس رضى الله عنهما إذ جاؤكم من فوقكم عيينة بن حصن ومن معه ومن أسفل منكم أبو سفيان بن حرب ومن معه واذ زاغت الابصار و بلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا أى الظنون المختلفة بالنصر واليأس وظهر النفاق من بعض المنافقين كما قال تعالى واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ماوعدنا الله و رسوله إلا غرورا قال ذلك معتب بن قشير وكان منافقا قال كان محمد يرى أن نأكل من كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يأمن أن يذهب إلى الغائط وقيل ان قائل ذلك عبد الله بن أبى ابن سلول وقال رجال من المنافقين يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا إلى منازلكم بالمدينة فقالوا يا رسول الله ان بيوتنا عورة من العدو أى غير حصينة فأذن لنا نرجع إلى ديارنا فانها خارج المدينة قال تعالى وماهى بعورة ان يريدون إلا فرارا ثم أقبل نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومى يريد قتل النبى ﷺ فى زعمه على فرس له يسوس الخندق فوقع فى الخندق فاندقت عنقه فقتله الله وقيل رماه المسلمون بالحجارة ثم نزل اليه على رضى الله عنه فقتله وعظم ذلك على

وسلم التى فى التوراة خوفا على انقطاع نفقتهم فانها كانت على عوامهم لقيامهم بالتوراة فخافوا أن تؤمن عوامهم فتنقطع عنهم النفقة أى وكانوا يقولون لمن أسلم لا تنفقوا مالكم على هؤلاء يعنى المهاجرين فانا نخشى عليكم الفقر فانزل الله تعالى الذين يبخلون و يأمرون الناس بالبخل و يكتمون ما آتاهم الله من فضله أى من صفة النبى ﷺ التى يجدونها فى كتابهم فقد كان فيه أكحل عين ربعة جعد الشعر حسن الوجه فمحوه وقالوا نجده طويلا أزرق العين سبط الشعر وأخرجوا ذلك إلى أتباعهم وقالوا هذا نعت النبى الذى يخرج آخر الزمان وعند ذلك أنزل الله تعالى ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب الآية وكان اليهود إذا كلموا النبى ﷺ قالوا راعنا سمعك واسمع غير مسمع ويضحكون فيما بينهم أى لأن ذلك كما قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بلسان اليهود السب القبيح فلما سمع المسلمون منهم ذلك ظنوا أن ذلك شىء كان أهل الكتاب يعظمون به أنبياءهم فصاروا يقولون ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم ففطن سعد بن معاذ لليهود يوما وهم يضحكون فقال لهم يا أعداء الله لئن سمعنا من رجل منكم هذا بعد هذا المجلس لأضربن عنقه فانزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا وفى رواية أن اليهود لما سمعوا الصحابة رضى الله تعالى عنهم تقول له ﷺ إذا ألقى عليهم شيئا يا رسول الله راعنا أى انتظرنا وتأن علينا حتى نفهم وكانت هذه الكلمة عبرانية تتسابب بها اليهود فلما سمعوا المسلمين يقولون له صلى الله عليه وسلم راعنا خاطبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم براعنا يعنون بها تلك السبة ومن ثم لما سمع سعد بن معاذ ذلك من اليهود قال لهم يا أعداء الله عليكم لعنة الله والذى نفسى بيده ان سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لاضربن عنقه بالسيف فقالوا ألستم تقولونها فنزلت وجاءه صلى الله عليه وسلم جماعة من اليهود باطفالهم فقالوا له يا محمد هل على أولادنا هؤلاء من ذنب قال لا فقالوا والذى تحلف به ما نحن إلا كهيئتهم مامن ذنب نعمله بالليل إلا كفر عنا بالنهار ومامن ذنب نعمله بالنهار إلا كفر عنا بالليل فانزل الله تعالى ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم الآية وجاء ان أحبار يهود منهم ابن صوريا أى قبل أن يسلم على ما تقدم وشاس بن قيس وكعب بن أسيد اجتمعوا وقالوا نبعث الى محمد لعلنا نفتنه فى دينه فجاؤا اليه ﷺ فقالوا يا محمد قد عرفت أنا أحبار يهود واشرافهم وان اتبعناك اتبعك كل اليهود و بيننا و بين قوم خصومة فنحاكمهم اليك فتقضى لنا عليهم فنؤمن بك فأبى ذلك عليهم فنزل قوله وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم الآية ومن اليهود من دخل فى الاسلام تقية من القتل لقهرهم الاسلام بظهوره واجتماع قومهم عليه فكان هواهم مع يهود فى السر أى وهم المنافقون وقد ذكر بعضهم أن المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثمائة منهم الجلاس بجيم مضمومة فلام مخففة فالف فسين مهملة ابن سويد ابن الصامت قال يوما ان كان هذا الرجل صادقا لنحن شر من الحمير فسمعها عمير بن سعد رضى الله تعالى عنه وهو ابن زوجة جلاس أى فان الجلاس كان زوج ام عمير وكان عمير يتيما فى حجره ولا مال له وكان يكفله و يحسن اليه فجاء

المشركين فارسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا نعطيكم الدية أى وأذنوا لنا فى دفنه وفى رواية أنهم أعطوا فى جسده عشرة آلاف على ان يدفع اليهم ليدفنوه فرد اليهم النبي صلى الله عليه وسلم انه خبيث لمونه كافرا محاربا لله ورسوله وخبيث الدية فلعنه الله ولعن ديته ولا نمنعكم أن تدفنوه ولا أرب لنا فى ديته وأقام عليه الصلاة والسلام على الخندق وعدوهم يحاصرهم ولم يكن بينهم قتال إلا أنهم لا يدعون الطلائع بالليل يطمعون فى الغارة ووقع بينهم مراماة بالنبل ولما نظر المشركون الى الخندق قالوا والله ان هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيد بها وصار المشركون يتناوبون فيغدو أبو سفيان وأصحابه يوما ويغدو خالد بن الوليد يوما ويغدو عمرو بن العاص يوما ويغدو هبيرة بن وهب يوما ويغدو عكرمة بن أبى جهل يوما ويغدو ضرار بن الخطاب يوما فلا يزالون يجيلون خيلهم ويفترقون مرة ويجتمعون أخرى ويناوشون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أى يقربون منهم ويقدمون رجالهم وكان النبى صلى الله عليه وسلم يبشر المسلمين ويثبتهم ويقول لهم أبشروا بعون الله ونصره انى لأرجو أن أطوف بالبيت العتيق وآخذ المفتاح وليهلكن كسرى وقيصر ولتنفقن أموالها فى سبيل الله يقول ذلك حين يرى ما بالمسلمين من الكرب ثم انه صلى الله عليه وسلم أراد أن يعطى عيينة بن حصن ومن معه ثلث ثمار المدينة على ان يرجعوا فمنعه السعدان رضى الله عنهما وقالا كنا نحن وهم على الشرك لا يطمعون أن يأكلوا منا ثمرة إلا بقرى أو بيع أفحين أكرمنا الله بالاسلام وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا ما لنا بهذا من حاجة والله ما نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله فقال صلى الله عليه وسلم أنتما وذاك وفى رواية أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث إلى عيينة ابن حصن الفزارى والى الحرث بن عوف المزنى فى ان يقطعهما ثلث ثمار المدينة على ان يرجعا بمن معهما عنه فجاآ مستخفين

فقال

---

الجلاس ليلة فاستلقى على فراشه فقال لئن كان ما يقوله محمد حقا فلنحن شر من الحمير فقال له عمير يا جلاس انك لأحب الناس وأحسنهم عندي يدا ولقد قلت مقالة لئن رفعتها عليك لأفضحنك ولئن صمت عليها أى سكت عنها ليهلكن على دينى ولاحداهما أيسر على من الأخرى فمشى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له مقالة جلاس فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جلاس فحلف بالله لقد كذب على عمير وما قلت ما قال عمير فقال عمير بلى والله لقد قلته فتب إلى الله ولولا أن ينزل القرآن فيجعلنى معك ما قلته وجاء انه ﷺ استحلف الجلاس عند المنبر فحلف انه ما قال واستحلف الراوى عنه فحلف لقد قال وقال اللهم أنزل على نبيك تكذيب الكاذب وتصديق الصادق فقال النبي صلى الله عليه وسلم آمين فنزل قوله تعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم إلى قوله فان يتوبوا يك خيرا لهم فاعترف الجلاس وتاب وقبل منه ﷺ توبته وحسنت توبته ولم ينزع عن خير كان يصنعه مع عمير فكان ذلك مما عرف به حسن توبته فقال صلى الله عليه وسلم لعمير وقيت اذنك ومنهم نبتل بنون مفتوحة فموحدة ساكنة فمثناة فوقية مفتوحة فلام ابن الحرث قال النبي صلى الله عليه وسلم من أحب أن ينظر إلى الشيطان فلينظر إلى نبتل بن الحرث كان يجلس اليه ﷺ ثم ينقل حديثه للمنافقين وهو الذى قال لهم إنما محمد أذن من حدثه بشىء صدقه فانزل الله تعالى فيه ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن الآية وجاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له يجلس اليك رجل معك صفته كذا فقال أى للحديث الذى تحدث به كبده أغلظ من كبد الحمار ينقل حديثك إلى المنافقين فاحذره ومنهم عبد الله بن أبى ابن سلول وهو رأس المنافقين ولاشتهاره بالنفاق لم يعد فى الصحابة وكان من أعظم أشراف أهل المدينة وكانوا قبل مجيئه صلى الله عليه وسلم للمدينة قد نظموا له الخرز ليتوجوه ثم يملكوه عليهم أى كما تقدم لأن الأنصار من آل قحطان ولم يتوج من العرب الا قحطان ولم يبق من الخرز إلا خرزة واحدة كانت عند شمعون اليهودى فلما جاءهم الله تعالى برسوله ﷺ انصرف عنه قومه إلى الاسلام فضغن أى أضمر العداوة لانه رأى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سلبه ملكا عظيما فلما رأى قومه قد أبوا إلا الاسلام دخل فيه كارها مصرا على النفاق أى وكان له اماء يكرههن على الزنا ليأخذ أجورهن فانزل الله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء الآية وقد قيل فى سبب نزول قوله تعالى وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ان عبد الله بن أبى وأصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم قوم من أصحاب رسول الله ﷺ فيهم أبو بكر وعمر وعلى رضى الله تعالى عنهم فقال عبد الله بن أبى انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم فأخذ بيد أبى بكر فقال مرحبا بالصديق سيد بنى تيم وشيخ الاسلام وثانى رسول الله ﷺ فى الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بنى عدى الفاروق القوى فى دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله ﷺ ثم أخذ بيد على فقال مرحبا بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه سيد بنى هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم افترقوا

من أبي سفيان والتقيا مع النبي صلى الله عليه وسلم فوافقاه على ذلك بعد ان طلبا النصف فأبى عليهما الا الثلث فرضيا بذلك وأراد ان يكتب بذلك صحيفة وأحضر الدواة ليكتب عثمان رضى الله عنه فقيل أمره النبي صلى الله عليه وسلم فكتب ثم استشار سعداً وقيل قبل ان يكتب بعث صلى الله عليه وسلم الى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة رضى الله عنهما واستشارهما فى ذلك فقالا يارسول الله أمر تحبه فتصنعه أم شىء أمرك الله به لابد لنا من العمل به أم شىء تصنعه لنا وفى رواية ( ١٢٩ ) فان كان أمرا من السماء فامض له وان كان أمرا لم تؤمر به ولك فيه هوى فسمع وطاعة وان كان إنما هو الرأى مالهم عندنا الا السيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أمرنى الله ماشاورتكما والله ما أصنع ذلك الا انى رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب فأردت ان أكسر شوكتهم الى أمر ما فقال له سعد بن معاذ يارسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم يعنى غطفان على الشرك بالله وعبادة الأوثان لانعبد الله ولا نعرفه لايطمعون ان يأكلوا منا تمرة الا قرى أو بيعا وان كانوا ليأكلون العلهز فى الجاهلية من الجهد فحين أكرمنا الله بالاسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نقطعهم أموالنا وفى رواية نعطى الدنية مالنا بهذا من حاجة والله لانعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانت وذاك فاخذ سعد الصحيفة فمحا ما فيها من الكتابة وهذا يوافق القول بأنها كتبت وقيل إنه منع من كتابتها وجاء فى رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال له شق الكتاب فشقه سعد وقال لعيينة والحرث ارجعوا بيننا وبينكم السيف رافعا صوته وروى البزار والطبرانى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال أتى الحرث يعنى ابن عوف الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ناصفنا تمر المدينة والا ملأناها عليك خيلا ورجالا فقال حتى أستأمر السعود سعد بن عبادة وسعد بن معاذ وسعد بن الربيع



فقال له على اتق الله ياعبدالله ولا تنافق فان المنافقين شر خليقة الله تعالى فقال له عبدالله مهلا ياأبا الحسن الى تقول هذا والله ان ايماننا كايمانكم وتصديقنا كتصديقكم فقال لأصحابه كيف رأيتمونى فعلت فاثنوا عليه خيرا فنزلت وقد قال صلى الله عليه وسلم مثل المنافق مثل الشاة العايرة بين الغنمين أى المترددة بينهما تعير الى هذه مرة والى هذه مرة (وفى السنة الأولى) من الهجرة أعرس صلى الله عليه وسلم بعائشة رضى الله تعالى عنها كذا فى الأصل وفى المواهب أن ذلك كان فى السنة الثانية من الهجرة فى شوال على رأس ثمانية عشر شهرا وقيل بعد سبعة أشهر وقيل بعد ثمانية أشهر من مقدمه صلى الله عليه وسلم قالت عائشة رضى الله تعالى عنها تزوجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنى بى فى شوال فأى نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت أحظى عنده منى أى فما توهمه بعض الناس من التشاؤم بذلك لكونه بين العيدين فتحصل المفارقة بين الزوجين لاعبرة به ولا التفات اليه وعن عائشة رضى الله تعالى عنها جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل بيتنا واجتمع اليه رجال ونساء من الانصار فجاءتنى أمى وانى لفى أرجوحة بين عذقين أى نخلتين فأنزلتنى من الارجوحة ولى جميمة أى شعر لانى وعكت أى مرضت لما قدمنا المدينة أى أصابتها الحمى فعن البراء رضى الله تعالى عنه قال دخلت مع أبى بكر الصديق على أهله فاذا عائشة ابنته مضطجعة قد أصابتها الحمى فرأيت أباها يقبل خدها ويقول كيف أنت يابنية قالت عائشة رضى الله تعالى عنها فتمزق شعرى ففرقتها ومسحت وجهى بشىء من ماء ثم أقبلت تقودنى حتى وقفت بى عند الباب وانى لانهج حتى سكن نفسى ثم دخلت بى فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس على سرير فى بيتنا وعنده رجال ونساء من الانصار فأجلستنى فى حجره ثم قالت هؤلاء أهلك بارك الله لك فيهم وبارك لهم فيك فوثب الرجال والنساء فخرجوا وبنى بى رسول الله ﷺ فى بيتنا أى فقد بنى بها نهاراً وفى الصحاح العامة تقول بنى باهله وهو خطأ وإنما يقال بنى على أهله قال الحافظ ابن حجر ولا يغنى عن الخطأ كثرة استعمال الفصحاء له أى كاستعمال عائشة له هنا وفى الاستيعاب وأقره عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان أبا بكر رضى الله تعالى عنه قال يارسول الله ما يمنعك أن تبنى بأهلك قال الصداق فاعطاه أبو بكر اثنتى عشرة أوقية ونشا فبعث بها الينا وبنى بى رسول الله ﷺ فى بيتى هذا الذى أنا فيه وهو الذى توفى به ودفن فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه ان سياق ماتقدم وما يأتى يدل على أنه إنما دخل بها فى بيت أبيها بالسنح ثم رأيت بعضهم صرح بذلك فقال كان دخوله بها عليه الصلاة والسلام بالسنح نهاراً وهذا خلاف مايعتاده الناس اليوم هذا كلامه وفى رواية عنها أتتنى أمى وانى لفى أرجوحة مع صواحب لى فصرخت بى فأتيتها ما أدرى ماتريد منى فأخذت بيدى حتى وقفت بى على باب الدار وأنا أنهج حتى سكن بعض نفسى ثم أخذت شيئا من ماء فمسحت به وجهى ورأسى ثم أدخلتنى الدار فاذا نسوة من الأنصار فى البيت فقلن على الخير والبركة وعلى خير طائر فاسلمتنى اليهن وأصلحن من شأنى فلم يرعنى الا رسول الله ﷺ ضحى فاسلمتنى اليه وأنا يومئذ بنت تسع سنين قال بعضهم دخل رسول الله صلى الله عليه

وسعد بن خيثمة وسعد بن مسعود وقيل ان ذكر سعد بن الربيع وهم لأنه استشهد يوم أحد فكلمهم النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا لا والله ما أعطينا الدنية في أنفسنا في الجاهلية فكيف وقد جاء الله بالاسلام فاخبر الحرث فقال غدرت يا محمد ثم ان جماعة من قريش اقتحموا الخندق من ناحية ضيقة وهم على خيولهم وكان منهم عمرو بن عبدود العامري وهو ابن تسعين سنة وكان من الشجعان المشهورين ومنهم عكرمة بن  أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب المخزوميان وضرار بن الخطاب أخو عمر رضي الله عنه وقد أسلم ضرار وعكرمة رضي الله عنهما وأما هبيرة فمات على كفره فلما صاروا بالسبخة بين الخندق وسلع طلب عمرو بن عبدود المبارزة وقال من يبارز فقام علي رضي الله عنه وقال أنا له يا نبي الله فقال صلى الله عليه وسلم اجلس انه عمرو ثم كرر عمرو النداء وجعل يوبخ المسلمين ويقول أين جنتكم التي تزعمون ان من قتل منكم يدخلها أفلا تبرزون لي رجلا فقام علي رضي الله عنه فقال أنا يا رسول الله فقال اجلس انه عمرو فقال وان كان عمرا فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطاه سيفه ذا الفقار وألبسه درعه الحديد وعممه بعمامته وقال اللهم أعنه عليه اللهم هذا أخي وابن عمي فلا تذرني فردا وأنت خير الوارثين وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم رفع عمامته إلى السماء وقال إلهي أخذت عبيدة مني يوم بدر وحمزة يوم أحد وهذا علي أخي وابن عمي فلا تذرني فردا وأنت خير الوارثين فمشى اليه علي رضي الله عنه فقال يا عمرو انك كنت عاهدت الله لا يدعوك رجل من قريش الى إحدى خلتين أي خصلتين الا قبلتها قال له أجل أي نعم قال علي رضي الله عنه فاني أدعوك الى الله والى رسوله صلى الله عليه وسلم والى الاسلام فقال لا حاجة لي بذلك قال له علي فاني أدعوك الى البراز وفي رواية انك كنت تقول لا يدعوني أحد إلى واحدة من ثلاث الا قبلتها قال أجل

---

وسلم بعائشة ولعبتها معها أي وعنها رضي الله تعالى عنها أنها كانت تلعب بالبنات أي اللعب عند رسول الله ﷺ وكانت تأتيها جويريات يلعبن معها بذلك وربما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسيرهن اليها أي يطلبهن لها ليلعبن معها قالت وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك أو حنين فهبت ريح فكشف ناحية من ستر على صفة في البيت عن بنات لي فقال ماهذا يا عائشة قلت بناتي ورأى بينهن فرسا لها جناحان من رقاع قال وماهذا الذي أرى وسطهن قلت فرس قال وما هذا الذي عليه قلت جناحان قال جناحان قلت أما سمعت ان لسليمان خيلا لها أجنحة فضحك صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وفيه هلا أمرها بتغيير ذلك وأجيب بان هذا مستثنى من عدم جواز تصوير ذي الروح وقولها أما سمعت ان لسليمان خيلا لها أجنحة واقراره ﷺ لها على ذلك يدل على صحته ثم رأيت بعضهم أورد أنه كان لسليمان خيل لها أجنحة وقد ذكرت ذلك عند الكلام على اسمعيل صلوات الله وسلامه عليه في أوائل هذه السيرة (وعنها) رضي الله تعالى عنها أيضا أنها قالت وما نحرت على جزور ولا ذبحت على شاة أي عند بنائه بها ﷺ حتى أرسل الينا سعد بن عبادة بجفنته التي كان يرسلها وأرسل بها الى رسول الله ﷺ أي وفي كلام بعضهم وروى أنه ﷺ ما أولم على عائشة رضي الله تعالى عنها بشيء غير ان قدحا من لبن أهدى من بيت سعد بن عبادة فشرب النبي صلى الله عليه وسلم بعضه وشربت عائشة رضي الله تعالى عنها باقيه (أقول) يجوز أن يكون سعد رضي الله تعالى عنه أرسل بالقدح من اللبن وبالجفنة وان بعض الرواة اقتصر على أحدهما ثم لا يخفى أنه يجوز أن تكون الرواية الأولى واقعة بعد هذه الرواية الثانية وأنها ذهبت الى الارجوحة ثانيا بعد ان أصلح النساء من شأنها وفعلت بها أمها ما ذكروا أنه وقع الاقتصار في الرواية الأولى والله سبحانه وتعالى أعلم

## ﴿باب ذكر مغازيه صلى الله عليه وسلم﴾

ذكر ان مغازيه أي وهي التي غزا فيها بنفسه كانت سبعا وعشرين أي وهي غزوة بواط ثم غزوة العشيرة ثم غزوة صفوان ثم غزوة بدر الكبرى ثم غزوة بني سليم ثم غزوة بني قينقاع ثم غزوة السويق ثم غزوة قرقرة الكدر ثم غزوة غطفان وهي غزوة ذي أمر ثم غزوة نجران بالحجاز ثم غزوة أحد ثم غزوة حمراء الأسد ثم غزوة بني النضير ثم غزوة ذات الرقاع وهي غزوة محارب وبني ثعلبة ثم غزوة بدر الآخرة وهي غزوة بدر الموعد ثم غزوة دومة الجندل ثم غزوة بني المصطلق ويقال لها المريسيع ثم غزوة الخندق ثم غزوة بني قريظة ثم غزوة بني لحيان ثم غزوة الحديبية ثم غزوة ذي قرد ويقال لها قرد بضمتين وهو في اللغة الصوف الرديء ثم غزوة حنين ثم غزوة وادي القرى ثم غزوة عمرة القضاء ثم غزوة فتح مكة ثم غزوة حنين والطائف ثم غزوة تبوك والتي وقع فيها القتال من تلك الغزوات أي وقع القتال فيها من أصحابه وهو المراد بقول بعضهم كالأصل التي قاتل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع وهي غزوة بدر الكبرى وأحد والمريسيع أعني بني المصطلق والخندق وقريظة وخيبر وفتح مكة وحنين والطائف

قال على فانى أدعوك أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتسلم لرب العالمين فقال يا ابن أخى أخر عنى هذه قال وأخرى ترجع بلادك فان يك صادقا كنت أسعد الناس به وإن يك كاذبا كان الذى تريد قال هذا مما لا يتحدث به نساء قريش أبدا كيف وقد قدرت على استيفاء ما نذرت أى لأنه نذر لما أفلت هاربا يوم بدر وقد جرح أن لا يمس رأسه دهن حتى يقتل محمداً قال فالثالثة قال وما هى قال البراز فضحك عمرو وقال إن هذه لخصلة ما كنت أظن أن أحداً من العرب يروعنى بها وفى رواية يروم منى هذه ثم قال له عمرو من أنت لأن عليا رضى الله عنه كان مقنعا بالحديد فما عرفه عمرو فأجابه وقال على قال ابن عبد مناف فقال أنا على ابن أبى طالب فقال غيرك يا ابن أخى من أعمامك من هو أشد منك فانى أكره أن أهريق دمك وان أباك كان صديقا لى وفى لفظ كنت نديما له فقال له على رضى الله عنه أنا والله ما أكره أن أهريق دمك وفى رواية قال عمرو يا ابن أخى فوالله ما أحب أن أقتلك فقال على لكنى والله أحب أن أقتلك فحمى عمرو عند ذلك أى أخذته الحمية وفى رواية فغضب فقال له على كيف أقاتلك وأنت على فرسك ولكن انزل معى فاقتحم عن فرسه وسل سيفه كأنه شعلة نار فعقر فرسه وضرب وجهه كيلا يفر وأقبل على على رضى الله عنه ودنا أحدهما من الآخر وثارت بينهما غبرة فاستقبله على رضى الله عنه بدرقته فضرب به عمرو فيها فقدها وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجه فضربه على على حبل عاتقه وهو موضع الرداء من العنق وقيل طعنه فى ترقوته حتى أخرجها من مراقه فسقط وكبر المسلمون فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم التكبير عرف أن عليا رضى الله عنه قد قتل عمرا ثم أقبل على رضى الله عنه نحو النبى صلى الله عليه وسلم وهو متهلل فقال له عمر بن الخطاب رضى الله عنه هلا سلبته درعه فانه ليس فى العرب درع خير منها فقال انه حين ضربته استقبلنى بسوأته فاستحييت قال الحاكم سمعت الأصم قال سمعت

والطائف أى وبعضهم أسقط فتح مكة قال النووى رحمه الله ولعل مذهبه أنها فتحت صلحا كما قال امامنا الشافعى وموافقوه أى فيصح بيع دورها وإجارتها واستدل لذلك بأنها لو كانت فتحت عنوة لقسمها بين الغانمين وسيأتى الجمع بأن أسفلها فتح عنوة أى لوقوع القتال فيه من خالد بن الوليد مع المشركين وأعلاها فتح صلحا لعدم وجود القتال فيه وفى الهدى من تأمل الأحاديث الصحيحة وجدها كلها دالة على قول الجمهور أنها فتحت عنوة أى لوقوع القتال بها ومما يدل على ذلك أنه صلى الله عليه وسلم لم يصالح أهلها عليها وإلا لم يحتج إلى قوله من دخل دار أبى سفيان فهو آمن الخ وإنما لم يقسمها لأنها دار المناسك فكل مسلم له فيها حق أقول هذا واضح فى غير دورها وسيأتى الجواب عن ذلك ومما قررناه يعلم أن قول المواهب قاتل صلى الله عليه وسلم فى تسع منها بنفسه فيه نظر ظاهر لأنه صلى الله عليه وسلم لم يقاتل بنفسه فى شيء من تلك الغزوات إلا فى أحد كما سيأتى وكأنه اغتر فى ذلك بقول بعضهم المتقدم قاتل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد علمت المراد منه والله أعلم ولا يخفى أنه صلى الله عليه وسلم مكث بضع عشرة سنة ينذر بالدعوة بغير قتال صابراً على شدة أذية العرب بمكة واليهود بالمدينة له صلى الله عليه وسلم ولأصحابه لأمر الله تعالى له بذلك أى بالانذار والصبر على الأذى والكف بقوله وأعرض عنهم وبقوله واصبر ووعده بالفتح أى فكان يأتيه أصحابه بمكة ما بين مضروب ومشجوج فيقول صلى الله عليه وسلم لهم اصبروا فانى لم أومر بالقتال لأنهم كانوا بمكة شرذمة قليلة ثم لما استقر أمره صلى الله عليه وسلم أى بعد الهجرة وكثرت أتباعه وشأنهم أن يقدموا محبته على محبة آبائهم وأبنائهم وأزواجهم وأصر المشركون على الكفر والتكذيب أذن الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم أى ولأصحابه فى القتال أى وذلك فى صفر من السنة الثانية من الهجرة لكن لمن قاتلهم وابتدأهم به بقوله فان قاتلوكم فاقتلوهم قال بعضهم ولم يوجبه بقوله تعالى أذن للذين يقاتلون أى للمؤمنين أن يقاتلوا بأنهم ظلموا أى بسبب أنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير أى فكان ذلك القتال عوضاً من العذاب الذى عوملت به الأمم السالفة لما كذبت رسلهم وذكر فى سبب نزول قوله تعالى ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم الآية أن جماعة منهم عبد الرحمن بن عوف والمقداد بن الأسود وقدامة بن مظعون وسعد بن أبى وقاص وكانوا يلقون من المشركين أذى كثيرا بمكة فقالوا يا رسول الله كنا فى عز ونحن مشركون فلما آمنا صرنا أذلة فأذن لنا فى قتال هؤلاء فيقول لهم كفوا أيديكم عنهم فانى لم أومر بقتالهم فلما هاجر صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وأمر بالقتال للمشركين كرهه بعضهم وشق عليه ذلك فأنزل الله تعالى الآية لا يقال يدل لما تقدم من أنه قاتل صلى الله عليه وسلم بنفسه فى تلك الغزوات ما جاء عن بعض الصحابة كنا إذا لقينا كتيبة أو جئنا أول من يضرب النبى صلى الله عليه وسلم لأنى أقول لا يبعد أن يكون المراد بالضرب السير فى الأرض أى أول من يسير إلى تلقاء العدو ويؤيده ما جاء عن على رضى الله تعالى عنه لما كان يوم بدر اتقينا المشركين برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أشد الناس بأسا وما كان أحد أقرب إلى المشركين منه صلى الله عليه وسلم وفى رواية كنا إذا حمى البأس والتقى القوم بالقوم اتقين برسول الله

العطاردى قال سمعت الحافظ يحيى بن آدم يقول ماشبهت قتل على عمراً إلا بقوله تعالى فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت (وفي تفسير الفخر الرازى) أنه صلى الله عليه وسلم قال لعلى رضى الله عنه بعد قتله عمرو بن عبد ود كيف وجدت نفسك معه قال وجدت أن لو كان أهل المدينة فى جانب وأنا فى جانب لقدرت عليهم وذكر ابن اسحق أن المشركين بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشترون جيفة عمرو بعشرة آلاف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو لكم ولا نأكل ثمن الموتى وحين قتل عمرو ورجع من اقتحم الخندق من المشركين بخيلهم هاربين فتبعهم الزبير بن العوام رضى الله عنه وضرب نوفل بن عبد الله بالسيف فشقه نصفين ووصلت الضربة إلى كاهل فرسه فقيل له يا أبا عبد الله ما رأينا مثل سيفك فقال والله ما هو السيف ولكنها الساعد وقيل إن الذى قتل نوفلا على رضى الله عنه وفى رواية أن رجلا من المشركين قال يوم الخندق من يبارز فقال صلى الله عليه وسلم قم يازبير فقالت أمه صفية واحدى يارسول الله فقال قم يازبير فقام فقتله ثم جاء بسلبه إلى النبى صلى الله عليه وسلم فنفله إياه وفى رواية أن نوفلا لما تورط فى الخندق رماه الناس بالحجارة فجعل يقول قتلة أحسن من هذه يامعشر العرب فنزل إليه على رضى الله عنه فقتله ويمكن أن عليا والزبير رضى الله عنهما اشتركا فى قتله ورجعت الخيول مهزومة وألقى عكرمة رمحه يومئذ وهو منهزم عن عمرو فعيره حسان رضى الله عنه بأبيات فلما رجعوا إلى أبى سفيان قال هذا يوم لم يكن لنا فيه شىء فارجعوا وجاء فى رواية أن الزبير رضى الله عنه حمل على هبيرة بن وهب وهو زوج أم هانىء أخت على رضى الله عنهما فضرب ثغر فرسه فقطعه وسقط درع كان يحقبها الفرس أى يجعلها على مؤخر ظهرها فأخذها الزبير رضى الله عنه وفى رواية ثم حمل ضرار ابن الخطاب اخو عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهبيرة بن وهب على على رضى الله عنه فأقبل على رضى الله عنه عليهما فأما ضرار

صلى الله عليه وسلم أى كان وقاية لنا من العدو وقد نقل إجماع المسلمين على أنه لم يروا أحد قط أنه صلى الله عليه وسلم انهزم بنفسه فى موطن من المواطن بل ثبتت الأحاديث الصحيحة باقدامه صلى الله عليه وسلم وثباته فى جميع المواطن لا يقال سيأتى فى غزوة بدر عن السيرة الشامية غير معز ولا حد أنه قاتل بنفسه قتالا شديدا وكذلك أبو بكر رضى الله تعالى عنه وكانا فى العريش يجاهدان بالدعاء فقاتلا بأبدانهما جمعا بين المقامين وأيضاً سيأتى فى خيبر ماقد يدل على أنه صلى الله عليه وسلم قاتل بنفسه لأنا نقول سيأتى مافى ذلك مما يدل على أنه ﷺ لم يباشر القتال إلا فى أحد كما سيأتى ولم تقاتل معه الملائكة إلا فى بدر وإلا فى حنين قبل وأحد وسيأتى مافى ذلك ولم يرم ﷺ بالحصباء فى وجوه العدو فى شىء من الغزوات إلا فى هذه الثلاثة على خلاف فى الثالثة أى ولم يجرح أى لم يصبه جراحة فى غزوة من الغزوات إلا فى أحد ولم ينصب المنجنيق فى غزوة من الغزوات إلا فى غزوة الطائف وفيه أنه نصبه على بعض حصون خيبر وسيأتى الجمع بينهما ولم يتحصن بالخندق فى غزوة إلا فى غزوة الأحزاب ثم لا يخفى أن الآية المذكورة أى التى هى أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير قال بعضهم هى أول آية نزلت فى شأن القتال ولما نزلت أخبر صلى الله عليه وسلم بقوله أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله أى وفى لفظ حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنى محمدا رسول الله فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله تعالى قيل وما حقها قال زنا بعد احصان وكفر بعد إسلام أو قتل نفس (أقول) وظاهر هذا السياق يقتضى أن الآية فيها الأمر له ﷺ بالقتال المذكور وقد يتوقف فى ذلك ولعله أمر بذلك بغير الآية المذكورة لأن الآية إنما هى ظاهرة فى الاباحة والمباح ليس مأموراً به وحينئذ يكون قوله فى الآية الأخرى وهى فان قاتلوكم فاقتلوهم للاباحة لأن صيغة أفعل تأتى لها وإن كان الأصل فيها الوجوب وعلى أن قوله صلى الله عليه وسلم أمرت وأن أمره كان بغير هذه الآية يحمل على أن المراد الندب لأن الأمر مشترك بين الوجوب والندب فلا ينافى ما تقدم من أنه لم يكن وجب عليهم القتال حينئذ والله أعلم ثم لما رمتهم العرب قاطبة عن قوس وتعرضوا لقتالهم من كل جانب كانوا لا يبيتون إلا فى السلاح ولا يصبحون إلا فيه ويقولون ترى نعيش حتى نبيت مطمئنين لا نخاف إلا الله عز وجل أنزل الله عز وجل وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً ثم أذن فى القتال أى أبيح الابتداء به حتى لمن لم يقاتل أى لكن فى غير الأشهر الحرم أى التى هى رجب وذو القعدة وذو الحجة ومحرم أى بقوله فاذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين الآية ثم أمر به وجوبا أى بعد فتح مكة فى السنة الثانية مطلقا أى من غير تقييد بشرط ولا زمان بقوله وقاتلوا المشركين كافة أى جميعاً فى أى زمن فعلم أن القتال كان قبل الهجرة وبعدها إلى صفر من السنة الثانية محرما أى لأنه كان فى ذلك مأموراً بالتبليغ وكان انذاراً بلا قتال لأنه نهى عنه فى نيف وسبعين آية ثم صار مأذونا له فيه أى أبيح قتال من قاتل ثم أبيح قتال من لم يبدأ به فى غير الأشهر الحرم ثم

فولى هاربا ولم يثبت وأما هبيرة فثبت أولا ثم ألقى درعه وهرب وكان فارس قريش وشاعرها وفي رواية ان ضرار بن الخطاب لما
هرب تبعه أخوه عمر بن الخطاب رضى الله عنه وصار يشتد فى أثره فكر ضرار راجعا وحمل على عمر بالرمح ليطعنه ثم أمسك وقال
ياعمر هذه نعمة مشكورة أثبتها عليك ويد لى عندك غير مجزى بها فاحفظها ووقع له مع عمر رضى الله عنه نظير ذلك فى أحد فانه التقى
معه فضرب عمر بالقناة ثم رفعها عنه وقال ما كنت لأقتلك يا ابن الخطاب ثم من الله على ضرار بالاسلام فأسلم



ثم أمر به مطلقا أى لمن قاتل ومن لم يقاتل فى كل زمن أى فى الأشهر الحرم وغيرها وظاهر كلام الامام
الأسنوى أن القتال فى الحالة الثانية كان مأمورا به لا مباحا كالحالة الأولى وعبارته لما بعث صلى
الله عليه وسلم أمر بالتبليغ والانذار بلا قتال فقال واعرض عنهم وقال واصبر ثم أذن له بعد الهجرة فى
القتال ان ابتدؤا به فقال فان قاتلوكم فاقتلوهم ثم أمر بذلك ابتداء ولكن فى غير الأشهر الحرم فقال فاذا
انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين ثم أمر به مطلقا فقال وقاتلوا المشركين كافة هذا كلامه ولا يخفى
ان الاسنوى ممن يرى أن أمر للوجوب وهو يقتضى أن يكون الأمر به فى الحالة الثانية للوجوب والراجح
ما علمت ان أمر مشترك بين الوجوب والندب وأنه فى الحالة الثانية مباح لا مأمور به ثم استقر أمر الكفار
معه صلى الله عليه وسلم بعد نزول براءة على ثلاثة أقسام (القسم الأول) محاربون له ﷺ
وهؤلاء المحاربون إذا كانوا ببلادهم يجب قتالهم على الكفاية فى كل عام مرة أى يكفى ذلك فى اسقاط
الحرج كأحياء الكعبة واستدل لذلك بقوله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة أى فهلا نفر
وقيل كان فرض عين لقصة الثلاثة الذين تخلفوا عن الجهاد فى غزوة تبوك ويحتاج الى الجواب عن
ذلك وقيل كان فرض كفاية فى حق الأنصار وفرض عين فى حق المهاجرين (والقسم الثانى) أهل
عهد وهم المؤمنون من غير عقد الجزية أى صالحهم ووادعهم على أن لا يحاربوه ولا يظاهروا عليه
عدوهم وهم على كفرهم آمنون على دمائهم وأموالهم (والقسم الثالث) أهل ذمة أى وهم من عقدت
لهم الجزية وهناك قسم آخر وهو من دخل فى الاسلام تقية من القتل وهم المنافقون كما تقدم وأمر
ﷺ أن يقبل منهم علانيتهم ويكل سرائرهم إلى الله تعالى فكان معرضا عنهم إلا فيما يتعلق
بشعائر الاسلام الظاهرة كالصلاة فلا يخالف ما رواه الشيخان لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ثم
آمر رجلا فيصلى بالناس ثم أنطلق معى برجال معهم حزم من حطب الى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق
عليهم بيوتهم بالنار فقد ذكر أئمتنا أن ذلك ورد فى قوم منافقين يتخلفون عن الجماعة ولا يصلون أى
أصلا بدليل السياق أى لأن صدر الحديث أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء والفجر أى
جماعتها ولو يعلمون ما فيها لأتوهما ولو حبوا ولقد هممت الخ (وفى الخصائص الصغرى) وكان
الجهاد فى عهده ﷺ فرض عين فى أحد الوجهين عندنا وكان إذا غزا بنفسه صلى الله عليه
وسلم يجب على كل أحد الخروج معه لقوله تعالى ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن
يتخلفوا عن رسول الله ومن ثم وقع لمن تخلف عنه فى غزوة تبوك ما وقع وأما بعده صلى الله عليه وسلم
فللكفار حالان مذكوران فى كتب الفقه وعند الاذن له صلى الله عليه وسلم فى القتال خرج لاثنتى
عشرة ليلة مضت من شهر صفر من السنة الثانية من الهجرة أى مكث بالمدينة باقى الشهر الذى قدم
فيه وهو شهر ربيع الأول وباقى ذلك العام كله الى صفر من السنة الثانية من الهجرة فخرج ﷺ
غازيا حتى بلغ ودان بفتح الواو وتشديد الدال المهملة آخره نون وهى قرية كبيرة بيننا وبين
الأبواء ستة أميال أو ثمانية والأبواء بالمد قرية بين مكة والمدينة كما تقدم سميت بذلك لتبوء السيول

وحسن اسلامه رضى الله
عنه (وكان شعار
المسلمين) يوم الخندق
حم لا ينصرون ولعل
المراد خصوص الانصار
فلا يخالف رواية أن
شعار المسلمين ياخيل
الله ورمى سعد بن معاذ
رضى الله عنه بسهم قطع
أكحله وهو عرق فى
الذراع تتشعب منه
عروق البدن ويقال
لهذا العرق عرق الحياة
وكان الذى رمى سعدا هو
ابن العرقة العامرى
والعرقة بفتح العين وكسر
الراء وهى أمه واسمها
قلابة بنت سعيد بن
سعد بن سهم وتكنى أم
فاطمة سميت العرقة
لطيب ريحها وهي جدة
خديجة رضى الله عنها أم
أبيها وابن العرقة هذا
اسمه حبان بن عبد مناف
ابن منقذ بن هصيص بن
عامر بن لؤى وقيل العرقة
انما هى أم عبد مناف
أبى حبان ولما رمى سعدا
قال خذها وأنا ابن العرقة
فقال سعد رضى الله عنه
عرق الله وجهك فى النار وقيل ان الذى قال ذلك هو النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال سعد رضى الله عنه اللهم ان كنت وضعت الحرب
بيننا وبينهم يعني قريشا فاجعلها لى شهادة ولا تمتنى حتى تقر عينى وفى رواية حتى تشفينى من بنى قريظة وفى لفظ اللهم إن كنت أبقيت
من حرب قريش شيئا فأبقنى لها فانه لا قوم أحب إلى أن أجاهدهم من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه وإن كنت وضعت الحرب
بيننا وبينهم فاجعلها لى شهادة ولا تمتنى حتى تقر عينى من بنى قريظة وقد استجاب الله له فلم يقم لقريش حرب بعدها وما مات حتى حكم

في بني قريظة كما يأتي وقيل ان الذي اصاب سعداً بو أسامة الجشمي حليف بني مخزوم وقيل خفاجة بن عاصم بن حبان والله أعلم (واستمرت المقاتلة) في يوم من أيام الخندق من سائر جوانب الخندق الى الليل ولم يصل صلى الله عليه وسلم ولا أحد من المسلمين صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء وصار المسلمون يقولون ماصلينا فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أنا فلما انكشف القتال جاء صلى الله عليه وسلم الى قبته فأمر بلالا ( ١٣٤ ) فأذن وأقام للظهر فصلى ثم أقام لكل صلاة وصلى هو وأصحابه وجاء في رواية جابر رضى الله عنه أنه أذن وأقام لكل صلاة وجمع النووى بأنهما قضيتان جرتا فى أيام الخندق فانها كانت خمسة عشر يوما وفى رواية انّ التى فاتت صلاة العصر ويحمل ذلك على أنه وقع فى بعض تلك الأيام وجاء فى بعض الروايات شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر حتى غابت الشمس ملأ الله أجوافهم وفى لفظ بطونهم وقبورهم نارا ثم ان طائفة من الأنصار خرجوا ليدفنوا ميتاً بالمدينة منهم فصادفوا عشرين بعيرا محملة شعيرا او تمرا وتبنا حمل ذلك حيي بن أخطب مددا وتقوية لقريش فاخذها الانصار وأتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوسع بها أهل الخندق ولما بلغ أبا سفيان ذلك قال ان حييا لمشؤم ثم ان خالدبن الوليد كر بطائفة من المشركين يطلب غرة المسلمين أى غفلتهم فصادف أسيد بن حضير رضى الله عنه على الخندق فى مائتين من المسلمين فناوشهم الخمس

اى تقاربوا منهم ساعة وكان فى أولئك المشركين وحشى قاتل حمزة رضى الله عنه فزرق وحشى الطفيل بن النعمان رضى الله عنه فقتله ثم بعد ذلك صاروا يرسلون الطلائع بالليل يطمعون فى الاغارة فأقام المسلمون فى شدة من الخوف ( وفى الصحيحين ) دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاحزاب فقال اللهم منزل الكتاب سريع الحساب أهزم الأحزاب اللهم أهزمهم وانصرنا عليهم وزلزلهم

---

بها وقيل لما كان فيها من الوباء فيكون على القلب والا لقيل الاوباء وحينئذ لاتخالف بين تسمية ابن الخفاف لها بغزوة ودان وبين تسمية البخارى لها بغزوة الابواء لتقارب المكانين أى وفى الامتاع ودان جبل بين مكة والمدينة وأقول قد يقال لامنافاة لأنه يجوز أن تكون تلك القرية كانت عند الجبل المذكور فسميت باسمه والله أعلم وكان خروجه صلى الله عليه وسلم بالمهاجرين ليس فيهم أنصارى يعترض عير القريش ولبنى ضمرة أى وخرج صلى الله عليه وسلم لبنى ضمرة فكان خروجه للشيئين كما يفهم من الأصل ويوافقه قول بعضهم وخرج ﷺ فى سبعين رجلا من أصحابه يريد قريشا وبني ضمرة والمفهوم من سيرة الشامى ان خروجه ﷺ انما كان لاعتراضه العير وانه اتفق له موادعة بنى ضمرة ويوافقه قول الحافظ الدمياطى خرج يعترض عير القريش فلم يلق كيدا وفى هذه الغزوة وادع بنى ضمرة هذا كلامه أى صالح سيدهم حينئذ وهو مجدى بن عمرو وعبارة بعضهم فلما بلغ الأبواء لقى سيد بنى ضمرة مجدى بن عمرو الضمرى فصالحه ثم رجع الى المدينة والمصالحة على أن لايغزوهم ولا يغزوه ولايكثروا عليه ﷺ جمعا ولا يعينوا عليه عدوا قال وكتب بينه وبينهم كتابا نسخته بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لبنى ضمرة بأنهم آمنون على أموالهم وأنفسهم وأن لهم النصرة على من رامهم أى قصدهم الا أن يحاربوا فى دين الله مابل بحر صوفة أى ما بقى فيه مايبل الصوفة وان النبى ﷺ إذا دعاهم لنصره أجابوه عليهم بذلك ذمة الله وذمة رسوله أى أمانهما انتهى وكان لواؤه صلى الله عليه وسلم أبيض وكان مع عمه حمزة واستعمل على المدينة سعد بن عبادة وانصرف إلى المدينة راجعا فهى أول غزواته ﷺ أى وكانت غيبته خمس عشرة ليلة والله أعلم

## ﴿ غزوة بواط ﴾

ثم غزا رسول الله ﷺ فى شهر ربيع الأول أى وقيل الآخر أى من السنة المذكورة يريد عيرا لقريش فيها أمية بن خلف ومائة رجل من قريش وألفان وخمسمائة بعير خرج فى مائتين من أصحابه أى من المهاجرين خاصة وحمل اللواء وكان أبيض سعد بن أبى وقاص واللواء هو العلم الذى يحمل فى الحرب يعرف به موضع أمير الجيش وقد يحمله أمير الجيش وقد يجعل فى مقدم الجيش وأول من عقد الألوية إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم بلغه ان قوما غاروا على لوط عليه السلام فعقد لواء وسار اليهم بعبيده ومواليه قال بعضهم صرح جماعة من أهل اللغة بترادف اللواء والراية اى فيطلق على كل اسم الآخر وعن ابن اسحق وابن سعد ان اسم الراية انما حدث بعد خيبر واستعمل ﷺ على المدينة سعد بن معاذ وقيل السائب بن مظعون أى أخا عثمان بن مظعون وقيل السائب ابن عثمان حتى بلغ بواط بضم الموحدة وفتحها وتخفيف الواو والطاء المهملة أى وهو جبل الينبع أى ومن ثم قيل لها غزوة بواط قال بعضهم ومن هذا الجبل تقلع أحجار المسان وهذا الجبل لجهينة من ناحية رضوى وهو أحد الأجبل التى بنى منها أساس الكعبة وفيه أنه لم يذكر رضوى فى تلك الاجبل

الخمس التي كان منها أساس الكعبة المتقدم ذكرها على المشهور وقد جاء فى الحديث رضوى رضى الله عنه وتزعم الكيسانية وهم أصحاب كيسان مولى على رضى الله تعالى عنه ان محمد بن الحنفية مقيم برضوى حى يرزق وهو الامام المنتظر عندهم أى وفى كلام بعضهم ان المنتظر هو محمد القاسم بن الحسن العسكرى الذى تزعم الشيعة انه المنتظر وهو صاحب السرداب يزعمون أنه دخل السرداب فى دار أبيه وأمه تنظر اليه فلم يخرج اليها وكان عمره تسع سنين وانه يعمر إلى آخر الزمان كعيسى وسيظهر فيملأ الدنيا عدلا كما ملئت جوراً واختفاؤه الآن خوفا من أعدائه قال وهو زعم باطل لا أصل له ثم رجع ﷺ إلى المدينة ولم يلق كيداً أى حربا وأصل الكيد الاحتيال والاجتهاد ومن ثم يسمى الحرب كيداً والله أعلم

## غزوة العشيرة

أى وبها بدأ البخارى المغازى ويدل له ما جاء عن زيد بن أسلم وقد قيل له ما أول غزوة غزاها رسول الله ﷺ فقال ذات العشيرة واجيب عنه بان المراد ما أول غزوة غزاها وأنت معه ثم غزا رسول الله ﷺ فى شهر جمادى الأولى وفى سيرة الدمياطى الآخرة من تلك السنة أى وفى الامتاع أى فى جمادى الآخرة ويقال جمادى الأولى يريد عيراً لقريش متوجهة للشام يقال ان قريشا جمعت جميع أموالها فى تلك العير لم يبق بمكة لا قرشى ولا قرشية له مثقال فصاعدا الا بعث به فى تلك العير الا حويطب بن عبد العزى يقال ان فى تلك العير خمسين ألف دينار أى وألف بعير وكان فيها أبو سفيان أى قائدها وكان معه سبعة وعشرون وقيل تسعة وثلاثون رجلا منهم مخرمة بن نوفل وعمرو بن العاص وهى العير التى خرج اليها حين رجعت من الشام وكان سببا لوقعة بدر الكبرى كما سيأتى خرج فى خمسين ومائة ويقال فى مائتين من المهاجرين خاصة حتى بلغ العشيرة بالمعجمة والتصغير آخره هاء أى ولم يختلف فيه أهل المغازى كما قال الحافظ ابن حجر وفى البخارى آخرها همزة وفيه أيضا العسيرة بالسين المهملة آخره هاء أى بالتصغير وأما التى بغير تصغير فهى غزوة تبوك كما سيأتى والتى بالتصغير يقال أيضا لموضع ببطن الينبع أى وهو منزل الحاج المصرى وهى لبنى مدلج واستخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الاسد وحمل اللواء وكان أبيض عمه حمزة بن عبد المطلب خرجوا على ثلاثين بعيراً يعتقبونها فوجدوا العير قد مضت قبل ذلك بأيام ورجع ولم يلق حربا ووادع ﷺ فيها بنى مدلج قال فى الأصل وحلفاءهم من بنى ضمرة وذكر فى المواهب هنا صورة الكتاب الذى كتبه ﷺ لبنى ضمرة فى غزوة ودان الذى قدمناه ثم فليتأمل ذلك وكنى ﷺ فيها عليا بأبى تراب حين وجده نائما هو وعمار بن ياسر وقد علق به التراب فأيقظه عليه الصلاة والسلام برجله وقال له قم أبا تراب لما يرى عليه من التراب أى الذى سفته عليه الريح ولما قام قال له ﷺ ألا أخبرك بأشقى الناس أجمعين عاقر الناقة والذى يضربك على هذا ووضع يده على قرن رأسه فيخضب هذه ووضع يده على لحيته وفى رواية أشقى الأولين عاقر ناقة صالح وأشقى الآخرين قاتلك وفى رواية أنه صلى الله عليه

---

وقام صلى الله عليه وسلم فى الناس فقال يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فان لقيتم العدو فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف أى السبب الموصل إلى الجنة عند الضرب بالسيف فى سبيل الله ودعا صلى الله عليه وسلم بقوله يا صريخ المكروبين يا مجيب المضطرين اكشف همى وغمى وكربى فانك ترى ما نزل بى وبأصحابى وقال له المسلمون هل من شىء نقوله فقد بلغت الروح الحناجر قال نعم قولوا اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا فأتاه جبريل فبشره ان الله يرسل عليهم ريحا وجنودا وأعلم صلى الله عليه وسلم أصحابه وصار يرفع يديه ويقول شكراً شكراً وجاء ان دعاءه صلى الله عليه وسلم كان يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء واستجيب له ذلك اليوم الذى هو يوم الأربعاء بين الظهر والعصر فعرف السرور فى وجهه أى ومن ثم كان جابر يدعو فى مهامه فى ذلك اليوم فى ذلك الوقت ويتحرى ذلك اليوم وأما الأحاديث التي جاءت بذم يوم الأربعاء فمحمولة على آخر أربعاء فى الشهر فان فى ذلك اليوم ولد فرعون وادعى الربوبية وأهلكه الله فيه وهو اليوم الذى أصيب فيه أيوب عليه السلام وكان النبى صلى الله عليه وسلم يختلف إلى ثلمة فى الخندق والثلمة الخلل فى الحائط فعن عائشة رضى الله عنها قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم يذهب إلى تلك الثلمة فاذا أخذه البرد جاءنى فادفأته فى حضنى فاذا دفىء خرج إلى تلك الثلمة ويقول ما أخشى أن يؤتى المسلمون الا منها فبينا رسول الله ﷺ فى حضنى صار يقول ليت رجلا صالحا يحرس هذه الثلمة الليلة فسمع صوت السلاح فقال رسول الله ﷺ من هذا فقال سعد بن أبى وقاص أتيت أحرسك يا رسول الله فقال عليك هذه الثلمة فاحرسها ونام ﷺ حتى غط ثم قام فى قبته يصلى لانه كان صلى الله عليه وسلم إذا أحزنه أمر فزع إلى الصلاة ثم خرج ﷺ من قبته فقال هذه خيل المشركين تطيف بالخندق ثم نادى يا عباد بن بشر

قال لبيك قال هل معك أحد قال نعم أنا فى نفر حول قبتك يارسول الله وكان عباد ألزم الناس لقبة رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرسها فبعثه ﷺ يطيف بالخندق وأعلمه بان خيل المشركين تطيف بهم ثم قال اللهم ادفع عنا شرهم وانصرنا عليهم لا يغلبهم غيرك وإذا أبو سفيان فى خيل يطيفون بمضيق من الخندق فرماهم المسلمون حتى رجعوا ثم ان نعيم بن مسعود الأشجعى رضى الله عنه أسلم وكتم اسلامه وأتى رسول الله  صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انى أسلمت وان قومى لم يعلموا باسلامى فمرنى بما شئت وفى رواية ان نعيما لما سارت الاحزاب سار مع قومه غطفان وهو على دينهم فقذف الله فى قلبه الاسلام فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المغرب والعشاء فوجده يصلى فلما رآه جلس ثم قال له النبى صلى الله عليه وسلم ماجاء بك يانعيم قال جئت أصدقك وأشهد أن ماجئت به حق فاسلم ثم قال يارسول الله ان قومى لم يعلموا باسلامى فمرنى بما شئت فقال له صلى الله عليه وسلم انما أنت رجل واحد فخذل عنا فان الحرب خدعة بفتح الخاء وسكون الدال وبضم الخاء أيضا مع سكون الدال وضمها أى ينقضى أمرها بالمخادعة ففيه التحذير من مكر الكافرين وانه لا ينبغى التهاون بهم والندب الى خداع الكفار وان من لم يتيقظ لذلك لم يأمن ان ينعكس الأمر عليه وفى الحديث أيضا الاشارة الى استعمال الرأى فى الحرب بل الاحتياج اليه آكد من الشجاعة فلذا اقتصر الحرب على الخدعة فى لما
قوله فان الحرب خدعة فهو كقوله الحج عرفة ثم قال نعم يارسول انى أقول أى مايقتضيه الحال وان كان خلاف الواقع فقال قل مابدالك فانت فى حل فخرج نعيم حتى أتى بنى قريظة وكان لهم نديما قال فلما رأونى رحبوا بى وعرضوا على الطعام والشراب فقلت انى لم آت لشىء من هذا انما جئتكم تخوفا عليكم لاشير عليكم برأيى يابنى قريظة قد عرفتم ودى اياكم وخاصة مابينى وبينكم قالوا اصدقت

وسلم قال يوما لعلى كرم الله تعالى وجهه من أشقى الأولين فقال على الذى عقر الناقة يارسول الله قال فمن أشقى الآخرين قال على لاعلم لى يارسول الله قال الذى يضربك على هذه وأشار إلى يافوخه وكان كما أخبر ﷺ فهو من أعلام نبوته فانه لما كان شهر رمضان سنة أربعين صار يفطر ليلة عند الحسن وليلة عند الحسين وليلة عند عبد الله بن جعفر لا يزيد فى أكله على ثلاث لقم ويقول أحب أن ألقى الله وأنا خميص فلما كانت الليلة التى ضرب صبيحتها أكثر الخروج والنظر إلى السماء وجعل يقول والله انها الليلة التى وعدت فلما كان وقت السحر وأذن المؤذن بالصلاة خرج إلى المسجد فاقبل الاوز الذى فى داره يصحن فى وجهه فمنعهن بعض نساء أهل بيته فقال دعوهن فانهن نوائح فلما دخل المسجد أقبل ينادى الصلاة الصلاة فشد عليه عبد الرحمن بن ملجم المرادى لعنه الله من طائفة الخوارج فضربه الضربة التى أخبر بها ﷺ وعند ذلك شد عليه الناس من كل جانب فطرح عليه رجل قطيفة ثم طنبوه وأخذ السيف منه وقالوا له ياأمير المؤمنين خل بيننا وبين مراد يعنون قبيلة الرجل الذى ضربه فقال لا ولكن احبسوا الرجل فان أنا مت فاقتلوه وان أعش فالجروح قصاص فحبس فلما مات رضى الله تعالى عنه غسله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر ومحمد بن الحنفية يصب الماء وكفن فى ثلاثة أثواب بيض ليس فيها قميص ولا عمامة وصلى عليه الحسن وكبر عليه سبعا ودفن ليلا قيل بدار الامارة بالكوفة وقيل بغير ذلك وأخفى قبره لئلا تنبشه الخوارج وقيل حملوه على بعير ليدفنوه مع رسول الله ﷺ فبينما هم فى مسيرهم ليلا إذ ندا البعير الذى عليه فلم يدر أين ذهب ومن الناس من يزعم انه انتقل إلى السماء وانه الآن فى السحاب ولما أصيب كرم الله وجهه دعا الحسن والحسين رضى الله تعالى عنهما فقال لهما أوصيكما بتقوى الله ولا تبغيا الدنيا ولا تبكيا على شىء زوى منها عنكما وقولا الحق فلا تأخذكما فى الله لومة لائم ثم نظر إلى ولده محمد بن الحنفية فقال هل حفظت ماأوصيت به أخويك فقال نعم فقال أوصيك بمثله وأوصيك بتوقير أخويك لعظم حقهما عليك ولا تزين أمرا دونهما ثم قال أوصيكما به فانه أخوكما وابن أبيكما وقد علمتما ان أباكما كان يحبه ثم لم ينطق الا بلا إله إلا الله الى ان قبض فلما قبض أخرج الحسن رضى الله عنه ابن ملجم من الحبس وقتله (أقول) ذكر بعضهم عن المبرد قال ابن ملجم لعلى كرم الله تعالى وجهه انى اشتريت سيفى هذا بالف وسممته بالف وسألت الله تعالى أن يقتل به شر خلقه فقال على قد أجاب الله دعوتك ياحسن اذا أنا مت فاقتله بسيفه ففعل به الحسن ذلك ثم أحرقت جثته وقد ذكر انه قطعت أطرافه وجعل فى قوصرة وأحرقوه بالنار (وقد ذكر) ان عليا قال يوما وهو مشير لابن ملجم هذا والله قاتلى فقيل له ألا تقتله فقال من يقتلنى وتبع الأصل فى كون تكنيته على بابى تراب فى هذه الغزوة شيخه الدمياطى واعترضه فى الهدى بانه ﷺ انما كناه بذلك بعد نكاح فاطمة رضى الله تعالى عنها فانه ﷺ دخل عليها يوما وقال أين ابن عمك قالت خرج مغاضبا فجاء الى المسجد فوجده مضطجعا فيه وقد لصق به التراب فجعل ينفضه عنه ويقول اجلس أباتراب وقيل انما كناه أباتراب لانه كان إذا غضب على فاطمة فى شىء لم يكلمها ولم يقل

لها شيئا تكرهه إلا أنه يأخذ ترابا فيضعه على رأسه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى التراب على رأسه عرف أنه عاتب على فاطمة قال فى النور يجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم خاطبه بهذه الكنية مرتين أى و يكون سبب الكنية علوق التراب به و كونه يضعه على رأسه والله أعلم

## ﴿ غزوة سفوان ﴾

و يقال لها غزوة بدر الأولى وحين قدم صلى الله عليه وسلم من غزوة العشيرة لم يقم بالمدينة الا ليالى لم تبلغ العشرة حتى غزا وخرج خلف كرز بن جابر الفهرى وقد أغار قبل أن يسلم على سرح المدينة أى النعم والمواشى التى تسرح للرعى بالغداة خرج فى طلبه حتى بلغ واديا يقال له سفوان بالمهملة والفاء ساكنة وقيل مفتوحة من ناحية بدر أى ولذا قيل لها غزوة بدر الاولى وفاته صلى الله عليه وسلم كرز ولم يدركه وكان قد استعمل على المدينة زيد بن حارثة وحمل اللواء وكان أبيض على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وقد تبعت الأصل فى تقديم غزوة العشيرة على غزوة سفوان لما تقدم وهو عكس مافى سيرة الشامى الموافق لسيرة الدمياطى ولما فى الامتاع والله أعلم

## ﴿ باب تحويل القبلة ﴾

وحولت القبلة فى شهر رجب من السنة المذكورة التى هى الثانية فى نصفه وقيل فى نصف شعبان قال بعضهم وعليه الجمهور الأعظم وقيل كان فى جمادى الآخرة أى فقد قيل إنه صلى الله عليه وسلم صلى فى المدينة الى بيت المقدس ستة عشر شهرا وقيل سبعة عشر شهرا وقيل أربعة عشر شهرا وقيل غير ذلك وتقدم أنه ﷺ صلى فى مسجده بعد تمامه إلى بيت المقدس خمسة أشهر والأكثرون على أن تحويلها كان فى صلاة الظهر وقيل العصر أى وفى الصحيحين عن البراء أن أول صلاة صلاها رسول الله ﷺ أى للكعبة صلاة العصر وقد يقال لا منافاة لجواز أن يكون المراد أول صلاة صلاها كلها للكعبة صلاة العصر لأن الظهر صلى نصفها الأول لبيت المقدس ونصفها الثانى للكعبة ثم رأيت الحافظ ابن حجر فعل كذلك حيث قال التحقيق أن أول صلاة صلاها بالمسجد النبوى صلاة العصر وأن التحويل فى العصر كان فى محل آخر للأنصار أى وهم بنو حارثة وقيل حولت فى صلاة الصبح وهو محمول على أن ذلك كان فى قباء لأن الخبر لم يبلغهم إلا حينئذ كما سيأتى وانما حولت لأنه صلى الله عليه وسلم كان يعجبه أن تكون قبلته الكعبة سيما لما بلغه أن اليهود قالوا يخالفنا محمد و يتبع قبلتنا أى وفى لفظ قالوا للمسلمين لو لم نكن على هدى ما صليتم لقبلتنا فاقتديتم بنا فيها وفى لفظ كان يحب أن يستقبل الكعبة محبة لموافقة ابراهيم واسمعيل عليهما الصلاة والسلام وكراهة لموافقة اليهود ولقول كفار قريش للمسلمين لم تقولون نحن على ملة ابراهيم وأنتم تتركون قبلته وتصلون إلى قبلة اليهود أى ولأنه لما هاجر صار إذا استقبل صخرة بيت المقدس يستدبر الكعبة فشق ذلك عليه صلى الله عليه وسلم فقال لجبريل وددت أن الله سبحانه وتعالى صرفنى عن قبلة اليهود فقال جبريل انما أنا عبد لا أملك لك

لست عندنا بمتهم فقال لهم اكتموا عنى قالوا نفعل قال لقد رأيتم ماوقع لبنى قينقاع ولبنى النضير من اجلائهم وأخذ أموالهم وإن قريشا وغطفان ليسوا كأنتم البلد بلدكم وبها نساؤكم وأموالكم وأبناؤكم لا تقدرون على أن ترحلوا منه الى غيره وإن قريشا وغطفان قد جاؤا لحرب محمد وأصحابه وقد ظاهرتموهم أى عاونتموهم عليهم و بلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره فليسوا كأنتم فان رأوا نهزة أى فرصة أصابوها وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين بلادكم والرجل ببلدكم ولا طاقة لكم به ان خلا بكم فلا تقاتلوا معهم حتى تأخذوا منهم رهنا من اشرافهم سبعين رجلا يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن يقاتلوا معكم محمدا حتى يناجزوه أى يقاتلوه قالوا لقد أشرت بالرأى والنصح ودعوا له وشكروا وقالوا نحن فاعلون قال ولكن اكتموا على قالوا نفعل ثم خرج حتى أتى قريشا فقال لأبى سفيان ومن معه من اشراف قريش قد عرفتم ودى لكم وفراقى لمحمد وانه قد بلغنى أمر قد رأيت ان أبلغكموه نصحا لكم فاكتموا على قالوا نفعل قال تعلمون ان معشر يهود بنى قريظة قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد من نقض عهده وقد أرسلوا اليه وأنا عندهم انا قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك انا نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم أى سبعين رجلا فنعطيك اياهم فتضرب أعناقهم وترد جناحنا الذى كسرت الى ديارنا يعنون بنى النضير ثم نكون معك على من بقى منهم حتى نستأصلهم فأرسل اليهم نعم فان بعثت اليكم يهود يلتمسون منكم رهنا من رجالكم فلا تدفعوا اليهم رجلا واحدا واحذروهم على أسراركم ولكن اكتموا عنى ولا تذكروا هذا الأمر قالوا لا نذكره ثم خرج حتى أتى غطفان فقال يامعشر غطفان انكم أهلى وعشيرتى وأحب الناس لى ولا أراكم تتهمونى قالوا صدقت ما أنت عندنا بمتهم قال فاكتموا على قالوا نعم ثم قال لهم مثل ماقال لقريش وحذرهم فلما

كان ليلة السبت أرسل أبو سفيان ورءوس غطفان إلى بنى قريظة عكرمة بن أبى جهل فى نفر من قريش وغطفان فقالوا لهم انا لسنا
بدار مقام وقد هلك الخف والحافر فأعدوا للقتال حتى نناجز أى نقاتل محمدا ونفرغ مما بيننا وبينه فقالوا لهم ان اليوم أى الذى يلى
هذه الليلة يوم السبت وقد علمتم ما نال منا من تعدى فى السبت ومع ذلك فلا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا سبعين رجلا فقال صدق
والله نعيم وفى رواية أن بنى قريظة أرسلت لقريش قبل مجىء رسل قريش اليهم رسولا يقول لهم ماهذا التوانى والرأى
أن تتواعدوا على يوم
يكونون معكم فيه لكنكم
لاتخرجوا حتى ترسلوا
اليهم رهنا سبعين رجلا
من أشرافكم فانهم
يخافون إن أصابكم
ما تكرهون رجعتم
وتركتموهم فلم ترد لهم
قريش جوابا وجاءهم
نعيم وقال لهم كنت عند
أبى سفيان وقد جاءه
رسولكم فقال لو طلبوا
منى عناقا ما دفعتها لهم
فاختلفت كلمتهم وجاء
حيى بن أخطب لبنى
قريظة فلم يجد منهم
موافقة له وقالوا لانقاتل
معهم حتى يدفعوا الينا
سبعين رجلا من قريش
وغطفان رهنا عندنا
وخذل الله بينهم وبعث
الله عليهم الريح أى ريح
الصبا فى ليال شديدة
البرد فأكفأت قدورهم
وطرحت آنيتهم وقلعت
بيوتهم وقطعت أطنابهم
وصارت الريح تلقى الرجال
على أمتعتهم وفى رواية
دفنت الرجال وأطفأت
نيرانهم وأرسل الله عليهم
ملائكة تزلزلهم قال الله تعالى فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها ولم تقاتل الملائكة بل نفثت
فى روعهم الرعب قال صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور وفى لفظ نصر الله المسلمين بالريح وكانت ريحا صفراء
ملأت عيونهم ودامت عليهم واشتدت عليهم فى ليلة باردة مع أصوات مثل الصواعق ولم تجاوز عسكر المشركين أى لم تجاوز شدة ذلك
عسكر المشركين وكانت تلك الليلة شديدة الظلمة بحيث لا يرى الشخص أصبعه إذا مدها فجعل المنافقون يستأذنون ويقولون إن

---

شيئا إلا ما أمرت به فادع الله تعالى فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الله تعالى ويكثر إذا صلى
إلى بيت المقدس من النظر إلى السماء ينتظر أمر الله تعالى أى لأن السماء قبلة الدعاء وفى رواية أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل وددت أنك سألت الله تعالى أن يصرفنى إلى الكعبة فقال جبريل
لست أستطيع أن أبتدىء الله جل وعز بالمسئلة ولكن إن سألنى أخبرته وخرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم زائرا أم بشر بن البراء بن معرور فى بنى سلمة فصنعت له طعاما وحانت صلاة الظهر فصلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه فى مسجد هناك فلما صلى ركعتين نزل جبريل فأشار اليه أن
صل الى الكعبة واستقبل الميزاب فاستدار رسول الله ﷺ إلى الكعبة أى فاستدار النساء مكان
الرجال والرجال مكان النساء أى فقد تحول من مقدم المسجد إلى مؤخره لأن من استقبل الكعبة فى
المدينة يلزم أن يستدبر بيت المقدس أى كما أن من يستقبل بيت المقدس يستدبر الكعبة وهو صلى الله
عليه وسلم لو دار كما هو مكانه لم يكن خلفه مكان يسع الصفوف قيل وكان ذلك وهم راكعون وفيه ان
هذا يستدعى عملا كثيرا فى الصلاة وهو مفسد لها عندنا إذا توالى وقد يقال لا مانع لجواز أن يكون
ذلك قبل تحريم العمل الكثير فى الصلاة أو ان هذا العمل لم يكن على التوالى (أقول) وبدخوله أى على
أم بشر ﷺ وعلى الربيع بنت معوذ بن عفراء وعلى أم حرام بنت ملحان وعلى أختها أم سليم
والخلوة بكل منهن فقد كانت أم حرام بنت ملحان تفلى رأسه الشريفة وينام عندها استدل أن من
خصائصه صلى الله عليه وسلم جواز النظر إلى الأجنبية والخلوة بها لأمنه الفتنة كما سيأتى والله أعلم
وسمى ذلك المسجد مسجد القبلتين وقيل كانت تلك الصلاة التى هى صلاة الظهر التى وقع التحول فيها
فى مسجده ﷺ فخرج عباد بن بشر وكان صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومر على قوم
من الأنصار يصلون العصر وهم راكعون فقال أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
قبل البيت يعنى الكعبة ثم بلغ أهل قباء ذلك وهم فى صلاة الصبح فى اليوم الثانى أى وهم ركوع وقد
ركعوا ركعة فنادى مناد ألا إن القبلة قد حولت إلى الكعبة فتحولوا اليها أى وفى البخارى بينا الناس
بقباء فى صلاة الصبح إذ جاءهم آت فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه الليلة قرآن
وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها فاستداروا الى الكعبة وفى مسلم بدل صلاة الصبح صلاة
الغداة قال الحافظ ابن حجر وهو أحد أسمائها وقد نقل بعضهم كراهة تسميتها بذلك ولم ينقل أنهم أمروا
بقضاء العصر والمغرب والعشاء ولا اعادة الركعة التى صلوها من الصبح وهو دليل على أن الناسخ لا يلزم
حكمه الا بعد العلم به وان تقدم نزوله وعلى أنه يجوز ترك الأمر المقطوع به وهو استقبال بيت المقدس الى أمر
مظنون وهو خبر الواحد وأجيب عن هذا الثانى بأن الخبر المذكور احتفت به قرائن أفادت القطع عندهم
بصدق المخبر فلم يتركوا الأمر المعلوم إلا لأمر معلوم أيضا على أنه يجوز نسخ المتواتر بالآحاد لأن محل
النسخ الحكم ودلالة المتواتر عليه ظنية كما تقرر فى محله ويقال إن المبلغ لهم عباد بن بشر أيضا فيكون
عباد أتى بنى حارثة أولا فى صلاة العصر ثم توجه إلى أهل قباء فأعلمهم بذلك فى وقت الصبح والقرآن

الذى

بيوتنا عورة أي من العدو لانها خارج المدينة وحيطانها قصيرة يخشى عليها السرقة فأذن لنا نرجع الى نسائنا وأبنائنا وذرارينا فيأذن صلى الله عليه وسلم لهم قيل ولم يبق معه تلك الليلة إلا ثلثمائة وكان رجوع المنافقين فرارا كما قال الله تعالى يقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة ان يريدون إلا فرارا وأما المؤمنون الصادقون فمن رجع منهم إنما رجع لألم البرد والجوع الشديدين أو الخوف الحقيقي على بيوتهم أو لفهمهم عدم التغليظ في ذهاب من يذهب فكشفوا حال بيوتهم ثم رجعوا ثم قال صلى الله عليه وسلم من يأتينا بخبر القوم فقال الزبير أنا يارسول الله قال ذلك ثلاثا والزبير رضي الله عنه يجيبه بما ذكر فقال صلى الله عليه وسلم لكل نبي حواري أي ناصر وان حواري الزبير وهذا قاله صلى الله عليه وسلم له ايضا عند ارساله لكشف خبر بني قريظة هل نقضوا العهد أم لا كما تقدم وسيأتي قوله له ذلك أيضا في خيبر وجاء في حديث آخر حواري من الرجال الزبير ومن النساء عائشة رضي الله عنهما وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال أي رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع وأسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة وفي لفظ يكون معي يوم القيامة وفي لفظ يكون رفيق ابراهيم يوم القيامة قال ذلك ثلاثا فما قام أحد من شدة الجوع والبرد فدعا حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما وأرسله كما يأتي ولم يرسل الزبير رضي الله عنه مع سؤاله ذلك ثلاثا لأن له حدة وشدة لا يملك معها نفسه أن يحدث بالقوم شيئا مما نهى عنه حذيفة فيما يأتي فاختار ارسال حذيفة لذلك هذا هو التحقيق عند أئمة السير وهو أن المرسل إنما هو حذيفة رضي الله عنه ونسب بعضهم الارسال الى الزبير رضي الله عنه وهو اشتباه وانما ارسال الزبير رضي الله عنه في كشف خبر بني قريظة لما نقضوا العهد كما تقدم قال حذيفة رضي الله عنه لما دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أجد بدا من القيام حيث نوه باسمه فجئته صلى الله عليه وسلم فقال تسمع كلامي

---

الذي نزل قوله تعالى قد نرى تقلب وجهك في السماء الآيات أي والى هذا يشير بعضهم بقوله

كم للنبي المصطفى من آية * غراء حار الفكر في معناها

لما رأى الباري تقلب وجهه * ولاه أيمن قبلة يرضاها

وعن عمارة بن أوس الأنصاري قال صلينا احدى صلاتي العشي أي وهما الظهر والعصر فقام رجل على باب المسجد ونحن في الصلاة فنادى ان الصلاة قد وجهت نحو الكعبة فتحول أمامنا نحو الكعبة وقوله تعالى قد نرى تقلب وجهك في السماء أي متطلعا نحو الوحي ومتشوقا للأمر باستقبال الكعبة فلنولينك أي نحولنك قبلة ترضاها أي تحبها فول وجهك شطر المسجد الحرام أي ونحوه والمراد بالمسجد الحرام الكعبة وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق أي الرجوع الى الكعبة الحق من ربهم أي لما في كتبهم من نعته صلى الله عليه وسلم بأنه يتحول الى الكعبة (أقول) ولعل هذه القصة التي رواها عمارة هي التي رويت عن رافع بن خديج قال أتانا آت ونحن نصلي في بني عبد الأشهل فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر أن يوجه الى الكعبة فدار امامنا الى الكعبة ودرنا معه والله أعلم (واجتمع قوم) من كبار اليهود وجاؤا اليه صلى الله عليه وسلم وقالوا له يا محمد ما ولاك عن قبلتك التي كنت عليها وأنت تزعم أنك على ملة ابراهيم ودينه أي وما كنت عليه قبلة ابراهيم وهذا بناء على دعواهم أن بيت المقدس كان قبلة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كما سيأتي عنهم وسيأتي ما فيه ثم قالوا ارجع الى قبلتك التي كنت عليها نتبعك ونصدقك وانما يريدون بذلك فتنته ليعلم الناس أنه صلى الله عليه وسلم في حيرة من أمره أي واختبارا لما يجدونه في نعته ﷺ من أنه يرجع عن استقبال بيت المقدس الى استقبال الكعبة وأنه لا يرجع عن تلك القبلة وفي رواية أنهم قالوا للمسلمين ما صرفكم عن قبلة موسى ويعقوب وقبلة الأنبياء أي ويوافقه قول الزهري لم يبعث الله منذ هبط آدم عليه السلام الى الارض نبيا الا جعل قبلته صخرة بيت المقدس ويوافق هذا ظاهر قول الامام السبكي رحمه الله تعالى في تائيته

وصليت نحو القبلتين تفردا * وكل نبي ماله غير قبلة

قال شارحها يشير الى أن كل نبي كانت قبلته بيت المقدس وهو صلى الله عليه وسلم قد شاركهم فيها أي واختص بالكعبة ومن ثم جاء في التوراة في وصفه صلى الله عليه وسلم صاحب القبلتين وفيه أن قبلة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم انما هي الكعبة فعن أبي العالية كانت الكعبة قبلة الأنبياء وكان موسى يصلي الى صخرة بيت المقدس وهي بينه وبين الكعبة ومثل هذا لا يقال الا عن توقيف أي ويقال بمثل هذا فيما تقدم عن اليهود وعن الزهري على تسليم صحته من أن صخرة بيت المقدس كانت قبلة لجميع الأنبياء انهم كانوا يصلون اليها ويجعلونها بينهم وبين الكعبة فلا مخالفة لا يقال هذا ليس أولى من العكس أي ان استقبال الأنبياء للكعبة إنما كانوا يجعلونها بينهم وبين صخرة بيت المقدس لأنا نقول قد ذكر في الأصل في تفسير قوله تعالى ليكتمون الحق وهم يعلمون الحق من ربك أي يكتمون

منذ الليلة ولا نقوم فقلت والذى بعثك بالحق ان قدرعت أى ماقدرت على مابى من الجوع والخوف والبرد فقال اذهب حفظك الله
من أمامك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك حتى ترجع الينا قال حذيفة رضى الله عنه فلم يكن لى بد من الذهاب فقمت مستبشرا
بدعائه فما شق على شىء مما كان وقال ياحذيفة اذهب فادخل فى القوم وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم لما كرر قوله ألا رجل
يأتينى بخبر القوم يكون معى يوم القيامة ولم يجبه أحد قال أبو بكر رضى الله عنه يارسول الله حذيفة بن اليمان
قال حذيفة رضى الله عنه
فمر على رسول الله صلى
الله عليه وسلم وما على الا
مرط لامرأتى مايجاوز
ركبتى وأنا جاث على ركبتى
فقال من هذا فقلت حذيفة
فقال صلى الله عليه وسلم
حذيفة قال حذيفة
فتقاصرت بى الارض قلت
بلى يارسول الله قال قم
فقمت فقال إنه كان فى
القوم خبر فأتنى بخبرهم
فقلت والذى بعثك بالحق
ماقمت إلا حياء منك من
البرد قال لابأس عليك
من حر ولا برد حتى ترجع
الى فقلت والله مابى ان
أقتل ولكن أخشى أن
أوسر فقال انك لن تؤسر
اللهم احفظه من بين
يديه ومن خلفه وعن
يمينه وعن شماله ومن
فوقه ومن تحته قال
حذيفة فمشيت كأنى فى
حمام وفى رواية فاذهب
الله عنى القر أى البرد
والفزع أى الخوف وفى
رواية فوالله ماخلق الله
تعالى فى جوفى قرا ولا
فزعا الا خرج وماوجدت
منه شيئا وخرجت كأنما أمشى فى حمام فلما وليت دعانى فقال لى لاتحدث شيئا وفى رواية لاترم بسهم ولا حجر جميعا
ولا تضربن بسيف حتى تأتينى بخبرهم والريح وجنود الله تفعل بهم ماتفعل لاتقر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء فدخلت فى غمارهم
فسمعت أباسفيان يقول يامعشر قريش ليعرف كل امرىء جليسه واحذروا الجواسيس والعيون فاخذت بيد جليس لى على يمينى
وقلت من أنت قال معاوية بن أبى سفيان وقبضت بيدى على من على يسارى وقلت من أنت قال عمرو بن العاص فعلت ذلك خشية

ماعلموا من أن الكعبة هى قبلة الأنبياء أى المقصودة بالاستقبال لانهم يستقبلونها لأجل صخرة
بيت المقدس (وذكر عن بعضهم) أن اليهود لم تجد كون الصخرة قبلة فى التوراة وانما كان تابوت السكينة
على الصخرة فلما غضب الله على بنى اسرائيل رفعه فصلوا الى الصخرة بمشاورة منهم أى وادعوا أنها
قبلة الأنبياء وما تقدم عن الزهرى تقدم الجواب عنه ثم قالوا والله إن أنتم الا قوم تفتنون فأنزل الله تعالى
سيقول السفهاء من الناس ماولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب أى الجهات
كلها فيأمر بالتوجه إلى أى جهة شاء لااعتراض عليه يهدى من يشاء الى صراط مستقيم أى فكان أول
ما نسخ أمر القبلة فعن ابن عباس أول ما نسخ من القرآن فيما ذكر لنا والله أعلم شأن القبلة فاستقبل
صلى الله عليه وسلم بيت المقدس أى بمكة والمدينة ثم صرفه الله تعالى الى الكعبة أى وأما قوله تعالى
فأينما تولوا فثم وجه الله فمحمول على النفل فى السفر اذا صلى حيث توجه وما قيل ان سبب نزولها
ماذكره بعض الصحابة قال كنا فى سفر فى ليلة مظلمة فلم ندر أين القبلة فصلى كل منا على حياله فلما
أصبحنا ذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت ففيه نظر لضعف الحديث أو هو محمول على
ما إذا صلوا باجتهاد أى ولما توجه صلى الله عليه وسلم الى الكعبة قال المشركون من أهل مكة توجه
محمد بقبلته اليكم وعلم أنكم كنتم أهدى منه ويوشك أى يقرب أن يدخل فى دينكم ومن ثم ارتد جماعة
وقالوا مرة ههنا ومرة ههنا (ولما حولت القبلة) الى الكعبة أتى رسول الله ﷺ مسجد قباء
فقدم جدار المسجد موضعه الآن وقالت الصحابة له يارسول الله لقد ذهب منا قوم قبل التحول فهل
يقبل منا ومنهم فأنزل الله تعالى قوله وما كان الله ليضيع ايمانكم أى صلاتكم إلى بيت المقدس وذكر
فى الأصل أن الصحابة قالوا امات قبل أن تحول قبل البيت رجال وقتلوا أى وهم عشرون ثمانية عشر من
أهل مكة واثنان من الأنصار وهما البراء بن معرور وأسعد بن زرارة ( ) فلم ندر ما نقول فيهم فأنزل
الله تعالى وما كان الله ليضيع إيمانكم الآية ولفظة القتل وقعت فى البخارى وأنكرها الحافظ ابن حجر
فقال ذكر القتل لم أره إلا فى رواية زهير وباقى الروايات انما فيها ذكر الموت فقط ولم أجد فى شىء من
الأخبار ان أحدا من المسلمين قتل قبل تحويل القبلة لكن لايلزم من عدم الذكر عدم الوقوع فان كانت
هذه اللفظة محفوظة فتحمل على أن بعض المسلمين ممن لم يشتهر قتل فى تلك المدة فى غير الجهاد ثم قال
وذكر لى بعض الفضلاء أنه يجوز أن يراد من قتل بمكة من المستضعفين كأبوى عمار فقلت يحتاج الى
ثبوت أن قتلهما كان بعد الاسراء هذا كلام الحافظ وفيه أن الركعتين اللتين كان يصليهما هو والمسلمون
بالغداة وبالعشى قبل فرض الصلوات الخمس كانتا لبيت المقدس فقد تقدم أنه كان يصلى هو
وأصحابه الى الكعبة ووجوههم الى بيت المقدس فكانوا يصلون بين الركنين اليمانى والذى عليه
الحجر الأسود لأجل استقبال بيت المقدس وتقدم أنه ﷺ لم يلزم ذلك بل كان فى بعض
الأوقات يصلى الى الكعبة فى أى جهة أراد ثم لما قدم المدينة صار يستقبل بيت المقدس ويستدبر
الكعبة إلى وقت التحويل ومن ثم قال فى الأصل ولما كان صلى الله عليه وسلم يتحرى القبلتين

أن يفطن بى فقال أبو سفيان يامعشر قريش والله انكم لستم بدار مقام وقد هلك الكراع والخف واخلفتنا بنو قريظة و بلغنا عنهم
الذى نكره ولقينا من هذه الريح ما ترون فارتحلوا فانى مرتحل ووثب على جمله فما حل عقاله إلا وهو قائم أى فانه لما ركبه كان معقولا
فلما ضربه وثب على ثلاث قوائم ثم حل عقاله فقال له عكرمة بن أبى جهل انك رأس القوم وقائدهم تذهب وتترك الناس فاستحيا
أبو سفيان وأناخ جمله وأخذ بزمامه وجعل يقوده و يقول ارحلوا فجعل الناس  يرحلون وهو قائم ثم قال لعمرو بن
العاص رضى الله عنه
ياأبا عبدالله تقيم فى جريدة
من الخيل بازاء محمد
وأصحابه فانا لانأمن من
أن نطلب فقال عمرو أنا
أقيم وقال لخالد بن الوليد
ماترى أبا سليمان فقال
أنا أيضا أقيم فأقام عمرو
وخالد فى مائتى فارس وسار
جميع العسكر قال حذيفة
رضى الله عنه ولولا عهد
رسول الله صلى الله عليه
وسلم إلى حين بعثنى أن
لا أحدث شيئا لقتلته يعنى
أبا سفيان بسهم وسمعت
غطفان بما فعلت قريش
فاشتدوا راجعين إلى
بلادهم وفى رواية عن
حذيفة رضى الله عنه
فدخلت العسكر فاذا
الناس فى عسكرهم يقولون
الرحيل الرحيل لامقام
لكم والريح تقلبهم على
بعض أمتعتهم وتضربهم
بالحجارة لاتجاوز عسكرهم
فلما انتصفت الطريق
إذا أنا بنحو عشرين فارسا
معتمين فخرج إلى منهم
فارسان وقالا أخبر
صاحبك ان الله كفاه
القوم قال حذيفة رضى الله عنه ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدته قائما يصلى فاخبرته الخبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه
وفى رواية فضحك حتى بدت ثناياه فى سواد الليل وعاودنى البرد وجعلت اقرقف فاومأ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فدنوت
منه فسدل على من فضل شملته فنمت ولم أزل نائما حتى الصبح أى طلوع الفجر فلما أصبحت أى دخل وقت صلاة الصبح قال
لى رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يانومان أى يا كثير النوم وانما جاءه البرد بعد رجوعه لأن النبى صلى الله عليه وسلم انما قال له

---

جميعا أى يجعل الكعبة بينه و بين بيت المقدس ولم يتبين توجهه إلى بيت المقدس للناس حتى خرج من
مكة أى فانه استدبر الكعبة واستقبل بيت المقدس فقول ابن عباس لما هاجر رسول الله صلى الله
عليه وسلم إلى المدينة واليهود يستقبلون بيت المقدس أمره الله تعالى أن يستقبل بيت المقدس
معناه أمره الله أن يستمر على استقبال بيت المقدس وهذا هو المراد بقوله الذى نقله بعضهم عنه وهو
انه صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا يصلون بمكة إلى الكعبة فلما هاجروا أمره الله تعالى أن يصلى نحو
صخرة بيت المقدس أى يستمر على ذلك و يستدبر الكعبة ثم أمره الله باستقبال الكعبة واستدبار
بيت المقدس فلم يقع النسخ مرتين كما قد يفهم من ظاهر السياق ومن قول ابن جرير صلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم أول ما صلى إلى الكعبة ثم صرف إلى بيت المقدس وهو بمكة فصلى ثلاث حجج ثم هاجر فصلى
اليه ثم وجهه الله تعالى إلى الكعبة هذا كلامه ومن ثم قال الحافظ ابن حجر هذا ضعيف و يلزم منه
دعوى النسخ مرتين قيل وكان أمره بمداومة استقبال بيت المقدس ليتألف أهل الكتاب لأنه كان
ابتداء الأمر يحب أن يتألف أهل الكتاب فيما لم ينه عنه فلا يخالف ماسبق من انه كان يحب أن يستقبل
الكعبة كراهة لموافقة اليهود فى استقبال بيت المقدس ولا يخالف هذا قول بعضهم كان صلى الله عليه وسلم قبل فتح
مكة يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم ينه عنه و بعد الفتح يحب مخالفتهم لجواز أن يكون ذلك
أغلب أحواله وقد يؤخذ من أن استدامة استقباله لبيت المقدس كان لتألف أهل الكتاب جواب
عما يقال إذا كانت الكعبة قبلة الانبياء كلهم فلم وفق الى استقبال بيت المقدس وهو بمكة بناء على
ان صلاته لبيت المقدس وهو بمكة كانت باجتهاد وحاصل الجواب انه أمر بذلك أو وفق اليه لانه
سيصير إلى قوم قبلتهم بيت المقدس ففيه تأليف لهم وقد يوافقه ما فى الأصل عن محمد بن كعب القرظى قال
ماخالف نبى نبيا قط فى قبلة الا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استقبل بيت المقدس أى فهو مخالف لغيره من
الانبياء فى ذلك وهذا موافق لما تقدم عن أبى العالية كانت الكعبة قبلة الانبياء أى ثم فى السنة
المذكورة التى هى الثانية فرض صوم رمضان وفرضت زكاة الفطر وطلبت الاضحية أى استحبابا
(وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه) فرض شهر رمضان بعد ما صرفت القبلة إلى الكعبة بشهر
فى شعبان أى على ما تقدم وكان صلى الله عليه وسلم يصوم هو وأصحابه قبل فرض رمضان ثلاثة أيام من
كل شهر أى وهى الأيام البيض وهى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر قيل وجوبا فعن ابن
عباس رضى الله تعالى عنهما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لايفطر الأيام البيض فى حضر ولا سفر
وكان يحث على صيامها وقيل كان الواجب عليه صلى الله عليه وسلم قبل فرض رمضان صوم عاشوراء
ثم نسخ ذلك بوجوب رمضان وعاشوراء هو اليوم العاشر من شهر الله المحرم ففى البخارى ثم عن
ابن عمر رضى الله عنهما صام النبى صلى الله عليه وسلم عاشوراء فلما فرض رمضان ترك صوم
عاشوراء هذا والمشهور من مذهبنا معاشر الشافعية انه لم يجب على هذه الامة صوم قبل رمضان
وحديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لا دلالة فيه على الوجوب لجواز أن يكون شأنه صلى الله عليه

لا بأس عليك من حر ولا برد حتى ترجع إلى وقد رجع وفى رواية عن حذيفة رضى الله عنه لما دخلت بينهم نظرت فى ضوء نار توقد
وإذا رجل أدهم ضخم يقول بيده على النار ويمسح خاصرته وحوله عصبته قد تفرق عنه الاحزاب وهو يقول الرحيل الرحيل ولم
أعرف أبا سفيان قبل ذلك فانتزعت سهما من كنانتى أبيض الريش لاضعه فى كبد القوس لارميه فى ضوء النار فذكرت قوله صلى
الله عليه وسلم لا تحدثن شيئا حتى تأتينى فامسكت ورددت سهمى فلما جلست فيهم أحس أبو سفيان أنه قد دخل



فيهم من غيرهم فقال
ليأخذ كل رجل منكم بيد
جليسه فضربت بيدى
على يد الذى عن يمينى
فقلت من أنت قال معاوية
ابن أبى سفيان ثم ضربت
بيدى على يد الذى عن
شمالى فقلت من أنت قال
عمرو بن العاص فعلت
ذلك خشية أن يفطن بى
فبدرتهم بالمسئلة ثم تلبثت
فيهم هنيهة فأتيت قريشا
أى بقية قريش وبنى
كنانة وقيسا وقلت ما أمرنى
به صلى الله عليه وسلم أى
فانه صلى الله عليه وسلم
قال له ادخل حتى تدخل
بين ظهرانى القوم فأت
قريشا فقل يا معشر قريش
إنما يريد الناس إذا كان
غدا ان يقال اين قريش
أين قادة الناس أين رؤس
الناس فيقدمونكم فتصلوا
القتال فيكون القتل فيكم
ثم ائت بنى كنانة فقل
إذا كان غدا فيقال أين
الرماة فيقدمونكم فتصلوا
القتال فيكون القتل فيكم
ثم ائت قيسا فقل
يا معشر قيس إنما يريد
الناس إذا كان غدا أن يقال اين احلاس الخيل أين الفرسان فيقدمونكم فتصلوا القتال
فيكون القتل فيكم ثم ذكر بقية ارتحالهم كما تقدم وفى البخارى من حديث عبد الله بن أبى أوفى رضى الله عنهما قال دعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم على الاحزاب فقال اللهم منزل الكتاب سريع الحساب أهزم الاحزاب اللهم أهزمهم وزلزلهم أي حتى
لا يثبتوا للقتال عند اللقاء بل تطيش عقولهم وترعد أقدامهم وقد استجاب الله لرسوله صلى الله عليه وسلم فارسل عليهم ريحا

وسلم صام تلك الأيام على الوجه المذكور حتى بعد فرض رمضان وحديث البخارى أيضا لا دلالة
فيه لجواز أن يكون تركه لصوم يوم عاشوراء فى بعض الأحايين بعد فرض رمضان خشية اعتقاد
وجوب صومه كرمضان ويجاب بمثل ذلك عما فى الترمذى عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت
كان عاشوراء يوما تصومه قريش فى الجاهلية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه موافقة
لهم أى ولم يأمر أحدا من أصحابه بصيامه فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه فلما فرض رمضان كان
رمضان هو الفريضة وترك عاشوراء فمن شاء صامه ومن شاء تركه أى ترك ﷺ صومه خوفا من
توهم انه فرض كرمضان وقولها رضى الله تعالى عنها فلما قدم المدينة صامه وامر بصيامه أى لأنه
صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة أى فى أيام قدومه للمدينة وذلك فى شهر ربيع الأول وجد اليهود
تصومه وتعظمه فسألهم عن ذلك فقالوا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه وأغرق فرعون وقومه
فصامه موسى شكرا فنحن نصومه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن أحق بموسى منكم
فصامه وأمر بصيامه كما جاء ذلك عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وفى كلام الحافظ ناصر الدين
عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قدم المدينة يوم عاشوراء فاذا اليهود صيام
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا قالوا هذا يوم أغرق الله تعالى فيه فرعون وأنجى فيه موسى
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أولى بموسى فأمر رسول الله ﷺ بصومه هذا حديث
صحيح أخرجه البخارى ومسلم والمدينة يحتمل أن المراد بها قباء ويحتمل أن المراد بها باطنها قال
ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فلما فرض رمضان قال ﷺ أى لاصحابه من شاء صامه ومن
شاء تركه أى قال ذلك لهم خشية اعتقادهم وجوب صومه كوجوب صوم رمضان وفى كونه صلى
الله عليه وسلم وجدهم صائمين لذلك اليوم اشكال لان يوم عاشوراء هو اليوم العاشر من شهر الله
المحرم كما تقدم أو هو اليوم التاسع منه كما يقول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فكيف يكون فى ربيع
الأول وأجيب بان السنة عند اليهود شمسية لا قمرية فيوم عاشوراء الذى كان عاشر المحرم واتفق فيه
غرق فرعون لا يتقيد بكونه عاشر المحرم بل اتفق فى ذلك الزمن أى زمن قدومه ﷺ وجود ذلك
اليوم بدليل سؤاله صلى الله عليه وسلم إذ لو كان ذلك اليوم يوم عاشوراء ما سأل ومما يدل على ذلك ما فى
المعجم الكبير للطبرانى عن خارجة بن زيد قال ليس يوم عاشوراء اليوم الذى تقوله الناس إنما كان
يوم تستر فيه الكعبة وتلعب فيه الحبشة عند رسول الله ﷺ وكان يدور فى السنة وكان الناس
يأتون فلانا اليهودى فيسألونه فلما مات اليهودى أتوا زيد بن ثابت فسألوه فصام صلى الله عليه
وسلم ذلك اليوم وأمر بصيامه حتى انه ارسل فى ذلك اليوم أسلم بن حارثة إلى قومه وهم أسلم وقال
مر قومك بصيام عاشوراء فقال أرأيت ان وجدتهم قد طعموا قال فليتموا أى يمسكوا تعظيما لذلك
اليوم (وفى دلائل النبوة) للبيهقى عن بعض الصحابيات قالت كان رسول الله ﷺ يعظم يوم عاشوراء
ولقد سمعت رسول الله ﷺ يدعو يوم عاشوراء بالرضعاء فيتفل فى أفواههم ويقول للأمهات
لا

وجنود افهزمهم الله حتى قال طليحة بن خويلد الأسدى أما محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجا النجا فانهزموا من غير قتال والى ذلك أشار سبحانه وتعالى بقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها الآية وكذا قوله تعالى ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا وتقدم أن بعض الصحابة رضى الله عنهم قالوا يارسول الله هل من شىء نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر فقال نعم  قولوا اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا قال أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه فضرب الله وجوه أعدائنا بالريح فهزمهم بالريح وكفى الله المؤمنين القتال فانصرف الكفار خائبين خائفين حتى ان عمرو بن العاص وخالد بن الوليد اقاما فى مائتى فارس فى ساقة عسكر المشركين مخافة الطلب وفى حديث جابر رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم أتى مسجد الأحزاب يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء بين الظهر والعصر فوضع رداءه فقام فرفع يديه يدعو عليهم فرأينا البشر فى وجهه ومما دعا به صلى الله عليه وسلم كما تقدم قوله ياصريخ المكروبين يا مجيب المضطرين اكشف همى وغمى وكربى فانك ترى ما نزل بى وبأصحابى فأتاه جبريل فبشره بأن الله تعالى يرسل عليهم ريحا وجنودا فأخبر أصحابه بذلك ليزول خوفهم ورفع يديه قائلا شكرا شكرا وهبت ريح الصبا ليلا فقلعت الأوتاد وأطفأت النيران وألقت عليهم الأبنية وأكفأت القدور على أفواهها وسفت عليهم التراب ورمتهم بالحصباء وسمعوا فى جوانب معسكرهم التكبير وقعقعة السلاح فارتحلوا هاربين فى ليلتهم وتركوا ما استثقلوا من متاعهم فغنمه المسلمون وانصرف صلى الله عليه وسلم من غزوة الخندق يوم الأربعاء لسبع بقين من ذى القعدة وكان قد أقام بالخندق محاصرا خمسة عشر يوما وقيل اربعة وعشرين يوما وقيل شهرا وقال صلى الله عليه وسلم بعد انصرافا

لا ترضعهن الى الليل والظاهر أن المراد بيوم عاشوراء هذا اليوم الذى هو عاشر المحرم الهلالى لا الشمسى وكذا يقال فى قوله وقيل سمى الخ فليتأمل وقيل سمى يوم عاشوراء لأن عشرة من الأنبياء أكرمهم الله تعالى فيه بعشر كرامات تاب الله فيه على آدم واستوت فيه سفينة نوح على الجودى أى فصامه نوح ومن معه حتى الوحش شكرا لله ورفع الله فيه إدريس ونصر الله فيه موسى ونجى فيه إبراهيم من النار وفيه أخرج يوسف من السجن أى وفيه ولد ورد فيه على والده يعقوب وأخرج فيه يونس من بطن الحوت أى وتاب الله على أهل مدينته وتاب الله فيه على داود وعوفى فيه أيوب وفى كلام الحافظ ابن ناصر الدين عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ إن الله عز وجل افترض على بنى إسرائيل صوم يوم فى السنة وهو يوم عاشوراء وهو اليوم العاشر من المحرم فصوموه ووسعوا على أهاليكم فيه فانه من وسع على أهله من ماله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته فصوموه وهو اليوم الذى تاب الله فيه على آدم وذكر ما تقدم وزاد عليه وانه اليوم الذى أنزل الله فيه التوراة على موسى وفيه فدى الله اسمعيل من الذبح وهو اليوم الذى رد الله فيه على يعقوب بصره وهو اليوم الذى رد الله فيه على سليمان ملكه وهو اليوم الذى غفر الله فيه لمحمد ﷺ ذنبه ما تقدم وما تأخر وأول يوم خلق من الدنيا يوم عاشوراء وأول مطر نزل من السماء يوم عاشوراء وأول رحمة نزلت من السماء يوم عاشوراء فمن صام يوم عاشوراء فكأنما صام الدهر كله وهو صوم الانبياء الحديث بطوله ثم قال هذا حديث حسن ورجاله ثقات وذكر الحافظ المذكور عن بعضهم قال كنت أفت للنمل خبزا فى كل يوم فلما كان يوم عاشوراء لم تأكل وتقدم أن الصرد أول طير صام عاشوراء وفى كلام بعضهم ما قيل فى يوم عاشوراء كانت توبة آدم إلى آخر ما تقدم من الأحاديث الموضوعة وفى كلام بعض آخر ما يفعل فيه من إظهار الزينة بالخضاب والاكتحال ولبس الجديد وطبخ الحبوب والأطعمة والاغتسال والتطيب من وضع الكذابين والحاصل أن الرافضة اتخذوا ذلك مأتما يندبون وينوحون ويحزنون فيه والجهال اتخذوا ذلك موسما وكلاهما مخطىء مخالف للسنة وأما التوسعة فيه على العيال فحديثها وإن لم يكن صحيحا فهو حسن خلافا لقول ابن تيمية أن التوسعة على العيال لم يرد فيها شىء عنه صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم يصوم عاشوراء كما تصومه اليهود أى ويوم عاشوراء مختلف لأنه عند اليهود من السنة الشمسية وعند أهل الاسلام من السنة الهلالية وفى مسلم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صام يوم عاشوراء وأمر بصيامه قال له بعض الصحابة يارسول الله انه يوم تعظمه اليهود فقال رسول الله ﷺ إذا كان العام المقبل صمنا اليوم التاسع قبله أى مخالفة لليهود فلم يأت العام المقبل حتى توفى رسول الله ﷺ وفى هذا الحديث إشكال فان سياقه يدل على أنه ﷺ ما صام يوم عاشوراء ولا أمر بصيامه إلا فى السنة التى توفى فيها وهو مخالف لما سبق ويجاب عن هذا الاشكال بأن المراد بقوله حين صام أى حين واظب على صومه واتفق أن قول بعض الصحابة ذلك كان فى السنة التى توفى فيها وهو ﷺ كان شأنه

الأحزاب لن نغزوكم قريش بعد عامكم هذا وفى رواية الآن نغزوهم ولا يغزوننا نحن نسير اليهم وقد كان كما أخبر صلى الله عليه وسلم ففى ذلك علم من أعلام نبوته ﷺ وفى السيرة الحلبية ان أباسفيان قبل أن يرتحلوا كتب كتابا وأرسله للنبى صلى الله عليه وسلم فيه باسمك اللهم فانى أحلف باللات والعزى واساف ونائلة وهبل لقد سرت اليك فى جمع وأنا أريد ان لا أعود أبدا حتى أستأصلكم فرأيتك قد كرهت واعتصمت بالخندق وفى رواية قد اعتصمت بمكيدة ما كانت العرب تعرفها وانما تعرف ظل رماحها وشبا سيوفها وما فعلت هذا الا فرارا من سيوفنا ولقائنا ولك منى يوم كيوم أحد فأرسل له رسول الله صلى الله عليه وسلم جوابه فيه أما بعد أى بعد بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى صخر بن حرب فقد أتانى كتابك وقديما غرك بالله الغرور أما ماذكرت أنك سرت الينا وأنت لا تريد أن تعود حتى تستأصلنا فذلك أمر يحول الله تعالى بينك وبينه ويجعل لنا العاقبة وليأتين عليك يوم أكسر فيه اللات والعزى وأساف ونائلة وهبل حتى أذكرك ذلك ياسفيه بنى غالب انتهى وقد حقق الله قوله صلى الله عليه وسلم وكسر اللات والعزى وغيرهما من الأصنام وأعز الله الاسلام فاخباره بذلك قبل وقوعه علم من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم (وقد ذكر ابن اسحق) أنه استشهد من المسلمين يوم الخندق ستة لا غير سعد بن معاذ رضى الله عنه وسيأتى بيان وفاته وأنس بن أوس وعبد الله بن سهل والثلاثة من الأوس ومن الخزرج الطفيل بن النعمان وثعلبة بن غنمة وكعب بن زيد وزاد الحافظ الدمياطى قيس بن زيد بن عامر وعبد الله بن أبى خالد (وذكر الحافظ ابن حجر) فى الكنى أبا سنان بن صيفى بن صخر وقال شهد بدراً واستشهد فى الخندق وقتل من المشركين ثلاثة منبه بن عبيد العبدرى أصابه سهم فمات منه بمكة ونوفل بن عبد الله المخزومى وعمرو بن

موافقة أهل الكتاب قبل فتح مكة ومخالفتهم بعده كما تقدم و بعض متأخرى فقهائنا ظن أن قوله صلى الله عليه وسلم إذا كان العام المقبل إن شاء الله تعالى صمنا اليوم التاسع من تتمة حديث ولما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة وجد اليهود تصومه فصامه وأمر بصيامه فاستشكل وأجاب بأن المراد لما قدم من سفرة سافرها من المدينة بعد الهجرة أى وكان قدومه من تلك السفرة فى السنة التى توفى فيها وقد علمت أنهما حديثان وقد علمت معنى الحديث الذى تتمته إذا كان العام المقبل وفى كون اغراق فرعون ونجاة موسى كان يوم قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة يلزم عليه أن ذلك اليوم انتقل من ذلك الشهر الى اليوم العاشر من المحرم الذى هو الشهر الهلالى من السنة الثانية واستمر كذلك كما هو ظاهر سياق الاحاديث ان الذى واظب على صيامه إنما هو ذلك اليوم وكونه وافق اليهود على صوم ذلك اليوم ثم خالفهم فى السنة الثانية وما بعدها من أبعد البعيد ثم رأيت أبا الريحان البيروتى نازع فى ذلك فى كتابه الآثار الباقية عن القرون الخالية حيث قال رواية إن الله أغرق فرعون ونجى موسى وقومه يوم قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة الامتحان يشهد عليها بالبطلان و بين ذلك بما يطول وحينئذ يكون من جملة ما يحكم عليه بالبطلان اقرارهم على ذلك وكونه صلى الله عليه وسلم صامه وأمر بصيامه وفرض الله عز وجل عليه صلى الله عليه وسلم وعلى أمته صيام شهر رمضان أو الاطعام عن كل يوم مسكينا بقوله تعالى وعلى الذين يطيقونه من الأصحاء المقيمين فدية طعام مسكين فمن تطوع خيراً أى زاد على إطعام المسكين فهو خير له وان تصوموا خير لكم أى من الفطر والاطعام فكان من شاء صام ومن شاء أطعم عن كل يوم مداً ثم ان الله تعالى نسخ هذا التخيير بايجاب صوم رمضان عينا بقوله فمن شهد منكم الشهر أى علمه فليصمه إلا فى حق من لا يستطيع صومه لكبر أو لمرض لا يرجى زواله فيجزيه الاطعام ورخص فيه للمريض أى إذا كان بحيث تحصل له مشقة تبيح التيمم وللمسافر أى الذى يباح له قصر الصلاة وان لم تحصل له مشقة بالكلية مع وجوب القضاء إذا زال المرض والسفر بقوله تعالى ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر أى فأفطر فعليه صيام عدة ما أفطر من أيام أخر وكانوا يأكلون ويشربون ويأتون النساء ما لم يناموا بعد الغروب أو يدخل وقت العشاء الآخرة فاذا ناموا أو دخل وقت العشاء الآخرة امتنع عليهم ذلك إلى الليلة القابلة ثم نسخ الله ذلك وأحل الأكل والشرب وإتيان النساء إلى طلوع الفجر ولو بعد النوم ودخول وقت العشاء بقوله تعالى أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم ثم قال تعالى وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود ولما فهم بعض الصحابة أن المراد الخيط حقيقة حتى صار يجعل عند وسادته حبلاً أبيض وحبلاً أسود أنزل الله تعالى من الفجر اشارة الى ان المراد بياض النهار وسواد الليل *

وذكر فى التفسير فى سبب نزول هذه الآية أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه واقع أهله بعد ما صلى العشاء فلما اغتسل أخذ يبكى ويلوم نفسه فأتى النبى ﷺ فقال يارسول الله أعتذر الى الله واليك من نفسى هذه الخاطئة انى رجعت الى أهلى فوجدت رائحة طيبة فسولت لى نفسى

فجامعت

غبد ود (وفي البخاري) عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا قفل من الغزو أو الحج أو العمرة يبدأ فيكبر ثلاث مرات ثم يقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده وهذا من السجع المحمود وهو ما جاء بانسجام واتفاق بلا قصد والمذموم ما يأتي بتكلف واستكراه والله سبحانه وتعالى أعلم *(غزوة بني قريظة)* (١٤٥) وهم قوم من اليهود بالمدينة من حلفاء الاوس وحاصلها أنه صلى الله عليه وسلم لما انصرف من الخندق دخل المدينة في اليوم الذي انصرف فيه لسبع بقين من ذي القعدة هو وأصحابه ووضعوا السلاح وكان قد صلى الظهر ودخل بيت عائشة رضي الله عنها وقيل بيت زينب بنت جحش رضي الله عنها ودعا بماء فبينما هو صلى الله عليه وسلم يغتسل وقد غسل شق رأسه الشريف وفي رواية بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغسل يرجل رأسه قد رجل أحد شقيه وفي رواية غسل رأسه واغتسل ودعا بالمجمرة ليتبخر أتاه جبريل عليه السلام معتجراً بعمامة سوداء من استبرق وهو نوع من الديباج رخاها بين كتفيه وفي رواية عليه لأمة ولا معارضة لانه يجوز أن الاعتجار بالعمامة على تلك اللأمة وهو على بغلة شهباء عليها قطيفة وهي كساء له وبر من ديباج أحمر فقال أو قد وضعت السلاح يارسول الله قال نعم قال جبريل ما وضعت الملائكة السلاح وفي رواية قال يارسول الله غفر الله لك أو قد وضعتم السلاح وما رجعنا الآن الا من طلب القوم يعني الأحزاب وقد بلغنا الاسد يعني حمراء الاسد إن الله يأمرك يامحمد بالمسير الى بني قريظة فاني عامد إليهم بمن معي من الملائكة فمزلزل بهم الحصون فقال رسول الله ﷺ ان في أصحابي جهداً فلو أنظرتهم أياما فقال جبريل انهض إليهم أي بني قريظة فوالله

فجامعت أهلي فقال النبي ﷺ ما كنت جديراً بذلك ياعمر فقام رجال فاعترفوا بمثله فنزلت وذكر له ﷺ أن بعض أصحابه سقط مغشياً عليه بسبب الصوم فسأله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فأخبر أنه أهل حرث وأنه جاء لينظر ما تعمله له زوجته ليتعشى به فغلبته عينه فنام فلم يستيقظ الا بعد الغروب فلم يتناول شيئاً فأنزل الله تعالى وكلوا واشربوا الآية وقوله تعالى كما كتب على الذين من قبلكم جاء في بعض الروايات أن المراد بهم أهل الكتاب أي اليهود والنصارى وجاء في بعضها أن المراد بهم النصارى خاصة وجاء في بعض الروايات أن المراد بهم جميع الأمم السابقة فقد جاء ما من أمة الا وجب عليها صوم رمضان إلا أنهم أخطؤه ولم يهتدوا اله وهذه الرواية تدل على أنه لم يصمه أحد من الأمم السابقة فصومه من خصوصيات هذه الأمة وفي الانساب لابن قتيبة أول من صام رمضان نوح عليه السلام هذا كلامه وفي بعض الروايات ما يفيد أن النصارى صامته واتفق أنه وقع في بعض السنين في شدة الحر فاقتضى رأيهم تأخيره بين الصيف والشتاء وأن يزيدوا في مقابلة تأخيره عشرين يوما وعلى هذا فصومه ليس من خصائص هذه الامة وقيل التشبيه انما هو في مطلق الصوم لا في خصوص صوم رمضان لانه كان الواجب على جميع ما تقدم من الأمم صوم ثلاثة أيام من كل شهر صام ذلك نوح فمن دونه حتى صامه النبي ﷺ كما تقدم وتقدم أن تلك الايام التي صامها ﷺ كانت البيض التي هي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر وتقدم أنه قيل ان صوم ذلك كان واجبا عليه ﷺ وعلى أمته وقيل كان الواجب عليه وعلى أصحابه قبل صوم رمضان عاشوراء وتقدم رده وكان فرض زكاة الفطر قبل العيد بيومين وكان صلى الله عليه وسلم يخطب قبل العيد بيومين يعلم الناس زكاة الفطر فيأمر باخراج تلك الزكاة قبل الخروج الى صلاة العيد أي بعد أن شرعت لأن مشروعيتها تأخرت عن مشروعية صلاة عيد الاضحى وكان فرض زكاة الفطر قبل فرض زكاة الاموال وكان فرض زكاة الاموال في تلك السنة التي هي الثانية ولم أقف على خصوص الشهر الذي وجبت فيه قال بعضهم ولعل هذا محمل قول بعض المتأخرين المطلعين على الفقه والحديث لم يتحرر لي وقت فرض الزكاة أي زكاة المال ولعله عنى ببعض المتأخرين الامام سراج الدين البلقيني رحمه الله لان الامام سراج الدين البلقيني سئل هل علمت السنة التي فرضت فيها زكاة المال فأجاب بقوله لم يتعرض الحفاظ ولا أصحاب السير للسنة التي فرض فيها زكاة المال ووقع لي حديثان ظهر منهما تقريب ذلك ولم أسبق إليه ثم قال فقد ظهر أن زكاة المال بعد زكاة الفطر وقبل قدوم ضمار بن ثعلبة وقدومه كان في السنة الخامسة هذا كلامه وقيل فرضت زكاة الفطر قبل الهجرة وعليه يحمل ظاهر ما في سفر السعادة كان ﷺ يرسل مناديا ينادي في الأسواق والمحلات والأزقة من مكة ألا إن صدقة الفطر واجبة على كل مسلم ومسلمة الحديث ورد بأنه لم يفرض قبل الهجرة بعد الايمان إلا الصلوات الخمس وكل الفروض فرضت بعد الهجرة وفيه أنه فرض قيام الليل كما تقدم وصلاة الركعتين بالغداة والركعتين بالعشي على ما تقدم الا أن يقال المراد الفروض الموجودة الآن

لأدقنهم كدق البيض على الصفا ولأدخلن عليهم فى حصونهم ثم لأضعضعنها فأدبر جبريل ومن معه من الملائكة حتى سطع الغبار فى زقاق بنى غنم وهم طائفة من الأنصار وفى البخارى عن أنس رضى الله عنه قال كأنى أنظر الى الغبار ساطعا فى زقاق بنى غنم لموكب جبريل حين سار لبنى قريظة * (وعن عائشة رضى الله عنها) * أنها قالت لما رجع النبى ﷺ يوم الخندق بينما هو عندى إذ دق الباب وفى رواية نادى مناد



فارتاع لذلك رسول الله ﷺ أى فزع ووثب وثبة منكرة وخرج فخرجت فى أثره فاذا رجل على دابة والنبى صلى الله عليه وسلم متكئ على معرفة الدابة يكلمه فرجعت فلما دخل قلت من ذلك الرجل الذى كنت تكلمه قال ورأيتيه قلت نعم قال بمن شبهتيه قالت بدحية الكلبى قال ذلك جبريل أمرنى أن أمضى الى بنى قريظة وهذا يؤيد أنه صلى الله عليه سلم كان عند منصرفه من الخندق فى بيت عائشة رضى الله عنها وجاء فى رواية عنها فكأنى برسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح الغبار عن وجه جبريل وهو أى جبريل ينفض رأسه من الغبار فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذنا وهو بلال رضى الله عنه أن ينادى فى الناس من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الا فى بنى قريظة وفى رواية لا يصلين الظهر وجمع بينهما بأن من الناس من صلى الظهر ومنهم من لم يصلها فقيل للذين لم يصلوا الظهر لا تصلوا الظهر الا فى بنى قريظة وللذين صلوها لا تصلوا العصر إلا فى بنى قريظة وبعث مناديا يقول ياخيل الله اركبى أى يافرسان خيل الله ثم سار إليهم وبعث عليا رضى الله عنه على المقدمة ودفع إليه لواءه وكان اللواء على حاله لم يحل عند مرجعهم من الخندق واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضى الله عنه ولبس صلى الله عليه وسلم السلاح والدرع والمغفر والبيضة وأخذ قناته بيده وتقلد القوس وركب فرسه اللحيف بالضم وقيل ركب حمارا وهو اليعفور عريا

المستمر فرضها وما تقدم عن سفر السعادة يجوز أن يكون ﷺ يرسل المنادى الذى ينادى فى مكة بوجوب زكاة الفطر وهو بالمدينة بعد وجوبها بالمدينة وأمر ﷺ أن تخرج زكاة الفطر عن الصغير والكبير والحر والعبد والذكر والانثى صاع من تمر أو صاع من شعير أو صاع من زبيب أو صاع من بر فكان يصلى العيدين قبل الخطبة بلا أذان ولا إقامة أى بل يقال الصلاة جامعة لكن فى سفر السعادة وكان ﷺ اذا بلغ المصلى شرع فى الصلاة من وقته بلا أذان ولا إقامة ولا الصلاة جامعة والسنة أن لا يكون شىء من هذا كله هذا كلامه وكانت تحمل العنزة بين يديه فاذا وصل المصلى نصبت تجاهه وهى عصا قدر نصف الرمح فى أسفلها زج من حديد وكانت تلك العنزة للزبير بن العوام قدم بها من أرض الحبشة فأخذها منه رسول الله ﷺ وكان يصلى إليها أى أخذها منه بعد وقعة بدر وقد قتل بها الزبير عبيدة بفتح العين المهملة وبضمها ابن سعيد ابن العاص الذى كان يقال له أبو ذات الكرش قال الزبير لقيته لا يرى منه الا عيناه فقال لى أنا أبو ذات الكرش فحملت عليه بالعنزة فطعنته فى عينه فمات وأردت اخراجها فوضعت رجلى عليه ثم تمطيت فكان الجهد أن نزعتها وقد انثنى طرفها ولما قبض ﷺ أخذها الزبير ثم طلبها أبو بكر رضى الله تعالى عنه فأعطاه اياها فلما قبض أبو بكر رضى الله تعالى عنه أخذها الزبير ثم سألها عمر رضى الله تعالى عنه فأعطاه إياها فلما قبض عمر أخذها ثم طلبها عثمان فأعطاه إياها فلما قتل دفعت الى على ثم أخذها عبد الله بن الزبير فكانت عنده حتى قتل وكان ﷺ إذا رجع من صلاة عيد الفطر وخطبته يقسم زكاة الفطر بين المساكين ولعل المراد الزكاة المتعلقة به لانه تقدم أنه ﷺ كان يأمر الناس باخراجها قبل الصلاة الا أن يقال المراد باخراجها جمعها له ﷺ ليفرقها واذا فرغ صلى الله عليه وسلم من صلاة الأضحى وخطبته يؤتى له بكبشين وهو قائم فى مصلاه فيذبح أحدهما بيده ويقول هذا عن أمتى جميعا من شهد لك بالتوحيد وشهد لى بالبلاغ وعند الحاكم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ ذبح كبشا أقرن بالمصلى أى بعد أن قال بسم الله والله أكبر وقال اللهم هذا عنى وعن من لم يضح من أمتى واستدل بذلك على أن من خصائصه ﷺ أن يضحى عن غيره بغير إذنه ويذبح الآخر ويقول هذا عن محمد وآل محمد فيأكل هو وأهله منهما ويطعم المساكين ولم يترك الأضحية قط وهل كانت الأنبياء من بعد ابراهيم تضحى هم وأممهم أو هم خاصة () وكان فى مسجده ﷺ يوم الجمعة قبل أن يوضع له المنبر يخطب ويسند ظهره الى اسطوانة من جذوع النخل أو من الدوم وهو شجر المقل وعبارة بعضهم كان يخطب الناس وهو مستند الى جذع عند مصلاه فى الحائط القبلى فلما كثر الناس أى وقالوا له ﷺ لو اتخذت شيئا تقوم عليه اذا خطبت يراك الناس وتسمعهم خطبتك فقال ابنوا لى منبرا فلما بنى له المنبر عتبتين أى ومحل الجلوس فكان ثلاث درجات وقام عليه فى يوم جمعة أى وخطب وفى لفظ لما عدل الى المنبر ليخطب عليه وجاوز ذلك الجذع سمع لتلك الاسطوانة حنين كحنين الواله بصوت هائل سمعه أهل المسجد حتى

و يمكن انه ركب في بعض الطريق حماره وفي بعضه فرسه وسار والناس حوله قد لبسوا السلاح وركبوا الخيل وهم ثلاثة آلاف والخيل ستة وثلاثون فرسا ومر بنفر من الانصار وقد لبسوا السلاح فقال هل مر بكم أحد قالوا نعم دحية الكلبي مر على بغلة بيضاء وفي رواية على فرس أبيض عليه اللامة وأمرنا بحمل السلاح وقال لنا رسول الله ﷺ يطلع عليكم الآن فلبسنا سلاحنا وصففنا فقال رسول الله ﷺ ذاك جبريل بعث الى بني قريظة ليزلزل



حصونهم و يقذف الرعب في قلوبهم فلما دنا على بن أبي طالب رضى الله عنه من الحصن أي ومعه نفر من المهاجرين والانصار وغرز اللواء عند أصل الحصن سمع من بني قريظة مقالة قبيحة في حقه صلى الله عليه وسلم فسكت المسلمون وقالوا السيف بيننا و بينكم فلما رأى على رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا أمر أبا قتادة الانصارى ان يلزم اللواء ورجع اليه صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الاخابث قال لعلك سمعت منهم لي أذى قال نعم قال لو رأوني لم يقولوا شيئا فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم قال يا اخوان القردة هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته قالوا يا أبا القاسم ما كنت جهولا وفي رواية نادى باعلى صوته نفرا من أشرافهم حتى أسمعهم وقال أجيبوا يا اخوة القردة والخنازير وعبدة الطاغوت وهو ما عبد من دون الله هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته أتشتموني فجعلوا يحلفون ماقلنا و يقولون يا أبا القاسم ما كنت جهولا وفي رواية ما كنت فاحشا وقال لهم أسيد بن حضير يا أعداء الله لا تبرحوا من حصنكم حتى تموتوا جوعا انما أنتم بمنزلة ثعلب في جحر فقالوا يا ابن الحضير نحن مواليك وخاروا أي خافوا فقال لا عهد بيني و بينكم وانما قال لهم يا اخوة القردة والخنازير لان اليهود مسخ شبابهم قردة وشيوخهم خنازير عند اعتدائهم يوم السبت بصيد السمك ثم ان جماعة من الصحابة شغلهم مالم يكن لهم منه

---

ارتج أي اضطرب المسجد وكثر بكاء الناس لذلك ولا زالت تحن حتى تصدعت وانشقت أي وفي رواية سمع له صوت كصوت العشار أي النوق التي أتى لحملها عشرة أشهر وقيل التي أخذ ولدها وفي بعض الروايات كحنين الناقة الخلوج وهي التي انتزع ولدها منها وفي رواية جار بفتح الجيم و بعدها همزة مفتوحة أي صوت أو بالخاء المعجمة بلا همزة وهو بمعناه كخوار الثور فنزل صلى الله عليه وسلم فالتزمها وحضنها أي فجعلت تئن أنين الصبي الذي يسكت فيسكت أي وفي كلام بعضهم وذكر الاسفرايني ان النبي ﷺ دعاه الى نفسه فجاءه يخرق الارض فالتزمه فعاد الى مكانه وفي رواية ووضع يده عليها وقال لها اسكني واسكتي فسكنت وفي رواية ان هذا أي الجذع يبكي لما فقد من الذكر والذي نفسي بيده لو لم التزمه لم يزل هكذا أي يحن الى يوم القيامة زاد في رواية حزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله لما فقد من الذكر هو واضح على الرواية الاولى وأما على الثانية فالمراد لما يفقده من الذكر والى حنين الجذع أشار الامام السبكي رحمه الله تعالى في تائيته بقوله

وحن اليك الجذع حين تركته * حنين الثكالى عند فقد الاحبة

وعن بعضهم قال قال لي الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه ما أعطى الله نبيا ما أعطى محمدا صلى الله عليه وسلم فقلت أعطى عيسى احياء الموتى فقال أعطى محمدا ﷺ حنين الجذع فهذا أكبر من ذاك وفي رواية لا تلوموه أي الجذع على حنينه فان رسول الله ﷺ لم يفارق شيئا إلا وجد عليه أي حزن وفي رواية انه قال له ان شئت أردك الى الحائط أي البستان الذي كنت فيه تنبت لك عروقك و يكمل خلقك و يجدد لك خوص وثمرة وان شئت أغرسك في الجنة فيأكل أولياء الله من ثمرك ثم أصغى له صلى الله عليه وسلم يسمع ما يقول فقال بصوت سمعه من يليه بل تغرسني في الجنة فقال رسول الله ﷺ قد فعلت قد فعلت وفي رواية لما أصغى اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل فقال اختار أن أغرسه في الجنة أي وفي رواية اختار دار البقاء على دار الفناء ولا يخالف ما قبله لانه يجوز أن يكون السائل من غير من سمع جوابه وأمر به فدفن تحت المنبر وقيل جعل في السقف وأخذه عنده أبي رضي الله عنه بعد أن هدم المسجد وأزيل سقفه فكان عنده الى ان أكلته الارضة وعاد رفاتا أي متكسرا من شدة اليبس (أقول) في سيرة الحافظ الدمياطي قالوا كان رسول الله ﷺ يوم الجمعة يخطب الى جذع في المسجد قائما فقال ان القيام شق على فقال له تميم الداري ألا أعمل لك منبرا كما رأيت يصنع بالشام أي تصنعه النصارى في كنائسهم لاساقفتهم تسمى المرقاة يصعدون عليها عند تذكيرهم فتشاور رسول الله ﷺ مع المسلمين في ذلك فرأوا ان يتخذوه فقال العباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما ان لي غلاما يقال له كلاب أعلم الناس أي بالنجارة فقال رسول الله ﷺ مره أن يعمله فأرسله الى الاثلة بالغابة فقطعها ثم عمل منها درجتين ومقعدا ثم جاء به فوضعه في موضعه اليوم فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام عليه أي وقال ان أتخذ منبرا فقد اتخذه أبي ابراهيم أي ولعله ﷺ عنى به المقام الذي كان

بدعن المسير لبنى قريظة ليصلوا بها العصر فاخروا صلاة العصر الى أن جاؤا بعد صلاة العشاء الآخرة امتثالا لقوله ﷺ فلا يصلين العصر الا فى بنى قريظة فصلوا العصر بها بعد العشاء الآخرة و بعضهم قال نصلى ما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم منا أن ندع الصلاة ونخرجها عن وقتها وانما أراد الحث على الاسراع فصلوا فى أماكنهم قيل وجماعة صلوا على ظهور دوابهم ثم ساروا فما عابهم الله فى كتابه



ولا عنفهم رسول الله ﷺ لان كلا من الفريقين مأجور بقصده لانهم مجتهدون ولم يعنف الذين أخروها لقيام عذرهم فى التمسك بظاهر الامر وحاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى قريظة خمسا وعشرين ليلة وقيل خمسة عشر يوما وقيل شهرا وكان طعام الصحابة رضى الله عنهم التمر يرسل به اليهم سعد بن عبادة رضى الله عنه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ نعم الطعام التمر واشتد الحصار على بنى قريظه وقذف الله الرعب فى قلوبهم وكان حيي بن أخطب دخل معهم حصنهم حين رجعت الاحزاب وفاء لكعب بما عاهده عليه كما تقدم فلما أيقنوا أن رسول الله ﷺ غير منصرف عنهم حتى يناجزهم أى يقاتلهم قال كبيرهم كعب بن أسد يامعشر يهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون وانى عارض عليكم خلالا ثلاثا فخذوا أيها شئتم قالوا وما هى قال نتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين لكم أنه نبى مرسل وانه الذى تجدونه فى كتابكم فتأمنون على دمائكم وأموالكم ونسائكم ذلك وما منعنا من الدخول معه إلا الحسد للعرب حيث لم يك من بنى اسرائيل ولقد كنت كارها لنقض العهد ولم يكن البلاء والشؤم الا من هذا الجالس يعنى حيي بن أخطب أتذكرون ما قال لكم ابن خراش حين قدم عليكم انه يخرج بهذه القرية نبى فاتبعوه وكونوا له أنصارا وتكونون آمنتم بالكتابين الاول والآخر يعنى التوراة والقرآن أى وكانت يهود بنى قريظة يدرسون ذكر رسول الله

---

يقوم عليه عند بناء البيت وهو الحجر الان ثبت ان ابراهيم كان له منبر يحدث عليه الناس وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال سمعت النبى ﷺ وهو عند المنبر يقول يأخذ الجبار بسمواته وأرضه بيده ثم يقول أنا الجبار أنا الجبار أين الجبارون أين المتكبرون و يميل يعنى النبى صلى الله عليه وسلم عن يمينه وشماله حتى نظرت الى المنبر يتحرك حتى انى أقول أساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية عنه فقال المنبر هكذا وهكذا فجاء وذهب ثلاث مرات وفى رواية عن عائشة رضى الله عنها فرجف برسول الله صلى الله عليه وسلم منبره حتى قلن ليخرن وقال منبرى هذا على ترعة بضم المثناة فوق واسكان الراء وبالعين المهملة من ترع الجنة أى أفواه جداول الجنة وقوائم منبرى رواتب أى ثوابت فى الجنة وقال ﷺ منبرى على حوضى وقال ان حوضى كما بين عدن الى عمان أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وأطيب رائحة من المسك أباريقه عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا وأكثر الناس ورودا عليه يوم القيامة فقراء المهاجرين قلنا من هم يارسول الله قال الشعثة رؤسهم الدنسة ثيابهم الذين لا ينكحون المنعمات ولا تفتح لهم السدد أى الابواب الذين يعطون الذى عليهم ولا يأخذون الذى لهم وقال صلى الله عليه وسلم ما بين قبرى ومنبرى وفى رواية بدل قبرى بيتى وفى لفظ حجرتى والمراد قبره الشريف فانه فى حجرته وحجرته هى بيته صلى الله عليه وسلم روضة من رياض الجنة أى يكون بعينه فى الجنة بقعة من بقاعها أى ينقلها الله تعالى فتكون فى الجنة بعينها وقيل ان الصلاة والدعاء فيها يستحق بذلك من الثواب ما يكون موجبا لدخول الجنة كما قيل بذلك فى قوله صلى الله عليه وسلم الجنة تحت ظلال السيوف مع ان تلك السيوف كانت بارض الكفر وقيل انها لبركتها أضيفت الى الجنة كما قيل فى الضأن انها من دواب الجنة وقال ابن حزم ليس على ما يظنه أهل الجهل من أن تلك الروضة قطعة مقتطعة من الجنة وقال صلى الله عليه وسلم من حلف على منبرى كاذبا ولو على سواك أراك فليتبوأ مقعده من النار وفى رواية الا وجبت له النار (أقول) وجاء انه صلى الله عليه وسلم كان على المنبر يعتمد على عصا من شوحط وفى الهدى لم يعتمد صلى الله عليه وسلم فى خطبته على سيف أبدا وقبل أن يتخذ المنبر كان يعتمد على قوس أو عصا أى وقيل كان يعتمد على قوس ان خطب فى الحرب وعلى عصا ان خطب فى غيره واختلف فيها يعنى تلك العصا هل هى العنزة التى كان يصلى اليها أو غيرها وما يظنه بعض الناس من انه كان يعتمد على سيف وان ذلك اشارة الى ان الدين قام بالسيف فمن فرط جهله هذا كلامه وفيه ان بعض فقهائنا ذكر ان اعتماده فى خطبته كان على سيف روى ولم يثبت وذكر فقهاؤنا تلك الحكمة حيث قالوا وحكمة اعتماده على العصا أو القوس أو السيف الاشارة الى ان هذا الدين قام بالسلاح وقول صاحب الهدى وكان قبل أن يتخذ المنبر يعتمد على قوس أو عصا يقتضى ان بعد اتخاذ المنبر لم يعتمد على شىء من ذلك أى وصرح به صاحب القاموس فى سفر السعادة حيث قال لم يكن يأخذ السيف والحربة بيده بل كان يعتمد على القوس أو العصا وذا قبل اتخاذ المنبر وأما بعد اتخاذ المنبر فلم يحفظ انه اعتمد على العصا ولا على القوس ولا على غير

ذلك هذا كلامه فيكون الاعتماد على ذلك فوق المنبر بدعة وهو خلاف ما عليه أئمتنا من انه يسن ان يشغل يمناه بحرف المنبر ويسراه بما يعتمد عليه من نحو العصا لكن قالوا كعادة من يريد الضرب بالسيف والرمى بالقوس وهو لا يأتى فى العصا ولا يأتى فى السيف إذا كان فى غمده ووجود المرقى الذى يقرأ الآية والخبر المشهور بدعة لانه حدث بعد الصدر الاول ولم أقف على أول زمان فعل فيه ذلك لكن ذكر بعضهم انه صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع أمر من يستنصت له الناس عند ارادة خطبته وعليه ان كان استنصتهم بالحديث فذكر المرقى للخبر ليس من البدعة الان يقال هو بالنسبة لخطبة الجمعة بدعة لانه صلى الله عليه وسلم كان يذكر الحديث على المنبر فالسنة أن يذكره الخطيب كذلك ففى سفر السعادة وكان صلى الله عليه وسلم فى اثناء الخطبة يأمر الناس بالانصات ويقول ان الرجل إذا قال لصاحبه انصت فقد لغا ومن لغا فلا جمعة له وكان صلى الله عليه وسلم يقول من تكلم يوم الجمعة والامام يخطب فهو كمثل الحمار يحمل أسفارا والذى يقول انصت ليس له جمعة وقول الحافظ الدمياطى كان صلى الله عليه وسلم يخطب على جذع قائما وانه قال ان القيام شق على يقتضى ان حنين الجذع كان عند قيامه على ذلك المنبر من الخشب وانه لم يتخذ قبل ذلك المنبر من الطين الذى قدمناه وفيه نظر وكذا فى قوله وقال له تميم الدارى الى آخره لان تميما الدارى إنما أسلم فى السنة التاسعة وهذا المنبر الذى من الخشب انما فعل فى السابعة أو الثامنة وعلى هذا اقتصر الاصل حيث قال فى الحوادث وفيها أى السنة الثامنة اتخاذ المنبر والخطبة عليه وحنين الجذع وهو أول منبر عمل فى الاسلام وهو فى ذلك موافق لما قدمه هو أى الاصل من اتخاذ المنبر له من الطين قبل ذلك وأنه كان عنده حنين الجذع وعلى كون المنبر عمل فى الثامنة لا يشكل كون العباس رضى الله تعالى عنه أمر غلامه بعمله لان العباس رضى الله عنه قدم المدينة فى السنة الثامنة لكن فى بعض الروايات انه ﷺ دعا رجلا فقال أتصنع لى المنبر قال نعم قال ما اسمك قال فلان قال لست بصاحبه ثم دعا آخر فقال له مثل ذلك ثم دعا الثالث فقال له ما اسمك قال ابراهيم قال خذ فى صنعته فصنعه وفى رواية عمله رجل رومى اسمه باقوم غلام سعيد بن العاص أى ولعله هو الذى تقدم ذكره عند بناء قريش للكعبة وفى رواية انه ﷺ أرسل الى امرأة فقال لها مرى غلامك يعمل لى أعوادا أكلم الناس عليها فعمل له صلى الله عليه وسلم درجات من طرفاء الغابة ويجوز أن يكون غلام العباس رضى الله تعالى عنه انتقل الى ملك تلك المرأة وأنه كان غلاما لسعيد بن العاص وأنه اشترك فى عمله مع ابراهيم المتقدم ذكره فنسب لكل منهما فعلم من كلام الأصل فى غير الحوادث انه كان ﷺ يخطب أولا على الجذع ثم على المنبر من الطين وان حنين الجذع كان عند قيامه ﷺ على ذلك المنبر من الطين وهو مخالف لكلامه فى الحوادث ان حنين الجذع كان عند اتخاذه ﷺ المنبر من الخشب وانه أول منبر عمل فى الاسلام الا ان يقال أول منبر عمل فى الاسلام من خشب ويكون ذكر حنين الجذع عند القيام عليه من تصرف بعض الرواة لان حنين الجذع لم يتكرر حتى يقال جاز أن يكون كان عند قيامه ﷺ على المنبر من

صلى الله عليه وسلم فى كتبهم ويعلمون الولدان صفته وان مهاجرة المدينة وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال كانت يهود بنى قريظة وبنى النضير وفدك وخيبر يجدون صفة النبى صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث وان دار هجرته المدينة ولما قال لهم كعب ذلك قالوا لا نفارق حكم التوراة ولا نستبدل به غيره قال كعب فاذا أبيتم على هذه فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج الى محمد وأصحابه رجالا مصلتين السيوف لم نترك وراءنا ثقلا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فان نهلك نهلك ولم نترك  وراءنا نسلا أى ولدا يخشى عليه وان نظفر فلعمرى لتجدن النساء والابناء قالوا نقتل هؤلاء المساكين فما خير العيش بعدهم قال فان أبيتم على هذه فان الليلة ليلة السبت وان عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنونا فيها فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة أى غفلة قالوا نفسد سبتنا ونحدث فيه مالم يحدث فيه من كان قبلنا إلا وأصابه مالم يخف عليك من المسخ وقال لهم عمرو ابن سعدى قد خالفتم محمدا فيما عاهدتموه عليه ولم أشرككم فى غدركم فان أبيتم أن تدخلوا معه فاثبتوا على اليهودية وأعطوه الجزية فوالله ما أدرى أيقبلها أم لا قالوا نحن لا نقر للعرب بخراج فى رقابنا يأخذونه وان القتل خير من ذلك قال فانى برىء منكم وخرج تلك الليلة فمر بحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه محمد ابن مسلمة فقال محمد بن مسلمة من هذا قال عمرو بن سعدى قال مر اللهم لا تحرمنى اقالة عثرات الكرام وخلى سبيله وبعد ذلك لم يدر أين هو ولما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره قال ذاك رجل نجاه الله بوفائه وفى لفظ انه قال لهم قبل ان يقدم النبى ﷺ لحصارهم يا بنى قريظة لقد رأيت عبرا رأيت دار اخواننا يعنى بنى النضير خالية بعد ذلك العز والجلد والترف والرأى الفاضل والعقل قد تركوا أموالهم يملكها غيرهم وخرجوا خروج ذل لا والتوراة ما سلط هذا على قوم قط ولله بهم حاجة وقد أوقع بنى قينقاع نقضهم العهد فى الذل والسبى

وكانوا أهل عدة وسلاح ونخوة فلم يخرج منهم أحد رأسه حتى سباهم صلى الله عليه وسلم فكلم فيهم فتركهم على اجلائهم من يثرب
يا قوم قد رأيتم ما رأيتم فاطيعونى وتعالوا نتبع محمدا فوالله إنكم لتعلمون انه نبي وقد بشرنا به علماؤنا ثم لا زال يخوفهم بالحرب والسباء
والجلاء ثم أقبل على كعب بن أسد وقال والتوراة التى نزلت على موسى يوم طور سيناء انه العز والشرف فى الدنيا فبينما هم على ذلك
لم يرعهم الا مقدمة جيش النبي  صلى الله عليه وسلم قد حلت بساحتهم فقال هذا الذى قلت لكم أى و بعد الحصار أرسلوا
شاس بن قيس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزلوا على ما نزلت عليه بنو النضير من أن لهم ما حملت الابل الا الحلقة فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحقن دماءهم و يسلم لهم نساءهم والذرية فأرسلوا له ثانيا بانهم لا حاجة لهم بشىء من الاموال لا من الحلقة ولا من غيرها فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أن ينزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعاد شاس اليهم بذلك ثم انهم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابعث الينا أبا لبابة وهو رفاعة بن عبد المنذر الانصارى رضى الله عنه لنستشيره فى أمرنا أى لانه كان مناصحا لهم لان ماله وولده وعياله كانت فى بنى قريظة وكانوا محالفين للاوس وهو منهم فارسله رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فلما رأوه قام اليه الرجال وأسرع اليه النساء والصبيان يبكون
فى وجهه من شدة المحاصرة وتشتيت ما لهم فرق لهم وقالوا يا أبا لبابة أترى أن ننزل على حكم محمد قال نعم وأشار
بيده الى حلقه أى انه الذبح أى وفى لفظ ما ترى ان محمدا قد أبى أن ننزل الا على حكمه قال فانزلوا وأومأ بيده الى حلقه انه الذبح فلا
تفعلوا قال أبو لبابة فوالله ما زالت قدماى من مكانهم حتى عرفت أنى خنت الله ورسوله أى لان فى ذلك تنفيرا لهم عن الانقياد له صلى الله
عليه وسلم ومن ثم أنزل الله فى ذلك يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون واعلموا أنما أموالكم

الطين ثم عند قيامه على المنبر من الخشب ثم رأيته فى النور رجع كلام الاصل فى غير الحوادث الى
كلام الاصل فى الحوادث من انه صلى الله عليه وسلم لم يكن له منبر من طين حيث قال قوله أى الاصل
فبنوا له منبرا وهذا الكلام فيه تجوز يعنى اتخذوا له منبرا وذلك لان المنبر كان من طرفاء الغابة وهو
شجر معروف هذا كلامه وليته عكس لان هذا منه يقتضى حينئذ أن يكون صلى الله عليه وسلم
استمر من حين خطب فى المسجد إلى السنة الثامنة يخطب إلى الجذع لان المنبر من الخشب اتخذ فى
السنة الثامنة كما تقدم عن الاصل و يشكل عليه قول عائشة رضى الله تعالى عنها فى قصة الافك فثار
الحيان الأوس والخزرج حتى كادوا أن يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر لان قصة
الافك كانت فى سنة خمس ثم رأيت فى كتاب الشريعة للآجرى عن أنس بن مالك رضى الله عنه كان
صلى الله عليه وسلم يخطب مسندا ظهره الى خشبة فلما كثر الناس قال ابنوا لى منبرا فبنوا له عتبتين
أى غير المستراح فلما قام على المنبر يخطب حنت الخشبة الحديث وعن سهل بن سعد رضى الله عنه
لما كثر الناس وصار يجىء القوم ولا يكادون يسمعون رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخطبة قال
الناس يا رسول الله قد كثر الناس وكثير منهم لا يكاد يسمع كلامك فلو انك اتخذت شيئا تخطب عليه
مرتفعا من الارض و يسمع الناس كلامك فارسل ﷺ الى غلام نجار لامرأة من الانصار
فاتخذ له مرقاتين من طرفاء الغابة فلما قام حنت الخشبة التى كان يخطب اليها هذا كلامه وهو
موافق لما تقدم عن الاصل فى الحوادث والذى ينبغي الجمع بين الروايتين ما علم من ان اتخاذ المنبر
من طرفاء الغابة كان بعد اتخاذه من الطين لانه أقوى فى الارتفاع من منبر الطين وكون حنين
الجذع عند اتخاذ المنبر من الطرفاء من تصرف بعض الرواة لان حنينه انما كان عند اتخاذ
المنبر من الطين ولم يتكرر حنينه كما تقدم ولما ولى معاوية الخلافة كسا ذلك المنبر قبطية ثم كتب
الى عامله بالمدينة وهو مروان بن الحكم أن يرفع ذلك المنبر عن الارض فدعا بالنجارين وفعل ست درج
ورفع ذلك المنبر عليها فصارت تسع درجات وهذا يدل على ان قوله فاتخذ له مرقاتين أى غير المستراح
ومن ثم تقدم فعمل له درجات وقيل أمره بحمله الى الشام فلما أرادوا قلعه أظلمت المدينة وكسفت
الشمس حتى بدت النجوم وثارت ريح شديدة فخرج مروان إلى الناس فخطبهم وقال يا أهل المدينة
انكم تزعمون ان أمير المؤمنين بعث الى أن أبعث اليه بمنبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمير
المؤمنين أعلم بالله من أن يغير منبر رسول الله ﷺ إنما أمرنى أن أكرمه وأرفعه ففعل ما تقدم
وقيل ان معاوية لما حج أراد أن ينقل المنبر إلى الشام فحصل ما تقدم من كسوف الشمس الخ
فاعتذر معاوية للناس وقال أردت أن أنظر الى ما تحته وخشيت عليه من الارضة وكساه يومئذ
قبطية ولا مانع من تعدد الواقعة وان واقعة معاوية سابقة على واقعة مروان لقوله لانظر ما تحته والا
فمروان رفعه عن الارض ثم ان هذا المنبر أحرق بسبب الحريق الواقع فى المسجد أول مرة فارسل
صاحب اليمن منبرا فوضع موضعه مكث عشر سنين وفى الامتاع ثم تهافت المنبر النبوى على طول
الزمان فعمل بعض خلفاء بنى العباس منبرا واتخذ من أعواد المنبر النبوى أمشاطا يتبرك بها فاحترق

هذا

وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم وقيل الذى نزل فى ذلك قوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم والحق ان كلا من الآيتين نزل فيه الأولى فى اللوم عليه والثانية فى توبته وفى رواية عن أبى لبابة رضى الله عنه لما أرسلت بنو قريظة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يرسلنى اليهم دعانى فقال اذهب الى حلفائك فانهم أرسلوا اليك من بين الأوس فذهبت اليهم فقام كعب بن أسد فقال يا أبا بشر قد عرفت ما بيننا وقد اشتد علينا الحصار وهلكنا ومحمد لا يفارق حصننا حتى ننزل على حكمه فلو زال عنا لحقنا بأرض الشام أو خيبر ولم نطأ له أرضا ولم نكثر عليه جمعا أبدا ماترى فانا قد اخترناك على غيرك أننزل على حكم محمد قال أبو لبابة نعم فانزلوا وأومأ الى حلقه بالذبح قال أبو لبابة فندمت واسترجعت فقال لى كعب مالك يا أبا لبابة فقلت قد خنت الله ورسوله ثم نزلت من عندهم وان عينى لتسيل من الدموع ثم انطلق أبو لبابة على وجهه فلم يلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتبط فى المسجد بعمود من عمده وهى التى كانت عند باب أم سلمة رضى الله عنها زوج النبى صلى الله عليه وسلم كان أكثر تنفل النبى صلى الله عليه وسلم عندها وتعرف باسطوانة أبى لبابة واسطوانة التوبة وكان الوقت شديد الحر وكان ارتباطه بسلسلة ثقيلة وقال والله لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله على مما صنعت وعاهد الله ان لا يطأ بنى قريظة أبدا ولا يرى فى بلد خان الله ورسوله أبدا فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وكان قد استبطأه قال اما لو جاءنى لاستغفرت له واما اذ فعل ما فعل فما أنا بالذى أطلقه حتى يتوب الله عليه ومن قال انه إنما فعل ذلك حين تخلف عن غزوة تبوك فقد أغرب ثم مكث أبو لبابة رضى الله عنه مربوطا ست ليال لا يذوق طعاما ولا شرابا وتأتيه امرأته فى كل وقت صلاة فتحله للصلاة ثم يعود فتربطه بالجذع وقيل مكث مربوطا بضع عشرة ليلة يطلقونه للصلاة ثم يأمرهم

---

هذا المنبر المجدد فى حريق المسجد فبعث المظفر ملك اليمن منبرا هذا كلامه ثم أرسل الملك الظاهر بيبرس من مصر منبرا فرفع منبر صاحب اليمن ووضع منبر الملك الظاهر فمكث مائة سنة واثنتين وثلاثين سنة فبدا فيه أكل الأرضة فارسل الظاهر برقوق منبرا فرفع منبر الملك الظاهر بيبرس ووضع منبر الملك الظاهر برقوق ومكث ثلاثا أو أربعا وعشرين سنة ثم ان السلطان المؤيد شيخ لما بنى مدرسته بالقاهرة التى يقال لها المؤيدية عمل أهل الشام له منبرا وأرسلوا به اليه ليجعله فى مدرسته فوجد أهل مصر قد صنعوا لها منبرا فسير المؤيد منبر أهل الشام الى المدينة فمكث سبعا وستين سنة ثم أحرق فى الحريق الواقع فى المسجد ثانى مرة ثم جعل موضعه منبر مبنى بالآجر مطلى بالنورة فمكث إحدى وعشرين سنة ثم جعل موضعه المنبر الرخام الموجود الآن قيل وأعجب منبر فى الدنيا منبر جامع قرطبة قاعدة بلاد الاندلس بالمغرب ذكران خشبه من ساج وأبنوس وعود قاقلى أحكم عمله ونقشه فى سبع سنين وكان يعمل فيه سبع صناع لكل صانع فى كل يوم نصف مثقال ذهب فكان جملة ما صرف على أجرته عشرة آلاف مثقال وخمسين مثقالا وبالجامع المذكور مصحف فيه أربع ورقات من مصحف عثمان ابن عفان رضى الله تعالى عنه بخط يده وفيه نقط من دمه وفى هذا المسجد ثلاثة أعمدة حمر مكتوب على أحدها اسم محمد صلى الله عليه وسلم وعلى الثانى صفة عيسى وموسى عليهما الصلاة والسلام وأهل الكهف وعلى الثالث صورة غراب نوح الجميع خلقة ربانية ولا بدع فقد ذكر بعضهم رأيت بحمام القاهرة رخامة عليها مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم مفسرا يقرؤه كل أحد خلقة وعن سهل قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أول يوم جلس على المنبر أى من الخشب كبر فكبر الناس خلفه ثم ركع وهو على المنبر ثم رجع فنزل القهقرى ثم سجد فى أصل المنبر ثم عاد حتى اذا فرغ من الصلاة يصنع فيها كما يصنع فى الركعة الاولى فلما فرغ أقبل على الناس وقال أيها الناس انما صنعت هذا لتأتموا بى ولتعلموا صلاتى وقوله لتأتموا بى أى تقتدوا بى فى مثل هذا الفعل من الاحرام والركوع على المحل المرتفع ثم النزول عنه والسجود تحته ثم الصعود اليه وهكذا الى ان تم الصلاة وهذا عند أئمتنا مخصوص جوازه بما اذا لم يلزم عليه استدبار القبلة أو توالى حركات ثلاث وقوله ولتعلموا صلاتى هو واضع لو كان ذلك أول صلاة صلاها الا ان يقال المراد ولتعلموا جواز صلاتى هذه وفى كلام فقهائنا أنه صلى الله عليه وسلم كان ينزل من المنبر ويسجد للتلاوة أسفل المنبر وآخر الامرين ترك ذلك فعلم ان منبره صلى الله عليه وسلم كان ثلاث درجات بالمستراح وحينئذ يشكل ان صح ما روى ان أبا بكر نزل درجة عن موقفه صلى الله عليه وسلم وعمر نزل درجة أخرى وعثمان درجة أخرى ومن ثم قال فى النور وهذا يدل على انه كان أكثر من ثلاث درجات أى أربعة غير المستراح وإلا يلزم ان يكون عمر وعثمان كانا يخطبان على الارض قال ويمكن تأويله هذا كلامه ولينظر ما تأويله فانه يلزم على كونه درجتين غير المستراح ان يكون الصديق كان يخطب على الدرجة الثانية وعمر يخطب على الارض وان عثمان فعل كفعل عمر وحينئذ لا يحسن قولهم وعثمان نزل درجة أخرى اذ لا درجة بعد الدرجة الثانية ينزل عنها وحينئذ يشكل ما فى الامتاع

باعادة الربط حتى خر مغشيا عليه ثم أنزل الله توبته على النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم وكان نزول توبته ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت أم سلمة رضى الله عنها قالت أم سلمة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من السحر وهو يضحك فرحا بالتوبة لأنه بالمؤمنين رءوف رحيم قالت فقلت يارسول الله مم تضحك  أضحك الله سنك قال تيب على أبى لبابة قالت قلت أفلا أبشره يارسول الله قال بلى ان شئت فقامت على باب حجرتها وذلك قبل ان يضرب عليهن الحجاب فقالت ياأبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك فثار الناس اليه ليطلقوه وقيل قالوا له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا أحلها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يحلنى فجاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو خارج لصلاة الصبح فحله فقال يارسول الله إن من تمام توبتى ان أهجر دار قومى التى أصبت فيها الذنب وأن أنخلع من مالى فقال له صلى الله عليه وسلم يجزيك الثلث أن تتصدق به وجاء فى بعض الروايات عن أبى لبابة رضى الله عنه عند ذكر هذه القصة حين ربط نفسه قال فكنت فى أمر عظيم فى حر شديد عدة ليال لا آكل فيهن شيئا ولا أشرب وقلت لا أزال هكذا حتى افارق الدنيا أو يتوب الله على وذكرت رؤيا رأيتها ونحن محاصرون بنى قريظة فانى رأيت كأنى فى حمأة أى طين أسود آسنة أى متغيرة فلم اخرج منها حتى كدت أموت من ريحها ثم رأيت نهرا جاريا فأرانى اغتسلت فيه حتى استنقيت وأرانى أجد ريحا طيبة فاستعبرتها أبا بكر رضى الله عنه فقال لتدخلن فى أمر تغتم له ثم يفرج الله عنك فكنت أذكر قوله وأنا مرتبط فأرجو أن ينزل الله توبتى فلم أزل كذلك حتى كنت ما أسمع الصوت من الجهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر الى حتى أنزل الله توبتى ثم ان بنى قريظة نزلوا على حكم رسول الله صلى عليه وسلم فامر بهم فكتفوا وجعلوا ناحية

لها

وهو كان منبره ﷺ درجتين ومجلسا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس على المجلس ويضع رجليه اذا قعد على الدرجة الثانية فلما ولى أبو بكر رضى الله عنه قام على الدرجة الثانية ووضع رجليه على الدرجة السفلى فلما ولى عمر رضى الله عنه قام على الدرجة السفلى ووضع رجليه على الارض اذا قعد فلما ولى عثمان رضى الله عنه فعل كذلك أى كفعل عمر ست سنين من خلافته ثم علا الى موضع وقوفه ﷺ هذا كلامه وكان ينبغى ان يقول بدل قوله فلما ولى أبو بكر قام على الدرجة الثانية جلس على الدرجة الثانية وكذا قوله فلما ولى عمر قام على الدرجة السفلى جلس على الدرجة السفلى أى فقد خطب على الارض وكذا عثمان وذكر فقهاؤنا ان منبره ﷺ كان ثلاث درج غير الدرجة التى تسمى المستراح وتسمى بالمقعد والمجلس فكان ﷺ يقف على الثالثة أى بالنسبة للسفلى واذا جلس يجلس على المستراح ويجعل رجليه محل وقوفه اذا قام للخطبة وكذا الخلفاء الثلاثة كل يجعل رجليه محل وقوفه ويذكر ان المتوكل قال يوما لجلسائه وفيهم عبادة أتدرون ما الذى نقم على عثمان نقم عليه أشياء منها انه قام أبو بكر رضى الله عنه دون مقام رسول الله ﷺ بمرقاة ثم قام عمر رضى الله عنه دونه بمرقاة فصعد عثمان رضى الله عنه ذروة المنبر فقال له عبادة ما أحد أعظم منة عليك ياأمير المؤمنين من عثمان قال وكيف ذاك قال لانه صعد ذروة المنبر وانه لو كان كلما قام خليفة نزل عمن تقدمه كنت أنت تخطبنا فى بئر عميق فضحك المتوكل ومن حوله وكون عثمان صعد ذروة المنبر انما هو فى آخر الأمر كما علمت (وفى كلام بعضهم) أول من اتخذ المنبر خمس عشرة درجة معاوية رضى الله تعالى عنه وانه أول من اتخذ الخصيان فى الاسلام وأول من قيدت بين يديه الجنائب وعثمان أول من كسا المنبر قبطية وعن الواقدى ان امرأة سرقت كسوة عثمان للمنبر فاتى بها اليه فقال لها عثمان هل سرقت قولى لا فاعترفت فقطعها ثم كساه معاوية كما تقدم ثم كساه عبدالله بن الزبير فسرقتها امرأة فقطعها كما قطع عثمان ثم كساه الخلفاء من بعده

﴿ باب غزوة بدر الكبرى ﴾

ويقال لها بدر العظمى ويقال لها بدر القتال ويقال بدر الفرقان أى لان الله تعالى فرق فيها بين الحق والباطل ثم ان العير التى خرج ﷺ فى طلبها حتى بلغ العشيرة ووجدها سبقته بايام لم يزل مترقبا قفولها أى رجوعها من الشام فلما سمع بقفولها من الشام ندب المسلمين أى دعاهم وقال هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا اليها لعل الله أن ينفلكموها فانتدب ناس أى أجابوا وثقل آخرون أى لم يجيبوا لظنهم أن رسول الله ﷺ لم يلق حربا ولم يحتفل لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أى لم يهتم بها بل قال من كان ظهره أى ما يركبه حاضرا فليركب معنا ولم ينتظر من كان ظهره غائبا عنه ولما خرج ﷺ الى بدر قالت له أم ورقة بنت نوفل يارسول الله ائذن لى فى الغزو معك أمرض مرضاكم لعل الله يرزقنى الشهادة فقال لها قرى فى بيتك فان الله يرزقك الشهادة وكانت قد قرأت القرآن فكان رسول الله ﷺ يزورها ويسميها الشهيدة فكان الناس يقولون

وكانوا ستمائة وقيل سبعمائة وخمسين مقاتلا وهو الذى تقدم عن حيى بن أخطب وقيل كانوا بين الثمانمائة والسبعمائة وقيل
كانوا أربعمائة ويجوز أن يكون مازاد على ذلك أتباعا لا يعدون فلا تخالف وأخرج النساء والذرارى من الحصون وجعلوا ناحية
وكانوا ألفا واستعمل عليهم عبدالله بن سلام فتواثب الأوس فقالوا يارسول الله موالينا وحلفاؤنا وقد فعلت فى موالى إخواننا بالأمس
ماقد فعلت يعنون بنى قينقاع لأنهم كانوا حلفاء الخزرج ومن الخزرج عبد الله  بن أبى ابن سلول وقد نزلوا على
حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كلمه فيهم عبدالله بن أبى ابن سلول فوهبهم له على أن يجلوا كما تقدم فظنت الأوس من رسول صلى الله عليه وسلم ان يهب لهم بنى قريظة كما وهب بنى قينقاع للخزرج فلما كلمته الأوس أبى أن يفعل ببنى قريظة مافعل ببنى قينقاع ثم قال لهم اما ترضون يامعشر الاوس أن يحكم فيهم رجل منكم قالوا بلى فقال ذلك إلى سعد بن معاذ وقيل انه صلى الله عليه وسلم قال لهم اختاروا من شئتم من أصحابى فاختاروا سعد بن معاذ وهو سيد الأوس حينئذ وقيل ان بنى قريظة هم الذين قالوا ننزل على حكم سعد بن معاذ رضى الله عنه فرضى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن هشام حدثنى من أثق به ان عليا رضى الله عنه صاح على بنى قريظة وهم محاصرون يا كتيبة
الايمان ثم تقدم هو والزبير وقال والله لأذوقن ماذاق حمزة أولاقتحمن حصنهم فخافوا
وقالوا ننزل على حكم سعد قال الحافظ ابن حجر كأنهم أذعنوا أولا للنزول على حكم المصطفى ﷺ فلما سأله الأنصار فيهم رد
الحكم الى سعد وروى الطبرانى عن عائشة رضى الله عنها فلما اشتدبهم البلاء قيل لهم انزلوا على حكم رسول الله ﷺ فلما
استشاروا أبا لبابة قالوا ننزل على حكم سعد فحصل فى سبب رد الحكم الى سعد أمران أحدهما سؤال الأوس والآخر اشارة أبى لبابة



لها الشهيدة فلما كان زمن خلافة سيدنا عمر عدا عليها غلام وجارية كانت دبرتهما فغمياها بقطيفة
الى أن ماتت فجىء بهما الى سيدنا عمر فأمر بصلبهما فكانا أول مصلوب بالمدينة وقال صدق رسول الله
ﷺ كان يقول انطلقوا بنا نزور الشهيدة فكان أبو سفيان حين دنا بالعير من أرض الحجاز يتجسس
الأخبار أى يبحث عنها ويسأل من لقى من الركبان تخوفا من رسول صلى الله عليه وسلم فبلغه
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استنفر أصحابه للعير أى ويقال إنه لقى رجلا فأخبره أنه ﷺ
قد كان عرض لعيره فى بدايته وأنه تركه مقيما ينتظر رجوع العير ( ) فخاف خوفا شديدا
فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفارى أى استأجره بعشرين مثقالا ولا يعرف له اسلام والذى من
الصحابة ضمضم بن عمر الخزاعى ( ) ليأتى مكة أى وان يجدع بعيره وأن يحول رحله ويشق قميصه
من قبله ومن دبره اذا دخل مكة ويستنفر قريشا ويخبرهم أن محمدا قد عرض لعيرهم وهو وأصحابه
فخرج ضمضم سريعا الى مكة وقبل أن يقدم بثلاث ليال رأت عاتكة بنت عبد المطلب عمة النبى
ﷺ اختلف فى اسلامها رؤيا أزعجتها فبعثت الى أخيها العباس بن عبد المطلب فقالت له ياأخى
والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفظعتنى أى اشتدت على وتخوفت أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة
فاكتم عنى ما أحدثك قال وفى رواية أنها قالت له لن أحدثك حتى تعاهدنى أن لا تذكرها فانهم إن سمعوها
تعنى كفار قريش آذونا وأسمعونا مالا نحب فعاهدها العباس اه فقال لها مارأيت قالت رأيت راكبا
أقبل على بعير له حتى وقف بالأبطح أى وهو مابين المحصب ومكة ثم صرخ بأعلى صوته ألا انفروا
يا آل غدر أى ياأصحاب الغدر وعدم الوفاء الى مصارعكم فى ثلاث أى بعد ثلاثة أيام وفى كلام السهيلى
يا آل غدر بضم الغين والدال جمع غدور أى ان تخلفتم فأنتم غدر لقومكم قالت فأرى الناس اجتمعوا
اليه ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فبينماهم حوله مثل به بعيره أى انتصب به على ظهر الكعبة ثم
صرخ بمثلها ثم مثل به بعيره على رأس أبى قبيس فصرخ بمثلها ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوى
حتى اذا كانت بأسفل الجبل ارفضت أى تكسرت فما بقى بيت من بيوت مكة ولا دارا لا دخلها منه
فلقة فقال لها العباس والله ان هذه لرؤيا وأنت فاكتميها ولا تذكريها لأحد ثم خرج العباس فلقى الوليد بن
عتبة أى وكان صديقا له فذكرها له أى واستكتمه فذكرها الوليد لابنه عتبة فتحدث بها ( ) ففشا الحديث
قال العباس فغدوت لأطوف بالبيت وأبو جهل بن هشام فى رهط من قريش قعود يتحدثون برؤيا
عاتكة فلما رآنى أبو جهل قال ياأبا الفضل اذا فرغت من طوافك فأقبل الينا فلما فرغت أقبلت حتى جلست
معهم فقال أبو جهل لعنه الله يابنى عبد المطلب متى حدثت فيكم هذه النبية قال قلت وماذاك قال ذاك
الرؤيا التى رأت عاتكة فقلت ومارأت قال يابنى عبد المطلب أما رضيتم أن تتنبأ رجالكم حتى تتنبأ
نساؤكم وفى رواية مارضيتم يابنى هاشم بكذب الرجال حتى جئتمونا بكذب النساء اه قال أبو جهل قد
زعمت عاتكة فى رؤياها انه قال انفروا فى ثلاث فسنتربص بكم هذه الثلاث فان يك حقا ما تقول فسيكون
وان تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شىء نكتب عليكم كتابا أنكم أكذب أهل بيت فى العرب قال العباس

وكانوا احلفاء سعد وكان سعد بن معاذ رضى الله تعالى عنه يومئذ فى المسجد النبوى فى خيمة رفيدة رضى الله عنها وقد كان صلى الله عليه وسلم
قال لقوم سعد بن معاذ رضى الله عنه حين أصابه السهم بالخندق اجعلوه فى خيمة رفيدة حتى أعوده من قرب ورفيدة هذه امرأة من
أسلم كانت لها خيمة فى المسجد تداوى فيها الجرحى من الصحابة ممن لم يكن له من يقوم عليه فأتاه قومه فحملوه على حمار ثم أقبلوا به
على رسول الله صلى الله عليه وسلم  وهم يقولون له يا أبا عمرو أحسن فى مواليك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما
ولاك ذلك لتحسن فيهم فأحسن فيهم فقد رأيت من ابن أبى ما صنع فى حلفائه وهو ساكت فلما أكثروا عليه قال لقد آن لسعد ان لا تأخذه فى الله لومة لائم فقال بعضهم واقوماه فلما انتهى سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى المسلمين وهم حوله جلوس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا إلى سيدكم وفى رواية إلى خيركم فقاموا اليه فقالوا يا أبا عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم وفى رواية فقمنا صفين يحييه كل رجل منا حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحكم فيهم ياسعد فقال الله ورسوله أحق بالحكم قال قد أمرك الله أن تحكم فيهم فقال سعد أى لمن فى الناحية التى ليس فيها رسول الله صل الله عليه
وسلم عليكم بذلك عهد الله وميثاقه أن الحكم فيهم بما حكمت قالوا نعم قال وعلى من ههنا مثل ذلك
وأشار الى الناحية التى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معرض عن رسول الله ﷺ اجلالا له ثم قال سعد لبنى قريظة
أترضون بحكمى قالوا نعم فأخذ عليهم عهد الله وميثاقه أن الحكم ما حكم به سعد قال سعد فانى أحكم فيهم ان تقتل الرجال وتقسم الأموال
وتسبى الذرارى والنساء وتكون الديار للمهاجرين دون الانصار فقالت الأنصار اخواننا يعنون المهاجرين لنا معهم فقال

فوالله ما كان منى اليه كبير الا أنى جحدت ذلك وأنكرت أن تكون رأت شيئا وفى رواية ان العباس قال
لأبى جهل هل أنت منته يامصفر استه أى يامأبون أو ياجبان أو الذى يغير لون البرص الذى بمقعدته
بالزعفران فان الكذب فيك وفى أهل بيتك فقال من حضرهما ما كنت ياأبا الفضل جهولا ولا خرقا ولقى
العباس رضى الله عنه من أخته عاتكة أذى شديدا حين أفشى من حديثها قال العباس فلما أمسيت
لم تبق امرأة من بنى عبد المطلب الا أتتنى أقررتم أى قائلة أقررتم لهذا الفاسق الخبيث ان يقع فى رجالكم
ثم قد تناول النساء وأنت تسمع ثم لم يكن عندك غيرة لشئ مما سمعت ثم قلت لهن وايم الله لا تعرضن له
وان عاد قاتلته وغدوت فى اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا مغضب أرى انى قد فاتنى منه أمر أحب أن
أدركه منه فدخلت المسجد فرأيته فوالله انى لأمشى نحوه أتعرضه ليعود الى بعض ماقال فأوقع به اذ هو
قد خرج نحو باب المسجد يشتد أى يعدو فقلت فى نفسى ماله لعنه الله أكل هذا فرق أى خوف منى فاذا
هو يسمع مالم أسمع سمع صوت ضمضم بن عمرو الغفارى وهو يصرخ ببطن الوادى واقفا على بعيره قد
جدع بعيره أى قطع أنفه وأذناه وحول رحله وشق قميصه وهو يقول يامعشر قريش اللطيمة اللطيمة
أى ادركوا اللطيمة وهى العير التى تحمل الطيب والبز أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد فى
أصحابه لا أرى ان تدركوها وفى لفظ ان أصابها محمد لم تفلحوا أبدا الغوث الغوث قال العباس فشغلنى عنه
وشغله عنى ماجاء من الأمر فتجهز الناس سراعا أى وفزعوا أشد الفزع وأشفقوا أى خافوا من رؤيا
عاتكة () ويروى أنهم قالوا أيظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمى والله ليعلمن غير ذلك
فكانوا بين رجلين اما خارج واما باعث مكانه رجلا أى وأعان قويهم ضعيفهم وقام أشراف قريش
يحضون الناس على الخروج وقال سهيل بن عمرو يا آل غالب أتاركون أنتم محمدا والصباة من أهل
يثرب يأخذون أموالكم من أراد مالا فهذا مالى ومن أراد قوة فهذا قوتى () ولم يتخلف من أشراف
قريش الا أبو لهب أى خوفا من رؤيا عاتكة فانه كان يقول رؤيا عاتكة كأخذ بيد أى صادقة لا تتخلف
() وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة أى استأجره بأربعة آلاف درهم كانت له عليه دينا أفلس بها
() أى قال له أخرج ودينى لك أى ويقال ان ذلك الدين كان ربا ومن ثم جاء فى لفظ وكان لاطه بأربعة
آلاف درهم قال أبو عبيد وسمى الربا لياطا لأنه ملصق بالبيع وليس ببيع وفى كلام البلاذرى انه قامر أبا
لهب على أن يطيعه فيما أراد فقمره أبو لهب فأسلمه إلى ضيق أى ضيق عليه بالطلب ثم قامره فقمره أبو لهب
أيضا فأرسله مكانه إلى بدر وهشام هذا قتله عمر بن الخطاب فى هذه الغزوة حتى ان أمية بن خلف
أراد القعود وكان شيخا جسيما ثقيلا فجاء اليه وهو جالس مع قومه عقبة بن أبى معيط بمجمرة فيها مجمر أى
بخور يحملها حتى وضعها بين يديه ثم قال ياأبا على استجمر فانما أنت من النساء فقال له قبحك الله وقبح
ماجئت به أى وكان عقبة كما فى فتح البارى سفيها وكان أبو جهل سلط عقبة على ذلك وفى لفظ أتاه أبو
جهل فقال له ياأبا صفوان انك متى يراك الناس قد تخلفت وأنت سيد أهل الوادى وفى لفظ وأنت من
أشراف الوادى تخلفوا معك فسر يوما أو يومين أى ولا مانع من وجود ذلك كله فتجهز مع الناس أى

وسبب

إني أحببت أن يستغنوا عنكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد لقد حكمت بحكم الملك بكسر اللام وفي رواية لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات قد طرقني بذلك الملك سحراً والمراد ان شأن هذا الحكم العلو والرفعة ثم أمر أن يجمع ما في حصونهم من الحلقة والسلاح وغير ذلك فجمع فوجد فيها ألف وخمسمائة سيف وثلثمائة درع وألفا رمح وخمسمائة ترس وحجفة ووجد أثاث كثير وآنية كثيرة وجمال نواضح أي يسقى عليها الماء وماشية وشياه كثيرة وخمس ذلك مع النخل والسبي ثم قسم الباقي على الغانمين وفي رواية ثم أمر بالباقي فبيع ثم قسمه بين المسلمين وكانت أسهم القسمة ثلاثة آلاف واثنين وسبعين سهما لان المسلمين ثلاثة آلاف والخيل ست وثلاثون وللفرس سهمين ولصاحبه سهما ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بالاسارى أن يكونوا في دار أسامة بن زيد والنساء والذرية في دار بنت الحرث النجارية ثم غدا صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ثم خرج إلى سوق المدينة فخندق فيها خنادق أي حفر فيها حفائر وفي رواية شق اخدودا وجلس صلى الله عليه وسلم ومعه أصحابه ثم أمر بقتل كل من نبت شعر عانته فبعث اليهم فجاؤا ارسالا فضرب أعناقهم ويلقون في تلك الخنادق وقد قال بعضهم لسيدهم كعب ابن أسيد يا كعب ما ترى يصنع بنا قال أنتم في كل موطن لا تعقلون ألا ترون انه من ذهب منكم لا يرجع هو والله القتل قد دعوتكم الى غير هذا فأبيتم علي قالوا ليس حين عتاب فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله ﷺ ثم رد عليهم التراب في تلك الخنادق وعند قتلهم صاحت نساؤهم وشقت جيوبها ونشرت شعورها وضربت خدودها وملئت المدينة بالنوح والعويل وكان من جملة من أتى به معهم عدو الله حيي بن أخطب مجموعة يداه الى عنقه بحبل فلما نظر اليه رسول الله ﷺ قال ألم يمكن الله منك يا عدو الله قال بلى أبى الله إلا تمكينك مني والله ما لمت نفسي

---

وسبب تخلفه ان سعد بن معاذ قدم مكة معتمراً فنزل عليه لان أمية كان ينزل على سعد بالمدينة إذا ذهب إلى الشام في تجارته فقال سعد لأمية انظر لي ساعة خلوة لعلي ان أطوف بالبيت فقال أمية لسعد انتظر حتى اذا انتصف النهار وغفلت الناس انطلقت فطفت وفي لفظ فخرج أمية به قريبا من نصف النهار فبينما سعد يطوف اذ أتاه أبو جهل فقال من هذا الذي يطوف فقال له سعد أنا سعد بن معاذ فقال له أبو جهل أتطوف بالكعبة آمنا وقد أويتم محمداً وأصحابه وفي لفظ آويتم الصباة وزعمتم انكم تنصرونهم وتعينونهم أما والله لولا انك مع أبي صفوان ما رجعت الى أهلك سالما فتلاحيا أي تخاصما وسعد يرفع صوته بقوله أما والله لئن منعتني هذا لأمنعك ما هو أشد عليك منه طريقك على المدينة فصار أمية يقول لسعد لا ترفع صوتك على أبي الحكم فانه سيد أهل الوادي وجعل يسكت سعداً فقال سعد لأمية اليك عني فاني سمعت محمداً صلى الله عليه وسلم يزعم انه قاتلك قال اياي قال نعم قال بمكة قال لا أدري قال والله ما كذب محمد فكاد يحدث أي يبول في ثيابه فزعاً فرجع الى امرأته فقال ما تعلمين ما قال أخي اليثربي يعني سعد بن معاذ قالت وما ذاك قال زعم انه سمع محمداً يزعم انه قاتلي قالت فوالله ما يكذب محمد قال فلما جاء الصريخ وأراد الخروج قالت له امرأته أما علمت ما قال لك أخوك اليثربي قال فاني إذن لا أخرج فلما صمم على عدم الخروج بل أقسم بالله لا يخرج من مكة قيل له ما تقدم فخرج ناويا أن يرجع عنهم أي ومعنى كونه صلى الله عليه وسلم قاتله انه كان سببا في قتله والا فهو صلى الله عليه وسلم لم يباشر الا قتل أخيه وهو أبي بن خلف في أحد () كما سيأتي ومن ثم جاء في رواية قال لأمية ان أصحابه يعني النبي صلى الله عليه وسلم يقتلونك ويحتمل ان سعد بن معاذ رضي الله عنه سمعه صلى الله عليه وسلم يقول أنا أقتل أبي بن خلف ففهم سعد رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم يريد أمية لا أبيا أي وفي الامتاع ان أمية بن خلف وعتبة وشيبة بن ربيعة وزمعة بن الأسود وحكيم بن حزام استقسموا بالازلام فخرج لهم القدح الناهي أي المكتوب عليه لا تفعل فاجمعوا على المقام فجاءهم أبو جهل لعنه الله وأزعجهم وأعانه على ذلك عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحرث ويقال ان عداسا قال لسيديه عتبة وشيبة ابني ربيعة بأبي وأمي أنتما والله ما تساقان إلا لمصارعكما فارادا عدم الخروج فلم يزل بهما أبو جهل حتى خرجا عازمين على العود عن الجيش ولما فرغوا من جهازهم أي وكان ذلك في ثلاثة أيام وقيل في يومين وأجمعوا السير أي عزموا عليه وكانوا خمسين وتسعمائة وقيل كانوا ألفا وقادوا مائة فرس أي عليها مائة درع سوى دروع المشاة قال ابن اسحق وخرجوا على الصعب والذلول أي لشدة اسراعهم والصعب الذي لا ينقاد والذلول الذي ينقاد معهم القيان أي بفتح القاف وتخفيف المثناة تحت وفي آخره نون جمع قينة وهي الأمة مطلقا وقيل المغنية والمراد هنا الثاني لقوله في الامتاع ومعهم القينات يضربن بالدفوف يغنين أي بهجاء المسلمين وسيأتي في أحد خروج جماعة من نساء قريش معهن الدفوف وعند خروجهم ذكروا ما بينهم وبين كنانة من الحرب أي والدماء وقالوا نخشى أن يأتونا من خلفنا أي لان قريشا كانت قتلت شخصا من كنانة وان شخصا من قريش كان شابا وضيئا له ذؤابة وعليه حلة خرج في طلب ضالة له فمر ببني كنانة

فى عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل وفى رواية قال بلى ولقد قلقلنا كل مقلقل ولكنه من يخذل الله يخذل ثم أقبل على الناس فقال أيها الناس انه لا باس بأمر الله كتاب وقدر وملحمة كتبها الله على بنى اسرائيل ثم جلس فضربت عنقه ولما أتى بكعب بن أسيد سيد بنى قريظة قال له صلى الله عليه وسلم يا كعب قال نعم يا أبا القاسم قال ما انتفعتم بنصح ابن خراش لكم وكان مصدقا بى أما أمركم باتباعى وانكم ان رأيتمونى تقرئونى منه السلام (١٥٦) قال بلى والتوراة يا أبا القاسم لولا أن تعيرنى يهود بالجزع من السيف لاتبعتك ولكنه على دين يهود فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقدم فتضرب عنقه ففعل به ذلك وكان المتولى لقتلهم على بن أبى طالب والزبير بن العوام رضى الله عنهما وقيل ان بعضا منهم تولى قتله الاوس لما جاء ان سعد بن عبادة والحباب بن المنذر رضى الله عنهما قالا يا رسول الله ان الاوس قد كرهت قتل بنى قريظة لمكان حلفهم فقال سعد ابن معاذ رضى الله عنه ما كرهه من الاوس أحد فيه خير فمن كرهه فلا أرضاه الله وقام أسيد بن حضير رضى الله عنه فقال يا رسول الله لا تبق دارا من الاوس الا فرقت فيها منهم فمن سخط فلا يرغم الله الا انفه فابعث الى دارى أول دورهم ففرق صلى الله عليه وسلم منهم فيها فقتلوهم قال بعضهم ان الطائفة الذين كرهوا ذلك بعض من الاوس فقتلوا من بعث به الى دورهم اتباعا لرضا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وازالة لما حاك فى صدورهم وما عدا ذلك تعاطى قتله على والزبير رضى الله عنهما فلا تنافى وبقى صلى الله عليه وسلم عند الاخدود حتى فرغوا منهم عند الغروب فرد عليهم التراب وكان الذين أرسلوا الى الاوس حملوا بعد القتل الى الاخدود وكانوا كلهم ما بين الستمائة والسبعمائة كما تقدم ولم يقتل من النساء الا واحدة خرجت من بين النساء يقال لها بيانة وقيل مزنة كانت طرحت رحى على خلاد بن سويد رضى الله عنه فقتلته بارشاد زوجها لانه

---

وفيهم سيدهم وهو عامر بن الخلوج فرآه فأعجبه فقال له من أنت يا غلام فذكر انه من قريش فلما ولى الغلام قال عامر لقومه أما لكم فى قريش من دم قالوا بلى فاغراهم به فقتلوه ثم قال بنو كنانة لقريش رجل برجل فقالت قريش نعم رجل برجل ثم ان أخا المقتول ظفر بعامر بمر الظهران فعلاه بالسيف حتى قتله ثم خاط بطنه بسيفه ثم جاء وعلقه باستار الكعبة من الليل فلما أصبحت قريش رأوا سيف عامر عرفوه وعرفوا قاتله أى وكاد ذلك يثنيهم أى يصرفهم عن الخروج () فتبدى لهم إبليس فى سورة سراقة ابن مالك المدلجى وكان من أشراف بنى كنانة وقال لهم أنا لكم جار من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشىء تكرهونه فخرجوا سراعا وخرج معهم ابليس يعدهم ان بنى كنانة وراءهم قد أقبلوا لنصرهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عسكره ببئر أبى عتبة أى وأمر أصحابه أن يستقوا منها وشرب من مائها وفى الامتاع عسكر ببيوت السقيا وهى عين بينها وبين المدينة يومان كان يستقى له صلى الله عليه وسلم الماء منها وقد جاء ان عبده صلى الله عليه وسلم رباحا كان يستقى له من بئر غرس مرة ومن بيوت السقيا مرة وقال صلى الله عليه وسلم بئر غرس من عيون الجنة ومن ثم غسل منها صلى الله عليه وسلم كما سيأتى وغرس اسم عبد كان يقوم عليها وقيل غير ذلك وأمر صلى الله عليه وسلم حين فصل من بيوت السقيا أن تعد المسلمون فوقف لهم عند بئر أبى عتبة فعدوا وهى على ميل من المدينة فعرض أصحابه ورد من استصغر أى وكان ممن رده أسامة بن زيد ورافع بن خديج والبراء بن عازب وأسيد بن ظهير وزيد بن أرقم وزيد ابن ثابت رضى الله عنهم ورد عمير بن ابى وقاص فبكى فاجازه وقتل وعمره ستة عشر عاما وحينئذ يتوقف فى رده لأن الخمسة عشر بلوغ بالسن على ما عليه أئمتنا وخرج صلى الله عليه وسلم فى خمسة وثلثمائة رجل من المهاجرين أربعة وستون وباقيهم من الانصار وقيل كان المهاجرون نيفا وثمانين وكانت الانصار نيفا وأربعين ومائتين وذكر الامام الدوانى انه سمع من مشايخ الحديث ان الدعاء عند ذكرهم يعنى أصحاب بدر مستجاب وقد جرب ذلك وخلف عثمان على ابنته صلى الله عليه وسلم رقية وكانت مريضة أى وقيل لانه كان مريضا بالجدرى أى ولا مانع من وجود الامرين وقد قال صلى الله عليه وسلم ان لك لأجر رجل وسهمه أى وكان أبو امامة بن ثعلبة الانصارى أجمع الخروج الى بدر وكانت أمه مريضة فامره صلى الله عليه وسلم بالمقام على أمه فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر وقد توفيت فصلى على قبرها واستعمل صلى الله عليه وسلم أبا لبابة رضى الله عنه واليا على المدينة ورده من المحل المذكور أى من بئر أبى عتبة كذا فى الاصل وقيل رده من الروحاء وهو المشهور وهى قرية على ليلتين من المدينة كما تقدم واستعمل ابن أم مكتوم على الصلاة بالناس فى المدينة وخلف عاصم بن عدى على أهل قباء وأهل العالية أى لشىء بلغه عن أهل مسجد الضرار لينظر فى ذلك وكسر بالروحاء خوات بن جبير أى وفى كلام ابن عبد البر وقال موسى بن عقبة خرج خوات بن جبير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما بلغ الصفراء أصاب ساقه حجر ودميت رجله واعتلت فرجع وضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه

أحب أن لا تبقى بعده فيتزوجها غيره وقد أسهم النبى صلى الله عليه وسلم لخلاد بن سويد هذا وقال ان له اجر شهيدين وأسهم لسنان بن محصن وقد مات فى زمن الحصار وعن عائشة رضى الله عنها انها قالت لم يقتل من نسائهم الا امرأة واحدة قالت والله إنها لعندى تتحدث وتضحك ظهرا وبطنا أى وكانت جارية حلوة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالها أى لانها دخلت على عائشة رضى الله عنها وبنو قريظة يقتلون إذ هتف هاتف باسمها أين بيانة فقالت ها أنا  والله قالت عائشة رضى الله عنها فقلت لها مالك ويلك قالت أقتل قلت ولم قالت لحدث أحدثته وفى لفظ قالت قتلنى زوجى فقالت لها عائشة رضى الله عنها كيف قتلك زوجك قالت أمرنى ان ألقى رحى على أصحاب محمد الذين كانوا تحت الحصن مستظلين فى فيئة فادركت خلاد ابن سويد فشدخت رأسه فمات وانا أقتل به وفى رواية قالت كنت زوجة رجل من بنى قريظة وكان بينى وبينه كاشد ما يتحاب الزوجان فلما اشتد الحصار قلت لزوجى ياحسرتا على أيام الوصال كادت أن تنقضى وتتبدل بليالى الفراق وما اصنع بالحياة بعدك فقال زوجى ان كنت صادقة فى دعوى المحبة تعالى فان جماعة من المسلمين جالسون فى ظل حصن الزبير بن بطا وهو بفتح الزاى وكسر الباء الموحدة فالقى عليهم حجر الرحى لعله يصيب واحدا منهم فيقتله فان ظفروا بنا فانهم يقتلونك بذلك فقعلت قالت عائشة رضى الله عنها فانطلق بها فضربت عنقها فكانت عائشة رضى الله عنها تقول مارأيت أعجب من طيب نفسها وكثرة ضحكها وقد عرفت انها تقتل وكان فى بنى قريظة الزبير بن بطا وكان شيخا كبيرا وكان قد من على ثابت بن قيس فى الجاهلية يوم بعاث وهى الحرب التى كانت بين الاوس والخزرج قبل قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة وكان الظفر فيها للاوس على الخزرج وذلك ان الزبير بن بطا أخذ ثابت بن قيس فجز ناصيته ثم خلى سبيله فجاء ثابت للزبير يوم قتل بنى قريظة فقال له يا أبا عبد الرحمن

بسهمه وأهل الاخبار يقولون انه شهد بدرا وله فى الجاهلية قصة مشهورة مع ذات النحيين التى تضرب العرب بها المثل فتقول اشغل من ذات النحيين وهى خولة يروى انه صلى الله عليه وسلم سأله عنها وتبسم فقال يارسول الله قد رزقنى الله خيرا منها وأعوذ بالله من الحور بعد الكور وروى انه صلى الله عليه وسلم قال له مافعل بعيرك الشارد يعرض بهذه القصة فقال قيده الاسلام يارسول الله وقيل لم يعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا القول لتلك القضية وانما هو لقضية أخرى هى ان خوانا مر بنسوة فى الجاهلية أعجبه حسنهن فسألهن ان يفتلن له قيداً لبعيره وزعم انه شارد وجلس اليهن بهذه العلة فمر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتحدث اليهن فاعرض عنه وعنهن فلما أسلم سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك البعير وهو يتبسم وكسر أيضا الحرث بن الصمة وبعث له صلى الله عليه وسلم طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد رضى الله عنهم يتحسسان خبر العير والتحسس للاخبار بالحاء المهملة أن يفحص الشخص عن الاخبار بنفسه وبالجيم ان يفحص عنها بغيره وجاء تحسسوا ولا تجسسوا ولم يحضرا لهذا القتال بل رجعا بخبر العير الى المدينة على ظن انه صلى الله عليه وسلم بالمدينة فلما علما انه ببدر خرجا اليه فلقياه منصرفا من بدر وأسهم لكل وصار كل من أسهم له يقول واجرى يارسول الله فيقول وأجرك ودفع صلى الله عليه وسلم اللواء وكان أبيض الى مصعب بن عمير وكان امامه صلى الله عليه وسلم رايتان سوداوان احداهما مع على بن أبى طالب كرم الله وجهه أى ويقال لها العقاب وكانت من مرط لعائشة وفى كلام بعضهم كان أبو سفيان بن حرب من أشراف قريش وكانت اليه راية الرؤساء المعروفة بالعقاب وكان لا يحملها فى الحرب الا هو أو رئيس مثله وسيأتى انه حملها فى هذه الغزوة الاب الخامس لامامنا الشافعى وهو السائب بن يزيد والاخرى مع بعض الانصار وابن قتيبة اقتصر على الاولى وذكر بعضهم ان بعض الانصار هذا قيل هو سعد بن معاذ وقيل الحباب بن المنذر وهذا يرد ما تقدم فى غزوة بواط عن ابن اسحق وماسيأتى فى غزوة بنى قينقاع عن ابن سعد ان الرايات لم تكن وجدت وانما حدثت يوم خيبر ومما يؤيد الرد ماجاء عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم أعطى عليا كرم الله وجهه الراية يوم بدر وهو ابن عشرين سنة وفى الهدى ان لواء المهاجرين كان مع مصعب بن عمير ولواء الخزرج مع الحباب بن المنذر ولواء الاوس مع سعد بن معاذ ولم يذكر الرايتين وفى الامتاع انه صلى الله عليه وسلم عقد الالوية وهى ثلاثة لواء يحمله مصعب بن عمير ورايتان سوداوان احداهما مع على والاخرى مع رجل من الانصار وفيه اطلاق اللواء على الراية وقد تقدم ان جماعة من أهل اللغة صرحوا بترادف اللواء والراية وكان صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة على غير لواء معقود وقال فى الاصل والمعروف ان سعد بن معاذ كان على حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العريش أى كما سيأتى قال أى جوابا عما تقدم عن الأصل العريش كان ببدر أى وهذا كان عند خروجهم وفى الطريق فلا منافاة أى لانه يجوز أن يكون فى بدر دفع الراية لغيره باذنه صلى الله عليه وسلم ليكون معه فى العريش ولبس صلى الله عليه وسلم درعه ذات الفضول وتقلد صلى الله عليه وسلم سيفه العضب وحين فصل

هل تعرفني فقال وهل يجهل مثلي مثلك قال انى أردت أن أجزيك بيدك عندي قال ان الكريم يجزي الكريم وأحوج ما كنت اليه الآن ثم أتى ثابت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انه كان للزبير على منة وقد أحببت أن أجزيه بها فهب لى دمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هولك فأتاه فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وهب لى دمك فهولك فقال شيخ كبير لا أهل له ولا ولد فما يصنع بالحياة قال ثابت فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله بابى أنت وأمى امرأته وولده فقال هم لك فجئته فقلت أهلك وولدك لك فقال أهل بيت بالحجاز لامال لهم فما بقاؤهم على ذلك قال فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له يارسول الله ماله قال هولك فاتيته فقلت له قد اعطانى رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك فهولك فقال أى ثابت اما أنت فقد كافأتنى وقد قضيت الذى عليك مافعل بالذى كان وجهه مرآة تتراءى فيه عذارى الحى كعب بن أسيد سيد بنى قريظة قلت قتل قال فما فعل بسيد الحاضر والبادى من يحملهم فى الجدب ويطعمهم فى المحل حيي بن أخطب فقلت قد قتل قال فما فعل بمقدمنا بكسر الدال مشددة اذا شددنا وحامينا اذا فررنا عزال بتشديد الزاى ابن سموأل بفتح السين وكسرها قلت قتل قال مافعل المجلسات بكسر اللام محل الجلوس وبفتحها المصدر يعنى بنى كعب بن قريظة وبنى عمرو بن قريظة قلت قتلوا قال فانى أسألك ياثابت بيدك عندي الا ألحقتنى بالقوم فوالله مافى العيش بعد هؤلاء من خير ارجع الى دار قد كانوا حلولا فيها فاخلد فيها بعدهم لا حاجة الى بذلك فما أنا بصابر افراغة دلو ناضح حتى ألقى الاحبة أى مقدار الزمن الذى يفرغ فيه ماء الدلو قال ثابت فقلت له ما كنت لاقتلك فقال لا أبالى من قتلنى فقتله الزبير بن العوام رضى الله عنه ولما بلغ أبا بكر رضى الله عنه قوله ألقى الاحبة قال يلقاهم والله فى نار جهنم خالدا فيها مخلدا

صلى الله عليه وسلم من بيوت السقيا قال اللهم انهم حفاة فاحملهم وعراة فاكسهم وجياع فاشبعهم وعالة فاغنهم من فضلك فما رجع احد منهم يريد أن يركب الا وجد ظهرا للرجل البعير والبعيران واكتسى من كان عاريا وأصابوا طعاما من أزوادهم وأصابوا فداء الاسارى فاغتنى به كل عائل وكان حبيب ابن يساف ذا بأس ونجدة ولم يكن أسلم ولكنه خرج نجدة لقومه من الخزرج طالبا للغنيمة ففرح المسلمون بخروجه معهم فقال له رسول الله ﷺ لا يصحبنا الا من كان على ديننا أى وفى رواية ارجع فانا لا نستعين بمشرك أى وسيأتى فى أحد أنه صلى الله عليه وسلم قال لا ننتصر باهل الشرك على أهل الشرك لما رد حلفاء عبد الله بن أبى ابن سلول من يهود وتكررت من حبيب المراجعة لرسول الله ﷺ وفى الثالثة قال له تؤمن بالله ورسوله قال نعم فاسلم وقاتل قتالا شديدا وفى الامتاع وقدم حبيب بن يساف بالروحاء مسلما ولا مخالفة لجواز ان يكون أسلم قبل الروحاء ولما سار رسول الله ﷺ صام يوما أو يومين ثم نادى مناديه يامعشر العصاة انى مفطر فافطروا وذلك انه ﷺ كان قال لهم قبل ذلك أفطروا فلم يفطروا انتهى وسيأتى فى فتح مكة انه صلى الله عليه وسلم أمرهم بالفطر فلم يفعل جماعة منهم ذلك فقال أولئك العصاة وكانت ابل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أى التى معهم يومئذ سبعين بعيرا فاعتقبوها كل ثلاثة يعتقبون بعيرا أى الا ما كان من حمزة وزيد بن حارثة وأبى كبشة وأنيسة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان هؤلاء الاربعة كانوا يعتقبون بعيرا أى وعن عائشة رضى الله تعالى عنها ان رسول الله ﷺ أمر بالاجراس ان تقطع من اعناق الابل يوم بدر وفى الامتاع فكانوا يتعاقبون الابل الاثنين والثلاثة والاربعة هذا كلامه فكان رسول الله ﷺ وعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه ومرثد يعتقبون بعيرا وفى لفظ كان أبو لبابة وعلى والنبي ﷺ يعتقبون بعيرا أى وذلك قبل ان يرد أبا لبابة للمدينة من الروحاء وبعد ان رده قام مقامه مرثد وقيل زيد بن حارثة وقيل زيد كان مع حمزة أى كما تقدم ويجوز انه كان مع حمزة تارة ومع النبي ﷺ أخرى فكان إذا كانت عقبة النبي صلى الله عليه وسلم قالا له أى رفيقاه اركب حتى نمشى معك فيقول ما انتما باقوى مني على المشى وما انا باغنى عن الاجر منكما وكان أبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهم يعتقبون بعيرا أى ورفاعة وخلاد ابنا رافع وعبيد بن يزيد الانصارى يعتقبون بعيرا حتى اذا كانوا بالروحاء برك بعيرهم عيا فمر بهم رسول الله ﷺ فقالوا يارسول الله برك علينا بكرنا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بماء فتمضمض وألقاه فى إناء أى وفى الامتاع فتمضمض وتوضأ فى اناء ثم قال افتح فاه فصب منه فى فيه ثم صب باقى ذلك عليه ثم قال اركبا ومضى فلحقاه وانه لينفر بهم أى وأمر ﷺ باحصاء من معه وهو محتمل لأن يكون أمر بذلك ثانيا بعد الروحاء بعد ان رد أبا لبابة وبعد عدهم فى بئر أبى عتبة فاذا هم ثلثمائة وثلاثة عشر ففرح بذلك وقال عدة أصحاب طالوت الذين جازوا معه النهر وهذا قول عامة السلف كما قاله ابن جرير رحمه الله ومن زاد على ذلك عد منهم من رده ﷺ من الروحاء

ومن

وفى رواية أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لثابت بن قيس لك أهله وماله ان أسلم أولم يسلم ثم ان القتل كان لمن أنبت ومن لم ينبت يكون فى السبى قال عطية القرظى كنت غلاما فوجدونى لم أنبت فخلوا سبيلى عن القتل وكان رفاعة القرظى قد أنبت فأرادوا قتله فلاذ بسلمى بنت قيس أم المنذر وكانت احدى خالاته صلى الله عليه وسلم أى خالات جده عبد المطلب لانها من بنى النجار فقالت يارسول الله بأبى أنت وأمى هب لى رفاعة فوهبه لها فأسلم رضى الله عنه واصطفى صلى الله عليه وسلم لنفسه الكريمة من نساء بنى قريظة ريحانة بنت شمعون بن زيد القرظى فتزوجها بعد أن اسلمت وحاضت حيضة وكانت جميلة وسيمة وأصدقها اثنتى عشرة أوقية ونشا أى ونصف أوقية وأعرس بها فى المحرم سنة ست وقيل كان يطؤها بملك اليمين وقد أشار سبحانه وتعالى إلى قصة بنى قريظة بعد ذكر قصة الأحزاب بقوله وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤها وكان الله على كل شىء قديرا وقد أشار صاحب الهمزية الى ذلك وإلى نقضهم العهد الذى كان بينهم وبينه صلى الله عليه وسلم واغترارهم بالاحزاب بقوله

وتعدو الى النبى حدودا كان فيها عليهم العدواء
واطمأنوا بقول الاحزاب اخوا * نهم انا لكم أولياء
و بيوم الأحزاب إذ زاغت الابـ * صار فيه وضلت الآراء
وتعاطوا فى أحمد منكر القو * ل ونطق الأراذل العوراء
كل رجس يزيده الخلق السو * ء سفاها والملة العوجاء
فانظروا كيف كان عاقبة القو * م وما ساق للبذى البذاء
وجد السب فيه سما ولم يد * ر إذ الميم فى مواضع باء
كان من فيه قتله بيديه * فهو من سوء فعله الزباء
أو هو النحل قرصها يجلب الحتـ * ف اليها وماله انكاء

ولما انقضى شأن بنى قريظة قال صلى الله عليه وسلم لن تغزوكم قريش

---

ومن أسهم له ولم يحضر ومن نقص عن ذلك وعدهم ثلثمائة وخمس رجال أو ست رجال أو سبعة رجال فالجواب عنه لا يخفى وكان فى الجيش خمسة أفراس فرسان له ﷺ وفرس لمرثد ويقال له السيل وفرس للمقداد بن الأسود نسب اليه لأنه تبناه فى الجاهلية كما تقدم ويقال لها سبحة وفرس للزبير ويقال له اليعسوب وقيل لم يكن فى الجيش الا فرسان فرس المقداد وفرس الزبير وعن على رضى الله تعالى عنه ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد (أقول) يجوز ان يكون المراد لم يقاتل يوم بدر فارسا الا المقداد وغيره ممن له فرس قاتل راجلا ويؤيده ما يأتى أنه ﷺ لما قسم الغنيمة لم يميز أحدا عن أحد الراجل مع الراجل والفارس مع الفارس لكن قد يخالفه قول الزمخشرى فى خصائص العشرة كان الزبير رضى الله عنه صاحب راية رسول الله ﷺ يوم بدر وليس على الميمنة يومئذ فارس غيره هذا كلامه الا أن يقال كون الزبير فارسا على الميمنة لا يخالف كون المقداد فارسا فى محل آخر مع الجماعة الذين فيهم سيدنا على كرم الله وجهه فقول سيدنا على لم يكن فينا أى فى الجماعة الملازمين لنا تأمل والله أعلم وفى أثناء الطريق بعرق الظبية لقوا رجلا من الأعراب فسألوه عن الناس فلم يجدوا عنده خبرا فقال له الناس سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أفيكم رسول الله قالوا نعم فسلم عليه ثم قال ان كنت رسول الله فاخبرنى بما فى بطن ناقتى هذه فقال له سلامة بن سلامة بن وقش لا تسل رسول الله ﷺ اقبل على أنا أخبرك عن ذلك نزوت عليها ففى بطنها منك سخلة فقال له رسول الله ﷺ مه أفحشت على الرجل ثم أعرض عن سلامة فلما نزلوا بواد يقال له ذفران بكسر الفاء أى وهو واد قريب من الصفراء أتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم فاستشار النبى ﷺ أصحابه وأخبرهم الخبر أى قال لهم إن القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول أى مسرعين فما تقولون العير أحب اليكم من النفير فقالوا بلى أى قالت ذلك طائفة منهم العير أحب الينا من لقاء العدو وفى رواية هلا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له انا خرجنا للعير وفى رواية يارسول الله عليك بالعير ودع العدو فعند ذلك تغير وجه رسول الله ﷺ وقد روى ذلك عن أبى أيوب رضى الله عنه فى سبب نزول قوله تعالى كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون وعند ذلك قام أبو بكر فقال وأحسن ثم عمر فقال وأحسن ثم قام المقداد فقال يارسول الله امض لما أمرك الله فنحن معك والله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل أى لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكم مقاتلون ما دامت منا عين تطرف فوالله الذى بعثك بالحق نبيا لو سرت بنا إلى برك الغماد وهى مدينة بالحبشة لجالدنا أى ضربنا بالسيوف معك من دونه حتى نبلغه وفى لفظ نقاتل عن يمينك وعن يسارك ومن بين يديك ومن خلفك قال ابن مسعود فرأيت وجه رسول الله ﷺ يشرق لذلك وسر بذلك وفى الكشاف فضحك رسول الله ﷺ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ثم دعا له بخير هذا وفى العرائس روى أن النبى ﷺ قال لأصحابه يوم الحديبية حين صد عن البيت انى ذاهب

بعد عامكم هذا ولكنكم تغزونهم واقر الله عين سعد بن معاذ بقتل بنى قريظة فانه سأل الله لما أصيب بالسهم فى الخندق وقال اللهم لا تمتنى حتى تقر عينى من بنى قريظة وقيل ان دعاءه بذلك كان فى الليلة التى فى صبيحتها نزلوا على حكمه ويجوز أن يكون دعا بتلك الدعوة مرتين وفى لفظ فدعا الله أن لا يميته حتى يشفى صدره من بنى قريظة فاستجاب الله دعوته وكان جرحه قارب البرء فدعا الله وقال اللهم انك تعلم أنه ليس أحد أحب الى أن أجاهدهم فيك من قوم كذبوا رسولك وأخرجوه من وطنه اللهم انى أظن انك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فان كان قد بقى من حرب قريش شىء فابقنى له حتى أجاهدهم فيك وان كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فافجرها اى الجراحة واجعل موتى فيها فانفجرت تلك الجراحة من ليلته تلك فلم يرعهم أى أهل المسجد الا الدم يسيل اليهم من خيمة لرجل من بنى غفار وهو زوج رفيدة الاسلمية فقالوا يا أهل الخيمة ماهذا الدم الذى يأتينا من قبلكم فاذا سعد يسيل جرحه دماله هدير فمات منها وجاء فى رواية ان عنزا مرت به وهو مضطجع فأصابت الجرح بظلفها فانفجرت جراحته وسال الدم حتى مات ولم يحضر النبي صلى الله عليه وسلم موته بل جاءه جبريل عليه السلام فقال يا محمد من هذا العبد الصالح وفى رواية من هذا الميت الذى فتحت أبواب السماء لصعود روحه واهتز العرش لقدومها فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا يجر ثوبه إلى سعد بن معاذ رضى الله عنه أى فوجده قد مات وجاء انه شهد جنازته سبعون ألفا من الملائكة ماوطئوا الأرض الا يومهم ذاك (واختلف) العلماء فى اهتزاز العرش ما المراد منه فقيل ان اهتزازه تحركه فرحا بقدوم روح سعد وقيل جعل الله حركته علامة للملائكة على موته وقيل المراد الاستبشار والقبول فانه يقال لكل من فرح بقدوم قادم عليه اهتزله ومنه اهتزت الأرض بالنبات إذا اخضرت وحسنت ومنه قول

بالهدى فتأخر عند البيت واستشار أصحابه فى ذلك فقال المقداد بن الأسود أما والله لا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولكنا نقول إنا معكم مقاتلون والله لنقاتلن عن يمينك وشمالك ومن بين يديك ولو خضت بحرا لخضناه معك ولو علوت جبلا لعلوناه معك ولو ذهبت بنا برك الغماد لتابعناك فلما سمع أصحاب رسول الله ﷺ ذلك تابعوه فاشرق عند ذلك وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم والتعدد ممكن لكنه بعيد ثم قال أشيروا على فقال عمر يارسول الله انها قريش وعزها والله ماذلت منذ عزت ولا آمنت منذ كفرت والله لتقاتلنك فتأهب لذلك أهبته واعدد لذلك عدته أى ثم استشارهم ثالثا فقال أشيروا على أيها الناس ففهمت الأنصار انه يعنيهم وذلك لانهم عدد الناس أى أكثرهم عددا ومن ثم قيل وانما كرر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستشارة أى فى ذلك المجلس ليعرف حال الانصار فانه تخوف أن لا تكون الأنصار ترى عليها نصرته إلا ممن دهمه أى جاءه على حين غفلة بالمدينة من عدوه وانه ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم عملا بظاهر قولهم له ﷺ حين بايعوه عند العقبة يارسول الله انا برآء من ذمامك حتى تصل الى دارنا فاذا وصلت اليها فانت فى ذمتنا نمنعك مما نمنع به أبناءنا ونساءنا ومن ثم قال له سعد بن معاذ سيد الأوس وقيل سعد بن عبادة سيد الخزرج وانما حكى بصيغة التمريض لانه قد اختلف فى عده فى البدريين والصحيح أنه لم يشهد بدرا فانه كان تهيأ للخروج فنهس بالمهملة أى لدغته الحية قبل أن يخرج فأقام أى وضرب له بسهم فقال لعلك تريدنا معاشر الانصار يارسول الله فقال أجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ماجئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة زاد فى رواية ولعلك يارسول الله تخشى أن تكون الانصار ترى عليها أن لا ينصروك إلا فى ديارهم وانى أقول عن الأنصار وأجيب عنهم فاظعن حيث شئت وصل حبل من شئت واقطع حبل من شئت وفى لفظ وصل حبال من شئت واقطع حبال من شئت وسالم من شئت وعاد من شئت وخذ من أموالنا ماشئت وما اخذت منا كان أحب الينا مما تركت وما امرت فيه من امر فأمرنا تبع لأمرك فامض يارسول الله لما أردت فنحن معك والذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر لخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا وانا لصبر فى الحرب صدق اللقاء لعل الله يريك منا ما تقر به عينك وفى لفظ بعض ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله تعالى فنحن عن يمينك وشمالك وبين يديك ومن خلفك فسر النبي صلى الله عليه وسلم لذلك أى وأشرق وجهه بقول سعد ونشطه ذلك ثم قال ﷺ سيروا وأبشروا فان الله تعالى قد وعدنى احدى الطائفتين أى وهما عير قريش ومن خرج من مكة من قريش يريد حماية ذلك العير فوالله لكأنى الآن أنظر إلى مصارع القوم أى فقد أعلمه الله تعالى بعد وعده بذلك بالظفر بالطائفة الثانية وأراه مصارعهم فعلم القوم انهم ملاقون القتال وان العير لا تحصل لهم ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذفران حتى نزل قريبا من بدر فركب صلى الله عليه وسلم هو وأبو بكر رضى الله عنه أى وقيل بدل أبى بكر قتادة بن النعمان وقيل معاذ بن جبل حتى وقفا على شيخ من العرب

العرب فلان يهتز للمكارم فانهم لا يريدون اضطراب جسمه وحركته وانما يريدون ارتياحه لها واقباله عليها وقيل هو عبارة عن تعظيم شأن وفاته والعرب تنسب الشيء المعظم الى أعظم الاشياء فيقولون ظلمت لموت فلان الارض وقامت له القيامة فهذه منقبة عظيمة لسعد رضي الله عنه تفيد كرامته على ربه حيث تحرك العرش أسفا عليه لمحافظته على الحق ولذا قال كثير من المحققين انه كان في الانصار كالصديق رضي الله عنه في المهاجرين ولما حملت جنازته رضي الله عنه قال بعض المنافقين ما أخف جنازته وكان رجلا بادنا وكأن المنافقين قالوا ذلك استهزاء به وان خفته لخفة ميزانه بزعمهم الفاسد فقال النبي صلى الله عليه وسلم ردا عليهم ان الملائكة كانت تحمله ولما احتمل على نعشه بكت أمه وقالت

ويل أم سعد سعدا
صرامة وحدا
وسوددا ومجدا
وفارسا معدا
سد به مسدا

فقال صلى الله عليه وسلم كل نائحة تكذب الا نائحة سعد بن معاذ رضي الله عنه وفي رواية قال لها لا تزيدي على هذا وكان فيما علمته والله حازما في أمر الله قويا في أمره كل النوائح تكذب الا أم سعد وروى أنه قال لها ليرقأ دمعك ويذهب حزنك فان ابنك يضحك الله له وذلك كناية عن اقبال الله عليه بالروح والريحان والمغفرة والرضوان وروى البيهقي أنه صلى الله عليه وسلم حمل جنازة سعد بين العمودين ومشى أمام جنازته ثم صلى عليه وجاءت أمه ونظرت اليه في اللحد وقالت احتسبتك عند الله عز وجل وعزاها ﷺ وهو واقف على قدميه على القبر فلما سوى التراب على قبره رش عليه الماء ثم وقف ودعا له وأم سعد بن معاذ رضي الله عنها هي كبشة بنت رافع بن عبيد الانصارية الخدرية وهي أول من بايع النبي ﷺ من نساء الانصار وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال أهديت للنبي ﷺ حلة حرير فجعل أصحابه يمسونها



---

أي يقال له سفيان قال في النور لا أعلم له اسلاما فسأله صلى الله عليه وسلم عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم فقال الشيخ لا أخبركما حتى تخبراني من أنتما فقال له رسول الله ﷺ اذا أخبرتنا أخبرناك فقال الشيخ ذاك بذاك قال نعم قال فانه قد بلغني ان محمدا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا فان كان صدق الذي أخبرني به فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذي نزل به رسول الله ﷺ وأصحابه وبلغني ان قريشا خرجوا يوم كذا وكذا فان كان الذي أخبرني به صدق فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذي نزلت به قريش فلما فرغ من خبره قال من أنتما فقال رسول الله ﷺ نحن من ماء أي من ماء دافق وهو المني ثم انصرفا عنه فقال الشيخ من ماء أمن ماء العراق فهم ان المراد بالماء حقيقته أي لكن في الامتاع فقال النبي ﷺ نحن من ماء وأشار بيده الى العراق فقال من ماء العراق أي وأضيف الماء الى العراق لكثرته به وفيه ان هذا من التورية وقد تقدم في أوائل الهجرة انه لا ينبغي لنبي أن يكذب ولو صورة ومنه التورية لكن في كلام القاضي البيضاوي وما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال لابراهيم عليه الصلاة والسلام ثلاث كذبات تسمية للمعاريض كذبا لما شابهت صورتها صورته ثم رجع رسول الله ﷺ الى أصحابه ودعا لهم فقال اللهم انهم حفاة فاحملهم اللهم انهم عراة فاكسهم اللهم انهم جياع فاشبعهم ففتح الله تعالى لهم يوم بدر فانقلبوا حين انقلبوا وما منهم رجل الا وقد رجع بجمل أو جملين واكتسوا وشبعوا أخرجه أبو داود عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أي شبعوا واكتسوا بما أصابوه من كسوة وأزواد قريش وفي الامتاع ان دعاءه ﷺ المذكور كان عند مفارقته محل معسكره بالمدينة وهو بيوت السقيا كما تقدم وتقدم فيه زيادة وعالة فاغنهم فاصابوا الاسرى فاغتنى بها كل عائل ولا مانع أن يكون دعاؤه ﷺ بذلك تكرر فلما أمسى ﷺ بعث علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص في نفر من أصحابه رضي الله عنهم الى بدر يلتمسون الخبر فاصابوا راوية لقريش معها غلام لبني الحجاج وغلام لبني العاص فأتوا بهما ورسول الله ﷺ قائم يصلي فقالوا لمن أنتما وظنوا انهما لأبي سفيان فقالا نحن سقاة لقريش بعثونا نسقيهم من الماء فضربوهما فلما أوجعوهما ضربا قالا نحن لأبي سفيان فتركوهما فلما فرغ رسول الله ﷺ من صلاته قال اذا صدقاكم ضربتموهما واذا كذباكم تركتموهما صدقا والله انهما لقريش أخبراني عن قريش قالا هم وراء هذا الكثيب أي التل من الرمل الذي يرى بالعدوة القصوى أي جانب الوادي المرتفع فقال لهما رسول الله ﷺ كم القوم قالا كثير أي وفي لفظ هم والله كثير عددهم شديد بأسهم قال ما عدتهم قالا لا ندري أي وجهد النبي ﷺ ان يخبراه كم هم فأبيا قال صلى الله عليه وسلم كم تنحرون أي من الجزر كل يوم قالا يوما تسعا ويوما عشرا فقال ﷺ القوم ما بين التسعمائة والالف أي لكل جزور مائة ثم قال لهما فمن فيهم من أشراف قريش قالا عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو البختري ابن هشام وحكيم بن حزام ونوفل بن خويلد والحرث بن عامر بن نوفل وطعيمة بن عدي بن نوفل

والنضر بن الحرث وزمعة بن الأسود وأبو جهل بن هشام وأمية بن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وسهيل بن عمرو العامرى أى رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك يوم الفتح وهو من أشراف قريش وخطبائهم وسيأتى أنه ممن أسر فى هذه الغزاة وعمرو بن عبدود فاقبل رسول الله ﷺ على الناس فقال هذه مكة قد ألقت اليكم أفلاذ أى قطع كبدها أى أشرافها وعظماءها وذكر أن مسيرهم واقامتهم كانت عشر ليال حتى بلغوا الجحفة أى وهى قرية بقرب رابغ كما تقدم نزلوا بها عشاء أى وفى الامتاع انهم ردوا القيان من الجحفة (أقول) هذا والذى فى مسلم وأبى داود عن أنس رضى الله تعالى عنه فاذا هم براوية قريش فيها رجل أسود لبنى الحجاج فجاؤا به فكانوا يسألونه عن أبى سفيان فيقول مالى بابى سفيان علم فاذا قال ذلك ضربوه واذا قال هذا أبو سفيان تركوه الحديث أى وفى الامتاع وأخذ تلك الليلة يسار غلام عبيدة بن سعيد بن العاص وأسلم غلام منبه بن الحجاج وأبو رافع غلام أمية بن خلف فاتى بهم النبى ﷺ وهو يصلى الحديث وقد يقال لا منافاة لأن بعض الرواة ذكر الثلاثة وبعضهم اقتصر على اثنين وبعضهم اقتصر على واحد والله أعلم وكان مع قريش رجل من بنى المطلب بن عبد مناف يقال له جهم بن الصلت رضى الله تعالى عنه فانه أسلم فى عام خيبر وأعطاه رسول الله ﷺ من خيبر ثلاثين وسقا وقيل أسلم بعد الفتح فوضع رأسه فاغفى ثم قام فزعا فقال لاصحابه هل رأيتم الفارس الذى وقف على فقالوا لا قال قد وقف على فارس فقال قتل أبو جهل وعتبة وشيبة وزمعة وأبو البخترى وأمية بن خلف وفلان وفلان وعد رجالا من أشراف قريش ممن قتل يوم بدر أى وقال اسر سهيل بن عمرو وفلان وفلان وعد رجالا ممن أسر قال ثم رأيت ذلك الفارس ضرب فى لبة بعيره ثم أرسله فى العسكر فما من خباء من أخبية العسكر الا أصابه من دمه فقال له أصحابه انما لعب بك الشيطان ولما شاعت هذه الرؤيا فى العسكر وبلغت أبا جهل قال قد جئتم بكذب بنى عبد المطلب مع كذب بنى هاشم سيرون غدا من يقتل وفى لفظ قال أبو جهل هذا نبى آخر من بنى المطلب سيعلم غدا من المقتول نحن أو محمد وأصحابه وأول من نحر لهم حين خرجوا من مكة أبو جهل بن هشام عشر جزائر أى بمر الظهران وكانت جزور منها بعد أن نحرت بها حياة فجالت فى العسكر فما بقى خباء من أخبية العسكر الا أصابه من دمها كذا فى الامتاع ومن هذا المحل رجع بنو عدى أى تفاؤلا بذلك ثم نحر لهم سفيان بن أمية بعسفان تسع جزائر ونحر لهم سهيل بن عمرو بقديد عشر جزائر وساروا من قديد فضلوا بها ثم أصبحوا بالجحفة فنحر لهم عتبة بن ربيعة عشر جزائر فلما أصبحوا بالأبواء نحر لهم مقيس بن عمرو الجمحى تسع جزائر أى ويقال ان الذى نحر لهم بالابواء نبيه ومنبه ابنا الحجاج عشرا ونحر لهم العباس ابن عبد المطلب عشر جزائر ونحر لهم الحرث بن عامر بن نوفل تسعا ونحر لهم ابو البخترى على ماء بدر عشر جزائر ونحر لهم مقيس الجمحى على ماء بدر تسعا أى ثم شغلهم الحرب فاكلوا من أزوادهم ثم مضى رجلان من الصحابة أى قبل وصوله ﷺ الى بدر وكذا قبل وصول قريش الى بدر كما يدل عليه الكلام الآتى خلاف مايدل عليه هذا السياق الى ماء بدر فنزلا قريبا منه عند تل هناك

---

و يعجبون من لينها فقال ﷺ لهم أتعجبون من لين هذه الحلة والذى نفس محمد بيده لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة خير منها وألين وهذا الحديث فيه اشارة الى عظم منزلة سعد عند الله تعالى فى الجنة وان أدنى ثيابه خير من هذه الحلة لأن المنديل أدنى الثياب لانه معد للوسخ والامتهان فغيره أفضل منه بالاولى وأخرج ابن سعد وأبو نعيم من طريق محمد بن المنكدر قال قبض انسان قبضة من تراب قبر سعد فذهب بها  ثم نظر اليها بعد ذلك فاذا هى مسك فقال رسول الله ﷺ سبحان الله سبحان الله مرتين تعجبا من كون تراب قبره صار مسكا ثم قال الحمد لله شكرا له على تفريجه عن سعد لو كان أحد ناجيا من ضمة القبر لنجا منها سعد ضم ضمة ثم فرج الله عنه وعن جابر رضى الله عنه قال لما دفن سعد ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبح صلى الله عليه وسلم فسبح الناس معه ثم كبر فكبر الناس معه فقالوا يارسول الله مم سبحت قال لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره حتى فرج الله عنه وأخرج ابن سعد عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال كنت ممن حفر لسعد قبره فكان يفوح علينا المسك كلما حفرنا وجاء انه صلى الله عليه وسلم بعث سعد بن زيد الانصارى بسبايا بنى قريظة الى نجد فابتاع لهم بها سلاحا وخيلا وفى رواية بعث بها سعد بن عبادة رضى الله عنه الى الشام واشترى بها سلاحا وخيلا كثيرا ثم قسمها رسول الله ﷺ على المسلمين والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿سرية القرطاء وحديث ثمامة﴾ وكانت هذه السرية لعشر خلون من المحرم سنة ست من الهجرة والقرطاء بضم القاف وسكون الراء وبالطاء المهملة والمد وهم من بطن من بنى بكر وكانوا ينزلون بناحية ضرية بفتح الضاد وكسر الراء وتشديد الياء ثم تاء تأنيث وهى قرية لبنى كلاب على طريق البصرة الى مكة وهى الى مكة أقرب وبها جبل يسمى البكرات وبين ضرية والمدينة سبع ليال بعث

ثم

صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة الانصارى فى ثلاثين راكبا ابلا وخيلا وأمره أن يسير الليل ويكمن النهار وان يشن الغارة عليهم أى يفرق الخيل المغيرة على العدو ففعل ما أمره به فلما أغار عليهم هرب سائرهم أى باقيهم بعد من قتل وكان المقتول منهم عشرة وقيل نحو العشرين واستاق مائة وخمسين بعيرا وثلاثة آلاف شاة فعدلوا الجزور بعشرة من الغنم وقدم المدينة لليلة بقيت من المحرم وغاب تسع عشرة ليلة واسر ثمامة بن أثال بضم الهمزة وفتح الثاء مخففة الحنفى روى ابن (١٦٣) اسحق عن أبى هريرة رضى الله عنه ان خيلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أخذت رجلا ولا يشعرون من هو حتى أتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتدرون من أخذتم هذا ثمامة بن أثال الحنفى فربطوه بسارية من سوارى المسجد بأمره صلى الله عليه وسلم لينظر حسن صلاة المسلمين واجتماعهم عليها فيرق قلبه فخرج اليه صلى الله عليه وسلم فقال ماذا عندك يا ثمامة قال عندى خير يا محمد ان تقتل تقتل ذا دم وان تنعم تنعم على شاكر وان كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت فتركه حتى كان الغد ثم قال له ماعندك يا ثمامة قال ماقلت لك ان تنعم تنعم على شاكر فتركه حتى كان بعد الغد فقال ماعندك يا ثمامة قال عندى ماقلت لك فقال أطلقوا ثمامة فانطلق الى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ثم قال والله يا محمد ما كان على وجه الأرض وجه أبغض الى من وجهك وقد أصبح وجهك أحب الوجوه الى والله ما كان من دين أبغض الى من دينك فأصبح دينك أحب الدين كله الى والله ما كان من بلد أبغض الى من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد الى وان خيلك أخذتنى وأنا أريد العمرة فماذا ترى فبشره النبى صلى الله عليه وسلم أى بخير الدنيا والآخرة أو بالجنة أو بمحو ذنوبه وتبعاته وأمره أن يعتمر فلما قدم مكة يلبى وينفى الشريك عن الله قال له قائل صبوت أى خرجت عن دينك قال لا ولكن

ثم أخذا شنا لهما يستقيان فيه وشخص على الماء واذا جاريتان يتلازمان أى يتخاصمان وتمسك احداهما الاخرى على الماء والملزومة تقول لصاحبتها إنما يأتى العير غدا أو بعد غد فاعمل لهم وأقضيك الذى لك فقال ذلك الرجل الذى على الماء صدقت ثم خلص بينهما وسمع ذلك الرجلان فجلسا على بعيريهما ثم انطلقا حتى أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبراه بما سمعا ثم ان أبا سفيان تقدم العير حذرا حتى ورد الماء فلقى ذلك الرجل فقال له هل أحسست أحدا قال ما رأيت أحدا انكره الا أنى قد رأيت راكبين قد أناخا الى هذا التل ثم استقيا فى شن لهما ثم انطلقا فأتى أبو سفيان مناخهما فأخذ من ابعار بعيريهما ففتته فاذا فيه النوى فقال والله علائف يثرب فرجع الى أصحابه سريعا فصوب عيره عن الطريق وترك بدرا بيسار وانطلق حتى أسرع فلما علم انه قد احرز عيره ارسل الى قريش أى وقد كان بلغه مجيئهم ليحرزوا العير وكانوا حينئذ بالجحفة انكم انما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم وقد نجاها الله تعالى فارجعوا فقال أبو جهل والله لا نرجع حتى نحضر بدرا فنقيم عليه ثلاثة أيام فلا بد أن ننحر الجزر ونطعم الطعام ونسقى الخمر وتعزف علينا القيان أى تضرب بالمعازف أى الملاهى وقيل الدفوف وقيل الطنابير وقيل نوع منها يتخذه أهل اليمن وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبدا بعدها وسيأتى فى غزاة بدر الموعد أن موسم بدر يكون عند هلال ذى القعدة فى كل عام يمكث ثمانية أيام ويبعد ارادة ذلك لأبى جهل أى اقامتهم ببدر بقية رمضان وتمام شوال قال ولما أرسل أبو سفيان يقول لقريش ما تقدم أى ورد عليه أبو جهل بما ذكر قال هذا بغى والبغى منقصة وشؤم وعند ذلك رجع منهم بنو زهرة وكانوا نحو المائة انتهى أى وقيل ثلثمائة وقائدهم كان الاخنس بن شريق وفى كلام ابن الاثير فلم يقتل منهم أى من بنى زهرة أحد ببدر وفى كلام غيره ولم يشهد بدرا أحد من بنى زهرة الا رجلان قتلا كافرين فان الأخنس قال لبنى زهرة يا بنى زهرة قد نجى الله أموالكم وخلص لكم صاحبكم مخرمة بن نوفل وإنما نفرتم لتمنعوه وماله واجعلوا بى جبنها وارجعوا فانه لا حاجة لكم بان تخرجوا فى غير منفعة لا ما يقول هذا يعنى أبا جهل وقال لأبى جهل أى وقد خلا به أترى محمدا يكذب فقال ما كذب قط كنا نسميه الامين لكن إذا كانت فى بنى عبد المطلب السقاية والرفادة والمشورة ثم تكون فيهم النبوة فأى شىء يكون لنا فانخنس الاخنس ورجع ببنى زهرة أى واسمه أبى وانما لقب بالاخنس من حين رجع ببنى زهرة فقيل خنس بهم فسمى الاخنس كان حليفا لبنى زهرة ومقدما فيهم رضى الله تعالى عنه فانه أسلم يوم الفتح واعطاه رسول الله ﷺ مع المؤلفة قلوبهم ورأيت عن السهيلى أنه قتل يوم بدر كافرا وتبعه على ذلك التلمسانى فى حاشية الشفاء واستدل له بقول القاضى البيضاوى ان قوله تعالى ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا الآية نزلت فى الاخنس بن شريق وفى الاصابة أنه كان من المؤلفة ومات فى خلافة عمر وعن السدى ان الاخنس جاء الى النبى ﷺ فأظهر اسلامه وقال الله يعلم انى لصادق ثم هرب بعد ذلك فمر بقوم مسلمين فحرق زرعهم فنزلت ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا الى قوله ولبئس المهاد قال ابن عطية ما ثبت قط أن

أسلمت لله رب العالمين مع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا والله تأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي ﷺ
وروى أنهم قدموه ليضربوا عنقه فقال قائل منهم دعوه فانكم تحتاجون الى اليمامة فخلوا سبيله ولذا قيل فيه
ومنا الذى لبى بمكة معلنا * برغم أبى سفيان فى الاشهر الحرم ثم خرج الى اليمامة فمنعهم ان يحملوا إلى مكة شيئا فكتبوا اليه
صلى الله عليه وسلم انك تأمر  بصلة الرحم وانك قد قطعت أرحامنا فكتب صلى الله عليه وسلم الى ثمامة ان يخلى بينهم

الاخنس أسلم قلت قد أثبته فى الصحابة جماعة ولا مانع ان يكون أسلم ثم ارتد ثم رجع الى الاسلام هذا كلام الاصابة وفى كلام ابن قتيبة ولم يسلم الاخنس وفى كلام بعضهم ثلاثة ابن وأبوه وجده شهدوا بدرا الاخنس وابنه يزيد وابنه معن فليتأمل ذلك قال وأراد بنوهاشم الرجوع فاشتد عليهم أبو جهل وقال لا تفارقنا هذه العصابة حتى نرجع انتهى ثم لم يزالوا سائرين حتى نزلوا بالعدوة القصوى قريبا من الماء ونزل رسول الله ﷺ والمسلمون بعيداً من الماء بينهم و بين الماء رحلة فظمىء المسلمون وأصابهم ضيق شديد وأجنب غالبهم وألقى الشيطان فى قلوبهم الغيظ فوسوس اليهم تزعمون انكم أولياء الله تعالى وانكم على الحق وفيكم رسوله وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم عطاش وتصلون مجنبين أى وما ينتظر أعداؤكم الا ان يقطع العطش رقابكم و يذهب قواكم فيحكموا فيكم كيف شاؤا وفى الكشاف فاذا قطع العطش اعناقكم مشوا اليكم فقتلوا من أحبوا وساقوا بقيتكم الى مكة فخزنوا حزنا شديدا واشفقوا وكان الوادى دهسا بالسين المهملة اى لينا كثير التراب تسيخ فيه الاقدام فبعث الله السماء أى المطر فاطفأت الغبار ولبدت الأرض أى شدتها للنبى صلى الله عليه وسلم ولأصحابه أى وطهرهم به واذهب عنهم رجز الشيطان أى وسوسته وشربوا منه وملؤا الاسقية وسقوا الركائب واغتسلوا من الجنابة أى وطابت نفوسهم فذلك قوله تعالى و ينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به أى من الاحداث و يذهب عنكم رجز الشيطان أى وسوسته وليربط على قلوبكم أى يشدها و يقويها و يثبت به الاقدام أى بتلبيد الأرض حتى لا تسوخ فى الرمل وأصاب قريشا منها ما لم يقدروا على ان يرتحلوا منه أى و يصلوا إلى الماء أى فكان المطر نعمة وقوة للمؤمنين و بلاء ونقمة للمشركين وعن على رضى الله تعالى عنه أصابنا من الليل طس من مطر فانطلقنا تحت الشجر والحجف نستظل تحتها من المطر وبات رسول الله ﷺ يدعو ربه وعن على رضى الله تعالى عنه ما كان فينا أى تلك الليلة قائم الا رسول الله ﷺ يصلى تحت شجرة و يكثر فى سجوده أن يقول ياحى ياقيوم يكرر ذلك حتى أصبح أى لأن المسلمين أصابهم تلك الليلة نعاس شديد يلقى الشخص على جنبه أى وعن قتادة كان النعاس أمنة من الله وكان النعاس نعاسين نعاس يوم بدر ونعاس يوم أحد لأن النعاس هنا كان ليلا قبل القتال وفى أحد كان وقت القتال وكون النعاس أمنة وقت القتال أووقت التأهب له وهو وقت المصافة واضح لا قبله هذا وذكر الشمس الشامى أنه لما نزلت الملائكة والناس بعد على مصافهم لم يحملوا على عدوهم و بشرهم ﷺ بنزول الملائكة حصل لهم الطمأنينة والسكينة وقد حصل لهم النعاس الذى هو دليل على الطمأنينة وربما يقتضى أنه حصل لهم النعاس عند المصافة والا فقد يقال ان قوله وقد حصل لهم النعاس جملة حالية أى والحال أنه حصل لهم قبل ذلك فى تلك الليلة لا فى وقت المصافة ولا يبعد ذلك قوله بعد ذلك ولهذا قال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه النعاس فى المصاف من الايمان والنعاس فى الصلاة من النفاق أى لأنه فى الأول يدل على ثبات الجنان وفى الثانى يدل على عدم الاهتمام بأمر الصلاة فلما ان طلع الفجر نادى ﷺ الصلاة عباد الله فجاء الناس من تحت الشجر

و بين الحمل وروى البيهقى فى الدلائل ان ثمامة بن أثال الحنفى لما أتى به النبى صلى الله عليه وسلم وهو أسير خلى سبيله فاسلم ولحق بمكة ثم رجع فحال بين أهل مكة والميرة من اليمامة حتى أكلت قريش العلهز أى الوبر والدم فجاء أبو سفيان إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ألست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين قال بلى قال فقد قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع وفى رواية أنشدك الله والرحم قد أكلنا العلهز فكتب اليه ان يخلى بينهم و بين الحمل فانظر الى هذا الحلم العظيم والرحمة الشاملة والرأفة العميمة يواجهه بهذا الخطاب الخشن مع شدة حاجته اليه ومحاربته له قريبا فى وقعة الأحزاب ومع ذلك لم يمتنع من قضاء حاجته تصديقا لقوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم بل جاء فى بعض الروايات أنه دعا الله لهم بالمطر فسقاهم الله وفى قصة ثمامة رضى الله عنه فوائد منها جواز ربط الكافر فى المسجد والمن على الأسير الكافر والاغتسال عند الاسلام وان الاحسان يزيل البغض و يثبت الحب وان الكافر إذا أراد عمل خير ثم أسلم يشرع له أن يستمر فى ذلك الخير وملاطفة من يرجى إسلامه من الاسرى إذا كان فى ذلك مصلحة للاسلام ولاسيما من يتبعه على الاسلام العدد الكثير من قومه وفيه بعث السرايا إلى بلاد الكفار وأسر من وجد منهم والتخيير بعد ذلك فى قتله وابقائه وفيه تعظيم أمر العفو عن المسيء لأنه

الشجر والجحف فصلى بنا رسول الله ﷺ وحرض على القتال أى فى خطبة خطبها فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه أما بعد فانى أحثكم على ماحثكم الله عليه إلى ان قال وان الصبر فى مواطن البأس مما يفرج الله تعالى به الهم وينجى به من الغم الحديث ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يبادرهم أى يسابق قريشا إلى الماء فسبقهم عليه حتى جاء أدنى ماء من بدر أى أقرب ماء إلى بدر من بقية مياهها فنزل به صلى الله عليه وسلم فقال له الحباب بن المنذر يارسول الله أرأيت هذا المنزل أمنزل أنزلكه الله تعالى ليس لنا ان نتقدمه ولا نتأخر عنه أم هو الرأى والحرب والمكيدة قال بل هو الرأى والحرب والمكيدة قال يارسول الله ان هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى تأتى أدنى ماء من القوم أى إذا نزل القوم يعنى قريشا كان ذلك الماء أقرب المياه أى محله أقرب المياه اليهم قال الحباب فانى أعرف غزارة مائه وكثرته بحيث لاينزح فننزله ثم نغور ماعداه من القلب أى وهى الآبار غير المبنية ثم نبنى عليه حوضا فنملأه ماء فنشرب ولا يشربون لان القلب كلها حينئذ تصير خلف ذلك القليب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أشرت بالرأى ونزل جبريل عليه السلام على النبى ﷺ فقال الرأى ماأشار اليه الحباب فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من الناس فسار حتى أتى أدنى ماء من القوم أى من المحل الذى ينزل به القوم فنزل عليه ثم أمر بالقلب فغورت بسكون الواو وقال السهيلى لما كانت القلب عينا جعلها كعين الانسان ويقال فى عين الانسان غرتها فغارت ولا يقال غورتها أى بالتشديد وبنى ﷺ حوضا على القليب الذى نزل به فملأه ماء ثم قذفوا فيه الآنية ومن يومئذ قيل للحباب ذو الرأى وظاهر كلام بعضهم انه كان معروفا بذلك قبل هذه الغزاة وفيه ان ذلك القليب إذا كان خلف ظهورهم وسائر القلب خلفه ماالمعنى فى تغويرها لانها اذا لم تغورهم يشربون ولا يشرب القوم الاان يقال المعنى لئلا يأتوا اليها من خلفهم فالغرض قطع اطماعهم من الماء فليتأمل واستدل بقوله صلى الله عليه وسلم بل هو الرأى على جواز الاجتهاد له ﷺ فى الحرب نظرا لصورة السبب أومطلقا لان صورة السبب لاتخصص وجواز الاجتهاد له مطلقا هو الراجح ومما استدل به على وقوع الاجتهاد له ﷺ فى الاحكام قوله الا الاذخر عقب ماقيل له الاالاذخر قال السبكى وليس قاطعا لاحتمال أن يكون أوحى اليه فى تلك اللحظة هذا وفى كلام بعضهم انهم نزلوا على ذلك القليب نصف الليل فصنعوا الحوض وملؤه وقذفوا فيه الآنية بعدان استقوا منه وسيأتى مايؤيده وقال سعد بن معاذ يانبى الله ألانبنى لك عريشا أى وهو شىء كالخيمة من جريد يستظل به تكون فيه ونعد عندك ركائبك ثم نلقى عدونا فان أعزنا الله تعالى واظهرنا على عدونا كان ذلك ماأحببنا وان كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا فقد تخلف عنك أقوام يانبى الله مانحن باشد لك حبا منهم ولا أطوع لك منهم لهم رغبة فى الجهاد ونية ولوظنوا انك تلقى حربا ماتخلفوا عنك إنما ظنوا انها العير يمنعك الله بهم ويناصحونك ويجاهدون معك فاثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له بخير أى وقال أو يقضى الله خيرا من ذلك ياسعد أى وهو نصرهم وظهورهم على عدوهم

أفهم ان بعضه انقلب حبا فى ساعة واحدة لما أسداه اليه صلى الله عليه وسلم من العفو والمن من غير مقابل وجاء فى بعض الروايات انه بعد ان أسلم جاؤه بالطعام فلم ينل منه الا قليلا وبالقحة فلم يصب من حلابها الا يسيرا فعجب المسلمون فقال صلى الله عليه وسلم مم تعجبون أمن رجل أكل أول النهار فى معى كافر وأكل آخر النهار فى معى مسلم ان الكافر يأكل فى سبعة أمعاء وان المسلم يأكل فى معى واحد ثم صار ثمامة رضى الله عنه من فضلاء الصحابة وهدى الله به خلقا  كثيرا من قومه ولم يرتد مع من ارتد من أهل اليمامة ولا خرج عن الطاعة قط رضى الله عنه بل جاء انه قام مقاما حميدا بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم حين ارتدت اليمامة مع مسيلمة فقال بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ثم قال لهم فأين هذا من هذيان مسيلمة فاطاعه ثلاثة آلاف وانحازوا إلى المسلمين رضى الله عنه ونفع به

﴿ غزوة بنى لحيان ﴾

بكسر اللام وفتحها نسبة الى لحيان بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر وكانت فى غرة شهر ربيع الاول سنة ست من الهجرة وقيل سنة خمس وقيل أربع وسببها انه صلى الله عليه وسلم وجد أى حزن على عاصم بن ثابت وأصحابه وجدا شديدا والمراد باصحابه مايشمل المقتولين ببئر معونة وهم القراء السبعون وان كانوا فى سرية وحدهم فاظهر صلى الله عليه وسلم انه يريد الشام ليصيب من القوم غرة وعسكر فى مائتى رجل ومعهم عشرون فرسا واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضى الله عنه وسلك على غراب وهو جبل بناحية المدينة ثم على طريقه إلى الشام ثم عدل ذات اليسار حتى استقام به الطريق على الجحفة من طريق مكة ثم أسرع السير حتى انتهى الى بطن غراب واد بينه وبين عسفان خمسة أميال وهى منازل بنى لحيان حيث كان مصاب أصحابه أهل الرجيع الذين قتلوا فترحم عليهم ودعا لهم بالمغفرة فسمعت به بنو لحيان فهربوا فى رؤس الجبال خوفا من

المنصور بالرعب صلى الله عليه وسلم فلم يقدر على احد منهم فاقام يوما أو يومين يبعث السرايا في كل ناحية من نواحيهم ثم خرج حتى أتى عسفان فبعث أبا بكر رضى الله عنه فى عشرة فوارس لتسمع بهم قريش فيذعرهم فأتوا كراع الغميم وهو واد أمام عسفان بثمانية أميال يضاف كراع اليه وكراع جبل أسود بطرف الحرة ممتد اليه ثم رجع صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه ولم يلقوا كيدا قال ابن اسحق انه صلى الله عليه وسلم (١٦٦) لما ماحصل من غرتهم ما أراد قال صلى الله عليه وسلم لو أنا نزلنا بعسفان ثم بعث فارسين من أصحابه حتى بلغا كراع الغميم ثم أرسل أبا بكر رضى الله عنه مع عشرة فوارس وانصرف صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وهو يقول آيبون تائبون لربنا حامدون أعوذ بالله من وعثاء السفر وكآبة المنظر فى الاهل والمال اللهم بلغنا بلاغا صالحا ينظر إلى خير مغفرتك ورضوانك وفى الصحيح عن ابن عمر رضى الله عنهما قال كان صلى الله عليه وسلم اذا أوفى على ثنية أو فدفد كبر ثلاثا ثم قال لا اله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده وكانت غيبته صلى الله عليه وسلم عن المدينة فى هذه الغزوة أربع عشرة ليلة والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ غزوة الغابة ﴾

وتعرف بذى قرد بفتح القاف والراء آخره دال مهملة وهو ماء على نحو بريد من المدينة مما يلى بلاد غطفان وكانت فى ربيع الاول سنة ست وقيل فى جمادى الاولى وقيل فى شعبان وفى البخارى انها كانت قبل خيبر بثلاثة أيام وبعد الحديبية بعشرين يوما وسببها انه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم عشرون لقحة بكسر اللام وقد تفتح وهي ذات اللبن القريبة العهد بالولادة وكانت ترعى بالغابة تارة وهو موضع الشجر الذى لاماك له بل هو لاحتطاب الناس ومنافعهم وبذى قرد تارة أخرى لتقارب الموضعين

الاصل

ثم بنى أى ذلك العريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم أى فوق تل مشرف على المعركة ( ) كان فيه أى وعن على رضى الله تعالى عنه انه قال لجمع من الصحابة أخبرونى عن أشجع الناس قالوا أنت قال أشجع الناس أبو بكر لما كان يوم بدر جعلنا لرسول الله ﷺ عريشا فقلنا من مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أى من يكون معه لئلا يهوى اليه أحد من المشركين فوالله مادنا منا أحد الا أبو بكر شاهرا بالسيف على رأس رسول الله ﷺ لا يهوى اليه أحد الا أهوى اليه أى ولذلك حكم على انه أشجع الناس وبه يرد قول الشيعة والرافضة ان الخلافة لا يستحقها الا على لانه أشجع الناس أى وهذا كان قبل أن يلتحم القتال والا فبعد التحامه كان على على باب العريش الذى به صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وسعد بن معاذ قائما على باب العريش فى نفر من الانصار كما سيأتى ومما استدل به على أن أبا بكر أشجع من على ان عليا أخبره النبى ﷺ أنه لا يقتله الا ابن ملجم فكان إذا دخل الحرب ولاقى الخصم علم انه لاقدرة له على قتله فهو معه كالنائم على فراشه وأما أبو بكر فلم يخبر بقاتله فكان إذا دخل الحرب لايدرى هل يقتل أولا ومن هذه حاله يقاسى من التعب مالا يقاسيه غيره ومما يدل على ذلك ماوقع فى قتال أهل الردة وتصميمه العزم على مقاتلة مانعى الزكاة مع تثبيط سيدنا عمر له عن ذلك فلما كان الصباح أقبلت قريش من الكثيب وهذا يؤيد القول بانه صلى الله عليه وسلم سار باصحابه ليلا بادرهم إلى الماء لان ذلك بعد طلوع الفجر وصلاة الصبح كما تقدم لان الظاهر من قول الراوى أقبلت أى عليهم وهم ما كثون ويؤيده أيضا مافى مسلم عن أنس رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال ليلة بدر أى بعد أن وصل إلى محل الوقعة هذا مصرع فلان ان شاء الله غدا ووضع يده على الارض وهذا مصرع فلان ههنا وهذا مصرع فلان ههنا قال أنس ماماط أحدهم عن موضع يده صلى الله عليه وسلم أى ماتنحى فليتأمل الجمع ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا وقد أقبلت بالدروع السابغة والجموع الوافرة والاسلحة الشاكية أى التامة قال اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها أى كبرها وعجبها وفخرها تحادلك أى تعاديك وتخالف أمرك وتكذب رسولك فنصرك أى أنجز نصرك الذى وعدتنى أى وفى لفظ اللهم انك أنزلت على الكتاب وأمرتنى بالثبات ووعدتنى احدى الطائفتين أى وقد فاتت احداهما وهي العير وانك لاتخلف الميعاد اللهم أحنهم أى أهلكهم الغداة وفى رواية اللهم لا تفلتن أبا جهل فرعون هذه الأمة اللهم لا تفلتن زمعة بن الاسود اللهم واسخن عين أبى زمعة وأعم بصر أبى زمعة اللهم لا تفلتن سهيلا الحديث ولما اطمأنت قريش أرسلوا عمير بن وهب الجمحى أى رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك وحسن اسلامه وشهد أحدا معه صلى الله عليه وسلم () فقالوا احزر لنا أصحاب محمد أى أنظر لنا عدتهم فاستجال بفرسه حول عسكر النبى صلى الله عليه وسلم ثم رجع اليهم فقال ثلثمائة رجل يزيدون قليلا أو ينقصون قليلا ولكن أمهلونى حتى أنظر للقوم كمينا أو مددا فذهب فى الوادى حتى أبعد فلم ير شيئا ثم رجع اليهم وقال ما رأيت شيئا ولكنى قد رأيت يامعشر قريش البلايا أى وهي فى

الأصل النوق تبرك على قبر صاحبها فلا تعلف ولا تسقى حتى تموت تحمل المنايا أى الموت أى نواضح يثرب تحمل الموت الناقع أى البالغ زاد بعضهم ألا ترونهم خرسا لا يتكلمون يتلمظون تلمظ الافاعي لا يريدون أن ينقلبوا إلى أهليهم زرق العيون كأنهم الحصى تحت الجحف يعنى الأنصار قوم ليس لهم منعة ولا ملجأ الا سيوفهم والله ما نرى أن نقتل منهم رجلا حتى يقتل رجل منكم فاذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك فروا رأيكم فلما سمع حكيم بن حزام ذلك مشى فى الناس فأتى عتبة بن ربيعة فقال يا أبا الوليد انك كبير قريش وسيدها والمطاع فيها هل لك إلى أن لا تزال تذكر فيها بخير إلى آخر الدهر قال وماذاك يا حكيم قال ترجع بالناس فقام عتبة خطيبا فقال يا معشر قريش انكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمدا وأصحابه شيئا والله لئن أصبتموه لا يزال رجل ينظر فى وجه رجل يكره النظر اليه قتل ابن عمه وابن خاله ورجلا من عشيرته رجعوا وخلوا بين محمد وبين سائر العرب فان أصابوه فذاك الذى أردتم وان كان غير ذلك ألفاكم ولم تعرضوا منه ما تريدون أى يا قوم أعصبوها اليوم برأسى أى اجعلوا عارها متعلقا بى وقولوا جبن عتبة وأنتم تعلمون انى لست بأجبنكم () أى وفى لفظ آخر ان حكيم بن حزام قال لعتبة بن ربيعة تجير بين الناس وتحمل دم حليفك عمرو بن الحضرمى أى الذى قتله واقد بن عبد الله فى سرية عبد الله بن جحش إلى نخلة وهو أول قتيل قتله المسلمون وتحمل ما أصاب محمد من تلك العير أى الذى غنمه عبد الله بن جحش كما سيأتى فى السرايا فانهم لا يطلبون من محمد الا ذلك فقال عتبة نعم قد فعلت أى هو حليفى فعلى عقله وما أصيب من المال ونعم ما قلت ونعم ما دعوت اليه وركب عتبة جملا له وصار يجيله فى صفوف قريش يقول يا قوم أطيعونى فانكم لا تطلبون غير دم ابن الحضرمى وما أخذ من العير وقد تحملت ذلك زاد بعضهم أنه قال يا معشر قريش أنشدكم الله فى هذه الوجوه التى تضئ ضياء المصابيح يعنى قريشا أن تجعلوها اندادا لهذه الوجوه التى كأنها عيون الحيات يعنى الأنصار وهذا كما ترى وما يأتى أيضا يضعف قول من قال انه ﷺ نقل ابن الحضرمى أى أعطى ديته وقد كان ﷺ لما رأى قريشا اقبلت من الكثيب وعتبة على جمل أحمر قال إن يكن فى أحد من القوم خير فعند صاحب الجمل الأحمر أى وفى رواية ان يكن أحد يأمر بخير فعسى أن يكون صاحب الجمل الاحمر ان يطيعوه يرشدوا ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم راكب الجمل الأحمر يجيله فى صفوف قريش قال يا على ناد حمزة وكان أقربهم إلى المشركين فقال له رسول الله ﷺ من صاحب الجمل الأحمر وماذا يقول لهم فقال هو عتبة بن ربيعة ينهى عن القتال وحينئذ يكون قوله ﷺ إن يكن فى أحد من القوم خير الخ من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم () ثم قال عتبة لحكيم بن حزام انطلق لابن الحنظلية يعنى أبا جهل قال حكيم فانطلقت حتى جئت أبا جهل فوجدته قد سل درعا له من جرابها أى اخرجها منه فقلت له يا أبا الحكم ان عتبة أرسلنى اليك بكذا وكذا للذى قال فقال انتفخ والله سحره أى رئته كلمة تقال للجبان وفى لفظ أنه قال لعتبة وقد جاء اليه أنت تقول هذا والله لو غيرك يقول هذا لأعضضته أى قلت له اعضض على

---

وكان أبو ذر وابنه وامرأته رضى الله عنهم فيها فاغار عليها عيينة بن حصن الفزارى ليلة الأربعاء فى أربعين فارسا فاستاقوها وقتلوا ابن أبى ذر رضى الله عنه واسمه ذر وكان يرعى الابل وأسروا المرأة واسمها ليلى وفى رواية أن أبا ذر رضى الله عنه استأذن النبى صلى الله عليه وسلم للقاحة فقال ﷺ انى أخاف عليك ونحن لا نأمن عيينة بن حصن فألح عليه فقال صلى الله عليه وسلم لكأنى بك قد قتل ابنك وأخذت امرأتك وجئت توكأ على عصاك قال أبو ذر رضى الله عنه بعد ذلك عجبا لى يقول لى ذلك وأنا ألح عليه فكان والله ما قال فلما كان الليل أحدق بنا عيينة مع أصحابه فأشرف لهم ابنى فقتلوه وأسروا امرأتى ثم انها نجت منهم بعد تمام الغزوة ورجوع النبى صلى الله عليه وسلم لانهم أوثقوها وكانوا يريحون نعمهم بين يدى بيوتهم فانطلقت وركبت ناقة للنبى صلى الله عليه وسلم ليلا على حين غفلتهم وفى رواية أنهم أوثقوا المرأة فانفلتت ليلا من الوثاق فأتت الابل فكانت إذا دنت من البعير رغا فتتركه حتى انتهت إلى العضباء لأنها من جملة ما استاقه عيينة ولم تسترجعها الصحابة فيما استرجعوا مما يأتى ذكره فلم ترغ فقعدت فى عجزها ثم زجرتها فانطلقت وعلموا بها فطلبوها فأعجزتهم ونذرت لئن نجت لتنحرنها فلما قدمت على النبى صلى الله عليه وسلم أخبرته بذلك وقالت يا رسول الله انى نذرت الله تعالى ان انحرها ان نجانى الله عليها فقال بئسما جزيتها ان حملك الله عليها ونجاك أن تنحريها انه لا نذر لأحد فى معصية ولا لأحد فيما لا يملك إنما هى ناقة من ابلى ارجعى إلى أهلك على بركة الله وحاصل قصة هذه الغزوة أنهم لما أغاروا على اللقاح فى يومهم ذلك جاء الصريخ فنادى الفزع الفزع ونودى يا خيل الله اركبى وركب صلى الله عليه وسلم فى خمسمائة وقيل سبعمائة واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضى الله عنهم وخلف سعد بن عبادة رضى الله تعالى عنه فى ثلثمائة يحرسون المدينة وعقد لواء المقداد رضى الله عنه فى رمحه وقال امض

بظر امك ان قدملأت رئتك جوفك رعبا كلا والله لانرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد وقال لحكيم ما بعتبة ماقال ولكنه قدر أى ان محمدا واصحابه أكلة جزور أى فى قلة بحيث يكفيهم الجزور وفيهم ابنه أى وهو أبو حذيفة رضى الله تعالى عنه فانه كان ممن أسلم قديما فقد تخوفكم عليه أى وفى رواية أنه قال يامعشر قريش انما يشير عليكم عتبة بهذا لان ابنه مع محمد ومحمد ابن عمه فهو كره ان تقتلوا ابنه وابن عمه فغضب عتبة وسب أبا جهل وقال سيعلم أينا افسد لقومه أى ومن غريب الاتفاق أن أم أبان بنت عتبة بن ربيعة المذكور كان لها أربعة اخوة وعمان كل منهم حضر بدرا اثنان من اخوتها مسلمان واثنان مشركان وواحد من عميها مسلم والآخر كافر فالأخوان المسلمان أبو حذيفة ومصعب بن عمير ولعله كان أخاها لامها والكافران الوليد بن عتبة وأبو عزير والعم المسلم معمر بن الحرث ولعله كان أخا لعتبة لامه والعم الكافر شيبة بن ربيعة وكان من حكمة الله تعالى أن الله جعل المسلمين قبل أن يلتحم القتال فى أعين المشركين قليلا استدراجا لهم ليقدموا ولما التحم القتال جعلهم الله فى أعين المشركين كثيرا ليحصل لهم الرعب والوهن وجعل الله المشركين عند التحام القتال فى أعين المسلمين قليلا ليقوى جاشهم على مقاتلتهم ومن ثم جاء عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه انه قال لقد قللوا فى أعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل أتراهم سبعين قال أراهم مائة وأنزل الله تعالى واذ يريكموهم إذ التقيتم فى أعينكم قليلا ويقللكم فى أعينهم ومن ثم قال الله تعالى لقد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم أى يرى اولئك الكفار المؤمنين مثليهم رأى العين أى وقد ذكر ان قباث بن اشيم رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك قال فى نفسه يوم بدر لو خرجت نساء قريش بأكمها لردت محمدا وأصحابه وعنه أنه قال لما كان بعد الخندق قدمت المدينة سألت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هو ذاك فى محل المسجد مع ملأ من أصحابه فأتيته وأنا لا أعرفه من بينهم فسلمت عليه فقال صلى الله عليه وسلم ياقباث انت القائل يوم بدر لو خرجت نساء قريش بأكمها ردت محمدا وأصحابه فقال قباث والذى بعثك بالحق ماتحدث به لسانى ولاترفرفت به شفتاى ولا سمعه منى أحد وماهو إلا شئ هجس فى قلبي وحينئذ يكون معنى قوله ﷺ له انت القائل أى فى نفسك أشهد أن لا اله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد ان محمدا عبده ورسوله وان ماجئت به الحق ولما بلغ عتبة ماقاله أبو جهل قال سيعلم مصفر استه من انتفخ سحره أنا ام هو وقد تقدم معنى مصفر أسته وذكر السهيلى هنا أن هذه الكلمة لم يخترعها عتبة ولا هو أبو عذرتها فقد قيلت لبعض الملوك كان مترفها لا يغزو فى الحروب يريدون صفرة الخلوق والطيب وسادة العرب لاتستعمل الخلوق والطيب الا فى الدعة وتعيبه فى الحرب اشد العيب وأظن ان أبا جهل لما علم بسلامة العير استعمل الطيب والخلوق فلذلك قال له عتبة هذه الكلمة وانما أراد مصفر بدنه ولكنه قصد المبالغة فى الذم فخص منه بالذكر ما يسوءه ان يذكر هذا كلامه وذكر ان النبى صلى الله عليه وسلم بعث عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه اليهم يقول ارجعوا فانه ان يلى هذا الامر منى غيركم أحب إلى من أن تلوه منى فقال حكيم بن حزام قد عرض

---

حتى تلحقك الخيول وأنا على أثرك فأدرك أخريات العدو وفى البخارى ومسلم عن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه قال خرجت قبل ان يؤذن بالأولى وكانت لقاح رسول الله ﷺ ترعى بذى قرد فلقينى غلام لعبد الرحمن بن عوف فقال أخذت لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت من أخذها قال غطفان وفزارة فصرخت ثلاث صرخات ياصباحاه ياصباحاه فاسمعت ما بين لابتى المدينة وفى رواية للطبرانى وابن اسحق فأشرفت



من سلع ثم صحت ياصباحاه فانتهى صياحى الى النبى صلى الله عليه وسلم فنودى فى الناس الفزع الفزع فترامت الخيول اليه فكان أول من انتهى اليه فارسا المقداد ثم عبادة بن بشر وسعد بن زيد الانصارى وأسيد بن حضير وعكاشة بن محصن ومحرز بن نضلة وأبو قتادة وأبو عياش وفى رواية أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر سعد بن زيد وقال اخرج فى طلب القوم حتى ألحقك فى الناس وقيل أمر المقداد فساروا وتقدمهم أبو قتادة فأدرك فى طريقه مسعدة بن حكمة الفزارى فقتله وسجاه ببرده فلما وصل المسلمون اليه وهو مسجى استرجعوا اى قالوا إنا لله وانا اليه راجعون ظنا منهم ان المسجى هو أبو قتادة وانه قتل فقال النبى صلى الله عليه وسلم ليس بأبى قتادة ولكنه قتيله وضع عليه برده لتعرفوه فتخلوا عن قتيله وسلبه وقيل ان قتيل أبى قتادة هذا هو حبيب بن عيينة الفزارى ويحتمل أن له اسمين فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسه وسلاحه ولقى عكاشة بن محصن رضى الله عنه نصفا فى طريقه إبان بن عمرو وابنه عمرا على بعير واحد فانتظمهما بالرمح فقتلهما جميعا واستنقذ بعض اللقاح وقتل من المسلمين محرز بن فضلة من بنى أسد بن خزيمة ممن شهد بدرا رضى الله عنه قال ابن اسحق كان أول فارس لحق بالقوم فقال قفوا يامعشر بنى اللكيعة فحمل عليه رجل منهم فقتله وتحول على فرسه فلحقه ابو قتادة فقتله وتحول على الفرس وأدرك سلمة بن الأكوع رضى الله عنه القوم قال ابن

نصفا فاقبلوه فوالله لا تنصرون عليه بعد ما عرض من النصف فقال أبو جهل والله لا نرجع بعد أن مكننا الله منهم ثم ان أبا جهل بعث الى عامر بن الحضرمى أى أخو المقتول الذى هو عمرو وقال هذا حليفك يعنى عتبة يريد أن يرجع بالناس وفى لفظ يخذل الناس عن القتال وقد تحمل دية أخيك من ماله يزعم أنك تابلها ألا تستحى أن تقبل الدية من مال عتبة وقد رأيت ثارك بعينك فقم فاذكر مقتل أخيك وكان عامر كأخيه المقتول من حلفاء عتبة وسيأتى ذلك فقام عامر بن الحضرمى فاكتشف أى كشف استه أى وحثا عليه التراب ثم صرخ واعمراه واعمراه فثارت النفوس أى وعامر هذا لا يعرف له اسلام أى وفى الاستيعاب عامر بن الحضرمى قتل يوم بدر كافرا وأما أخوهما العلاء فمن فضلاء الصحابة رضى الله تعالى عنهم أى وقد كان يقال إنه مجاب الدعوة وأنه خاض البحر ووسريته التى كان أميرا عليها وذلك فى زمن خلافة عمر رضى الله تعالى عنه ويقال يبس حتى رىء الغبار من حوافر الخيل بكلمات قالها ودعا بها وهى ياعلى ياحكيم ياعلى ياعظيم انا عبيدك وفى سبيلك نقاتل عدوك اللهم فاجعل لنا اليهم سبيلا وقد وقع نظير ذلك أى دخول البحر لأبى مسلم الخولانى التابعى فانه لما غزا الروم مع جيشه مروا بنهر عظيم بينهم وبين العدو فقال أبو مسلم اللهم أجزت بنى اسرائيل البحر وإنا عبادك وفى سبيلك فأجزنا هذا النهر اليوم ثم قال اعبروا بسم الله فعبر وافلم يبلغ الماء بطون الخيل وكذا وقع نظير ذلك لأبى عبيد الثقفى التابعى أمير الجيوش فى أيام سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه فان دجلة حالت بينه وبين العدو فتلا قوله تعالى وما كان لنفس أن تموت إلا باذن الله كتابا مؤجلا ثم سمى الله تعالى واقتحم بفرسه الماء واقتحم الجيش وراءه ولما نظر اليهم الأعاجم صاروا يقولون ديوانا ديوانا أى مجانين ثم ولوا مدبرين فقتلهم المسلمون وغنموا أموالهم وله أخ يقال له ميمون وهو الذى حفر البئر التى بأعلى مكة التى يقال لها بئر ميمون ولم أقف على إسلامه وأما أختهم التى هى الصعبة وهى أم طلحة بن عبيد الله فصحابية رضى الله تعالى عنها كانت أولا تحت أبى سفيان بن حرب فطلقها فخلف عليها عبيد الله فولدت له طلحة الذى قال فى حقه ﷺ من أراد أن ينظر الى شهيد يمشى على وجه الأرض فلينظر الى طلحة بن عبيد الله ثم ان الأسود بن عبد الاسد المخزومى وهو أخو أبى سلمة عبد الله بن عبد الأسد وكان رجلا شرسا سيء الخلق شديد العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء أنه أول من يعطى كتابه بشماله كما أن أخاه أبا سلمة أول من يعطى كتابه بيمينه كما تقدم قال أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتن دونه فلما خرج خرج اليه حمزة بن عبد المطلب فلما التقيا ضربه حمزة فاطن قدمه بنصف ساقه أى أسرع قطعها فطارت وهو دون الحوض فوقع على ظهره تشخب رجله دما ثم حبا الى الحوض حتى اقتحم فيه أى وشرب منه وهدمه برجله الصحيحة يريد أن تبر يمينه فاتبعه حمزة فضربه حتى قتله فى الحوض وأقبل نفر من قريش حتى وردوا ذلك الحوض منهم حكيم بن حزام فقال رسول الله ﷺ دعوهم فما شرب منه رجل يومئذ إلا قتل كافرا إلا ما كان من حكيم بن حزام فانه لم يقتل ثم أسلم بعد ذلك وحسن اسلامه فكان إذا اجتهد فى يمينه قال لا والذى نجانى يوم بدر وعلى أن هذا

اسحق ان سلمة رضى الله عنه صرخ واصباحاه ثم خرج يشتد فى آثار القوم فكان مثل السبع وكان يسبق الخيل فى جريه فلم يزل يشتد حتى لحق بالقوم وهو على رجليه فجعل يرميهم بالنبل وفى البخارى عنه رضى الله عنه ثم اندفعت على وجهى حتى أدركتهم وقد أخذوا يستقون من الماء فجعلت أرميهم بنبلى وكنت راميا وأقول خذها وأنا ابن الاكوع اليوم يوم الرضع وارتجز حتى استنقذت اللقاح وثلاثين بردة وفى صحيح مسلم فاقبلت أرميهم بالنبل وارتجز فما زلت أرميهم واعقر بهم فاذا رجع الى فارس منهم أتيت شجرة فجلست فى أصلها ثم رميته فعقرته فاذا تضايق الجبل ودخلوا فى مضايقه علوت الجبل فرميتهم بالحجارة فما زلت كذلك حتى ما خلق الله لرسول الله ﷺ من بعير الا خلفته وراء ظهرى ثم اتبعتهم أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين بردة وثلاثين رمحا يتخففون بها فأتوا مضيقا فأتاهم عيينة ممدا لهم فجلسوا يتغدون وجلست على رأس كرم فقال من هذا قالوا لقينا من هذا البرح بفتح الباء وسكون الراء يعنى الشدة والأذى مافارقنا السحر حتى الآن وأخذ كل شىء فى أيدينا وجعله وراء ظهره فقال عيينة لولا انه يرى وراءه طلبا لكم لترككم ليقم اليه أربعة منكم قال سلمة فصعدوا فى الجبل فقلت لهم أتعرفونى فقالوا ومن أنت قلت ابن الأكوع والذى أكرم وجه محمد ﷺ لا يطلبنى رجل منكم فيدركنى ولا أطلبه فيفوتنى فقال رجل منهم أظن فرجعوا فما برحت مكانى حتى رأيت فوارس رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله اليوم يوم الرضع بضم الراء وشد المعجمة جمع راضع والمراد يوم هلاك اللئام من قولهم لئيم راضع أى رضع اللؤم وقيل معناه اليوم يعرف من أرضعته الحرب من صغره وتدرب بها ويعرف غيره وقيل معنى هذا يوم شديد عليكم تفارق فيه المرضعة من أرضعته فلا يجد من يرضعه ولحق رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس

والخيول عشاء فنزلوا بذى قرد وأقام يوما وليلة قال سلمة لما لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت يا رسول الله ان القوم يعنى غطفان
وفزارة عطاش لا يقدرون على الحرب فلو بعثتنى فى مائة لاستنقذت ما فى أيديهم من السرح وأخذت باعناق القوم أى أسرتهم
وقتلتهم وفى رواية لمسلم وأتانى عمى عامر بماء ولبن فتوضأت وشربت ثم أتيت النبى صلى الله عليه وسلم وهو على الماء الذى أجليتهم عنه
فاذا هو قد أخذ كل شيء استنقذته  منهم ونحر له بلال رضى الله عنه ناقة وشوى له من كبدها وسنامها فقلت يا رسول الله
خلنى أنتخب من القوم مائة رجل فاتبعهم فلا يبقى منهم مخبر فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال أتراك كنت فاعلا قلت نعم والذى أكرمك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن الأكوع ملكت فاسجح أى قدرت عليهم فاحسن وارفق والسجاحة بالكسر السهولة أى لا تأخذ بالشدة بل ارفق وأحسن العفو فقد حصلت النكاية فى العدو فهزموا وقتل رؤساؤهم وسلبت منهم الرماح والبرد ولله الحمد على نصر الاسلام ثم قال صلى الله عليه وسلم انهم الآن ليقرون فى قومهم يعنى أنهم وصلوا الى غطفان وهم يضيفونهم ويساعدونهم فلا فائدة فى البعث فى أثرهم لأنهم لحقوا بأصحابه وزاد مسلم فجاء رجل من غطفان وقال مروا على فلان الغطفانى فنحر لهم جزورا فلما أخذوا يكشطون
جلدها رأوا غبرة فتركوها وقالوا أتاكم القوم وخرجوا هرابا وفيه معجزة له ﷺ
حيث أخبر بذلك فكان كما قال وقال سلمة رضى الله عنه فلما أصبحنا قال صلى الله عليه وسلم خير فرساننا اليوم أبو قتادة وخير رجالتنا
اليوم سلمة فأعطانى سهم الراجل والفارس جميعا وفى رواية وذهب الصريخ الى بنى عمرو بن عوف من الأنصار فجاءت الأمداد فلم
تزل الخيل تأتى والرجال على أقدامهم وعلى الابل حتى انتهوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستنقذوا عشر لقاح وأفلت القوم

---

الحوض كان وراء ظهره ﷺ يكون مجىء هؤلاء للحوض من خلفه صلى الله عليه وسلم فليتأمل
ثم ان عتبة بن ربيعة التمس بيضة أى خودة ليدخلها فى رأسه فما وجد فى الجيش بيضة تسع رأسه
لعظمها فاعتجر على رأسه ببرد له أى تعمم به ولم يجعل تحت لحيته من العمامة شيئا وخرج بين أخيه شيبة
وابنه الوليد حتى فصل من الصف ودعا للمبارزة فخرج اليه فتية من الأنصار ثلاثة أخوة أشقاء هم معوذ
ومعاذ وعوف بنو عفراء وقيل بدل عوف عبد الله بن رواحة فقالوا من أنتم قالوا رهط من الأنصار
قالوا ما لنا بكم من حاجة وفى رواية أكفاء كرام انما نريد قومنا أى وفى لفظ ولكن اخرجوا الينا
من بنى عمنا أى وفى لفظ أنه ﷺ أمرهم بالرجوع فرجعوا الى مصافهم وقال لهم خيرا لأنه
كره أن تكون الشوكة لغير بنى عمه وقومه فى أول قتال وعند ذلك نادى مناديهم يا محمد اخرج الينا
أكفاءنا من قومنا فقال النبى صلى الله عليه وسلم قم يا عبيدة بن الحرث وقم يا حمزة وقم يا على وفى لفظ
قوموا يا بنى هاشم فقاتلوا بحقكم الذى بعث به نبيكم اذ جاؤا بباطلهم ليطفؤا نور الله قم يا عبيدة بن الحرث
قم يا حمزة قم يا على فلما قاموا ودنوا قالوا لهم من أنتم أى لأنهم كانوا ملبسين لا يعرفون من السلاح قال
عبيدة عبيدة وقال حمزة حمزة وقال على على قالوا نعم أكفاء كرام فبارز عبيدة بن الحرث وكان أسن القوم
كان اسن من النبى ﷺ بعشر سنين عتبة بن ربيعة وبارز حمزة شيبة وبارز على الوليد فاما حمزة فلم
يمهل أن قتل شيبة وأما على فلم يمهل أن قتل الوليد واختلف عبيدة وعتبة بينهما بضربتين كلاهما
أثبت صاحبه وكر حمزة وعلى بأسيافهما على عتبة فذففاه بالمهملة والمعجمة واحتملا صاحبهما فجراه
الى أصحابه أى وأضجعوه الى جانب موقفه ﷺ فأفرشه رسول الله صلى الله عليه وسلم
قدمه الشريفة فوضع خده عليها وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهد أنك شهيد أى بعد أن
قال له عبيدة ألست شهيدا يا رسول الله فتوفى فى الصفراء ودفن بها عند مرجع المسلمين الى المدينة
وقيل برز حمزة لعتبة وعبيدة لشيبة وعلى للوليد واختلف عبيدة وشيبة بينهما بضربتين كلاهما أثبت
صاحبه ووقعت الضربة فى ركبة عبيدة فأطاحت رجله وصار مخ ساقه يسيل ثم مال حمزة وعلى على شيبة
فذففا عليه أى ويقال إن شيبة لما صرع من ضربة عبيدة قام فقام اليه حمزة فاختلفا ضربتين فلم يصنع
سيفهما شيئا فاعتنق كل واحد منهما صاحبه فاهوى عبيدة وهو صريع فضرب شيبة فقطع ساقه فذفف
عليه حمزة وقيل بارز على شيبة وبارز عبيدة الوليد فقد روى الطبرانى باسناد حسن عن على أنه قال أعنت
أنا وحمزة عبيدة بن الحرث على الوليد فلم يعب النبى ﷺ علينا ذلك وقال الحافظ ابن حجر
وهذا أصح الروايات ولكن المشهور أن عليا كرم الله وجهه انما بارز الوليد وهذا هو اللائق بالمقام
لأن عتبة وشيبة كانا شيخين كعبيدة وحمزة بخلاف على والوليد فكانا شابين وقتل حمزة طعيمة بن
عدى أخا المطعم بن عدى وتقدم أن المطعم مات قبل هذه الغزاة بستة أشهر كافرا قيل وهذه المبارزة أول
مبارزة وقعت فى الاسلام وفى الصحيحين عن أبى ذر أنه كان يقسم قسما ان هذه الآية هذان خصمان
اختصموا فى ربهم نزلت فى حمزة وصاحبه وعتبة وصاحبه يوم بدر وفى البخارى عن على رضى الله تعالى

عنه

بي وهي عشر من اللقاح وهذه الرواية مخالفة لقول سلمة في الصحيحين أنه استنقذ جميع اللقاح وأجاب بعضهم بأن سلمة قال ذلك
بحسب ظنه وهو في الواقع نصف اللقاح واستبعده بعضهم ثم كون اللقاح عشرين لا ينافي بمجرده أن معها زيادة عليها لما روى أن معها
جملا كان لأبي جهل ومعها الناقة التي رجعت عليها امرأة أبي ذر رضي الله عنهما وكان عودها بعد عود النبي صلى الله عليه وسلم المدينة
كما تقدم وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذي قرد صلاة الخوف وأقام به يوما وليلة يتجسس الخبر ورجع وقد
غاب خمس ليال وأردف أسامة رضي الله عنه خلفه في رجوعه وقسم في كل مائة من أصحابه جزورا ينحرونها وبعث إليهم سعد بن عبادة رضي الله عنه بأحمال تمر وبعشر جزائر فيحتمل أن الجزائر المنحورة مما بعثه أو مما أخذوه من القوم قال الحافظ ابن حجر وفي القصة من الفوائد جواز العدو الشديد في الغزو والانذار بالصياح العالي وتعريف الشجاع بنفسه ليرعب خصمه واستعمال الثناء على الشجاع ومن فيه فضيلة لا سيما عند الصنع الجميل ليزيد منه ومحله حيث يؤمن الافتتان والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ سرية الغمر ﴾

وتعرف بسرية عكاشة ابن محصن الأسدي رضي الله عنه إلى غمر مرزوق بفتح الغين المعجمة وسكون الميم بعدها راء وهو ماء لبني أسد على ليلتين من فيد بفتح الفاء وسكون الياء آخره دال
قال في القاموس قلعة بطريق مكة وكانت في شهر ربيع الأول سنة ست من الهجرة فخرج عكاشة رضي الله عنه في أربعين رجلا
عقب أمره صلى الله عليه وسلم له بالخروج دون تراخ فنذر به القوم فهربوا فنزلوا أعلى بلادهم فوجدوا ديارهم خلوفا أي خالية عن
سكانها لهربهم فبعث المسلمون طليعة فرأوا أثر النعم قريبا فقصدوها فأصابوا رجلا منهم فأمنوه فدلهم على نعم لبني عم لهم فأغاروا
عليها فاستاقوا مائتي بعير وأطلقوا الرجل وقدموا بالابل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يلقوا كيدا

---

عنه أنه أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة وقيل أول من يقف بين يدي الله تعالى
للخصومة علي ومعاوية ثم تزاحم الناس ودنا بعضهم من بعض وقد كان عدل رسول الله ﷺ
صفوف أصحابه بقدح في يده أي بسهم لا نصل له ولا ريش فمر بسواد بتخفيف الواو لا بتشديدها
كما زعمه ابن هشام بن غزية بفتح الغين المعجمة وكسر الزاي وتشديد الياء أي حليف بني النجار وهو
خارج من الصف فطعنه ﷺ في بطنه بالقدح وقال استو يا سواد فقال يا رسول الله أوجعتني
وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقدني أي مكني من القود أي القصاص من نفسك فكشف رسول
الله ﷺ عن بطنه وقال استقد أي خذ القود أي القصاص فاعتنقه فقبل بطنه الشريف فقال
ما حملك على هذا يا سواد فقال يا رسول الله حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس
جلدي جلدك فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير وفيه أن هذا لا قود فيه ولا قصاص عندنا
فليتأمل وسواد هذا جعله ﷺ بعد فتح خيبر عاملا على خيبر كما سيأتي أي وفي حديث حسن
عن عبد الرحمن بن عوف قال صفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر فبدرت منا بادرة أمام
الصف فنظر إليهم النبي ﷺ فقال معي معي أقول وقع له صلى الله عليه وسلم مع بعض
الأنصار أي وهو سواد بن عمرو مثل هذا الذي وقع له مع سواد بن غزية ففي أبي داود أن رجلا من
الأنصار كان فيه مزاح فبينما هو يحدث القوم يضحكهم إذ طعنه رسول الله ﷺ في خاصرته بعود
كان في يده وفي لفظ بعرجون وفي آخر بعصا فقال أصبرني يا رسول الله أي أقدني ومكني من
نفسك لأقتص منك فقال اصبر أي اقتص قال ان عليك قميصا وليس علي قميص فرفع رسول الله
ﷺ قميصه فاحتضنه وجعل يقبل كشحه أي ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم أنه ما التصق
بدنه مسلم وتمسه النار كذا في الخصائص الصغرى وفيها في محل آخر ولا تأكل النار شيئا مس
جسده وكذلك الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ثم لما عدل الصفوف قال لهم إن دنا القوم منكم
فانضحوهم أي ادفعوهم عنكم بالنبل واستبقوا نبلكم أي لا ترموهم على بعد فان الرمي مع البعد غالبا
يخطىء فيضيع النبل بلا فائدة أي وقال لهم لا تسلوا السيوف حتى يغشوكم وخطبهم خطبة حثهم
فيها على الجهاد وعلى المصابرة فيه منها وان الصبر في مواطن البأس مما يفرج الله عز وجل به الهم وينجي
به من الغم وهذا السياق يدل على تكرر هذه الخطبة أي وقوعها قبل مجيئهم إلى محل القتال وبعد
مجيئهم اليه ولا مانع منه ثم رجع ﷺ إلى العريش فدخله ومعه أبو بكر ليس معه فيه غيره وسعد بن
معاذ قائم على باب العريش متوشح بسيفه مع نفر من الأنصار يخافون على رسول الله ﷺ كرة
العدو أي والجنائب مهيأة لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن احتاج اليها ركبها ولما اصطف
الناس للقتال رمى قطبة بن عامر حجرا بين الصفين وقال لا أفر إلا أن فر هذا الحجر وكان أول
من خرج من المسلمين مهجع بكسر الميم واسكان الهاء فجيم مفتوحة فعين مهملة مولى عمر بن الخطاب
فقتله عامر بن الحضرمي بسهم أرسله اليه ونقل بعض المشايخ أنه أول من يدعى من شهداء هذه

﴿ سرية محمد بن مسلمة الانصارى ﴾ الى ذى القصة بفتح القاف والصاد المشددة موضع بينه و بين المدينة أربعة وعشرون ميلا من طريق الربذة وكانت فى شهر ربيع الاول سنة ست من الهجرة ومعه عشرة الى بنى ثعلبة فورد عليهم ليلا بمن معه وقد كمن لهم المشركون لشعورهم بمجيئهم اليهم فتركوا محمد بن مسلمة حتى نام هو وأصحابه ثم أحدقوا بهم فما شعر المسلمون إلا بالنبل قد خالطهم فوثب محمد بن مسلمة ومعه



قوس فصاح فى أصحابه السلاح فوثبوا فتراموا بالنبل ساعة من الليل ثم انحاز أصحاب محمد اليه وقد قتلوا من القوم رجلا ثم حمل القوم عليهم بالرماح فقتلوهم إلا محمد بن مسلمة فوقع جريحا يضرب كعبه فلا يتحرك فجردوهم من ثيابهم وانطلقوا فمر رجل من المسلمين بمحمد بن مسلمة وأصحابه فرآهم صرعى فاسترجع فتحرك له محمد بن مسلمة فحمله حتى ورد به المدينة جريحا فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة عامر بن الجراح أمين هذه الأمة أحد العشرة المبشرين رضى الله عنهم فى ربيع الآخر فى أربعين رجلا الى مصارعهم فأغاروا عليهم فلم يجدوا أحدا ووجد نعما وشاء فساقه ورجع وصريح هذا ان سبب بعث أبى عبيدة رضى الله عنه طلب ثار المقتولين وقيل ان سببه أن بنى ثعلبة وأنمارا أجمعوا على أن يغيروا على سرح المدينة وهى ترعى بهيفاء وهو موضع على سبعة أميال من المدينة فبعث صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة فى أربعين حين صلوا المغرب فمشوا ليلتهم حتى وافوا ذا القصة مع الصبح فأغاروا عليهم فأعجزوهم هربا فى الجبال وأصاب رجلا واحدا فأسلم فتركه وأخذ نعما من نعمهم فاستاقه وشيئا من متاعهم وقدم به المدينة فخمسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقسم ما بقى عليهم والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ سرية زيد بن حارثة رضى الله عنه ﴾ الى بنى سليم بالجموم ناحية ببطن نخل على أربعة أميال من المدينة وكانت فى شهر ربيع

---

الأمة وأنه صلى الله عليه وسلم قال يومئذ مهجع سيد الشهداء أى من هذه الأمة فلا ينافى ما جاء أن سيد الشهداء يوم القيامة يحيى بن زكريا وقائدهم الى الجنة وذابح الموت يوم القيامة يضجعه ويذبحه بشفرة فى يده والناس ينتظرون اليه لكن جاء سيد الشهداء هابيل إلا أن تجعل الأولية اضافية فيراد أول أولاد آدم لصلبه قيل وكون مهجع أول قتيل من المسلمين لا ينافى كون أول قتيل من المسلمين عمير بن الحمام لأن ذاك أول قتيل من المهاجرين وعمير أول قتيل من الأنصار ولا ينافى ذلك أن أول قتيل من الأنصار حارثة بن قيس أى قتل بسهم لم يدر راميه ففى البخارى عن حميد قال سمعت أنسا يقول أصيب حارثة يوم بدر وهو غلام فقتل بارسال سهم اليه أى فانه أصابه سهم غرب أى لا يعرف راميه وهو يشرب من الحوض وفى كلام ابن اسحق أول من قتل من المسلمين مهجع مولى عمر بن الخطاب ومن بعده حارثة بن سراقة وقد جاءت أم حارثة وهى عمة أنس بن مالك إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله حدثنى عن حارثة فان يكن فى الجنة لم أبك عليه ولكن أحزن وان يكن فى النار بكيت ما عشت فى دار الدنيا وفى رواية ان يكن فى الجنة صبرت وان يكن غير ذلك اجتهدت عليه فى البكاء فقال يا أم حارثة انها ليست بجنة ولكنها جنات وحارثة فى الفردوس الأعلى فرجعت وهى تضحك وتقول بخ بخ لك يا حارثة وهذا قد يخالف قول ابن القيم كالزمخشرى أن الجنة هى التى دار الثواب واحدة بالذات كثيرة بالأسماء والصفات وهذا الاسم الذى هو الجنة يجمعها من أسمائه جنة عدن والفردوس والمأوى ودار السلام ودار الخلد ودار المقامة ودار النعيم ومقعد صدق وغير ذلك مما يزيد على عشرين اسما أى وعن الواقدى أنه بلغ أمه وأخته وهما بالمدينة مقتله فقالت أمه والله لا أبكى عليه حتى يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسأله فان كان فى الجنة لم أبك عليه وفى رواية أصبر وأحتسب وان كان ابنى فى النار بكيته وفى رواية ترى ما أصنع فلما قدم رسول الله ﷺ من بدر جاءت أمه فقالت يارسول الله قد عرفت موقع حارثة من قلبى فأردت أن أبكى عليه ثم قلت لا أفعل حتى أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان فى الجنة لم أبك عليه وان كان فى النار بكيته فقال النبى صلى الله عليه وسلم هبلت وفى رواية ويحك أوهبلت أجنة واحدة انها جنان كثيرة والذى نفسى بيده انه لفى الفردوس الأعلى ودعا رسول الله ﷺ باناء من ماء فغمس يده فيه ومضمض فاه ثم ناوله أم حارثة فشربت ثم ناولت ابنتها فشربت ثم أمرهما ينضحان فى جيوبهما ففعلتا فرجعتا من عند النبى ﷺ وما بالمدينة امرأتان أقر عينا منهما ولا أسر وقد كان حارثة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو له بالشهادة فقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم قال لحارثة يوما وقد استقبله كيف أصبحت يا حارثة قال أصبحت مؤمنا بالله حقا قال انظر ما تقول فان لكل قول حقيقة قال يارسول الله عزلت نفسى عن الدنيا فأسهرت ليلى وأظمأت نهارى فكأنى بعرش ربى بارزا وكأنى أنظر الى أهل الجنة يتزاورون فيها وكأنى أنظر الى أهل النار يتعاوون فيها قال أبصرت فالزم عبد أى أنت عبد بذر الله الايمان فى قلبه قال فقلت ادع الله لى بالشهادة فدعا له رسول الله ﷺ بذلك وقال أبو

أبو

الآخر سنة ست فاصابوا امراة من مزينة اسمها حليمة فاسروها فدلتهم على منازل بنى سليم فاصابوا نعما وشاء ووجدوا جماعة منهم فاسروهم فكان فيهم زوج حليمة المزنية فلما رجع زيد بما أصاب وهب رسول الله ﷺ للمزنية نفسها وزوجها والظاهر انها أسلمت وتوقف بعضهم فى ثبوت ذلك وقال لا أعلم لها اسلاما ولا صحبة ولا ترجمة وليس فى الصحابيات حليمة الا المرضعة رضى الله عنها ولم يذكروا عدة الابل والغنم والاسرى والله اعلم (١٧٣) ﴿ ثم سرية زيد بن حارثة رضى الله عنه أيضا الى العيص ﴾

قالت عائشة رضى الله عنها ما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة رضى الله عنه فى سرية الا أمره عليهم ولو بقى لاستخلفه أخرجه ابن أبى شيبة وفى البخارى عن سلمة بن الاكوع رضى الله عنه قال غزوت مع النبى صلى الله عليه وسلم سبع غزوات ومع زيد بن حارثة رضى الله عنه سبع غزوات يؤمره علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم والعيص موضع على أربع ليال من المدينة وكانت غزوة زيد هذه فى جمادى الاولى سنة ست من الهجرة وسببها انه عليه الصلاة والسلام بلغه ان عيرا لقريش قد أقبلت من الشام فبعث زيدا ومعه سبعون راكبا وقيل مائة وسبعون ليتعرض لها فادركها وأخذها وما فيها وأخذ يومئذ فضة كثيرة لصفوان ابن أمية بن خلف وأسر منهم ناسا منهم ابو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف واسمه لقيط او الزبير او هشيم او مهشم او ياسر وامه هالة بنت خويلد أخت خديجة بنت خويلد رضى الله عنها وكان أبو العاص من رجال مكة المعدودين تجارة ومالا وأمانة وهو زوج زينب بنت النبى ﷺ ورضى الله عنها فلما قدم المدينة أسيرا أجارته زوجته السيدة زينب رضى الله عنها بنت النبى صلى الله عليه وسلم بعد أن استجارها ونادت فى الناس حين صلى رسول الله ﷺ الفجر وفى رواية حين كبر وكبر الناس

أبو جهل وأصحابه حين قتل عتبة وشيبة والوليد تصبروا لنا العزى ولا عزى لكم ونادى منادى رسول الله ﷺ مولانا ولا مولى لكم قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار قول سيأتى أو وقوع مثل ما قال أبو جهل وأصحابه من أبى سفيان وانه أجيب بمثل هذا الجواب فى يوم أحد والله أعلم وصار رسول الله ﷺ يناشد ربه ماوعده من النصر أى وهذا العريش هو المراد بالقبة فى قول البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله ﷺ قال وهو فى قبة يوم بدر اللهم أنشدك عهدك الحديث ويقول اللهم ان تهلك هذه العصابة اليوم فلا تعبد أى وفى مسلم انه ﷺ قال اللهم انك ان تشأ لا تعبد فى الارض قال ذلك فى هذا اليوم وفى يوم احد قال العلماء فيه التسليم لقدر الله تعالى والرد على غلاة القدرية الذين يزعمون ان الشر غير مراد لله ولا مقدور له وذكر الامام النووى أن كونه قال ماذكر يوم بدر هو المشهور وفى كتب التفسير والمغازى انه يوم أحد ولا معارضة بينهما فقاله فى اليومين هذا كلامه أى يجوز أن يكون قال ذلك فى يوم بدر وفى يوم أحد وفى رواية اللهم ان ظهروا على هذه العصابة ظهر الشرك ولا يقوم لك دين أى لأنه ﷺ علم انه آخر النبيين فاذا هلك هو ومن معه لا يبقى من يتعبد بهذه الشريعة وفى لفظ آخر اللهم لا تودع منى ولا تخذلنى أنشدك ما وعدتنى لأنه كان وعده النصر وفى رواية مازال يدعو ربه مادا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبه فأخذ أبو بكر رداءه وألقاه على منكبه ثم التزمه من ورائه وقال يانبى الله كفاك تناشد ربك فانه سينجز لك ماوعدك أى وفى رواية والله لينصرنك الله وليبيضن وجهك أى وفى لفظ قد ألححت على ربك وكون وعد الله لا يتخلف لا ينافى الالحاح فى الدعاء لان الله يحب الملحين فى الدعاء وإنما قال أبو بكر ماذكر لأنه شق عليه تعب النبى ﷺ فى إلحاحه بالدعاء لأنه رضى الله تعالى عنه رقيق القلب شديد الاشفاق على رسول الله ﷺ وقيل لأن الصديق كان فى تلك الساعة فى مقام الرجاء والنبى ﷺ كان فى مقام الخوف لان الله يفعل مايشاء وكلا المقامين سواء فى الفضل ذكره السهيلى وحين رأى المسلمون القتال قد نشب عجوا بالدعاء الى الله تعالى فانزل الله تعالى عند ذلك إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين أى متتابعين وقيل ردفا لكم ومددا لكم وقيل وراء كل ملك ملك آخر ويوافق ذلك ماجاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أمد الله نبيه يوم بدر بألف من الملائكة فكان جبريل فى خمسمائة وميكائيل فى خمسمائة فامده الله تعالى بالملائكة ألف مع جبريل وألف مع ميكائيل وجاء أمده الله بثلاثة آلاف ألف مع جبريل وألف مع ميكائيل وألف مع اسرافيل وهذا رواه البيهقى فى الدلائل عن على باسناد فيه ضعف وقيل وعدهم الله تعالى أن يمدهم بالف ثم زيدوا فى الوعد بألفين ثم زيدوا فى الوعد بألفين أيضا وقيل أمدهم الله تعالى آلاف من الملائكة ثم أكملهم بخمسة آلاف قال الله تعالى اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين أى ألف مع جبريل وألف مع ميكائيل وألف مع إسرافيل بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين فان ذلك كان يوم بدر على ما

معه نادت أيها الناس إنى قد أجرت أبا العاص فلما سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة أقبل على الناس فقال أيها الناس هل سمعتم ماسمعت قالوا نعم ثم قال والذى نفس محمد بيده ماعلمت بشىء من هذا حتى سمعت ماسمعتم المؤمنون يد واحدة يجير عليهم أدناهم وقد أجرنا من أجارت ثم دخل ﷺ منزله فدخلت عليه زينب فسألته أن يرد عليه ما أخذ منه فقبل وقال لها أكرمى مثواه ولا يخلصن اليك  فانك لا تحلين له وفى رواية ان زينب رضى الله عنها قالت للنبى ﷺ ان أبا العاص ان قرب فابن عم وان بعد فابو ولد وانى قد أجرته فقال النبى صلى الله عليه وسلم لاصحابه رضى الله عنهم ان هذا الرجل منا حيث قد علمتم وقد أصبتم له مالا فان تحسنوا وتردوا عليه الذى له فانا نحب ذلك وان أبيتم فهو فىء الله الذى أفاء عليكم فانتم أحق به فقالوا يارسول الله بل نرده عليه حتى ان الرجل ليأتى بالدلو والرجل بالاداوة حتى ردوا عليه ماله بأسره لا يفقد منه شيئا ثم ذهب الى مكة فادى الى كل ذى مال ماله ثم قال هل بقى لاحد منكم عندى مال لم يأخذه قالوا لا قال هل أوفيت ذمتى قالوا اللهم نعم فجزاك الله خيرا فقد وجدناك وفيا كريما قال فانى أشهد أن لا إله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله والله ما منعنى من الاسلام عنده الا تخوفا أن تظنوا انى انما أردت أن آكل أموالكم فلما ردها الله عليكم وفرغت منها أسلمت ثم خرج فقدم المدينة وأخرج الحاكم بسند صحيح أن زينب رضى الله عنها هاجرت أسلموا
وأبو العاص على دينه فخرج إلى الشام فى تجارة فلما كان قرب المدينة أراد بعض المسلمين الخروج اليه ليأخذوا ما معه ويقتلوه فبلغ ذلك زينب فقالت يارسول الله أليس عقد المسلمين وعهدهم واحدا قال نعم قالت فأشهد أنى قد أجرت أبا العاص فلما رأى ذلك الصحابة رضى الله عنهم خرجوا اليه بغير سلاح فقالوا والله إنك لفى شرف من قريش وأنت ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم

عليه الأكثر وقيل يوم أحد كان الامداد فيه بذلك أى بثلاثة آلاف ثم وقع الوعد بإكمالهم خمسة آلاف معلقا على شرط وهو التقوى والصبر عن حوز الغنائم فلم يصبروا ففات الامداد بما زاد على الثلاثة آلاف وهذا الثانى هو الذى فى النهر لابى حيان كان المدد يوم بدر بالف من الملائكة ويوم أحد بثلاثة آلاف ثم بخمسة لو صبروا عن أخذ الغنائم فلم يصبروا فلم تنزل هذا كلامه وهو واضح لان عدم صبرهم عن أخذ الغنائم وعدم امتثال أمره انما كان فى أحد لا فى بدر و روى البيهقى عن حكيم بن حزام رضى الله عنه ان يوم بدر وقع نمل من السماء قد سد الافق فاذا الوادى يسيل نملا أى نازلا من السماء فوقع فى نفسى ان هذا شىء أيد به ﷺ وهى الملائكة أى و روى بسند حسن عن جبير بن مطعم قال رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون مثل البجاد الاسود مبثوث حتى امتلأ الوادى فلم أشك انها الملائكة فلم يكن الا هزيمة القوم والبجاد كساء مخطط من أكسية الاعراب وسيأتى وقوع مثل ذلك فى حنين قال وانما كانت الملائكة شركاء لهم فى بعض الفعل ليكون الفعل منسوبا للنبى صلى الله عليه وسلم ولاصحابه والا فجبريل قادر على أن يدفع الكفار بريشة من جناحه كما فعل بمدائن قوم لوط وأهلك قوم صالح وثمود بصيحة واحدة وليهابهم العدو بعد ذلك حيث يعلمون ان الملائكة تقاتل معهم وبهذا يرد ما قيل لم تقاتل الملائكة يوم بدر وانما كانوا يكثرون السواد والا فملك واحد كاف فى اهلاك أهل الدنيا كلهم وجاء لولا أن الله تعالى حال بيننا و بين الملائكة التى نزلت يوم بدر لمات أهل الارض خوفا من شدة صعقاتهم وارتفاع اصواتهم وجاء فى حديث مرسل ما رؤى الشيطان أحقر ولا أدحر ولا أصغر من يوم عرفة الا ما رؤى يوم بدر أى وكذا سائر مواسم المغفرة والعتق من النار كأيام رمضان سيما ليلة القدر وجاء ان ابليس جاء فى صورة سراقة بن مالك المدلجى الكنانى فى جند من الشياطين أى مشركى الجن فى صور رجال من بنى مدلج من بنى كنانة معه رايته وقال للمشركين لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم اهـ أى كما قال لهم ذلك عند ابتداء خروجهم وقد خافوا من بنى كنانة قوم سراقة وقد تقدم انه كان وحده ولا منافاة لجواز أن يكون جنده لحقوا به بعد قال فلما رأى جبريل والملائكة وفى رواية وأقبل جبريل الى ابليس فلما رآه وكانت يده فى يد رجل من المشركين أى وهو الحرث بن هشام أخو أبى جهل انتزع يده من يد الرجل ثم نكص على عقبيه وتبعه جنده فقال الرجل ياسراقة أتزعم انك لنا جار فقال انى برىء منكم إنى أرى ما لا ترون إنى أخاف الله والله شديد العقاب وتشبث به الحرث بن هشام رضى الله تعالى عنه فانه اسلم بعد ذلك وقال له والله لا أرى الا خفافيش يثرب فضربه ابليس فى صدره فسقط وعند ذلك قال أبو جهل يامعشر الناس لا يهمنكم خذلان سراقة فانه كان على ميعاد من محمد ولا يهمنكم قتل عتبة وشيبة أى والوليد فانهم قد عجلوا واللات والعزى لا نرجع حتى نقرن محمدا وأصحابه بالحبال وصار يقول لا تقتلوهم خذوهم باليد وذكر السهيلى انه يروى ان من بقى من قريش وهرب الى مكة وجد سراقة بمكة فقالوا له ياسراقة خرقت الصف واوقعت فينا الهزيمة فقال والله ماعلمت بشىء من أمركم وما شهدت وما علمت فما صدقوه حتى

قيل لك أن تسلم فتغنم ما معك من أموال أهل مكة فقال بئس ما أمرتموني به أن أفتتح ديني بغدرة فمضى الى مكة فسلمهم أموالهم وأسلم عندهم ثم هاجر وقيل ان أسره هذا كان بعد الحديبية على يد أبي بصير ومن معه من المسلمين لما أقاموا بالساحل يقطعون الطريق على تجار قريش مدة الهدنة وتقدم أن زينب كانت هاجرت قبله وتركته على شركه ثم بعد أن أسلم وهاجر ردها ﷺ إليه بالنكاح الاول وقيل بنكاح جديد وهذا هو الذي عليه العمل لأن الاسلام



فرق بينهما قال الله تعالى لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن وقيل ان هذه الآية متأخرة عن هذه الوقعة فلم يكن اختلاف الدينين مقتضيا للتحريم إلا بعد نزولها وفي الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم أثنى على أبي العاص في مصاهرته خيراً وقال حدثني فصدقني ووعدني ووفى لي وأنه صلى الله عليه وسلم كان يصلي وهو حامل أمامة بنت زينب من أبي العاص رضي الله عنهما مات رضي الله عنه سنة اثنتي عشرة في خلافة الصديق رضي الله عنه وأما زينب رضي الله عنها فتوفيت في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وهي أكبر بناته رضي الله عنهن والله أعلم

*(ثم سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه أيضا الى الطرف)* بفتح الطاء وكسر الراء وبالفاء ككتف وهو ماء أي ماء عين على ستة وثلاثين ميلا من المدينة بطريق العراق وكانت في جمادى الآخرة سنة ست فخرج الى بني ثعلبة في خمسة عشر رجلا فأصاب نعما وشاء وهربت الأعراب لأنهم خافوا أن يكون ﷺ سار إليهم بنفسه وان هؤلاء مقدمة له وصبح زيد بالنعم المدينة وغاب أربع ليال عن المدينة

*(ثم سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه أيضا إلى حسمى)* بكسر الحاء المهملة وكسر السين المهملة مقصوراً وهي اسم أرض ينزلها جذام وراء وادي القرى وذلك من جهة الشام وكانت في جمادى الآخرة سنة ست وقيل سنة سبع فتكون بعد الحديبية لأنها بعد رجوع دحية من

---

أسلموا وسمعوا ما أنزل الله فعلموا أنه ابليس هذا كلامه قال قتادة صدق إبليس في قوله إني أرى ما لا ترون وكذب في قوله إني أخاف الله والله ما به مخافة من الله قال في ينبوع الحياة ولا يعجبني هذا فاني إبليس عارف بالله ومن عرف الله خافه أي وان لم يكن إبليس خافه حق الخوف قيل وانما خاف أن يكون هذا اليوم هو اليوم الموعود الذي قال فيه سبحانه وتعالى يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ورأيت عن سيدي علي الخواص أنه لا يلزم من قول إبليس ذلك أن يكون معتقداً له بالباطن كما هو شأن المنافقين ورأيت عن وهب أن اليوم المعلوم الذي أنظر فيه إبليس هو يوم بدر قتلته الملائكة في ذلك اليوم والمشهور انه منظر إلى يوم القيامة ويدل لذلك ما روي أن إبليس لما ضرب الحرث في صدره لم يزل ذاهبا حتى سقط في البحر ورفع يديه وقال يارب موعدك الذي وعدتني اللهم إني أسألك نظرتك إياي وخاف أن يخلص إليه القتل هذا وفي زوائد الجامع الصغير عن مسلم أن سيدنا عيسى عليه السلام يقتل إبليس بيده بعد نزوله وفراغه من صلاته ويرى المسلمين دمه في حربته وفي كلام بعضهم ولعل المراد بيوم القيامة الذي انظر إليه ابليس ليس نفخة البعث بل نفخة الصعق التي بها يكون موت من لم يمت من أهل السموات وأهل الأرض قيل إلا حملة العرش وجبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت وهؤلاء ممن استثنى الله تعالى في قوله ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم يموت جبريل وميكائيل ثم حملة العرش ثم اسرافيل ثم ملك الموت فهو آخر من يموت وفي كلام بعضهم الصعق أعم من الموت أي فالمراد ما يشمل الغشي وذهاب الشعور أي فمن مات قبل ذلك وصار حياً في البرزخ كالأنبياء والشهداء لا يموت وانما يحصل له غشي وذهاب شعور ويكون المستثنى من القسم الأول من تقدم ذكره من الملائكة ومن القسم الثاني موسى صلوات الله وسلامه عليه فانه جوزي بذلك أي بعدم الغشي وذهاب الشعور وربما حصل له من ذلك بسبب صعقة الطور وفيه أنه ﷺ لم يجزم بذلك بل تردد في ذلك حيث قال فأكون أول من رفع رأسه أي أفاق من الغشي فاذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أرفع رأسه أي أفاق من الغشي قبلي أو كان ممن استثنى الله فلم يصعق وفي رواية فاذا موسى متعلق بقائمة العرش فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي أم كان ممن استثنى الله ولعل بعض الرواة ضم هذا الخبر لخبر الشيخين أنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة فاذا موسى الخ وفيه نظر لأن المراد بيوم القيامة عند نفخة البعث ونفخة الصعق سابقة عليها كما علمت ويلزم على هذا التردد مع كون الخبرين خبراً واحداً اشكال جزمه ﷺ بأنه أول من تنشق عنه الارض وأجاب شيخ الاسلام بما يفيد أنهما خبران لا خبر واحد حيث قال التردد كان قبل أن يعلم أنه أول من تنشق عنه الأرض أي فهما حديثان لا حديث واحد فان قيل قوله ﷺ لا تخيروني على موسى فان الناس يصعقون يوم القيامة فأصعق معهم فأكون أول من يفيق فاذا موسى الحديث يقتضي أنه ﷺ ليس أفضل من موسى قلنا هو كقوله ﷺ من قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب وذلك منه ﷺ تواضع أو كان قبل أن يعلم أنه أفضل الخلق أجمعين

وقيل الوقت المعلوم خروج الدابة وإذا خرجت قتلته بوطئها وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن إبليس إذا مرت عليه الدهور وحصل له الهرم عاد ابن ثلاثين سنة وهذه النفخة التى هى نفخة الصعق مسبوقة بنفخة الفزع التى تفزع بها أهل السموات والأرض فتكون الأرض كالسفينة فى البحر تضربها الأمواج وتسير الجبال كسير السحاب وتنشق السماء وتكسف الشمس ويخسف القمر وهى المعنية بقوله تعالى يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة وبقوله تعالى إن زلزلة الساعة شىء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها الآية وقال تعالى ففزع من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله قيل وهم الشهداء فقد جاء أن الأموات يومئذ لا يعلمون بشىء من ذلك قلنا يارسول الله فمن استثنى الله تعالى فى قوله إلا من شاء الله فقال أولئك الشهداء وإنما يصل الفزع الى الأحياء وهم أحياء عند ربهم يرزقون وقاهم الله فزع ذلك اليوم وأمنهم منه واقتصاره ﷺ على ذكر الشهداء وسكوته عن الأنبياء لما هو معلوم من الأصل أن مقام الأنبياء أرقى من مقام الشهداء وان كان قد يوجد فى المفضول مالا يوجد فى الفاضل ومن ثم قيل الرزق خاص بالشهداء ومن ثم اختصوا بحرمة الصلاة عليهم ويقال انه كان من المسلمين يوم بدر من مؤمنى الجن سبعون أى لكن لم يثبت أنهم قاتلوا فكانوا مجرد مدد ثم ان رسول الله ﷺ خفق خفقة أى مالت رأسه من النعاس ثم انتبه فقال أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله هذا جبريل آخذ بعنان فرسه وفى لفظ آخذ برأس فرسه يقوده على ثناياه النقع أى الغبار وهو يقول أتاك نصر الله اذ دعوته أى وفى رواية أن جبريل عليه السلام أتى النبى ﷺ بعد ما فرغ من بدر على فرس حمراء معقودة الناصية قد خضب الغبار ثنيته عليه درعه وقال يا محمد إن الله بعثنى اليك وأمرنى أن لا أفارقك حتى ترضى أرضيت أى ولا مانع من تعدد رؤيته ﷺ لجبريل عليه السلام وان هذه بعد تلك وان المرة الأولى مساقها يقتضى أنها كانت مناما وأن الغبار فى المرة الثانية كان أكثر منه فى المرة الأولى بحيث علا على ثناياه ثم خرج رسول الله ﷺ من العريش إلى الناس فحرضهم وقال والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة فقال عمير بن الحمام بضم الحاء المهملة وتخفيف الميم وبيده تمرات يأكلهن بخ بخ كلمة تقال لتعظيم الأمر والتعجب منه ما بينى وبين أن أدخل الجنة الا أن يقتلنى هؤلاء ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل أى وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين فقال عمير بن الحمام بخ بخ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تبخبخ أى لم تتعجب فقال رجاء أن أكون من أهلها أى وفى رواية ما يحملك على قولك بخ بخ قال لا والله يارسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها فأخذ تمرات فجعل يلوكهن ثم قال والله إن بقيت حتى ألوكهن وفى لفظ إن حييت حتى آكل تمراتى هذه إنها لحياة طويلة فنبذهن وقاتل أى وهو يقول

ركضنا إلى الله بغير زاد * إلى التقى وعمل المعاد

والصبر

عند قيصر وبعث دحية إلى قيصر كان آخر سنة ست بعد الحديبية وسبب هذه السرية أنه أقبل دحية بن خليفة الكلبي رضى الله عنه من عند قيصر لما أرسله ﷺ إليه بكتابه يدعوه إلى الاسلام وقد أعطاه قيصر جائزة وكساه لأنه قارب أن يسلم ولم يسلم خوفاً على ملكه فلقيه الهنيد بن عارض فى ناس من جذام بضم الجيم وبالذال المعجمة وهى قبيلة من معد بجبال حسمى فقطعوا عليه الطريق وأصابوا كل شىء كان معه ولم يتركوا عليه إلا سمل ثوب وهو الخلق البالى من الثياب فسمع بذلك نفر من بنى الضبيب رهط رفاعة بن زيد الجذامى ممن كان أسلم فاستنقذوا لدحية متاعه وفى رواية فنفروا إلى الهنيد ومن معه حتى لقوهم فاقتتلوا معهم واستنقذوا ما كان فى أيديهم وردوه على دحية فقدم دحية على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فبعث زيد ابن حارثة رضى الله عنه فى خمسمائة رجل ورد معه دحية فكان زيد يسير بالليل ويكمن بالنهار ومعه دليل من بنى عذرة فأقبل بهم حتى هجموا مع الصبح على القوم فأغاروا عليهم فقتلوا فيهم فأوجعوا أى أكثروا فيهم القتل وقتلوا الهنيد وابنه وأخذوا ماشيتهم ونساءهم فأخذوا من الابل ألف بعير ومن الشاة خمسة آلاف شاة ومن السبى مائة من النساء والصبيان فرحل رفاعة ابن زيد الجذامى فى نفر من قومه فدفع لرسول الله ﷺ كتابه الذى كان كتبه له ولقومه ليالى قدم عليه فأسلم وفيه بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله الى رفاعة بن زيد انى بعثته الى قومه عامة ومن دخل فيهم يدعوهم الى الله والى رسوله ﷺ فمن أقبل ففى حزب الله وحزب رسوله ومن أدبر فله أمان شهرين فلما قدم على قومه أسلموا فلم يلبث ان جاء دحية من عند قيصر الى آخر القصة المتقدمة فلما سمع بنو الضبيب بما صنع زيد بن حارثة رضى الله عنه ركب نفر منهم حسان بن ملة وأبو زيد

ابن عمرو فلما وقفوا على زيد بن حارثة رضى الله عنه قال حسان انا قوم مسلمون فقال اقرأ أم الكتاب فقرأها فقال زيد نادوا فى الجيش ان الله قد حرم علينا ثغرة القوم التى جاءوا منها الا من ختر وكانت أخت حسان فى الاسارى فقال له زيد خذها فقالت امرأة أتنطلقون ببناتكم وتذرون أمهاتكم فقال زيد لاخت حسان اجلسى مع بنات عمك حتى يحكم الله فيكن ونهى الجيش أن يهبطوا إلى واديهم الذى جاؤا منه فامسوا فى أهليهم فلما شربوا عتمتهم ركبوا حتى صبحوا رفاعة فقال له  حسان بن ملة انك لجالس تحلب المعز

ونساء جذام أسارى قد غرها كتابك الذى جئت به فدعا رفاعة بجمل فشد عليه رحله وخرج معه جماعة فساروا ثلاث ليال فلما دخلوا المدينة وانتهوا إلى المسجد دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآهم ألاح لهم بيده أن تعالوا من وراء الناس فاستفتح رفاعة المنطق فقام رجل فقال يارسول الله ان هؤلاء قوم سحرة فرددها مرتين أى عندهم فصاحة لسان و بيان فقال رفاعة رحم الله من لم يحذنا فى يومنا هذا الا خيرا ثم دفع كتابه اليه صلى الله عليه وسلم فقال دونك يارسول الله فقال صلى الله عليه وسلم ياغلام اقرأه وأعلن فلما قرأه استخبرهم فأخبروه الخبر فقال صلى الله عليه وسلم كيف أصنع بالقتلى ثلاث مرار فقال رفاعة أنت أعلم يارسول الله لانحرم عليك حلالا ولا نحل لك حراما فقال أبو زيد بن عمرو أطلق لنا يارسول الله من كان حيا ومن قتل فهو تحت قدمى هذه فقال ﷺ صدق أبو زيد



اركب معهم ياعلى فقال ان زيدا لن يطيعنى فقال خذ سيفى هذا فاعطاه سيفه فقال ليس لى راحلة فحملوه على بعير وخرجوا فاذا رسول لزيد على ناقة من ابلهم فانزلوه عنها فقال ياعلى ماشأنى قال مالهم عرفوه فاخذوه ثم ساروا فوجدوا الجيش بفيفاء فاخذوا مافى أيديهم حتى كانوا ينزعون المرأة من تحت فخذ الرجل وأخبروهم بان النبى ﷺ انما بعث عليا رضى الله عنه إلى زيد

---

والصبر فى الله على الجهاد * وكل زاد عرضة النفاذ

* غير التقى والبر والرشاد *

ولا زال يقاتل حتى قتل رضى الله تعالى عنه وسيأتى فى غزاة أحد مثل هذا لبعض الصحابة أبهمه جابر رضى الله عنه فى القاء التمرات من يده ومقاتلته حتى قتل فعن جابر رضى الله عنه قال رجل للنبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد أرأيت ان قتلت فاين أنا قال فى الجنة قال فالقى تمرات فى يده ثم قاتل حتى قتل أخرجه البخارى ومسلم والنسائى وسيأتى مافى ذلك وقال عوف بن الحرث بن عفراء يارسول الله ما يضحك الرب من عبده أى مايرضيه غاية الرضا قال غمسه يده فى العدو حاسرا أى لادرع له ولا مغفر فنزع درعا كانت عليه فقذفها ثم أخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل رضى الله تعالى عنه فالضحك فى حق الله كناية عن غاية رضاه وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم قال فى طلحة بن الغمر اللهم الق طلحة يضحك اليك وتضحك اليه أى ألقه لقاء كلقاء المتحابين المظهرين لما فى أنفسهما من غاية الرضا والمحبة فهى كلمة وجيزة تتضمن الرضا مع المحبة واظهار البشر فهى من جوامع كلمه التى أوتيها صلى الله عليه وسلم وقاتل فى ذلك اليوم معبد بن وهب زوج هريرة بنت زمعة أخت سودة بنت زمعة أم المؤمنين رضى الله عنها بسيفين ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حفنة من الحصباء بالمد أمره بذلك جبريل عليه السلام كما جاء فى بعض الروايات أى قال له خذ قبضة من تراب وارمهم بها فتناولها صلى الله عليه وسلم وفى روايه انه قال لعلى كرم الله وجهه ناولنى فاستقبل بها قريشا ثم قال شاهت الوجوه أى قبحت الوجوه أى وزاد بعضهم اللهم ارعب قلوبهم وزلزل أقدامهم ثم نفحهم أى ضربهم بها فلم يبق من المشركين رجل الا ملأ عينه وفى رواية وأنفه وفمه لايدرى أين يتوجه يعالج التراب لينزعه من عينيه أى فانهزموا وردفهم المسلمون يقتلون ويأسرون هذا والمحفوظ المشهور ان ذلك انما كان فى حنين لكن يوافق الأول مانقله بعضهم ان قوله تعالى ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى نزل يوم بدر هكذا قال عروة وعكرمة ومجاهد وقتادة قال هذا لبعض وقد فعل عليه الصلاة والسلام مثل ذلك فى غزوة أحد هذا كلامه وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم أخذ ثلاث حصيات فرمى بحصاة فى ميمنة القوم وحصاة فى ميسرة القوم وحصاة بين أيديهم فقال شاهت الوجوه فانهزم القوم وهذه الحصيات الثلاث قال جابر بن عبد الله رضى الله عنهما وقعن من السماء يوم بدر كانهن وقعن فى طست فاخذهن رسول الله صلى الله عليه وسلم فرمى بهن فى وجوه المشركين أى يمنة ويسرة و بين أيديهم وحين رمى ﷺ بذلك قال لأصحابه شدوا فكانت الهزيمة وأنزل الله تعالى ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى وقد يقال لامانع من اجتماع الأمرين وكل منهما مراد من الآية قال وقاتل رسول الله ﷺ يومئذ بنفسه قتالا شديدا وكذلك أبو بكر رضى الله عنه كما كانا فى العريش يجاهدان بالدعاء قاتلا بابدانهما جمعا بين المقامين انتهى (أقول) كذا نقل بعضهم عن الأموى ويتأمل ذلك فانى لم أقف عليه فى كلام أحد غيره وكأن قائل ذلك فهم مباشرته ﷺ للقتال مما تقدم عن على رضى الله تعالى عنه لما كان يوم بدر اتقينا المشركين

ابن حارثة رضى الله عنه يأمره أن يخلى بينهم و بين حرمهم وأموالهم وفى رواية فقال على رضى الله عنه لزيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن ترد على هؤلاء القوم ما بيدك من أسر أو سبي أومال فقال زيد رضى الله عنه علامة من رسول الله صلى الله عليه وسلم أى اطلب علامة فقال على رضى الله عنه هذا سيفه فعرفه زيد فنزل وصاح بالناس فاجتمعوا فقال من كان معه شىء من سبي أومال فليرده فهذا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد عليهم كل ما أخذ منهم وظاهر السياق يقتضى انهم كانوا يطؤن الجوارى بلا استبراء وهو كذلك لان وجوبه انما كان فى سبي هوازن والله أعلم

﴿ثم سرية زيد بن حارثة أيضا رضى الله عنه الى وادى القرى﴾ وهو موضع قريب من المدينة على طريق الحاج من جهة الشام وكانت فى رجب سنة ست سار رضى الله عنه الى وادى القرى فلقى به بنى فزارة وقاتلهم فقتل منهم وقتل من المسلمين قتلى منهم ورد ابن مرداس رضى الله عنه وحمل منهم جريح به رمق والله أعلم

﴿سرية عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه الى دومة الجندل﴾ بضم الدال المهملة و بفتحها و بفتح الجيم وسكون النون وفتح الدال و باللام آخره وهو حصن وقرى من طرف الشام بينها و بين دمشق خمس ليال و بينها و بين المدينة خمس عشرة أوست عشرة ليلة وكانت فى شعبان سنة ست من الهجرة وقد ذكر ابن اسحق فى أول هذه القصة حديثا فى أوله زيادة لا بأس بذكرها فقال حدثنى من لا أتهم عن عطاء بن أبى رباح عن ابن عمر رضى الله عنهما قال كنت عاشر عشرة من أصحاب رسول الله ﷺ فى مسجده أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعبد الرحمن بن عوف وابن مسعود ومعاذ وحذيفة وأبو سعيد اذ أقبل فتى من الأنصار فسلم ثم جلس فقال يارسول الله أى المؤمنين أفضل قال أحسنهم خلقا قال فأى المؤمنين أكيس قال أكثرهم للموت ذكرا وأكثرهم له استعدادا

---

برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أشد الناس بأسا ولا دلالة فى ذلك والله أعلم نعم ذكر ابن سعد انه لما انهزم المشركون رؤى رسول الله ﷺ فى أثرهم مصلتا السيف يتلو هذه الآية سيهزم الجمع و يولون الدبر وهذه الآية ذكر فى الاتقان انها مما تأخر حكمه عن نزوله فانها نزلت بمكة وكان ذلك يوم بدر فعن عمر رضى الله تعالى عنه قلت أى جمع فلما كان يوم بدر وانهزمت قريش نظرت الى رسول الله ﷺ فى آثارهم مصلتا السيف يقول سيهزم الجمع و يولون الدبر فكانت ليوم بدر أخرجه الطبرانى فى الاوسط ولو قاتل ﷺ لجرح أو قتل من قاتله ولو وقع ذلك لنقل لانه مما تتوفر الدواعي على نقله وسيأتى فى أحد عن النور انه ﷺ لم يقتل بيده الشريفة قط أحداً الا أبى بن خلف لا قبله ولا بعده والى رميه بالحصا أشار صاحب الهمزية بقوله

ورمى بالحصا فاقصد جيشا * ما العصا عنده وما الالقاء

أى ورمى ﷺ بالحصا جيشا فأصابهم كلهم بها أى شىء القاء عصا موسى عليه السلام على حبال سحرة فرعون وعصيهم عند ذلك الحصا المرمى به لا يقاربه ذلك الالقاء ولا يدانيه لان ذاك وجد له نظير وهو القاء السحرة الحبال والعصى والرمى بالحصا لم يوجد له نظير أى وقال صلى الله عليه وسلم حينئذ من قتل قتيلا فله سلبه ومن أسر أسيرا فهو له كما فى الامتاع فلما وضع القوم أيديهم يأسرون نظر رسول الله ﷺ الى سعد فوجد فى وجهه الكراهية لما يصنع القوم فقال له رسول الله ﷺ لكأنك ياسعد تكره ما يصنع القوم قال أجل والله يارسول الله كانت أول وقعة أوقعها الله بأهل الشرك فكان الاثخان فى القتل أى الاكثار منه والمبالغة فيه أحب الى من استبقاء الرجال ( وذكر بعضهم ) ان النبى ﷺ قال لأصحابه انكم قد عرفتم ان رجالا من بنى هاشم وغيرهم قد أخرجوا اكراها لا حاجة لهم بقتالنا فمن لقى منكم أحدا من بنى هاشم فلا يقتله أى بل يأسره وذكر أبا البخترى بن هشام أى فقال من لقى أبا البخترى فلا يقتله أى لانه كان ممن قام فى نقض الصحيفة ونص على العباس بن عبد المطلب فقال أبو حذيفة رضي الله تعالى عنه أيقتل آباؤنا وأبناؤنا واخواننا وعشيرتنا و يترك العباس أى لانه تقدم ان أباه عتبة وعمه شيبة وأخاه الوليد أول من قتل من الكفار مبارزة وعشيرته وهى بنو عبد شمس قد قتل منها جماعة لئن لقيته يعنى العباس لألجمنه السيف هو بالمهملة والمعجمة فبلغت أى تلك المقالة رسول الله ﷺ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر يا أبا حفص أيضرب وجه عم رسول الله بالسيف فقال عمر والله انه لأول يوم كنانى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي حفص يارسول الله دعنى أضرب عنقه يعنى أبا حذيفة بالسيف فوالله لقد نافق فكان أبو حذيفة يقول ما أنا بآمن من تلك الكلمة التى قلتها يومئذ ولا أزال منها خائفا الا ان تكفرها عنى الشهادة فقتل يوم اليمامة شهيدا فى جملة من قتل فيها من الصحابة وهم أربعمائة وخمسون وقيل ستمائة رضي الله عنهم ولقى المجذر رضي الله عنه أبا البخترى فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهانا عن قتلك فقال وزميلى أى ورفيق وكان معه زميل له خرج معه من مكة أى يقال له جنادة بن

قبل إن ينزل به أولئك هم الاكياس ثم سكت الفتى وأقبل علينا رسول الله ﷺ فقال يامعشر المهاجرين خمس خصال اذا نزلن بكم وأعوذ بالله أن تدركوهن انه لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها الاظهر فيهم الطاعون والاوجاع التى لم تكن فى أسلافهم الذين مضوا ولم ينتقصوا المكيال والميزان الا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان ولم يمنعوا الزكاة من أموالهم الا منعوا القطر من السماء فلولا البهائم ما مطروا وما نقضوا عهد الله عز وجل (١٧٩) وعهد رسوله الاسلط عليهم عدو من غيرهم فاخذوا ما كان فى أيديهم ومالم يحكم أئمتهم بكتاب الله وتجرؤا فيما أنزل الله الا جعل باسهم بينهم ثم أمر عبد الرحمن ابن عوف ان يتجهز لسرية بعثه عليها فاصبح وقد اعتم بعمامة من كرابيس سوداء فادناه صلى الله عليه وسلم منه فاقعده بين يديه وعممه بيده وفى رواية نقضها ثم عممه بها فارسل من خلفه أربع أصابع أو نحو ذلك ثم قال هكذا ياابن عوف فاعتم فانه أحسن وأعرف ثم أمر بلالا أن يدفع اليه اللواء فدفعه اليه ثم حمد الله وصلى على نفسه صلى الله عليه وسلم ثم قال خذها ياابن عوف اغزوا جميعا فى سبيل الله فقاتلوا من كفر بالله ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا فهذا عهد الله وسيرة نبيه فيكم فاخذ عبد الرحمن اللواء وفى رواية بعثه الى كلب بدومة الجندل وقال ان استجابوا لك أى أطاعوك فاسلموا فتزوج ابنة ملكهم فسار عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه بجيشه حتى قدم دومة الجندل فمكث ثلاثة أيام يدعوهم الى الاسلام وقد كانوا أبوا أول ماقدم عليهم أن يعطوا الا السيف ثم أسلم فى اليوم الثالث الاصبغ بن عمرو الكلبي وكان نصرانيا وكان ملكهم ورئيسهم وأسلم معه ناس كثير من قومه وأقام عبد الرحمن بقيتهم بالجزية وتزوج ماضر بنت الاصبغ وقدم بها المدينة ففازت بشرف الصحبة رضى الله عنها وفى رواية ان عبد الرحمن رضى الله عنه كتب الى النبى صلى الله عليه وسلم يخبره

هايجة فقال له المجذر لاوالله مانحن بتاركى زميلك ما أمرنا رسول الله ﷺ الا بك وحدك قال لا والله اذا لاموتن أنا وهو جميعا لا تتحدث عنى نساء مكة انى تركت زميلى أى يقتل حرصا على الحياة فقتله المجذر أى بعد أن قاتله ثم أتى رسول الله ﷺ فقال والذى بعثك بالحق لقد جهدت عليه ان يستأسر فآتيك به فابى الا ان يقاتلنى فقتلته (أقول) لعل المجذر فهم ان ماعدا من نهى عن قتله يقتل وان استأسر حتى قال مانحن بتاركى زميلك أى ولابد من قتله وان استأسر فكان ذلك حاملا لابى البخترى على ان لا يستأسر ويترك زميله فيقتل خوف السبة والله أعلم أى وكان من جملة من خرج مع المشركين يوم بدر عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنهما وكان اسمه قبل الاسلام عبد الكعبة وقيل عبد العزى فسماه رسول الله ﷺ عبد الرحمن وكان من أشجع قريش وأشدهم رماية وكان أسن ولد أبيه وكان صالحا وفيه دعابة فلما أسلم قال لابيه لقد أهدفت لى أى ارتفعت لى يوم بدر مرارا فصدفت عنك أى أعرضت عنك فقال أبو بكر لو هدفت لى لم أصدف أى اعرض عنك فالمراد بكونه أهدف له ارتفع وهو لا يشعر بذلك فلا ينافى ماقيل ان عبد الرحمن بن أبى بكر يوم بدر دعا الى البراز فقام اليه أبوه أبو بكر ليبارزه فقال له رسول الله ﷺ متعنا بنفسك ياأبا بكر أما علمت انك عندى بمنزلة سمعى وبصرى أى وفى بعض السير ان الصديق قال لولده عبد الرحمن يوم بدر وهو مع المشركين لم يسلم أين مالى ياخبيث فقال له عبد الرحمن كلا ما معنا لم يبق الا عدة الحرب التى هى السلاح وفرس سريعة الجرى وجنان يقاتل عليه شيوخ الضلال اى وهذا يدل على ان الصديق رضى الله تعالى عنه ترك مالا عند أهله لما هاجر وهو قد يخالف ما تقدم عن ابنته أسماء من قولها ان أبا بكر أرسل ابنه عبد الله فحمل ماله وكان خمسة آلاف درهم الى الغار فدخل علينا جدى أبو قحافة الحديث ولعل ماله الذى عناه الصديق ما كان من نحو أمتعة وبعض مواشى لا النقد فلا مخالفة (ويروى عن ابن مسعود) ان الصديق رضى الله تعالى عنه دعا ابنه يعنى عبد الرحمن يوم أحد الى البراز فقال له النبى صلى الله عليه وسلم متعنا بنفسك أما علمت انك منى بمنزلة سمعى وبصرى فانزل الله تعالى ياأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ولا مانع من التعدد حتى فى نزول الآية لكن يبعد نزولها فى أحد أيضا كون أبى بكر يدعو للمبارزة بعد نزولها أولا فى بدر ثم رأيت ابن ظفر قال فى الينبوع انه لم يثبت ان أبا بكر دعا ابنه للمبارزة وانما هو شئ ذكر فى كتب التفسير فانزل الله تعالى ياأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم فالآية مدنية لا مكية وبه يرد ماذكر ان سببها ان أبا بكر سمع والده أبا قحافة بذكر النبى ﷺ بشر فلطمه لطمة سقط منها فاخبر أبو بكر النبى صلى الله عليه وسلم فقال له لا تعد لمثلها فقال والله لو حضرنى السيف لقتلته به وفى كلام الزمخشرى أن عبد الرحمن أسلم فى هدنة الحديبية وهاجر الى المدينة ومات سنة ثلاث وخمسين بمحل بينه وبين مكة ستة أميال وحمل على أعناق الرجال الى مكة وقدمت أخته عائشة رضى الله تعالى عنها من المدينة فاتت قبره فصلت عليه أى وفى هذا اليوم الذى هو يوم بدر قتل أبو عبيدة بن الجراح أباه وكان مشركا فان أباه قصده ليقتله فولى عنه أبو

باسلام من أسلم من القوم وانه أراد ان يتزوج فيهم فكتب اليه صلى الله عليه وسلم أن يتزوج بنت الاصبغ فتزوجها ويمكن الجمع بين الروايتين بان عبد الرحمن لم يكتف بقوله اولا فان استحا بوالك فتزوج ابنة ملكهم لاحتمال انه أراد ان أسلم الجميع مع انه قد بقى منهم جماعة على الجزية فكتب اليه احتياطا فولدت له بعد ذلك سنة بضع وعشرين من الهجرة أباسلمة وهو الحافظ الثقة كثير الحديث امام العلماء وهو من كبار التابعين واسمه عبد الله وقيل اسمعيل توفى سنه أربع وتسعين والله أعلم

عبيدة لينكشف عنه فلم ينكشف عنه فرجع عليه وقتله وأنزل الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم الآية وعن عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه قال لقد لقيت أمية بن خلف وكان صديقا لى فى الجاهلية ومعه أى مع امية ابنه على أى آخذ بيده وكان على ممن أسلم والنبى ﷺ بمكة قبل ان يهاجر ففتنهم أقاربهم عن الاسلام ورجعوا عنه وماتوا على كفرهم وأنزل الله تعالى فيهم ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم الآية أى وهم الحرث بن ربيعة وأبو قيس بن الفاكه وأبو قيس ابن الوليد والعاص بن منبه وعلى بن أمية المذكور (وفى السيرة الهشامية) وذلك انهم كانوا أسلموا ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فلما هاجر رسول الله ﷺ الى المدينة حبستهم آباؤهم وعشيرتهم بمكة وفتنوهم فافتتنوا أى رجعوا عن الاسلام ثم ساروا مع قومهم الى بدر فاصيبوا جميعا وسياقه كما ترى يقتضى انهم لم يرجعوا الى الكفر الا بعد الهجرة وسياق ما قبله ربما يقتضى انهم رجعوا الى الكفر قبل أن يهاجر ﷺ قال عبد الرحمن بن عوف وكان معى ادراع استلبتها أى فانا أحملها فلما رآنى أمية نادانى باسمى الاول يا عبد عمرو فلم أجبه لانه كان قال لى لما سمانى رسول الله ﷺ عبد الرحمن أترغب عن اسم سماك به أبوك فقلت نعم قال الرحمن لا أعرفه ولكنى أسميك بعبد الاله كما تقدم فلما نادانى بعبد الاله قلت نعم أى وظاهر السياق يقتضى انه عرف انه المراد بذلك وانه ترك اجابته قصدا حيث جعله عبدا للصنم ويحتمل وهو الاقرب انه لم يجبه لعدم معرفته انه المراد بذلك الاسم لكونه هجر بالمرة فلما ناداه أمية بما ذكر عرفه وعرف انه المراد بذلك لما ذكر وعند ذلك قال له أمية هل لك فى فانا خير لك من هذه الادراع التى معك قلت نعم فطرحت الادراع من يدى وأخذت بيده وبيد ابنه على وهو يقول ما رأيت كاليوم قط ثم قال لى يا عبد الاله من الرجل منكم المعلم بريشة نعامة فى صدره أى كانت فى درعه بحيال صدره قلت ذاك حمزة بن عبد المطلب قال ذاك الذى فعل بنا الافاعيل وقيل قائل ذلك ابنه ثم خرجت أمشى بهما فوالله انى لاقودهما اذ رآه بلال معى وكان هو الذى يعذب بلالا بمكة على ان يترك الاسلام أى كما تقدم فقال بلال رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت ان نجا فقلت اى بلال أفباسيرى أى تفعل ذلك بهما قال لا نجوت ان نجا وكررت وكرر ذلك ثم صرخ باعلى صوته يا أنصار الله رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت ان نجا وكرر ذلك فاحاطوا بنا فاصلت رجل السيف أى سله من غمده وذلك الرجل هو بلال فضرب رجل ابنه فوقع وصاح أمية صيحة ما سمعت مثلها قط فضربوهما باسيافهم فبهروها أقول الذى فى البخارى عن عبد الرحمن بن عوف ان بلالا لما استصرخ الانصار قال خشيت ان يلحقونا تخلفت لهم ابنه لاشغلهم به فقتلوه ثم أتونا حتى لحقونا وكان أمية رجلا ثقيلا أى كما تقدم فقلت ابرك فالقيت نفسى عليه لامنعه فتخللوه بالسيوف من تحتى حتى قتلوه فاصاب أحدهم رجلى بسيفه أى ظهر قدمه وفى كلام ابن عبد البر قال ابن هشام قتل أمية بن خلف معاذ بن عفراء وخارجة بن زيد وحبيب بن أساف اشتركوا فيه قال ابن اسحق وابنه على قتله عمار بن ياسر

*(سريه على بن أبى طالب كرم الله وجهه ورضى الله عنه)*

ومعه مائة رجل الى بنى سعد بن أبى بكر أى الى حى منهم وكانت فى شعبان سنة ست من الهجرة وسببها انه بلغه صلى الله عليه وسلم انهم ساعون فى جمع الناس يريدون ان يمدوا يهود خيبر فسار على رضى الله عنه الليل وكمن النهار حتى انتهى الى الغمج بفتح الغين وكسر الميم آخره جيم اسم ماء بين فدك وخيبر فوجدوا به رجلا فقالوا ما أنت قال باغ أى طالب لشىء ضل منى فقالوا هل لك علم بما وراءك من جمع بنى سعد قال لا علم لى به فشددوا عليه فاقر أنه عين لهم بعثوه الى خيبر يعرض على يهودها نصرهم على أن يجعلوا لهم من تمرها كما جعلوا لغيرهم ويقدمون عليهم فقالوا له فاين القوم قال تركتهم قد تجمع منهم مائتا رجل قالوا فسر بنا حتى تدلنا قال على أن تؤمنونى قالوا ان دللتنا عليهم أو على سرحهم أمناك والا فلا أمان لك قال فذاك فخرج بهم دليلا حتى ساء ظنهم به ثم أفضى بهم الى أرض مستوية فاذا نعم كثيرة وشاء فقال هذه نعمهم وشاؤهم فاغاروا عليها فقال ارسلونى فقالوا حتى نامن الطلب وهرب الرعاء الى جمعهم فحذروهم فتفرقوا فقال الدليل علام تحبسونى وقد تفرقت الاعراب قال على حتى تبلغ معسكرهم فانتهى بهم اليه فلم ير أحد فارسلوه وساقوا النعم والشاء معهم وكانت خمسمائة بعير وألفى شاة وهربت

وسعد بالظعن وقدم على رضى الله عنه ومن معه المدينة ولم يلقوا كيدا ورد الله كيد المشركين فلم يعدوا اليهود والله أعلم

﴿سرية زيد بن حارثة رضى الله عنه إلى أم قرفة﴾ بكسر القاف وسكون الراء وبالفاء وتاء التأنيث وهو اسم امرأة وهى بنت يعة بن بدر الفزارى التى جرى فيها المثل أمنع من أم قرفة لأنها كان يعلق فى بيتها خمسون سيفا لخمسين رجلا كلهم لها محرم كنيت بن لها يسمى قرفة وكان لها عشرة بنين و بنتان وكانت بناحية وادى القرى على



سبع ليال من المدينة جهة الشام

ياسر وحبيب بن أساف هذا شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوج بنت خارجة بعد أن توفى عنها أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وهو جد حبيب شيخ مالك رضى الله تعالى عنه والله أعلم (وكان عبد الرحمن بن عوف) يقول يرحم الله بلالا ذهبت أدراعى وفجعنى بأسيرى أى وفى رواية لما كان يوم بدر حصل لى درعان ولقينى أمية فقال خذنى وابنى فأنا خير لك من الدرعين فالقيت الدرعين فأخذتهما فلما قتلا صار يقول يرحم الله بلالا فلا درعى ولا أسيرى أى لأنه صلى الله عليه وسلم جعل فى هذه الغزاة أن كل من أسر أسيرا فهو له كما تقدم وسيأتى أى له فداؤه وهو يخالف ما عليه أئمتنا أن مال فداء الاسرى ورقابهم إذا استرقوا كسائر أموال الغنيمة إلا أن يقال ذلك كان فى صدر الاسلام ترغيبا فى الجهاد ثم استقر الأمر على ما قاله فقهاؤنا أى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من له علم بنوفل ابن خويلد فقال على كرم الله وجهه أنا قتلته فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحمد لله الذى أجاب دعوتى فيه أى فانه لما التقى الصفان نادى نوفل بصوت رفيع يامعاشر قريش اليوم يوم الرفعة والعلاء فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اكفنى نوفل بن خويلد وفى كلام بعضهم ما يفيد أن قتل على كرم الله وجهه له كان بعد أن أسره جبار بن صخر فقد جاء أن جبارا بينما هو يسوقه إذ رأى عليا فقال يا أخا الأنصار من هذا واللات والعزى إنه ليريدنى فقال هذا على بن أبى طالب فعمد له على كرم الله وجهه فقتله ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبى جهل أن يلتمس فى القتلى وقال إن خفى عليكم أى بأن قطع رأسه وأزيل عن جثته انظروا إلى اثر جرح فى ركبته فانى ازدحمت يوما أنا وهو على مائدة لعبد الله ابن جدعان ونحن غلامان وكنت أسن منه أى أكبر منه بيسير فدفعته فوقع على ركبتيه فجحش أى خدش على أحدهما جحشا لم يزل أثره به أى ولعل هذا هو محمل قول بعضهم انه صلى الله عليه وسلم صارع أبا جهل فانه لم يصح أنه صارعه ولعل هذا الأثر هو الذى عناه ابن مسعود رضى الله عنه بقوله لما قتلت أبا جهل لعنه الله وقلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم قتلت أبا جهل فقال لى عقيل وهو أسير عند النبى صلى الله عليه وسلم كذبت ما قتلته فقلت له بل أنت الكذاب الآثم ياعدو الله قد والله قتلته قال فما علامته قلت إن بفخذه حلقة كحلقة الجمل المحلق قال صدقت وكان أبو جهل قد استفتح أى طلب الحكم على نفسه لأنه لما دنا القوم بعضهم من بعض قال اللهم اقطعنا للرحم وآتيانا بما لا نعرف فاحنه أى أهلكه الغداة أى زاد بعضهم اللهم من كان أحب اليك وأرضى عندك وفى لفظ اللهم أولانا بالحق فانصره اليوم فأنزل الله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح () أقول كون أبى جهل طلب الحكم على نفسه واضح لو سكت عن قوله وآتيانا بما لا نعرف اذ هو نص فيه صلى الله عليه وسلم وفى تفسير سهل أن أبا جهل قال يوم بدر اللهم انصر أفضل الدينين عندك وأرضاهما لك أى وفى رواية اللهم انصر خير الدينين اللهم ديننا القديم ودين محمد الحادث فنزل ان تستفتحوا يعنى تستنصروا فقد جاءكم الفتح وفى أسباب النزول للواحدى أن المشركين حين أرادوا الخروج من مكة أخذوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر أعلى الجندين واهدى الفئتين وأكرم الحزبين وأفضل الدينين فأنزل الله تعالى الآية وقد روى

وكانت هذه السرية فى رمضان سنة ست من الهجرة وسببها أن زيد بن حارثة رضى الله عنه خرج فى تجارة الى الشام ومعه بضائع لأصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فلما كان بوادى القرى لقيه ناس من فزارة من بنى بدر فضربوه وضربوا أصحابه وأخذوا ما كان معهم وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره وفى رواية أن زيدا رضى الله عنه حلف أن لا يمس رأسه غسل من جنابة حتى يغزو بنى فزارة فرجع وأخبر النبى صلى الله عليه وسلم فبعثه اليهم فى جيش وقال لهم اكمنوا النهار وسيروا الليل فكمن هو وأصحابه بالنهار وساروا بالليل ومعهم دليل من فزارة فعلمت بهم بنو فزارة فجعلوا لهم ناظورا حين يصبحون يصعد على جبل مشرف فينظر وجه الطريق الذى يرون أنهم يؤتون منه فيبصر مسافة يوم فأكثر فيقول اسرحوا فلا بأس عليكم فاذا كان العشاء أشرف على ذلك الجبل فينظر مسيرة ليلة فيقول ناموا فلا بأس عليكم فلما كان الصحابة على نحو ليلة أخطأ دليلهم الطريق فسار في آخر حتى أمسوا وهم على خطأ فعاينوا الحاضرين من بنى فزارة فحمدوا خطأهم ثم صبحهم زيد وأصحابه وكبروا وأحاطوا بمن حضر من بنى فزارة فقتلوهم وأخذوا أم قرفة وكانت ملكة رئيسة وكانت ذات شرف فى قومها وأخذوا بنتها جارية بنت مالك بن حذيفة بن بدر وعمد قيس بن المحسر وقيل ابن سحل إلى أم قرفة وهى عجوز

كبيرة فأسرها و بنتها فقتلها قتلا عنيفا ربط رجليها بحبلين ثم ربطهما الى بعيرين حتى شقها وانما قتلها كذلك لسبها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لأنها جهزت ثلاثين راكبا من ولدها وولد ولدها وقالت اغزوا المدينة واقتلوا محمدا وقدم زيد بن حارثة رضى الله عنه من وجهه ذلك فقرع باب النبي صلى الله عليه وسلم فقام صلى الله عليه وسلم اليه وهو يجر ثوبه حتى اعتنقه وقبله وسأله فأخبره بما ظفره الله به وكان سلمة بن الأكوع رضى الله عنه هو الذى أسر بنت أم قرفة فسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم فوهبها له ثم وهبها صلى الله عليه وسلم لخاله حزن بن أبى وهب فولدت له عبد الرحمن ابن حزن

(سرية عبدالله بن عتيك) لقتل أبى رافع عبدالله أو سلام بشد اللام ابن أبى الحقيق بضم الحاء وقافين بينهما تحتية مصغرا اليهودى وهو من الذين حزبوا الاحزاب يوم الخندق وأعان المشركين بالمال الكثير بعث اليه صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عتيك بفتح العين المهملة وكسر التاء الفوقية وسكون الياء وبالكاف الخزرجى الأنصارى رضى الله عنه فى رمضان سنة ست وقيل فى ذى الحجة سنة خمس بعد وقعة الاحزاب وفى البخارى قال الزهرى بعد قتل كعب بن الاشرف الواقع سنة ثلاث قال ابن اسحق ان الزهرى أخذ ذلك عن عبدالله بن كعب بن مالك فقال لما قتلت الاوس كعب بن الاشرف فى عداوته للنبي صلى الله عليه وسلم بعد اذنه صلى الله عليه وسلم وتحريضه عليه استأذنته الخزرج فى قتل سلام بن أبى الحقيق وهو بخيبر قال ابن اسحق حدثنى محمد بن مسلم بن شهاب عن عبدالله بن كعب بن مالك قال كان مما صنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم ان الاوس والخزرج كانا يتصاولان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تصاول الفحلين أى يحمل كل منهما على الآخر والمراد أن كلا من الاوس والخزرج يدفع عن النبى صلى الله عليه وسلم و يتفاخر أبو

---

عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يستفتح بصعاليك المهاجرين والله أعلم قال معاذ بن عمرو بن الجموح رأيت أبا جهل وقد أحاطوا به وهم يقولون أبو الحكم لا يخلص اليه فلما سمعتها عمدت نحوه وحملت عليه فضربته ضربة أطنت قدمه بنصف ساقه أى أسرعت قطعه فوالله ماشبهتها حين طاحت إلا بالنواة تطيح من تحت مرضخة النوى والمرضخة بالخاء المعجمة وبالمهملة وقيل الرضخ بالمعجمة كسر الرطب وبالمهملة كسر اليابس وضربنى ابنه أى عكرمة رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك على عاتقى فطرح يدى فتعلقت بجلدة من جسمى وأجهضنى القتال أى شغلنى عنه فلقد قاتلت عامة يومى وانى لأستحسبها خلفى فلما آذتنى وضعت عليها قدمى ثم تمطيت عليها حتى طرحتها وفى رواية أنه جاء بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصق عليها أى ولصقها فلصقت والى ذلك يشير الامام السبكى فى تائيته لكن قال ابن عفراء ولا منافاة لجواز أن يكون معاذ بن عمرو بن الجموح بن عفراء وسيأتى ما يدل على ذلك بقوله

وبانت بها كف بن عفراء فاشتكى * اليك فعادت بعد أحسن عودة

إلا أن قوله بها يرجع لغزاة أحد وقد علمت أن ذلك انما هو ببدر واحتمال تكرر ذلك فى أحد وفى بدر لشخص واحد بعيد إلا ان يثبت النقل بذلك ثم مر بأبى جهل وهو عقير معوذ بضم الميم وتشديد الواو مفتوحة ومكسورة ابن عفراء فضربه حتى أثبته وتركه وبه رمق أى وما جاء فى بعض الروايات ضربه حتى برد بفتح الموحدة والراء والدال المهملة أى مات لا ينافيه لأنه يجوز أن يكون المراد صار فى حالة من مات بأن صار الى حركة المذبوح ومن ثم جاء فى بعض الروايات حتى برك بالكاف بدل الدال أى سقط إلى الأرض أى إلى جنبه والا فقطع قدمه مع نصف ساقه لا يقضى غالبا أن يسقط الى جنبه ومعوذ هذا لا زال يقاتل حتى قتل قال عبدالله بن مسعود رضى الله عنه ورأيت أبا جهل بآخر رمق فعرفته فوضعت رجلى على عنقه ثم قلت له هل أخزاك الله ياعدو الله قال وبم أخزانى أعار على رجل قتلتموه أى ليس بعار على رجل قتلتموه وفى رواية أعمد من رجل قتلتموه أى أنا سيد رجل قتلتموه لأن عميد القوم سيدهم أى فلا عار على فى قتلكم اياى وجاء أنه قال لوغير أكار قتلنى والاكار الزراع يعنى الأنصار لأنهم كانوا أصحاب زرع أى لو كان الذى قتلنى غير فلاح لكان أحب الى وأعظم لشأنى ولم يكن على فى ذلك نقص لقد ارتقيت يارويعى الغنم مرتقى صعبا أخبرنى لمن الدبرة أى النصرة والظفر اليوم زاد فى رواية لنا أو علينا قلت لله ولرسول الله صلى الله عليه وسلم وفى الصحاح فى دبر بالباء الموحدة والدبرة الهزيمة فى القتال ومما يدل للأول ما تقدم من قول أبى جهل أخبرنى على من كانت الدبرة لنا أو علينا وفى مغازى ابن عقبة التى قال فيها مالك رضى الله تعالى عنه مغازى موسى بن عقبة أصح المغازى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على القتلى والتمس أبا جهل فلم يجده حتى عرف ذلك فى وجهه ثم قال اللهم لا تعجزنى فرعون هذه الأمة فسعى له الرجال حتى وجده ابن مسعود الحديث وفى الصحيحين عن أنس رضى الله تعالى عنه لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ينظر لنا ما صنع أبو جهل فانطلق ابن مسعود رضى الله تعالى عنه فوجده قد ضربه ابن عفراء حتى برد ولمسلم برك أى وهو المراد من الأول كما تقدم فأخذ بلحيته فقال أنت

ذلك لا يصنع الاوس شيئا فيه عنه صلى الله عليه وسلم غناء الا قالت الخزرج والله لا يذهبون بهذه فضلا علينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى الاسلام وإذا فعلت الخزرج شيئا قالت الاوس مثل ذلك ولما أصابت الاوس كعب بن الاشرف فى عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الخزرج والله لا يذهبون بهذه فضلا علينا أبدا فتذاكروا من رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى العداوة كابن الاشرف فذكروا اسلام بن أبى الحقيق فاستأذنوه صلى الله عليه وسلم فى قتله فاذن لهم فخرج اليه من الخزرج خمسة عبد الله بن عتيك وعبد الله ابن أنيس وأبو قتادة واسمه الحرث بن ربعى والاسود ابن خزاعى ومسعود بن سنان الاسلمى حليف بنى سلمة بطن من الخزرج فامرهم صلى الله عليه وسلم بقتله ونهاهم أن يقتلوا وليدا أو امرأة فذهبوا الى خيبر فكمنوا فلما هدأت الرجل عن الحركة جاؤا الى منزله وكان فى حصن مرتفع فلما دنوا منه وقد غربت الشمس وراح الناس بسرحهم قال عبد الله بن عتيك لاصحابه اجلسوا مكانكم فانى منطلق ومتلطف للبواب لعلى أدخل الحصن فاقبل حتى دنا من الباب ثم تقنع بثوبه ليخفى شخصه كى لا يعرف كانه يقضى حاجته وقد دخل الناس وكانوا فقدوا حمارا لهم فخرجوا بقبس يطلبونه فكان ذلك سبب تقنع عبد الله بن عتيك بثوبه وجلوسه كانه يقضى حاجته مخافة أن يعرف فناداه البواب ياهذا ان كنت تريد أن تدخل فادخل فانى أريد أن أغلق الباب لانه ظن أنه من أهل الحصن الذين خرجوا لطلب الحمار قال ابن عتيك فدخلت ثم اختبأت فى مربط حمار عند باب الحصن فلما دخل الناس أغلق الباب ثم علق الاقاليد أى المفاتيح على وتد فى كوة فقمت الى الاقاليد فاخذتها ففتحت الباب وكان أبو رافع يسمر الناس عنده وفى رواية تعشوا عند أبى رافع وتحدثوا حتى ذهبت ساعة من الليل وكان فى غرفة عالية له اليها عجلة من خشب فلما ذهب عنه أهل سمره

---

أبو جهل الحديث وأخذه بلحيته لا ينافى وضع رجله على رقبته لجواز أن يكون جمع بينهما قال ابن مسعود ثم احتززت رأسه وفى رواية رويت عن ابن مسعود رضى الله عنه قال لما ضربته بسيفى لم يغن شيئا فبصق فى وجهى وقال خذ سيفى فاحتز به رأسى من عرشى ليكون أهيب للرقبة والعرش عرق فى أصل الرقبة ففعلت كذلك ثم جئت به الى رسول الله ﷺ فقلت يارسول الله هذا رأس عدو الله أبى جهل فقال رسول الله ﷺ الله الذى لا إله غيره أى ورددها ثلاثا وروى الطبرانى آلله قتلت أبا جهل بنصب الجلالة وهو بهذا اللفظ عندنا كناية يمين ومثل النصب الرفع والجر قال قلت نعم والله الذى لا إله غيره ثم ألقيت رأسه بين يدى رسول الله ﷺ فحمد الله تعالى أى ويقال انه ﷺ سجد خمس سجدات شكرا ويقال انه قال الله أكبر الحمد لله الذى صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده وكون أبى جهل بصق فى وجه ابن مسعود رضى الله عنه وقال له خذ سيفى الخ ينافى كونه وصل الى حركة المذبوح الا أن يقال يجوز أن يكون فى أول الامر كان كذلك ثم تراجعت اليه روحه حتى قدر على ما ذكر فليتأمل مع ما يأتى قيل وبهذا أى بحمل رأس أبى جهل الى رسول الله ﷺ يرد على الزهرى قوله لم يحمل الى النبى ﷺ رأس قط ولا يوم بدر وحمل رأس لابى بكر رضى الله عنه فانكره ويجاب بان البيهقى رحمه الله قال ماروى من حمل رأس أبى جهل قد تكلم فى ثبوته وبتقدير صحته فهو من محل الى محل لا من بلد الى بلد اى من بلد الكفر الى دار الاسلام أى الذى انكره أبو بكر رضى الله عنه فانما انكر نقل الرأس من بلد الكفر الى بلد الاسلام وقد جوزه من أئمتنا الماوردى والغزالى اذا كان فى ذلك مكايدة للكفار وفى النور تحصلنا على جماعة حملت رءوسهم اليه ﷺ أبو جهل وسفيان بن خالد وكعب بن الاشرف ومرحب اليهودى والاسود العنسى على ماروى وعصماء بنت مروان ورفاعة بن قيس أو قيس بن رفاعة أى ورأس عتبة بن أبى وقاص الذى كسر رباعيته ﷺ وشق شفته السفلى يوم احد كما سيأتى وفى وضع ابن مسعود رضى الله تعالى عنه رجله على عنق أبى جهل وقطع رأسه تصديق لتعبيره للرؤيا التى رآها لابى جهل وقال له ان صدقت رؤياى لأطأن رقبتك ولاذبحنك ذبح الشاة وفى رواية أن ابن مسعود رضى الله عنه وجده مقنعا فى الحديد وهو منكب لا يتحرك فرفع سابغة البيضة أى الخودة عن قفاه لان سابغة البيضة ما يغطى بها العنق ومن ثم يقال بيضة لها سابغ فضربه فوقع رأسه بين يديه وعن ابن مسعود كما فى المعجم الكبير للطبرانى انتهيت الى أبى جهل وهو صريع وعليه بيضة ومعه سيف جيد ومعى سيف ردىء فجعلت انقف رأسه واذكر نقفا كان ينقف رأسى بمكة فاخذت سيفه فرفع رأسه فقال على من كانت الدبرة ألست برويعينا بمكة فقتلته ثم سلبه فلما نظر اليه اذ هو ليس به جراح وانما هى احدار أى أورام فى عنقه ويديه وكتفيه كهيئة آثار السياط أى آثار سود كسمة النار أى ليس به جراح من جراح الآدميين داخل بدنه فلا ينافى ما تقدم من قطع ابن الجموح لرجله ويجوز ان يكون ضرب ابن عفراء له حتى أثبته لم ينشأ عنه جراحة داخل بدنه فاتى النبى ﷺ فاخبره به فقال ذاك

صعدت اليه فجعلت كلما فتحت بابا أغلق على من داخل وقلت ان القوم ان نذروا بي لم يخلصوا الى حتى أقتله فانتهيت اليه فاذا هو
وسط عياله فى بيت مظلم قد طفىء سراجه لا أدرى أين هو وكان عبدالله بن عتيك يتكلم باليهودية فقدمه أصحابه ليتكلم بكلام أبى
رافع فيظنه انه من قومه فلا يفزع منه فاستفتح باب غرفته فرأته امرأته فقالت من أنت قال جئت أبا رافع بهدية ففتحت له وقال
ذاك صاحبك فلما رأت السلاح أرادت ان تصيح فاشار اليها بالسيف فسكتت قال فقلت أبا رافع لاعرف موضعه
فقال من هذا فاهويت
نحو الصوت فضربته
ضربة وأنا دهش فما أغنت
شيئا ولم أقتله وصاح أبو
رافع فخرجت من البيت
وكمنت غير بعيد فقالت
امرأته يا أبا رافع هذا
صوت عبدالله بن عتيك
قال ثكلتك أمك وأين
عبدالله بن عتيك قال ثم
دخلت عليه كأنى أغيثه
وغيرت صوتى فقلت
ماهذا الصوت يا أبا رافع
قال لأمك الويل ان رجلا
فى البيت ضربنى قبل
بالسيف فضربته ضربة
أثخنته ولم أقتله فصاح
وقام أهله وصاحت
امرأته ثم وضعت ظبة
السيف أى حده فى بطنه
حتى دخل فى ظهره
وسمعت صوت العظم
فعرفت انى قد قتلته
فجعلت افتح الابواب بابا
بابا حتى انتهيت الى درجة
فوضعت رجلى وأنا أرى
انى قد انتهيت الى لارض
فوقعت فى ليلة مقمرة
فانكسرت ساقى فعصبتها
بعمامة ثم خرجت وكمنت
فى موضع وأوقدت اليهود النيران وذهبوا فى كل وجه يطلبون حتى اذا أيسوا رجعوا اليه وجلست كامنا
وقلت لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتلته فلما صاح الديك صعد الناعى على السور فقال أنعى أبا رافع تاجر الحجاز فانطلقت الى أصحابى
فقلت النجاء أى أسرعوا فقد قتل الله أبا رافع وفى رواية فعصبت رجلى وأتيت أصحابى احجل فقلت انطلقوا فبشروا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فانى لا أبرح حتى أسمع الناعي فلما كان وجه الصبح صعد الناعى فقال أنعى أبا رافع فقمت أمشى ما بى قلبة

ضرب الملائكة أى فان الملائكة عليهم السلام كانت لا تعلم كيف قتل الآدميين فعلمهم الله تعالى ذلك
بقوله تعالى فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان أى مفصل فكانوا يعرفون قتلى الملائكة
من قتلاهم بآثار سود كسمة النار ولا ينافى ذلك وصفه بالخضرة فى بعض الروايات لان الاخضر لشدة
خضرته ربما قيل فيه اسود وتلك الآثار فى الاعناق والبنان الظاهر ان ذلك يكون موجودا حتى بعد
مفارقة الرأس أو اليد ليستدل به على أن مفارقة الرأس أو اليد من فعل الملائكة وينبغى ان يكون هذا
أى ضربهم فوق الاعناق والبنان أكثر أحوالهم فلا ينافى وجود أثر ضربهم فى الكتفين كما تقدم وفى
الوجه والانف فعن بعض الصحابة رضى الله عنهم كنا ننظر الى المشرك امامنا مستلقيا فننظر اليه فاذا هو
قد حطم انفه وشق فى وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك الموضع وفسر بعضهم الاعناق الرؤس وهو
غير مناسب لما ذكرنا وروى عن سهل بن حنيف عن أبيه رضى الله عنه قال لقد رأيتنا يوم بدر وان
أحدنا ليشير بسيفه الى المشرك أى يرفعه عليه فيقع رأسه عن جسده قبل ان يصل اليه السيف ويمكن
الجمع بين هذا وما قبله بان ضرب الملائكة فى الاعناق تارة يفصلها وتارة لا وفى الحالتين يرى أثر ذلك
أسود فى العنق ليستدل به على أنه من فعل الملائكة كما تقدم وفى رواية عن ابن مسعود رضى الله عنه قال
انتهيت الى أبى جهل يوم بدر وقد قطعت رجله وهو صريع وهو يذب الناس عنه بسيف له فقلت الحمد
لله الذى أخزاك يا عدو الله قال هل هو الا رجل قتله قومه قال فجعلت أتناوله بسيف لى غير طائل
فاصبت يده فبدر أى سقط سيفه فاخذته فضربته حتى قتلته ثم خرجت حتى أتيت النبى صلى الله عليه
وسلم كأنما أقل من الارض أى أحمل من شدة الفرح فاخبرته فقال الله الذى لا إله إلا هو وفى لفظ تقدم
لا إله غيره رددها ثلاثا وفى رواية عن ابن مسعود فاستحلفنى ﷺ ثلاث مرات ثم قال
الحمد لله الذى أعز الاسلام وأهله ثلاث مرات وخر ساجدا أى خمس سجدات شكرا كما تقدم وفى رواية
صلى ركعتين قال ابن مسعود رضى الله عنه ثم انه ﷺ خرج يمشى معى حتى قام عليه
فقال الحمد لله الذى أخزاك يا عدو الله هذا كان فرعون هذه الامة زاد فى لفظ ورأس قاعدة الكفر
ونفلنى سيفه أى وكان قصيرا عريضا فيه قبائع فضة وحلق فضة ومع قصره كان أقصر من سيف ابن
مسعود فلا منافاة أقول يجوز ان يكون المضى اليه بعد القاء الرأس بين يديه ﷺ
استعظاما لقتله أى وان ابن مسعود فى هذه الرواية سكت عن قطع رأسه والمجىء بها الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلا مخالفة وقد قال له النبى ﷺ يوما وقد أخذ بمجامع ثوبه أولى لك فاولى ثم أولى
لك فاولى أى وعيدا على وعيد فقال ما تستطيع أنت ولا ربك بى شيئا وانى لاعز من مشى بين جبلها
فانزل الله تعالى فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى ثم ذهب الى أهله يتمطى وقيل نزلت كالتى
قبلها فى عدى بن ربيعة لما سأل رسول الله ﷺ عن أمر القيامة فاخبره به فقال لو عاينت هذا اليوم لم
أصدقك أو يجمع الله هذه العظام فانزل الله تعالى أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه الآيات والله
أعلم وعن قتادة رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ قال ان لكل أمة فرعونا وان فرعون

هذه

فادركت أصحابى قبل أن يأتوا النبى صلى الله عليه وسلم فبشرته صلى الله عليه وسلم وفى رواية فانتهيت الى النبى صلى الله عليه وسلم
فحدثته فقال ابسط رجلك فبسطتها فمسحها بيده المباركة صلى الله عليه وسلم فكأنى لم أشتكها قط وجاء فى رواية ان الاسود بن خزاعى
أحد الاربعة الذين كانوا مع عبد الله بن عتيك تخلف ليتحقق موت أبى رافع قال فذهبت أنظر حتى دخلت فى الناس فوجدت امرأته
ورجالا من يهود حوله وفى يدها المصباح تنظر فى وجهه وتحدثهم وتقول أما والله



لقد سمعت صوت ابن عتيك
ثم أكذبت نفسى وقلت
أنى لابن عتيك بهذه
البلاد ثم نظرت فى وجهه
فقالت فاظ أى مات واله
يهود فما سمعت من كلمة
كانت ألذ فى نفسى منها
ثم أدرك أصحابه فاخبرهم
الخبر وجاء فى بعض
الروايات ان عبد الله بن
عتيك لما تمادى عليه
المشى أحس بألم رجله وهو
سائر مع أصحابه فى الطريق
فحملوه ثم لما أتاه صلى
الله عليه وسلم مسح عليه
فزال عنه جميع الالم
ببركته صلى الله عليه
وسلم وفى رواية للحاكم عن
عبد الله بن أنيس رضى
الله عنه قال توجهنا من
خيبر فكنا نكمن من النهار
ونسير الليل وإذا كنا
أقعدنا منا واحدا يحرسنا
فاذا رأى ما يخافه أشار
الينا فلما قربنا من المدينة
كانت نوبتى فاشرت اليهم
فخرجوا سراعا ثم لحقتهم
فدخلنا المدينة فقالوا
ماذا رأيت قلت ما رأيت
شيئا ولكن خشيت أن
تكونوا عييتم فاردت أن



يحملكم الفزع وروى ابن منده عن عبد الله بن عتيك رضى الله عنه قال قدمنا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيمن قتل ابن أبى الحقيق وهو على المنبر فلما رآنا قال أفلحت الوجوه وفى هذه القصة من الفوائد جواز اغتيال
المشرك الذى بلغته الدعوة وأسر وقتل من أعان عليه صلى الله عليه وسلم بيده أو ماله أو لسانه وجواز التجسس على أهل الحرب
وتطلب غرتهم والأخذ بالشدة فى محاربتهم وايهام القول للمصلحة وتعرض القليل من المسلمين للكثير من المشركين والحكم بالدليل

---

هذه الامة أبو جهل قتله الله شر قتلة بكسر القاف الهيئة قتلته الملائكة وفى لفظ قتله ابن عفراء وقتلته
الملائكة وقد ذففه أى اجهز عليه ابن مسعود وابن عفراء هذا يجوز أن يكون هو معاذ بن عمرو بن
الجموح ويجوز أن يكون أخاه معاذ بن الحرث وكونه قتله لأنه أزال منعته كما تقدم وفى مسلم عن عبد
الرحمن بن عوف أنه قال انى لواقف يوم بدر فى الصف نظرت عن يمينى وعن شمالى فاذا أنا بين غلامين
من الأنصار حديثة أسنانهما فغمزنى أحدهما فقال ياعم هل تعرف أبا جهل بن هشام قلت نعم وما
حاجتك به قال بلغنى انه كان يسب رسول الله ﷺ والذى نفسى بيده لو رأيته لم يفارق سوادى
سواده أى شخصى شخصه حتى يموت الاعجل منا أى الاقرب أجلا فغمزنى الآخر فقال مثلها
فعجبت لذلك أى لحرص كل منهما على ذلك واخفائه عن صاحبه ليكون هو المختص به فلم أنشب أى
ألبث ان نظرت الى أبى جهل يزول فى الناس أى بالزاى يتحول من محل الى محل آخر فقلت لهما ألا
تريان هذا صاحبكما الذى تسألان عنه فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه أى أشرفا به على القتل
فصيراه الى حركة مذبوح ثم انصرفا الى رسول الله ﷺ فاخبراه فقال أيكما قتله فقال كل واحد
منهما أنا قتلته قال هل مسحتما سيفيكما قالا لا فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السيفين
فقال كلاكما قتله وقضى بسلبه أى ما عدا سيفه لهما فلا ينافى ماسبق من اعطائه لابن مسعود رضى الله
عنه وهما معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء بن الحرث فهما أى معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ
ابن الحرث ابنا عفراء غاية الامر أن الاول اشتهر بابيه عمرو بن الجموح والثانى اشتهر بأمه التى هى
عفراء وقول الحافظ ابن حجر ان معاذ بن عمرو بن الجموح ليس اسم أمه عفراء يجوز أن يكون مستندا
فى ذلك مقابلة بن الجموح بابن عفراء فى كلامهم المقتضى ذلك لان يكون ابن الجموح ليس ابن عفراء
ولا يشكل على ذلك ما فى النور نقلا عن الامام النووى ان عمرو بن الجموح وابنى عفراء أى معاذ ومعوذ
اشتركوا فى قتل أبى جهل لان معاذ الثانى بن الحرث فكل من عمرو بن الجموح والحرث تزوج عفراء
وكل سمى ولده منها بمعاذ ويدل لذلك ما يأتى عن الامتاع انه ﷺ قال رحم الله ابنى عفراء اشتركا
فى قتل فرعون هذه الامة ولما قيل له يارسول الله من قتله معهما قال الملائكة ولم يقل عمرو
ابن الجموح لكن رأيت بعضهم ذكر أن عفراء شهد لها بدرا سبع بنين ثلاثة من الحرث بن رفاعة
وهم معوذ ومعاذ وعامر وأربعة من بكر بن عبد ياليل وهم خالد وأساس وعاقل وعامر واستشهد منهم
ببدر معاذ ومعوذ وعاقل هذا كلامه وذكر عامر فى الاول تقدم بدله ذكر عوف وهو واضح فقد
تقدم ان عوف بن الحرث بن عفراء قال يارسول الله ما يضحك الرب الخ ولم يذكر هذا البعض ان من
أولادها معاذ بن عمرو بن الجموح وهو يؤيد ما تقدم عن الحافظ وعن الامام النووى فعليك بالتأمل
وقيل قضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح أقول أى لكونه هو الذى أزال منعته فاستحق سلبه ولا
ينافى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لهما كلاكما قتله لجواز أن يكون أتى بذلك ملاطفة للثانى
وترغيبا له فى الجهاد له لأن مشاركة ما فى قتله لانه زاد فى اثخانه الى ان صيره الى آخر رمق ويرده كونه
صلى الله عليه وسلم أشركهما فى سلبه ومن ثم قال فقهاؤنا يعطى السلب لمن أثخن دون من قتل أى بعد

والعلامة لاستدلال ابن عتيك على أبي رافع بصوته واعتماده على صوت الناعي بموته ووقع فى بعض الروايات أن الذى قتل أبا رافع عبدالله بن أنيس والصواب مافى صحيح البخارى ان الذى قتله عبدالله بن عتيك وفى قتل أبى رافع وكعب بن الأشرف يقول حسان رضى الله عنه لله درعصابة لاقيتهم * ياابن الحقيق وأنت ياابن الاشرف يسرون بالبيض الخفاف اليكم * مرحا كأسد فى عرين معرف حتى أتوكم فى محل بلادكم * فسقوكم حتفا ببيض ذفف مستنصرين لنصر دين نبيهم * مستصغرين لكل أمر مجحف



﴿ سرية عبد الله بن رواحة الانصارى الخزرجى رضى الله عنه ﴾ الى أسير بضم الهمزة وفتح السين وسكون التحتية وبالراء بن رزام براء مكسورة فزاى مخففة فالف فميم اليهودى بخيبر وكانت فى شوال سنة ست وسببها انه لما قتل أبو رافع سلام بن أبى الحقيق امرت يهود عليها أسيرا فقال والله ماسار محمد إلى أحد من يهود ولا بعث أحدا من أصحابه الا أصاب منهم ماأراد ولكنى أصنع مالم يصنع أصحابى فقالوا وماعسيت ان تصنع قال أسير في غطفان فاجمعهم ونسير الى محمد فى عقرداره بفتح العين وضمها وسكون القاف أى أصلها فانه لم يغز أحد فى عقرداره إلا أدرك منه عدوه بعض مايريد قالوا نعم مارأيت فسار فى غطفان وغيرهم يجمعهم لحربه صلى الله عليه وسلم وبلغه صلى الله عليه وسلم ذلك فوجه عبدالله بن رواحة رضي الله عنه فى ثلاثة نفر فى شهر رمضان سرا ليستكشف له الخبر فسأل عن خبره وغرته أى غفلته فاخبر بذلك وذلك انه أتى ناحية خيبر فدخل فى الحوائط وفرق الثلاثة فى ثلاثة من حصونها فوعوا ماسمعوا من أسير وغيره ثم خرج بعد ثلاثة أيام فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم لليال بقين من رمضان فاخبره بكل مارآه وسمعه وقدم عليه أيضا خارجة بن حسيل بمهملتين مصغرا فاستخبره صلى الله عليه وسلم

---

ذلك فقد أعطى رسول الله ﷺ سلب أبى جهل لمثخنيه ابنى عفراء دون قاتله ابن مسعود لكن هذا القيل قال به بعض آخر من فقهائنا وهو الموافق لما فى البخارى فى كتاب فرض الخمس معاذ ابن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء قتلا أباجهل ثم تنازعا فيه وذلك لأن النبى ﷺ نظر الى السيفين فرأى فيهما أثر الدم فقال كلاكما قتله وقضى بسلبه لمعاذ بن الجموح قال الأصحاب لانه أثخنه والآخر جرحه بعده وقوله كلاكما قتله تطييب لقلب الآخر هذا كلامه فليتأمل فان الذى أظنه ان كونه رأى أثر الدم فى سيفيهما خلط من الراوى لان ذلك كان فى قتل ابن الاشرف ويؤيد الخلط ماتقدم عن ابن مسعود انه لم يرفيه أثر جراح داخل بدنه وفى الامتاع انه صلى الله عليه وسلم قال يرحم الله ابنى عفراء فانهما قد اشتركا فى قتل فرعون هذه الامة ورأس أئمة الكفر فقيل يارسول الله من قتله معهما قال الملائكة وذففه ابن مسعود وهذا السؤال يقتضى ان معنى قوله ﷺ انهما قد اشتركا فى قتل فرعون هذه الامة ان غيرهما شاركهما فى ذلك فليتأمل وفى شرح الروض وهو من أجل كتبنا ان عبدالله بن رواحة وابنى عفراء تقاتلا مع أبى جهل مبارزة وانه صلى الله عليه وسلم علم ذلك وأقره وجعلوا ذلك دليلا على اباحة مبارزة القوى لكافر لم يطلب المبارزة أى وأما ما تقدم من أمره ﷺ لحمزة وعلى وعبيدة بن الحرث بمبارزة عتبة وشيبة ابنى ربيعة والوليد ابن عتبة فذاك لكافر طلب المبارزة فقد تقدم ان عتبة خرج بين أخيه شيبة وولده الوليد حتى فصل من الصف ودعا للمبارزة وانه خرج اليه فتية من الانصار ثلاثة اخوة أشقاء وهم معاذ ومعوذ وعوف بنو عفراء وقيل بدل عوف عبدالله بن رواحة فلم يرضوا بمبارزتهم فعند ذلك أمر ﷺ من ذكر بمبارزتهم وعندى ان ماذكره فى شرح الروض من مبارزة عبد الله بن رواحة وابنى عفراء لابى جهل ذكر أبى جهل اشتباه وانما هو لهؤلاء الثلاثة ولم تقع منهم مقاتلة وكيف يبارز ثلاثة واحدا فليتأمل وجاء فى الحديث ان الله قتل فرعون هذه الامة أباجهل فالحمد لله الذى صدق وعده ونصر دينه والله أعلم وكان على الملائكة يوم بدر عمائم بيض قد أرسلوها الى ظهورهم أى إلا جبريل فانه كان عليه عمامة صفراء اى وقيل حمراء قال بعضهم كان بعضهم بعمائم خضر وبعضهم بعمائم صفر وبعضهم بعمائم حمر أى وبعضهم بعمائم بيض وبعضهم بعمائم سود فلامنافاة وذكر ان عمامة جبريل عليه السلام يوم أغرق فرعون كانت سوداء قال وفى رواية سيماهم عمائم سود وعند ابن مسعود رضى الله عنه كان سيما الملائكة يوم بدر عمائم قد أرخوها بين أكتافهم خضر وصفر وحمر اه أى وبيض وسود وفى كلام بعضهم نزلت الملائكة يوم بدر بعمائم صفر ورواية بيض وسود ضعيفة وفى كلام ابن اسحق عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيض قد أرخوها على ظهورهم الا جبريل فانه كان عليه عمامة صفراء من نور أى وكانوا يوم أحد بعمائم حمر ويوم حنين كذلك وفى الجامع الصغير كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم سود ويوم احد عمائم حمر وماذكر لاينافى ماقيل سيماهم ببدر عمائم صفر قد أرخوها بين أكتافهم وماجاء كان على الزبير رضى الله عنه بيدر

ماوراءه فقال تركت أسير بن زمام يسير اليك فى كتائب يهود فندب صلى الله عليه وسلم الناس له فانتدب له ثلاثون رجلا فبعث عليهم عبد الله بن رواحة فقدموا عليه فقالوا نحن آمنون حتى نعرض عليك ماجئناله قال نعم ولى منكم مثل ذلك فقالوا نعم فقالوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنا اليك لتخرج اليه يستعملك على خيبر ويحسن اليك فطمع فى ذلك فشاور يهود فخالفوه فى الخروج وقالوا ما كان محمد يستعمل رجلا من بنى اسرائيل قال بلى قد مللنا الحرب وخرج وفى رواية لابن اسحق فلما قدموا عليه كلموه وقربوا له وقالوا له انك ان قدمت على رسول الله استعملك وأكرمك فلم يزالوا به حتى خرج معهم وخرج معه ثلاثون رجلا من اليهود مع كل رجل رديف من المسلمين وفى رواية فحمله أى أسيراً عبد الله بن رواحة حتى إذا كانوا بقرقرة موضع على ستة أميال من خيبر ندم أسير على مسيره إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأراد الفتك بعبد الله بن رواحة ففطن له وهو يريد السيف فاقتحم به عبد الله ثم ضربه بالسيف فقطع رجله فضربه أسير بمخرش فى يده من شوحط فأمه وفى رواية عن عبد الله بن رواحة رضى الله عنه وأهوى أسير بيده إلى سيفى ففطنت له فدفعت بعيرى وقلت غدرا أى عدو الله مرتين فنزلت فسقت بالقوم حتى انفرد لى أسير فضربته بالسيف فاندرت عامة فخذه وساقه فسقط عن بعيره ومال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه فقتلوهم لظهور إرادة الغدر لهم منهم غير رجل واحد أعجزنا شدا أى جريا أفلت على رجليه ولم يصب من المسلمين أحد ولله الحمد فما قتلوا اليهود بعد التأمين إلا لكونهم غدروا ثم قدموا على رسول الله ﷺ وكان صلى الله عليه وسلم يحدث أصحابه فقال تمشوا بنا إلى الثنية لنبحث عن أصحابنا فخرجوا معه فلما أشرفوا عليها إذا هم بسرعان أصحابنا فجلس ﷺ فى أصحابه فأتيناه فحدثناه الحديث فقال قد نجاكم الله من القوم الظالمين

بدر عمامة صفراء معتجرا بها فقال صلى الله عليه وسلم نزلت الملائكة على بسيما أبى عبد الله يعنى الزبير رضى الله عنه لجواز أن يكون أكثرهم كان بعمائم صفر وقد ذكر أن الزبير رضى الله عنه قاتل يوم بدر قتالا شديدا حتى كان الرجل يدخل يده فى الجراح فى ظهره وعاتقه وقد سئل الحافظ السيوطى رحمه الله تعالى عن قوله تعالى يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ما السمة التى كانت عليهم فأجاب بان ابن أبى حاتم ذكر فى تفسيره باسانيد عن على كرم الله وجهه أنها الصوف الأبيض فى نواصى خيولهم وأذنابها وعن مكحول وغيره انها العمائم وعن ابن عباس رضى الله عنهما انها كانت عمائم بيض قد أرسلوها إلى ظهورهم وفى سنده رجل ضعيف وعنه أيضا عمائم سود وفى سنده متروك ثم قال ورواية البيض والسود ضعيفة هذا كلامه أى وعلى تقدير صحتها يجاب بما قدمنا وكان شعار الأنصار أى علامتهم التى يتعارفون بها فى ذلك إذا جاء الليل أو وقع اختلاط أحد أحد أى وشعار المهاجرين يومئذ يا بنى عبد الرحمن أى وعن زيد بن على قال كان شعار النبي ﷺ أى المهاجرين أو هو حتى لا يشتبه بغيره يا منصور أمت ويقال أحد أحد وشعار الخزرج يا بنى عبد الله وشعار الأوس يا بنى عبيد الله وعن ابن سعد يقال كان شعار الجميع يومئذ يا منصور أمت أى وقد يقال لا منافاة بين هذه الرواية وما قبلها من الروايات لان المراد بالجميع المجموع لكن يحتاج إلى الجمع بين تلك الروايات السابقة على تقدير صحتها وكانت خيل الملائكة بلقا وعن على رضى الله تعالى عنه قال كان سيما الملائكة أى سيما خيلهم يوم بدر الصوف الأبيض أى وفى لفظ بالعهن الاحمر فى نواصى الخيل واذنابها أى ولا منافاة لجواز أن يكون بعضهم كذا و بعضهم كذا وعند ذلك قال صلى الله عليه وسلم سوموا خيلكم فان الملائكة قد سومت فهو أول يوم وضع فيه الصوف أى فى نواصى الخيل وأذنابها ولم أقف على لون الصوف الذى وضع فى ذلك وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال حدثنى رجل من بنى غفار قال أقبلت أنا وابن عم لى حتى صعدنا فى جبل يشرف بنا على بدر ونحن مشركان ننتظر الوقعة على من تكون الدبرة أى الغلبة فننهب مع من ينهب فبينا نحن فى الجبل اذ دنت منا سحابة فسمعنا فيها حمحمة الخيل فسمعت قائلا يقول أقدم حيزوم فاما ابن عمى فانكشف قناع قلبه أى غشاؤه فمات مكانه وأما أنا فكدت أهلك ثم تماسكت وأقدم بضم الدال من التقدم كلمة يزجر بها الخيل وحيزوم بالميم وربما قيل بالنون اسم فرس جبريل ولعلها هى الحياة وأحدهما اسم لها والآخر لقب وقيل لها الحياة لانها ما مسها شىء إلا صار حيا وهى التى قبض من أثرها أى من تراب حافرها السامرى نسبة إلى سامر قرية أو طائفة ما ألقاه فى العجل الذى صاغه من حلى القبط فكان له خوار أى صوت فكان إذا خار سجدوا واذا سكت رفعوا قال فى النهر الظاهر انه قامت به الحياة وقيل لما صنعه السامرى أجوف تحيل لتصويته بان جعل فى تجويفه أنابيب على شكل مخصوص وجعله فى مهب الرياح فتدخل فى تلك الانابيب فيظهر له صوت يشبه الخوار وفى كلام بعضهم فرس جبريل التى هى حيزوم كان صهيله التسبيح والتقديس واذا نزل عليها جبريل عليه السلام علمت

وتفل صلى الله عليه وسلم على شجة عبد الله بن رواحة رضى الله عنه فلم تقح ولم تؤذه حتى مات وفى رواية قال عبد الله بن رواحة رضى الله عنه ومسح صلى الله عليه وسلم وجهى ودعالى وقطع لى قطعة من عصاه فقال امسك هذه معك علامة بينى و بينك يوم القيامة أعرفك بها فانك تأتى يوم القيامة متخصرا فلما دفن عبد الله جعلت معه على جلده دون ثيابه ومر له مثل ذلك لما جاء برأس الهذلى قيل فيحتمل ان هذا وهم من بعض الرواة والحق انه مانع من تكرار اعطائه عصاه وانه جعل الكل بين جلده وكفنه والشارع إذا خص بعض صحبه بشىء لا يسئل لم يفعله مع بقية الصحابة والله أعلم



﴿ قصة عكل وعرينة ﴾

وهى سرية كرز بن جابر الفهرى رضى الله عنه كان أحد رؤساء قريش استشهد عام الفتح وعكل حى من قضاعة وعرينة حى من بجيلة وكانت هذه السرية فى جمادى الأولى سنة ست وقيل فى شوال سنة ست وسببها أن ناسا من عكل وعرينة سبعة أو ثمانية قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعوه على الاسلام وتلفظوا بكلمة التوحيد وأظهروا الاسلام وكانوا حين قدموا المدينة سقاما مصفرة ألوانهم عظيمة بطونهم فقالوا يارسول الله انا كنا أهل ضرع أى ماشية وإبل ولم نكن أهل ريف وكرهنا الاقامة بالمدينة فلوأذنت لنا فخرجنا إلى الابل فأمرلهم بذود من الابل وهى من الثلاثة إلى العشرة ومعها راع وأمرهم باللحوق بها ليشربوا من ألبانها وأبوالها فانطلقوا حتى إذا كانوا ناحية الحرة وصحت أجسامهم كفروا بعد اسلامهم وقتلوا راعى النبى ﷺ وكان عبده صلى الله عليه وسلم واسمه يسار وحين قتلوه مثلوا به فقطعوا يده ورجله وجعلوا الشوك فى عينيه واستاقوا الذود فجاء الصريخ بما وقع منهم فبعث صلى الله

---

الملائكة أن نزوله للرحمة وإذا نزل منشور الاجنحة علمت أن نزوله للعذاب أى وحينئذ فنزول جبريل عليه السلام عليها يوم بدر كان لرحمة المسلمين وان كان عذابا على الكافرين و يكون نزوله لا عليها بل منشور الاجنحة إذا كان لمحض العذاب و يحتمل أن يكون حيزوم غير فرس الحياة واليه ذهب السهيلى رحمه الله فقال والحياة أيضا فرس لجبريل عليه السلام قال الحافظ ابن حجر ومن الاخبار الواهية أن الموت كبش لايجد ريحه شىء إلامات والحياة فرس بلقاء أنثى أى خطوتها كما فى العرائس مد البصر وهى التى كان جبريل عليه السلام والأنبياء عليهم السلام يركبونها أى كلهم كما فى العرائس لاتمر بشىء ولايجد ريحها شىء الاحيى هذا وفى أثر مرسل أن رسول الله ﷺ قال لجبريل من القائل يوم بدر من الملائكة أقدم حيزوم فقال جبريل عليه السلام يامحمد ما كل أهل السماء أعرف قال ابن كثير وهذا الأثر يرد قول من زعم أن حيزوم اسم فرس جبريل عليه السلام أى وفيه انه لا يبعد أن يقول أحد من الملائكة لفرس جبريل أقدم حيزوم ولا يعرف ذلك القائل وكأن الحافظ ابن كثير رحمه الله فهم من قوله ﷺ من القائل الخ ان ذلك الفرس لذلك القائل نعم ان كان هذا الأثر وقع بعد الرواية التى تلى هذه وهى جاءت سحابة الخ أو ان ذلك الاثر سقط منه لفظة لفرسه والاصل من القائل يوم بدر من الملائكة لفرسه اتجه مافهمه ابن كثير رحمه الله فليتأمل قال وفى رواية جاءت سحابة فسمعنا أصوات الرجال والسلاح وسمعنا رجلا يقول لفرسه اقدم حيزوم فنزلوا على ميمنة رسول الله ﷺ ثم جاءت سحابة أخرى نزل منها رجال كانوا على ميسرته فاذاهم على الضعف من قريش فمات ابن عمى وأما أنا فتماسكت وأخبرت النبى ﷺ وأسلمت ومن ثم ذكر فى الصحابة وفى النور هذا الرجل مذكور فى الصحابة وليس فى الحديث أى الرواية الأولى مايدل على اسلامه إلا أن تحديثه لابن عباس رضى الله تعالى عنهما بهذه المعجزة للنبى ﷺ يشعر باسلامه هذا كلامه وفيه ان قوله ونحن مشركان يدل على انه كان مسلما عند تحديثه لابن عباس رضى الله تعالى عنهما وقد جاء عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الغمام الذى ظلل بنى اسرائيل فى التيه هو الذى يأتى الله تعالى فيه يوم القيامة وهو الذى جاءت فيه الملائكة يوم بدر أى وعن على رضى الله تعالى عنه هبت ريح شديدة مارأيت مثلها قط ثم جاءت أخرى كذلك ثم جاءت أخرى كذلك فكانت الاولى جبريل نزل فى ألف من الملائكة أى لعلها أمامه أخذا من قوله وكانت الثانية ميكائيل نزل فى ألف من الملائكة عن يمين رسول الله ﷺ وكانت الثالثة اسرافيل نزل فى ألف من الملائكة عن ميسرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى ذلك سكوت عن الرابعة أى زاد فى الامتاع وكان اسرافيل ﷺ وسط الصف لايقاتل كما يقاتل غيره من الملائكة وظاهر هذا أن كلا من جبريل وميكائيل قاتل وتقدم انهم فى هذه الغزاة التى هى غزاة بدر قيل لم يعدوا إلا بألف من الملائكة ورواية ألفين ضعيفة جاءت عن على رضى الله تعالى عنه فتكون هذه الرواية التى جاءت عن على أيضا كذلك ولا نظر لما تقدم عن بعضهم أن إمدادهم يوم بدر بثلاثة آلاف أولا وأنهم وعدوا أن يمدوا

بخمسة

عليه وسلم فى آثارهم خيلا من المسلمين قريبا من العشرين وأمر عليهم كرز بن جابر الفهرى رضى الله عنه فلحقهم فجاء بهم فأمر النبى صلى الله عليه وسلم بقطع أيديهم وأرجلهم وسمر اعينهم يروى أن النبى صلى الله عليه وسلم حين بعث الطلب فى آثارهم قال اللهم أعم الطريق واجعله عليهم أضيق من مسك جمل فأعمى الله عليهم السبيل وفى رواية فجاء الخبر في أول النهار فبعث فى آثارهم فلما ارتفع النهار جيء بهم وفى رواية فبعث فى آثارهم فغدوا فاذاهم



بامرأة تحمل كتف بعير فسألوها فقالت مررت بقوم قد نحروا بعيرا فأعطونى هذا وهم بتلك المفازة فساروا فوجدوهم فأسروهم ولم يفلت منهم انسان فربطوهم واردفوهم على الخيل حتى قدموا المدينة فأمر بهم فقطعوا أيديهم وأرجلهم من خلاف وسمروا أعينهم وتركوا فى ناحية الحرة فى الشمس حتى ماتوا وانما سمر أعينهم لأنهم فعلوا مثل ذلك بالراعى كما مر فكان ذلك قصاصا أى كالقصاص قال أنس رضى الله عنه فلقد رأيتهم يكدم أى يعض بعضهم الأرض بفيه حتى ماتوا وفى رواية كانوا يستسقون أى يطلبون الماء فلا يسقون لانهم ارتدوا فلا حرمة لهم وأنزل الله فى هؤلاء إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله الآية وهؤلاء كفروا وقتلوا وحاربوا وقطعوا الطريق وسرقوا وفى القصة من الفوائد قدوم الوفود على الامام ونظره فى مصالحهم ومشروعية الطب والتداوى بألبان الابل وأبوالها وان كل جسد يطب بما اعتاد وقتل الجماعة بالواحد سواء قتلوه غيلة أو حرابة ان قلنا إن قتلهم كان قصاصا والمماثلة فى القصاص وانه ليس من المثلة المنهى عنها وثبوت حكم المحاربة فى الصحراء وأما فى القرى ففيه خلاف وجواز استعمال أبناء السبيل ابل الصدقة فى الشرب وفى غيره قياسا عليه باذن الامام والله اعلم ﴿سرية عمرو بن امية الضمرى رضى الله عنه إلى أبى سفيان﴾ بعثه صلى الله عليه وسلم إلى أبى سفيان ليقتله غيلة

---

بخمسة آلاف ان ثبتوا وصبروا وهو ما عليه الاكثر لما علمت أن ذلك إنما كان فى أحد وسيأتى ذلك مع زيادة قال بعضهم ولم تقاتل الملائكة إلا فى يوم بدر أى وفى غيره يكونون مددا من غير مقاتلة وسيأتى انهم قاتلوا يوم أحد ويوم حنين ففي مسلم عن سعد بن أبى وقاص أنه رأى عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض ما رأيتهما قبل ولا بعد يعنى جبريل وميكائيل عليهما السلام يقاتلان كأشد القتال قال الامام النووى رحمه الله فيه أن قتال الملائكة لم يختص بيوم بدر وهذا هو الصواب خلافا لمن زعم اختصاصه فان هذا صريح فى الرد عليه أقول يمكن الجمع بأن المختص ببدر قتال الملائكة عنه وعن أصحابه وفى غيره كان عنه صلى الله عليه وسلم خاصة فلا منافاة ثم رأيتنى ذكرت هذا الجمع فى غزوة احد عن البيهقى وتعقبته بما جاء أن الملائكة قاتلت فى ذلك اليوم عن عبد الرحمن بن عوف وعلى تسليم ورود ذلك فيه انهم لو قاتلوا يوم أحد لظهر اثر قتلهم كما ظهر فى يوم بدر وقد يقال مرادهم بالمقاتلة يوم أحد المدافعة من غير أن يوقعوا فعلا وفى يوم بدر المراد بالمقاتلة ايقاع الفعل والله أعلم وانكسر سيف عكاشة بتشديد الكاف أكثر من تخفيفها ابن محصن وهو يقاتل به فأعطاه رسول الله ﷺ جذلا من حطب أى اصلا من أصول الحطب وقال له قاتل بهذا يا عكاشة فلما أخذه من رسول الله صلى الله عليه وسلم هزه فعاد فى يده سيفا طويل القامة شديد المتن أبيض الحديد فقاتل به رضى الله عنه حتى فتح الله تعالى على المسلمين وكان ذلك السيف يسمى العون ثم لم يزل عند عكاشة وشهد به المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لم يزل متوارثا عند آل عكاشة وعكاشة مأخوذ من عكش على القوم إذا حمل عليهم والعكاشة العنكبوت وسيأتى مثل ذلك فى أحد لعبد الله بن جحش وانكسر سيف سلمة بن أسلم رضى الله عنه فأعطاه رسول الله ﷺ قضيبا كان فى يده أى عرجونا من عراجين النخل وقال اضرب به فاذا هو سيف جيد فلم يزل عنده قال وعن خبيب بن عبد الرحمن قال ضرب خبيب جدى يوم بدر فمال شقه فتفل عليه رسول الله ﷺ ولأمه ورده فانطبق وعن رفاعة بن مالك رضى الله عنه قال لما كان يوم بدر رميت بسهم ففقئت عينى فبصق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا لى فما آذانى منها شىء اهـ ثم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتلى من المشركين أن ينقلوا من مصارعهم التى أخبر بها رسول الله ﷺ قبل وجودها فعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرينا مصارع أهل بدر يقول هذا مصرع عتبة بن ربيعة وهذا مصرع شيبة بن ربيعة وهذا مصرع أمية بن خلف وهذا مصرع أبى جهل بن هشام وهذا مصرع فلان غدا إن شاء الله تعالى أى ويضع صلى الله عليه وسلم يده الشريفة على الأرض فما تنحى أحدهم عن موضع يده كما تقدم عن أنس وتقدم عنه أن ذلك كان ليلة بدر بعد أن وصل إلى محل الوقعة إذ لا يتصور وضع يده على الأرض الا اذا كان بمحل الوقعة وبه يعلم ما ذكره بعضهم أن اخباره صلى الله عليه وسلم بمصارع القوم تكرر منه مرتين قبل الوقعة بيوم او أكثر ويوم الوقعة هذا كلامه إلا أن يقال قوله يوم الوقعة هو بناء على انه صلى الله

لأن أبا سفيان أرسل للنبي ﷺ من يقتله وذلك أن أبا سفيان قال لنفر من قريش ألا احد يغدر محمدا فانه يمشى فى الأسواق فأتاه رجل من الأعراب فى منزله فقال قد وجدت أجمع الرجال قلبا وأشدهم بطشا وأسرعهم شدا أى جريا فان أنت قويتنى خرجت اليه حتى أغتاله ومعى خنجر مثل خافية النسر فاسوره ثم آخذ فى عير فأسير وأسبق القوم عدوا فانى هاد بالطريق فقال أنت صاحبنا فأعطاه بعيرا ونفقة (١٩٠) وقال اطو أمرك نخرج ليلا فسار على راحلته خمسا وصبح ظهر الحرة صبح سادسة ثم أقبل يسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دل عليه فعقل راحلته ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى مسجد بنى عبد الاشهل فاقبل الرجل ومعه خنجر ليغتاله فلما رآه النبى صلى الله عليه وسلم قال ان هذا ليريد غدرا والله حائل بينه وبين ما يريد فذهب لينحنى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجذبه أسيد بن حضير رضى الله عنه بداخلة ازاره أى طرفه وحاشيته فاذا بالخنجر فاسقط فى يده أى ندم وقال دمى دمى أى اتركوا دمى أوخلوا دمى فأخذ أسيد بلبته أى منحره وخنقه أشد الخنق فقال صلى الله عليه وسلم أصدقنى ما أنت قال وانا آمن قال نعم فاخبره بخبره فخلى عنه صلى الله عليه وسلم فاسلم رضى الله عنه وقال يا محمد والله ما كنت أفرق اى أخاف الرجال فما هو الا أن رأيتك فذهب عقلى وضعفت نفسى ثم انك اطلعت على ما هممت به مما لم يعلمه أحد فعرفت انك ممنوع وانك على حق وان حزب أبي سفيان حزب الشيطان فجعل صلى الله عليه وسلم يتبسم فأقام الرجل أياما ثم استأذن النبى صلى الله عليه وسلم فى الخروج فأذن له فخرج ولم يسمع له بذكر ولم يعرف احد من الحفاظ اسم ذلك الرجل ثم بعث صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمرى ومعه سلمة بن أسلم الأنصارى رضي الله عنه وقيل جبار بن صخر الى أبى سفيان وقال ان اصبتما منه غرة فاقتلاه فدخلا مكة

عليه وسلم وصل بدرا فى النهار والقول بأن ذلك كان ليلا بناء على انه وصل بدراً ليلا ومعلوم انه انما وضع يده فى محل الوقعة ثم أمر صلى الله عليه وسلم ان يطرحوا فطرحوا فى القليب الا ما كان من أمية ابن خلف فانه انتفخ فى درعه فملأه فذهبوا ليحركوه فتزايل أى تقطعت أوصاله فاقروه وألقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة وهذا دليل على أن الحربى لا يجب دفنه وبه قال أئمتنا بل قالوا يجوز اغراء الكلاب على جيفته وفى سنن الدار قطنى كان من سنته صلى الله عليه وسلم فى مغازيه إذا مر بجيفة انسان أمر بدفنه لا يسأل عنه مؤمنا كان أو كافرا أى ولكثرة جيف الكفار كره صلى الله عليه وسلم ان يشق على أصحابه أن يأمرهم بدفنهم فكان جرهم إلى القليب أيسر وكان الحافر لهذا القليب رجل من بنى النجار فكان فألا مقدما لهم ذكره السهيلى ولما ألقى عتبة والد أبى حذيفة رضى الله عنه فى القليب تغير وجه أبى حذيفة ففطن بفتح الطاء له رسول الله ﷺ فقال له لعلك دخلك من شأن أبيك شىء فقال لا والله ولكنى كنت أعرف من أبى رأيا وحلما وفضلا فكنت ارجو أن يهديه الله للاسلام فلما رأيت مامات عليه أحزننى ذلك فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير وقال له خيرا أقول وذكر فقهاؤنا أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى أباحذيفة عن قتل أبيه فى هذه الغزاة وقد أراد ذلك والله أعلم ثم جاء رسول الله ﷺ حتى وقف على شفير القليب اى قيل بعد ثلاثة أيام من القائهم فى القليب وذلك ليلا أى وفى الصحيحين عن انس رضى الله تعالى عنه كان صلى الله عليه وسلم إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال فلما كان اليوم الثالث امر صلى الله عليه وسلم براحلته فشد عليها رحلها ثم مشى واتبعه أصحابه حتى قام على شفة الركى أى وهو القليب وجعل يقول يافلان ابن فلان ويافلان ابن فلان هل وجدتم ماوعد الله ورسوله حقا فانى وجدت ماوعدنى الله حقا وجاء فى بعض الطرق نداؤهم بأسمائهم فقال ياعتبة بن ربيعة وياشيبة بن ربيعة ويا أمية بن خلف ويا أباجهل بن هشام وهذا يقتضى انه فى تلك الرواية نطق بلفظ يافلان ابن فلان ولا يخفى بعده فليتأمل واعترض بأن امية بن خلف لم يكن من أهل القليب لما علمته واجيب بأنه كان قريبا من القليب بئس عشيرة النبى كنتم كذبتمونى وصدقنى الناس وأخرجتمونى وآوانى الناس وقاتلتمونى ونصرنى الناس فقال عمر رضى الله عنه يارسول الله كيف تكلم أجسادا لا أرواح فيها وفى رواية اجسادا قد اجيفوا وفى لفظ قد جيفوا فقال ﷺ ما أنتم بأسمع وفى رواية لأسمع لما اقول منهم وفى رواية لقد سمعوا ما قلت غير انهم لا يستطيعون أن يردوا شيئا وعن قتادة رضى الله عنه احياهم الله تعالى حتى سمعوا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم توبيخا لهم وتصغيرا ونقمة وحسرة اقول والمراد باحيائهم شدة تعلق ارواحهم باجسادهم حتى صاروا كالاحياء فى الدنيا للغرض المذكور لان الروح بعد مفارقة جسدها يصير لها تعلق به او بما يبقى منه ولو عجب الذنب فانه لا يفنى وان اضمحل الجسم باكل التراب أو باكل السباع او الطير او النار وبواسطة ذلك التعلق يعرف الميت من يزوره ويأنس به ويرد سلامه إذا سلم عليه كما ثبت فى الاحاديث والغالب ان هذا التعلق لا يصير الميت به حيا كحياته فى الدنيا بل يصير كالمتوسط بين الحى والميت

الذى

ومضى عمرو بن أمية يطوف بالبيت ليلا فرآه معاوية بن أبى سفيان وفى رواية قدما مكة وجلسا بشعب ثم دخلا مكة ليلا فقال جبار
لعمرو لو أنا طفنا بالبيت وصلينا ركعتين فقال عمرو إن القوم إذا تعشوا جلسوا بأفنيتهم وانهم ان رأونى عرفونى فانى أعرف بمكة من
الفرس الأبلق فقال كلا ان شاء الله قال عمرو فأبى أن يطيعنى فطفنا بالبيت وصلينا ثم خرجنا نريد أبا سفيان فوالله انا نمشى بمكة إذ
نظر الى رجل من أهلها فعرفنى فقال عمرو بن أمية فوالله ان قدمها الا لشر فقيل ان  هذا الرجل الذى أبهمه هو
معاوية بن أبى سفيان وقيل
غيره فأخبر أبا سفيان
وقريشا بوجود عمرو بمكة
فخافوه وطلبوه وكان
فاتكا جريا فى الجاهلية
والفتك القتل على غفلة
فحشد أى جمع له أهل
مكة وصاروا يطلبونه
فهرب عمرو وسلمة أو
وجبار بن صخر فلقى عمرو
رجلا من رءوس المشركين
وهو عبيد الله بن مالك
التيمى فقتله وقتل آخر
من بنى الديل سمعه
يتغنى ويقول

ولست بمسلم مادمت حيا
ولست أدين دين المسلمينا

ولقى رسولين لقريش
بعثهما قريش الى المدينة
يتجسسان الأخبار فقتل
أحدهما وأسر الآخر
فقدم به المدينة فجعل
عمرو يخبر رسول الله صلى
الله عليه وسلم خبره
ويضحك ثم دعا له بخير
وفى سيرة ابن هشام بعد
قوله السابق ان قدمها الا لشر
فقلت لصاحبى النجاء
فخرجنا نشتد حتى
أصعدنا فى جبل وخرجوا
فى طلبنا حتى إذا علونا الجبل يئسوا منا فرجعنا فدخلنا كهفا فى الجبل فبتنا فيه وقد أخذنا حجارة فرضمناها دوننا فلما أصبحنا غدا رجل
من قريش يعنى به عبد الله بن مالك التيمى المتقدم ذكره يقود فرساله ويختلى عليها فغشينا ونحن فى الغار فقلت ان رآنا صاح بنا فأخذنا
وقتلنا قال ومعى خنجر قد أعددته لأبى سفيان فخرجت اليه فضربته على ثديه ضربة فصاح صيحة أسمع أهل مكة ورجعت فدخلت
مكانى وجاء الناس يشتدون وهو بآخر رمق فقالوا من ضربك قال عمرو بن أمية وغلبه الموت فمات مكانه ولم يدلل على

الذى لا تعلق لروحه بجسده وقد يقوى حتى يصير كالحى فى الدنيا ولعله مع ذلك لا يكون فيه القدرة على
الأفعال الاختيارية فلا يخالف ما حكى عن السعد اتفقوا على أنه تعالى لم يخلق فى الميت القدرة والأفعال
الاختيارية هذا كلامه والكلام فى غير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والشهداء رضى الله عنهم أى
شهداء المعركة أما هما فتتعلق أرواحهم بأجسادهم تصير به أجسادهم حية كحياتها فى الدنيا ويكون لهم
القدرة والأفعال الاختيارية فقد روى البيهقى رحمه الله فى الجزء الذى ألفه فى حياة الأنبياء عليهم
الصلاة والسلام فى قبورهم عن أنس رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال الأنبياء أحياء فى
قبورهم يصلون وجاء أن علمى بعد موتى كعلمى فى الحياة وروى أبو يعلى عن أبى هريرة رضى الله
تعالى عنه لينزلن عيسى بن مريم عليه السلام ثم ان قام على قبرى وقال يا محمد لأجيبنه ومن ثم قال الامام
السبكى حياة الأنبياء والشهداء كحياتهم فى الدنيا ويشهد له صلاة موسى عليه السلام فى قبره فان
الصلاة تستدعى جسدا حيا وكذا الصفات المذكورة فى الأنبياء ليلة الاسراء كلها صفات الأجسام ولا
يلزم من كونها حياة حقيقية أن تكون الأبدان معها كما كانت فى الدنيا من الاحتياج الى الطعام
والشراب وأما الادراكات كالعلم والسمع فلا شك أن ذلك ثابت لهم ولسائر الموتى هذا كلامه وسائر
الموتى شامل للكفار أى وأكل الشهداء وشربهم فى البرزخ لا عن احتياج بل لمجرد الاكرام وكون
الشهداء اختصوا بذلك دون الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا مانع منه لأن المفضول قد يختص بما لا يوجد
فى الفاضل ألا ترى أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام شرعت الصلاة عليهم وجوبا وحرمت على
الشهداء وبهذا يرد قول بعضهم فى الاستدلال على حياة الأنبياء بقوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا فى
سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون والأنبياء أولى بذلك لأنهم أجل وأعظم ومامن نبى إلا
وقد جمع بين النبوة ووصف الشهادة فيدخلون فى عموم لفظ الآية ولأنه ﷺ قال فى مرض موته لم
أزل أجد ألم الطعام الذى أكلته بخيبر فهذا أوان انقطاع أبهرى من ذلك السم فثبت كونه صلى الله عليه
وسلم حيا فى قبره بنص القرآن امامن عموم اللفظ أومن مفهوم الموافقة ووجه رده أن الأولوية قد تمنع
بل أصل القياس لما علمت أنه قد يوجد فى المفضول مالا يوجد فى الفاضل والأنبياء صلوات الله
وسلامه عليهم وان جمعوا بين النبوة والشهادة إلا أن المراد فى الآية شهداء المعركة لا مطلق الشهادة اذ
شهادة المعركة لم تحصل لأحد من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ثم لا يخفى أن الذى ثبت حياة
الأنبياء وصلاتهم فى قبورهم وحجهم وأما صومهم وأكلهم وشربهم فى ذلك فلم أقف على ما يدل على
ذلك فى شىء من الاحاديث والآثار وقياسهم فى ذلك على الشهداء علمت أنه قد يمنع لما أنه قد يوجد فى
المفضول مالا يوجد فى الفاضل والذى يدل على أنهم يحجون ما جاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما
سرنا مع رسول الله ﷺ بين مكة والمدينة فمررنا بواد فقال أى واد هذا فقالوا وادى الازرق فقال
صلى الله عليه وسلم كأنى أنظر الى موسى عليه الصلاة والسلام واضعا أصبعيه فى أذنيه له جؤار الى
الله تعالى بالتلبية مارا بهذا الوادى ثم سرنا حتى أتينا على ثنية فقال ﷺ كأنى أنظر الى يونس

مكاننا فاحتملوه فقلت لصاحبي لما أمسينا النجاء فخرجنا ليلا من مكة نريد المدينة فمررنا بالحرس وهم يحرسون جثة خبيب بن عدى فقال أحدهم والله ما رأيت كالليلة أشبه بمشية عمرو بن أمية لولا أنه بالمدينة لقلت إنه عمرو بن أمية فلما حاذى الخشبة التى عليها خبيب شد عليها فاحتملها وخرج يشتد فخرجوا وراءه حتى أتى جرفا أى مهبط مسيل فرمى الجثة فى الجرف فغيبه الله عنهم فلم يقدروا عليه فقلت لصاحبي النجاة ومضيت ثم أويت الى جبل ودخلت كهفا فبينا أنا فيه إذ دخل على شيخ من بنى الديل أعور فى غنيمة له فقال من الرجل فقلت من بنى بكر فمن أنت قال من بنى بكر فقلت مرحبا فاضطجع ثم رفع عقيرته فقال

ولست بمسلم مادمت حيا
ولست أدين دين المسلمينا

فقلت فى نفسى ستعلم ثم أمهلته حتى إذا نام أخذت قوسى فجعلت سيتها فى عينه الصحيحة والسية بكسر المهملة وفتح التحتية ماعطف من طرفها ثم تحاملت عليه حتى بلغت العظم ثم خرجت حتى جئت العرج ثم سلكت حتى إذا هبطت النقيع إذا رجلان من قريش كانت قريش بعثتها عينا الى المدينة فقلت استأسرا فأبيا فرميت أحدهما بسهم واستأسر الآخر فأوثقته رباطا وقدمت به المدينة وقدم أنه صلى الله عليه وسلم بعث الزبير والمقداد لانزال خبيب فأنزلاه وخافا الطلب فالقياه فابتلعته الأرض ويمكن أن عمرو بن أمية التقى معهما حين إرسالهما لانزال خبيب وكان هو راجعا من مكة فشاركهما فى إنزال خبيب فصح نسبة ذلك الى كل منهم والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ قصة الحديبية ويقال غزوة الحديبية ﴾ بتخفيف الياء وتشديدها وهى بئر يسمى المكان باسمها وقيل شجرة وقيل قرية أكثرها فى الحرم على تسعة اميال من مكة وسببها ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى فى منامه انه دخل البيت هو وأصحابه آمنين محلقين رؤسهم

---

عليه الصلاة والسلام على ناقة حمراء عليه جبة صوف مارا بهذا الوادى ملبيا وقد جاء فى موسى عليه السلام أنه كان على بعير وفى رواية على ثور ولا منافاة لجواز أن يكون تكرر حجه أو ركب البعير مرة والثور أخرى ولا يخفى أن رزق الشهداء يصدق على الجماع لأنه مما يتلذذ به كالأكل والشرب ثم رأيت سيدى أبا المواهب الشاذلى رحمه الله ونفعنا ببركاته قال فى كتابه المسمى بعنوان أهل السر المصون فى كشف عورات أهل المجون وأخبر سبحانه عن الشهداء أنهم أحياء عند ربهم يرزقون وحمله أهل العلم على الحقيقة أنهم يأكلون ويشربون وينكحون حقيقة وقائل غير هذا أى أن الأكل والشرب والنكاح عبارة عن لذة تحصل لهم كاللذة الناشئة عن الأكل والشرب والنكاح صرف الآية عن ظاهرها من غير ضرورة تلجىء الى ذلك ثم قاس الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على الشهداء فى ذلك لما تقدم من أنهم أجل وأعظم وما من نبى إلا وقد جمع بين النبوة والشهادة وقد علمت جواب من منع القياس ثم رأيت عن افتاء شيخنا الشمس الرملى الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم والشهداء رضى الله عنهم يأكلون فى قبورهم ويشربون ويصلون ويصومون ويحجون ووقع الخلاف هل ينكحون فقيل نعم وقيل لا وأنهم يثابون على صلاتهم وصومهم وحجهم ولا تكليف عليهم فى ذلك لانقطاع التكليف بالموت بل من قبيل التكرمة ورفع الدرجات هذا كلامه ولعل مستنده فى إثبات ماعدا الصلاة والحج للأنبياء قياسهم على الشهداء وقد علمت مافيه وإثبات الخلاف الذى ذكره شيخنا فى نكاح الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا أدرى هل هو خلاف أهل عصره أو من تقدمهم على أن إثبات النكاح للأنبياء عليهم الصلاة والسلام ربما يبعده ماذكروه فى حكمة قوله صلى الله عليه وسلم حبب الى من دنياكم النساء والطيب حيث لم يقل من دنياى ولا من الدنيا فانه أشار بهذه الاضافة الى أن النساء والطيب من دنيا الناس لانهم يقصدونهما للاستلذاذ وحظوظ النفس وهو عليه الصلاة والسلام منزه عن ذلك وإنما حبب اليه النساء لينقلن عنه محاسنه ومعجزاته الباطنة والاحكام السرية التى لا يطلع عليها غالبا غيرهن وغير ذلك من الفوائد الدينية وحبب اليه الطيب لملاقاته للملائكة لأنهم يحبونه ويكرهون الريح الخبيث لأن حقيقة الاكرام أن يحصل له فى البرزخ ما كان يلتذ به فى الدنيا ليكون حاله فيه كحاله فى الدنيا وفيه أن الحكمة المذكورة لا تناسب قوله صلى الله عليه وسلم فضلت على الناس بأربع وعد منها كثرة الجماع وهم كغيرهم فى هذا التعلق متفاوتون بحسب مقاماتهم وأنه يعبر عن قوة هذا التعلق بعود الحياة ومنه ماذكر عن قتادة وتعود الزوج ومنه قول بعضهم أرواح الانبياء والشهداء بعد خروجها من أجسادها تعود الى تلك الاجسام فى القبر وأذن لهم فى الخروج من قبورهم والتصرف فى الملكوت العلوى والسفلى ومن ثم قال ابن العربى رحمه الله تعالى رؤية المصطفى عليه الصلاة والسلام بصفته العلوية إدراك له على الحقيقة وعلى غير صفته العلوية إدراك للمثال ويعبر عنه بردها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم مامن أحد يسلم على إلا رد الله تعالى على روحى حتى أرد عليه السلام أى إلا قوى تعلق روحى وذلك إكراما لهذا المسلم حيث لا يرد عليه سلامه الا وقد قوى تعلق روحه الشريفة بجسده

ومقصرين فخرج صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين هلال ذى القعدة سنة ست من الهجرة يريد العمرة ولا يريد قتالا واستنفر العرب من البوادى ومن حوله من الاعراب ليخرجوا معه وهو يخشى من قريش أن يتعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت فأبطأ عليه كثير من الاعراب فخرج بمن معه من المهاجرين والانصار ومن لحق من العرب وساق معه الهدى واحرم بالعمرة ليأمن الناس حربه وليعلموا انه انما خرج زائرا للبيت ومعظما له وأخرج معه زوجته أم سلمة رضى الله عنها واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضى الله عنه وقيل أبو رهم كلثوم ابن الحصين وقيل استعملهما معا وجملة أصحابه الذين كانوا معه ألف وأربعمائة وقيل ألف وخمسمائة وقيل ألف وثلثمائة والجمع بين هذا الاختلاف انهم كانوا أكثر من ألف وأربعمائة فمن قال ألف وخمسمائة جبر الكسر ومن قال وأربعمائة ألغاه وأما رواية ألف وثلثمائة فرواها عبد الله بن أبى أوفى رضى الله عنه فيمكن حملها على ما اطلع عليه هو واطلع غيره على زيادة مائتين وزيادة الثقة مقبولة أو ان الالف والثلثمائة هم الذين خرجوا من المدينة ابتداء ثم تلاحقوا أو أن الزيادة من الاتباع والخدم والنساء والصبيان الذين لم يبلغوا الحلم ولم يخرج صلى الله عليه وسلم معه بسلاح الا سلاح المسافر السيوف فى القرب فلما كان بذى الحليفة قلد الهدى وأحرم منها بعمرة وبعث عينا أى جاسوسا له من خزاعة وسار النبى صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بغدير الاشطاط أتاه جاسوسه فقال ان قريشا جمعوا لك جموعا وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ومانعوك من الدخول الى مكة وفى رواية انه لقيه بعسفان فقال هذه قريش قد سمعوا بمسيرك فخرجوا ومعهم العوذ المطافيل قد تلبسوا جلود النمر وقد نزلوا بذى طوى يعاهدون الله أن لا تدخلها عليهم عنوة أبدا والعوذ جمع عائذ وهى الناقة ذات اللبن والمطافيل الامهات

بجسده الشريف والروح بناء على انها غير عرض مع كونها فى مقامها لها تعلق بجسدها وبما يبقى منه كما تقدم كالشمس فى السماء الرابعة ولها تعلق بالأرض وربما عبر عن ضعف هذا التعلق بصعودها وطلوعها وبناء على انها عرض تزول ويعود مثلها وقد أوضحت ذلك فى النفحة العلوية فى الأجوبة الحلبية عن الأسئلة القروية وهى أسئلة سئلت عنها من بعض أهل القرى المصرية وذكرت ان هذا أولى مما أطال به الجلال السيوطى من الاجوبة مع ما فيها مما لا يخفى ورأيت فى حديث عن عمار بن ياسر رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان لله ملكا أعطاه سمع العباد كلهم وانه ما من أحد يصلى على صلاة الا بلغنيها وانى سألت ربى عز وجل أن لا يصلى على أحد صلاة الا صلى الله عليه بها عشرة أمثالها وذكر الحافظ الذهبى ان راوى هذا الحديث تفرد به متنا واسنادا والله أعلم وعن عائشة رضى الله تعالى عنها انها أنكرت قوله صلى الله عليه وسلم لقد سمعوا ما قلت وقالت انما قال لقد علموا أن الذى كنت أقول حق وقالت انما أراد النبى صلى الله عليه وسلم أى بقوله فى حق أهل القليب ما أنتم بأسمع منهم انهم الآن ليعلمون ان الذى أقول لهم هو الحق أى لأنهم يسمعون ما أقول بحاسة سمعهم التى كانت موجودة فى الدنيا ثم قرأت أى محتجة على ذلك قوله تعالى انك لا تسمع الموتى الآية وبقوله وما أنت بمسمع من فى القبور ويجاب بانه لا مانع من ابقاء السمع هنا على حقيقته لانه اذا قوى تعلق أرواح هؤلاء الكفار باجسادهم بحيث صاروا أحياء كحياتهم فى الدنيا للغرض المذكور لا مانع من سماعهم بحاسة سمعهم لبقاء محل تلك الحاسة منهم كما أن الجسد بذلك التعلق يقوى على الجلوس للسؤال فى القبر والسماع المنفى فى الآيتين بمعنى السماع النافع وقد أشار الى ذلك الجلال السيوطى رحمه الله بقوله نظما

سماع موتى كلام الخلق قاطبة * جاءت به عندنا الآثار فى الكتب
وآية النفى معناها سماع هدى * لا يقبلون ولا يصغون للأدب

لانه تعالى شبه الكفار الاحياء بالاموات فى القبور فى انهم لا ينتفعون بالدعاء الى الاسلام النافع ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة رضى الله عنه بشيرا لاهل العالية أى وهى محل قريب من المدينة على عدة أميال وزيد بن حارثة بشيرا لاهل السافلة بها راكبا ناقته القصوى وقيل العضباء بما فتح الله على رسوله صلى الله عليه وسلم والمسلمين فجعل عبد الله بن رواحة ينادى فى أهل العالية يا معشر الأنصار أبشروا بسلامة رسول الله ﷺ وقتل المشركين وأسرهم ونادى زيد بن حارثة فى أهل السافلة بمثل ذلك أى ويقولان قتل فلان وفلان أى وأسر فلان وفلان من أشراف قريش وصار عدو الله كعب بن الأشرف يكذبهما ويقول ان كان محمد قتل هؤلاء القوم فبطن الأرض خير من ظهرها قال أسامة بن زيد رضى الله عنهما فاتانا الخبر حين سوينا التراب على رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أى ولما عزى فيها رسول الله ﷺ قال الحمد لله دفن البنات من المكرمات وفى رواية من المكرمات دفن البنات ويعجبنى قول الباخرزى رحمه الله تعالى

التي معها أطفالها والمراد انهم خرجوا بما ذكر لارادة طول المقام وعدم الفرار وفى رواية قال له انى لا طوف بالبيت فى ليلة كذا وكذا
وقريش فى أنديتها إذ صرخ صارخ من أعلى جبل أبى قبيس بصوت أسمع أهل مكة يقول هبوا لصاحبكم مثلى صحابته * سيروا
اليه وكونوا معشرا كراما بعد الطواف و بعد السعى فى مهل * وان يحوزهم من مكة الحرما شاهت وجوههم من معشر
ثكل * لا ينصرون إذا ما حاربوا صنما (١٩٤) فارتجت مكة وتعاقدوا على أن لا ندخل عليهم عامهم هذا فقال صلى
الله عليه وسلم هذا الهاتف
سلفع شيطان الاصنام
يوشك ان يقتله الله ان
شاء الله فبينما هم كذلك
إذ سمعوا من أعلى الجبل
صوتا يقول
شاهت وجوه رجال
خالفوا صنما
وخاب سعيهم ما اقصر
الهمما
انى قتلت عدو الله سلفعة
شيطان أصنامهم سحقا
لمن ظلما
وقد أتاهم رسول الله فى نفر
وكلهم محرم لا يسفكون دما
فقال صلى الله عليه وسلم
أشيروا على أيها الناس
أترون أن أميل إلى عيال
هؤلاء الكفار الذين
يريدون أن يصدون عن
البيت وذراريهم فان
يأتونا كان الله عز وجل
قد قطع عينا من المشركين
والا تركناهم محروبين
وفى رواية أترون ان نميل
ذرارى هؤلاء الذين
أعانوهم فنصيبهم فان
قعدوا قعدوا موتورين
محروبين وان يجيئوا
تكن عنقا قطعها الله أم
ترون ان نؤم البيت فمن صدنا عنه قاتلناه فقال أبو بكر رضى الله عنه الله ورسوله اعلم يارسول الله انهم
خرجت عامدا لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرب أحد فتوجه للبيت فمن صدنا عنه قاتلناه فقال امضوا على اسم الله ويروى ان
المقداد بن الأسود رضى الله عنه قال نحو مقالته يوم بدر بعد كلام أبى بكر قال والله يارسول الله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لنبيها
اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فقال ﷺ فسيروا على

القبر أخفى سترة للبنات * ودفنها يروى من المكرمات
أما رأيت الله عز اسمه * قد وضع النعش بجنب البنات

وجاء عثمان رضى الله عنه من رقية هذه بولد يقال له عبد الله فاكتنى به وكان قبل ذلك يكنى أبا عمرو
وتزوج بعدها أختها أم كلثوم بوحى فقد روى انه صلى الله عليه وسلم رأى عثمان بن عفان مهموما بعد
موت رقية رضى الله عنها فقال له مالى أراك لهفانا مهموما فقال له يارسول الله وهل دخل على أحد
ما دخل على انقطع الصهر بينى وبينك فبينما هو يحاوره إذ قال صلى الله عليه وسلم هذا جبريل عليه
السلام يأمرنى عن الله عز وجل ان أزوجك أختها أم كلثوم على مثل صداقها وعلى مثل عشرتها فزوجه
إياها ولما تزوجها دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا بنية أين أبو عمرو قالت خرج لبعض
حاجاته قال كيف رأيت بعلك قالت يا أبت خير بعل وأفضله فقال يا بنية كيف لا يكون كذلك وهو
أشبه الناس بجدك ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه وأبيك محمد وجاء عثمان من أشبه أصحابى بى خلقا
وجاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى جبريل عليه السلام
ان أردت أن تنظر من أهل الأرض شبيه يوسف الصديق فانظر إلى عثمان بن عفان ولتزوجه بنتى
رسول الله ﷺ قيل له ذو النورين ولم يجمع أحد منذ آدم إلى اليوم بين بنتى نبى غيره رضى
الله عنه ومن ثم لما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا عنه قال ذاك امرؤ يدعى فى الملأ الأعلى
ذا النورين ولما ماتت أم كلثوم تحته وذلك سنة تسع قال ﷺ زوجوا عثمان لو كان
لى ثالثة لزوجته إياها وما زوجته الا بوحى من الله وجاء انه ﷺ قال له لو أن لى أربعين
بنتا زوجتك واحدة بعد واحدة حتى لا يبقى منهن واحدة وأم عثمان بنت عمته صلى الله عليه وسلم
أروى بنت عبد المطلب توأمة عبد الله أبى النبى ﷺ قال وقال رجل من المنافقين لابى
لبابة رضى الله عنه قد تفرق أصحابكم تفرقا لا يجتمعون بعده أبدا قد قتل محمد وغالب أصحابه وهذه
ناقته عليها زيد بن حارثة لا يدرى ما يقول من الرعب قال أسامة فجئت حتى خلوت بأبى لبابة وسألته
عما أسر له الرجل فاخبرنى بما أخبره به فقلت أحق ما تقول قال أى والله حق ما أقول يا بنى فقويت
نفسى ورجعت إلى ذلك المنافق فقلت أنت المرجف برسول الله ﷺ لنقدمنك إلى
رسول الله ﷺ إذا قدم فيضرب عنقك فقال انما هو شىء سمعته من الناس يقولونه انتهى
أى وهذا كان قبل أن يجتمع أسامة بابيه زيد بن حارثة ثم أقبل رسول الله ﷺ راجعا إلى
المدينة فلما خرج من مضيق الصفراء قسم النفل أى الغنيمة وكانت مائة وخمسين من الابل وعشرة
أفراس ومتاعا وسلاحا وأنطاعا وثيابا وأدما كثيرا حمله المشركون للتجارة ونادى منادى رسول الله
ﷺ من قتل قتيلا فله سلبه ومن أسر أسيرا فهو له أى كما تقدم ولعله تكرر ذلك منه صلى الله عليه وسلم
مرتين مرة للتحريض على القتال ومرة عند القسمة فالمقسوم ما بقى بعد اخراج السلب واخراج الأسرى
قسم على المسلمين بالسوية بعد الاختلاف فيه فادعى من قاتل العدو وصده أنهم أحق به وادعى من جمعه

اسم الله وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول مارأيت أحدا قط كان أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم امتثالا لقوله تعالى وشاورهم فى الأمر فساروا حتى اذا كانوا ببعض الطريق قال النبي صلى الله عليه وسلم ان خالد بن الوليد بالغميم موضع قريب من مكة فى خيل لقريش فيها مائتا فارس منهم عكرمة بن أبى جهل طليعة وهى مقدمة الجيش فخذوا ذات اليمين وفى رواية قال من رجل يخرج بنا على غير طريقهم التى هم بها فقال رجل من أسلم وهو حمزة بن عمرو الأسلمي انا يارسول الله فسلك بهم طريقا وعرا فخرجوا منه بعد أن شق عليهم وأفضوا الى طريق سهلة فقال لهم قولوا نستغفر الله ونتوب اليه فقالوا ذلك فقال والله انها للحطة التى عرضت على بنى اسرائيل فلم يقولوها وفى رواية فقال صلى الله عليه وسلم واسلكوا ذات اليمين بين ظهرى الحمض بفتح المهملة وسكون الميم وبالضاد المعجمة اسم موضع يخرج على مهبط الحديبية من أسفل مكة فسلك الجيش ذلك الطريق فلما رأت خيل قريش قترة الجيش قد خالفوا عن طريقهم ركضوا راجعين الى قريش وفى رواية فوالله ماشعر بهم خالد حتى اذا هم بقترة الجيش أى غباره كذا أطلقه بعضهم وقيده بعضهم بالغبار الأسود فانطلق يركض نذيرا لقريش وفى رواية ان خالد دنا فى خيله حتى نظر المصطفى صلى الله عليه وسلم والصحابة وصف خيله بينهم وبين القبلة فامر صلى الله عليه وسلم عباد بن بشر فتقدم فى خيله فقام بازائه فصف أصحابه وحانت صلاة الظهر فصلاها بهم صلى الله عليه وسلم فقال خالد قد كانوا على غرة لو حملنا عليهم أصبنا منهم ولكن ستأتى الساعة صلاة أخرى هى أحب اليهم من أنفسهم وأبنائهم فنزل جبريل بين الظهر والعصر بقوله تعالى واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك الآية فحانت صلاة العصر والعدو جهة القبلة فصلى بهم صلاة الخوف فرتب القوم صفين وصلى بهم فلما سجد

---

انهم أحق به وادعى من كان يحرس رسول الله ﷺ فى العريش ان غيرهم ليس باحق به منهم أى لان سعد بن معاذ رضى الله عنه قام على باب العريش الذى به ﷺ وأبو بكر رضى الله عنه فى نفر من الانصار وفى رواية عن عبادة بن الصامت ان جماعة خرجت فى أثر العدو عند انهزامه وجماعة أكبوا على جمع الغنيمة فجمعوها وجماعة عند انهزام العدو أحدقوا به ﷺ فى العريش خوفا أن يصيب العدو منه غرة ولعل هؤلاء كانوا زيادة عمن كان مع سعد بن معاذ على باب العريش فادعى من أكب على جمعها أنهم أحق بها وادعى من عداهم ان أولئك ليسوا باحق بها منهم أى وكون جماعة أحدقوا به ﷺ بعد انهزام العدو قد يقال لا ينافى ذلك ماتقدم عن ابن سعد انه لما انهزم المشركون دنا رسول الله ﷺ فى أثرهم بالسيف مصلتا يتلو هذه الآية سيهزم الجمع ويولون الدبر لجواز أن يكون ﷺ خرج فى أثرهم برهة من الزمان ثم عاد الى العريش فاحدق به هؤلاء مع من تقدم فانزل الله تعالى سورة الأنفال يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فالنفل قد يطلق على الغنيمة كما هنا كما أشرنا اليه وسماها الله تعالى أنفالا لأنها زيادة فى أموال المسلمين وكذا الفىء المذكور فى سورة الحشر التى نزلت فى غزوة بنى النضير يطلق على الغنيمة ويسمى فيئا لان الله تعالى أفاءه على المؤمنين أى رده عليهم من الكفار فان الاصل ان الله تعالى انما خلق الاموال اعانة على عبادته لأنه انما خلق الخلق لعبادته فقد رد اليهم ما يستحقونه كما يعاد ويرد على الرجل ماغصب من ميراثه وان لم يقبضه قبل ذلك ومنه قول بعضهم كان أهل الفىء بمعزل عن أهل الصدقة وأهل الصدقة بمعزل عن أهل الفىء كان يعطى من الصدقة اليتيم والمسكين والضعيف فاذا احتلم اليتيم نقل الى الفىء أى الى الغنيمة وأخرج من الصدقة فنزعه الله من أيديهم فجعله الى رسول الله ﷺ أى يضعه حيث شاء فدلت الآية على أن الغنيمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ليس لاحد من المقابلة شىء منها ثم نسخت هذه الآية بقوله تعالى واعلموا أنما غنمتم من شىء فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والأربعة أخماس الباقية للمقاتلة أى فكان ذلك الخمس يخمس خمسة أخماس واحد له ﷺ يفعل فيه ماأحب والاربعة من ذلك الخمس لمن ذكر فى الآية والاربعة الاخماس الباقية تكون للمقاتلة وسيأتى فى سرية عبد الله بن جحش لنخلة انه ﷺ خمس العير الذى جاء به عبد الله كذلك فجعل خمس ذلك لله وأربعة أخماسه للجيش وقيل عبد الله هو الذى خمسها كذلك وأقره ﷺ على ذلك وهى أول غنيمة فى الاسلام وأول غنيمة خمست فكان تخميسها قبل نزول الآية لما علمت ان نزول تلك الآية كان بعد بدر فهى من الآيات التى تأخرت تلاوتها عن حكمها قال بعضهم وكان ابتداء تحليل الغنائم لهذه الأمة فى وقعة بدر كما ثبت فى الصحيحين وذلك فى قوله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا فاحل الغنيمة لهم (أقول) وفيه ان هذا قد يعين القول بانه ﷺ وقف غنائم نخلة حتى رجع من بدر ويضعف ماسبق من أنه ﷺ خمسها أو ان عبد الله هو الذى خمسها قبل بدر وأقره صلى

سجد معه صف وحرس صف فلما قام هو ومن سجد معه سجد من حرس ولحقوه وسجد معه فى الثانية من حرس وألا وحرس الآخرون فلما جلس سجد من حرس وتشهد بالصفين وسلم وهذه الكيفية تعرف بصلاة عسفان ثم سار النبى صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بالثنية التى تشرف على الحديبية وتهبط على قريش وتسمى ثنية المرار بكسر الميم وتخفيف الراء بركت ناقته القصواء فقال الناس حل حل وهى كلمة تقال للناقة اذا



تركت السير فتمادت على عدم القيام فقالوا خلأت القصواء خلأت القصواء أى حرنت وبركت من غير علة والخلاء بالمد للابل كالحران للخيل فقال النبى صلى الله عليه وسلم ماخلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل أى حبسها الله عن دخول مكة كما حبس الفيل عن دخولها ومناسبة ذلك التشبيه ان الصحابة لو دخلوا مكة على تلك الصورة وصدتهم قريش لوقع القتال المفضى الى سفك الدماء ونهب الأموال كما لو قدر دخول الفيل وأصحابه لكن سبق فى علم الله انهم لايدخلون الآن لأنه سيدخل فى الاسلام خلقا منهم ويستخرج من أصلابهم ناسا يسلمون ويجاهدون وكان بمكة جمع كثير مؤمنون من المستضعفين من الرجال والنساء والولدان فلو طرق الصحابة مكة لما أمن أن يصاب منهم ناس بغير عمد كما أشار اليه قوله تعالى ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم وجواب لو محذوف أى لأذن لكم فى الدخول والقتال وانما منعكم من الدخول والقتال ليدخل الله فى رحمته من يشاء أى من الكفار الذين سبقت لهم السعادة لو تزيلوا أى لو تميز الكفار من المؤمنين المستضعفين لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما ثم قال صلى الله عليه وسلم عقب قوله حبسها حابس الفيل والذى نفسى بيده لايسألونى خطة فيها تعظيم حرمات الله أى من ترك القتال فى الحرم والجنوح الى السلم والكف عن اراقة الدماء وفى

عليه

---

الله عليه وسلم على ذلك وقد علمت ان ما أصابه من بدر قسمه بين المسلمين سواء أى لم يتميز فيه أحد عن أحد الراجل مع الراجل والفارس مع الفارس سواء وفيه تفضيل الفارس على الراجل فى ذلك اليوم وسيأتى التصريح بذلك وهذا يؤيد القول بان الجيش كان فيه خمسة افراس أو فرسان دون القول بانه لم يكن فيه إلا فرس واحد على ماتقدم حتى هو ﷺ كان سهمه كسهم واحد منهم أى كفارس منهم بناء على ماتقدم انه ﷺ كان له فرسان الا ما اصطفاه وهو سيفه ذو الفقار كما سيأتى وحينئذ يكون قول سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه يارسول الله أتعطى فارس القوم الذى يغيظهم مثل ماتعطى الضعيف أراد بالفارس فيه القوى ففى مسند الامام أحمد قال سعد بن أبى وقاص قلت يارسول الله الرجل يكون حاجته للقوم يكون سهمه وسهم غيره سواء فقال رسول الله ﷺ ثكلتك أمك وهل تنصرون الا بضعفائكم وما فى مسند الامام أحمد يدل على ان مراد سعد بالفارس القوى لمقابلته فى هذه الرواية بالضعيف فلا ينافى انه أعطى الفارس لفرسه سهمين وله سهم كالراجل وقد أسهم لمن لم يحضر كمن أمره ﷺ بالتخلف لعذر منعه من الحضور كعثمان بن عفان رضى الله عنه فانه ﷺ خلفه لاجل مرض زوجته رقية بنت النبى صلى الله عليه وسلم كما تقدم أولما كان به رضى الله عنه من الجدرى على ماتقدم ولهذا عد من البدريين وأبى لبابة لأنه ﷺ خلفه على أهل المدينة وعاصم بن عدى فانه خلفه على أهل قباء والعالية ولمن أرسله لكشف أمر العدو يتجسس خبره فلم يجىء الاوقد انقضى القتال وهما طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد كما تقدم والحرث بن حاطب أمره بامر فى بنى عمرو بن عوف وخوات بن جبير والحرث بن الصمة لان كلا منهما كسر بالروحاء كما تقدم وبهذا يظهر التوقف فى قول الجلال السيوطى فى الخصائص الصغرى وضرب لعثمان رضى الله عنه يوم بدر بسهم ولم يضرب لأحد غاب غيره رواه أبو داود عن ابن عمر قال الخطابى هذا خاص بعثمان لانه كان يمرض ابنة رسول الله ﷺ هذا كلامه وأسهم صلى الله عليه وسلم لأربعة عشر رجلا قتلوا ببدر ولعلهم ماتوا بعد انقضاء الحرب فلا يشكل على ماقاله فقهاؤنا ان من مات قبل انقضاء الحرب لاحق له وتنفل ﷺ زيادة على سهمه سيفه ذا الفقار أى وكان لمنبه ابن الحجاج أى وقيل لابنه العاص قتل أيضا يوم بدر وقيل كان لعمه نبيه وفى كلام أبى العباس بن تيمية انه كان لأبى جهل أى ويمكن أن يكون ذلك السيف كان فى الاصل لأبى جهل ثم أعطاه لمنبه بن الحجاج أو لغيره ممن ذكر لايقال أو بالعكس لان سيف أبى جهل أخذه ابن مسعود كما تقدم فلا مخالفة وتنفل أيضا ﷺ جمل أبى جهل وكان مهريا ولم يزل يغزو عليه حتى ساقه فى هدى الحديبية كما سيأتى وهذا الذى كان يأخذه زيادة على سهمه أى قبل قسمة الغنيمة اذا كان صلى الله عليه وسلم مع الجيش يقال له الصفى والصفية عبدا أو أمة أو دابة أو سيفا أو درعا لكن فى الامتاع عن محمد بن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم صفى من المغنم حضر أو غاب قال بعضهم وهو محسوب من سهمه صلى الله عليه وسلم وقيل يكون زائدا

رواية لايدعونى قريش اليوم إلى خطة يسألونى فيها صلة الرحم وهى من حرمات الله الأأعطيتهم اياها أى أجبتهم اليها وان كان فيها تحمل المشقة ثم زجر الناقة فوثبت فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية ثم قال للناس انزلوا فقالوا يارسول الله مابالوادى ماء ننزل عليه وكان فيه حفرة فيها ماء قليل يأخذونه قليلا قليلا فأخذوه حتى نزحوه وشكوا اليه العطش فانتزع سهما من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه فنزل ناجية بن الاعجم وقيل ناجية بن جندب وقيل عبادة بن خالد



أو خالد بن عبادة وقيل البراء بن عازب رضى الله عنه فوضعه فى البئر ويمكن أن الجميع تعاونوا فى ذلك قال فوالله مازال يجيش أى يفور الماء حتى صدوا عنه أى رجعوا رواء بعد ورودهم وفى رواية فما زال الماء يجيش حتى اغترفوا بآنيتهم جلوسا على شفير البئر وفى البخارى عن البراء بن عازب رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم جلس على البئر ثم دعا باناء فمضمض ودعا ثم صبه فيها ثم قال دعوها ساعة فارووا أنفسهم وركابهم حتى ارتحلوا وعند غير البخارى توضأ فى الدلو ثم أفرغه فيها وانتزع السهم فوضعه فيها ويمكن الجمع بانه فعل ذلك كله وفى حديث جابر عند البخارى ومسلم قال عطش الناس يوم الحديبية و بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ركوة يتوضأ منها فاقبل الناس نحوه فقال مالكم قالوا يارسول الله ليس عندنا ماتتوضأ به ولانشرب إلامافى ركوتك فوضع يده فى الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا وجمع ابن حبان بينهما بان ذلك وقع فى وقتين وكان قصة الركوة قبل قصة البئر وقد أخرج الامام أحمد عن جابر رضى الله عنه القصة وفيها فجاء رجل بأداوة فيها شىء من ماء ليس فى القوم ماء غيره فصبه ﷺ فى قدح ثم توضأ فأحسن الوضوء ثم انصرف وترك القدح وتزاحم الناس عليه فقال على رسلكم فوضع كفه فى القدح ثم قال اسبغوا الوضوء قال فلقد رأيت العيون عيون الماء تخرج من بين

---

عليه إلا أن يقال ذاك الذى وقع فيه الخلاف كان بعد نزول آية التخميس وهذا كان قبل ذلك فلا يخالف ماسبق ان ما أخذه قبل القسمة كان زائدا على سهمه المساوى لسهام القوم أى وكان فى الجاهلية يقال للذى يأخذه الرئيس إذا غزا بالجيش المرباع وهو ربع الغنيمة ولم يسمع مرباع إلا فى الربع دون غيره من الخمس ومابعده والصفايا أشياء كان يصطفيها الرئيس لنفسه من خيار مايغنم والنشيطة ماأصابه الجيش فى طريقه قبل أن يصل الى مقصده وكان للرئيس النقيعة أيضا وهو بعير ينحره قبل القسمة فيطعمه الناس كذا فى شرح الحماسة للتبريزى قال وقد سقط فى الاسلام النقيعة والنشيطة وأمر صلى الله عليه وسلم عليا كرم الله وجهه فقتل النضر بن الحرث بالصفراء أى وفى الامتاع أنه ﷺ نظر إلى النضر وهو أسير فقال النضر للسير الذى بجانبه محمد والله قاتلى فانه نظر إلى بعينين فيهما الموت فقال له والله ماهذا منك الارعب وقال النضر لمصعب بن عمير رضى الله عنه يامصعب أنت أقرب من هذا إلى رحما فكلم صاحبك أن يجعلنى كرجل من أصحابى يعنى المأسورين هو والله قاتلى فقال مصعب انك كنت تقول فى كتاب الله كذا وكذا وتقول فى نبيه صلى الله عليه وسلم كذا وكذا وكنت تعذب أصحابه وفى أسباب النزول للسيوطى وأقره وكان المقداد رضى الله عنه أسر النضر فلما أمر ﷺ بقتله قال المقداد يارسول الله أسيرى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول فى كتاب الله مايقول ورثته أخته وقيل بنته رضى الله تعالى عنها فانها أسلمت بعد ذلك يوم الفتح فقالت من أبيات * أمحمد ياخير ضنء كريمة * والذى رأيته فى الحماسة

أمحمد ولأنت ضنء نجيبة * فى قومها والفحل فحل معرق

أى له عرق فى الكرم والضنء الولد

ما كان ضرك لومننت وربما * من الفتى وهو المغيظ المحنق

وحين سمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى حتى أخضل أى بل لحيته وقال لو بلغنى هذا الشعر قبل قتله لمننت عليه أى لقبول شفاعتها عندى بهذا الشعر وليس معناه الندم لانه صلى الله عليه وسلم لا يفعل إلا حقا أى وكان للنضر هذا أخ يقال له النضير بالتصغير وكان أسن المهاجرين وقيل كان من مسلمة الفتح وربما يدل له انه ﷺ أمر له بمائة بعير من غنائم حنين فجاءه شخص يبشره بذلك فقال لا آخذها فانى أحسب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعطنى ذلك إلا تألفا على الاسلام وما أريد أن أرتشى على الاسلام فقيل له انها عطية رسول الله ﷺ فقبلها وأعطى المبشر منها عشرة أبعرة ثم قتل صلى الله عليه وسلم عقبة بن أبى معيط بعرق الظبية بضم الظاء المعجمة وهى شجرة يستظل بها قال وحين قدم للقتل من للصبية يامحمد قال النار وجاء عن ابن عباس رضى الله عنهما أن عقبة لما قدم للقتل نادى يامعشر قريش مالى أقتل من بينكم صبرا فقال له النبى صلى الله عليه وسلم بكفرك وافترائك على رسول الله ﷺ أى وفى لفظ ببزاقك فى وجهى أى فان عقبة كان يكثر مجالسته صلى الله عليه وسلم واتخذ ضيافة فدعا اليها رسول الله صلى الله عليه

أصابعه واختلاف ألفاظ حديث جابر لعله كان من تصرف الرواة ووقع في بعض الروايات انهم توضؤا وشربوا وسقوا دوابهم وملؤا
قربهم فقيل كم كنتم قال لو كنا مائة ألف لكفانا كنا ألفا وأربعمائة وفي حديث زيد بن خالد رضي الله عنه انهم أصابهم مطر بالحديبية
فكان ذلك وقع بعد القصتين المذكورتين والله أعلم وفي هذا معجزات ظاهرة وفيه بركة سلاحه وما ينسب اليه صلى الله عليه وسلم
فبينماهم كذلك إذ جاءهم بديل بن ورقاء بن عمرو بن ربيعة الخزاعي في نفر من قومه خزاعة وكان ذلك قبل اسلامه
فانه أسلم عام الفتح رضي الله عنه وكانت خزاعة عيبة نصح للنبي صلى الله عليه سلم وتقدم أن بني هاشم في الجاهلية كانوا تحالفوا مع خزاعة فاستمر ذلك في الاسلام فقال بديل للنبي صلى الله عليه وسلم غورت أي أبعدت عن المدينة ولا سلاح معك فقال لم نجيء لقتال فتكلم أبو بكر رضي الله عنه فقال له بديل أنا لا آتيهم ولا قومي ثم قال اني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي أعداد مياه الحديبية ومعهم العوذ المطافيل والعوذ جمع عائذ وهي الناقة ذات اللبن والمطافيل الامهات التي معها أطفالها يريد انهم خرجوا معهم بذوات الالبان من الابل ليتزودوا بالبانها ولا يرجعوا حتى يمنعوه أو كنى بذلك عن النساء معهن الاطفال والمراد انهم خرجوا بنسائهم وأولادهم لارادة طول المقام ان دعا اليه الأمر ليكون ادعى إلى عدم
الفرار وخص كعب بن لؤي وعامر بن لؤي لرجوع انساب قريش الذين بمكة أجمع اليهما وبقي من قريش
بنو سامة بن لؤي وبنو عوف بن لؤي وهم قريش البطاح ولم يكن بمكة منهم أحد وكذلك قريش الظواهر الذين منهم بنو تيم بن غالب
ومحارب بن فهر وقوله أعداد مياه الحديبية قال الحافظ ابن حجر يشعر بانه كان بها مياه كثيرة وان قريشا سبقوا إلى النزول عليها فلهذا
عطش المسلمون وقد جاء التصريح بذلك عن عروة بن الزبير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مجيبا لبديل انا لم نجيء لقتال أحد

وسلم فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان
أبي بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبأت يا عقبة قال لا ولكن أبى أن يأكل من طعامي وهو في بيتي
فاستحييت منه فشهدت له الشهادة وليست في نفسي فقال وجهي من وجهك حرام ان لقيت محمدا
فلم تطأ قفاه وتبزق في وجهه وتلطم عينه فوجده صلى الله عليه وسلم ساجدا في دار الندوة ففعل به ذلك فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ألقاك خارج مكة الا علوت رأسك بالسيف كذا في الكشاف وفي
لفظ آخر بكفرك وفجورك وعتوك على الله ورسوله وأنزل الله فيه ويوم يعض الظالم على يديه الآية
وذكر ابن قتيبة انه صلى الله عليه وسلم لما أمر بقتل عقبة أي وقد قال يا معشر قريش مالي أقتل من بينكم أي
وأنا واحد منكم قال له يا محمد ناشدتك الله والرحم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل أنت
إلا يهودي من أهل صفورية وفي رواية قال له انما أنت يهودي من أهل صفورية أي فليس هو من
قريش أي لا رحم بيني وبينك أي لان أمية جد أبيه خرج إلى الشام لما نافر عمه هاشم كما تقدم فاقام
بصفورية ووقع على أمة يهودية ولها زوج يهودي من أهل صفورية فولدت له أبا عمرو الذي هو والد
أبي معيط على فراش اليهودي فاستلحقه بحكم الجاهلية ثم قدم به مكة وكناه بابي عمرو وسماه ذكوان
مع ان الولد للفراش وقيل كان عبد الأمية فتبناه فلما مات أمية خلفه على زوجته ويدل لهذا الثاني
ماذكره بعض المؤرخين ان معاوية رضي الله تعالى عنه سأل رجلا من علماء النسب وفد عليه كم عمرك
قال أربعون ومائتا سنة قال كيف رأيت الزمان فقال سنيات بلاء وسنيات رخاء يهلك والد ويخلف
مولود فلولا الهالك لامتلأت الدنيا ولولا المولود لم يبق أحد فقال له هل رأيت عبد المطلب قال نعم
أدركته شيخا وسيما متسما جسيما يحف به عشرة من بنيه كأنهم النجوم فقال له هل رأيت أمية بن عبد
شمس يعني جده قال نعم رأيته أخفش أزرق ذميما يقوده عبده ذكوان فقال ويحك كف فقد جاء غير
ماذكرت ذاك ابنه فقال أنتم تقولون ذلك والقاتل لعقبة عاصم بن ثابت وقيل علي رضي الله تعالى
عنهما أي وقيل صلب على الشجرة (أقول) قال محمد بن حبيب الهاشمي هو أول مصلوب في الاسلام
ورده ابن الجوزي بان أول من صلب في الاسلام خبيب بن عدي وقد يقال لا مخالفة لان المراد بالثاني
أول مصلوب من المسلمين وبالاول أول مصلوب من الكفار وذكر أن أول من استعمل الصلب فرعون
ولعل المراد به فرعون موسى بن عمران لا فرعون ابراهيم الخليل وهو أول الفراعنة ولا فرعون يوسف
ابن يعقوب وهو ثاني الفراعنة وفي قول ان فرعون يوسف هذا هو فرعون موسى بمعنى انه بقي إلى زمن
موسى عليه السلام وكان هلاكه على يده وفي كلام ابن قتيبة عن سعيد بن جبير ضم طعيمة بن عدي إلى
عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحرث أي لانه ممن قتل معهما صبرا وفيه نظر فقد تقدم أن القاتل له حمزة
رضي الله عنه في الحرب وسيأتي في أحد أن قتل حمزة كان بسبب قتله لطعيمة المذكور ثم سار
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قدم المدينة قبل الاسارى بيوم أي وروى عن ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم قال
لما قدمت إلى المدينة وكنت جائعا استقبلتني امرأة يهودية على رأسها جفنة فيها جدي مشوي فقالت

الحمد

لكنا جئنا معتمرين وان قريشا قد نهكتهم الحرب أي أضعفت قوتهم وأهزلتهم وأضعفت أموالهم وأضرت بهم فان شاؤا ماددتهم
أي جعلت بيني وبينهم مدة تترك الحرب فيها ويخلوا بيني وبين الناس من كفار العرب وغيرهم فان أظهر أي باظهار الله تعالى ديني
بحيث يدخله الناس ويتبعوني فيما جئت به فان شاؤا الدخول فيما دخل فيه الناس فعلوا والا أي وان لم أظهر فقد جمعوا بفتح الجيم
وشد الميم المضمومة يعني استراحوا من القتال وفي رواية فان ظهر الناس على فذلك الذي  يبغون وفي رواية وان لم يفعلوا قاتلوا
وبهم قوة وانما ردد الأمر
مع أنه جازم بان الله تعالى
سينصره ويظهره لوعد
الله تعالى له بذلك على
طريق التنزل مع الخصم
وفرض الأمر على مازعمه
ثم قال وان هم أبوا فوالذي
نفسي بيده لأقاتلنهم على
أمري هذا حتى تنفرد
سالفتي وهي صفحة العنق
كنى بذلك عن القتل أي
حتى أموت وأبقى منفرداً
في قبري وقيل المراد أنه
يقاتل حتى ينفرد وحده
في مقاتلتهم والمعنى ان لي
من القوة بالله والحول به
ما يقتضي مقاتلتهم عن
دينه لو انفردت فكيف
لا أقاتلهم عن دينه مع
كثرة المسلمين ونفاذ
بصائرهم في نصر دين
الله ولينفذن الله أمره
وفي هذا تصريح بما
كان عليه صلى الله عليه
وسلم من القوة والثبات
في تنفيذ حكم الله وتبليغ
أمره والندب الى صلة
الرحم والابقاء على من
كان من أهلها وبذل
النصيحة للقرابة فقال
بديل سأبلغهم ماتقول
فأذن له قال الزرقاني في شرح المواهب وفي هذا جواز استنصاح بعض المعاهدين وأهل الذمة اذا دلت القرائن على نصحهم وشهدت
التجربة بايثارهم أهل الاسلام على غيرهم ولو كانوا من أهل دينهم ويستفاد منه جواز استنصاح بعض ملوك العدو استظهاراً على
غيرهم ولا يعد ذلك من موالاة الكفار ولا من موادة أعداء الله بل من قبيل استخدامهم وتقليل شوكة جمعهم وانكاء بعضهم ببعض
ولا يلزم من ذلك جواز الاستعانة بالمشركين على الاطلاق اهـ وبديل بن ورقاء كان سيد قومه وأسلم يوم الفتح بمر الظهران وشهد حنينا

الحمد لله يا محمد الذي سلمك الله كنت نذرت لله ان قدمت المدينة سالماً لأذبحن هذا الجدي ولأشوينه
ولأحملنه اليك لتأكل منه فأنطق الله الجدي فقال يا محمد لا تأكلني فاني مسموم أي بخلاف ما وقع له
ﷺ في خيبر فانه لم يخبره الذراع بذلك الا بعد أكله منه كما سيأتي وسيأتي أنه سأل المرأة عن سبب
ذلك وهنا لم يسألها ولما قدم ﷺ المدينة أي قاربها خرج المسلمون للقائه وتهنئته بما
فتح الله عليه فتلاقوا معه بالروحاء أي وقال لهم سلمة بن سلامة بن وقش ما الذي تهنونا به فوالله ان
لقينا أي ما لقينا الا عجائز صلعاً كالبدن المعقولة فنحرناها فتبسم رسول الله ﷺ وقال أولئك
الملأ من قريش أي الاشراف والرؤساء وتلقته الولائد عند دخوله المدينة بالدفوف والولائد جمع
وليدة وهي الصبية والأمة وتلك الولائد يقلن

طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع * وجب الشكر علينا * ما دعا لله داع

وتلقاه أسيد بن الحضير فقال الحمد لله الذي أظفرك وأقر عينك ولما أقبلوا من بدر فقدوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فوقفوا فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه علي فقالوا يا رسول الله فقدناك
فقال ان أبا الحسن وجد مغصاً في بطنه فتخلفت عليه ثم لما قدمت الاسارى فرقهم بين الصحابة وقال
استوصوا بهم خيراً وكان أول من قدم مكة بمصاب قريش ابن عبد عمرو رضي الله تعالى عنه فانه أسلم بعد
ذلك فقال قتل عتبة وشيبة وأبو الحكم وأمية وفلان وفلان من أشراف قريش أي وأسر فلان وفلان
فقال صفوان بن أمية وكان يقال له سيد البطحاء وكان من أفصح قريش لساناً وكان جالساً في الحجر والله
ان يعقل أي ما يعقل هذا سلوه عني فسألوه أي قالوا ما فعل صفوان فقال هو ذاك الجالس في الحجر وقد
رأيت أباه وأخاه حين قتلا وعن عكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنهما قال قال أبو رافع مولى
رسول الله ﷺ كنت غلاماً للعباس بن عبد المطلب أي ثم وهبه العباس له صلى الله عليه وسلم
وسيأتي الكلام عليه في السرايا وكان العباس رضي الله تعالى عنه أسلم وأسلمت زوجته أي أم الفضل
قيل إنها أول امرأة أسلمت بعد خديجة كما تقدم وهي أم أولاده وهم عبد الله وعبيد الله وعبد الرحمن
والفضل وقثم ومعبد وأم حبيب قيل رآها صلى الله عليه وسلم وهي تدب بين يديه فقال ان بلغت وأنا حي
تزوجتها فقبض ﷺ قبل ان تبلغ قال ابن الجوزي فليس في الصحابيات من كنيتها أم
الفضل إلا زوج العباس قال أبو رافع وأسلمت أنا وكنا نكتم الاسلام أي لأن العباس كان يكره خلاف
قومه لأنه كان ذا مال كثير وأكثره متفرق فيهم أي وسيأتي الجواب عن كونه أسر وأخذ منه الفداء مع
كونه مسلماً وسيأتي أنه لم يظهر اسلامه إلا يوم الفتح فلما جاء الخبر عن مصاب قريش ببدر سرنا ذلك
فوالله اني لجالس إذ أقبل أبو لهب يجر رجليه بشر حتى جلس عندنا فبينا هو جالس اذ قدم أبو سفيان بن
الحرث وكان مع قريش في بدر فقال له أبو لهب هلم إلي عندك الخبر فقال والله ما هو الا ان لقينا القوم
فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاؤا ويأسروننا كيف شاؤا وايم الله ما لمت الناس لقينا رجال بيض
على خيل بلق بين السماء والأرض والله ما يقوم لها شيء قال أبو رافع فقلت والله تلك الملائكة فرفع أبو لهب

والطائف وتبرك وكان من كبار مسلمة بالفتح وقيل أسلم قبل الفتح وقال ابن منده وأبو نعيم أسلم قديما ولعله كان يكتم اسلامه والمشهور
هو الأول وخزاعة قبيلة من الازد ثم انطلق بديل مع من معه من قومه حتى أتى قريشا فقال ناس منهم هذا بديل وأصحابه وإنما يريدون
أن يستخبروكم فلا تسألوهم عن حرف واحد فرأى بديل أنهم لا يستخبرونه فقال إنا قد جئنا كم من عند هذا الرجل يعني النبي صلى الله
عليه وسلم وسمعناه يقول قولا  فان شئتم نعرضه عليكم فعلنا وفي رواية انا جئنا من عند محمد أتحبون أن نخبركم عنه فقال
سفهاؤهم لا حاجة لنا أن
تخبرنا عنه بشيء ولكن
أخبره عنا أنه لا يدخلها
علينا عامه هذا أبدا حتى
لا يبقى منا رجل واحد
وقال ذو الرأي منهم هات
ما سمعته يقول ولم يكن أبو
سفيان حاضرا هذه القضية
على الصحيح بل كان غائبا
في بعض تجاراته فمن ذكره
معهم فقد غلط وفي رواية
فأشار عليهم عروة بن مسعود
الثقفي بأن يسمعوا كلام
بديل فان أعجبهم قبلوه
وإلا تركوه فقال صفوان
ابن أمية والحرث بن هشام
أخبرونا بالذي رأيتم
وسمعتم قال سمعته يقول
كذا وكذا فحدثهم بما قال
النبي صلى الله عليه وسلم
فرجعوا إلى قريش فقالوا
انكم تعجلون على محمد أنه
لم يأت لقتال إنما جاء زائرا
لهذا البيت فقالوا وان
كان جاء لا يريد قتالا بل
جاء زائرا فوالله لا يدخلها
علينا عنوة أبدا ولا تتحدث
عنا العرب بذلك أبدا فقام
عروة بن مسعود الثقفي
وقد أسلم رضي الله عنه
عند منصرفه صلى الله عليه وسلم من الطائف وهو أحد الرجلين اللذين قال الله فيهما وقالوا لولا نزل هذا
القرآن على رجل من القريتين عظيم فأحدهما الوليد بن المغيرة كان بمكة ومات كافرا والثاني عروة بن مسعود الثقفي وكان بالطائف
فالقريتان مكة والطائف فقال لقريش يا قوم ألستم بالوالد أي مثل الوالد في الشفقة على ولده قالوا بلى قال أولست بالولد أي مثله في
النصح لوالده قالوا بلى بل جاء ان أم عروة سبيعة بنت عبد شمس بن عبد مناف فأراد أنهم ولدوه في الجملة قال فهل تتهموني قالوا الا ما أنت

يده فضرب وجهي ضربة شديدة وثاورته أي وأثبته أي قام كل الآخر فاحتملني وضرب بي الأرض
ثم برك على يضربني فقامت أم الفضل الى عمود وضربته به ضربة في رأسه أثرت شجة منكرة وقالت
استضعفته ان غاب سيده تعني العباس فقام موليا ذليلا فوالله ما عاش الا سبع ليال حتى رمى بالعدسة
أي ما عاش صحيحا قبل ان يرمى بالعدسة الا سبع ليال أي وهي بثرة تشبه العدسة من جنس الطاعون
فقتلته فلم يحفروا له حفيرة ولكن اسندوه الى الحائط وقذفوا عليه الحجارة خلف الحائط حتى واروه أي
لأن العدسة قرحة كانت العرب تتشاءم بها ويرون أنها تعدي أشد العدوى فلما أصابت أبا لهب تباعد
عنه بنوه وبقي بعد موته ثلاثة ايام لا تقرب جنازته ولا يحاول دفنه حتى انتن فلما خافوا السبة أي سب
الناس لهم في تركه فعلوا به ما ذكر وفي رواية حفروا له ثم دفعوه بعود في حفيرته وقذفوه بالحجارة من
بعيد حتى واروه وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها كانت إذا مرت بموضعه ذلك غطت وجهها (أقول)
قال في النور وهذا القبر الذي يرجم خارج باب شبيكة أي الآن ليس بقبر أبي لهب وإنما هو قبر رجلين
لطخا الكعبة بالعذرة وذلك في دولة بني العباس فان الناس أصبحوا وجدوا الكعبة ملطخة بالعذرة
فرصدوا للفاعل فمسكوهما بعد أيام فصلبا في ذلك الموضع فصارا يرجمان الى الآن والله أعلم فلما ظهر
الخبر ناحت قريش على قتلاهم أي شهرا وجز النساء شعورهن وكن يأتين بفرس الرجل أو راحلته
وتستر بالستور وينحن حولها ويخرجن الى الازقة ثم أشير عليهم ان لا تفعلوا فيبلغ محمدا وأصحابه
فيشمتوا بكم ولا تبكى قتلانا حتى نأخذ بثارهم وتواصوا على ذلك وكان الأسود بن زمعة بن عبد المطلب
أصيب له في بدر ثلاثة ولداه وولد ولده وكان يحب أن يبكي عليهم وكان قد ذهب بصره أي بدعوة النبي
ﷺ بذلك أي لأنه كما تقدم كان من المستهزئين بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه
إذا رآهم يقول قد جاءكم ملوك الأرض ومن يغلب على ملك كسرى وقيصر ويكلم رسول الله صلى الله
عليه وسلم بما يشق عليه فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعمى وتقدم ذلك وتقدم سبب
عماه وفي كلام بعضهم كان صلى الله عليه وسلم دعا على الأسود هذا بأن يعمي الله تعالى بصره ويثكل
ولده فاستجاب الله تعالى له سبق العمى الى بصره أولا ثم أصيب يوم بدر بمن نعاه من ولده أي وهو زمعة
وهو أحد الثلاثة الذين كان يقال لكل واحد منهم زاد الراكب كما تقدم وأخوه عقيل والحرث فانهما
قتلا كافرين ببدر فتمت اجابة الله تعالى لرسوله الله ﷺ فاذا به قد سمع صوت باكية بالليل
فقال لغلامه انظر هل أحل النحب أي البكاء هل بكت قريش على قتلاهم لعلي أبكي فان جوفي قد
احترق فلما رجع الغلام قال إنما هي امرأة تبكي على بعير لها أضلته فأنشد من أبيات

أتبكي أن يضل لها بعير * ويمنعها من النوم السهود
فلا تبكي على بكر ولكن * على بدر تقاصرت الجدود

والسهود بضم السين المهملة عدم النوم والبكر الفتي من الابل والجدود بضم الجيم جمع جد بفتحها
وهو الحظ والسعد وبعد هذين البيتين بيت آخر وهو

ألا

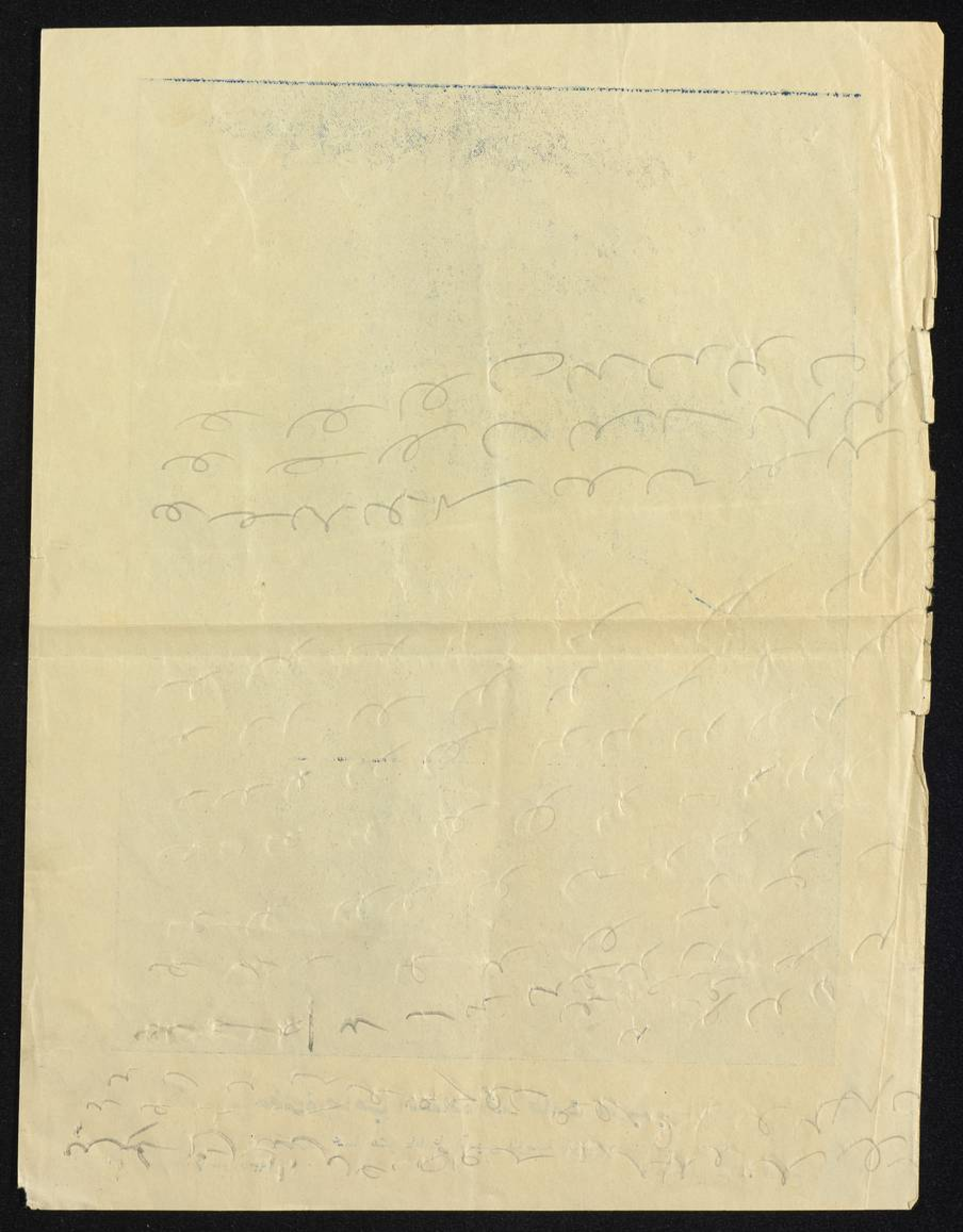


حضرة صاحب السعادة محمد طلعت حرب باشا

بمناسبة مرور خمسة عشر عاما على تأسيس المؤسسة القومية « بنك مصر »

٧ مايو ١٩٣٥

« هدية من جريدة الصباح »



عند نابتهم قال ألستم تعلمون أني استنفرت أهل عكاظ أي دعوتهم الى نصركم فلما امتنعوا من الاجابة جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني قالوا بلى قال فان هذا يعني النبي صلى الله عليه وسلم قد عرض عليكم خطة رشد أي خصلة خير وصلاح وانصاف اقبلوها ودعوني آتيه أي أجيء اليه قالوا ائته فأتى عروة بن مسعود النبي ﷺ فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم بنحو ما قال بديل بن ورقاء فقال له النبي صلى الله عليه وسلم نحوا من قوله لبديل السابق وأخبره أنه لم يأت يريد حربا  وعند قول النبي صلى الله عليه وسلم فان هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم قال عروة أي محمد أخبرني أن استأصلت قومك أي أهلكتهم بالكلية هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أي أهلك أصله قبلك وان تكن الاخرى أي وإن تكن الغلبة لقريش فاني والله لأرى وجوها أشوابا يعني أخلاطا من الناس خليقا أن يفروا عنك ويدعوك وفي رواية فكأني بهم لو لقيت قريشا قد أسلموك فتؤخذ أسيرا فأي شيء أشد عليك من هذا وإنما قال ذلك لأن العادة جرت أن الجيوش المجمعة لا يؤمن عليها الفرار بخلاف من كان من قبيلة واحدة فانهم يأنفون الفرار عادة ومادرى عروة أن مودة الاسلام أعظم من مودة القرابة وقد ظهر له ذلك بعد من مبالغة المسلمين في تعظيمه صلى الله عليه وسلم فلما قال عروة بن مسعود ماقاله وعرض بل صرح بنسبتهم للفرار قال له أبو بكر الصديق رضي الله عنه وكان قاعدا خلف النبي ﷺ أمصص بظر اللات أنحن نفر عنه والبظر هو الفرج وقيل قطعة بعد الختان في فرج المرأة واللات اسم صنم كانت تعبده ثقيف قال العلماء هذا مبالغة من أبي بكر رضي الله عنه في سب عروة فانه أقام معبود عروة وهو صنمه مقام امرأة تحقيرا لمعبوده وعادة العرب الشتم بذلك فقال عروة من هذا يا محمد واستفهم عنه لجلوسه خلف النبي صلى الله عليه وسلم فلا ينافي أنه يعرفه وله عليه يد كما سيقول فقال النبي صلى الله عليه وسلم



ألا قد ساد بعدهمو رجال * ولولا يوم بدر لم يسودوا

يعرض بأبي سفيان فانه رأس قريش قال وقد جاء في بعض الروايات اختلاف الصحابة فيما يفعل بالأسرى لما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ترون في هؤلاء الاسرى إن الله قد مكنكم منهم أي وقد يخالف هذا ما سبق من قوله ان من أسر أسيرا فهو له وقد يقال لا مخالفة لأن معنى كونه له أنه مخير فيه بين قتله وأخذ فدائه ولعله لا يخالف ما تقدم أنه صلى الله عليه وسلم لما أراد قتل النضر قال المقداد رضي الله عنه وكان أسره يارسول الله أسيري فقال له إنه كان يقول في كتاب الله ما يقول وفي رواية استشار ﷺ أبا بكر وعمر وعليا أي وفي رواية أبا بكر وعمر وعبد الله بن جحش فيما هو الأصلح من الامرين القتل وأخذ الفداء فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه يارسول الله أهلك وقومك وفي رواية هؤلاء بنو العم والعشيرة والاخوان قد أعطاك الله الظفر ونصرك عليهم أرى أن تستبقيهم وتأخذ الفداء منهم فيكون ما أخذنا منهم قوة لنا على الكفار وعسى الله أن يهديهم بك فيكونون لنا عضدا فقال رسول الله ﷺ ما تقول يا ابن الخطاب قال يارسول الله قد كذبوك وأخرجوك وقاتلوك ما أرى ما رأى أبو بكر ولكن أرى أن تمكنني من فلان قريب وفي لفظ نسيب عمر فاضرب عنقه وتمكن عليا من أخيه عقيل فيضرب عنقه وتمكن حمزة من فلان أخيه أي العباس رضي الله تعالى عنه فيضرب عنقه حتى يعلم أنه ليست في قلوبنا مودة للمشركين ما أرى أن تكون لك أسرى فاضرب أعناقهم هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم أي وقال ابن رواحة رضي الله عنه انظروا واديا كثير الحطب فاضرمه عليهم نارا فقال العباس رضي الله تعالى عنه وهو يسمع ثكلتك رحمك فدخل رسول الله ﷺ البيت أي ولم يرد عليهم فقال بعض الناس يأخذ بقول أبي بكر وقال بعض الناس يأخذ بقول ابن رواحة ولم يقل قائل يأخذ بقول عمر ثم خرج رسول الله ﷺ فقال إن الله ليلين قلوب أقوام فيه حتى تكون ألين من اللين إن الله ليشدن قلوب أقوام فيه حتى تكون أشد من الحجارة مثلك يا أبا بكر في الملائكة مثل ميكائيل ينزل بالرحمة لعله لا ينزل إلا بالرحمة فلا ينافي أن جبريل ينزل بالرحمة في بعض الاحايين كما تقدم قريبا ومن ثم جاء في الحديث أرأف أمتي بأمتي أبو بكر ومثلك في الانبياء مثل ابراهيم حيث يقول فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا أبا بكر مثل عيسى ابن مريم إذ قال إن تعذبهم فانهم عبادك وإن تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم قيل إن قوله فانك أنت العزيز الحكيم من مشكلات الفواصل إذ كان مقتضى الظاهر فانك أنت الغفور الرحيم ورد بأن العزيز الذي لا يغلبه احد ولا يغفر لمن استحق العذاب إلا من ليس فوقه أحد يرد عليه حكمه والحكيم هو الذي يضع الشيء في محله ومثلك يا عمر في الملائكة مثل جبريل نزل بالشدة والبأس والنقمة على أعداء الله تعالى أي أغلب أحواله ذلك فلا ينافي أنه ينزل بالرحمة في بعض الاوقات كما تقدم ومثلك في الانبياء مثل نوح عليه السلام إذ قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ومثلك في الانبياء مثل موسى عليه السلام إذ قال ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى

هذا أبو بكر بن أبي قحافة فقال عروة مخاطبا لأبي بكر أما والذي نفسي بيده وكانت عادة العرب الحلف بذلك لولا يد لك عندي لم أكافئك بها لأجبتك ولكن هذه بها أي جعلت عدم اجابتك عن شتمي جزاء ليدك التي كنت أحسنت الي بها قال الزهري إن اليد المذكورة هي أن عروة كان تحمل دية فاعانه فيها أبو بكر رضي الله عنه بعون حسن وفي رواية أعانه بعشر قلائص وكان غيره يعينه بالاثنين والثلاث وجعل عروة بن مسعود يكلم النبي (٢٠٢) ﷺ فكلما تكلم بكلمة أخذ بلحيته صلى الله عليه وسلم وكانت تلك عادة العرب وكان المغيرة ابن شعبة بن مسعود الثقفي وهو ابن أخي عروة بن مسعود قائما على رأس النبي صلى الله عليه وسلم ومعه السيف بقصد الحراسة وعليه المغفر قال عروة بن الزبير ان المغيرة لما رأى عروة بن مسعود ليس لأمته وجعل على راسه المغفر ليستخفى من من عمه عروة وقام على رأس النبي ﷺ قال الحافظ ابن حجر فقيه جواز القيام على رأس الأمير بالسيف لقصد الحراسة ونحوها من ترهيب العدو ولا يعارضه النهي عن القيام على رأس الجالس لأن محله ما إذا كان على وجه العظمة والكبر فكان المغيرة كلما أهوى عروة ابن مسعود بيده الى لحية النبي صلى الله عليه وسلم ضرب يده بنعل السيف وهو ما يكون أسفل القراب من فضة أو غيرها وفعل المغيرة ذلك إجلالا وتعظيما للنبي ﷺ وكان يقول لعروة أخر يدك عن لحية رسول الله ﷺ فانه لا ينبغي لمشرك أن يمسه فيقول عروة ما افظك واغلظك للانبياء وقد كانت عادة العرب ان يتناول الرجل لحية من يكلمه ولا سيما عند الملاطفة يريدون بذلك التحية والتواصل وفي الغالب إنما يصنع ذلك النظير بالنظير فربما رأى عروة لعظمته في قومه انه نظير للنبي ﷺ وما علم حينئذ انه لا نظير له فاللائق منعه فلذا كان المغيرة رضي الله عنه يمنعه لكن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغضي اي يتغافل و يسكت لعروة فلا يؤاخذه بفعله ولا يمنعه استمالة

يروا العذاب الاليم قال الجلال السيوطي رحمه الله في الخصائص الصغرى ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم ان من أصحابه من يشبه بجبريل و بابراهيم و بنوح و بموسى و بعيسى و بيوسف و بلقمان الحكيم و بصاحب يس هذا كلامه وقد علمت أن أبا بكر رضي الله عنه شبه بميكائيل ولم يذكر ميكائيل ولينظر من شبه من أصحابه بيوسف ثم رأيتني ذكرت فيما تقدم قريبا أنه عثمان بن عفان رضي الله عنه ولينظر من شبه من أصحابه بلقمان الحكيم و بصاحب يس ثم قال ﷺ لأبي بكر و عمر لو توافقتما ما خالفتكما فلا يفلتن منهم أحد إلا بفداء أو ضرب عنق وقد وقع له صلى الله عليه وسلم أنه قال مثل ذلك لهما وقد اختلفا في تولية شخصين أراد صلى الله عليه وسلم تولية أحدهما على بني تميم فقال أبو بكر يارسول الله استعمل فلانا وقال عمر يارسول الله استعمل فلانا فقال رسول الله ﷺ اما انكما لو اجتمعتما لأخذت برأيكما ولكنكما اختلفتما على أحيانا فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله الآية واستدل بقوله ﷺ مثلك يا أبا بكر الخ على جواز ضرب المثل من القرآن وهو جائز في غير المزح ولغو الحديث و إلا كره ونسبة الاختلاف في أسارى بدر لأبي بكر و عمر رضي الله عنهما لا تخالف ماسبق من نسبته للصحابة رضي الله تعالى عنهم لأنه يجوز أن يكونوا هم المرادين بالصحابة وعدم ذكر علي رضي الله تعالى عنه مع إدخاله في الاستشارة وكذا عبد الله بن جحش على ما تقدم لأنه يجوز أن يكون وافق أحدهما أي فقد ذكر ابن رواحة مع عدم ادخاله في الاستشارة (وفي كلام الامام احمد رحمه الله) استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس في الاسارى يوم بدر فقال إن الله قد مكنكم منهم قال فقام عمر رضي الله تعالى عنه فقال يارسول الله اضرب أعناقهم فأعرض عنه النبي ﷺ ثم عاد فقال يا أيها الناس ان الله قد مكنكم منهم وانما هم اخوانكم بالامس فقام عمر رضي الله تعالى عنه فقال يارسول الله اضرب أعناقهم فاعرض عنه ﷺ ثم عاد فقال للناس مثل ذلك فقام أبو بكر رضي الله تعالى عنه فقال يارسول الله نرى أن تعفو عنهم وأن تقبل منهم الفداء قال فذهب عن وجه رسول الله ﷺ ما كان فيه من الغم فعفا عنهم وقبل الفداء فلما كان الغد غدا عمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وأبو بكر يبكيان فقال رسول الله ما يبكيكما وفي لفظ ماذا يبكيك أنت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت و إلا تباكيت لبكائكما فقال رسول الله ﷺ إن كاد ليمسنا في خلاف ابن الخطاب عذاب عظيم لو نزل عذاب ما أفلت منه إلا ابن الخطاب وفي مسلم والترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه ﷺ قال لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أبكي للذي عرض على أصحابك من أخذهم الفداء أي للعذاب الذي كاد أن يقع على أصحابك لاجل أخذهم الفداء أي إرادة أخذه لقد عرض على عقابهم أدنى أي أقرب من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه ﷺ وأنزل الله تعالى ما كان لنبي أن تكون له أسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم الآيات (أقول) قال بعضهم في هذه الآيات دليل على أنه يجوز الاجتهاد

وتأليفاله ولقومه والمغيرة كان يمنعه فلما تكرر المنع من المغيرة رفع عروة راسه وقال من هذا وفى رواية فلما أكثر المغيرة مما يقرع به غضب وقال ليت شعرى من هذا الذى قد أذانى من بين أصحابك والله لا أحسب فيكم ألأم منه ولا أشر منزلة فتبسم النبى صلى الله عليه وسلم فقال له عروة من هذا يا محمد قال هذا ابن أخيك شعبة وفى رواية هذا المغيرة بن شعبة فلما عرف أنه ابن أخيه قال أى غدر ألست أسعى فى غدرتك وفى رواية والله ما غسلت يدى من غدرتك ولقد أورثتنا (٢٠٣) العداوة فى ثقيف وفى رواية وهل غسلت سوأتك الا بالأمس فيمكن أن الاختلاف من تصرف الرواة أو أنه قال ذلك كله ويعنى بغدرته ما كان من المغيرة قبل اسلامه فانه صحب فى الجاهلية ثلاثة عشر من ثقيف من بنى مالك خرجوا للمقوقس ملك مصر بهدايا فاحسن اليهم وأعطاهم وقصر بالمغيرة لأنه لم يكن من رهطهم بل من أحلافهم فغار منهم ولم يواسه أحد منهم فلما كانوا ببعض الطريق شربوا الخمر وناموا فوثب المغيرة فقتلهم كلهم وأخذ أموالهم ثم جاء الى المدينة فأسلم فقال أبو بكر رضى الله عنه ما فعل المالكيون الذين كانوا معك قال قتلتهم وجئت باسلابهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخمس أو ليرى رأيه فيها فقال النبى صلى الله عليه وسلم أما الاسلام فاقبل وأما المال فلست منه فى شىء أى لا تعرض له لكونه أخذ غدرا لأنه لا يحل أخذ مال الكفار غدرا حال الأمن لأن الرفقة يصطحبون على الأمانة وهى تؤدى الى أهلها مسلما كان أو كافرا وإنما تحل أموالهم بالمحاربة والمغالبة فلعله صلى الله عليه وسلم ترك المال فى يده لامكان اسلام قومه فيرد اليهم أموالهم وقيل انه لما فعل ذلك كان مثلهم حربيا والحربى إذا أتلف مال الحربى لم يضمن وهو أحد وجهين للشافعية فبلغ ثقيفا ما فعله المغيرة من قتل أصحابه وأخذ أموالهم فتهايج الفريقان للقتال بنو مالك والاحلاف رهط المغيرة فسعى عمه عروة بن مسعود حتى أخذوا

للأنبياء لأن العتاب الذى فى الآيات لا يكون فيما صدر عن وحى ولا يكون فيما كان صوابا واذا أخطؤا لايتركون عليه بل ينبهون على الصواب وأجاب ابن السبكى رحمه الله بان ذلك من خصائصه ﷺ أى ما كان هذا لنبى غيرك ولا يخفى عليك ما فيه وفى كلام بعضهم ما يقتضى ان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام غير نبينا ﷺ يجوز أن يقروا على الخطأ لأن من بعد من يخطىء منهم يبين خطأه بخلاف نبينا ﷺ لا نبى بعده يبين خطأه فلا يقر على الخطأ وفيه أن بعد نبينا عليه الصلاة والسلام عيسى عليه الصلاة والسلام وأنه يوحى اليه ونظر بعضهم فى وقوع الخطأ من الأنبياء واستمرارهم عليه بانه غير لائق بمنصب النبوة لأن وجود من يستدرك الخطأ لا يدفع مقتضيه وفيه جواز وقوع الخطأ والعمل به قبل مجىء الاستدراك وتقدم جواز الاجتهاد له مطلقا لا فى خصوص الحرب واستثناء عمر رور بما يفيد ان جميع الصحابة رضى الله تعالى عنهم وافقوا أبا بكر على أخذ الفداء وخالفوا عمر مع أنه تقدم قريبا ان سعد بن معاذ كره ذلك قبل عمر فقد تقدم أن المسلمين لما وضعوا أيديهم يأسرون رأى رسول الله ﷺ إلى سعد بن معاذ فوجد فى وجهه الكراهية لما يصنع القوم فقال له رسول الله ﷺ لكأنك ياسعد تكره ما يصنع القوم قال أجل والله يارسول الله كانت أول وقعة أوقعها الله تعالى بأهل الشرك فكان الاثخان فى القتل أحب الى من استبقاء الرجال ومن ثم قال لو نزل عذاب لم يفلت منه الا ابن الخطاب وسعد بن معاذ كما سيأتى وفيه ان ابن رواحة كرهه بل أشار باحراقهم بالنار وفى الأصل ان جبريل عليه السلام نزل على النبى ﷺ فى أسارى بدر فقال ان شئتم أخذتم منهم الفداء ويستشهد منكم سبعون بعد ذلك فنادى منادى النبى صلى الله عليه وسلم فى أصحابه فجاؤا أو من جاء منهم أى وهم المعظم فقال ان هذا جبريل يخيركم بين أن تقدموهم فتقتلوهم و بين أن تفادوهم و يستشهد قابلا منكم بعدتهم فقالوا بل نفاديهم فنتقوى به عليهم و يدخل قابلا منا الجنة سبعون وفى لفظ و يستشهد منا عدتهم فليس فى ذلك ما نكره وهو كما ترى يدل على أن الصحابة وافقوا أبا بكر رضى الله عنهم على أخذ الفداء ولعل هذا الأخبار بالتخيير كان بعد الاستشارة التى تكلم فيها أبو بكر وعمر وأن بكاءه صلى الله عليه وسلم كان بعد هذه الاستشارة الثانية وقول صاحب الهدى بكاؤه صلى الله عليه وسلم و بكاء الصديق رحمة وخشية أن العذاب يعم ولا يصيب من أراد ذلك خاصة يفيد ان الذى أشار بأخذ الفداء طائفة من الصحابة لا كلهم (أقول) وفيه ان هذا يشكل عليه قوله لو نزل عذاب ما أفلت منه الا ابن الخطاب أو إلا ابن الخطاب وسعد بن معاذ فان فيه تصريحا بان العذاب لو وقع لا يعم وأنه لا يصيب الا من أشار بالفداء وفيه ان من أشار بالفداء غاية الأمر أنهم اختاروا غير الاصلح من الأمرين واختيار غير الاصلح لا يقتضى العذاب على ان حل أخذ الفداء علم من واقعة عبدالله بن جحش التى قتل فيها ابن الحضرمى فانه أسر فيها عثمان بن المغيرة والحكم بن كيسان ولم ينكره الله تعالى وذلك قبل بدر بأزيد من عام الا أن يقال أراد الله تعالى تعظيم أمر بدر لكثرة الاسارى فيها مع شدة تصلبهم فى مقاتلته صلى الله عليه وسلم وفى المواهب كلام فى الآية المذكورة

منه دية ثلاثة عشر نفرا واصطلحوا وقيل ان عروة بن مسعود ليس عما للمغيرة نفسه بل عم أبيه ولاضير فى ذلك فعم الأب عم عند العرب والمغيرة بن شعبة رضى الله عنه كان من دهاة العرب أحصن فى الاسلام ثمانين امرأة وقيل ثلثمائة وقيل ألف امرأة ثم ان عروة بن مسعود جعل يرمق أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعينه فقال حين حدث الحديث والله ماتنخم يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة الا وقعت فى كف (٢٠٤) رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده تبركا واذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره أى أسرعوا إلى فعله وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ومايحدون النظر اليه تعظما له فكان فى فعلهم ذلك رد لما ظنه من فرارهم فكأنهم قالوا بلسان الحال من نحبه هذه المحبة ونعظمه هذا التعظيم كيف يظن بنا ان نفر عنه ونسلمه لعدوه بل هم أشد اغتباطا أى تعلقا وتمسكا به وبدينه ونصره من هذه القبائل التى تراعى بعضها بمجرد الرحم فرجع عروة إلى أصحابه فقال أى قوم فوالله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشى والله مارأيت ملكا قط يعظمه أصحابه مايعظم أصحاب محمد محمداً والله ما يتنخم نخامة الاوقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده وإذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم وفى رواية وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده اجلالا وتوقيرا ومايحدون النظر اليه تعظيما له وأنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ولقد رأيت قوما لا يسلمونه لشىء أبدا فروا رأيكم وفى رواية فقال عروة أى قوم قد رأيت الملوك ما رأيت مثل محمد وما هو بملك ولقد رأيت الهدى معكوفا وما أراكم الا ستصيبكم قارعة وهذا دليل على جودة عقله وتفطنه لما كان عليه الصحابة من المبالغة فى تعظيمه صلى الله عليه وسلم وتوقيره ومراعاة أموره وردع من جفا عليه بقول أو فعل والتبرك بآثاره فلم

بتأمل فيه ورأيت فيها عن ابن عباس رضي الله عنهما لولا انى لا أعذب من عصانى حتى أقدم اليه الحجة لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم وعن الأعمش سبق منه أنه لا يعذب أحدا شهد بدرا ومن ثم جاء كما يأتى ان رجلا قال يارسول الله ان ابن عمى نافق أى ائذن لى ان اضرب عنقه فقال له انه شهد بدرا ومايدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ماشئتم والله أعلم ولا ينافى قتل سبعين منهم فى قابل أى فى أحد كون بعض الأسارى فى بدر مات فى الاسر ولم يؤخذ فداؤه وهو مالك بن عبيد الله اخو طلحة بن عبيد الله وكون بعضهم أطلق من غير أخذ فداء لأن المنكر عدم قتل أولئك السبعين الذين أسروا (قال بعضهم) اتفق أهل العلم بالسير على ان المخاطبين بقوله تعالى أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها هم أهل أحد أى قد أصبتم يوم بدر مثلى من استشهد منكم يوم أحد سبعين قتيلا وسبعين أسيرا والله أعلم وتواصت قريش على أن لا يعجلوا فى طلب فداء الاسرى لئلا يتغالى محمد وأصحابه فى الفداء فلم يلتفت لذلك المطلب بن أبى وداعة السهمى بل خرج من الليل خفية وقدم المدينة فاخذ أباه بأربعة آلاف درهم وقد كان صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه رضى الله عنهم لما رأى أباوداعة أسيرا ان له بمكة ابنا كيسا تاجرا ذا مال وكأنكم به قد جاء فى طلب فداء أبيه أى فكان أول أسير فدى واسم أبى وداعة الحرث وذكر فى الصحابة قال الزبير ابن بكار زعموا أنه كان شريكا للنبي صلى الله عليه وسلم بمكة أى والمشهور أن شريكه صلى الله عليه وسلم إنما هو السائب بن أبى السائب الذى قال فى حقه وقد أسلم يوم الفتح وقد جعل الناس يثنون عليه أنا أعلمكم به هذا شريكى نعم الشريك كان لا يدارى ولا يمارى وفى رواية أنه لما قال صلى الله عليه وسلم أنا أعلمكم به قال صدقت بأبى أنت وأمى كنت شريكى فنعم الشريك لا تدارى ولا تمارى وعند ذلك بعثت قريش فى فداء الاسارى وكان الفداء فيهم على قدر أموالهم وكان من أربعة آلاف الى ثلاثة آلاف درهم الى ألفين الى ألف ومن لم يكن معه فداء أى وهو يحسن الكتابة دفع اليه عشرة غلمان من غلمان المدينة يعلمهم الكتابة فاذا تعلموا كان ذلك فداءه وجاء جبير بن مطعم وهو كافر أى الى المدينة يسأل النبي صلى الله عليه وسلم فى أسارى بدر فقال له صلى الله عليه وسلم لو كان شيخك أو الشيخ أبوك حيا فأتانا فيهم لشفعناه وفى رواية لو كان مطعم حيا وكلمنى فى هؤلاء النفر وفى رواية فى هؤلاء النتنى لتركتهم له لأن المطعم كان أجار النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم من الطائف وكان ممن سعى فى نقض الصحيفة كما تقدم ذلك (وكان من جملة الأسارى) عمرو بن أبى سفيان بن حرب أخو معاوية أى أسره على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه () فقيل لأبى سفيان افد عمرا ابنك قال أيجمع على دمى ومالى قتلوا حنظلة يعنى ابنه وهو شقيق أم حبيبة أم المؤمنين رضي الله عنها وافدى عمرا دعوه فى أيديهم يمسكونه مابدالهم فبينما أبو سفيان اذ وجد سعد بن النعمان أخا بنى عمرو بن عوف أى وقد وفد من المدينة معتمرا فعدا عليه أبو سفيان فحبسه بابنه عمرو فمضى بنو عمرو بن عوف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه خبر سعد بن النعمان وسألوه أن يعطيهم عمرو بن أبى سفيان فيفكون به صاحبهم ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثوا به الى أبى سفيان فخلى سبيل سعد أى ولم يذكر عمرو وهذا فيمن

أسلم

يسمع القوم ماقاله عروة بن مسعود ومارغبهم فيه من الصلح فانصرف هو ومن تبعه إلى الطائف فقال رجل من بنى كنانة يسمى الحليس بن علقمة ولايعرف له اسلام وكان سيد الاحابيش أى القبائل التى تجمعت من غير قريش دعونى آته يعنى النبى صلى الله عليه وسلم أى أذهب اليه فقالوا ائته فلما أشرف على النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا فلان وهومن قوم يعظمون البدن يعنى التى تهدى للحرم فابعثوها أى أثيروها دفعة



واحدة ليعتبر برؤيتها ويتحقق انهم لايريدون حربا فيعينهم على دخول مكة لنسكهم فبعثوها واستقبله الناس يلبون بالعمرة فلما رأى الحليس ذلك قال متعجبا سبحان الله ماينبغى لهؤلاء ان يصدوا أى يمنعوا عن البيت وفى رواية قال أبى الله ان تحج لخم وجذام وكندة وحمير ويمنع ابن عبد المطلب وفى رواية فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادى بقلائده وقد حبس عن محله رجع ولم يصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء عند الحاكم انه صاح وهو على بعد فقال هلكت قريش ورب الكعبة ان القوم إنما أتوا عمارا فقال صلى الله عليه وسلم أجل ياأخا بنى كنانة قال الحافظ ابن حجر فيحتمل انه خاطبه على بعد ولم يصل اليه جمعا بين الروايتين فلما رجع إلى أصحابه قال رأيت البدن قد قلدت وأشعرت فما أرى ان يصدوا عن البيت فقالوا له اجلس انما أنت اعرابى لاعلم لك فغضب عند ذلك وقال يامعشر قريش والله ماعلى هذا حالفناكم ولا على هذا عاهدناكم أيصد عن بيت الله من جاء معظما له والذى نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وماجاءله أولأنفرن بالاحابيش نفرة رجل واحد فقالوا له أكفف عنا ياحليس حتى نأخذ لانفسنا مانرضى به وفى القصة دليل على ان كثيرا من المشركين كانوا يعظمون حرمات الاحرام والحرم وينكرون على من يصد ذلك تمسكا منهم ببقايا دين ابراهيم عليه السلام ثم قام رجل منهم يقال له مكرز بن

أسلم من الاسارى والظاهر انه مات على شركه وكان فى الاسارى زوج بنت النبى صلى الله عليه وسلم زينب رضى الله عنها وهو أبو العاص بن الربيع بكسر الموحدة وتشديد الياء مفتوحة قال فى الاصل ختن رسول الله صلى الله عليه وسلم أى بناء على ماتقوله العامة ان ختن الرجل زوج ابنته والمعروف لغة ان ختن الرجل أقارب زوجته مثل أبيها وأخيها ومع ذلك لاينبغى أن يقال فى حق رسول الله صلى الله عليه وسلم ختن أبى العاص ولاختن على لايهامه النقص وفى حفظى أن عند المالكية من قال عنه صلى الله عليه وسلم يتيم أبى طالب وختن حيدرة كان مرتدا وفى عبارة أو بدل الواو ورواية أومبينة لمراد من رواية الواو وان ما أفهمته من اعتبار الجمعية ليس مرادا وحيدرة اسم على رضى الله تعالى عنه وأبو العاص أسلم بعد ذلك كما سيأتى وهو ابن خالتها هالة بنت خويلد أخت خديجة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها وأبو ولدها على الذى أردفه صلى الله عليه وسلم خلفه يوم فتح مكة ومات مراهقا وأبو بنتها امامة التى كان يحملها صلى الله عليه وسلم فى الصلاة أى وكان يحبها حبا شديدا فعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهديت له هدية فيها قلادة من جذع فقال لادفعنها الى أحب أهلى الى فقالت النساء ذهبت بها ابنة أبى قحافة فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم امامة بنت زينب فعلقها فى عنقها وتزوجها على بعد موت خالتها فاطمة رضى الله تعالى عنها بوصية من فاطمة زوجها له الزبير بن العوام وكان أبوها أوصى بها الى الزبير ومات عنها فتزوجها المغيرة بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب فماتت عنده وكان تزويجها للمغيرة بوصية من على رضى الله تعالى عنه فانه لما حضرته الوفاة قال لها انى لا آمن ان يخطبك معاوية وفى لفظ هذا الطاغية بعد موتى فان كان لك فى الرجال حاجة فقد رضيت لك المغيرة بن نوفل عشيرا فلما انقضت عدتها أرسل معاوية الى مروان أن يخطبها عليه ويبذل لها مائة ألف دينار فلما خطبها أرسلت الى المغيرة بن نوفل ان هذا الرجل أرسل يخطبنى فان كان لك حاجة فى فاقبل فجاء وخطبها من الحسن بن على أى فزوجها منه أى ولايخالف ماتقدم ان المزوج لها الزبير بن العوام لانه يجوز ان يكون الحسن كان هو السبب فى تزويج الزبير لها فبعثت زينب رضى الله عنها فى فداء زوجها أبى العاص قلادة لها كانت أمها خديجة رضى الله عنها أدخلتها بها عليه حين بنى بها أى والجائى بها أخوه عمرو بن الربيع ولايعلم لعمرو هذا اسلام فلما رأى تلك القلادة رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لها رقة شديدة وقال للصحابة ان رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها قلادتها فافعلوا قالوا نعم يارسول الله فاطلقوه وردوا عليها القلادة وشرط عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخلى سبيل زينب أى أن تهاجر الى المدينة أى وقد كان كفار قريش مشوا اليه أن يطلق زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما طلق ولدا أبى لهب بنتى النبى صلى الله عليه وسلم قبل الدخول بهما رقية وأم كلثوم كما تقدم وقالوا له نزوجك أى امرأة من قريش شئت فابى ذلك وقال والله لا أفارق صاحبتى وما أحب ان لى بها امرأة من قريش فشكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك وأثنى عليه بذلك خيرا فلما وصل أبو العاص مكة أمرها باللحوق بابيها فخرجت وقد كان صلى الله عليه وسلم ارسل

حفص من بني عامر بن لؤي ولم يذكره أحد في الصحابة الا ابن حبان فانه ذكره بلفظ يقال له صحبة وهو بكسر الميم وسكون الكاف
وفتح الراء بعدها زاي فقال دعوني آته فلما أشرف عليهم قال النبي ﷺ هذا مكرز وهو رجل فاجر وفي رواية غادر قال
الحافظ ابن حجر مازلت متعجبا من وصفه بالفجور مع انه لم يقع منه في قصة الحديبية فجور ظاهر بل فيها مايشعر بخلاف ذلك كما
سيأتي من كلامه في قصة أبي جندل (٢٠٦) إلى ان رأيت في مغازي الواقدي في غزوة بدر ان عتبة بن ربيعة قال لقريش
كيف نخرج من مكة وبنو كنانة خلفنا لا نأمنهم على ذرارينا وذلك ان حفص ابن الاخيف كان له ولد وضيء فقتله رجل من بني بكر بن كنانة بدم لهم كان في قريش فتكلمت قريش في ذلك ثم اصطلحوا فعدا مكرز بعد ذلك على عامر بن يزيد سيد بني بكر غرة فقتله فنفرت من ذلك كنانة فجاءت وقعة بدر أثناء ذلك فكان مكرز معروفا بالغدر وذكر الواقدي أيضا ان مكرزا أراد أن يبيت المسلمين بالحديبية فخرج في خمسين رجلا فأخذهم محمد بن مسلمة وهو على الحرس وانفلت مكرز فكان صلى الله عليه وسلم أشار الى ذلك حين قال وهو رجل فاجر أو غادر فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وجعل يكلمه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم نحوا مما قال لبديل وأصحابه فبينما هو يكلمه اذ جاء سهيل بن عمرو
العامري وكان خطيب قريش وقد أسلم عام الفتح رضي الله عنه وكان ملازما للجهاد حتى استشهد يوم رضي
اليرموك وقيل مات بالشام بطاعون عمواس وكان يقول والله لا أدع موقفا وقفته مع المشركين الا وقفت مع المسلمين مثله ولا نفقة
أنفقتها مع المشركين الا أنفقت على المسلمين مثلها لعل أمري ان يتلو بعضه بعضا قال الشافعي سهيل بن عمرو رضي الله عنه كان
محمود الاسلام من حين أسلم ولما جاء خبر وفاة النبي ﷺ أهل مكة اضطرب الناس وكادوا يرتدون فخطب الناس خطبة

زيد بن حارثة ورجلا من الانصار قال لهما تكونان ببطن كذا المحل قريب من مكة حتى تمر بكما زينب
فتصحباها حتى تأتياني بها أي وذكر ان حماها كنانة بن الربيع أخا زوجها قدم لها بعيرا فركبته وأخذ
قوسه وكنانته ثم خرج بها نهارا يقودها في هودج لها وكانت حاملا فتحدث بذلك رجال من قريش
فخرجوا في طلبها حتى أدركوها بذي طوى فكان أول من سبق اليها هبار بن الاسود رضي الله تعالى
عنه فانه أسلم بعد ذلك ونخس البعير بالرمح فوقعت وألقت حملها وفي رواية انه سبق اليها هبار ورجل
آخر يقال له نافع وقيل خالد بن عبد قيس ثم ان كنانة برك ونثر كنانته وأخذ قوسه وقال والله لا يدنو
مني رجل الا وضعت فيه سهما فجاء اليه أبو سفيان في رجال من قريش وقال له كف عنا نبلك حتى
نكلمك فكف ثم قال له انك لم تصب في فعلك فانك خرجت بالمرأة جهارا على رؤس الاشهاد وقد
عرفت مصيبتنا التي كانت وما دخل علينا من محمد فيظن الناس إذا خرجت زينب علانية على رؤس
الناس من بين أظهرنا ان ذلك من ذل أصابنا وان ذلك منا من ضعف ووهن ولعمري مالنا بحبسها عن
أبيها من حاجة ولكن ارجع بها حتى إذا هدأت الاصوات وتحدث الناس ان قد رددناها فسر بها
سرا فالحقها بأبيها ففعل وأقامت ليالي ثم خرج بها ليلا حتى أسلمها الى زيد بن حارثة وصاحبه وفي
رواية انه ﷺ قال لزيد بن حارثة ألا تنطلق فتجيء بزينب قال بلى يارسول الله قال فخذ
خاتمي فاعطها فانطلق زيد فلم يزل يتلطف حتى لقي راعيا فقال لمن ترعى قال لابي العاص قال فلمن هذه
الغنم قال لزينب بنت محمد فتكلم معه ثم قال له هل ان اعطيتك شيئا تعطها اياه ولا تذكره لأحد قال نعم
فاعطاه الخاتم فانطلق الراعي الى زينب وأدخل غنمه وأعطاها الخاتم فعرفته فقالت من أعطاك
هذا قال رجل قالت فأين تركته قال بمكان كذا وكذا فسكتت حتى إذا كان الليل خرجت اليه فلما
جاءته قال لها زيد اركبي بين يدي على بعيري قالت لا ولكن اركب أنت بين يدي فركب وركبت
خلفه حتى أتت المدينة وذلك بعد شهر من بدر وكان ﷺ يقول زينب أفضل بناتي أصيبت
بي أي بسببي (ومن العجب) ان هذه العبارة ساقها الامام سراج الدين البلقيني في فتاويه في
حق فاطمة رضي الله عنها حيث قال وقد روى البزار في مسنده من طريق عائشة رضي الله تعالى
عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة هي خير بناتي لانها أصيبت في هذا كلامه ولينظر
ما الذي أصيبت فاطمة بسببه صلى الله عليه وسلم وقد يقال أصابتها بسبب موته ﷺ
في حياتها ثم رأيت الحافظ ابن حجر أجاب بذلك حيث قال لانها رزئت بابيها فكان في صحيفتها أي
فهو من اعلام نبوته أو ان قوله في زينب ماذكر كان قبل ماوهب الله لفاطمة من الكمالات وقد سئل
الامام البلقيني رحمه الله تعالى هل بقية بناته ﷺ أي بعد فاطمة سواء في الفضل أو يفضل
بعضهن على بعض ولم يجب عن ذلك ولا مخالفة بين خروج زينب الى زيد وخروج حموها بها الى زيد
وبهذا أي بتأخر هجرة زينب يظهر التوقف في قول ابن اسحق أما بناته ﷺ فكلهن أدركن
الاسلام وأسلمن وهاجرن معه الا ان يقال المراد اشتركن معه في الهجرة وتقدم ما في قوله واسلمن
وكون الجائي في فداء أبي العاص أخوه عمرو يخالف ماجاء ان زينب بنت رسول الله ﷺ

رضى الله عنها أرسلت فى فداء أبى العاص وأخيه عمرو بن الربيع بمال وبعثت فيه بقلادة الحديث ولعلها تصحيف وان الأصل بعثت فى فداء أبى العاص أخاه عمرو بن الربيع ويدل لذلك أنه ﷺ قال فى هذه الرواية ان رأيتم ان تردوا لها أسيرها فأطلقوه ولم يقل أسيريها وكان فى الاسارى سهيل ابن عمرو العامرى وتقدم أنه كان من أشراف قريش وخطبائها فقد سئل سعيد بن المسيب عن خطباء قريش فى الجاهلية فقال الاسود بن عبد المطلب وسهيل بن عمرو وسئل عن خطبائهم فى الاسلام فقال معاوية بن أبى سفيان وابنه يعنى يزيد وسعيد بن العاص وابنه يعنى عمرو بن سعيد وعبد الله بن الزبير ولعل هذا لا يخالف ما تقدم من قول الاصمعى الخطباء من بنى مروان عتبة بن أبى سفيان أخو معاوية وعبد الملك بن مروان ومما يؤثر عن عتبة ازدحام الكلام فى السمع مضلة للفهم كما تقدم وقال عمر رضى الله عنه لرسول الله ﷺ دعنى أنزع ثنيتى سهيل بن عمرو يدلع أى بالدال والعين المهملتين يخرج لسانه أى لأنه كان أعلم والأعلم إذا نزعت ثنيتاه لم يستطع الكلام فلا يقم عليك خطيبا فى موطن أبدا فقال له رسول الله ﷺ لا أمثل به فيمثل الله تعالى بى وان كنت نبيا وعسى أن يقوم مقاما لا تذمه فكان كذلك فانه لما مات رسول الله ﷺ أراد أكثر أهل مكة الرجوع عن الاسلام حتى خافهم أمير مكة عتاب بن أسيد رضى الله عنه وتوارى فقام سهيل بن عمرو رضى الله عنه خطيبا فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم ذكر وفاة رسول الله ﷺ وقال أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت ألم تعلموا أن الله تعالى قال انك ميت وانهم ميتون وقال وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل الآيات وتلا آيات أخر ثم قال والله انى أعلم أن هذا سيمتد امتداد الشمس فى طلوعها وغروبها فلا يغرنكم هذا من أنفسكم يعنى أبا سفيان فانه ليعلم من هذا الأمر ما أعلم لكنه قد ختم على صدره حسد بنى هاشم وتوكلوا على ربكم فان دين الله قائم وكلمته تامة وان الله ناصر من نصره ومقو دينه وقد جمعكم الله على خيركم يعني أبا بكر رضى الله تعالى عنه وقال ان ذلك لم يزد الاسلام الا قوة فمن رأيناه ارتد ضربنا عنقه فتراجع الناس وكفوا عما هموا به وعند ذلك ظهر عتاب بن أسيد رضى الله عنه وقدم مكرز بن حفص فى فداء سهيل فلما ذكر قدرا أرضاهم به قالوا هات فقال اجعلوا رجلى مكان رجله وخلوا سبيله حتى يبعث اليكم بفدائه فخلوا سبيل سهيل وحبسوا مكرزا وكان فى الأسارى الوليد بن الوليد أخو خالد بن الوليد افتكه اخواه هشام وخالد فلما افتدى أسلم فعاتبوه فى ذلك فقال كرهت أن يظن بى انى جزعت من الاسر ولما أسلم واراد الهجرة حبسه أخواه وكان النبى ﷺ يدعو له فى القنوت كما تقدم ثم أفلت ولحق بالنبى صلى الله عليه وسلم فى عمرة القضاء كما سيأتى أى وكان فى الاسارى السائب وهو الأب الخامس لامامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه وكان صاحب راية بنى هاشم فى ذلك اليوم أى التى كان يقال لها فى الحرب العقاب ويقال لها راية الرؤساء ولا يحملها فى الحرب الا رئيس القوم وكانت لأبى سفيان أو لرئيس مثله ولغيبة أبى سفيان فى العير حملها السائب لشرفه وفدى نفسه وأما أبوه الرابع الذى هو شافع الذى ينسب اليه امامنا

---

كخطبة الصديق بالمدينة رضى الله عنه وثبتهم فيها وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم لعمر رضى الله عنه لما أراد تكسير أسنانه لعله يقف موقفا يسرك فكان ذلك الموقف هو خطبته لأهل مكة وتثبيتهم فكان ذلك من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم قيل ان وصول سهيل بن عمرو الى النبى صلى الله عليه وسلم كان قبل انصراف مكرز بن حفص من عند النبى صلى الله عليه وسلم وقيل ان مكرزا رجع إلى قريش فأخبرهم بقوله صلى الله عليه وسلم وأن ذهاب الحليس ثم عروة بعد مكرز وجمع بأنه رجع فأخبرهم ثم جاء مع سهيل فى الصلح ولما جاء سهيل قال النبى صلى الله عليه وسلم قد سهل لكم من أمركم وكان مع سهيل حويطب بن عبد العزى قال ابن اسحق دعت قريش سهيل بن عمرو فقالت اذهب الى هذا الرجل ولا تكن فى صلحه الا أن يرجع عنا عامه هذا فوالله لا تحدث العرب انه دخلها علينا عنوة ابدا فأتى سهيل فقال النبى صلى الله عليه وسلم لما رآه مقبلا قد أراد قريش الصلح حين بعث هذا الرجل فلما انتهى الى النبى صلى الله عليه وسلم برك على ركبتيه وجلس النبى صلى الله عليه وسلم متربعا وقام عباد بن بشر وسلمة بن أسلم على رأسه مقنعين فى الحديد وجلس المسلمون حوله فجرى بينهما القول وأطال سهيل الكلام وتراجعا فقال له عباد بن بشر اخفض صوتك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فخفض صوته ولم يزالا يتراجعان حتى تم الصلح بينهما وهذا يقتضى أن ارسال سهيل بن عمرو كان قبل أن يرسل النبى صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان رضى الله عنه إلى أهل مكة وجرى على ذلك كثير من اهل السير وقال آخرون ان ارسال سهيل بن عمرو كان بعد ارسال النبى صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان رضى الله عنه إلى أهل مكة فقالوا ان النبى صلى الله عليه وسلم لما نزل الحديبية أحب أن يبعث الى قريش يعلمهم أنه انما قدم معتمرا لا مقاتلا فبعث خراش بن أمية الخزاعى على جمله عليه الصلاة والسلام فعقره عكرمة بن

أبي جهل وأراد قتله فمنعه الاحابيش فأتاه صلى الله عليه وسلم وأخبره فدعا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ليبعثه فيبلغ عنه أشراف قريش ماجاءله فقال يارسول الله انى أخاف قريشا على نفسى ومابمكة من بنى عدى بن كعب أحد يمنعنى وقد عرفت قريش عداوتى اياها وغلظى عليها ولكن أدلك على رجل أعز بها منى عثمان بن عفان رضى الله عنه أى فان بنى عمه يمنعونه فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان وكتب له كتابا (٢٠٨) إلى أشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت إلا زائرا لهذا البيت ومعظما لحرمته وأمر النبي صلى الله عليه وسلم عثمان أن يأتى رجالا مسلمين مستضعفين بمكة ونساء مؤمنات مستضعفات بها ويدخل عليهم ويبشرهم بالفتح ويخبرهم بأن الله وشيك أى قريب أن يظهر دينه بمكة حتى لا يستخفي فيها بالايمان فخرج عثمان رضى الله عنه ودخل مكة ومعه عشرة من الصحابة رضى الله عنهم باذن النبي صلى الله عليه وسلم ليزوروا أهاليهم ولم يذكروا أسماءهم فلقيه قبل أن يدخل مكة أبان بن سعيد ابن العاص وأسلم بعد ذلك رضي الله عنه وكان ابن عم عثمان رضى الله عنه فأجاره حتى يبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعله بين يديه فجاء الى عظماء قريش فبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرسله به وهم يردون عليه ويقولون ان محمدا لايدخلها علينا أبدا فلما فرغ عثمان رضى الله عنه من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا له إن شئت ان تطوف بالبيت فطف فقال ما كنت تأتيكم
لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال المسلمون الذين مع النبي صلى الله عليه وسلم قد خلص عثمان الى البيت فطاف به دوننا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أظنه طاف بالبيت ونحن محصورون قالوا وما يمنعه يارسول الله وقد خلص اليه قال ذاك ظنى به أن لا يطوف بالكعبة حتى نطوف لو مكثت كذا وكذا سنة فلما رجع عثمان وقيل له فى ذلك أى قالوا له طفت

---

الشافعى رضى الله تعالى عنه الذى هو ولد السائب لقى النبي صلى الله عليه وسلم وهو مترعرع فأسلم وكان فى الأسارى وهب بن عمير رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك وأسره رفاعة بن رافع وكان أبوه عمير شيطانا من شياطين قريش وكان ممن يؤذى رسول الله ﷺ وأصحابه بمكة رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك فجلس يوما مع صفوان بن أمية رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك وكان جلوسه معه فى الحجر فتذاكرا أصحاب القليب ومصابهم فقال صفوان والله ما فى العيش خير بعدهم فقال عمير والله صدقت أما والله لولا دين على ليس له عندى قضاء وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدى كنت آتى محمدا حتى أقتله فان لى فيهم علة ابنى أسير فى أيديهم فاغتنمها صفوان وقال له على دينك أنا أقضيه عنك وعيالك مع عيالى أواسيهم ما بقوا قال عمير فاكتم عنى شأنى وشأنك قال افعل ثم ان عميرا أخذ سيفه وشحذه بالمعجمة أى سنه وسمه أى جعل فيه السم ثم انطلق حتى قدم المدينة فبينا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر اذ نظر الى عمير حين أناخ راحلته على باب المسجد متوشحا السيف فقال هذا الكلب عدو الله عمير ما جاء إلا بشر فدخل عمر رضى الله عنه على رسول الله ﷺ فقال يانبى الله هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحا سيفه قال صلى الله عليه وسلم فأدخله على فأقبل عمر رضى الله عنه حتى أخذ بحمالة سيفه فى عنقه والحمالة بكسر الحاء المهملة العلاقة فمسكه بها وقال لرجال ممن كانوا معه من الأنصار أدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسوا عنده فان هذا الخبيث غير مأمون ثم دخل به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر رضى الله عنه آخذ بحمالة سيفه فى عنقه قال أرسله ياعمر ادن ياعمير فدنا ثم قال عمير أنعموا صباحا وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم فقال رسول الله ﷺ قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك ياعمير بالسلام تحية أهل الجنة ما جاء بك ياعمير قال جئت لهذا الأسير الذى فى أيديكم يعنى ولده وهبا فاحسنوا فيه قال فما بال السيف قال قبحها الله من سيوف وهل أغنت عنا شيئا قال ﷺ أصدقنى ما الذى جئت له قال ما جئت إلا لذلك قال صلى الله عليه وسلم بل قعدت أنت وصفوان بن أمية فى الحجر فذكرتما أصحاب القليب من قريش ثم قلت لولا دين على وعيالى لخرجت حتى أقتل محمدا فتحمل لك صفوان بدينك وعيالك على أن تقتلنى له والله حائل بينك وبين ذلك قال عمير أشهد أنك رسول الله قد كنا يارسول الله نكذبك بما تأتى به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحى وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان فوالله انى لأعلم ما أتاك به إلا الله تعالى فالحمد لله الذى هدانا للاسلام وساقنى هذا المساق ثم شهد شهادة الحق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقهوا أخاكم فى دينه واقرؤه القرآن واطلقوا أسيره ففعلوا ذلك ثم قال يارسول الله انى كنت جاهدا على اطفاء نور الله شديد الأذى لمن كان على دين الله فأنا أحب أن تأذن لى فأقدم مكة فادعوهم الى الله والى الاسلام لعل الله يهديهم والا آذيتهم فى دينهم كما كنت أوذى أصحابك فى دينهم فأذن له رسول الله ﷺ فلحق بمكة وأسلم ولده وهب رضى الله عنه وكان صفوان حين خرج عمير يقول أبشروا بوقعة

بالبيت فقال والذى نفسى بيده لو مكثت بها معتمراً كذا وكذا سنة ورسول الله صلى الله عليه وسلم مقيم بالحديبية ماطفت حتى يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتبست قريش عثمان عندها ثلاثة أيام وأشاع الناس انهم قتلوه هو والعشرة الذين معه فبلغ ذلك الخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال عند بلوغه ذلك لا نبرح حتى نناجز القوم أى نقاتلهم ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلى البيعة وأمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن ينادى الناس إلى البيعة قال (٢٠٩) سلمة بن الاكوع رضى الله عنه بايعناه وبايعه الناس على عدم الفرار وانه اما الفتح واما الشهادة وفى رواية بايعناه على الموت ولما لم يكن قتل عثمان رضى الله عنه محققا بل كان بالاشاعة بايع عنه النبي صلى الله عليه وسلم أى على تقدير حياته وفى ذلك اشارة منه صلى الله عليه وسلم إلى أن عثمان لم يقتل وانما فعل المبايعة مع القوم لاجل أخذ ثار عثمان رضى الله عنه جريا على ظاهر تلك الاشاعة تثبتا وتقوية لأولئك القوم فوضع يده اليمنى على يده اليسرى وقال اللهم هذه عن عثمان فانه فى حاجتك وحاجة رسولك وفى لفظ ان عثمان ذهب فى حاجة الله وحاجة رسوله فانا أبايع عنه فضرب بيمينه شماله وما ذاك الالانه علم عدم صحة القول بقتله وبعد أن جاء عثمان رضى الله عنه بايع بنفسه تحصيلا لتلك الفضيله (وقد أشار) إلى امتناع عثمان رضى الله عنه من الطواف والى مبايعة النبي صلى الله

عليه وسلم صاحب الهمزية فقال وأبى أن يطوف بالبيت إذ لم  * يدن منه إلى النبي فناء

جزته منه ببيعة رضوان * من يدمن نبيه بيضاء أدب عنده تضاعفت الأعمال بالترك حبذا الأدباء (ويروى) أن قريشا بعثت إلى عبد الله بن أبى ابن سلول ان أحببت أن تدخل فتطوف بالبيت فافعل فقال له ابنه عبد الله وهو المسمى بالحباب كما تقدم رضى الله عنه يا أبت أذكرك الله أن تفضحنا فى كل موطن تطوف ولم يطف رسول الله ﷺ فابى حينئذ وقال لا أطوف حتى يطوف

تأتيكم الآن تنسيكم وقعة بدر وكان صفوان يسأل عنه الركبان حتى قدم راكب فاخبره عن اسلامه فحلف أن لا يكلمه أبدا وأن لا ينفعه بنفع أبداً أى ولما قدم عمير لم يبدأ بصفوان بل بدأ ببيته وأظهر الاسلام ودعا اليه فبلغ ذلك صفوان فقال قد عرفت حيث لم يبدأ بى قبل منزله انه قد نكس وصبأ ولا أكلمه أبداً ولا أنفعه ولا عياله بنافعة ثم ان عميرا وقف على صفوان وناداه أنت سيد من ساداتنا أرأيت الذى كنا عليه من عبادة الحجر والذبح له أهذا دين أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فلم يجبه صفوان بكلمة وعند فتح مكة هو الذى استأمنه صلى الله عليه وسلم لصفوان كما سيأتى * وكان فى الاسارى أبو عزيز بن عمير أخو مصعب بن عمير لأبيه وأمه قال أبو عزيز مر بى أخى مصعب فقال للذى أسرنى شد يدك به فان أمه ذات متاع لعلها تفديه منك فقلت له يا أخى هذه وصايتك بى فبعثت أمه فى فدائه أربعة آلاف درهم ففدته بها * وكان فى الأسارى العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم أى وقد شدوا وثاقه فأن فلم يأخذه صلى الله عليه وسلم نوم فقيل ما سهرك يا رسول الله قال لأنين العباس فقام رجل وأرخى وثاقه وفعل ذلك بالاسارى كلهم والذى أسره أبو اليسر كعب بن عمرو وكان دميما أى بالمهملة صغير الجثة والعباس جسيما طويلا فقيل للعباس رضى الله تعالى عنه لو أخذته بكفك لوسعته كفك فقال ماهو ان لقيته فظهر فى عينى كالخندمة أى وهو جبل من جبال مكة أى وأبو اليسر هذا هو الذى انتزع راية المشركين وكانت بيد أبى عزيز بن عمير قال وفى رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم سأل كعبا وقال له كيف أسرت العباس قال يا رسول الله لقد أعانى عليه ملك كريم أى وفى رواية ان العباس رضى الله تعالى عنه لما قيل له ما تقدم قال والله ان هذا ما أسرنى لقد أسرنى رجل أبلج من أحسن الناس وجها على فرس أبلق فما أراه فى القوم فقال الذى جاء به والله أنا الذى أسرته يا رسول الله فقال اسكت فقد أيدك الله بملك كريم وفى الكشاف ان العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أخذ أسيرا ببدر لم يجدوا له قميصا وكان رجلا طوالا فكساه عبد الله بن أبى ابن سلول قميصه وجعل صلى الله عليه وسلم فداء العباس أربعمائة أوقية وفى رواية مائة أوقية وفى رواية أربعين أوقية من ذهب وفى رواية جعل على العباس أيضا فداء عقيل ابن أخيه ثمانين أوقية أى وجعل عليه فداء ابن أخيه نوفل بن الحرث وفى رواية انه ﷺ قال له افد نفسك يا عباس وابنى أخيك عقيل بن أبى طالب ونوفل بن الحرث ابنى عبد المطلب وحليفك عتبة بن عمرو ففدى نفسه بمائة أوقية وكل واحد بأربعين أوقية وسيأتى ما يدل على انه انما فدى نفسه وابن أخيه عقيل فقط وقال للنبي ﷺ تركتنى فقير قريش ما بقيت وفى لفظ تركتنى أسأل الناس فى كفى فقال له يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاين المال الذى دفعته لام الفضل يعنى زوجته وقلت لها ان أصبت فهذا لبنى الفضل وعبد الله وقثم وفى كلام ابن قتيبة فللفضل كذا ولعبد الله كذا وقثم كذا فقال والله انى لأعلم انك رسول الله ان هذا شىء ما أعلمه الا أنا وأم الفضل زاد فى رواية وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك عبده ورسوله وفى رواية ان العباس قال للنبي ﷺ لقد تركتنى فقير قريش ما بقيت فقال له كيف

رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت البيعة تحت الشجرة هناك من أشجار السمر وتسمى بيعة الرضوان لقوله تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار أحد بايع تحت تلك الشجرة وكانوا ألفا وأربعمائة كما تقدم وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال أيها الناس ان الله قد غفر لاهل بدر والحديبية وأول من بايعه صلى الله عليه وسلم سنان بن سنان الاسدى وقيل إنه أبو سنان



أخو عكاشة بن محصن رضى الله عنهما ولما بايعه رضى الله عنه قال أبايعك على ما فى نفسك قال وما فى نفسى قال اضرب بسيفى بين يديك حتى يظهرك الله أو أقتل وصار الناس يقولون نبايعك على ما بايعك عليه سنان وقيل أول من بايع عبد الله بن عمر رضى الله عنهما وقيل سلمة بن الاكوع رضى الله عنه وقيل ان سلمة رضى الله عنه بايع ثلاث مرات أول الناس ووسط الناس وآخر الناس بأمره صلى الله عليه وسلم فى الثانية والثالثة بعد قول سلمة له قد بايعت فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيضا وذلك ليكون له فى ذلك فضيلة لانه أراد أن يؤكد بيعته لعلمه بشجاعته وعنايته فى الاسلام وشهرته فى الثبات وجاء ان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما بايع مرتين (وقد قيل) فى سبب نزول قوله تعالى لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام إلى قوله ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا ان المسلمين لما صدوا عن البيت بالحديبية مر بهم ناس من المشركين يريدون العمرة فقال المسلمون نصد هؤلاء كما صدنا أصحابهم أى لا تصدوا هؤلاء العمار ان صدكم أصحابهم وكان محمد بن مسلمة رضى الله عنه على حرس رسول الله ﷺ فبعثت قريش أربعين وقيل خمسين رجلا عليهم مكرز بن حفص الذى قال فيه صلى الله عليه وسلم انه رجل غادر ليطوفوا بعسكر رسول الله ﷺ رجاء أن يصيبوا منهم أحدا أو يجدوا منهم غرة أى

---

تكون فقير قريش وقد استودعت بنادق الذهب أم الفضل وقلت لها ان قتلت فقد تركتك غنية ما بقيت وفى رواية أين المال الذى دفنته أنت وأم الفضل فقال أشهد أن الذى تقوله قد كان وما اطلع عليه إلا الله وتقدم عن أبى رافع مولى العباس ان العباس رضى الله تعالى عنه وزوجته أم الفضل كانا مسلمين بل تقدم انها أول امرأة أسلمت بعد خديجة رضى الله عنها وكانا يكتمان اسلامهما وان أبا رافع كان كذلك ومما يؤيد اسلام العباس رضى الله عنه انه جاء فى بعض الروايات ان العباس رضى الله تعالى عنه قال علام يأخذ منا الفداء وكنا مسلمين أى وفى رواية كنت مسلما ولكن القوم استكرهونى فقال له النبى صلى الله عليه وسلم الله أعلم بما تقول ان يك حقا فان الله يجزيك ولكن ظاهر أمرك انك كنت علينا وقد أنزل الله تعالى يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم من الأسرى ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا أى ايمانا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم أى من الفداء الآيات فعند ذلك أى عند نزول الآيات قال العباس للنبى صلى الله عليه وسلم لوددت انك كنت أخذت منى أضعافا فقد آتانى الله خيرا منها مائة عبد وفى لفظ أربعين عبدا كل عبد فى يده مال يضرب به أى يتجر فيه وانى لأرجو من الله المغفرة أى وهذا القول من العباس رضى الله تعالى عنه يدل على تأخر نزول هذه الآيات (وجاء ان العباس رضى الله تعالى عنه) خرج لبدر ومعه عشرون أوقية من ذهب ليطعم بها المشركين فاخذت منه فى الحرب فكلم النبى ﷺ أن يحسب العشرين أوقية من فدائه فابى وقال أما شىء خرجت تستعين به علينا فلا نتركه لك وجاء فى بعض الروايات ان العباس رضى الله تعالى عنه لما أسر تواعدت طائفة من الانصار على قتله فبلغ ذلك النبى ﷺ فقال لعمر لم أنم الليلة من أجل عمى العباس زعمت الانصار انهم قاتلوه فاتى عمر الأنصار فقال لهم ارسلوا العباس فقالوا والله لا نرسله فقال لهم عمر فان كان رسول الله ﷺ رضى فقالوا ان كان رضى نخذه فاخذه عمر فلما صار فى يده قال له يا عباس أسلم فوالله لأن تسلم أحب الى من أن يسلم الخطاب أى وفى أسباب النزول للواحدى لما أسر العباس يوم بدر أقبل المسلمون عليه يعيرونه بكفره بالله وقطيعة الرحم وأغلظ على له القول فقال العباس ما لكم تذكرون مساوينا ولا تذكرون محاسننا فقال له على ألكم محاسن قال نعم انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقى الحاج ونفك العانى فانزل الله تعالى ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله الآية وجاء انه قال للمسلمين لئن كنتم سبقتمونا بالاسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نعمر المسجد الحرام ونسقى الحاج فانزل الله تعالى أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله الآية (وذكر بعضهم) ان العباس رضى الله تعالى عنه كان رئيسا فى قريش واليه عمارة المسجد الحرام فكان لا يدع أحدا يتشبب فيه ولا يقول فيه هجرا والتشبيب ترقيق الشعر بذكر النساء والهجر الكلام الفاحش فكانت قريش اجتمعت وتعاقدت على تسليم ذلك للعباس وكانوا عونا له على ذلك ومن ثم قيل فى العباس هذا والله هو الشرف يطعم الجائع ويؤدب السفيه فان طعامه كان لفقراء بنى هاشم وقيل وسوطه معد لسفهائهم وإذا كان ذلك لسفهاء بنى هاشم فلسفهاء غيرهم بطريق الأولى والظاهر ان ذلك لا يختص بسكونهم فى

غفلة فأخذهم محمد بن مسلمة إلا مكرزا فأتى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحبسوا و بلغ قريشا حبس أصحابهم فجاء جمع منهم حتى رموا المسلمين بالنبل والحجارة وقتل من المسلمين ابن رسيم بسهم فأسر المسلمون منهم اثنى عشر رجلا ولما علمت قريش بهذه البيعة خافوا وأشار أهل الرأى منهم بالصلح على أن يرجع و يعود من قابل فيقيم ثلاثا معه سلاح الراكب السيوف فى القرب والقوس فبعثت قريش سهيل بن عمرو العامرى ومعه حويطب بن عبد العزى وقيل معه جمع منهم وقيل ان ارسال سهيل كان مرتين جاء ورجع اليهم ثم رجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم ولما أقبل سهيل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد القوم الصلح حيث بعثوا هذا الرجـل ثانيا وطالت المراجعة بينه و بين النبي صلى الله عليه وسلم ومن جملة ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له لم تخلوا بيننا و بين البيت فنطوف به فقال له سهيل والله لا تتحدث العرب انا اخذنا ضغطة أى بالشدة والاكراه ولكن ذلك بالعام القابل ثم تم الأمر على الصلح على ترك القتال وان يوضع الحرب بينهم عشر سنين وان يأمن بعضهم بعضا وان يرجع عنهم عامهم هذا و يأتى فى العام القابل و يخلون له مكة ثلاثة أيام وان لا يدخلوا إلا بالسيوف فى قربها واشترط سهيل على النبي صلى الله عليه وسلم شروطا منها انه قال لا يأتيك منا رجل وان كان على دينك الا رددته الينا وقيل هذا الشرط انما ذكره عند كتابة الكتاب كما سيأتى فلما تم الأمر ولم يبق الا كتابة الكتاب وثب عمر بن الخطاب فأتى أبا بكر رضى الله عنه فقال يا أبا بكر أليس هو برسول الله ﷺ قال بلى قال أولسنا بمسلمين قال بلى قال فعلام نعطى الدنية أى الخصلة المذمومة فى ديننا فقال أبو بكر رضى الله عنه يا عمر الزم غرزه أى ركابه وفى رواية قال له أيها الرجل انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس يعصى ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه حتى تموت فانى أشهد انه رسول الله فقال عمر وأنا اشهد أنه رسول الله ثم أتى عمر رسول الله

---

المسجد كما قد يدل عليه الرواية الأولى ولا ينافى هذا أى قول عمر له اسلم إلى آخره ما تقدم عن مولاه أبى رافع من أن العباس كان مسلما ومن قوله للنبي صلى الله عليه وسلم انه كان مسلما ومن اتيانه بالشهادتين عنده صلى الله عليه وسلم لأن ذاك لم يظهره علانية بل اظهره له صلى الله عليه وسلم فقط ولم يعلم به عمر ولا غيره ولم يظهر النبي صلى الله عليه وسلم اسلام العباس رفقا به لما تقدم ان العباس كان له ديون متفرقة فى قريش وكان يخشى ان أظهر اسلامه ضاعت عندهم ومن ثم لما قهرهم الاسلام يوم فتح مكة أظهر اسلامه أى فلم يظهر اسلامه إلا يوم الفتح وكان كثيرا ما يطلب الهجرة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكتب له مقامك بمكة خير لك اى وفى رواية استأذن العباس رضى الله عنه النبي ﷺ فى الهجرة فكتب اليه يا عم اقم مكانك الذى انت فيه فان الله عز وجل يختم بك الهجرة كما ختم بى النبوة فكان كذلك وفى رواية أنه قال لابن عمه نوفل بن الحرث بن عبد المطلب افد نفسك يا نوفل قال مالى شئ أفدى به نفسى قال افد نفسك من مالك الذى بجدة وفى لفظ بارماحك التى بجدة فقال أشهد انك رسول الله والله ما أحد يعلم أن لى بجدة أرماحا غير الله أى وفدى نفسه ولم يفده العباس و يدل لذلك مارواه البخارى عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم أتى بمال من البحرين اى من خراجهما فقال انثروه فى المسجد فكان أكثر مال أتى به لرسول الله صلى الله عليه وسلم أى كان مائة الف وكان أول خراج حمل اليه ﷺ وكان يأتى فى كل سنة وحينئذ لا يعارض هذا قوله صلى الله عليه وسلم لجابر لو قد جاء مال البحرين اعطيتك فلم يقدم مال البحرين حتى توفى رسول الله ﷺ لأن المراد انه لم يقدم فى تلك السنة ولما نثر ذلك المال فى المسجد خرج رسول الله ﷺ إلى الصلاة ولم يلتفت اليه فلما قضى الصلاة جاء فجلس اليه فكان لا يرى احدا الا أعطاه فجاءه العباس فقال يا رسول الله أعطنى انى فاديت نفسى وفاديت عقيلا أى ولم يقل نوفلا ولا حليفه عتبة بن عمرو فقال خذ فحثى فى ثوبه ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال مر بعضهم يرفعه إلى قال لا قال فارفعه انت على قال لا فنثر منه ولا زال يفعل كذلك حتى بقي ما يقدر على رفعه فرفعه على كاهله اى بين كتفيه ثم انطلق وهو يقول انما أخذت ما وعد الله فقد أنجز فما زال ﷺ يتبعه بصره عجبا من حرصه حتى خفى (ومن) رسول الله ﷺ على نفر من الاسارى بغير فداء منهم أبو عزة عمرو الجمحى الشاعر كان يؤذى النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين بشعره فقال يا رسول الله انى فقير وذو عيال وحاجة قد عرفتها فامنن على فمن عليه رسول الله ﷺ أى وفى رواية قال له ان لى خمس بنات ليس لهن شئ فتصدق بى عليهن ففعل واعتقه واخذ عليه ان لا يظاهر عليه احدا أى ولما وصل إلى مكة قال سحرت محمدا ولما كان يوم أحد خرج مع المشركين يحرض على قتال المسلمين بشعره فاسر و قتل صبرا وحملت رأسه إلى المدينة كما سيأتى اى فعلم ان اسرى بدر منهم من فدى ومنهم من خلى سبيله من غير فداء وهو أبو العاص وأبو عزة ووهب بن عمير ومنهم من مات ومنهم من قتل وهو النضر بن الحرث وعقبة بن أبى معيط كما تقدم (ولما بلغ) النجاشي نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر فرح فرحا شديدا

صلى الله عليه وسلم فقال له مثل ماقال لأبى بكر فقال النبي ﷺ أنا عبد الله ورسوله ولن أخالف أمره ولن يضيعنى الله
ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أوس بن خولة رضى الله عنه وأمره أن يكتب بينهم فقال له سهيل بن عمرو لا يكتب الا ابن عمك
على أو عثمان بن عفان رضي الله عنهما وكان ذلك بعد رجوع عثمان رضى الله عنه على بعض الروايات فأمر النبي صلى الله عليه
وسلم عليا كرم الله وجهه فقال اكتب (١١٢) بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل بن عمرو لا أعرف هذا أى الرحمن الرحيم
ولكن اكتب باسمك
اللهم اى لان قريشا
كانت تكتبها فقال
المسلمون والله لا يكتبها
وانما يكتب بسم الله
الرحمن الرحيم وضج
المسلمون ثم اسكتهم
النبي صلى الله عليه وسلم
وقال اكتب باسمك اللهم
ثم قال صلى الله عليه وسلم
لعلى رضى الله عنه اكتب
هذا ماصالح عليه محمد
رسول الله سهيل بن
عمرو فقال سهيل بن
عمرو لو شهدت انك رسول
الله لم أقاتلك ولم نصدك
عن البيت ولكن اكتب
باسمك واسم أبيك وفى
رواية لو اعلم انك رسول
الله ماخالفتك ولتابعتك
أفترغب عن اسمك واسم
ابيك محمد بن عبد الله
فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لعلى رضى
الله عنه امح رسول الله
فقال على رضى الله عنه
ما أنا بالذى أمحوه وفى
رواية والله لا أمحوك أبدا
فقال أرنيه فاراه اياه فمحاه
رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال اكتب هذا ماصالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو وقال أنا رسول الله وان كذبتمونى وقلت
وأنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فجعل على رضى الله عنه يبكى ويابى أن يكتب إلا محمد رسول الله فقال له صلى الله عليه وسلم
اكتب فان لك مثلها تعطيها وأنت مقهور وهذا من معجزاته ﷺ واعلام نبوته فانه اشارة لما سيقع بين على ومعاوية رضى
الله عنهما فانهما بعد حرب صفين وقعت بينهما المصالحة إلى رأس الحول فلما كتب الكاتب هذا ماصالح عليه أمير المؤمنين على

فعن جعفر بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أن النجاشى أرسل اليه والى أصحابه الذين معه بالحبشة
ذات يوم فدخلوا عليه فوجدوه جالسا على التراب لابسا أثوابا خلقة فقالوا له ماهذا أيها الملك فقال لهم انى
أبشركم بما يسركم انه قد جاءنى من نحو ارضكم عين لى فأخبرنى أن الله عز وجل قد نصر نبيه وأهلك عدوه
فلانا وفلانا وعدد جمعا التقوا بمحل يقال له بدر كثير الاراك كنت ارعى فيه غنما لسيدى من بنى ضمرة
فقال له جعفر مالك جالس على التراب عليك هذه الأخلاق قال انا نجد فيما انزل الله على عيسى ان حقا
على عباد الله ان يحدثوا لله عز وجل تواضعا عندما أحدث لهم نعمة وفى رواية كان عيسى صلوات الله
وسلامه عليه إذا احدث له من الله نعمة ازداد تواضعا فلما احدث الله تعالى نصرة نبيه صلى الله عليه
وسلم أحدثت هذا التواضع وفى رواية انا نجد فى الانجيل أن الله سبحانه وتعالى إذا أحدث بعبده نعمة
وجب على العبد ان يحدث لله تواضعا وان الله قد أحدث الينا واليكم نعمة عظيمة الحديث قال ولما اوقع
الله تعالى بالمشركين يوم بدر واستأصل وجوههم قالوا ان ثارنا بأرض الحبشة فلنرسل الى ملكها ليدفع
الينا من عنده من اتباع محمد فنقتلهم بمن قتل منا فأرسلوا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة
رضى الله تعالى عنهما فانهما أسلما بعد ذلك إلى النجاشى ليدفع اليهما من عنده من المسلمين فأرسلوا
معهما هدايا وتحفا للنجاشى فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ بعث إلى النجاشى عمرو بن
أمية الضمرى بكتاب يوصيه فيه على المسلمين انتهى وفى الأصل هنا مايوافقه وفيه ان عمرو بن امية
الضمرى لم يكن اسلم بعد اى لأنه كما فى الأصل شهد بدرا وأحدا مع المشركين واول مشهد شهده مع
المسلمين بئر معونة وأسر فى ذلك وجزت ناصيته واعتق وكان ذلك فى سنة اربع كما سيأتى قال فلما وصل
عمرو وعبد الله إلى النجاشى ردهما خائبين اى فعن عمرو بن العاصى قال دخلت على النجاشى فسجدت له
فقال مرحبا بصديقى أهديت لى من بلادك شيئا فقلت نعم ايها الملك اهديت لك أدما كثيرا ثم قربته اليه
فاعجبه وفرق منه أشياء بين بطارقته وامر بسائره فأدخل فى موضع وامر أن يكتب ويتحفظ به قال عمرو
فلما رأيت طيب نفسه قلت ايها الملك انى رأيت رجلا خرج من عندك يعنى عمرو بن امية الضمرى وهو
رسول عدو لنا قد وترنا وقتل اشرافنا وخيارنا فاعطنيه فاقتله فغضب ثم رفع يده فضرب بها انفى ضربة
ظننت انه قد كسره فجعلت اتقى الدم بثيابى وفى رواية ثم رفع يده فضرب بها انف نفسه ظننت انه قد
كسره وقد يجمع بوقوع الأمرين منه وعند ذلك قال عمرو فأصابنى من الذل مالو انشقت لى الارض
لدخلت فيها فرقا منه ثم قلت ايها الملك لو ظننت انك تكره ماقلت ماسألتكه فقال ياعمرو تسألنى ان
اعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الاكبر الذى كان يأتى موسى والذى كان يأتى عيسى بن مريم لتقتله
قلت وتشهد انت ايها الملك انه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم اشهد انه رسول الله ﷺ
اشهد بذلك عند الله ياعمرو فاطعنى واتبعه فوالله انه لعلى الحق قلت له افتبايعنى له على الاسلام قال
نعم فمد يده فبايعته على الاسلام ثم خرجت إلى اصحابى وقد كسانى فلما رأوا كسوة الملك سروا بذلك وقالوا
هل من صاحبك قضاء لحاجتك يعنون قتل عمرو بن امية الضمرى فقلت لهم كرهت ان اكلمه اول مرة

ابن ابى طالب معاوية بن أبى سفيان فقال عمرو بن العاص وكان أحد الحكمين وكان من جهة معاوية لا تكتب أمير المؤمنين وأرسل معاوية أيضا رضى الله عنه لعمرو بن العاص يقول لا تكتب ان عليا أمير المؤمنين لو كنت أعلم أن عليا أمير المؤمنين ما قاتلته فبئس الرجل أنا ان أقررت أنه أمير المؤمنين ثم أقاتله ولكن إكتب على بن أبى طالب وامح أمير المؤمنين فقال أصحاب على رضى الله عنه لعلى يا أمير المؤمنين لا تمح اسم امارة المؤمنين فانك ان محوتها لا تعود اليك  فلم يسمع منهم وقال للكاتب أمحها ثم تذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم له فى الحديبية ان لك مثلها تعطيها وأنت مقهور فقال الله أكبر مثلا بمثل والله أنى لكاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية اذ قالوا لست برسول الله ولا نشهد لك بذلك اكتب اسمك محمد بن عبد الله فقال له عمرو بن العاص رضى الله عنه سبحان الله أنشبه بالكفار ووقع بينهما نزاع فى ذلك حتى تمت الكتابة على عدم ذكر أمير المؤمنين وظهر صدق قول النبى صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه ان لك مثلها تعطيها وأنت مقهور ولما أبى على رضى الله عنه يوم الحديبية أن يكتب الا رسول الله وافقه على ذلك بعض الحاضرين من المسلمين منهم أسيد بن حضير وسعد بن عبادة رضى الله عنهما فاخذا بيد على رضى الله عنه ومنعاه أن يكتب الا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والا فالسيف بيننا وبينهم وضج المسلمون وارتفعت الاصوات وجعلوا يقولون لا نعطى هذه الدنية فى ديننا فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم ويومىء بيده اليهم ان اسكتوا ثم أمر عليا رضى الله عنه أن يكتب محمد بن عبد الله فكتب وقيل أمر محمد بن مسلمة رضى الله عنه فكتب والحق ان الذى كتبه محمد نسخة اخرى مثل ذلك الكتاب لان سهيلا قال يكون هذا الكتاب معى فكتب محمد بن مسلمة مثله ليكون عند المسلمين وجاء فى بعض الروايات ثم اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب

---

وقلت أعود اليه قالوا الرأى ما رأيت وفارقتهم وهذا يدل على أنه كان معه ومع عبد الله جماعة آخرون من قريش ويحتمل انه عنى باصحابه عبد الله بن ربيعة ويؤيد الأول ما يأتى فليتأمل وكأنى أعمد الى حاجة فعمدت الى موضع السفن فوجدت سفينة قد شحنت فركبت معهم ودفعوها من ساعتهم حتى انتهوا الى الشعيبة وهو محل معروف كان موردة لجدة أى كان ترسى به السفن قبل وجود جدة كما تقدم فخرجت من السفينة فابتعت بعيرا وتوجهت الى المدينة حتى اذا كنت بالهداة اسم محل إذا رجلان وهما خالد بن الوليد وعثمان بن أبى طلحة فرحبا بى واذا هما يريدان الذى أريد فتوجهنا الى المدينة فقد علمت ما فى ارسال عمرو بن أمية الضمرى الى النجاشى عقب وقعة بدر من أنه كان فى ذلك الوقت كافرا لأنه شهد مع الكفار أحدا ومن ثم قال فى الاصل هنا فلما كان شهر ربيع الاول وقيل المحرم سنة سبع أى وقيل سنة ست حكاه ابن عبد البر عن الواقدى من هجرة رسول الله ﷺ كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشى كتابا يدعوه فيه الى الاسلام وبعث به عمرو بن أمية الضمرى فلما قرىء عليه الكتاب أسلم وكتب اليه رسول الله ﷺ ان يزوجه أم حبيبة ففعل وكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبعث اليه من بقى عنده من أصحابه ويحملهم ففعل وقد تقدم القول عند ذكر الهجرة الى أرض الحبشة ان توجه عمرو بكتابى رسول الله ﷺ فى المحرم سنة سبع يدعوه فى أحدهما الى الاسلام والثانى فى تزويجه عليه الصلاة والسلام أم حبيبة وقيل ارسال عمرو كان فى شهر ربيع الاول منها وسيأتى ذكر كتابى النبى صلى الله عليه وسلم الى النجاشى مع عمرو عند ذكر كتبه الى الملوك هذا كله كلام الاصل فليتأمل ما فيه ثم رأيت صاحب النور قال قد رأيت غير واحد صرح بان النجاشى أسلم فى السنة السابعة يعنون من الهجرة وهذا يعكر على تصديقه واسلامه عند ارسال عمرو بن العاص وعبد الله بن ربيعة أى عقب بدر حيث قال أنا أشهد انه رسول الله ﷺ الى آخر ما تقدم هذا كلامه أى فكيف يكون ارساله عمرو بن أمية الى النجاشى ليسلم وقد يجاب بأن المراد اظهار اسلامه أى بعث له عمرو بن أمية لاجل ان يظهر اسلامه ويعلن به بين قومه أى لانه كان يخفى اسلامه عن قومه ولما بلغ قومه انه اعترف بان عيسى صلوات الله وسلامه عليه عبد الله ووافق جعفر بن أبى طالب على ذلك سخطوا وقالوا له أنت فارقت ديننا وأظهروا له المخاصمة فارسل النجاشى الى جعفر بن أبى طالب وأصحابه فهيأ لهم سفنا وقال اركبوا فيها وكونوا كما أنتم فان هربت فاذهبوا حيث شئتم وان ظفرت فاقيموا ثم عمد الى كتاب فكتب هو يشهد ان لا إله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ويشهد أن عيسى عبده ورسوله وروحه وكلمته ألقاها الى مريم ثم جعله فى ثيابه عند منكبه الايمن وخرج إلى الحبشة وقد صفوا له فقال يا معشر الحبشة ألست أرفق الناس بكم قالوا بلى قال فكيف رأيتم سيرتى فيكم قالوا خير سيرة قال فما لكم قالوا فارقت ديننا وزعمت ان عيسى عبد قال فماذا تقولون أنتم فى عيسى قالوا نقول هو ابن الله فقال لهم النجاشى ووضع يده على صدره على قبائه وقال هو يشهد أن عيسى بن مريم ولم يزد على هذا وانما يعنى ما كتب فرضوا منه ذلك ويذكر

بيده فكتب فتمسك بعضهم بظاهره وقال ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب بيده يوم الحديبية معجزة له مع أنه لا يقرأ ولا يكتب وجرى على ذلك أبو الوليد الباجي المالكي فشنع عليه علماء الاندلس في زمانه وقالوا ان هذا مخالف للقرآن فناظرهم واستظهر عليهم بان هذه الاية في القرآن وهو قوله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك بان هذا النفي مقيد بما قبل ورود القرآن وقبل تحقق أميته اما بعد القرآن ( ٢١٤ ) وبعد أن تحققت أميته وتقررت بذلك معجزته فلا مانع أن يعرف الكتابة من غير معلم معجزة أخرى ولا يخرجه ذلك عن كونه أميا والجمهور على أن الروايات التي فيها أخذ الكتاب بيده فكتب محمولة على المجاز أي أمر أن يكتب الكاتب وقوله بيده متعلق بأخذ وليس متعلقا بقوله كتب قال العلماء وافقهم النبي صلى الله عليه وسلم على عدم كتابة بسم الله الرحمن الرحيم وكتب باسمك اللهم وكذا وافقهم في محمد بن عبد الله وترك كتابة رسول الله للمصلحة المهمة الحاصلة بالصلح التي اطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم عليها وحجب المسلمين عنها حتى ضجوا وتشوشوا من ذلك ولم يكن احد في القوم راضيا بجميع ما يرضى به النبي صلى الله عليه وسلم غير أبي بكر الصديق رضي الله عنه وبهذا يتبين علو مقامه ويمكن ان الله كشف لقلبه وأطلعه على بعض تلك الاسرار التي ترتبت على ذلك الصلح كما اطلع على ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فانه حقيق بذلك رضي الله عنه كيف وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم والله ما صب الله في قلبي شيئا الا وصببته في قلب أبي بكر رضي الله عنه ما كان فتح أعظم من فتح الحديبية ولكن قصر رأيهم عما كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين ربه والعباد يعجلون والله تعالى لا يعجل لعجلة العباد حتى تبلغ الامور ما أراد و لقد رأيت سهيل بن عمرو في حجة الوداع قائما عند المنحر يقرب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بدنه

---

ان عليا رضي الله عنه وجد ابن النجاشي عند تاجر بمكة فاشتراه منه واعتقه مكافأة لما صنع أبوه مع المسلمين وكان يقال له نيزر مولى علي كرم الله وجهه ويقال إن الحبشة لما بلغهم خبره أرسلوا وفدا منهم اليه ليملكوه ويتوجوه ولم يختلفوا عليه فابى وقال ما كنت لاطلب الملك بعد ان من الله علي بالاسلام على ان ابن الجوزي رحمه الله ذكر ان ذهاب عمرو بن العاص الى النجاشي كان عند منصرفه مع قريش في غزوة الاحزاب أي لا عقب بدر فعن عمرو بن العاصي رضي الله تعالى عنه لما انصرفنا مع الاحزاب عن الخندق جمعت رجالا من قريش كانوا يرون مكاني ويسمعون مني فقلت لهم تعلمون والله اني لارى أمر محمد يعلو الامور علوا منكرا واني قد رأيت رأيا فما ترون فيه قالوا وما رأيت قال ان تلحق بالنجاشي فنكون عنده فان ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي فانا ان نكون تحت يديه أحب الينا ان نكون تحت يدي محمد وان ظهر قومنا فنحن ممن قد عرفوا فلن ياتينا منهم الا خير فقالوا ان هذا هو الرأي فقلت اجمعوا ما يهدى له وكان أحب ما يهدى اليه من أرضنا الادم فجمعنا له أدما كثيرا ثم خرجنا اليه فوالله انا لعنده اذ جاءه عمرو بن أمية الضمري بعثه رسول الله ﷺ في شأن جعفر وأصحابه الحديث وهذا لا يمنع ان يكون عمرو بن العاص وفد على النجاشي هو وعبد الله بن ربيعة عقب بدر فيكون وفود عمرو بن العاص على النجاشي كان ثلاث مرات مرة مع عمارة عقب مهاجرة من هاجر الى الحبشة ومرة مع عبد الله بن ربيعة عقب بدر وهذه المرة الثالثة التي كانت عقب الاحزاب وان ارسال عمرو بن أمية واسلام عمرو بن العاصي على يد النجاشي كان في هذه المرة الثالثة وحينئذ لا يشكل ارسال عمرو بن أمية للنجاشي لانه كان مسلما حينئذ فيكون ذكر مجيء عمرو بن أمية الى النجاشي في المرة الثانية التي كانت عقب بدر اشتباه من بعض الرواة وكذا ذكر اسلام عمرو بن العاص على يد النجاشي في المرة الثانية من تخليط بعض الرواة ثم رأيته في الامتاع قال وقد رويت قصة الهجرة الى الحبشة واسلام النجاشي من طرق عديدة مطولة ومختصرة وكان رسول الله ﷺ يرسل عمرو بن أمية الضمري في أموره لانه كان من رجال النجدة أي ومعلوم انه كان لا يرسله الا بعد اسلامه واسلامه قد علمت انه كان سنة اربع وفي الاصل انه صلى الله عليه وسلم ارسله الى مكة بهدية لابي سفيان بن حرب أي ولعل المراد بذلك ما حكاه بعض الصحابة قال دعاني رسول الله ﷺ وقد أراد ان يبعثني بمال الى أبي سفيان يقسمه في قريش بمكة بعد الفتح وقال لي التمس صاحبا قال فجاءني عمرو بن أمية فقال بلغني أنك تريد الخروج الى مكة وتلتمس صاحبا قلت أجل قال فانا لك صاحب قال فجئت رسول الله ﷺ فقلت وجدت صاحبا فقال من قلت عمرو بن أمية الضمري فقال اذا هبط بلاد قومه فاحذروه فانه قد قال القائل أخوك البكري ولا تامنه وقد أسلم عبد الله ولده قبل أبيه عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما روى انه ﷺ قال فيهما وفي أم عبد الله نعم البيت عبد الله وأبو عبد الله وأم عبد الله وكان صلى الله عليه وسلم يفضل عبد الله على أبيه لانه كان من عباد الصحابة وزهادهم وفضلائهم وعلمائهم ومن أكثرهم رواية وذكر ابن مرزوق رحمه الله ان ابن عمرو

رضى

رضى الله تعالى عنهما مر ببدر فاذا رجل يعذب ويئن فناداه ياعبدالله قال فالتفت اليه فقال اسقنى فاردت أن أفعل فقال الاسود الموكل بتعذيبه لا تفعل ياعبدالله فان هذا من المشركين الذين قتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه الطبرانى فى الاوسط زاد السيوطى فى الخصائص فاتيت النبى ﷺ فاخبرته فقال أوقد رأيته قلت نعم قال ذاك عدو الله أبو جهل وذاك عذابه إلى يوم القيامة وأخرج ابن أبى الدنيا والبيهقى عن الشعبي أن رجلا قال للنبى ﷺ إنى مررت ببدر فرأيت رجلا يخرج من الارض فيضربه رجل بمقمعة حديد وفى لفظ بعمود حديد حتى يغيب فى الأرض ثم يخرج فيفعل به مثل ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك أبو جهل يعذب إلى يوم القيامة ومما جاء فى فضل من شهد بدرا أن جبريل عليه السلام أتى النبى ﷺ فقال ماتعدون أهل بدر فيكم قال من أفضل المسلمين أو كلمة نحوها قال جبريل عليه السلام وكذلك من شهد بدرا من الملائكة وفى رواية أن للملائكة الذين شهدوا بدرا فى السماء لفضلا على من تخلف منهم وجاء بعض الصحابة رضى الله تعالى عنه إلى النبى ﷺ فقال يارسول الله ان ابن عمى نافق أى وقد كان من أهل بدر أتأذن لى أن أضرب عنقه فقال صلى الله عليه وسلم انه شهد بدرا وعسى أن يكفر عنه وفى رواية ومايدريك لعل الله اطلع على أهل بدر وقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم قال وفى الطبرانى بسند جيد عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ اطلع الله على أهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم أو قال فقد وجبت لكم الجنة أى غفرت لكم مامضى وماسيقع من الذنوب أى وهو يفيد ان مايقع منهم من الكبائر لايحتاجون إلى التوبة عنه لانه إذا وقع يقع مغفورا وعبر فيه بالماضى مبالغة فى تحققه وهذا كما لايخفى بالنسبة للآخرة لا بالنسبة لاحكام الدنيا ومن ثم لما شرب قدامة بن مظعون الخمر فى أيام عمر حده وكان بدريا أى وقد يقال هذا يقتضى وجوب التوبة فى الدنيا فاذا لم تقع لايؤاخذ بذلك فى الآخرة لان وجوب التوبة من أحكام الدنيا لايقال إذا سلم أن الذنب إذا وقع منهم يقع مغفورا لامعنى لوجوب التوبة وانما حد عمر رضى الله عنه قدامة زجرا عن شرب الخمر لانا نقول بل لوجوب التوبة فى الدنيا معنى وان كان الذنب إذا وقع يقع مغفورا لان المراد بذلك عدم المؤاخذة فى الآخرة وذلك لاينافى وجوب التوبة عنه فى الدنيا لانه لاتلازم بين وجوب التوبة فى الدنيا وبين غفران الذنب فى الآخرة هذا وفى الخصائص الصغرى نقلا عن شرح جمع الجوامع ان الصحابة كلهم لايفسقون بارتكاب مايفسق به غيرهم وقدامة هذا كان متزوجا أخت عمر رضى الله تعالى عنه وكان عمر متزوجا باخت قدامة وهى أم حفصة رضى الله عنها فكان خالا لحفصة ولاخيها عبدالله وكان عاملا لعمر فى بعض النواحى أى البحرين فقدم الجارود سعد بن عبدالقيس على عمر من البحرين وكان قدامة واليا عليها فاخبر عمر ان قدامة سكر قال وانى رأيت حدا من حدود الله حقا على أن أرفعه اليك فقال له عمر من يشهد معك قال أبو هريرة فشهد أبو هريرة رضى الله عنه انه رآه سكران أى قال لم أره يشرب ولكنى رأيته سكران يقىء فاحضر قدامة فقال له الجارود أقم عليه الحد فقال له عمر رضى

ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينحرها بيده ودعا الحلاق فحلق رأسه فانا أنظر إلى سهيل بن عمرو يلتقط من شعره صلى الله عليه وسلم ويجعل بعضه على عينيه واذكر امتناعه أن يقر يوم الحديبية ببسم الله الرحمن الرحيم أى وبرسالة النبى صلى الله عليه وسلم فحمدت الله الذى هداه للاسلام مع انه لامفسدة فى عدم كتابة بسم الله الرحمن الرحيم وعدم كتابة رسول الله بل ترتب عليهما مصلحة وانما المفسدة لو طلبوا ان يكتب مالا يحل ثم كتب على رضى الله عنه هذا ماقاضى عليه محمد بن عبدالله فقال النبى صلى الله عليه وسلم على ان تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به وأراد النبى صلى الله عليه وسلم بذلك اظهار ماتكلم به مع سهيل أولا ليطلع المسلمون على أنه صلى الله عليه وسلم بذل الجهد للمسلمين فى ذلك الصلح فقال سهيل والله لانخلى بينك وبين البيت وتتحدث العرب انا أخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب على رضى الله عنه ذلك فقال سهيل وعلى انه لايأتيك منا رجل الا رددته الينا وان كان على دينك ومن جاء قريشا ممن تبعك لم يردوه اليك وفى رواية لمسلم من حديث أنس رضى الله عنه ان قريشا صالحت النبى صلى الله عليه وسلم على ان من جاءنا منكم لم نرده اليكم ومن جاءكم منا رددتموه الينا فقالوا يارسول الله أنكتب هذا قال نعم فانه من ذهب منا اليهم فابعده الله ومن جاء منهم الينا فسيجعل الله له فرجا ومخرجا وفى رواية للبخارى وكان فيما اشترط سهيل على النبى صلى الله عليه وسلم انه لايأتيك منا أحد وان كان على دينك إلا رددته الينا وخليت بيننا وبينه فكره المؤمنون ذلك وامتعضوا أى غضبوا وأنفوا منه فأبى سهيل إلا ذلك فكاتبه النبى ﷺ على ذلك فقال المسلمون متعجبين سبحان الله كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلما وكان ممن قال ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأسيد بن حضير وسعد بن عبادة وسهل بن حنيف رضى الله عنهم وفى رواية ان عمر رضى الله عنه قال يارسول الله أترضى بهذا

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال من ذهب منا اليهم فابعده الله ومن جاء منهم الينا أى ورددناه فسيجعل الله له فرجا ومخرجا ومما كتب فى كتاب الصلح ما رواه البخارى عن البراء بن عازب رضى الله عنهما لا يدخل مكة بالسلاح إلا السيف فى القراب وأن لا يخرج من أهلها بأحد ان أراد أن يتبعه وأن لا يمنع من أصحابه أحدا ان أراد أن يقيم بها وعند ابن اسحق على ان بيننا عيبة مكفوفة أى أمورا مطوية فى صدور سليمة (٢١٦) اشارة إلى ترك المؤاخذة بما تقدم بينهم من أسباب الحرب وغيرها وانه لا اسلال ولا اغلال أى لا سرقة ولا خيانة والمراد أن يأمن بعضهم من بعض فى نفوسهم وأموالهم سرا وجهرا وقيل الاسلال من سل السيوف والأغلال من لبس الدروع وان من أحب أن يدخل فى عقد محمد وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه فتواثبت خزاعة وقالوا نحن فى عقد محمد وعهده وتواثبت بنو بكر وقالوا نحن فى عقد قريش وعهدهم وانك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل مكة علينا وانه إذا كان عام قابل خرجنا فدخلتها باصحابك فاقمت بها ثلاثا معك سلاح الراكب السيوف فى القرب لا تدخلها بغيره وان الحرب توضع بينهم عشر سنين وفى رواية أربع سنين تأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض اه فان قيل ما الحكمة فى كونه صلى الله عليه وسلم وافق سهيلا على هذه الشروط التى من جملتها انه لا يأتيه رجل منهم وان كان على دين الاسلام إلا ويرده فعرف اليوم فالجواب كما نقله النووى عن العلماء أن المصلحة المترتبة على هذا الصلح هى ما ظهر من ثمراته الباهرة وفوائده المتظاهرة التى علمها النبى صلى الله عليه وسلم وخفيت عليهم فحمله ذلك على موافقتهم وذلك أنهم قبل الصلح لم يكونوا يختلطون بالمسلمين ولا تظهر عندهم أمور النبى صلى الله عليه وسلم كما هى ولا يجتمعون بمن يعلمهم بها مفصلة فلما حصل الصلح اختلطوا بالمسلمين وجاءوا إلى

---

الله عنه أخصم أنت أم شاهد فصمت ثم عاوده فقال له عمر رضى الله عنه لتمسكن أو لاسوءتك فقال ليس فى الحق وفى لفظ أما والله ما ذلك بالحق أن يشرب ابن عمك وتسوءنى فأرسل عمر رضى الله عنه إلى زوجة قدامة أى بعد أن قال له أبو هريرة رضى الله عنه ان كنت تشك فى شهادتنا فارسل إلى ابنة الوليد يعنى زوجته فجاءت وشهدت على زوجها بانه سكر فقال عمر لقدامة أريد أن أحدك فقال ليس لك ذلك لقول الله عز وجل ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا فقال له عمر أخطأت التأويل فان بقية الآية إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات فانك ان اتقيت اجتنبت ما حرم الله تعالى عليك ثم أمر به فحد فغاضبه قدامة ثم حجا جميعا فى يوم استيقظ عمر رضى الله عنه من نومه فزعا فقال عجلوا بقدامة أتانى آت فقال صالح قدامة فانه أخوك فاصطلحا أى وقد احتج بهذه الآية أيضا جمع من الصحابة شربوا الخمر وهم أبو جندل وضرار بن الخطاب وأبو الازور فأراد أبو عبيدة رضى الله عنه وهو وال بالشام أن يحدهم فقال أبو جندل ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات فكتب أبو عبيدة إلى عمر بذلك وقال خصمنى أبو جندل بهذه الآية فكتب عمر لأبى عبيدة أن الذى زين لأبى جندل الخطيئة زين له الخصومة فاحددهم فلما أراد أبو عبيدة أن يحدهم قال أبو الأزور لأبى عبيدة دعنا نلقى العدو غدا فان قتلنا فذاك وان رجعنا اليكم فحدونا فلقوا العدو فاستشهد أبو الازور وحد الآخران وفى حواشى البخارى للحافظ الدمياطى أن نعيمان كان ممن شهد بدرا وسائر المشاهد وأتى به فى شربه الخمر إلى رسول الله ﷺ فحده أربعا أو خمسا أى من المرات فقال رجل من القوم اللهم العنه ما أكثر ما يشرب وأكثر ما يحد فقال عليه الصلاة والسلام لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله ولعل هذا التعليل لا ينظر لمفهومه وعند الامام أحمد رحمه الله عن حفصة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول إنى لأرجو أن لا يدخل النار ان شاء الله تعالى أحد شهد بدرا والحديبية ولعل الواو بمعنى أو ويدل لذلك ما فى بعض الروايات عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ قال لا يدخل النار أحد من بايع تحت الشجرة ولا ينافى ما فى مسلم والترمذى عن جابر أن عبدا لحاطب جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو حاطبا اليه فقال يارسول الله ليدخلن حاطب النار فقال كذبت لا يدخلها فانه شهد بدرا والحديبية لانه يجوز أن يكون ذلك لكونه أى الجمع بين بدر والحديبية هو الواقع لحاطب وفى الطبرانى عن رافع بن خديج رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر والذى نفسى بيده لو أن مولودا ولد فى فقه أربعين سنة من أهل الدين يعمل بطاعة الله تعالى كلها ويجتنب معاصى الله كلها إلى أن يرد إلى أرذل العمر أو يرد إلى أن لا يعلم بعد علم شيئا لم يبلغ أحدكم هذه الليلة وكان ﷺ يكرم أهل بدر ويقدمهم على غيرهم ومن ثم جاء جماعة من أهل بدر للنبى صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى صفة ضيقة ومعه جماعة من أصحابه فوقفوا بعد أن سلموا ليفسح لهم القوم فلم يفعلوا فشق قيامهم على النبى ﷺ فقال لمن لم يكن من أهل بدر من الجالسين قم يافلان قم يافلان بعدد الواقفين

نعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الكراهة في وجه من أقامه فقال رحم الله رجلا يفسح لأخيه فنزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم واذا قيل انشزوا فانشزوا الآية فجعلوا يقومون لهم بعد ذلك أي ولعل المراد يجلسونهم مكانهم وفي الخصائص الصغرى وخص أهل بدر من أصحابه ﷺ بان يزادوا في الجنازة على أربع تكبيرات تميزا لهم لفضلهم وقد ذكر أن عمر بن عبد العزيز بن مروان كان يختلف الى عبيد الله بن عبد الله ليسمع منه فبلغ عبيد الله ان عمر ينتقص عليا رضى الله تعالى عنه فأتاه عمر فاعرض عبيد الله عنه وقام ليصلي فجلس عمر ينتظره فلما سلم أقبل عليه وقال له متى بلغك ان الله سخط على أهل بدر بعد أن رضى عنهم ففهمها عمر وقال معذرة الى الله واليك والله لا أعود فما سمع بعد ذلك يذكر عليا كرم الله وجهه الا بخير

﴿ غزوة بني سليم ﴾

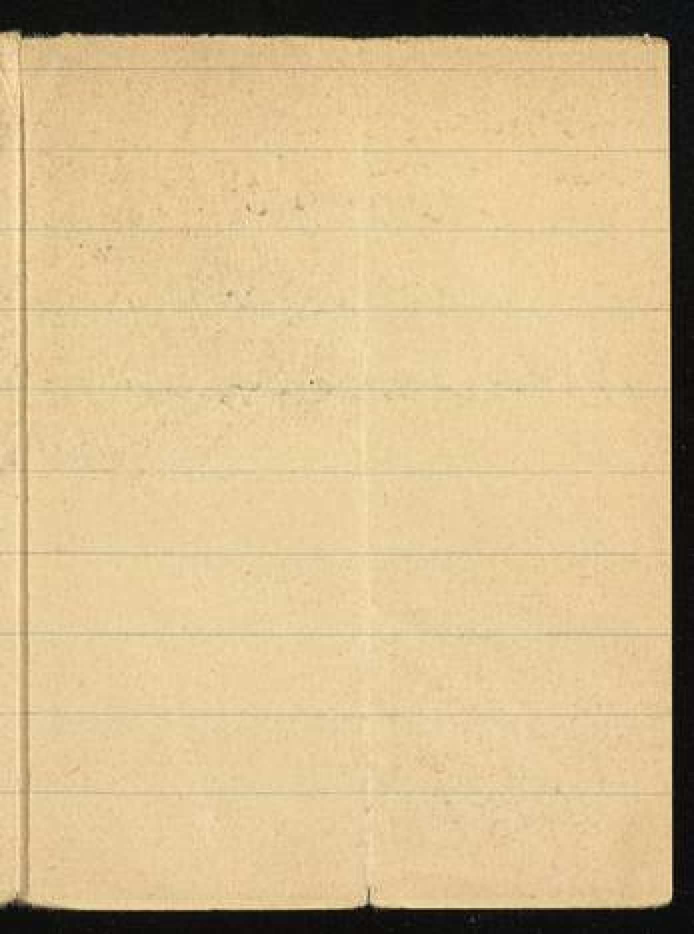
ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة من بدر لم يقم الا سبع ليال حتى غزا بنفسه يريد بني سليم واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري أو ابن أم مكتوم اي وفي رواية أبي داود ان استخلاف ابن أم مكتوم انما كان على الصلاة بالمدينة دون القضايا والأحكام فان الضرير لا يجوز له أن يحكم بين الناس لأنه لا يدرك الاشخاص ولا يثبت الأعيان ولا يدري لمن يحكم ولا على من يحكم أي فأمر القضايا والأحكام يجوز أن يكون فرضه صلى الله عليه وسلم لسباع فلا مخالفة فلما بلغ ماء من مياههم يقال له الكدر أي وقيل لهذا الماء الكدر لان به طيرا في ألوانها كدرة فاقام ﷺ على ذلك ثلاث ليال ثم رجع إلى المدينة ولم يلق حربا أي وكان لواؤه صلى الله عليه وسلم أبيض حمله علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وكان في تلك السنة تزويج علي بفاطمة رضى الله تعالى عنهما أي عقد عليها في رمضان وقيل في رجب ودخل بها في ذي الحجة وقيل بعد أن تزوجها بنى بها بعد سبعة أشهر ونصف أي فيكون عقد عليها في أول جمادى الأولى وكان عمرها خمس عشرة سنة وكان سن علي يومئذ احدى وعشرين سنة وخمسة أشهر أي وأولم عليها بكبش من عند سعد وآصع من ذرة من عند جماعة من الانصار ولما خطبها علي قال ﷺ ان عليا يخطبك فسكتت أي وفي رواية قال لها أي بنية ان ابن عمك عليا قد خطبك فماذا تقولين فبكت ثم قالت كأنك يا أبت انما ادخرتني لفقير قريش فقال صلى الله عليه وسلم والذي بعثني بالحق ما تكلمت في هذا حتى أذن لي الله فيه من السماء فقالت فاطمة رضى الله عنها رضيت بما رضى الله ورسوله وقد كان خطبها أبو بكر ثم عمر فسكت صلى الله عليه وسلم وفي رواية قال لكل انتظر بها القضاء فجاآ أي أبو بكر وعمر رضى الله عنهما الى علي كرم الله وجهه يأمراه أن يخطبها قال علي فنبهاني لأمر كنت عنه غافلا فجئته ﷺ فقلت تزوجني فاطمة قال وعندك شيء قلت فرسي وبدني أي درعي قال أما فرسك فلا بد لك منها وأما بدنك فبعها فبعتها بأربعمائة وثمانين درهما فجئته ﷺ بها فوضعها في حجره فقبض منها قبضة فقال أي بلال ابتع لنا بها طيبا وفي رواية لما خطبها قال له صلى الله عليه وسلم ما تصدقها وفي لفظ هل عندك شيء تستحلها به قال ليس

المدينة وجاء المسلمون الى مكة وخلوا بأهلهم وأصدقائهم وغيرهم ممن يستنصحونهم وسمعوا منهم أحوال النبي صلى الله عليه وسلم ومعجزاته الظاهرة واعلام نبوته المتظاهرة وحسن سيرته وجميل طريقته وعاينوا بأنفسهم كثيرا من ذلك فمالت أنفسهم إلى الايمان حتى بادر خلق منهم الى الاسلام قبل فتح مكة فأسلموا فيما بين صلح الحديبية وفتح مكة كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص رضى الله عنهما وغيرهما وازداد الآخرون أي الذين لم يسلموا ميلا الى الاسلام فلما كان يوم  الفتح أسلموا كلهم لما قد تمهد لهم الميل وكانت العرب من غير قريش ينتظرون باسلامهم اسلام قريش لما يعلمونه فيهم من القوة والرأى ولأنهم كانوا يقولون قوم الرجل أعلم به فلما أسلمت قريش أسلمت العرب قال تعالى إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا ففيه إشارة الى أنه عند حصول نصر الله نبيه صلى الله عليه وسلم على أعدائه وفتح مكة يدخل الناس في دين الله جماعات وكان الامر كذلك فجاءه العرب بعد فتح مكة من أقطار الأرض طائعين وكان هذا الصلح هو سبب فتح مكة كما سيأتي ان شاء الله تعالى فالله ورسوله أعلم بالحكمة البالغة فان صد المسلمين عن البيت كان في الظاهر هضما للمسلمين وفي الباطن عزا لهم وقوة فاذل الله المشركين من حيث أرادوا العز لأنفسهم وقهرهم من حيث أرادوا الغلبة ولله العزة ولرسوله

 وللمؤمنين والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون فلله الحمد والمنة على ما أنعم به وتفضل وقال البخاري عند ذكر كتابة الشروط فبينما هم كذلك وقال ابن اسحق فان الصحيفة لتكتب اذ دخل أبو جندل واسمه العاص بن سهل ابن عمرو يرسف في قيوده وكان قد أسلم بمكة قبل ذلك رضى الله عنه فحبسه أبوه ومنعه من الهجرة وأوثقه بالقيود فحين سمع بأن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالحديبية احتال على نفسه حتى خرج من السجن وتنكب الطريق وركب الجبال حتى

هبط على المسلمين ففرح به المسلمون وتلقوه فقام سهيل بن عمرو الى ابنه ابي جندل حين رآه فضرب وجهه ضربا شديدا حتى رق عليه المسلمون وبكوا وتلببه أي جمع عليه ثوبه الذي هو لابسه وقبض عليه نحره وقال سهيل هذا يا محمد أول ما أقاضيك أي أول شيء أحاكمك عليه أن ترده الى فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا لم نقض الكتاب بعد أي لم نفرغ من كتابته فقال سهيل والله اذا لا أصالحك على شيء أبدا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم فاجزه لي قال ما أنا بمجيزه ذلك قال بلى فافعل قال ما أنا بفاعل فقال مكرز وحويطب بلى قد أجزنا ذلك فاخذاه وأدخلاه فسطاطا وكفا أباه عنه فأبى سهيل بن عمرو واجازتهما وقيل انما اجازاه ليكف عنه العذاب ليرجع الى طاعة أبيه فكان ذلك من فجور مكرز الذي أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم فانه قال ذلك نفاقا وفي باطنه خلافه قال ابن اسحق ثم قال سهيل يا محمد قد لجت القضية أي وجبت وتمت بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا قال صدقت فجعل ينتره ويتلببه ويجره ليرده إلى قريش فلما رأى أبو جندل أباه مصمما على أخذه قال أي معشر المسلمين أردّ الى المشركين وقد جئت مسلما ألا ترون ما قد لقيت وكان قد عذب في الله عذابا شديدا وفي رواية جعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته يا معشر المسلمين اردّ الى المشركين يفتنوني في ديني فزاد الناس ذلك على ما بهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا جندل اصبر واحتسب فانا لا نغدر وقد تم الصلح قبل أن تأتي وقد تلطفت بابيك فأبى وان الله لفظ جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا فوثب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى جنب أبي جندل يقول له اصبر يا أبا جندل فانما هم المشركون وانما دم أحدهم كدم الكلب ويدني له السيف قال عمر رضي الله عنه رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه وجعل يقول ان الرجل يقتل أباه والله لو أدركنا آباءنا لقتلناهم في الله فقال له أبو جندل مالك لا تقتله أنت فقال عمر نهانا رسول الله

عندي شيء قال فأين درعك الحطمية التي أعطيتك يوم كذا وكذا قال عندي فباعها من عثمان بن عفان بأربعمائة وثمانين درهما ثم ان عثمان رضي الله عنه رد الدرع الى علي كرم الله وجهه فجاء علي بالدرع والدراهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا لعثمان بدعوات وفي فتاوى الجلال السيوطي انه سئل هل لصحة ما قيل ان عثمان بن عفان رأى درع علي رضي الله تعالى عنهما يباع بأربعمائة درهم ليلة عرسه على فاطمة رضي الله عنها فقال عثمان هذا درع علي فارس الاسلام لا يباع أبدا فدفع لغلام علي أربعمائة درهم واقسم أن لا يخبره بذلك ورد الدرع معه فلما أصبح عثمان وجد في داره أربعمائة كيس في كل كيس أربعمائة درهم مكتوب على كل درهم هذا ضرب الرحمن لعثمان بن عفان فأخبر جبريل النبي ﷺ بذلك فقال هنيئا لك يا عثمان وفيها أيضا ان عليا خرج ليبيع ازار فاطمة ليأكل بثمنه فباعه بستة دراهم فسأله سائل فاعطاه اياها فجاء جبريل في صورة اعرابي ومعه ناقة فقال يا أبا الحسن اشتر هذه الناقة قال ما معي ثمنها قال الى أجل فاشتراها بمائة ثم عرض له ميكائيل في صورة رجل في طريقه فقال أتبيع هذه الناقة قال نعم قال بكم اشتريتها قال بمائة قال آخذها بمائة ولك من الربح ستون فباعها له فعرض له جبريل فقال بعت الناقة قال نعم قال ادفع الى ديني فدفع له مائة ورجع بستين فقالت له فاطمة من أين لك هذا قال ضاربت مع الله بستة فاعطاني ستين ثم جاء الى النبي ﷺ فأخبره بذلك فقال البائع جبريل والمشتري ميكائيل والناقة لفاطمة تركبها يوم القيامة له اصل أم لا فأجاب عن ذلك كله بأنه لم يصح أي وهي تصدق بان ذلك لم يرد فهو من الكذب الموضوع ولما أراد صلى الله عليه وسلم أن يعقد خطب خطبة منها الحمد لله المحمود بنعمته المعبود بقدرته الذي خلق الخلق بقدرته وميزهم بحكمته ثم ان الله عز وجل جعل المصاهرة نسبا وصهرا وكان ربك قديرا ثم ان الله أمرني أن أزوج فاطمة من علي على أربعمائة مثقال فضة أرضيت يا علي قال رضيت بعد أن خطب علي كرم الله وجهه أيضا خطبة منها الحمد لله شكرا لأنعمه وأياديه وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة تبلغه وترضيه أي وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال يا علي اخطب لنفسك فقال علي الحمد لله الذي لا يموت وهذا محمد رسول الله ﷺ زوجني ابنته فاطمة على صداق مبلغه أربعمائة درهم فاسمعوا ما يقول واشهدوا قالوا ما تقول يا رسول الله قال أشهدكم اني قد زوجته كذا رواه ابن عساكر قال الحافظ ابن كثير وهذا خبر منكر وقد ورد في هذا الفصل أحاديث كثيرة منكرة وموضوعة ضربنا عنها ولما تم العقد دعا صلى الله عليه وسلم بطبق بسر فوضع بين يديه ثم قال للحاضرين انتهبوا وقول علي كرم الله وجهه نبهاني لأمر كنت عنه غافلا لا ينافي ما روي عن أسماء بنت عميس انها قالت قيل لعلي ألا تتزوج بنت رسول الله ﷺ فقال مالي صفراء ولا بيضاء ولست بمأبور بالباء الموحدة يعني غير الصحيح الدين ولا المتهم في الاسلام أي لا أخشى الفاحشة اذا لم أتزوج وليلة بنى بها قال ﷺ لعلي لا تحدث شيئا حتى تلقاني فجاءت بها أم أيمن حتى قعدت في جانب البيت وعلي في جانب آخر وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لفاطمة ائتيني بماء فقامت تعثر في ثوبها وفي



فائدة لشفوة الجسم تأخذ القرنفل وزنجبيل ونصف درهم ويشرب في الحليب على الريق

لتقوية العضل وحزم و يشرب على الريق وعند النوم

١٤٤ ص
...

زنجبيل ...

١٤٣ ص

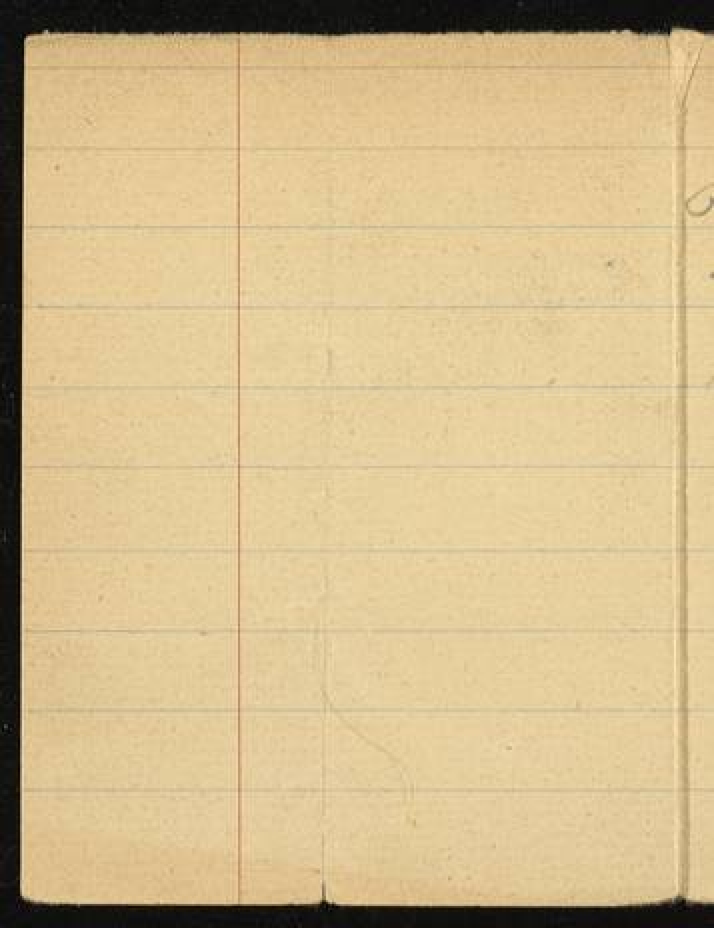
ص ١٤٢

ليس النوم عندنا الفصل

زرنا الى حبر - فاصل - نعشق ربيعه الأرض

نصنع الحساء ونحن نعمل معظم الرحمة

ونصطلح نصف او ثلث على الرف



صلى الله عليه وسلم عن قتله وقتل غيره فقال أبو جندل ما أنت أحق بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم منى ولعل عمر رضى الله عنه
ظن جواز قتل أبى جندل لأبيه لكونه أراد أن يفتنه عن دينه وإن قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا جندل اصبر واحتسب ثم
رجع أبو جندل رضى الله عنه مكة فى جوار مكرز بن حفص وحويطب بن عبد العزى فأدخلاه مكة وكفا عنه أباه وسيأتى فى آخر القصة
أن أبا جندل فى مدة الهدنة هرب من مكة ومعه جماعة من المستضعفين وأنهما انضمو  إلى أبى بصير وقطعوا الطريق
على قريش حتى كتبت قريش للنبى صلى الله عليه وسلم تسأله بالأرحام أن يأويهم عنده كما سيأتى ثم ان سهيل بن عمرو له ابن آخر اسمه عبد الله بن سهيل أسلم قديما سرا وخرج مع المشركين يوم بدر فلما وصلوا بدراً خرج من بينهم ودخل فى أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وشهد بدراً والمشاهد كلها وأما أبو جندل فاسمه العاص كما تقدم وأول مشهد شهده فتح مكة ثم ان قريشا أرسلت عثمان ابن عفان رضى الله عنه وبهذا يعلم أن بيعة الرضوان كانت قبل الصلح وانها السبب الباعث لقريش عليه وقد وقع فى المواهب ما يقتضى أن البيعة كانت بعد الصلح وأن الكتاب الذى ذهب به عثمان كان متضمنا للصلح الذى وقع بينه صلى الله عليه وسلم وبين سهيل ابن عمرو وحبست قريش عثمان رضى الله عنه فحبس صلى الله عليه
وسلم سهيلا قال الحلبى ولا يخفى ما فيه ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلح أشهد عليه رجالا من المسلمين وهم أبو بكر
وعمر وعثمان وعلى وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وأبو عبيدة بن الجراح ومحمد بن مسلمة رضى الله عنهم ومن المشركين
حويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص وما تم هذا الصلح إلا بعد توقف كثير من المسلمين فيه وصاروا يراجعون النبى صلى الله
عليه وسلم ويسألونه أن لا يوافق على تلك الشروط لاسيما عمر رضى الله عنه فانه أتى النبى صلى الله عليه وسلم وراجعه كثيرا كما تقدم

لفظ فى مرطها من الحياء فأتته بقعب فيه ماء فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومج فيه ثم قال لها تقدمى فتقدمت فنضح بين ثدييها وعلى رأسها وقال اللهم إنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ثم قال ائتونى بماء فقال على كرم الله وجهه فعلمت الذى يريد فقمت وملأت القعب فأتيته به فأخذه فمج فيه وصنع بى كما صنع بفاطمة ودعالى بما دعا لها به ثم قال اللهم بارك فيهما وبارك عليهما وبارك لهما فى شملهما أى الجماع وتلا قل هو الله أحد والمعوذتين ثم قال ادخل بأهلك باسم الله والبركة وكان فراشهما اهاب كبش أى جلده وكان لهما قطيفة إذا جعلاها بالطول انكشفت ظهورهما وإذا جعلاها بالعرض انكشفت رءوسهما ثم مكث ﷺ ثلاثة أيام لا يدخل على فاطمة وفى اليوم الرابع دخل عليهما فى غداة باردة وهما فى تلك القطيفة فقال لهما كما أنتما وجلس عند رأسهما ثم أدخل قدميه وساقيه بينهما فأخذ على كرم الله وجهه إحداهما فوضعها على صدره وبطنه ليدفئها وأخذت فاطمة رضى الله عنها الأخرى فوضعتها كذلك وقالت له فى بعض الأيام يارسول الله مالنا فراش إلا جلد كبش ننام عليه بالليل ونعلف عليه ناضحنا بالنهار فقال لها ﷺ يا بنية اصبرى فان موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام أقام مع امرأته عشر سنين ليس لهم فراش إلا عباءة قطوانية أى وهى نسبة إلى قطوان موضع بالكوفة أى ولعل العباءة التى كانت تجاب من ذلك الموضع كانت صفيقة وعن على رضى الله تعالى عنه لم يكن لى خادم غيرها وعنه رضى الله تعالى عنه لقد رأيتنى مع رسول الله ﷺ وإنى لأربط الحجر على بطنى من الجوع وان صدقتى اليوم لتبلغ أربعين ألف دينار ولعل المراد فى السنة قال الامام أحمد بن حنبل ما ورد لأحد من الصحابة ما ورد لعلى رضى الله تعالى عنه أى من ثنائه ﷺ عليه وسبب ذلك أنه كثرت أعداؤه والطاعنون عليه من الخوارج وغيرهم فاضطر لذلك الصحابة أن يظهر كل منهم من فضله ما حفظه رداً على الخوارج وغيرهم وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ما نزل فى أحد من الصحابة من كتاب الله ما نزل فى على نزل فى على ثلثمائة آية وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كل ما تكلمت به فى التفسير فانما أخذته عن على كرم الله وجهه ومن كلماته البديعة الوجيزة لا يخافن أحد إلا ذنبه ولا يرجون إلا ربه ولا يستحى من لا يعلم أن يتعلم ولا من يعلم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول الله أعلم ما أبردها على الكبد إذا سئلت عما لا أعلم أن أقول الله أعلم ومن ذلك العالم من عمل بما علم ووافق علمه عمله وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم تخالف سريرتهم علانيتهم ويخالف علمهم عملهم يجلسون حلقا فيباهى بعضهم بعضا حتى ان الرجل ليغضب على جليسه أن يجلس إلى غيره ويدعه أولئك لا تصعد أعمالهم من مجالسهم تلك إلى الله وقال ﷺ لعلى يهلك فيك رجلان محب مطر وكذاب مفتر مكره لك يأتى بالكذب المفترى وقال له يا على ستفترق أمتى فيك كما افترقت فى عيسى ابن مريم وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال ان بنى هشام بن المغيرة استأذنونى فى أن ينكحوا ابنتهم على بن أبى طالب فلا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن إلا أن يريد ابن أبى طالب أن يطلق ابنتى وينكح ابنتهم فانما هى بضعة منى يريبنى

مارابها و يؤذيني ما آذاها

## ﴿ غزوة بني قينقاع ﴾

بضم النون وقيل بكسرها أى وقيل بفتحها فهى مثلثة النون والضم أشهر قوم من اليهود وكانوا أشجع يهود وكانوا صاغة وكانوا احلافاء عبادة بن الصامت رضى الله عنه وعبد الله بن أبى ابن سلول فلما كانت وقعة بدر أظهروا البغى والحسد ونبذوا العهد أى لأنه ﷺ كان عاهدهم وعاهد بنى قريظة و بنى النضير أن لايحاربوه وأن لا يظاهروا عليه عدوه وقيل على ان لايكونوا معه ولا عليه وقيل على أن ينصروه ﷺ على من دهمه من عدوه أى كما تقدم فهم أول من غدر من يهود فانه مع ماهم عليه من العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قدمت امرأة من العرب بجلب لها أى وهو ما يجلب ليباع من ابل وغنم وغيرهما () فباعته بسوق بنى قينقاع وجلست الى صائغ منهم أى وفى الامتاع ان المرأة كانت زوجة لبعض الأنصار أى ومعلوم ان الأنصار كانوا بالمدينة أى وقد يقال لا مخالفة لجواز أن تكون زوجة بعض الأنصار من الاعراب وأنها جاءت بجلب لها فجعلوا أى جماعة منهم يراودونها عن كشف وجهها فأبت فعمد الصائغ الى طرف ثوبها فعقده الى ظهرها قال وفى رواية خله بشوكة وهى لا تشعر فلما قامت انكشفت سوأتها فضحكوا منها فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وشدت اليهود على المسلم فقتلوه فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود فغضب المسلمون أى وتقدم وقوع مثل ذلك وأنه كان سببا لوقوع حرب الفجار الأول ولما غضب المسلمون على بنى قينقاع أى وقال لهم ﷺ ما على هذا أقررناهم تبرأ عبادة بن الصامت رضى الله عنه من حلفهم أى قال يارسول الله أتولى الله ورسوله والمؤمنين وابرأ من حلف هؤلاء الكفار () وتشبث به عبد الله بن أبى ابن سلول أى لم يتبرأ من حلفهم كما تبرأ منه عبادة بن الصامت أى وفيه نزلت يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض الى قوله فان حزب الله هم الغالبون فجمعهم صلى الله عليه وسلم وقال لهم يامعشر يهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة أى ببدر وأسلموا فانكم قد عرفتم انى مرسل تجدون ذلك فى كتابكم وعهد الله تعالى اليكم قالوا يا محمد انك ترى انا قومك أى تظننا انا مثل قومك ولا يغرنك انك لقيت قوما لاعلم لهم بالحرب فاصبت لهم فرصة إنا والله لو حاربناك لتعلمن انا نحن الناس وفى لفظ لتعلمن انك لم تقاتل مثلنا أى لأنهم كانوا أشجع اليهود وأكثرهم أموالا وأشدهم بغيا فأنزل الله تعالى قل للذين كفروا ستغلبون الآية أى وأنزل الله وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء الآية فتحصنوا فى حصونهم فسار اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولواؤه وكان أبيض بيد عمه حمزة بن عبد المطلب رضى الله تعالى عنه قال ابن سعد ولم تكن الرايات يومئذ وقد قدمنا ان هذا يرده ما تقدم فى ضمن غزاة بدر من أنه كان أمامه رايتان سوداوان احداهما مع على و يقال لها العقاب ولعلها سميت بذلك فى مقابلة الراية التى كانت فى الجاهلية تسمى بهذا الاسم

---

ومن مراجعته أنه قال له ألست نبى الله حقا قال بلى قال ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قال أليس قتلانا فى الجنة وقتلاهم فى النار قال بلى قال فلم نعطى الدنية أى الحالة الدنية الخسيسة فى ديننا إذا ونرجع ولم يحكم الله بيننا فقال له النبى صلى الله عليه وسلم إنى رسول الله ولست أعصيه وهو ناصرى قلت أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتى البيت فنطوف به أى للرؤيا التى رآها قال بلى أفأخبرتك أنا نأتيه هذا العام قال لا قال صلى الله  عليه وسلم فانك آتيه ومطوف به أى وكذلك الصحابة رضى الله عنهم لأنه كان صلى الله عليه وسلم أخبرهم بأنه رأى أنهم يدخلون المسجد الحرام و يطوفون بالبيت ووعدهم بذلك فلما رأوا الصلح دخلهم من ذلك أمر عظيم حتى كادوا يهلكون وشق عليهم قال عمر رضى الله عنه لقد دخلنى أمر عظيم وراجعت النبى صلى الله عليه وسلم مراجعة ماراجعته مثلها قط حتى قال لى أبو عبيدة ابن الجراح رضى الله عنه ألا تسمع ياابن الخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما يقول نعوذ بالله من الشيطان الرجيم فجعلت أتعوذ بالله من الشيطان الرجيم وروى البزار عن عمر رضى الله عنه اتهموا الرأى على الدين فلقد رأيتنى أرد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم برأيى وما ألوت عن الحق فرضى صلى الله عليه وسلم وأبيت حتى قال يا عمر ترانى رضيت وتأبى وفى رواية قال ياابن الخطاب إنى رسول الله ولن يضيعنى الله فرجع متغيظا فلم يصبر حتى جاء أبا بكر فقال يا أبا بكر أليس هذا نبى الله حقا قال بلى قال ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قال فلم نعطى الدنية فى ديننا إذا فقال أبو بكر أيها الرجل انه رسول الله وليس يعصى ربه فاستمسك بغرزه أى ركابه أى لا تفارقه فوالله انه على الحق قال قلت أوليس كان يحدثنا أنا سنأتى البيت فنطوف به قال بلى أفأخبرك انا نأتيه العام قلت لا قال فانك آتيه ومطوف به فأجابه بمثل ما أجابه النبى صلى الله عليه وسلم ثم ان هذه الرواية مصرحة بان اتيانه لأبى بكر

كان بعد اتيانه للنبي صلى الله عليه وسلم وتقدمت رواية صحيحة بأن ذلك كان قبل اتيانه ﷺ ويمكن الجمع بان تلك المراجعة تكررت فجاء لأبى بكر وراجعه قبل وبعد ودل جواب أبى بكر الموافق لجواب النبي صلى الله عليه وسلم على أن أبا بكر رضى الله عنه أكمل الصحابة علما وأعرفهم بأحوال النبي صلى الله عليه وسلم وأعلمهم بأمور الدين وأشدهم موافقة لأمر الله تعالى فهو من الدلائل الظاهرة على عظيم فضله وبارع علمه وزيادة عرفانه ورسوخه وزيادته فى كل ذلك على غيره وقد جاء فى بعض الروايات أن المسلمين استنكروا الصلح المذكور وكانوا على رأى عمر رضى الله عنه وعنهم فلم يوافقهم أبو بكر رضى الله عنه بل كان قلبه على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء ومر فى الهجرة أن ابن الدغنة وصفه بمثل ماوصفت به خديجة النبي صلى الله عليه وسلم سواء من كونه يصل الرحم ويحمل الكل ويعين على نوائب الحق وغير ذلك فلما تشابهت صفاتهما من الابتداء استمر ذلك الى الانتهاء ولجلالة قدر أبى بكر وسعة علمه عند عمر رضى الله عنه لم يراجع عمر فى ذلك أحدا بعده صلى الله عليه وسلم أو قبله غير الصديق وإنما سأله بعد سؤال المصطفى صلى الله عليه وسلم لشدة ماحصل لعمر رضى الله عنه من الغيظ ولقوته فى نصر الدين واذلال الكافرين قال العلماء لم يكن سؤال عمر رضى الله عنه وكلامه شكا فى الدين حاشاه رضى الله عنه ففى رواية ابن اسحق أنه لما قال له الزم غرزه فانه رسول الله قال عمر وأنا أشهد أنه رسول الله بل كان سؤاله طلبا لكشف ماخفى عليه من المصلحة وحثا على اذلال الكفار وظهور الاسلام كما عرف فى خلقه وقوته فى نصر الدين واذلال المبطلين ففى ذلك دليل على جواز البحث فى العلم حتى يظهر المعنى وفى البخارى قال عمر رضى الله عنه فعملت لذلك أعمالا وفى ابن اسحق فما زلت أتصدق وأصوم وأصلى وأعتق من الذي صنعت يومئذ مخافة كلامي

الاسم ويقال لها راية الرؤساء لأنه كان لا يحملها فى الحرب الا رئيس وكانت فى زمنه ﷺ مختصة بأبى سفيان رضى الله عنه لا يحملها فى الحرب الا هو أو رئيس مثله اذا غاب كما فى يوم بدر والأخرى مع بعض الأنصار وسيأتى فى خيبر أن العقاب كان قطعة من برد لعائشة رضى الله عنها واستخلف ﷺ على المدينة أبا لبابة وحاصرهم خمس عشرة ليلة أشد الحصار لان خروجه صلى الله عليه وسلم كان فى نصف شوال واستمر الى هلال ذى القعدة الحرام فقذف الله فى قلوبهم الرعب وكانوا أربعمائة حاسر وثلثمائة دارع فسألوا رسول الله ﷺ أن يخلى سبيلهم وأن يجلوا من المدينة أى يخرجوا منها وأن لهم نساءهم والذرية وله صلى الله عليه وسلم الاموال أى ومنها الحلقة التى هى السلاح والظاهر من كلامهم أنهم لم يكن لهم نخيل ولا أرض تزرع وخمست أموالهم أى مع كونها فيأ له صلى الله عليه وسلم لانها لم تحصل بقتال ولا جلوا عنها قبل التقاء الصفين فكان له صلى الله عليه وسلم الخمس ولاصحابه الاربعة الاخماس (أقول) ولا يخفى أن من جملة أموالهم دورهم ولم أقف على نقل صريح دال على ما فعل بها وعلم أنه ﷺ جعل هذا الفىء كالغنيمة ومذهبنا معاشر الشافعية أن الفىء المقابل للغنيمة كالواقع فى هذه الغزوة وغزوة بنى النضير الآتية كان فى زمنه صلى الله عليه وسلم يقسم خمسة أقسام له ﷺ أربعة منها والقسم الخامس يقسم خمسة أقسام له صلى الله عليه وسلم منها قسم فيكون له أربعة أخماس وخمس الخمس والاربعة الاخماس الباقية من الخمس منها واحد لذوى القربى وآخر لليتامى وآخر للمساكين وآخر لابن السبيل فجميع مال الفىء مقسوم على خمسة وعشرين سهما منها أحد وعشرون سهما لرسول الله ﷺ وأربعة أسهم لاربعة أصناف هم ذوو القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ولعل امامنا الشافعى رضى الله عنه رأى أن ذلك كان أكثر أحواله ﷺ وإلا فهو هنا وفى بنى النضير كما سيأتى لم يفعل ذلك بل خمسه هنا وثم استقل به أى لم يعط الجيش منه وقد جعل ﷺ سهم ذوى القربى بين بنى هاشم أى وبنات هاشم وبنى أى وبنات المطلب دون بنى أخويهما عبد شمس ونوفل مع أن الاربعة أولاد عبد مناف كما تقدم ولما فعل ذلك جاء اليه ﷺ جبير بن مطعم من بنى نوفل وعثمان ابن عفان من بنى عبد شمس فقالا يارسول الله هؤلاء اخواننا من بنى هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذى وضعك الله منهم أرأيت اخواننا من بنى المطلب أعطيتهم وتركتنا وفى لفظ ومنعتنا وانما قرابتنا وقرابتهم واحدة وفى رواية ان بنى هاشم شرفوا بمكانك منهم وبنو المطلب ونحن ندلى اليك بنسب واحد ودرجة واحدة فيم فضلتهم علينا فقال رسول الله ﷺ انما بنو هاشم وبنو المطلب شىء واحد هكذا وشبك بين أصابعه زاد فى رواية أنهم لم يفارقونا فى جاهلية ولا فى إسلام أى لان الصحيفة انما كتبت على بنى هاشم والمطلب لأنهم هم الذين قاموا دونه ﷺ ودخلوا الشعب وبعده صلى الله عليه وسلم صار الفىء أربعة أخماس للمرتزقة المرصدة للجهاد وخمس الخمس الخامس لمصالح المسلمين والخمس الثانى منه لذوى القربى والخمس الثالث منه لليتامى والخمس الرابع

الذى تكلمت به حين رجوت أن يكون خيرا وعند الواحدى عن ابن عباس رضى الله عنهما لقد أعتقت بسبب ذلك رقابا وصمت دهرا وانما عمل ذلك لتوقفه عن المبادرة بامتثال الأمر وان كان معذورا فى جميع ماصدر منه بل مأجورا لانه مجتهد وانما توقف لتظهر له الحكمة وتنكشف عنه الشبهة ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلح والاشهاد وتوجه سهيل بن عمرو ومن معه بالكتاب قام صلى الله عليه وسلم الى هديه فنحره ومن جملته جمل كان لأبى جهل نجيب مهرى غنمه المسلمون منه يوم بدر ثم صار له صلى الله عليه وسلم وكان يضرب فى لقاحه صلى الله عليه وسلم وفى رأسه برة أى حلقة من فضة وقيل من ذهب وانما أدخله صلى الله عليه وسلم فى الهدى ليكون فى ذبحه اغاظة للمشركين وكان قد فر هذا الجمل من الحديبية ودخل مكة وانتهى الى دار أبى جهل وخرج فى أثره عمرو ابن غنمة الانصارى فابى سفهاء مكة أن يعطوه حتى أمرهم سهيل بن عمرو بدفعه ودفعوا فيه عدة ثياب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أنا سميناه فى الهدى فعلنا وفى لفظ قال لهم سهيل بن عمرو ان تريدوه فاعرضوا على محمد مائة من الابل فان قبلها فامسكوا هذا الجمل والا فلا تتعرضوا له فعرضوا ذلك عليه صلى الله عليه وسلم فابى وقال لو لم يكن هذا الجمل للهدى لقبلت المائة فردوه اليه فنحره وفرق لحمه ولحم بقية الهدى على الفقراء الذين حضروا الحديبية وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم بعث الى مكة عشرين والآخر بدنة مع ناجية رجل من أسلم وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم بعد فراغهم من الكتاب أمرهم بالنحر والحلق ثلاث مرات فلم يقم منهم أحد فدخل على أم سلمة رضى الله عنها وهو شديد الغضب فاضطجع فقالت ماشأنك يارسول الله فذكر لها مالقى من الناس وقال لها هلك المسلمون أمرتهم أن ينحروا ويحلقوا فلم يفعلوا وفى لفظ قال عجبا ياأم سلمة ألا ترين الى الناس آمرهم بالامر فلا يفعلونه قلت

منه للمساكين والخمس الباقى منه لابن السبيل ثم لايخفى أنه صلى الله عليه وسلم إذا كان مع الجيش وغنم شيئا بقتال أو ايجاف خيل أو جلا عنه أهله بعد التقاء الصفين كان من خصائصه صلى الله عليه وسلم أن يختار من ذلك قبل قسمته ويقال لهذا الذى يختاره الصفى والصفية كما تقدم (أقول) وتقدم عن الامتاع عن محمد بن أبى بكر رضى الله عنهما خلافه وتقدم هل صفيه ﷺ كان محسوبا عليه من سهمه أولا قيل نعم وقيل كان خارجا عنه وتقدم الجواب عن ذلك فى غزاة بدر ان هذا الخلاف لاينافى الجزم ثم بأنه كان زائدا على سهمه ﷺ لأن ذلك كان قبل نزول آية تخميس الغنيمة فكان سهمه صلى الله عليه وسلم كسهم واحد من الجيش فصفيه يكون زائداً على ذلك وأما سهمه ﷺ بعد نزول آية التخميس للغنيمة فهو خمس الغنيمة فيجرى فيما يأخذه قبل القسمة الخلاف هل يكون زائداً على ذلك الخمس أو يكون محسوبا منه فلا مخالفة بين أجراء الخلاف والجزم والله أعلم وقيل لما نزلت بنو قينقاع أمر رسول الله ﷺ أن يكتفوا فكتفوا فاراد قتلهم فكلمه فيهم عبدالله بن أبى ابن سلول وألح عليه أى فقال يامحمد أحسن فى موالى فاعرض عنه صلى الله عليه وسلم فأدخل يده فى جيب درع رسول الله ﷺ من خلفه أى وتلك الدرع هى ذات الفضول فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك أرسلنى وغضب رسول الله ﷺ حتى رأوا الوجه ثمرة لشدة غضبه ثم قال ويحك أرسلنى فقال والله لا أرسلك حتى تحسن فى موالى فانهم عترتى وأنا امرؤ أخشى الدوائر فقال صلى الله عليه وسلم خلوهم لعنهم الله ولعنه معهم وتركهم من القتل أى وقال له خذهم لابارك الله لك فيهم وأمر ﷺ أن يجلوا من المدينة أى ووكل باجلائهم عبادة بن الصامت رضى الله عنه وأمهلهم ثلاثة أيام فجلوا منها بعد ثلاث أى بعد أن سألوا عبادة بن الصامت أن يمهلهم فوق الثلاث فقال لا ولا ساعة واحدة وتولى اخراجهم وذهبوا الى أذرعات بلدة بالشام أى ولم يدر الحول عليهم حتى هلكوا أجمعون بدعوته ﷺ فى قوله لابن أبى لابارك الله لك فيهم ويذكر أن ابن أبى قبل خروجهم جاء الى منزله صلى الله عليه وسلم يسأله فى اقرارهم فحجب عنه فأراد الدخول فدفعه بعض الصحابة فصدم وجهه الحائط فشجه فانصرف مغضبا فقال بنو قينقاع لانمكث ببلد يفعل فيه بابى الحباب هذا ولا ننتصر له وتأهبوا للجلاء قال وقيل الذى تولى اخراجهم محمد بن مسلمة رضى الله عنه أى ولا مانع أن يكونا أى عبادة بن الصامت ومحمد ابن مسلمة اشتركا فى اخراجهم ووجد ﷺ فى منازلهم سلاحا كثيراً أى لأنهم كما تقدم أكثر يهود أموالا وأشدهم بأسا وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلاحهم ثلاث قسى قوسا يدعى الكتوم أى لايسمع له صوت إذا رمى به وهو الذى رمى به ﷺ يوم أحد حتى تشظى بالظاء المشالة كما سيأتى وسيأتى مافيه وقوسا يدعى الروحاء وقوسا يدعى البيضاء وأخذ درعين درعا يقال له السغدية أى بسين مهملة وغين معجمة ويقال إنها درع داود التى لبسها ﷺ حين قتل جالوت والأخرى يقال لها فضة وثلاث أرماح وثلاثة أسياف سيف يقال له قلعى وسيف يقال له بتار

والآخر لم يسم انتهى أى وسماه بعضهم بالحيف ووهب صلى الله عليه وسلم درعا لمحمد بن مسلمة ودرعا لسعد بن معاذ رضى الله عنهما والله تعالى أعلم

## ﴿ غزوة السويق ﴾

لما أصاب قريشا فى بدر ما أصابهم نذر أبو سفيان ان لا يمس رأسه ماء من جنابة أى لا يأتى النساء ولعل هذه العبارة وهى لا يمس رأسه ماء من جنابة وقعت من بعض الصحابة مراده بها ماذكر من انه لا يأتى النساء ويؤيده ماجاء فى بعض الروايات لا يمس النساء والطيب حتى يغزو محمدا أوان ذلك قاله أبو سفيان بناء على انهم كانوا يغتسلون من الجنابة ومن ثم ذكر الدميرى أن الحكمة فى عدم بيان الغسل فى آية الوضوء كون الغسل من الجنابة كان معلوما قبل الاسلام بقية من دين ابراهيم واسمعيل عليهما الصلاة والسلام فهو من الشرائع القديمة وفى كلام بعضهم كانوا فى الجاهلية يغتسلون من الجنابة ويغسلون موتاهم ويكفنونهم ويصلون عليهم وهو ان يقوم وليه بعد ان يوضع على سريره ويذكر محاسنه ويثنى عليه ثم يقول عليك رحمة الله ثم يدفن وماذكره الدميرى تبع فيه السهيلى حيث قال ان الغسل من الجنابة كان معمولا به فى الجاهلية بقية من دين ابراهيم واسمعيل كما بقى فيهم الحج والنكاح فكان الحدث الاكبر معروفا عندهم ولذلك قال تعالى وان كنتم جنبا فاطهروا فلم يحتاجوا الى تفسيره واما الحدث الاصغر فلم يكن معروفا عندهم قبل الاسلام لم يقل وان كنتم محدثين فتوضؤا بل قال فاغسلوا الآية فخرج أبو سفيان فى مائتى راكب من قريش ليبر يمينه حتى نزل بجبل بينه وبين المدينة نحو بريد ثم أتى لبنى النضير اى وهم حى من يهود خيبر ينسبون الى هرون أخى موسى ابن عمران عليهما الصلاة والسلام تحت الليل فاتى حيى بن أخطب أى وهو من رؤساء بنى النضير وهو أبو صفية أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها فضرب عليه بابه فأبى ان يفتح له لانه خافه فانصرف عنه وجاء الى سلام بن مشكم سيد بنى النضير أى وصاحب كنزهم أى المال الذى كانوا يجمعونه ويدخرونه لنوائبهم ومايعرض لهم () أى وكان حليا يعيرونه لاهل مكة فاستأذن عليه فاذن له واجتمع به ثم خرج الى أصحابه فبعث رجالا من قريش فاتوا ناحية من المدينة فحرقوا نخلا منها ووجدوا رجلا من الانصار قال فى الامتاع وهذا الانصارى هو معبد بن عمرو وحليفا لهم فقتلوهما ثم انصرفوا راجعين فعلم بهم الناس فخرج رسول الله ﷺ فى طلبهم فى مائتين من المهاجرين والانصار أى واستعمل ﷺ على المدينة بشير بن عبد المنذر وكان خروجه لخمس خلون من ذى الحجة وجعل أبو سفيان وأصحابه يتخففون للهرب أى لاجله فجعلوا يلقون جرب السويق أى وهو قمح أو شعير يقلى ثم يطحن ليسف تارة بماء وتارة بسمن وتارة بعسل وسمن ( ) وهو عادة ازوادهم فيأخذه المسلمون ولم يلحقوا بهم وانصرف رسول الله ﷺ راجعا الى المدينة وكانت غيبته خمس أيام

## ﴿ غزوة قرقرة الكدر ﴾

---

لهم انحروا واحلقوا وحلوا مرارا فلم يجبنى أحد من الناس الى ذلك وهم يسمعون كلامى وينظرون وجهى فقالت يارسول الله لا تلمهم فانهم قد دخلهم أمر عظيم مما أدخلت على نفسك من المشقة فى أمر الصلح ورجوعهم بغير فتح ثم اشارت اليه ان يخرج ولا يكلم احدا منهم وينحر بدنه ويحلق رأسه ففعل ذلك أى أخذ الحربة وقصد هديه وأهوى بالحربة الى البدنة رافعا صوته بسم الله والله أكبر ثم دخل قبة له من أدم ودعا بخراش الخزاعى فحلق رأسه ورمى شعره على شجرة (٢٢٣) فاخذه الناس وتحاصوه وأخذت أم عمارة رضى الله عنها طاقات منها فكانت تغسله للمريض وتسقيه فيبرأ وكانت بدنه صلى الله عليه وسلم التى نحرها بالحديبية سبعين ولما رآه الناس نحر وحلق قاموا ونحروا وحلقوا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا للازدحام وارادة التعجيل اقتداء به صلى الله عليه وسلم وكان نحرهم للهدايا بالحديبية وهى فى الحرم فى قول مالك رضى الله عنه وبعضها فى الحل وبعضها فى الحرم فى قول الشافعى رضى الله عنه وفى رواية أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر بالهدى فساقه المسلمون الى جهة الحرم فقام اليه مشركو قريش فحبسوه فامر صلى الله عليه وسلم بنحره وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما صدت الهدايا عن البيت حنت كما تحن الى أولادها فنحر صلى الله عليه وسلم بدنه حيث حبسوه وهى الحديبية والمراد نحرا كثره فلا ينافى مارواه ابن سعد عن جابر رضى الله عنه قال بعث رسول الله ﷺ من هديه بعشرين بدنة لتنحر عنه عند المروة مع رجل من أسلم وبعث الله ريحا فحملت شعورهم فالقتها فى الحرم جبرالهم فى صدهم عن البيت فاستبشروا بقبول عمرتهم قال الزرقانى ولعل المراد غير شعره ﷺ أى لانه أخذه المسلمون كما تقدم ويحتمل انهم أخذوا أكثره وألقت الريح باقيه فى الحرم وحلق رجال وقصر آخرون فقال صلى الله عليه وسلم يرحم الله المحلقين قالوا

والمقصرين قال يرحم الله المحلقين قالوا والمقصرين قال والمقصرين وفى رواية وقال فى الرابعة والمقصرين وانما توقف الصحابة رضى الله عنهم بعد الامر لاحتمال انه للندب أو لرجاء نزول الوحى بابطال الصلح أو تخصيصه بمن أذن لهم فى دخول مكة ذلك العام لاتمام نسكهم وساغ ذلك لهم لانه زمان وقوع النسخ ويحتمل ان صورة الحال أبهتتهم فاستغرقوا فى الفكر لما لحقهم من الذل عند نفوسهم مع ظهور قوتهم واعتقادهم القدرة (٢٢٤) على قضاء نسكهم بالغلبة أولان الامر المطلق لايقتضى الفور ويحتمل مجموع هذه الأمور لمجموعهم أو فهموا انه صلى الله عليه وسلم أمرهم بالتحلل اخذا بالرخصة في حقهم وانه هو يستمر على الاحرام اخذا بالعزيمة فى حق نفسه فاشارت اليه أم سلمة بالتحلل لينتفى هذا الاحتمال ففعله فلما رأوه بادروا إلى فعل ماأمرهم به اذ لم تبق غاية ينتظرونها ونظيره ماوقع لهم فى غزوة الفتح من أمره لهم بالفطر فى رمضان فابوا حتى شرب فشربوا وفى سؤاله أم سلمة رضى الله عنها فضيلة أمر المشورة ومشاورة المرأة الفاضلة وفضل أم سلمة رضى الله عنها ووفور عقلها حتى قال امام الحرمين لانعلم امرأة اشارت برأى فأصابت الا أم سلمة قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى واستدرك عليه بعضهم بنت شعيب فى أمر موسى عليهما الصلاة والسلام أى حين قالت ياأبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين وفى قصة بيعة الرضوان دليل على فضل الصحابة الذين بايعوا رسول الله ﷺ قال تعالى لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة الآية وفى الصحيح عن جابر رضى الله عنه قال قال لنا النبى ﷺ يوم الحديبية أنتم خير أهل الأرض وأخرج مسلم وغيره عن جابر رضى الله عنه لايدخل النار من شهد بدرا والحديبية وروى أحمد باسناد حسن عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال لما كنا بالحديبية قال صلى الله عليه وسلم لاتوقدوا نارا بكسر

و يقال قرقرة الكدرة و يقال قراقر فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جمعا من بنى سليم وغطفان بقرقرة الكدر أى لعله بلغه انهم يريدون الاغارة على المدينة بعد ان غزاهم صلى الله عليه وسلم كما تقدم وقرقرة الكدر أرض ملساء فيها طيور فى الوانها كدرة عرف بها ذلك الموضع كما تقدم ان الماء الذى بارضهم الذى بلغه صلى الله عليه وسلم ولم يجد به احدا منهم يسمى الكدر لوجود ذلك الطير به فسار اليهم فى مائتين من اصحابه وحمل لواءه على بن أبى طالب واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم وتقدم فى تلك انه استخلف على المدينة سباع بن عرفطة أو ابن أم مكتوم وتقدم مافيه فلما سار اليه أى إلى ذلك الموضع لم يجد به احدا وأرسل نفرا من أصحابه الى أعلى الوادى واستقبلهم فى بطن الوادى فوجد خمسمائة بعير مع رعاة منهم غلام يقال له يسار فحازوها وانحدروا بها الى المدينة فلما كانوا بمحل على ثلاثة أميال من المدينة خمسها صلى الله عليه وسلم فاخرج خمسه وقسم الاربعة اخماس على أصحابه فخص كل رجل منهم بعيران ووقع يسار فى سهمه صلى الله عليه وسلم فاعتقه صلى الله عليه وسلم لانه رآه يصلى أى وقد أسلم وتعلم الصلاة من المسلمين بعد أسره أى وفى كون هذا غنيمة حيث قسمه كذلك وقفة وكانت مدة غيبته صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة فعلم انه صلى الله عليه وسلم غزا بنى سليم وانه وصل الى ماء من مياههم يقال له الكدر لوجود ذلك الطير به وانه استعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفارى أو ابن أم مكتوم وهنا وقع الجزم بالثانى وان الأولى لم يذكر انه وجد فيها شيئا من النعم وظاهر هذا يدل على التعدد وجرى عليه الاصل أى وحينئذ تكون تلك الطيور توجد فى ذلك الماء وفى تلك الأرض فعلى هذا يكون صلى الله عليه وسلم غزا بنى سليم مرتين مرة وصل فيها لذلك الماء ولم يجد شيئا من النعم ومرة وصل فيها لتلك الارض ووجد بها تلك النعم ولم أقف على ان محل ذلك الماء سابق على تلك الأرض أو ان تلك الأرض سابقة على محل ذلك الماء وفى السيرة الشامية ان غزوة بنى سليم هى غزوة قرقرة الكدر فعليه يكون انما غزا بنى سليم مرة واحدة أى وحينئذ يكون الماء الذى كان به ذلك الطير كان فى تلك الأرض الملساء أو قريبا منها فليتأمل والحافظ الدمياطى جعل غزوة بنى سليم هى غزوة بحران الآتية وسنذكرها

## ﴿ غزوة ذى أمر ﴾

بتشديد الراء ماسم ماء أى وسماها الحاكم غزوة انمار و يقال انها غزوة غطفان بلغ رسول الله ﷺ ان رجلا يقال له دعثور بضم الدال واسكان العين المهملتين ثم مثلثة مضمومة ابن الحرث أى الغطفانى من بنى محارب جمع جمعا من ثعلبة ومحارب بذى أمر أى وهو موضع من ديار غطفان أي ولعل به ذلك الماء المسمى بما ذكر كما تقدم يريدون ان يصيبوا من اطراف المدينة فخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اربعمائة وخمسين رجلا لاثنتى عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول واستخلف على المدينة عثمان بن عفان وأصاب أصحابه رجلا منهم أى يقال له جبار وقيل حباب

بليل فلما كان بعد ذلك قال اوقدوا واصطنعوا فانه لا يدرك قوم بعدكم صاعكم ولا مدكم وفى مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل النار أحد من أصحاب الشجرة وقد قدح بعض الرافضة لعنهم الله تعالى على عثمان رضى الله عنه أنه لم يحضر هذه البيعة كما أنه لم يحضر غزوة بدر وأجيب بأن هذه البيعة إنما كانت لأجله لما أشاعوا موته وغيبته انما هى لامتثاله أمر الله ورسوله و بايع عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذه عن عثمان وضرب بيده على الاخرى ولما رجع



بايع كما تقدم فهو من جملة من بايع

بكسر الحاء المهملة و بالباء الموحدة من بنى ثعلبة فادخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره من خبرهم أى وقال له لن يلاقوك ولو سمعوا بمسيرك اليهم هربوا فى رءوس الجبال وأنا سائر معك فدعاه رسول الله ﷺ للاسلام فأسلم وضمه صلى الله عليه وسلم الى بلال أى وأخذ به ذلك الرجل طريقا وهبط بهم عليهم فسمعوا بمسير رسول الله ﷺ فهربوا فى رءوس الجبال أى فبلغوا ماء يقال له ذو أمر فعسكر به صلى الله عليه وسلم وأصابهم مطر أى كثير بل ثياب رسول الله ﷺ وثياب أصحابه () فنزع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبيه ونشرهما على شجرة ليجفا واضطجع أى بمرأى من المشركين واشتغل المسلمون فى شؤنهم فبعث المشركون دعثورا الذى هو سيد القوم وأشجعهم المجمع لهم أى فقالوا له قد انفرد محمد فعليك به () أى وفى لفظ أنه لما رآه قال قتلنى الله إن لم أقتل محمدا فجاء دعثور ومعه سيفه حتى قام على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال من يمنعك منى اليوم وفى رواية الآن فقال رسول الله ﷺ الله ودفع جبريل فى صدره فوقع السيف من يده أى بعد وقوعه على ظهره فأخذ السيف رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له من يمنعك منى قال لا أحد أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وفى رواية أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ثم أتى قومه أى بعد أن أعطاه ﷺ سيفه () فجعل يدعوهم إلى الاسلام وأخبرهم أنه رأى رجلا طويلا دفع فى صدره فوقع على ظهره فقال علمت أنه ملك فأسلمت ونزلت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم أيديهم الآية ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ولم يلق حربا وكانت مدة غيبته احدى عشرة ليلة

## ﴿ غزوة بحران ﴾

بفتح الموحدة وتضم وسكون الحاء المهملة وعبر عنها الحافظ الدمياطى بغزوة بنى سليم كما تقدم لما بلغه صلى الله عليه وسلم أن ببحران وهو موضع بالحجاز معروف بينه و بين المدينة ثمانية برد جمعا كثيرا من بنى سليم خرج فى ثلثمائة من أصحابه لست خلون من جمادى الأولى واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم أى ولم يظهر وجها للسير () وأحث السير حتى بلغ بحران فوجدهم قد تفرقوا فى مياههم أى وكان ﷺ قبل أن يصل إلى ذلك بليلة لقى رجلا من بنى سليم فأخبره أن القوم تفرقوا فحبسه مع رجل وسار إلى أن وجدهم كذلك فأطلق الرجل وأقام بذلك المحل أياما ثم رجع ولم يلق حربا وكانت غيبته عشر ليال وعلى مقتضى هذا السياق تبعا للأصل يكون غزا بنى سليم ثلاث مرات مرة عقب بدر وهذه الغزوة وغزوة ذى أمر كانتا فى السنة الثالثة من الهجرة وفى تلك السنة التى هى الثالثة عقد عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه على أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ بعد موت أختها رقية وتقدم وقت موتها وعقد صلى الله عليه وسلم على حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهما وذلك فى شعبان لما انقضت عدة وفاة زوجها خنيس بن حذافة من شهداء بدر بعد أن عرضها عمر على

بيعة الرضوان فاخراجه غلط ظاهر وأما عدم حضوره غزوة بدر فكان بأمر النبى صلى الله عليه وسلم لأجل تمريض ابنته رقية رضى الله عنها وقد عده صلى الله عليه وسلم من أهل بدر وضرب له بسهم معهم فهو معدود من البدريين فاخراجه غلط ظاهر ودل قوله لا يدخل النار أحد من أصحاب الشجرة انهم مبشرون بالجنة وأما قولهم العشرة المبشرون بالجنة فالمراد أنهم ذكروا بأسمائهم فى حديث واحد حيث قال أبو بكر فى الجنة إلى آخرهم قال ابن عبد البر ليس فى الغزوات ما يعدل بدرا أو يقرب منها إلا الحديبية حيث كانت بيعة الرضوان قال الزرقانى لكن قال غيره الراجح تقديم أحد على الحديبية وأنها التى تلى غزوة بدر فى الفضل وكانت اقامته صلى الله عليه وسلم بالحديبية بضعة عشر



يوما وقيل عشرين يوما وقال بعضهم كانت مدة غزوته هذه كلها شهرا ونصفا ثم رجع صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وفى نفوس أصحابه رضى الله عنهم شىء من عدم الفتح الذى كانوا لا يشكون فيه فأنزل الله تعالى سورة الفتح بين مكة والمدينة بكراع الغميم وقال ابن اسحق نزلت وهو بضجنان بفتح الضاد المعجمة وسكون الجيم ونونين بينهما ألف جبل على بريد من مكة وفى البخارى عن عمر رضى الله عنه قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أنزلت على سورة هى أحب إلي

أبى بكر فلم يجبه لشىء وعرضها على عثمان فلم يجبه لشىء فقال عمر يارسول الله قد عرضت حفصة على عثمان فاعرض عنى فقال له رسول الله ﷺ ان الله قد زوج عثمان خيرا من ابنتك وزوج ابنتك خيرا من عثمان فتزوج عثمان أم كلثوم وتزوج صلى الله عليه وسلم حفصة وتزوج أيضا ﷺ زينب بنت خزيمة فى رمضان وتزوج زينب بنت جحش بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب فى تلك السنة وقيل تزوجها فى السنة الرابعة وصححها فى الأصل وقيل فى الخامسة وكان اسمها برة بفتح الموحدة واسم امها برة بضمها فغير صلى الله عليه وسلم اسمها وسماها زينب وقال لها صلى الله عليه وسلم لو كان أبوك مسلما لسميناه باسم رجل منا ولكن قد سميته جحشا أى والجحش فى اللغة السيد وقد كان ﷺ جاء اليها ليخطبها لمولاه زيد بن حارثة فقالت لست بناكحته قال بل فانكحيه قالت يارسول الله أؤامر أى أشاور نفسى فانى خير منه حسبا فانزل الله تعالى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم الآية فقالت عند ذلك رضيت وفى رواية أنها وهبت نفسها للنبى ﷺ فزوجها من زيد فسخطت هى وأخوها وقالا انما أردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجها عبده فنزلت الآية أى وعن مقاتل أن زيد بن حارثة لما أراد أن يتزوج زينب جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله أخطب على قال له من قال زينب بنت جحش فقال له لا أراها تفعل أنها أكرم من ذلك نسبا فقال يارسول الله إذا كلمتها أنت وقلت زيد أكرم الناس على فعلت قال إنها امرأة لسناء أى فصيحة والمراد لسانها طويل فذهب زيد إلى على رضى الله تعالى عنه فحمله على أن يكلم له النبى ﷺ فانطلق معه على الى النبى صلى الله عليه وسلم فكلمه فقال انى فاعل ذلك ومرسلك ياعلى إلى أهلها لتكلمهم ففعل ثم عاد فأخبره بكراهتها وكراهة أخيها لذلك فأرسل اليهم النبى صلى الله عليه وسلم يقول قد رضيته لكم وأقضى ان تنكحوه فانكحوه وساق اليهم عشرة دنانير وستين درهما ودرعا وخمارا وملحفة وازارا وخمسين مدا من الطعام وعشرة أمداد من التمر أعطاه ذلك كله رسول الله ﷺ ثم بعد ذلك جاء صلى الله عليه وسلم بيت زيد يطلبه فلم يجده فتقدمت اليه زينب فأعرض عنها فقالت له ليس هو ههنا يارسول الله فادخل فأبى أن يدخل وأعجبت رسول الله ﷺ أى لأن الريح رفعت الستر فنظر اليها من غير قصد فوقعت فى نفسه صلى الله عليه وسلم فرجع وهو يقول سبحان مصرف القلوب وفى رواية مقلب القلوب وسمعته زينب يقول ذلك فلما جاء زيد أخبرته الخبر فجاء اليه ﷺ وقال يارسول الله لعل زينب أعجبتك فأفارقها لك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم امسك عليك زوجك فلما استطاع زيد اليها سبيلا بعد ذلك اليوم أى فلم يستطع أن يغشاها من حين رآها صلى الله عليه وسلم إلى أن طلقها فعنها رضى الله تعالى عنها لما وقعت فى قلب النبى ﷺ لم يستطعنى زيد وما امتنعت منه وصرف الله تعالى قلبه عنى وجاءه يوما وقال له يارسول الله ان زينب اشتد على لسانها وأنا أريد أن أطلقها فقال له اتق الله وامسك عليك زوجك فقال استطالت على فقال له اذن طلقها فطلقها فلما انقضت

عدتها

مما طلعت عليه الشمس ثم قرأ إنا فتحنا لك فتحا مبينا واختلف الناس فى المراد من الفتح فقال ابن عباس وأنس والبراء بن عازب رضى الله عنهم الفتح هنا فتح الحديبية ووقوع الصلح قال الحافظ ابن حجر إن الفتح فى اللغة فتح المغلق والصلح كان مغلقا حتى فتحه الله وكان من أسباب فتحه صد المسلمين عن البيت فكانت الصورة الظاهرية ضيما للمسلمين والباطنة عزا لهم فان الناس للأمن الذى وقع فيهم اختلط بعضهم ببعض من غير نكير واسمع المسلمون المشركين القرآن وناظروهم على الاسلام جهرة آمنين وكانوا قبل ذلك لا يتكلمون عندهم بذلك إلا خفية فظهر من كان يخفى اسلامه فذل المشركون من حيث أرادوا العزة وقهروا من حيث أرادوا الغلبة بعد أن كان المنافقون يظنون أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدا أى حسبوا أنهم لا يرجعون بل يقتلون كلهم وقيل الفتح المراد هو فتح مكة فنزلت السورة عند مرجعه من الحديبية عدة له بفتحها وعبر فيه بالماضى لتحقق وقوعه وفيه من الفخامة والدلالة على علو شأن المخبر به ما لا يخفى وقيل المعنى قضينا لك قضاء بينا على أهل مكة أن تدخلها أنت وأصحابك قابلا من الفتاحة وهى الحكومة وفى الصحيح عن البراء رضى الله عنه قال تعدون أنتم الفتح فتح مكة وقد كان فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان قال الحافظ ابن حجر يعنى بالفتح قوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا وقد وقع فيه اختلاف قديم والتحقيق أنه يختلف باختلاف المراد من الآيات فالمراد بقوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا فتح الحديبية لما ترتب على الصلح من الامن ورفع الحرب وتمكن من كان يخشى الدخول فى الاسلام والوصول إلى المدينة منها وتتابع الأمر إلى أن كمل الفتح أى بفتح مكة وأما قوله تعالى وأثابهم فتحا قريبا فالمراد به فتح خيبر على الصحيح لأنها هى التى وقعت فيها المغانم الكثيرة للمسلمين قال تعالى

ومغانم كثيرة يأخذونها وروى الامام أحمد وأبو داود والحاكم من حديث مجمع بن جارية الأنصارى الأوسى رضى الله عنه قال شهدنا الحديبية فلما انصرفنا منها وجدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفا عند كراع الغميم وهو موضع امام عسفان وقد جمع الناس وقرأ عليهم انا فتحنا لك فتحا مبينا فقال رجل يارسول الله أوفتح هو قال أى والذى نفسى بيده انه لفتح وعندا بن سعد فلما نزل بها جبريل عليه السلام قال نهنيك يارسول الله فلما هناه جبريل هناه الناس



وروى موسى بن عقبة والزهرى والبيهقي عن عروة بن الزبير قال أقبل النبي صلى الله عليه وسلم راجعا فقال رجل من أصحابه ماهذا بفتح لقد صددنا عن البيت وصد هدينا ورد صلى الله عليه وسلم رجلين من المؤمنين كانا خرجا اليه فبلغه صلى الله عليه وسلم قول ذلك الرجل فقال بئس الكلام بل هو أعظم الفتح قدرضى المشركون ان يدفعوكم بالراح عن بلادهم ويسألوكم القضية ويرغبون اليكم فى الأمان ولقد رأوا منكم ما كرهوا وأظفركم الله عليهم وردكم سالمين مأجورين فهو أعظم الفتوح أنسيتم يوم أحد إذ تصعدون ولا تلوون على أحد وأنا أدعوكم في أخراكم أنسيتم يوم الاحزاب إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا فقال المسلمون صدق الله ورسوله هو أعظم الفتوح والله يانبى الله مافكرنا فيما فكرت فيه ولأنت أعلم بالله وأمره منا وروى سعيد بن منصور باسناد صحيح عن الشعبي فى قوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا قال لم يكن فى الاسلام فتح قبله أعظم منه انما كان القتال حيث التقى الناس فلما كانت الهدنة ووضع الحرب وأمن الناس بعضهم بعضا والتقوا وتفاوضوا فى الحديث والمنازعة لم يكلم أحد ذو عقل فى تلك المدة بالاسلام إلا دخل فيه ولقد دخل فى تينك السنتين مثل من كان دخل فى الاسلام قبل ذلك أو أكثر ويدل عليه أنه ﷺ خرج فى الحديبية فى

---

عدتها أرسل زيدا لها فقال له اذهب فاذكرها على فانطلق قال فلما رأيتها عظمت فى صدرى فقلت يازينب ابشرى أرسلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك قالت ما أنا بصانعة شيئا حتى أؤامر ربى أى استخيره فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس يتحدث مع عائشة إذ نزل عليه الوحى بان الله زوجه زينب فسرى عنه وهو يتبسم وهو يقول من يذهب إلى زينب فيبشرها ان الله زوجنيها من السماء وجاء اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير إذن قالت دخل علي وأنا مكشوفة الشعر فقلت يارسول الله بلا خطبة ولا اشهاد قال الله المزوج وجبريل الشاهد أى وأنزل الله تعالى وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه امسك عليك زوجك الآية فهذه الآية نزلت فى زيد رضى الله تعالى عنه وقد قالها ﷺ فى حق ولده أسامة فقد جاء أحب أهلى الى من أنعم الله وأنعمت عليه أسامة ابن زيد وعلى بن أبى طالب فنعمة الله على زيد وعلى ولده أسامة الاسلام ونعمة النبي ﷺ عليهما العتق لان عتق أبيه عتق له تأمل وانما توجه هذا العتب أى لان الله تعالى كان أعلم نبيه ان زينب ستكون من أزواجه ﷺ فلما شكا اليه زيد قال له امسك عليك زوجك واتق الله وأخفى منه فى نفسه ما الله مبديه ومظهره وهو ما أعلمه الله به من انك ستتزوجها فالذى أخفاه ما كان الله أعلمه به وتخشى الناس أى اليهود والمنافقين ان يقولوا تزوج امرأة ابنه والله أحق أن تخشاه فى امضاء ما أحبه ورضيه لك وأعطاك اياه وقد جعل الله تعالى طلاق زيد لها وتزوج النبي ﷺ اياها لازالة حرمة التبنى قال تعالى لئلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم وأولم صلى الله عليه وسلم عليها بما لم يولم به على نسائه وذبح شاة وأطعم فخرج الناس وبقى رجال يتحدثون فى البيت بعد الطعام فشق ذلك على رسول الله ﷺ ففى البخارى فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يخرج ثم يرجع وهم قعود يتحدثون وفى البخارى أيضا فخرج النبي ﷺ فانطلق إلى حجرة عائشة فقال السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته فقالت وعليك السلام ورحمة الله وبركاته كيف وجدت أهلك بارك الله لك ثم دخل حجر نسائه كلهن يقول كما قال لعائشة ويقلن له كما قالت عائشة ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم فوجد القوم فى البيت يتحدثون قال أنس رضى الله عنه وكان النبي ﷺ شديد الحياء فخرج فطلها إلى حجرة عائشة فاخبر ان القوم خرجوا فرجع حتى وضع رجله فى أسكفة البيت داخله وأخرى خارجه أرخى الستر بينى وبينه فنزلت آية الحجاب قال فى الكشاف وهى أدب أدب الله تعالى به الثقلاء وفى مسلم عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت خرجت سودة بعد ما ضرب علينا الحجاب تقضي حاجتها أى بالمناصع محل كان أزواجه ﷺ يخرجن اليه بالليل للتبرز وكانت امرأة جسيمة فرآها عمر بن الخطاب فقال ياسودة والله ماتخفين علينا فانظرى كيف تخرجين فانكفأت راجعة ورسول الله ﷺ فى بيتى ليتعشى وفى يده عرق فدخلت فقالت يارسول الله انى خرجت فقال لى عمر كذا وكذا قالت فأوحى الله تعالى اليه ثم رفع عنه وان العرق فى يده ماوضعه فقال انه قد أذن لكن ان تخرجن لحاجتكن وكان قول عمر

ألف وار بعمائة ثم خرج بعد سنتين إلى فتح مكة فى عشرة آلاف ومما ظهر من مصلحة الصلح انه كان مقدمة بين يدى الفتح الاعظم الذى دخل الناس عقبه فى دين الله أفواجا فكانت قصة الحديبية مقدمة الفتح فسميت فتحا إذ مقدمة الظهور ظهور وجاءانهم فى مدة اقامتهم بالحديبية حصلت للناس مجاعة. فقالوا يارسول الله جهدنا أى أصابنا الجهد وهو المشقة من الجوع وفى الناس ظهر أى ابل فانحره لنأكل من لحمه ولندهن (٢٢٨) من شحمه ولنحتذى من جلوده فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه يارسول الله لا تفعل فان الناس ان يكن فيهم بقية ظهر أمثل كيف بنا إذا لقينا عدونا غدا جياعا رجالا ولكن ان رأيت ان تدعو الناس إلى أن يجمعوا بقايا أزوادهم ثم تدعو لهم فيها بالبركة فان الله سيبلغها بدعوتك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبسطوا أنطاعكم وعباءكم ففعلوا ثم قال من كان عنده بقية من زاد أو طعام فلينثره ودعا لهم ثم قال قربوا أوعيتكم فاخذوا ماشاء الله وملؤا أوعيتهم وأكلوا حتى شبعوا وبقى مثله وفى مسلم خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة فاصابنا جهد حتى هممنا أن ننحر بعض ظهرنا فأمرنا النبي صلى الله عليه وسلم فجمعنا أزوادنا فبسطنا له نطعا فاجتمع زاد القوم على النطع فكان كربضة العنز أى كقدر العنز وهى رابضة أى باركة وكنا أربع عشرة مائة وأكلنا حتى شبعنا ثم حشونا جربنا فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله لا يلقى الله عبد مؤمن بها الا حجب من النار وقال ﷺ لرجل من أصحابه هل من وضوء بفتح الواو وهو ما يتوضأ به فجاء رجل باداوة وهى الركوة فيها نطفة من ماء أى قليل من ماء وقيل للماء اليسير نطفة لانه ينطف أى يصب فافرغها فى قدح ووضع راحته الشريفة ﷺ فى ذلك الماء فتوضأنا كلنا أى الأربعة عشرة مائة ندغفقه دغفقة أى

لسودة ماذكر حرصا على أن ينزل الحجاب قالت عائشة رضى الله تعالى عنها فانزل الله الحجاب وفيه انه تقدم عنها ان قول عمر لسودة كان بعد ان ضرب الحجاب وقد يقال المراد بالحجاب هنا عدم خروجهن للبراز فلا ترى أشخاصهن والحجاب المتقدم عدم رؤية شىء من أبدانهن فلا مخالفة فليتأمل (وعن عائشة) رضى الله تعالى عنها قالت دخلت على زينب بنت جحش وعندى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبلت عليه فقالت له ما كل واحدة منا عندك الا على خلاء أى على ما أردت ثم أقبلت على تسبنى فردعها النبي ﷺ فلم تنته فقال لى سبيها فسببتها وكنت أطول لسانا منها حتى جف ريقها فى فمها ووجه رسول الله ﷺ يتهلل سرورا أى وفى يوم غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم على زينب لقولها فى صفية بنت حيي تلك اليهودية فهجرها لذلك ذا الحجة والمحرم وبعض صفر ثم أتاها بعد وعاد إلى ما كان عليه معها وعن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت أرسل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت النبي ﷺ تستأذن والنبي صلى الله عليه وسلم معى فاذن لها فدخلت عليه فقالت يارسول الله ان أزواجك أرسلننى اليك يسألنك العدل فى ابنة أبى قحافة أى أن تعدل بينهن وبينها فقال النبي ﷺ أى بنية ألست تحبين ما أحب فقالت بلى قال فاحبى هذه يعنينى فقامت فاطمة فخرجت فجاءت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فحدثتهن بما قالت وبما قال لها فقلن لها ما أغنيت عنا من شىء فارجعى إلى النبي ﷺ فقالت والله لا أكلمه فيها أبدا فارسل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش فاستأذنت عليه وهو فى بيت عائشة فأذن لها فدخلت فقالت يارسول الله أرسلنى أزواجك يسألنك العدل فى ابنة أبى قحافة ثم وقعت أى زينب بى تسمعنى ما أكره فطفقت أنظر الى النبي ﷺ حتى يأذن لى فيها فلم أزل حتى عرفت أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يكره أن أنتصر فوقعت بها أسمعها ما تكره فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم وقال انها ابنة أبى بكر أى محل الفصاحة والشهامة وسبب ذلك أى طلبهن أن يعدل بينهن وبين عائشة ان الناس كانوا يتحرون بهداياهم يوم عائشة يبتغون بذلك مرضاة رسول الله صلى الله عليه وسلم

## غزوة أحد

وكانت فى شوال سنة ثلاث أى باتفاق الجمهور وشذ من قال سنة أربع وأحد جبل من جبال المدينة قيل سمى بذلك لتوحده وانفراده عن غيره من الجبال التى هناك وهذا الجبل يقصد لزيارة سيدنا حمزة ومن فيه من الشهداء وهو على نحو ميلين وقيل على ثلاثة أميال من المدينة يقال إن فيه قبر هرون اخى موسى عليهما الصلاة والسلام وفيه قبض فواراه موسى فيه وكانا قدما حاجين أو معتمرين وعن ابن دحية أن هذا باطل بيقين وان نص التوراة انه دفن بجبل من جبال بعض مدن الشام وقد يقال لا مخالفة لانه يقال المدينة شامية وقيل دفن بالتيه هو وأخوه موسى عليهما الصلاة والسلام كما تقدم قال ﷺ ان أحدا هذا جبل يحبنا ونحبه إذا مررتم به فكلوا من شجره ولو من عضاهه أى وهى كل شجرة عظيمة

لها

نصبه صبا شديدا وذكر بعض المفسرين في قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون انه صلى الله عليه وسلم رأى وهو بالحديبية أن يدخل مكة هو وأصحابه آمنين محلقين رؤسهم ومقصرين فأخبرهم بذلك فلما صدوا قالوا له أين رؤياك يا رسول الله فانزل الله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق الآية قال الحلبي في السيرة ولا يخالف هذا ما تقدم ان الرؤيا المذكورة كانت بالمدينة وانها السبب  الحامل على الاحرام بالعمرة لجواز تكرر الرؤيا وذكر بعضهم انه صلى الله عليه وسلم لما دخل مكة عام القضية وحلق رأسه قال هذا الذي وعدتكم فلما كان يوم الفتح وأخذ المفتاح قال ادعوا لي عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال هذا الذي قلت لكم ولما كان في حجة الوداع ووقف بعرفة قال هذا الذي قلت لكم فان قيل انه لم يذكر في الرؤيا انه أخذ المفتاح ولا أن يقف بعرفة أجيب بانه يجوز أن يكون أخبر بذلك بعد الرؤيا أو أن المراد من ذلك مجرد دخوله والله أعلم والشجرة التي كانت البيعة عندها بلغ عمر رضي الله عنه في خلافته ان ناسا يصلون عندها ويطوفون بها فخاف رضي الله عنه من اتساع الامر وظهور البدعة وأن تعبد كالاصنام فامر بها فقطعت ولما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة هاجرت اليه أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط رضي الله عنها وكانت أسلمت بمكة وبايعت قبل أن يهاجر صلى الله عليه وسلم ثم خرجت في مدة الصلح مهاجرة ماشية على قدميها من مكة إلى المدينة وصحبت رجلا من خزاعة حتى قدمت المدينة وهي أخت عثمان بن عفان رضي الله عنه لامه لان أم عثمان رضي الله عنه تزوجها بعد أبي عثمان عقبة بن أبي معيط فولدت له الوليد بن عقبة وأم كلثوم بنت عقبة وذكر بعضهم أنها أول امرأة هاجرت وفيه نظر ولما قدمت المدينة دخلت على أم سلمة رضي الله عنها وأعلمتها أنها جاءت مهاجرة وتخوفت أن يردها رسول الله صلى الله عليه

لما شوك والقصد الحث على عدم إهمال الاكل من شجره تبركا به وقال صلى الله عليه وسلم أحد ركن من أركان الجنة أي جانب عظيم من جوانبها وفي رواية على باب من أبواب الجنة ولا يخالف ما قبله فانه جاز أن يكون ركنا بجانب الباب وفي رواية جبل من جبال الجنة ولا مانع أن تكون المحبة من الجبل على حقيقتها ووضع الحب فيه كما وضع التسبيح في الجبال المسبحة مع داود عليه السلام وكما وضعت الخشية في الحجارة التي قال الله فيها وان منها لما يهبط من خشية الله وقيل هو على حذف مضاف اى أي يحبنا أهله وهم الانصار أولان اسمه مشتق من الأحدية وأخذ من هذا انه افضل الجبال وقيل أفضلها عرفة وقيل أبو قبيس وقيل الذي كلم الله عليه موسى وقيل قاف ولما أصاب قريشا يوم بدر ما أصابها مشى عبد الله بن ابي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية رضي الله تعالى عنهم فانهم أسلموا بعد ذلك ورجال أخر من اشراف قريش إلى أبي سفيان رضي الله تعالى عنه فانه اسلم بعد ذلك ايضا والى من كان له تجارة في تلك العير اى التي كان سببها وقعة بدر وكانت تلك العير موقوفة في دار الندوة لم تعط لاربابها فقالوا إن محمدا قد وتركم أي قتل رجالكم ولم تدركوا دماءهم وقتل خياركم فاعينونا بهذا المال على حربه لعلنا ندرك منه ثأرا عمن اصاب منا أي وقالوا نحن طيبوا النفوس ان تجهزوا بربح هذه العير جيشا إلى محمد فقال ابو سفيان وأنا اول من اجاب إلى ذلك وبنو عبد مناف معي فجعلوا لذلك ربح المال فسلم لاهل العير رؤس أموالهم وكانت خمسين ألف دينار وأخرجوا أرباحها وكان الربح لكل دينار دينارا أي فكان الذي اخرج خمسين الف دينار وقيل اخرجوا خمسة وعشرين ألف دينار وانزل الله تعالى في تلك ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون وتجهزت قريش ومن والاهم من قبائل كنانة وتهامة وقال صفوان بن امية لابي عزة يا أبا عزة انك رجل شاعر فاعنا بلسانك ولك علي إن رجعت أن اغنيك وان أصبت اجعل بناتك مع بناتي يصيبهن ما أصابهن من عسر ويسر فقال ان محمدا قد من علي أي واخذ علي ان لا أظاهر عليه أحدا حين اطلقني وانا اسير في أسارى بدر فلا اريد أن اظاهر عليه قال بلى فاعنا بلسانك فخرج ابو عزة ومسافع يستنفران الناس باشعارهما فاما مسافع فلا يعلم له اسلام لكن في كلام ابن عبد البر مسافع بن عياض بن صخر القرشي التيمي له صحبة وكان شاعرا لم يرو شيئا ولا ادري هل هو هذا او غيره واما ابو عزة فظفر به رسول الله ﷺ بعد هذه الوقعة بحمراء الاسد أي المكان المعروف الآتي بيانه قريبا وتقدم استطرادا ثم أمر صلى الله عليه وسلم عاصم بن ثابت فضرب عنقه وحملت رأسه إلى المدينة كما سيأتي وتقدم استطرادا ودعا جبير بن مطعم بن عدي رضي الله تعالى عنه فانه اسلم بعد ذلك غلاما له حبشيا يقال له وحشي رضي الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك وكان يقذف بحربة له قذف الحبشة قلما يخطىء بها فقال له اخرج مع الناس فان انت قتلت حمزة عم محمد بعمي طعيمة بن عدي فانت عتيق أي لان حمزة هو القاتل له وقيل وحشي كان غلاما لطعيمة وان ابنة سيده طعيمة قالت له ان قتلت محمدا او حمزة او عليا في ابي فاني لا أدرى في القوم كفؤا له غيرهم فانت عتيق وخرج معهم النساء بالدفوف وفي كلام سبط بن الجوزي

وسلم عملا بالشرط فلما دخل رسول الله ﷺ على أم سلمة رضى الله عنها أعلمته فرحب بام كلثوم فخرج أخواها عمارة
والوليد فى ردها بالعهد فقالا يا محمد أوف لنا بما عاهدتنا عليه فقالت يارسول الله انا امرأة وحال النساء الضعف افترد نى إلى الكفار
يفتنونى عن دينى ولا صبر لى فنزل القرآن بان النساء المؤمنات لايرجعن وان الشرط فى الرجال فقط وان النساء يمتحن قال الله تعالى
يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الآية فأبى ﷺ أن يرجعها اليهم وكان
الامتحان ان تستحلف
المرأة المهاجرة انها ماهاجرت
ناشزا ولا هاجرت الا لله
ورسوله وفى رواية كانت
المرأة اذا جاءت حلفها عمر
بالله انها ماخرجت رغبة
بارض عن أرض وبالله
ماخرجت من بغض زوج
وبالله ماخرجت لالتماس
دنيا ولا لرجل من المسلمين
وبالله ماخرجت الاحبا
لله ولرسوله فاذا حلفت
لم ترد ويرد صداقها إلى
بعلها فلما رجع الوليد
وعمارة مكة أخبرا قريشا
بذلك فرضوا بذلك ولم
يكن لام كلثوم زوج بمكة
فلما قدمت المدينة
تزوجها زيد بن حارثة
رضى الله عنه فكان صلى
الله عليه وسلم فى مدة
الصلح يرد الرجال ولا يرد
النساء بعد امتحانهن
وممن جاء من الرجال الى
النبى صلى الله عليه وسلم
أبو بصير وكان مسلما
بمكة فحبسوه فهرب حتى
وصل الى المدينة فكتب
فى رده أزهر بن عبد عوف
وقد أسلم بعد ذلك رضى
الله عنه وهو من الطلقاء يوم الفتح وهو عم عبد الرحمن بن عوف والأخنس بن شريق الثقفى وهما
حليف بنى زهرة وقد أسلم بعد ذلك رضى الله عنه كتابا وبعثا به رجلا من بنى عامر يقال له خنيس ومعه مولى يهديه الطريق فقدما على
رسول الله ﷺ بالكتاب فقرأه أبى بن كعب رضى الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا فيه قد عرفت ماشارطناك
عليه من رد من قدم عليك من أصحابنا فابعث الينا بصاحبنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بصير انا قد أعطينا هؤلاء القوم

وساروا بالقيان والدفوف والمعازف والخمور والبغايا هذا كلامه وخرج من نساء قريش خمس عشرة
امرأة اى مع أزواجهن ومنهن هند زوج أبى سفيان رضى الله تعالى عنها فانها اسلمت بعد ذلك اى وام
حكيم بنت طارق مع زوجها عكرمة رضى الله تعالى عنها فانهما اسلما بعد ذلك وسلافة مع زوجها طلحة
ابن ابى طلحة وأم مصعب بن عمير يبكين قتلى بدر وينحن عليهم يحرضنهم على القتال وعدم الهزيمة
والفرار وبلغ رسول الله ﷺ ذلك ارسل به اليه عمه العباس اى بعد أن راودوه على الخروج
معهم فاعتذر بما لحقه من القوم يوم بدر ولم يساعدهم بشىء وذلك فى كتاب جاء اليه صلى الله عليه وسلم
وهو بقباء أرسله العباس مع رجل استأجره من بنى غفار وشرط عليه أن يأتى المدينة فى ثلاثة أيام بلياليها
ففعل كذلك فلما جاءه الكتاب فك ختمه ودفعه لابى فقرأه عليه ابى بن كعب واستكتم أبيا ونزل
صلى الله عليه وسلم على سعد بن الربيع فاخبره بكتاب العباس أى فقال والله انى لارجو أن يكون خيرا
فاستكتمه اياه فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من عنده قالت له امرأته ماقال لك رسول الله
ﷺ فقال لها لا أم لك وما أنت وذاك فقالت قد سمعت ماقال وأخبرته بما قال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاسترجع وأخذ بيدها ولحقه صلى الله عليه وسلم فأخبره خبرها وقال يارسول الله
انى خفت ان يفشو الخبر فترى انى انا المفشى له وقد استكتمتنى اياه فقال له رسول الله ﷺ
خل عنها () وسارت قريش وهم ثلاثة آلاف رجل وقال بعض الحفاظ جمع أبو سفيان قريبا من
ثلاثة آلاف من قريش والحلفاء والأحابيش وخرج معه ابو عامر الراهب فى سبعين فارسا من الاوس قال
فى الأصل والأحابيش الذين حالفوا قريشا وهم بنو المصطلق وبنو الهون بن خزيمة اجتمعوا عند حبشى
وهو جبل بأسفل مكة وتحالفوا على انهم مع قريش يدا واحدة على غيرهم ماسجى ليل ووضح نهار وما
سار حبشى مكانه فسموا أحابيش باسم الجبل وقيل سموا بذلك لتحبشهم أى تجمعهم وفيهم مائتا
فارس اى وثلاثة آلاف بعير وسبعمائة دارع حتى نزلوا مقابل المدينة بذى الحليفة اى وهو ميقات أهل
المدينة الذى يحرمون منه اى وارجفت اليهود والمنافقون فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عينين
له أى جاسوسين فاتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبرهم ويقال ان عمرو بن سالم الخزاعى مع نفر من
خزاعة فارقوا قريشا من ذى طوى وجاؤا إلى النبى ﷺ وأخبروه خبرهم وانصرفوا ولما
وصلوا أى كفار قريش ومن معهم للابواء أرادوا نبش قبر أمه صلى الله عليه وسلم والمشير عليهم بذلك
هند بنت عتبة زوج أبى سفيان رضى الله تعالى عنهما فقالت لو بحثتم قبر ام محمد فان اسر منكم احد افديتم
كل انسان بأرب من آرابها أى جزء من أجزائها فقال بعض قريش لا يفتح هذا الباب والا نبش بنو بكر
موتانا عند مجيئهم وحرست المدينة وبات سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وسعد بن عبادة وعليهم السلاح
فى المسجد بباب رسول الله ﷺ حتى أصبحوا ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا
قال رأيت البارحة فى منامى خيرا رأيت بقرا تذبح ورأيت فى ذباب سيفى اى وهو ذو الفقار ثلما باسكان
اللام وفى لفظ وكأن ظبة سيفى انكسرت وفى لفظ ورأيت سيفى ذا الفقار انفصم من عند ظبته فكرهته

ماعلمت ولا يصلح فى ديننا الغدر وان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا فانطلق إلى قومك فقال يارسول الله أتردنى إلى المشركين يفتنونى فى دينى قال ياأبا بصير انطلق فان الله سيجعل لك ولمن حولك من المستضعفين فرجا ومخرجا فانطلق معهما وصار المسلمون يقولون له الرجل يكون خيرا من ألف رجل يريدون بذلك اغراءه على من معه حتى إذا كان بذى الحليفة جلس إلى جدار ومعه صاحباه فقال أبو بصير لأحد صاحبيه ومعه سيفه أصارم (٢٣١) سيفك هذا ياأخا بنى عامر فقال نعم انظر اليه ان شئت فاستله العامرى ثم هزه وقال لأضربن بسيفى هذا فى الأوس والخزرج يوما الى الليل فقال له أبو بصير ناولنيه أنظر اليه فناوله فلما قبض عليه ضربه به حتى برد يعنى مات ثم طلب المولى الذى كان معه يهديه الطريق فوجده قد خرج سريعا حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى المسجد فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم والحصى يطن تحت قدميه وفى لفظ يطير من تحت قدميه من شدة عدوه وأبو بصير فى أثره قد أعجزه فقال صلى الله عليه وسلم ان هذا الرجل قد رأى فزعا وفى رواية ذعرا فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى المسجد قال له ويحك مالك قال قتل صاحبكم صاحبى وأفلت منه ولم أكذب انى لمقتول واستغاث برسول الله صلى الله عليه وسلم فأمنه فاذا أبو بصير أناخ بعير العامرى بباب المسجد ودخل متوشحا السيف وقال لرسول الله ﷺ وفت ذمتك وأدى الله عنك اسلمتنى بيد القوم وقد امتنعت بدينى ان أفتن فيه فقال اذهب حيث شئت فقال يارسول الله هذا سلب العامرى الذى قتلته رحله وسيفه تخمسه فقال رسول الله ﷺ اذا خمسته رأونى لم أوف لهم بالذى عاهدتهم عليه ولكن شأنك بسلب صاحبك وعند ذلك ذهب أبو بصير الى محل من طريق الشام يمر به ذوو الميرة واجتمع اليه جمع من المسلمين الذين كانوا احتبسوا بمكة فكانوا

وهما مصيبتان ورأيت انى أدخلت يدى فى درع حصينة وفى رواية ورأيت انى فى درع حصينة أى وانى مردف كبشا قال صلى الله عليه وسلم بعد أن قيل له ما أولتها قال فأما البقر فناس من أصحابى يقتلون وفى لفظ أولت البقر بقرا يكون فينا وأما الثلم الذى رأيت فى سيفى فهو رجل من أهل بيتى أى وفى رواية من عترتى يقتل وفى رواية رأيت أن سيفى ذا الفقار فل فأولته فلا فيكم أى وفلول السيف كسور فى حده وقد حصل فى حد سيفه كسور وحصل انفصام ظبته وذهابها فكان ذلك علامة على وجود الأمرين وأما الدرع الحصينة فالمدينة أى وأما الكبش فانى أقتل كبش القوم أى حاميهم وقال صلى الله عليه وسلم لأصحابه ان رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا فان أقاموا أقاموا بشر مقام وان هم دخلوا علينا قاتلنا فيها أى فأنا أعلم بها منهم وكانوا قد شبكوا المدينة بالبنيان من كل ناحية فهى كالحصن وكان ذلك رأى أكابر المهاجرين والأنصار قال ووافق على ذلك عبد الله بن أبى ابن سلول أى فان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل اليه يستشيره ولم يستشره قبل ذلك قال يارسول الله أقم بالمدينة ولا تخرج فوالله ما خرجنا منها الى عدو لنا قط الا أصاب منا ولا دخلها الا أصبنا منه فدعهم يارسول الله فان أقاموا أقاموا بشر مجلس وان دخلوا قاتلهم الرجال فى وجوههم ورماهم الصبيان بالحجارة من ورائهم وان رجعوا رجعوا خائبين كما جاؤا اه وهذا هو الظاهر خلافا لما ذكره بعضهم من أنه صلى الله عليه وسلم دعا عبد الله بن أبى ابن سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره فقال يارسول الله اخرج بنا إلى هذه الاكالب إذ لا يناسب ذلك ما يأتى عنه من رجوعه وقوله خالفنى الخ وانما قال ذلك رجل من المسلمين ممن أكرمه الله بالشهادة يوم أحد وقال رجال أى غالبهم احداث أحبوا لقاء العدو () وغالبهم ممن أسف على مافاته من مشهد بدر أخرج بنا إلى أعدائنا لا يرونا أنا جبنا عنهم وضعفنا أى فيكون ذلك جراءة منهم علينا والله لا نطمع العرب فى أن تدخل علينا منازلنا وفى لفظ ان الأنصار قالوا يارسول الله ما غلبنا عدو لنا أتانا فى دارنا أى فى ناحية من نواحيها فكيف وأنت فينا ووافقهم على ذلك حمزة بن عبد المطلب وقال للنبى ﷺ والذى أنزل عليك الكتاب لا أطعم طعاما حتى أجالدهم بسيفى خارج المدينة كل ذلك ورسول الله ﷺ كاره للخروج فلم يزالوا برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وافق على ذلك فصلى الجمعة بالناس ثم وعظهم وأمرهم بالجد والاجتهاد وأخبرهم ان لهم النصرة ما صبروا وأمرهم بالتهيىء لعدوهم ففرح الناس بذلك ثم صلى بالناس العصر وقد حشدوا أى اجتمعوا وقد حضر أهل العوالى ثم دخل رسول الله ﷺ بيته ومعه أبو بكر وعمر رضى الله عنهما فعمماه وألبساه وصف الناس ينتظرون خروجه ﷺ فقال لهم سعد بن معاذ وأسيد ابن حضير استكرهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخروج فردوا الأمر اليه أى فما أمركم به وما رأيتم له فيه هوى ورأيا فأطيعوه () فخرج رسول الله ﷺ وقد لبس لأمته () وظاهر بين درعين () أى لبس درعا فوق درع وهما ذات الفضول وفضة التى أصابها من بنى قينقاع كما تقدم وذات الفضول هذه هى التى ارسلها اليه صلى الله عليه وسلم سعد بن عبادة رضى الله عنه حين

يسلون اليه وانفلت أبو جندل بن سهيل بن عمرو الذى رده صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية وخرج من مكة فى سبعين راكبا أسلموا فلحقوا بأبى بصير وكرهوا أن يقدموا على رسول الله ﷺ فى مدة الهدنة خوفا من أن يردهم إلى أهليهم وانضم اليهم ناس من غفار وأسلم وجهينة وطوائف من العرب ممن أسلم حتى بلغوا ثلثمائة مقاتل فقطعوا مارة قريش لا يظفرون بأحد منهم الا قتلوه ولا تمر بهم عير الا أخذوها  حتى كتبت قريش له صلى الله عليه وسلم تسأله بالأرحام الا آواهم ولا حاجة لهم بهم وفى رواية ان قريشا أرسلت أباسفيان ابن حرب فى ذلك وان قريشا أسقطت هذا الشرط وقالت ان هؤلاء الركب قد فتحوا علينا بابا لا يصلح اقراره فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبى جندل وأبى بصير أن يقدما عليه وأن من معهم من المسلمين يلحقوا ببلادهم وأهليهم ولا يتعرضوا لأحد مر بهم من قريش ولا لعيرهم فقدم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهما وأبو بصير مشرف على الموت لمرض حصل له فمات وكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يده يقرؤه فدفنه أبو جندل مكانه وجعل عند قبره مسجدا وقدم أبو جندل على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ناس من أصحابه ورجع باقيهم الى أهليهم وأمنت قريش على عيرهم وتحقق قول النبى صلى الله عليه وسلم سيجعل الله لأبى جندل وأصحابه فرجا ومخرجا وعلم أصحاب رسول الله ﷺ ورضى عنهم الذين صعب عليهم رد أبى جندل الى قريش مع سهيل بن عمرو وان طاعة رسول الله ﷺ خير مما أحبوه وان رأيه أفضل من رأيهم وعلموا بعد ذلك أن المصالحة كانت أولى لهم كما تقدم بيان ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم ﴿ غزوة خيبر ﴾ بوزن جعفر وهى مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع ونخل كثير على ثمانية برد من المدينة الى جهة الشام قال ابن اسحق أقام صلى الله عليه وسلم بالمدينة حين رجع من

سار إلى بدر وهى التى مات ﷺ عنها وهى مرهونة عند اليهودى وأفتكها أبو بكر رضى الله عنه وأظهر الدرع وحزم وسطها بمنطقة من أدم من حمائل سيفه صلى الله عليه وسلم وأنكر الامام أبو العباس بن تيمية أنه ﷺ تمنطق حيث قال لم يبلغنا أن النبى صلى الله عليه سلم شد وسطه بمنطقة وقد يقال مراد ابن تيمية المنطقة المعروفة وليس هذا منها وفيه رد على بعضهم فى قوله كان له صلى الله عليه وسلم منطقة من أدم فيها ثلاث حلق من فضة والطرف من فضة وقد يقال لا يلزم من كونه له منطقة أن يكون تمنطق بها فليتأمل وتقلد ﷺ السيف وألقى الترس فى ظهره أى وفى رواية فركب ﷺ فرسه السكب وتقلد القوس وأخذ قناته بيده أى ولا مانع أن يكون جمع بين ذلك فقالوا له ما كان لنا أن نخالفك ولا نستكرهك على الخروج فاصنع ماشئت وفى رواية فان شئت فاقعد أى وقال قد دعوتكم إلى القعود فأبيتم وما ينبغى لنبى إذا لبس لامته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه أى وفى رواية حتى يقاتل وأخذ منه أنه يحرم على النبى نزع لامته إذا لبسها حتى يلحق العدو ويقاتل وبه قال أئمتنا أى وقيل انه مكروه واستبعد وقوله ﷺ وما ينبغى لنبى يقتضى أن سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مثله فى ذلك أى لأن نزع ذلك يشعر بالجبن وذلك ممتنع على الأنبياء ﷺ عليهم قاله فى النور وما اختص به من المحرمات فهو مكروه له لأن المحرم فى المنهيات كالواجب فى المأمورات وعقد ﷺ ثلاثة ألوية لواء للأوس وكان بيد أسيد ابن حضير ولواء للمهاجرين وكان بيد على بن أبى طالب كرم الله وجهه وقيل بيد مصعب بن عمير أى لأنه كما قيل لما سئل عمن يحمل لواء المشركين فقيل طلحة بن أبى طلحة أى من بنى عبد الدار فأخذه ﷺ من على ودفعه لمصعب بن عمير أى لأن مصعب بن عمير من بنى عبد الدار وهم أصحاب اللواء فى الجاهلية كما تقدم وسيأتى ولواء للخزرج كان بيد الحباب بن المنذر وقيل بيد سعد بن عبادة وخرج فى ألف وقيل تسعمائة ولعله تصحيف عن سبعمائة لما سيأتى أن عبد الله بن أبى ابن سلول رجع معه ثلاثمائة فبقى سبعمائة من أصحابه ﷺ منهم مائة دارع وخرج السعدان امامه صلى الله عليه وسلم يعدوان سعد بن معاذ وسعد بن عبادة دارعين واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم أى وسار إلى أن وصل رأس الثنية أى وعندها وجد كتيبة كبيرة فقال ما هذا قالوا هؤلاء حلفاء عبد الله ابن أبى ابن سلول من يهود فقال أسلموا فقيل لا فقال انا لا ننتصر بأهل الكفر على أهل الشرك فردهم أى وهؤلاء اليهود غير حلفائه من بنى قينقاع فلا يقال هذا انما يأتى على أن اجلاء بنى قينقاع كان بعد أحد لأنهم هم حلفاؤه من يهود كما تقدم لأنا نمنع انحصار حلفائه من يهود فى بنى قينقاع وسار ﷺ وعسكر بالشيخين وهما اطمان أى جبلان () وعند ذلك عرض قومه فرد جمعا أى شبابا لم يرهم بلغوا خمس عشرة سنة بل أربع عشرة سنة كذا نقل عن امامنا الشافعى رضى الله عنه ونقل عنه بعضهم أنه قال لم يرهم بلغوا أربع عشرة سنة منهم عبد الله بن عمر وزيد بن ثابت واسامة بن زيد وزيد بن أرقم والبراء ابن عازب وأسيد بن ظهير وعرابة بن أوس خلافا لمن أنكر صحبته وعرابة هذا هو القائل فيه الشماخ

رأيت

الحديبية ذا الحجة وبعض المحرم ثم خرج صلى الله عليه سلم في بقية المحرم إلى خيبر سنة سبع وقال ابن عقبة عن الزهري أقام بالمدينة
عشرين ليلة أو نحوها وقيل عشر ليال وقيل خمسة عشر يوما وأقام يحاصرها بضع عشرة ليلة موزعة على حصونها إلى ان فتحها في صفر
وقيل انها كانت سنة ست وهو منقول عن الامام مالك وبه جزم ابن حزم لكن قال الحافظ ابن حجر الراجح ماذكره ابن اسحق
وهو قول الجمهور واستعمل ﷺ على المدينة غيلة بن عبد الله الليثي وقيل  سباع بن عرفطة ويمكن الجمع بانه
استخلف أحدهما أولا ثم عرض مايقتضى استخلاف الآخر وكان معه عليه الصلاة والسلام ألف وأربعمائة راجل ومائتا فارس وقد استنفر صلى الله عليه وسلم من حوله ممن شهد الحديبية يغزون معه وجاء المخلفون عنه في غزوة الحديبية ليخرجوا معه رجاء الغنيمة فقال لاتخرجوا معي إلا راغبين في الجهاد فاما الغنيمة فلا أي فلا تعطوا منها شيئا ثم أمر مناديا ينادى بذلك قال أنس رضى الله عنه قال رسول الله صلى لله عليه وسلم لأبي طلحة رضى الله عنه وهو زوج أم أنس رضى الله عنها حين أراد الخروج إلى خيبر التمسوا لى غلاما من غلمانكم يخدمنى فخرج أبو طلحة مردفى وأنا غلام وقد راهقت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل خدمته فسمعته كثيرا مايقول اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن
والعجز والكسل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال قال الحلبي وهذا السياق يدل على أن أول
خدمة أنس له حينئذ وهو يخالف ماصح أنه عند قدومه ﷺ المدينة جاءت به أمه وقالت هذا ابني وهو غلام كيس
وكان عمره عشر سنين وقيل تسع سنين وقيل ثمان سنين ففي مسلم عن أنس رضى الله عنه قال جاءت بي أمي إلى رسول الله
ﷺ وقد أزرتني بنصف خمارها وردتني بنصفه فقالت يارسول الله هذا أنيس ابني أتيتك به ليخدمك فادع الله له فقال اللهم

رأيت عرابة الاوسى يسمو * إلى الخيرات منقطع القرين
إذا ماراية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

وأوس والده هو القائل في يوم الاحزاب ان بيوتنا عورة كما سيأتي وأبو سعيد الخدري وسعد بن خيثمة رضى الله تعالى عنهم أي وزيد بن حارثة الانصاري كان أبوه حارثة من المنافقين من أصحاب مسجد الضرار ورافع بن خديج وسمرة بن جندب ثم أجاز ﷺ رافع بن خديج لما قيل له انه رام وأصيب في ذلك اليوم بسهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أشهد له يوم القيامة ومات في زمن عبد الملك بن مروان لما نقض عليه ذلك الجرح وعندما أجازه قال سمرة بن جندب لزوج أمه أجاز رسول الله ﷺ رافع بن خديج وردني وأنا أصرعه فاعلم بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصارعا فصرع سمرة بن جندب رافعا فأجازه وممن رده ﷺ يوم أحد لصغر سنه سعد ابن حبتة عرف بامه حبتة فلما كان يوم الخندق رآه ﷺ يقاتل قتالا شديدا فدعاه ومسح على رأسه ودعا له بالبركة في ولده ونسله فكان عما لأربعين وخالا لأربعين وأبا لعشرين ومن ولده أبو يوسف صاحب أبي حنيفة رضي الله عنهم وتقدم في بدر أنه ﷺ رد زيد بن ثابت وزيد بن أرقم وأسيد بن ظهير فما فرغ العرض إلا وقد غابت الشمس فأذن بلال بالمغرب فصلى رسول الله ﷺ بأصحابه ثم أذن بالعشاء فصلى بهم وبات واستعمل على الحرس تلك الليلة محمد بن مسلمة في خمسين رجلا يطوفون بالعسكر ونام رسول الله صلى الله عليه وسلم أي وذكوان بن عبد قيس يحرسه لم يفارقه لما قال صلى الله عليه وسلم من يحفظنا الليلة حتى كان السحر وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال لقد رأيت أي في النوم الملائكة تغسل حمزة رضى الله عنه وأدلج رسول الله ﷺ في السحر فحانت صلاة الصبح بالشوط حائط بين المدينة وأحد ومن ذلك المكان رجع عبد الله بن أبي ابن سلول ومن معه من أهل النفاق وهم ثلثمائة رجل وهو يقول عصاني وأطاع الولدان ومن لارأى له سيعلم ماندرى علام نقتل أنفسنا ارجعوا أيها الناس فرجعوا فتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام وهو والد جابر رضى الله عنهما وكان في الخزرج كعبد الله بن أبي يقول ياقوم أذكركم الله وأن تخذلوا بضم الذال المعجمة قومكم ونبيكم أي تتركوا نصرتهم وإعانتهم عندما حضر من عدوهم قالوا لو نعلم انكم تقاتلون لما أسلمناكم ولكن لانرى أن يكون قتالا وأبوا إلا الانصراف فقال لهم أبعدكم الله أي أهلككم الله أعداء الله فسيغني الله تعالى عنكم نبيه وفيه ان قوله المذكور يخالف قوله علام نقتل أنفسنا إلا أن يقال على فرض انه يقع قتال علام نقتل أنفسنا فلما رجع عبد الله بن أبي بن سلول بمن معه قالت طائفة نقتلهم وقالت طائفة أخرى لانقتلهم وهما أن يقتتلا والطائفتان هما بنو حارثة من الأوس وبنو سلمة من الخزرج فأنزل الله تعالى فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم أي ردهم إلى كفرهم بما كسبوا وفي كلام سبط ابن الجوزي ولما رأى بنو سلمة وبنو حارثة عبد الله بن أبي قد خذل هموا بالانصراف وكانوا جناحين من العسكر ثم عصمهما الله وأنزل قوله تعالى إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا الآية فبقى مع رسول الله

أكثر ماله وولده وعند غير مسلم وأطل عمره وأدخله الجنة وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم إنما قال لأبى طلحة ماذكر رجاء أن يأتى له بمن هو أقوى من أنس على السفر شفقة على أنس رضى الله عنه وكان الله قد وعد رسوله ﷺ عند منصرفه من الحديبية فى سورة الفتح بمغانم بقوله تعالى وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها أى مغانم خيبر وخرج معه من نسائه أم سلمة رضى الله عنها وقال  صلى الله عليه وسلم فى مسيره لعامر بن الاكوع ثم سلمة بن الاكوع رضى الله عنهما أنزل فحدثنا من هنياتك أى من أراجيزك وأشعارك وفى لفظ أنزل حرك بنا الركاب وكان يحدو حداء حسنا وفى رواية وكان عامر رجلا شاعرا فقال يارسول الله تركت قول الشعر فقال له عمر رضى الله عنه أسمع وأطع فنزل يرتجز ويقول

والله لولا الله ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا
فاغفر فداء لك ما أبقينا
والقين سكينة علينا
وثبت الاقدام ان لاقينا
إنا إذا صيح بنا أتينا
وبالصياح عولوا علينا
ونحن عن فضلك ما استغنينا
ان الذين قد بغوا علينا
إذا أرادوا فتنة أبينا

وعند انشاده الأبيات المذكورة قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحمك ربك وفى رواية غفر لك ربك وما قال صلى الله عليه وسلم ذلك لاحد فى مثل هذا الموطن إلا استشهد فقال عمر رضى الله عنه وجبت أى الشهادة يارسول الله هلا أمتعتنا به أى هلا أخرت الدعاء له بذلك إلى وقت آخر فاستشهد رضى الله عنه فى هذه الغزوة رجع اليه سيفه فقتله فانه أراد أن يضرب به ساق يهودى فجاءت ذبابته فى ركبته فمات من ذلك فقال الناس قتله سلاحه وفى رواية قتل نفسه أى فليس بشهيد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لشهيد وفى رواية قال سلمة بن الاكوع رضى الله عنه يارسول الله فداك أبى وأمى زعموا ان عامرا احبط عمله وفى لفظ يزعم أسيد بن حضير وجماعة من أصحابك أن

---

صلى الله عليه وسلم سبعمائة رجل ومن هذا يعلم ما فى المواهب من قوله ويقال ان النبى صلى الله عليه وسلم أمرهم بالانصراف لكفرهم بمكان يقال له الشوط لأن الذين ردهم ﷺ لكفرهم حلفاء عبد الله بن أبى ابن سلول من يهود وكان رجوعهم قبل الشوط والذين رجع بهم عبد الله كانوا منافقين ورجوعه بهم كان من الشوط ولم يكن مع المسلمين يومئذ إلا فرسان فرس لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفرس لأبى بردة وقيل لم يكن معهم فرس أى وهذا القيل نقله فى فتح البارى عن موسى بن عقبة واقره وقالت الأنصار أى لما رجع ابن أبى يارسول الله ألا نستعين بحلفائنا من يهود أى يهود المدينة ولعلهم عنوا بهم بنى قريظة لان بنى قريظة من حلفاء سعد بن معاذ وهو سيد الاوس قال بعضهم كان فى الانصار كأبى بكر فى المهاجرين فقال ﷺ لا حاجة لنا فيهم أقول وحينئذ يكون المراد قالت طائفة من الأنصار وهم الاوس ولم يكونوا سمعوا قوله صلى الله عليه وسلم إنا لا نستنصر بأهل الشرك على أهل الشرك والله أعلم وقال ﷺ لأصحابه من يخرج بنا على القوم من كثب أى من طريق قريب لا يمر بنا عليهم فقال أبو خيثمة أنا يارسول الله فنفذ به من حرة بنى حارثة وبين أموالهم حتى دخل فى حائط لمربع بن قيظى الحارثى وكان رجلا منافقا ضريرا فقام يحثى التراب أى فى وجوههم ويقول ان كنت رسول الله فانى لا أحل لك أن تدخل حائطى وفى يده حفنة من تراب وقال والله لو أعلم أنى لا أصيب بها غيرك يا محمد لضربت بها وجهك فابتدر اليه سعد بن زيد فضربه بالقوس فى رأسه فشجه وأراد القوم قتله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتلوه فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر أى وغضب له ناس من بنى حارثة كانوا على مثل رأيه أى منافقين لم يرجعوا مع من رجع مع عبد الله بن أبى فهم بهم أسيد بن حضير حتى أومأ أى أشار اليه رسول الله ﷺ بترك ذلك () ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل الشعب من أحد فجعل ظهره عسكره إلى أحد قال واستقبل المدينة وصف المسلمين فى جبل أحد أى بعد أن بات به تلك الليلة وحانت الصلاة صلاة الصبح والمسلمون يرون المشركين فأذن بلال وأقام وصلى رسول الله ﷺ بأصحابه صفوفا وخطب خطبة حثهم فيها على الجهاد ومن جملة ما ذكر فيها من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعة إلا صبيا أو امرأة أو مريضا أو عبدا مملوكا وفى رواية إلا امرأة أو مسافر أو عبد أو مريض بالرفع وعليها فالمستثنى محذوف أى الأربعة وما ذكر بدل منها قال ومن استغنى عنها استغنى الله عنه والله غنى حميد ما أعلم من عمل يقربكم إلى الله تعالى إلا وقد أمرتكم به ولا أعلم من عمل يقربكم من النار إلا وقد نهيتكم عنه وانه قد نفث أى أوحى وألقى فى روعى بضم الراء أى قلبى الروح الأمين أى الذى هو جبريل انه لن تموت نفس حتى تستوفى أقصى رزقها لا ينقص منه شىء وان أبطأ عنها فاتقوا الله ربكم وأجملوا أى أحسنوا فى طلب الرزق لا يحملنكم استبطاؤه ان تطلبوه بمعصية الله والمؤمن من المؤمن كالرأس من الجسد إذا اشتكى تداعى اليه سائر جسده والسلام عليكم انتهى أى ولما أقبل خالد بن الوليد رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك ومعه عكرمة بن أبى جهل رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك كما تقدم بعث

رسول

عامر احبط عمله إذا اقتل بسيفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذب من قال ذلك أى أخطأ فى قوله وان له أجرين وجمع بين أصبعيه انه لجاهد مجاهد وا لجاهد الجاد فى أمره فلما قام به وصفان كان له أجران وفى البخارى عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم أتى خيبر ليلا أى قرب منها فنام هو وأصحابه دونها ثم ركبوا اليها بكرة فصبحوها بالقتال وكان ﷺ إذا أتى قوما بليل لم يغزهم أى لم يسرع بالهجوم عليهم حتى يصبح وينظر فان سمع أذانا كف عنهم وإلا أغار عليهم فلما أتى خيبر اصبح

رسول الله ﷺ الزبير بن العوام وقال له استقبل خالد بن الوليد فكن بازائه وأمر بخيل أخرى فكانوا من جانب آخر ولعل المراد وأمر جماعة بأن يكونوا بازاء خيل أخرى للمشركين لأنه تقدم انه لم يكن معهم إلا فرس أو الا فرسان أى وماوقع فى الهدى ان الفرسان من المسلمين يوم أحد كانوا خمسين رجلا سبق قلم وقال لا تبرحوا حتى أوذنكم وقال لا يقاتلن أحد حتى آمره بالقتال وكان الرماة خمسين رجلا وأمر عليهم عبد الله بن جبير وقال انضح الخيل عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا واثبت مكانك ان كانت لنا أو علينا أى وفى رواية ان رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا حتى أرسل اليكم وان رأيتمونا ظهرنا على القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل اليكم زاد فى رواية وان رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا قال وفى رواية أنه قال أى للرماة الزموا مكانكم لا تبرحوا منه فاذا رأيتمونا نهزمهم حتى ندخل فى عسكرهم فلا تفارقوا مكانكم وان رأيتمونا نقتل فلا تغيثونا ولا تدفعوا عنا وارشقوهم بالنبل فان الخيل لا تقدم على النبل انا لن نزال غالبين ما مكثتم مكانكم اللهم انى أشهدك عليهم انتهى وأخرج رسول الله ﷺ سيفا أى وكان مكتوبا فى احدى صفحتيه

فى الجبن عار وفى الاقبال مكرمة * والمرء بالجبن لا ينجو من القدر

وقال من يأخذ هذا السيف بحقه فقام اليه رجال فامسكه عنهم من جملتهم على رضى الله تعالى عنه قام ليأخذه فقال اجلس وعمر رضى الله تعالى عنه فاعرض عنه والزبير رضى الله تعالى عنه أى وطلبه ثلاث مرات كل ذلك ورسول الله ﷺ يعرض عنه () حتى قام اليه أبو دجانة وقال ماحقه يارسول الله قال تضرب به فى وجه العدو حتى ينحنى قال انا آخذه بحقه فدفعه اليه وكان رجلا شجاعا يختال عند الحرب أى يمشى مشية المتكبر وحين رآه رسول الله ﷺ يتبختر بين الصفين قال انها لمشية يبغضها الله الا فى مثل هذا الموطن أى لأن فيها دليلا على عدم الاكتراث بالعدو وعند اصطفاف القوم نادى أبو سفيان بن حرب يامعشر الأوس والخزرج خلوا بيننا و بين بنى عمنا وننصرف عنكم فشتموه أقبح شتم ولعنوه أشد اللعن قال وخرج رجل من المشركين على بعير له فدعا للبراز فاحجم عنه الناس حتى دعا ثلاثا فقام اليه الزبير فوثب حتى استوى معه على البعير ثم عانقه فاقتتلا فوق البعير فقال رسول الله ﷺ الذى يلى حضيض الارض مقتول فوقع المشرك فوقع عليه الزبير فذبحه فاثنى عليه رسول الله ﷺ وقال لكل نبى حوارى وان حوارى الزبير وقال صلى الله عليه وسلم لو لم يبرز اليه الزبير لبرزت اليه لما رأى من احجام الناس عنه انتهى وخرج رجل من المشركين بين الصفين أى وهو طلحة بن أبى طلحة وأبو طلحة والده اسمه عبد الله بن عثمان بن عبد الدار وكان بيده لواء المشركين لأن بنى عبد الدار كانوا أصحاب لواء المشركين لان اللواء كان لو الدهم عبد الدار كما تقدم وطلب طلحة المبارزة مرارا فلم يخرج اليه أحد فقال يا أصحاب محمد زعمتم ان قتلاكم الى الجنة وان قتلانا الى النار وفى رواية قال يا أصحاب محمد انكم تزعمون ان الله تعالى يعجلنا بسيوفكم الى النار ويعجلكم بسيوفنا الى الجنة فهل أحد منكم يعجلنى بسيفه الى النار أو أعجله بسيفى الى الجنة كذبتم واللات والعزى لو

ولم يسمع أذانا فركب وفى رواية لابن اسحق انه صلى الله عليه وسلم لما أشرف على خيبر قال لأصحابه قفوا ثم قال اللهم رب السموات وما أظللن ورب الأرضين وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما ذرين فانا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها اقدموا باسم الله وكان يقول هذه الكلمات لكل قرية دخلها فلما أصبح خرجت اليهود الى زروعهم بمساحيهم ومكاتلهم وحكى الواقدى ان أهل خيبر سمعوا بقصده صلى الله عليه وسلم لهم فكانوا يخرجون فى كل يوم عشرة آلاف مقاتل متسلحين مستعدين صفوفا ثم يقولون محمد يغزونا هيهات هيهات حتى اذا كان الليلة التى قدم فيها المسلمون ناموا ولم تتحرك لهم دابة ولم يصح لهم ديك حتى طلعت الشمس نخرجوا بالمساحى طالبين مزارعهم فوجدوا المسلمين فلما رأوهم قالوا محمد والله والخميس أى جاء محمد او هذا محمد والله والخميس أى الجيش فقال النبى صلى الله عليه وسلم الله أكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين قالها ثلاثا وفى التنزيل إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا والثلاثة مبدأ الكثرة وصلى الصبح بغلس ثم دفع رايته العقاب الى الحباب بن المنذر رضى الله عنه ودفع راية لسعد بن عبادة رضى الله عنه وذكر ابن اسحق انه صلى الله عليه وسلم نزل بواد يقال له الرجيع بينهم وبين غطفان لئلا

يمدوهم وكانوا احلفاءهم وان غطفان تجهزوا وقصدوا خيبر فسمعوا حسا خلفهم فظنوا أن المسلمين خلفوهم فى ذراريهم فرجعوا
وأقاموا وخذلوا أهل خيبر أى تركوهم وجاء انه صلى الله عليه وسلم لما توجه الى خيبر أشرف النـاس على واد فرفعوا أصواتهم
بالتكبير يقولون الله أكبر لا إله الا الله فقال صلى الله عليه وسلم أربعوا على أنفسكم أى ارفقوا بانفسكم لا تبالغون فى رفع أصواتكم انكم
لا تدعون أصم ولا غائبا انكم تدعون سميعا قريبا وهو معكم وجاء ان عبدالله بن أبى ابن سلول أرسل الى يهود خيبر
يقول لهم ان محمدا سائر اليكم فخذوا حذركم وادخلوا أموالكم الى حصونكم واخرجوا الى قتاله ولا تخافوا منه ان عددكم كثير وقوم محمد شرذمة قليلون عزل لا سلاح معهم إلا قليل وانما قال صلى الله عليه وسلم الله أكبر خربت خيبر لانه لما رأى آلة الهدم وهى المساحى والمكاتل تفاءل بان حصونهم ستخرب ويحتمل ان الله أعلمه بذلك بالوحى وهو الاصح وكان يهود خيبر ادخلوا أموالهم وعيالهم فى حصون الكتيبة وجمعوا المقاتلة فى حصون النطاة وكان النبى صلى الله عليه وسلم نزل قريبا من حصون النطاة فجاءه الحباب بن المنذر رضى الله عنه فقال يارسول الله انك نزلت منزلك هذا فان كان عن أمر أمرت به فلا نتكلم وان كان هو الرأى تكلمنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الرأى فقال
يارسول الله ان أهل النطاة لى بهم معرفة ليس قوم أبعد مدى منهم ولا أعدل رمية منهم وهم مرتفعون فى
علينا وهو أسرع لانحطاط نبلهم ولا نامن بياتهم يدخلون فى خمر النخل أى النخل المجتمع بعضه على بعض تحول يارسول
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشرت بالرأى إذا أمسينا إن شاء الله تحولنا ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة
فقال انظر لنا منزلا بعيدا فطاف محمد او قال يارسول الله وجدت لك منزلا فقال صلى الله عليه وسلم على بركة الله وتحول لما أمسى

تعلمون ذلك حقا لخرج الى بعضكم فخرج اليه على بن أبى طالب فاختلفا ضربتين فقتله على رضى الله
تعالى عنه أى وفى رواية فالتقيا بين الصفين فبدره على فصرعه أى قطع رجله ووقع على الأرض وبدت
عورته فقال يا ابن عمى أنشدك الله والرحم فرجع عنه ولم يجهز عليه فقال له بعض أصحابه أفلا أجهزت
عليه فقال انه استقبلنى بعورته فعطفنى عليه الرحم وعرفت ان الله قد قتله وفى رواية قال له رسول الله
ﷺ مامنعك أن تجهز عليه فقال ناشدنى الله والرحم فقال اقتله فقتله أى ووقع لسيدنا على
كرم الله وجهه مثل ذلك فى يوم صفين مرتين الأولى حمل على بسر بن أرطاة فلما رأى انه مقتول كشف
عن عورته فانصرف عنه والثانية حمل على عمرو بن العاص فلما رأى انه مقتول كشف عن عورته
فانصرف عنه على كرم الله وجهه () فاخذ لواء المشركين أخو طلحة وهو عثمان بن أبى طلحة وعثمان
هذا هو أبو شيبة الذى ينسب اليه الشيبيون فيقال بنى شيبة فحمل عليه حمزة فقطع يده وكتفه
حتى انتهى الى مؤتزره فرجع حمزة وهو يقول أنا ابن ساقى الحجيج يعنى عبد المطلب فاخذه
أخو عثمان وأخو طلحة وهو أبو سعيد بن أبى طلحة فرماه سعد بن أبى وقاص فاصاب حنجرته فقتله
فحمله مسافع بن طلحة بن أبى طلحة الذى قتله على رضى الله تعالى عنه فرماه عاصم بن ثابت بن أبى
الافلح فقتله ثم حمله أخو مسافع وهو الحرث بن طلحة فرماه عاصم فقتله أى فكانت أمهما وهى
سلافة معهما وكل واحد منهما بعد أن رماه عاصم يأتى أمه ويضع رأسه فى حجرها فتقول له يابنى
من أصابك فيقول سمعت رجلا حين رمانى يقول خذها وأنا ابن أبى الافلح فنذرت ان أمكنها الله
من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر وجعلت لمن جاء برأسه مائة من الابل وسيأتى مقتل عاصم فى
سرية الرجيع فحمله أخو مسافع وأخو الحرث وهو كلاب بن طلحة فقتله الزبير أى وقيل قزمان
فحمله أخوهم وهو الجلاس بن طلحة فقتله طلحة بن عبيدالله فكل من مسافع والحرث وكلاب
والجلاس الاربعة أولاد طلحة بن أبى طلحة كل قتل كأبيهم طلحة وعمهم وهما عثمان وأبو سعيد
وعند ذلك حمله أرطاة بن شرحبيل فقتله على بن أبى طالب وقيل حمزة فحمله شريح بن قارظ فقتل أى
ولم يعرف قاتله ثم حمله أبو زيد بن عمرو بن عبدمناف بن هاشم بن عبدالدار فقتله قزمان فحمله ولد
لشرحبيل بن هاشم فقتله قزمان أيضا ثم حمله صواب غلامهم أى وكان حبشيا فقاتل حتى قطعت
يده ثم برك عليه فاخذه لصدره وعنقه حتى قتل عليه أى قتله قزمان وقيل القاتل له سعد بن أبى
وقاص وقيل على وقد كان أبو سفيان قال لاصحاب اللواء أى لواء المشركين من بنى عبد الدار يحرضهم
على القتال يابنى عبد الدار انكم تركتم لواءنا يوم بدر فاصابنا ما قد رأيتم وانما تؤتى الناس من قبل
راياتهم إذا زالت زالوا فاما أن تكفونا لواءنا واما أن تخلوا بيننا وبينه فنكفيكموه فهموا به وتواعدوه
وقالوا نحن نسلم اليك لواءنا ستعلم غدا اذا التقينا كيف نصنع وذلك الذى أراد أبو سفيان قال ابن
قتيبة ويقال ان هذه الآية نزلت فى بنى عبد الدار ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون
ولما صرع صاحب لواء المشركين أى الذى هو طلحة بن أبى طلحة استبشر النبى ﷺ
وأصحابه أى لانه كبش الكتيبة أى الجيش أى حاميهم الذى رآه النبى صلى الله عليه وسلم

وامر الناس بالتحول وفى لفظ ان راحلته قامت تجر بزمامها فادركت لترد فقال دعوها فانها مأمورة فلما انتهت الى موضع من الصخرة بركت عندها فتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الصخرة وتحول الناس اليها واتخذوا ذلك الموضع معسكرا وكان ذلك الموضع حائلا بين أهل خيبر وغطفان وابتنى هنالك مسجدا صلى به طول مقامه بخيبر وأمر بقطع نخيل أهل حصون النطاة فوقع المسلمون فى قطعها حتى قطعوا أربعمائة نخلة ثم نهاهم عن القطع فما قطع من نخيل خيبر غيرها وقاتل صلى الله عليه وسلم يومه ذلك أشد القتال وعليه درعان وبيضة ومغفر وهو على فرس يقال له الظرب وفى يده قناة وترس وما قيل انه صلى الله عليه وسلم ركب على حمار مخطوم برسن من ليف وتحته اكاف من ليف فلعله كان في الطريق اما حال الحرب فانه ركب ذلك الفرس وألح على حصن ناعم بالرمى وهو من حصون النطاة ويهود تقاتل وهو صلى الله عليه وسلم يقاتل هو وأصحابه ودفع لواءه لرجل من المهاجرين فرجع ولم يصنع شيئا فدفعه الى آخر من المهاجرين فرجع ولم يصنع شيئا وخرجت كتائب يهود يقدمهم رجل منهم يقال له ناشر فكشف الانصار حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى موقفه فاشتد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمسى مهموما وفى ذلك اليوم قتل محمود بن مسلمة أخو محمد بن مسلمة رضى الله عنهما برحى ألقيت عليه من ذلك الحصن ألقاها عليه مرحب اليهودى وقيل كنانة بن الربيع اليهودى ويحتمل انهما اجتمعا فى ذلك وكان محمود بن مسلمة قد حارب حتى أعياه الحرب وثقل السلاح وكان الحر شديدا فانحاز إلى ظل ذلك الحصن فالقى عليه حجر الرحى فهشم البيضة على رأسه ونزلت جلدة جبينه على وجهه وندرت عينه فادركه المسلمون فأتوا به النبى صلى الله عليه وسلم فسوى الجلدة الى مكانها وعصبه بخرقة فمات من شدة الجراحة فجاء أخوه محمد بن مسلمة رضى الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه

فى رؤياه المتقدمة انه مردفا كبشا وقال أولت ذلك انى أقتل كبش الكتيبة فهذا كبش الكتيبة وعند وجود ماذكر من قتل أصحاب اللواء صاروا كتائب متفرقة فجاس المسلمون فيهم ضربا حتى اجهضوهم أى أزالوهم عن أثقالهم اى وكانت شعار المسلمين يومئذ أمت أمت وشعار الكفار يا للعزى وهى شجرة كانوا يعبدونها يالهبل وهو صنم كان داخل الكعبة منصوبا على بئر هناك وسيأتى فى فتح مكة انه كان خارجها بجانب الباب وقد يقال لامنافاة لانه يجوز أن يكون فى أول الأمر كان داخل الكعبة ثم أخرج منها وجعل بجانبها () أى وخرج عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك فقال من يبارز فنهض اليه أبوه أبو بكر شاهرا سيفه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم شم سيفك وارجع الى مكانك ومتعنا بنفسك وتقدم طلب عبد الرحمن للمبارزة أيضا فى يوم بدر وتقدم عن ابن مسعود ان الصديق دعا ابنه يعنى عبد الرحمن يوم أحد الى البراز وهو يخالف ماهنا الا أن يقال انه هنا يجوز وقوع كل من الأمرين أى طلب المبارزة من الصديق لولده عبد الرحمن وطلب المبارزة من عبد الرحمن لوالده الصديق وقد وقع للصديق رضى الله تعالى عنه ان العرب لما ارتدت بعد موته صلى الله عليه وسلم خرج مع الجيش شاهرا سيفه فاخذ على رضى الله تعالى عنه بزمام راحلته وقال له الى أين ياخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أقول لك كما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد شم سيفك ولا تفجعنا بنفسك وارجع إلى المدينة فوالله لئن فجعنا بك لايكون للاسلام نظام أبدا فرجع وأمضى الجيش وفى أول الأمر حملت خيل المشركين على المسلمين ثلاث مرات كل ذلك تنضح بالنبل فترجع مفلولة أى بالفاء متفرقة وحمل المسلمون على المشركين فنهكوهم أى اضعفوهم قتلا فلما التقى الناس وحميت الحرب قامت هند فى النسوة اللاتى معها وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويقلن

ويها بنى عبد الدار * ويها حماة الأدبار * ضربا بكل بتار

وويها كلمة اغراء وتحريض كما تقول دونك يافلان والادبار الاعقاب أى الذين يحمون أعقاب الناس والبتار السيف القاطع ويقلن

نحن بنات طارق * نمشى على النمارق * مشى القطا النوازق

(أى الخفاف)

والمسك فى المفارق * والدر فى المخانق * ان تقبلوا نعانق

ونفرش النمارق * أوتدبروا نفارق * فراق غير وامق

والطارق النجم قال تعالى والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب قيل هو زحل أى نحن بنات من بلغ العلو وارتفاع القدر كالنجم واعترض بانها لو أرادت النجم لقالت نحن بنات الطارق ثم رأيت ان هذا الرجز لهند بنت طارق وحينئذ فليس المراد بطارق النجم وانما هو الرجل المعروف كانها قالت نحن بنات طارق المعروف بالعلو والشرف وعن بعضهم قال جلست بمكة وراء الضحاك فسئل عن قول هند يوم أحد نحن بنات طارق ماطارق فقلت هو النجم فقال لى كيف ذلك فقلت له قال الله

وسلم فقال ان اليهود قتلوا أخي محمود بن مسلمة فقال صلى الله عليه وسلم لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فانكم لا تدرون ماتبتلون به فاذا لقيتموهم فقولوا اللهم أنت ربنا وربهم ونواصينا ونواصيهم بيدك وانما يقتلهم أنت ثم الزموا الأرض جلوسا فاذا غشوكم فانهضوا وكبروا ومكث صلى الله عليه وسلم سبعة أيام يقاتل أهل حصون النطاة يذهب كل يوم بمحمد بن مسلمة للقتال ويخلف على محل العسكر عثمان بن عفان  رضي الله عنه فاذا أمسى رجع الى ذلك المحل ومن جرح من المسلمين يحمل إلى ذلك المحل ليداوي جرحه وكان يناوب بين أصحابه في حراسة الليل فلما كانت الليلة السادسة من السبع استعمل عمر رضي الله عنه فطاف عمر رضي الله عنه باصحابه حول العسكر وفرقهم فأتى برجل من يهود خيبر في جوف الليل فامر عمر رضي الله عنه بضرب عنقه فقال اذهب بي إلى نبيكم حتى أكلمه فامسك عنه وانتهى به الى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده يصلي فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم كلام عمر رضي الله عنه فلما سلم من صلاته أدخله عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهودي ماوراءك قال تؤمني يا أبا القاسم قال نعم قال خرجت من حصن النطاة من عند قوم يتسللون من الحصن في هذه الليلة قال فأين يذهبون قال الى الشق يجعلون فيه ذراريهم ويتهيؤن للقتال والمراد ماأبقوه من ذراريهم فلاينافي ماتقدم انهم أدخلوا أموالهم وعيالهم في حصون الكتيبة وأخبره ان في هذا الحصن يعني حصن الصعب من حصون النطاة في بيت فيه تحت الارض منجنيقا ودبابات ودروعا وسيوفا فاذا دخلت الحصن غدا وأنت تدخله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شاء الله قال اليهودي ان شاء الله أوقفتك عليه فانه لا يعرفه غيري وأخرى قيل وماهي قال ستخرج المنجنيق وتنصبه على الشق ويدخل الرجال تحت الدبابات فيحفرون الحصن فتفتحه من

تعالى والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق والنمارق الوسائد الصغار والمراد نفرش ماتجعل عليه الوسائد مع جعلها اليه والوامق المحب أي فراق غير محب لان غير المحب لايرجع اذا غضب بخلاف المحب ومن ثم قيل غضب المحب في الظاهر مهابة سيف وفي الباطن كسحابة صيف قال وكان صلى الله عليه وسلم اذا سمع ذلك أي تحريض هند بماذكر يقول اللهم بك أحول بالحاء المهملة أي امنع وبك أصول وفيك أقاتل حسبي الله ونعم الوكيل انتهى أي وفي رواية كان ﷺ اذا لقي العدو قال اللهم بك أصاول وبك أحاول أي أطالب وقاتل أبو دجانة حتى أمعن في الناس فعن الزبير قال وجدت أي غضبت في نفسي حين سألت رسول الله ﷺ السيف أي الذي قال فيه من يأخذه بحقه ثلاث مرات وأنا ابن عمته فمنعنيه وأعطاه أبادجانة فقلت والله لأنظرن مايصنع فاتبعته فأخذ عصابة حمراء أي أخرجها من ساق خفه وكان مكتوبا على احد طرفيها نصر من الله وفتح قريب وفي طرفها الآخر الجبانة في الحرب عار ومن فر لم ينج من النار فعصب بها رأسه فقالت الأنصار أخرج أبو دجانة عصابة الموت أي لانهم كانوا يقولون ذلك اذا تعصب بها فجعل لا يلقى أحدا الا قتله أي وكان اذا كل ذلك السيف يشحذه أي يحده بالحجارة ولم يزل يضرب به العدو حتى انحنى وصار كأنه منجل وكان رجل من المشركين لايدع لنا جريحا الا ذفف عليه أي أسرع قتله فدعوت الله أن يجمع بينه وبين أبي دجانة فالتقيا فاختلفا ضربتين فضرب المشرك أبادجانة فاتقاها بدرقته فعضت الدرقة على سيفه وضربه أبودجانة فقتله ثم رأيته حمل بالسيف على رأس هند أي بنت عتبة زوج أبي سفيان وقيل غيرها ثم رد السيف عنها قال أبودجانة رأيت انسانا يحمس الناس أي بالسين المهملة حمسا شديدا أي يشجعهم وبالشين المعجمة يوقد الحرب ويثيرها فعمدت اليه فلما حملت عليه بالسيف ولول أي دعا بالويل أي قال ياويلاه فعلمت انه امرأة فاكرمت سيف رسول الله ﷺ ان اضرب به امرأة وقاتل حمزة بن عبد المطلب قتالا شديدا ومر به سباع بن عبد العزى فقال له حمزة هلم أي أقبل يا ابن مقطعة البظور لان أمه أم انمار مولاة شريق والد الاخنس كانت ختانة بمكة أي وفي البخاري ياسباع يا ابن أم أنمار مقطعة البظور اتحاد الله ورسوله أي تحاربهما وتعاندهما وفيه انهم لما اصطفوا للقتال خرج سباع فقال هل من مبارز فخرج اليه حمزة فشد عليه فلما التقيا ضربه حمزة فقتله وفي رواية فكان كأمس الذاهب أي وكان تمام واحد وثلاثين قتلهم حمزة وفيه أنه سيأتي عن الاصل وقتل من كفار قريش يوم أحد ثلاثة وعشرين رجلا وأكب حمزة عليه ليأخذ درعه قال وحشي غلام جبير بن مطعم اني لانظر الى حمزة يهد الناس بسيفه يهد بالدال المهملة يهدم وبالذال المعجمة يقطع أي وقد عثر حمزة فانكشف الدرع عن بطنه فهززت حربتي حتى اذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت في ثنيته بالمثلثة وهو موضع تحت السرة وفوق العانة وفي لفظ فندرته حتى خرجت من بين رجليه فاقبل نحوي فغلب فوقع فامهلته حتى اذا مات جئته فاخذت حربتي ثم تنحيت الى العسكر ولم يكن لي في شيء حاجة غيره أي وفي لفظ آخر كان حمزة يقاتل بين يدي رسول الله ﷺ بسيفين وهو يقول أنا أسد الله فبينا هو كذلك اذ عثر عثرة وقع منها على ظهره فانكشفت الدرع

عن

يومك وكذلك تفعل بحصون الكتيبة ثم قال يا أبا القاسم احتقن دمي قال أنت آمن قال ولي زوجة فهبها لي قال هي لك ثم دعاه إلى
الاسلام فقال انظرني وكان صلى الله عليه وسلم تأخذه الشقيقة في بعض تلك الأيام فيبعث أناسا من أصحابه فلم يكن فتح ثم قال
صلى الله عليه وسلم لمحمد بن مسلمة رضى الله عنه لأعطين الراية غداً لرجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله لا يولي الدبر يفتح
الله عز وجل على يديه فيمكنه الله من قاتل أخيك وعند ذلك لم يكن أحد من  الصحابة له منزلة عند النبي صلى الله
عليه وسلم إلا ورجا أن يعطاها وفي رواية فبات الناس يخوضون ليلتهم أيهم يعطاها فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال ما أحببت الامارة إلا ذلك اليوم ويروى أن عليا رضى الله عنه لما بلغه مقالته صلى الله عليه وسلم قال اللهم لا معطي لما منعت ولا مانع لما أعطيت فبعث صلى الله عليه وسلم إلى علي رضى الله عنه وكان أرمد شديد الرمد وكان قد تخلف بالمدينة ثم لحق بالقوم فقيل للنبي صلى الله عليه وسلم انه يشتكي عينيه فقال من يأتيني به فذهب إليه سلمة بن الأكوع رضى الله عنه وأخذه بيده يقوده حتى أتى به النبي صلى الله عليه وسلم وقد عصب عينيه فعقد له لواءه الأبيض قال ابن اسحق لم تكن الرايات
إلا يوم خيبر فانه صلى الله عليه وسلم فرق الرايات يومئذ بين أبي بكر وعمر والحباب بن المنذر وسعد بن عبادة رضى الله عنهم وانما كانت
الألوية وكانت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم سوداء من برد لعائشة رضى الله عنها وفي سيرة الحافظ الدمياطي وكانت له راية
سوداء وفي رواية بيضاء وربما جعل فيها الأسود ولعل السواد كان كتابة في ذلك اللواء ولعل هذا اللواء الذي فيه الأسود هو المعنى
بما جاء في بعض الروايات كان له لواء أبيض مكتوب فيه لا إله إلا الله محمد رسول الله أي بالسواد فلا تنافي بين الروايات فقال على

عن بطنه فطعنه وحشي الحبشي بحربته ثم لما قتل أصحاب لواء المشركين واحداً بعد واحد ولم يقدر
أحد يدنو منه انهزم المشركون وولوا لا يلوون على شيء ونساؤهم يدعون بالويل بعد فرحهم وضربهم
بالدفوف وألقين الدفوف وقصدن الجبل كاشفات سيقانهن يرفعن ثيابهن وتبع المسلمون
المشركين يضعون فيهم السلاح وينتهبون الغنائم ففارقت الرماة محلهم الذي أمرهم صلى الله عليه
وسلم أن لا يفارقوه ونهاهم أميرهم عبد الله بن جبير فقالوا له انهزم المشركون فما مقامنا ههنا وانطلقوا
ينتهبون وثبت عبد الله بن جبير مكانه وثبت معه دون العشرة وقال لا أجاوز أمر رسول الله صلى الله
عليه وسلم فنظر خالد بن الوليد إلى خلاء الجبل من الرماة وقلة من به منهم فكر بالخيل ومعه
عكرمة بن أبي جهل رضى الله تعالى عنهما فانهما أسلما بعد ذلك فحملوا على من بقي من الرماة فقتلوهم
مع أميرهم عبد الله بن جبير أي ومثلوا به ومن كثرة طعنه بالرماح خرجت حشوته وأحاطوا بالمسلمين
فبينما المسلمون قد شغلوا بالنهب والأسر إذ دخلت خيول المشركين تنادي فرسانها () بشعارها
بالعزى يا لهبل ووضعوا السيوف في المسلمين وهم آمنون وتفرقت المسلمون في كل وجه وتركوا
ما انتهبوا وخلوا من أسروا وانتقضت صفوف المسلمين واختلط المسلمون وصار يضرب بعضهم
بعضا من غير شعار أي من غير أن يأتوا بما كانوا ينادون به في الحرب يتعارفون به في ظلمة الليل
وعند الاختلاط وهو أمت أمت مما أصابهم من الدهش والحيرة ولم يزل لواء المشركين ملقى حتى
أخذته عمرة بنت علقمة ورفعته لهم فلاثوا أي بالمثلثة استداروا به واجتمعوا عنده ونادى ابن قمئة
بفتح القاف وكسر الميم وبعدها همزة إن محمداً قد قتل وقيل المنادي بذلك إبليس أي متمثلا
بصورة جعال أو جعيل بن سراقة وكان رجلا صالحا ممن أسلم قديما وكان من أهل الصفة قيل وهو
الذي غير النبي ﷺ اسمه يوم الخندق وسماه عمرا كما سيأتي وسيأتي ما فيه ثم ان الناس
وثبوا على جعال ليقتلوه فتبرأ من ذلك القول وشهد له خوات بن جبير وأبو بردة بأن جعالا كان
عندهما وبجنبهما حين صرخ ذلك الصارخ وقيل المنادي بذلك إزب العقبة قال ذلك ثلاث مرات
أي لأنه لما بلغ رسول الله ﷺ ما صرخ الشيطان به قال هذا إزب العقبة بكسر الهمزة
وسكون الزاي والازب القصير كما تقدم وقد ذكر أن عبد الله بن الزبير رأى رجلا طوله شبران
على رحله فقال ما أنت قال إزب قال ما إزب قال رجل من الجن فضربه على رأسه بعود السوط حتى
هرب أي ويجوز أن يكون ذلك صدر من الثلاثة وهم ابن قمئة وإبليس وإزب العقبة فرجعت الهزيمة
على المسلمين أي وقال قائل يا عباد الله أخراكم أي احترزوا من جهة أخراكم فعطف المسلمون على
أخراهم يقتل بعضهم بعضا وهم لا يشعرون وانهزمت طائفة منهم إلى جهة المدينة ولم يدخلوها وقال
رجال من المسلمين حيث قتل رسول الله ﷺ ارجعوا إلى قومكم يؤمنوكم وقال آخرون
إن كان رسول الله ﷺ قد قتل أفلا تقاتلون على دين نبيكم وعلى ما كان عليه نبيكم
حتى تلقوا الله شهداء أي وفي الامتاع أن ثابت بن الدحداح قال يا معشر الأنصار ان كان
محمد قد قتل فان الله حي لا يموت قاتلوا على دينكم فان الله مظفركم وناصركم فنهض اليه نفر من الأنصار

فحمل بهم على كتيبة فيها خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعكرمة بن أبى جهل وضرار بن الخطاب فحمل عليه خالد بن الوليد بالرمح فقتله وقتل من كان معه من الأنصار رضى الله تعالى عنهم وكان من جملة من انهزم عثمان بن عفان والوليد بن عقبة وخارجة بن زيد ورفاعة بن معلى فأقاموا ثلاثة أيام ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله ﷺ ذهبتم فيها عريضة وأنزل الله تعالى ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم قال وقال جماعة ليت لنا رسولا الى عبد الله بن أبى ليأخذ لنا أمانا من أبى سفيان ياقوم ان محمدا قد قتل فارجعوا الى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم وانهزمت طائفة منهم حتى دخلت المدينة فلقيتهم أم أيمن رضى الله عنها فجعلت تحثو التراب فى وجوههم وتقول لبعضهم هاك المغزل فاغزل به وهلم سيفك اه أى اعطنى سيفك أى فالمنهزمون فى ذلك اليوم طائفتان طائفة لم تدخل المدينة وأخرى دخلتها وفيه أن أم أيمن كانت فى الجيش تسقى الجرحى أى فقد جاء أن حباب بن العرقة رمى بسهم فأصاب أم أيمن وكانت تسقى الجرحى فوقعت وتكشفت فأغرق عدو الله فى الضحك فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفع الى سعد سهما لا نصل له وقال ارم به فوقع السهم فى نحر حباب فوقع مستلقيا حتى بدت عورته فضحك صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال استقاد لها سعد أجاب الله دعوته أى وفى رواية اللهم استجب لسعد إذا دعاك فكان مجاب الدعوة وقد يقال لا منافاة بين كون أم أيمن كانت فى الجيش وبين كونها كانت فى المدينة لجواز أن تكون رجعت ذلك الوقت من الجيش الى المدينة وقال رجال أى من المنافقين لما قيل قد قتل محمد الذين بقوا ولم يذهبوا مع عبد الله بن أبى بن سلول لو كان لنا من الأمر شىء ماقتلنا ههنا أى وقال بعضهم لو كان نبيا ما قتل فارجعوا الى دينكم الأول وفى النهر أن فرقة قالوا نلقى اليهم بأيدينا فانهم قومنا وبنو عمنا وهذا يدل على أن هذه الفرقة ليست من الأنصار بل من المهاجرين قال وعن الزبير بن العوام رضى الله تعالى عنه قال لقد رأيتنى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد حين اشتد علينا الخوف وأرسل علينا النوم فما منا أحد إلا وذقنه فى صدره فوالله انى لأسمع كالحلم قول معتب بن قشير أى ويقال ابن بشير وكان ممن شهد العقبة لو كان لنا من الأمر شىء ماقتلنا ههنا فحفظتها فأنزل الله تعالى فى ذلك قوله ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا الآية وعن كعب بن عمرو الأنصارى رضى الله تعالى عنه قال لقد رأيتنى يومئذ فى أربعة عشر من قومى الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أصابنا النعاس أمنة منه أى لأنه لا ينعس إلا من يأمن مامنهم أحد إلا غط غطيطا حتى ان الجحف أى الدرق تتناطح ولقد رأيت سيف بشر بن البراء بن معرور سقط من يده ومايشعر وان المشركين لتحتنا اه وتقدم فى بدر أنه حصل لهم النعاس ليلة القتال لا يبعد على ماتقدم وتقدم أن النعاس فى الصف من الايمان وفى الصلاة من الشيطان وثبت صلى الله عليه وسلم لما تفرقت عنه أصحابه وصار يقول إلى يافلان إلى يافلان أنا رسول الله فما يعرج اليه أحد والنبل يأتى اليه من كل ناحية والله يصرفه عنه أى وفى الامتاع أنه ﷺ قال أنا النبى لا كذب أنا ابن

يارسول الله إنى أرمد كما ترى لا أبصر موضع قدمى فوضع رأسه فى حجره صلى الله عليه وسلم ثم بصق صلى الله عليه وسلم فى عينيه وفى رواية فتفل فى كفه وفتح له عينيه فدلكهما فبرأ حتى كأن لم يكن بهما وجع وقال على رضى الله عنه فما رمدت بعد يومئذ وفى رواية فما رمدت ولا صدعت وفى لفظ فما اشتكيتهما حتى الساعة وفى هذا السياق لطيفة وهو أن من طلب شيئا أو تعرض لطلبه يحرمه غالبا وأن من لم يطلب الشىء ولا يتعرض لطلبه ربما وصل اليه وقد أشار إلى ذلك صلى الله عليه وسلم بقوله رحم الله أخى يوسف لو لم يقل اجعلنى على خزائن الأرض لاستعمله من ساعته ولكن لأجل سؤاله إياه ذلك أخر عنه سنة أى وبعد السنة دعاه الملك وتوجه ورداه وقلده بسيفه وأمر له بسرير من ذهب مكلل بالدر والياقوت وضرب له عليه كلة من استبرق وفوض اليه أمر مصر وقد قيل لو وقعت قلنسوة من السماء لا تقع إلا على رأس من لا يريدها ثم دعا النبى صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه وكرم وجهه بقوله اللهم اكفه الحر والبرد قال على رضى الله عنه فما وجدت بعد ذلك لا حرا ولا بردا فكان رضى الله عنه يلبس فى الحر الشديد القباء المحشو الثخين ويلبس فى البرد الشديد الثوبين الخفيفين وفى لفظ الثوب الخفيف فلا يبالى بالبرد وكان يفعل ذلك إظهارا لهذه المعجزة وتحقيقا لها وقد يخالف ذلك ما حكاه بعضهم قال دخل رجل على على رضى الله عنه وهو يرعد تحت سمل قطيفة أى قطيفة خلقة فقال يا أمير المؤمنين ان الله جعل لك فى هذا المال وأنت تصنع بنفسك هكذا فقال والله لا أرزأ كم من مالكم فانها لقطيفتى التى خرجت بها من المدينة وقد يقال لا مخالفة لجواز أن تكون رعدته تلك الحمى أصابته فى ذلك الوقت لا لشدة البرد كما ظنه السائل وقد أشار صاحب الهمزية الى زوال رمد على رضى الله عنه ببركة ريق النبى صلى الله عليه وسلم بقوله

عبد المطلب أنا ابن العواتك فليتأمل فان المحفوظ أنه إنما قال ذلك فى حنين وان كان لا مانع من التعدد وثبت معه ﷺ جماعة أى من أصحابه منهم أبو طلحة فانه استمر بين يدى النبي صلى الله عليه وسلم يحوز عنه بجحفته وكان رجلا راميا شديد الرمي فنثر كنانته بين يدى رسول الله ﷺ أى وصار يقول نفسى لنفسك الفداء ووجهى لوجهك الوقاء فلم يزل يرمى بها وكان الرجل يمر بالجعبة بضم الجيم من النبل فيقول ﷺ انثرها لأبى طلحة أى وكسر ذلك اليوم قوسين أو ثلاثة وصار رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرف أى ينظر الى القوم وفى لفظ ليرى مواضع النبل فيقول له أبو طلحة يانبى الله بابى أنت وأمى لا تشرف يصبك سهم من سهام القوم نحرى دون نحرك انتهى أى و يتطاول أبو طلحة بصدره بقى رسول الله ﷺ واستدل بذلك على أن من خصائصه صلى الله عليه وسلم أنه يجب على كل مؤمن أن يؤثر حياته ﷺ على حياته قال فلا خلاف أن هذا لا يجب لغيره وهذا المذكور عن أبى طلحة من قوله نحرى دون نحرك نقله ابن المنير عن سعد بن أبى وقاص فقال ولهذا قال سعد يوم أحد نحرى دون نحرك ولازال ﷺ يرمى عن قوسه أى المسماة بالكتوم لعدم تصويتها إذا رمى عنها حتى صارت شظايا أى ذهب منها قطع وفى رواية رمى عن قوسه حتى اندقت سيتها والسية ما انعطف من طرفى القوس اللذين هما محل الوتر قال ومازال ﷺ يرمى عن قوسه حتى تقطع وتره وبقيت فى يده منه قطعة تكون شبرا فى سية القوس فاخذ القوس عكاشة بن محصن ليوتره له فقال يارسول الله لا يبلغ الوتر فقال مده يبلغ قال عكاشة فوالذى بعثه بالحق لمددته حتى بلغ وطويت منه لفتين أو ثلاثا على سية القوس ورمى ﷺ بالحجارة وكان أقرب الناس الى القوم اه أى وأنكر الامام أبو العباس بن تيمية كونه صلى الله عليه وسلم رمى عن قوسه حتى صارت شظايا أى لأنه يبعد وجود رميه ﷺ من غير إصابة ولو أصاب أحدا لذكر لانه مما تتوفر الدواعى على نقله وقاتل جماعة من أصحابه منهم سعد بن أبى وقاص فانه كان من الرماة المذكورين رمى بقوسه قال سعد لقد رأيته يعنى النبي صلى الله عليه وسلم يناولنى النبل و يقول ارم فداك أبى وأمى حتى انه ليناولنى السهم ماله نصل فيقول ارم به وقد تقدم أنه رمى بسهم من تلك السهام التى لا نصل لها لمن رمى أم أيمن قال وفى رواية عن سعد قال أجلسنى رسول الله ﷺ أمامه فجعلت أرمى وأقول اللهم سهمك فارم به عدوك ورسول الله ﷺ يقول اللهم استجب لسعد اللهم سدد رميته وأجب دعوته حتى إذا فرغت من كنانتى نثر رسول الله ﷺ مافى كنانته اه أى فكان سعد مجاب الدعوة كما تقدم ولما سعى أهل الكوفة به الى سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه أرسل جماعة للكوفة يسألون عن حاله من أهل الكوفة فصاروا كلما سألوا عنه أحدا قال خيرا وأثنى عليه معروفا حتى سألوا رجلا يقال له أبو سعدة ذمه وقال لا يقسم بالسوية ولا يعدل فى القضية فلما بلغ سعدا ذلك قال اللهم إن كان كاذبا فأطل عمره وأدم فقره واعم بصره وعرضه للفتن فعمى وافتقر وكبر سنه وصار يتعرض للاماء فى سكك

---

وعلى لما تفلت بعينيه * وكلتاهما معا رمداء فغدا ناظرا بعيني عقاب * فى غزاة لها العقاب لواء ثم ان النبي ﷺ أعطى عليا رضى الله عنه الراية ليذهب للقتال فقال على رضى الله عنه أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا فقال انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فى الاسلام فان لم يطيعوا لك بذلك فقاتلهم فوالله لأن يهدى بك الله رجلا واحدا خير لك من حمر النعم وفى رواية قال على كرم الله وجهه علام أقاتلهم قال على أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وانى رسول الله فاذا فعلوا ذلك فقد حقنوا دماءهم وأموالهم وفى رواية لما أعطاهم الراية قال له امش ولا تلتفت فسار شيئا ثم وقف ولم يلتفت فصرخ يارسول الله علام أقاتلهم قال قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فاذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله وعن حذيفة رضى الله عنه قال لما تهيأ على رضى الله عنه يوم خيبر للحملة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعلى والذى نفسى بيده أن معك من لا يخذلك هذا جبريل عن يمينك بيده سيف لو ضرب به الجبال لقطعها فابشر بالرضوان والجنة ياعلى انك سيد العرب وأنا سيد ولد آدم وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم كان يعطى الراية كل يوم واحدا من أصحابه ويبعثه فبعث أبا بكر رضى الله عنه فقاتل ورجع ولم يكن فتح وقد جهد ثم بعث عمر بن الخطاب رضى الله عنه من الغد فقاتل ورجع ولم يكن فتح وقد جهد ثم بعث رجلا من الأنصار فقاتل ورجع ولم يكن فتح فقال عليه الصلاة والسلام لأعطين الراية أى اللواء غدا رجلا يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه كرار غير فرار فدعا عليا رضى الله عنه وهو أرمد فتفل فى عينيه ثم قال خذ هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله عليك ودعا له ومن معه بالنصر وفى رواية ألبسه درعه الحديد وشد ذا الفقار الذى هو سيفه فى وسطه وأعطاه

الرايةووجهه الى الحصن فخرج على رضى الله عنه يهرول حتى ركزها تحت الحصن فاطلع عليه يهودى من رأس الحصن فقال من أنت قال على بن أبى طالب قال اليهودى علوتهم والتوراة التى أنزل الله على موسى ثم خرج اليه أهل الحصن وكان أول من خرج اليه الحرث أخو مرحب وكان معروفا بالشجاعة فانكشف المسلمون ووثب على رضى الله عنه عليه فتضاربا وتقاتلا فقتله على رضى الله عنه وانهزم اليهود الى الحصن  ثم خرج اليه مرحب وفى رواية أن مرحبا لما علم أن أخاه قد قتل خرج سريعا من الحصن وقد لبس درعين وتقلد بسيفين واعتم بعمامتين ولبس فوقهما مغفرا وحجرا قد ثقبه قدر البيضة ومعه رمح لسانه ثلاثة أسنان وهو يرتجز و يقول

قد علمت خيبر * أنى مرحب
شاكى السلاح بطل مجرب * إذا الحروب أقبلت تلهب

فبرز له على رضى الله عنه وهو يقول

أنا الذى سمتنى أمى حيدره
كليث غابات كريه المنظره
أكيلكم بالسيف كيل السندره

ثم حمل مرحب على على رضى الله عنه وضربه فطرح ترسه من يده فتناول على رضى الله عنه بابا كان عند الحصن فتترس به عن نفسه فلم يزل فى يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه الحصن ثم ألقاه من يده وراء ظهره وكان طول الباب ثمانين شبرا ولم يحركه بعد ذلك سبعون رجلا إلا بعد جهد ففيه دلالة على فرط قوة على وكمال شجاعته رضى الله عنه وعن أبى رافع رضى الله عنه لقد رأيتنى فى سبعة نجهد على أن نقلب ذلك الباب فلم نقدر رواه ابن اسحق والبيهقى والحاكم وعن أبى جعفر محمد بن على بن الحسين عن جابر رضى الله عنهم أن عليا رضى الله عنه حمل الباب يوم خيبر وانه جرب بعد ذلك فلم يحمله أربعون رجلا رواه البيهقى وفى رواية للبيهقى أن عليا رضى الله عنه لما انتهى الى الحصن المسمى القموص اجتذب أحد أبوابه فالقاه بالارض فاجتمع عليه بعده منا سبعون رجلا فكان جهدهم أن أعادوا الباب مكانه وهذا لايعارض رواية أربعين لانهم

---

الكوفة فاذا قيل له كيف أنت يا أبا سعدة يقول شيخ كبير فقير مفتون أصابتنى دعوة سعد قيل لسعد لم تستجاب دعوتك من دون الصحابة فقال مارفعت الى فمى لقمة إلا وأنا أعلم من أين جاءت ومن أين خرجت أى لانه جاء عن ابن عباس رضى الله عنهما تليت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية يا أيها الناس كلوا مما فى الارض حلالا طيبا فقام سعد بن أبى وقاص وقال يارسول الله ادع الله أن يجعلنى مستجاب الدعوة فقال والذى نفس محمد بيده ان العبد ليعقد اللقمة الحرام فى جوفه ما يتقبل منه أربعين يوما وقد جاء فى الحديث من كان مأكله حراما ومشربه حراما وملبسه حراما فانى يستجاب له فليتأمل هذا الجواب وقد يقال مراد سعد بقوله ادع الله أن يجعلنى مستجاب الدعوة أى ممن يأكل الحلال الطيب و يميز عند الاكل بين الحرام وبين غيره حتى أكون مستجاب الدعوة ولعل المراد بالاكل ما يشمل الشرب ولعل السكوت عن اللبس لانه نادر بالنسبة للاكل وجوابه صلى الله عليه وسلم بقوله والذى نفس محمد بيده تقرير لما فهمه سعد رضى الله عنه أن من يأكل غير الحلال لا يكون مستجاب الدعوة تأمل والحق أن سبب استجابة دعوة سعد دعاء النبى صلى الله عليه وسلم له بذلك ولعله إنما لم يجب بذلك لمن سأله بقوله لم تستجاب دعوتك من بين الصحابة لأنه يجوز أن يكون دعاء النبى صلى الله عليه وسلم له بذلك تأخر عن هذا فليتأمل وفى الشرف أن سعدا رضى الله عنه رمى يوم أحد ألف سهم مامنها سهم إلا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له ارم فداك أبى وأمى ففداه فى ذلك اليوم ألف مرة وعن على كرم الله وجهه ماسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فداك أبى وأمى إلا لسعد رضى الله عنه وفى رواية فما جمع صلى الله عليه وسلم أبويه لأحد إلا لسعد رضى الله تعالى عنه قال فى النور الرواية الأولى أصح لانه أخبر فيها أنه لم يسمع أى لانه حينئذ لا يخالف ما جاء عن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم جمع لأبيه الزبير رضى الله عنه بين أبويه أى قال له فداك أبى وأمى كسعد أى وذلك فى يوم الخندق حيث أتاه بخبر بنى قريظة وكذا الرواية الثانية لاتخالف لأنها محمولة على سماعه وعلى الأخذ بظاهرها وعدم حملها على ذلك يجاب بما قال فى النور ظهر لى أن عليا كرم الله وجهه إنما أراد تفدية خاصة وهى ألف مرة أو فى خصوص احد وكان صلى الله عليه وسلم يفتخر بسعد فيقول هذا سعد خالى فليرنى امرؤ خاله لأن سعدا رضى الله عنه كان من بنى زهرة وكانت أم النبى صلى الله عليه وسلم منهم كما تقدم أى وكان رضى الله عنه إذا غاب يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم مالى لا أرى الصبيح المليح الفصيح ولما كف بصره رضى الله عنه قيل له لو دعوت الله سبحانه أن يرد عليك بصرك فقال قضاء الله أحب الى من بصرى (ولما حضرت الوفاة) سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه دعا بخلق جبة من صوف فقال كفنونى فيها فانى كنت لقيت فيها المشركين يوم بدر وانما كنت أخبوها لهذا وممن كان مشهورا بالرماية سهيل بن حنيف رضى الله عنه وكان ممن ثبت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا اليوم الذى هو يوم أحد قال بعضهم وكان بايعه صلى الله عليه وسلم يومئذ على الموت فثبت معه صلى الله عليه وسلم حتى انكشف الناس عنه وجعل ينضح بالنبل يومئذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال

صلى

عالجوا حمله فما قدروا فتكاملوا سبعين وأما الرواية السابقة التى فيها لقد رأيتنى فى سبعة فقال الحافظ ابن حجر الجمع بينها وبين رواية الأربعين ان السبعة عالجوا قلبه والأربعين عالجوا حمله والفرق بين الأمرين ظاهر ولو لم يكن الا باختلاف حال الابطال ثم ان عليا رضى الله عنه ضرب مرحبا فترس فوقع السيف على الترس فقده وشق المغفر والحجر الذى تحته والعمامتين وفلق هامته حتى أخذ السيف فى الاضراس والى ذلك أشار بعضهم وقد أجاد بقوله

وشادن أبصرته مقبلا * فقلت من وجدى به مرحبا
قد فؤادى فى الهوى قدة * قد على فى الوغى مرحبا

وما ذكر من قتل على رضى الله عنه لمرحب هو الصحيح المروى فى صحيح مسلم وغيره وذكر بعض أهل السير ان الذى قتل مرحبا محمد بن مسلمة رضى الله عنه فقال ان مرحبا طلب المبارزة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لهذا فقال محمد بن مسلمة رضى الله عنه أنا يارسول الله فان أخى قتل بالأمس ولم يأخذ أحد بثاره وكان الذى قتله مرحب فقال قم اليه اللهم أعنه عليه فقام اليه وبارزه فضربه مرحب فاتقى محمد بن مسلمة ضربته بدرقته فوقع سيف مرحب فيها فعضت عليه وأمسكته فضربه محمد بن مسلمة فقتله وفى رواية فضربه فى ساقه فيحتمل أنه بارزه وضربه فى ساقه وعلى رضى الله عنه هو الذى قتله وقيل ان الذى قتله محمد بن مسلمة إنما هو الحرث أخو مرحب فاشتبه على بعض الرواة وكان مكتوبا على سيف مرحب هذا سيف مرحب من يصبه يعطب وقول على رضى الله عنه * أنا الذى سمتنى أمى حيدره * أراد بذلك اعلام مرحب برؤية رآها علمها على رضى الله عنه مكاشفة وذلك ان مرحبا رأى تلك الليلة مناما ان أسدا افترسه فأشار بقوله حيدره وهو من أسماء الأسد الى أنه الأسد الذى يفترسه فلما سمع ذلك مرحب ارتعد وضعفت نفسه وهذا الاسم سمت عليا به أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم أرادت أن يكون اسم ابنها كاسم أبيها وكان أبو طالب غائبا فلما

---

صلى الله عليه وسلم نبلوا سهيلا أى أعطوه النبل وجاء ان خاله ﷺ وهو الأسود بن وهب ابن عبد مناف بن زهرة استأذن على النبى ﷺ فقال النبى صلى الله عليه وسلم ياخالى ادخل فدخل فبسط له ﷺ رداءه وقال اجلس عليه ان الخال والد من أسدى اليه معروف فلم يشكر فليذكر فانه إذا ذكر فقد شكر وقال له ألا أنبئك بشئ عسى الله أن ينفعك به قال بلى قال ان أربى الربا استطالة المرء فى عرض أخيه بغير حق وعن أم عمارة المازنية رضى الله عنها أى وهى نسيبة بالتصغير على المشهور وزوج زيد بن عاصم رضى الله عنه قالت خرجت يوم أحد لأنظر مايصنع الناس ومعى سقاء فيه ماء أسقى به الجرحى فانتهيت الى رسول الله ﷺ وهو فى أصحابه والريح للمسلمين فلما انهزم المسلمون انحزت الى رسول الله ﷺ فقمت أباشر القتال وأذب عنه بالسيف وأرمى عن القوس حتى حصلت الجراحة الى ورؤى على عاتقها جرح أجوف له غور فقيل لها من أصابك بهذا قالت ابن قمئة لما ولى الناس عن رسول الله ﷺ أقبل يقول دلونى على محمد فلا نجوت ان نجا فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير فضربنى هذه الضربة وضربته ضربات ولكن عدو الله كان عليه درعان قال وفى كلام بعضهم خرجت نسيبة يوم أحد وزوجها زيد بن عاصم وابناها خبيب وعبد الله رضى الله عنهم وقال لهم رسول الله ﷺ رحمكم الله أهل البيت وفى رواية بارك الله فيكم أهل بيت قالت له أم عمارة رضى الله عنها ادع الله أن نرافقك فى الجنة فقال اللهم اجعلهم رفقائى فى الجنة أى وعند ذلك قالت رضى الله عنها ما أبالى ما أصابنى من أمر الدنيا () وقال ﷺ فى حقها ماالتفت يمينا ولا شمالا يوم أحد الا وأراها تقاتل دونى اه أى وقد جرحت رضى الله عنها اثنى عشر جرحا بين طعنة برمح أو ضربة بسيف وعبد الله ابنها رضى الله عنهما هو القاتل لمسيلمة الكذاب لعنه الله فعنها رضى الله عنها قالت يوم اليمامة تقطعت يدى وأنا أريد قتل مسيلمة وما كان لى ناهية أى مانعة حتى رأيت الخبيث مقتولا وإذا ابنى عبد الله بن زيد يمسح سيفه بثيابه فقلت أقتلته فقال نعم فسجدت لله شكرا () ولا ينافيه مااشتهر أن قاتله وحشى فعن وحشى رضى الله عنه قال قال لى رسول الله ﷺ أى بعد ان قدم عليه فى وفد ثقيف وأسلم كما سيأتى ياوحشى اخرج فقاتل فى سبيل الله كما كنت تقاتل لتصد عن سبيل الله فلما كان خروج المسلمين لقتال مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة لما ولى الصديق رضى الله عنه الخلافة وارتدت العرب خرجت معهم فأخذت حربتى فلما رأيته تهيأت له وتهيأ له رجل من الانصار من الناحية الأخرى كلانا يريده وهززت حربتى حتى اذا رضيت منها دفعتها فوقعت فيه وشد عليه الأنصارى فضربه بالسيف فربك أعلم أينا قتله قال بعضهم والانصارى هو عبد الله بن زيد أى كما تقدم وقيل غيره أى وفى كلام بعضهم اشترك فى قتل مسيلمة الكذاب لعنه الله أبو دجانة وعبد الله بن زيد ووحشى رضى الله عنهم وفى تاريخ ابن كثير رحمه الله الاقتصار على وحشى وأبى دجانة وقد يقال لامخالفة لأن كلا من الرواة روى بحسب مارأى وذكر ابن كثير أن ماروى عن أبى دجانة رضى الله عنه من ذكر الحرز المنسوب اليه إسناده ضعيف لايلتفت

قدم كره ذلك الاسم وسماه علياوقيل ان عليا كان يلقب بحيدرة وهوصغير والحيدرة الغليظ القوى فلقب به لكونه كان عظيم البطن ممتلئالحما ثم خرج بعدمرحب أخوه ياسروهو يرتجزو يقول قد علمت خيبر أنى ياسر ﴿ شاكى السلاح بطل مغاور
وكان أيضاً من مشاهير فرسان يهودوشجعانهم وهو يقول من يبارز فخرج له الزبير رضى الله عنه فقالت أمه صفية بنت عبدالمطلب رضى الله عنها وكانت مع القوم  وهى عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله انه يقتل ابنى فقال بل ابنك يقتله إن شاء الله تعالى فقتله الزبير وعند ذلك قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فداك عم وخال لكل نبى حوارى وحوارى الزبير وذكر الزمخشرى أن هذه الواقعة للزبير كانت فى بنى قريظة قال إنه يعنى الزبير أول من استحق السلب وكان ذلك فى بنى قريظة برز رجل من العدو فقال رجل ورجل فقال النبى صلى الله عليه وسلم قم يازبير فقالت أمه صفية رضى الله عنها واحدى يارسول الله فقال صلى الله عليه وسلم أيهما علا صاحبه قتله فعلاه الزبير رضى الله عنه فقتله فنفله رسول الله صلى الله عليه وسلم سلبه وقال السلب للقاتل هذا كلامه قال الحلبى فليتأمل فانى لم أقف فى كلام أحد على أن بنى قريظة وقعت منهم مقاتلة بالمبارزة وفى رواية ان القاتل لياسر على بن أبى طالب ويمكن الجمع بمثل ماتقدم أى من أنهما اشتركا فى ذلك وكان من جملة قتلى المسلمين الأسود الراعى كان أجيراً لرجل من اليهود يرعى له غنما
وكان عبدا حبشيا يسمى أسلم وقيل يسار فجاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو محاصر خيبر وقال يارسول الله اعرض على الاسلام فعرضه عليه فأسلم وفى رواية قال ان أسلمت ماذا لى قال الجنة فأسلم فلما أسلم قال يارسول الله انى كنت أجيراً لصاحب هذه الغنم فكيف أصنع بها وفى رواية انها أمانة وهى للناس الشاة والشاتان وأكثر من ذلك قال اضرب فى وجهها فانها سترجع الى ربها فقام

اليه وقد نقل عن وحشى رضى الله عنه أنه قال قتلت بحربتى هذه خير الناس وشر الناس وكان عمر مسيلمة حين قتل مائة وخمسين سنة (وذكر) ان أبادجانة رضى الله عنه تترس دون رسول الله ﷺ فصار يقع النبل على ظهره وهو منحن حتى كثر فيه النبل وقاتل دونه صلى الله عليه وسلم زيادة بن عمار حتى أثبتته الجراحة أى أصابت مقاتله فقال صلى الله عليه وسلم ادنوه منى فوسده قدمه الشريف فمات رضى الله عنه وخده على قدمه الشريف ﷺ وقاتل مصعب بن عمير رضى الله عنه دون رسول الله ﷺ حتى قتله ابن قمئة لعنه الله وهو يظنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع الى قريش فقال قتلت محمدا وقيل القاتل لمصعب رضى الله عنه أبى بن خلف لعنه الله فانه أقبل نحو النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقول أين محمد لانجوت ان نجا فاستقبل مصعب بن عمير رضى الله عنه فقتل مصعبا فاعترضه رجال من المسلمين فأمرهم رسول الله ﷺ أن يخلوا طريقه أى فأقبل وهو يقول يا كذاب أين تفرو تناول النبى صلى الله عليه وسلم الحربة من بعض أصحابه أى وهو الحرث بن الصمة والزبير بن العوام على ماسيأتى نخدشه بها فى عنقه خدشا غير كبير احتقن الدم أى لم يخرج بسبب ذلك الخدش فقال قتلنى والله محمد فقالوا ذهب والله فؤادك أى وفى لفظ ذهب والله عقلك انك لتأخذ السهام من أضلاعك فترمى بها فما هذا والله ما بك من بأس ما أخدعك إنما هو خدش ولو كان هذا الذى بك بعين أحدنا ماضره فقال واللات والعزى لو كان هذا الذى بى بأهل ذى المجاز أى السوق المعروف من جملة أسواق الجاهلية كان عند عرفة كما تقدم وفى لفظ لو كان بربيعة ومضر أى وفى لفظ بأهل الأرض لماتوا أجمعون أنه قد كان قال لى بمكة أنا أقتلك فوالله لو بصق على لقتلنى أى فضلا عن هذه الضربة لأنه كان يقول للنبى ﷺ فى مكة يامحمد إن عندى العود يعنى فرساله أعلفه فى كل يوم فرقا بفتح الراء هومكيال معروف يسع اثنى عشر مداً من ذرة أقتلك عليها فيقول له رسول الله ﷺ أنا أقتلك إن شاء الله فحقق الله تعالى قول نبيه صلى الله عليه وسلم هذا وعن سعيد بن المسيب رضي الله عنه أن أبى بن خلف قال حين افتدى أى من الاسر يبدر والله ان عندى لفرسا أعلفها كل يوم فرقا من ذرة أقتل عليها محمدا فبلغت رسول الله ﷺ فقال بل أنا أقتله إن شاء الله أقول يمكن الجمع بأنه تكرر ذلك من أبى لعنه الله ومن النبى صلى الله عليه وسلم والله أعلم وفى رواية أبصر صلى الله عليه وسلم ترقوته بالفتح لا بالضم من فرجة من سابغة الدرع وهى ما يغطى به العنق من الدرع كما تقدم فطعنه طعنة أى كسر فيها ضلعا بكسر الضاد وفتح اللام وتسكينها من أضلاعه أى وهو المناسب لما فى بعض الروايات ان النبى صلى الله عليه وسلم طعنه طعنة وقع فيها مراراً من على فرسه وجعل يخور كما يخور الثور إذا ذبح وأنه صلى الله عليه وسلم لما أخذ الحربة من الحرث ابن الصمة وقيل من الزبير بن العوام رضى الله عنه انتفض بها انتفاضة شديدة ثم استقبله فطعنه فى عنقه أقول ولا مخالفة بين كون الطعنة فى عنقه وكونها فى ترقوته لأن الترقوة فى أصل العنق ولا مخالفة أيضا بين كون الحاصل من الطعنة خدشا مع اعتنائه صلى الله عليه وسلم بالطعنة وناهيك بعزمه صلى

الأسود فأخذ حفنة من حصى فرمى به وجهها وقال ارجعي إلى صاحبك فوالله لا أصحبك فخرجت مجتمعة كأن سائقا يسوقها حتى دخلت الحصن ثم تقدم ذلك الأسود فقاتل مع المسلمين فأصابه حجر وفي رواية سهم فقتله ولم يسجد لله سجدة فأتى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه نفر من أصحابه فأعرض عنه فقالوا يا رسول الله لم أعرضت عنه قال ان معه الآن زوجتيه من الحور العين تنفضان التراب عن وجهه وتقولان ترب الله من ترب وجهك وقتل من قتلك زاد في لفظ  لقد أكرم الله هذا العبد وساقه إلى خير قد كان الاسلام من نفسه حقا ثم ان الله تعالى فتح ذلك الحصن وهو حصن ناعم وهو أول حصن من حصون النطاة على يد علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعن يزيد بن أبي عبيد قال رأيت أثر ضربة بساق سلمة بن الأكوع رضي الله عنه فقلت ما هذه الضربة قال هذه ضربة أصابتني يوم خيبر فقال الناس أصيب سلمة فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فنفث فيها ثلاث نفثات فما اشتكيتها حتى الساعة رواه البخاري وفي البخاري أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في رجل ممن يدعي الاسلام انه من أهل النار فلما حضر القتال قاتل الرجل أشد القتال حتى كثرت به الجراح فكاد بعض الناس يرتاب أي يشك في قوله صلى الله عليه وسلم انه من أهل النار فوجد الرجل ألم الجراحة فأهوى بيده إلى كنانته فاستخرج منها سهما فنحر نفسه فاشتد رجل من المسلمين وهو أكثم الخزاعي فقال يا رسول الله صدق الله حديثك انتحر فلان فقتل نفسه فقال ﷺ قم يا بلال فأذن في الناس انه لا يدخل الجنة الا مؤمن وان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وفي رواية عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أنه ﷺ التقى هو والمشركون فاقتتلوا فمال إلى عسكره ومال الآخرون الى عسكرهم وفي أصحابه رجل لا يدع لهم شاذة ولا فاذة الا اتبعها يضربها بسيفه فقيل ما أجزى أحد منا اليوم كما أجزى

ﷺ لأن كون الخدش في الظاهر أي بحسب ما يظهر للرائي والشدة في الباطن أقوى في النكاية ودليل وجود الشدة في الباطن وقوعه مرارا وكونه خار كالثور الذي يذبح وكون الطعن في العنق يفضي إلى كسر الضلع من خوارق العادات لكن رأيت في رواية أنه ضربه تحت ابطه فكسر ضلعا من أضلاعه وقد يقال يجوز أن تكون الحربة نفذت من المكان المذكور قال في النور ولم يقتل بيده الشريفة ﷺ قط أحد إلا أبي بن خلف لا قبل ولا بعد ثم مات عدو الله وهم قافلون به إلى مكة أي بسرف بفتح السين المهملة وكسر الراء وهو المناسب لوصفه لأنه مسرف وقيل ببطن رابغ فعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال اني لأسير ببطن رابغ بعد هدو من الليل إذا نار تأجج لي فهبتها واذا رجل يخرج منها في سلسلة يجتذب بها يصيح العطش وناداني يا عبد الله فلا أدري أعرف اسمي أو كما يقول الرجل لمن يجهل اسمه يا عبد الله فالتفت اليه فقال اسقني فأردت أن أفعل واذا رجل وهو الموكل بعذابه يقول لا تسقه هذا قتيل رسول الله ﷺ هذا أبي بن خلف لعنه الله رواه البيهقي ويدل لهذا ما جاء في الحديث كل من قتله نبي أو قتل بأمر نبي في زمنه يعذب من حين قتل إلى نفخ الصعقة وجاء أشد الناس عذابا من قتله نبي أي وفي رواية اشتد غضب الله على رجل قتله رسول الله ﷺ فسحقا لأصحاب السعير وفي رواية اشتد غضب الله عز وجل على رجل قتله رسول الله ﷺ في سبيل الله أي لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مأمورون باللطف والشفقة على عباد الله فما يحمل الواحد منهم على قتل شخص إلا الأمر عظيم ورسول الله ﷺ أكملهم لطفا ورفقا وسعة بعباد الله وفي شرح التقريب احترز بقوله في سبيل الله عمن يقتله حدا أو قصاصا لأن من يقتله رسول الله ﷺ في سبيل الله كان قاصدا قتله صلى الله عليه وسلم وقد اتفق ذلك لأبي بن خلف لعنه الله وقد تقدم أن ابن مرزوق رحمه الله ذكر أن ابن عمر مر ببدر فاذا رجل يعذب ويئن فناداه يا عبد الله فالتفت اليه فقال اسقني فأردت أن أفعل فقال الأسود الموكل بتعذيبه لا تفعل يا عبد الله فان هذا من المشركين الذين قتلهم رسول الله ﷺ أي أصحابه رواه الطبراني في الأوسط ولا بعد في تعدد الواقعة ثم رأيت في الخصائص الكبرى ما يقتضي التعدد فانه ذكر فيها أن ابن عمر رضي الله عنهما ذكر ذلك أي مروره ببدر للنبي ﷺ وانه صلى الله عليه وسلم قال له ذاك أبو جهل وذلك عذابه إلى يوم القيامة وقد ذكرت ذلك في الكلام على غزوة بدر ووقع ﷺ في حفرة من الحفرة التي حفرت للمسلمين أي التي حفرها أبو عامر الفاسق والد حنظلة غسيل الملائكة رضي الله عنه واسم أبي عامر عبد عمرو ومات كافرا بأرض الروم فر اليها لما فتحت مكة ليقعوا فيها وهم لا يعلمون فأغمي عليه ﷺ وجحشت أي خدشت ركبتاه فأخذ علي كرم الله وجهه بيده ورفعه طلحة ابن عبيد الله حتى استوى قائما وكان سبب وقوعه ﷺ أن ابن قمئة لعنه الله علاه صلى الله عليه وسلم بالسيف فلم يؤثر فيه السيف إلا أن ثقل السيف أثر في عاتقه الشريف فشكا صلى الله عليه وسلم منه شهرا أو أكثر وقذف صلى الله عليه وسلم بالحجارة حتى وقع لشقه ورماه صلى الله

فلان فقال ﷺ أما انه من أهل النار فقال رجل من القوم أنا صاحبه فخرج معه كلما وقف وقف معه واذا أسرع أسرع
معه فجرح الرجل جرحا شديداً فاستعجل الموت فوضع سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه فخرج
الرجل إلى رسول الله ﷺ فقال أشهد أنك رسول الله قال وماذاك قال الرجل الذى ذكرت آنفا أنه من أهل النار فأعظم الناس
ذلك فقلت أنا لكم به  فخرجت فى طلبه ثم جرح جرحا شديداً فاستعجل الموت فوضع سيفه بالأرض وذبابه بين

ثدييه ثم تحامل عليه
فقتل نفسه فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم عند
ذلك ان الرجل ليعمل
بعمل أهل الجنة فيما
يبدو للناس وهو من
أهل النار وان الرجل ليعمل
بعمل أهل النار فيما
يبدو للناس وهو من أهل
الجنة تدركه الشقاوة
والسعادة عند خروج
نفسه فيختم له بها وانما
الأعمال بالخواتيم وقوله
صلى الله عليه وسلم فى
هذا الرجل إنه من أهل
النار يحتمل أن يكون
ذلك لنفاق فى قلبه أطلع
الله نبيه صلى الله عليه
وسلم عليه أولانه يرتد بعد
ذلك ويستحل قتل نفسه
قال العلماء هذا الرجل
أعلمنا النبى صلى الله عليه
وسلم أنه نفذ عليه الوعيد
بالنار ولا يلزم منه أن كل
من قتل نفسه يقضى
عليه بالنار بل يحتمل
أن هذا الرجل حين
أصابته الجراحة ارتاب
وشك فى الايمان أو استحل
قتل نفسه فمات كافرا

ويؤيده قوله ﷺ لايدخل الجنة الانفس مسلمة وجاء فى رواية ان الذى نادى بلال وفى أخرى ويمكن
عمر بن الخطاب وفى أخرى عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهم قال الحافظ ابن حجر يجمع بأنهم نادوا جميعا فى جهات مختلفة ثم انه
وقع اختلاف بين رواية أبى هريرة وسهل بن سعد رضى الله عنهما فى بعض الألفاظ فقيل إن القصة متعددة فى موطنين لرجلين
مختلفين وقيل إنها قصة واحدة والاختلاف من تصرف الرواة وسيأتى أن أبا هريرة رضى الله عنه لم يحضر قتال خيبر انما جاء عند

---

عليه وسلم عتبة بن أبى وقاص أخو سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه بحجر فكسر رباعيته اليمنى
السفلى وشق شفته السفلى أى ودعا عليه صلى الله عليه وسلم بقوله اللهم لايحول عليه الحول حتى يموت
كافرا وقد استجاب الله تعالى ذلك وقتله فى ذلك اليوم حاطب بن أبى بلتعة رضى الله عنه قال حاطب لما
رأيت مافعل عتبة برسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لرسول الله ﷺ أين توجه عتبة فأشار
النبى صلى الله عليه وسلم إلى حيث توجه فمضيت حتى ظفرت به فضربته بالسيف فطرحت رأسه
فنزلت وأخذت فرسه وسيفه وجئت به إلى رسول الله ﷺ فقال لى رضى الله عنك رضى الله عنك
مرتين أى ولايخالف هذا قول بعضهم فمات بعد بقليل لكن يخالف القول بأنه مات بعد ان أسلم
بعد الفتح وأنه أثبت ولم يولد لعتبة ولد او ولد ولد إلا وهو أهتم أى ساقط مقدم أسنانه أى التى هى
الرباعيات أبخر يعرف ذلك فى عقبه وكسرت البيضة أى الخودة على رأسه ﷺ وشج وجهه
الشريف شجه عبد الله بن شهاب الزهرى رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وهو جد الامام الزهرى
رحمه الله ويجوز أن يكون من قبل أمه أى ويقال له عبد الله الأصغر أى ولعل هذا حصل منه قبل أو
بعد قوله دلونى على محمد فلا نجوت ان نجا ورسول الله ﷺ واقف إلى جنبه مامعه أحد ثم
جاوزه فعاتبه فى ذلك صفوان فقال والله مارأيته أحلف بالله انه منا ممنوع وجد الامام الزهرى من
قبل أبيه يقال له عبد الله بن شهاب ويقال له عبد الله الأكبر رضى الله عنه كان من مهاجرى
الحبشة توفى بمكة قبل الهجرة وأشار صاحب الهمزية رحمه الله الى أن هذه الشجة لم تشنه
صلى الله عليه وسلم بل زادته جمالا بقوله

مظهر شجة الجبين على البر ء كما أظهر الهلال البراء
ستر الحسن منه بالحسن فاعجب لجمال له الجمال وقاء
فهو كالزهر لاح من سجف الاكـ ـمام والعود شق عنه اللحاء

أى مظهر وجهه الشريف أثر جرح جبينه أى جبهته مع برئها ظهورا كظهور الهلال ليلة استهلاله
ستر ذلك الوجه الحسن الأصلى بالحسن العارض بسبب الجرح فاعجب لجمال أصلى له الجمال العارض
وقاية وساتر فهو أى ماظهر بذلك الجرح كالزهر إذا ظهر من ستره وكالعود الذى يتطيب به إذا أزيل
عنه قشره وقال حسان رضى الله عنه فى وصف جبينه الشريف صلى الله عليه وسلم

متى يبد فى الداجى البهيم جبينه يلح مثل مصباح الدجى المتوقد

وجرحت وجنتاه ﷺ بسبب دخول حلقتين من المغفر فى وجنتيه بضربة من ابن قمئة لعنه
الله وقال له لما ضربه خذها وأنا ابن قمئة فقال له رسول الله ﷺ أقمأك الله عز وجل أى صغرك
وأذلك وقد استجاب الله فيه دعوة نبيه ﷺ فانه بعد الوقعة خرج إلى غنمه فوافاها على
ذروة الجبل أى أعلى الجبل فأخذ يعترضها فشد عليه كبشها فنطحه نطحة أرداه من شاهق الجبل
فتقطع وفى رواية فسلط الله عليه تيس جبل فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة () أقول

ثم غنائمها فلعله سمع القصة من بعض الصحابة رضى الله عنهم ولم يزل القتال بين المسلمين واليهود والمسلمون يفتحون حصونهم حصنا بعد حصن حتى أتموها وقتل من اليهود ثلاثة وتسعون واستشهد من المسلمين خمسة عشر رجلا وقيل أربع وثلاثون وفتح الله حصون اليهود حصنا حصنا وهى النطاة بوزن حصاة وحصن الصعب وحصن ناعم وحصن قلعة الزبير بن العوام نسب اليه لكونه صار فى سهمه بعد وكان فى قلة جبل والشق والقموص وحصن البرى وحصن أبى والوطيح والسلالم وهو حصن ابن أبى الحقيق وأخذ صلى الله عليه وسلم كنز آل أبى الحقيق الذى كان فى مسك أى جلد حمار فلما كثر جعلوه فى مسك ثور فلما كثر جعلوه فى مسك جمل وكانوا قد غيبوه فى خربة فدل الله رسوله صلى الله عليه وسلم عليه فاخبر بموضعه وكان من مال بنى النضير الذى حمله حيى ابن أخطب لما أجلى عن المدينة روى البيهقى عن ابن عمر رضى الله عنهما ان أهل خيبر شرطوا له صلى الله عليه وسلم أن لا يكتموه شيئا فان فعلوا فلا ذمة لهم فاتى بكنانة والربيع فقال لهما مافعل مال حيى الذى جاء به من بنى النضير قالا أذهبته الحروب والنفقات فقال العهد قريب والمال أكثر وروى البيهقى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم أتى بكنانة وأخيه الربيع وابن عمهما فقال أين آنيتكم التى كنتم تعيرونها أهل مكة قالوا هربنا فلم نزل تضعنا أرض وترفعنا أخرى فذهب منا كل شىء فقال ان كتمتمانى شيئا فاطلعت عليه استحللت به دماءكما وذراريكما فقالا نعم فدعا رجلا من الانصار فقال اذهب الى نخل كذا وكذا فانظر نخلة مرفوعة فائتنى بما فيها فجاءه بالآنية والأموال فقومت بعشرة آلاف دينار فضرب عنقهما وسبى أهليهما بالنكث الذى نكثاه وفى رواية أن كنانة جحد أن يكون يعلم مكان الكنز فدفعه صلى الله عليه وسلم الى الزبير فمسه بعذاب فقال رأيت حيا يطوف فى خربة ههنا ففتشوها فوجدوا المسك فقتل ابن أبى الحقيق وأصاب المسلمين مجاعة

---

ويمكن الجمع بانه لما نطحه ذلك الكبش ووقع من شاهق الجبل الى أسفل سلط الله عليه عند ذلك تيس الجبل فنطحه حتى قطعه قطعا زيادة فى نكاله وخزيه ووباله لعنة الله عليه والله أعلم * ولما جرح وجه رسول الله ﷺ صار الدم يسيل على وجهه الشريف وجعل صلى الله عليه وسلم يمسح الدم وفى لفظ ينشف دمه وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم الى ربهم أى وفى رواية اشتد غضب الله على قوم أدموا وجه رسول الله ﷺ فانزل الله تعالى ليس لك من الأمر شىء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون أى وفى رواية صار ﷺ يقول اللهم العن فلانا وفلانا أى اللهم العن أباسفيان اللهم العن الحرث بن هشام اللهم العن سهيل بن عمرو اللهم العن صفوان بن أمية فانزل الله تعالى الآية فان قيل كيف هذا مع قوله تعالى والله يعصمك من الناس أجيب بان هذه الآية نزلت بعد أحد وعلى تسليم انها نزلت قبله فالمراد عصمته من القتل قال الشيخ محيى الدين العربى رحمه الله لا يخفى ان اجر كل نبى فى التبليغ يكون على قدر ما ناله من المشقة الحاصلة له من المخالفين له على قدر ما يقاسيه منهم وله أجر الهداية لمن أطاعه ولا أحدا كثر أجرا من نبينا ﷺ فانه لم يتفق لنبى من الأنبياء ما اتفق له ﷺ فى كثير من طائعى أمة أجابته ولا فى كثير عصاة أمة دعوته الخارجين عن الاجابة وامتص مالك بن سنان الخدرى وهو والد أبى سعيد الخدرى رضى الله عنهما دم رسول الله ﷺ ثم ازدرده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مس دمى دمه لم تصبه النار وفى رواية انه ﷺ قال من أراد ان ينظر الى رجل من أهل الجنة فلينظر الى هذا وأشار اليه فاستشهد فى هذه الغزاة وفى لفظ من سره ان ينظر الى من لا تمسه النار فلينظر الى مالك بن سنان رضى الله عنه ولم ينقل انه ﷺ أمر هذا الذى امتص دمه بغسل فمه ولا انه غسل فمه من ذلك كما لم ينقل انه أمر حاضنته أم أيمن بركة الحبشية رضى الله عنها بغسل فمها ولا هى غسلته من ذلك لما شربت بوله ﷺ فعنها رضى الله عنها انها قالت قام رسول الله ﷺ من الليل الى فخارة أى تحت سريره فبال فيها فقمت وأنا عطشى فشربت مافى الفخارة وأنا لا أشعر فلما أصبح النبى ﷺ قال يا أم أيمن قومى الى تلك الفخارة فاهريقى مافيها فقالت والله لقد شربت مافيها فضحك ﷺ حتى بدت نواجذه ثم قال لا يجفر بالجيم والفاء بطنك بعده أبدا وفى لفظ لا تلج النار بطنك وفى أخرى لا تشتكى بطنك أى ويجوز انه صلى الله عليه وسلم قال هذه الالفاظ الثلاثة وكل روى بحسب ماسمع منها فتكون هذه الامور الثلاثة تحصل لأم أيمن رضى الله عنها وفى رواية بدل فخارة اناء من عيدان بالفتح الطوال من النخل فان صحا حملا على التعدد لام أيمن رضى الله عنها ولا مانع وقد شرب بوله ﷺ أيضا امرأة يقال لها بركة بنت ثعلبة بن عمرو كانت تخدم أم حبيبة رضى الله عنها جاءت معها من الحبشة أى ومن ثم قيل لها بركة الحبشية وفى كلام ابن الجوزى بركة بنت يسار مولاة أبى سفيان الحبشية خادمة أم حبيبة زوج النبى ﷺ هذا كلامه ولا مخالفة لانه يجوز ان يكون يسار لقبه ثعلبة وكانت معها فى الحبشة ثم

قبل فتح الحصون وأرسلت أسلم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسماء بن حارثة وأمرته أن يقول لرسول الله ﷺ ان اسلم يقرؤنك السلام ويقولون اجهدنا الجوع فلامهم رجل وقال من بين العرب تصنعون هذا فقال هند بن حارثة اخو أسماء والله انى لأرجوان يكون البعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مفتاح الخير فجاءه أسماء وبلغه ماقالت أسلم فدعالهم أى قال اللهم انك قد عرفت حالهم وان ليست بهم قوة وان ليس بيدى شىء أعطيهم اياه وقال اللهم افتح اكثر الحصون طعاما وودكا



ودفع اللواء للحباب بن المنذر وندب الناس ففتح الله حصن الصعب قبل ماغابت الشمس من ذلك اليوم بعد ان أقاموا على محاصرته يومين ومابخيبر أكثر طعاما منه من شعير وتمر وودك أى سمن وزيت وشحم وماشية ومتاع وكان بهذا الحصن خمسمائة مقاتل وقبل فتحه خرج منه رجل يقال له يوشع مبارزا فخرج له الحباب فقتله الحباب فخرج آخر يقال له الديال فبرزله عمارة بن عقبة الغفارى فقتله وقال خذها وأنا الغلام الغفارى فقال الناس حبط جهاده فقال صلى الله عليه وسلم لما بلغه ذلك يؤجر ويحمد وحملت يهود حملة منكرة فانكشف المسلمون حتى انتهوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف قد نزل عن فرسه فثبت الحباب بن المنذر رضى الله عنه فحض صلى الله عليه وسلم المسلمين على الجهاد فاقبلوا وزحف

قدمت معها مكة كانت تكنى بام يوسف فقال لها ﷺ حين علم انها شربت ذلك صحة ياام يوسف فما مرضت قط حتى كان مرضها الذى ماتت فيه وفى رواية انه ﷺ قال لها لقد احتظرت من النار بحظار وشرب دمه ﷺ أيضا أبو طيبة الحجام وعلى كرم الله وجهه وكذا عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما فعن عبد الله بن الزبير قال أتيت النبى ﷺ وهو يحتجم فلما فرغ قال ياعبد الله اذهب بهذا الدم فاهريقه حتى لايراك أحد قال فشربته فلما رجعت قال ياعبد الله ماصنعت قلت جعلته فى أخفى مكان علمت انه يخفى على الناس قال لعلك شربته قلت نعم قال ويل للناس منك وويل لك من الناس وكان بسبب ذلك على غاية من الشجاعة ولما وفد أخوه شقيقه عروة بن الزبير أحد الفقهاء السبعة من المدينة على عبد الملك بن مروان قال له يوما أريد أن تعطينى سيف أخى عبد الله فقال له عبد الملك هو بين السيوف ولا أميزه فقال له عروة اذا حضرت السيوف ميزته أنا فامر عبد الملك باحضارها فلما أحضرت أخذ منها سيفا مفلل الحد وقال هذا سيف أخى فقال له عبد الملك كنت تعرفه قبل الآن قال لا فقال كيف عرفته قال بقول النابغة الذبيانى

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ✽ بهن فلول من قراع الكتائب

وأخذ من ذلك بعض أئمتنا طهارة فضلاته ﷺ حيث لم يأمره بغسل فمه ولم يغسل هو فمه وان شربه جائز حيث أقر على شربه وما أورده فى الاستيعاب ان رجلا من الصحابة اسمه سالم حجمه ﷺ ثم ازدرد دمه فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أما علمت ان الدم كله حرام أى شربه غير صحيح فقد قال بعضهم هو حديث لايعرف له اسناد فلا يعارض ماقبله على انه يمكن ان يكون ذلك سابقا على اقراره على ذلك والله اعلم ونزع ابو عبيدة عامر بن عبد الله الجراح رضى الله عنه احدى الحلقتين من وجنة رسول الله ﷺ فسقطت ثنية أبى عبيدة ثم نزع الاخرى فسقطت ثنيته الاخرى وقيل الذى نزعهما عقبة بن وهب بن كلدة وقيل طلحة بن عبد الله ولعل الثلاثة عالجوا اخراجها وكان أشدهم لذلك أبو عبيدة رضى الله عنه قال بعضهم ولما سقط مقدم اسنان أبى عبيدة صار أهتم ولم يرقط اهتم أحسن من أبى عبيدة لان ذلك الهتم حسن فاه وكان أول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة وقول القائل قتل رسول الله ﷺ كعب بن مالك قال عرفت عينيه تزهران أى تضيآن وتتوقدان من تحت المغفر وهو مايجعل على الرأس من الزرد فناديت بأعلى صوتى يامعشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله ﷺ فاشار الى ان انصت وعن بعض الصحابة قال لما صرخ الشيطان قتل محمد لم نشك فى انه حق ومازلنا كذلك حتى طلع رسول الله ﷺ بين السعدين فعرفناه بتكفيه اذا مشى ففرحنا حتى كأنه لم يصبنا ما أصابنا فلما عرف المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم نهضوا به ونهض معهم نحو الشعب فيهم أبو بكر وعمر وعلى وطلحة والزبير والحرث بن الصمة رضى الله عنهم (وفى خصائص العشرة) للزمخشرى وثبت يعنى الزبير رضى الله عنه مع رسول الله ﷺ يوم أحد وبايعه على الموت هذا كلامه فليتأمل وقول بعض الرافضة انهزم

بهم الحباب فانهزمت يهود وأغلقوا الحصن عليهم ثم ان المسلمين اقتحموا الحصن يقتلون ويأسرون الناس فوجدوا فى ذلك الحصن من الشعير والتمر والسمن وغيرها شيئا كثيرا ونادى منادى رسول الله ﷺ كلوا وأعلفوا ولاتحملوا أى لاتخرجوا به الى بلادكم وعن عبد الله بن مغفل رضى الله عنه قال أصبت من فىء خيبر أى غنيمتها جرابا فاحتملته على عنقى أريد رحلى فلقينى صاحب المغانم الذى جعل عليها وهو أبو اليسر كعب بن زائد الانصارى رضى الله عنه فاخذ بناصيتى

وقال هلم بهذا حتى نقسمه بين المسلمين فقلت لا والله لا أعطيك فجعل يجاذبني الجراب فرآنا رسول الله ﷺ ونحن نصنع ذلك فتبسم ضاحكا ثم قال لصاحب الغنائم لا أبالك خل بينه و بينه فارسلني فانطلقت به إلى رحلي وأصحابي فأكلناه وكل الحصون فتحت عنوة الاحصن الوطيح وحصن سلالم فانهما مكث المسلمون على حصارهما أربعة عشر يوما فلم يخرج أحد منهم فهم صلى الله عليه وسلم أن يحمل عليهم وأن ينصب عليهم المنجنيق فلما أيقنوا بالهلكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم



الصلح على حقن دماء المقاتلة وترك الذرية لهم ويخرجون من خيبر وأرضها بذراريهم وأن لا يصحب أحد منهم إلا ثوب واحد فصالحهم على ذلك وعلى أن ذمة الله تعالى ورسوله بريئة منهم ان كتموه شيئا فتركوا مالهم من أرض ومال وصفراء و بيضاء والكراع والحلقة والبز الاثوبا واحدا فمن قال ان خيبر فتحت عنوة حمل على غير هذين الحصنين ومن قال صلحا حمل على هذين ووجدوا فى الحصنين المذكورين مائة درع وأربعمائة سيف وألف رمح وخمسمائة قوس عربية بجعابها ووجدوا فى أثناء الغنيمة صحائف متعددة من التوراة فجاءت يهود تطلبها فامر صلى الله عليه وسلم بدفعها اليهم ثم جمع السبي فجاء دحية بن خليفة الكلبي رضى الله عنه فقال يارسول الله أعطني جارية فقال له صلى الله عليه وسلم اذهب فخذ جارية فأخذ صفية بنت حيي وكانت امرأة حسناء فتنافس الناس فيها فجاء رجل إلى النبي ﷺ قال خذ جارية من السبي غيرها فأخذ أخت كنانة بن الربيع بن أبى الحقيق زوج صفية وكانت صفية بنت حيي من سبط هرون أخي موسى عليهما السلام فاصطفاها صلى الله عليه وسلم لنفسه ثم أعتقها وتزوج بها وفى المواهب وانما أخذ ﷺ صفية لأنها بنت ملك من ملوكهم قال الحافظ ابن حجر ولد صفية مائة نبي ومائة ملك ثم صيرها إلى

الناس كلهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا على بن أبي طالب كرم الله وجهه ممنوع وقوله وتعجب الملائكة من شأن على وقول جبريل عليه السلام وهو يعرج إلى السماء لاسيف إلا ذو الفقار ولافتى إلا على وقوله وقتل على كرم الله وجهه أكثر المشركين فى هذه الغزوة فكان الفتح فيها على يديه وقال أصابتني يوم أحد ست عشرة ضربة سقطت الى الأرض فى اربع منهن فجاءني رجل حسن الوجه حسن اللحية طيب الريح وأخذ بضبعي فأقامني ثم قال أقبل عليهم فقاتل فى طاعة الله وطاعة رسول الله فانهما عنك راضيان ولما أخبرت النبي ﷺ فقال ياعلى أما تعرف الرجل فقلت لا ولكن شبهته بدحية الكلبي فقال صلى الله عليه وسلم ياعلى أقر الله عينك فانه جبريل عليه السلام جميعه رده الامام أبو العباس بن تيمية بانه كذب باتفاق الناس و بين ذلك بما يطول قال وأقبل عثمان بن عبد الله بن المغيرة على فرس أبلق وعليه لامة كاملة قاصدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوجه للشعب وهو يقول لانجوت ان نجا فوقف رسول الله ﷺ فعثر بعثمان فرسه فى بعض تلك الحفر ومشى اليه الحرث بن الصمة رضى الله عنه فاصطدما ساعة بسيفيهما ثم ضربه الحرث على رجله فبرك وذفف عليه واخذ درعه ومغفره فقال رسول الله ﷺ الحمد لله الذى أحانه أى أهلكه وأقبل عبيد الله بن جابر العامري يعدو فضرب الحرث على عاتقه فجرحه فاحتمله أصحابه ووثب أبو دجانة رضى الله عنه إلى عبيد الله فذبحه بالسيف ولحق برسول الله ﷺ انتهى ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فم الشعب خرج على بن أبى طالب كرم الله وجهه حتى ملأ درقته ماء وغسل به ﷺ عن وجهه الشريف الدم وهو يقول اشتد غضب الله على من أدمى وجه نبيه أى والسياق يقتضى أنه صلى الله عليه و سلم قال ذلك أيضا بعد قوله كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم ونزول تلك الآية فان ذلك كان قبل غسل وجهه الشريف قال ثم أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعلو الصخرة التى فى الشعب فلما ذهب لينهض لم يستطع أى لانه صلى الله عليه وسلم ضعف لكثرة ما خرج من دم رأسه الشريف ووجهه مع كونه صلى الله عليه وسلم عليه درعان فجلس تحته طلحة بن عبيد الله فنهض به حتى استوى عليها فقال رسول الله ﷺ أوجب طلحة أى فعل شيئا استوجب به الجنة حين صنع برسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع انتهى أى وقيل ان طلحة رضى الله عنه كان فى مشيه اختلاف لعرج كان به فلما حمل النبي ﷺ تكلف استقامة المشى لئلا يشق عليه صلى الله عليه وسلم فذهب عرجه ولم يعد اليه وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم انطلق حتى أتى أصحاب الصخرة أى الجماعة الذين من الصحابة الذين علوا الصخرة أى التى فى الشعب فلما رأوه وضع رجل سهما فى قوسه وأراد ان يرميه فقال رسول الله ﷺ انا رسول الله ففرحوا بذلك وفرح رسول صلى الله عليه وسلم الذى وجد فى اصحابه من يمنع أى ولعل هذا الذى اراد رميه ﷺ لم يعرفه ولا من معه من الصحابة لارتفاع الصخرة قال وعطش صلى الله عليه وسلم عطشا شديدا أى ولم يشرب من الماء الذى جاء به على كرم الله وجهه فى

درقته لانه ﷺ وجد له ريحا فعافه أى كرهه فخرج محمد بن مسلمة رضى الله عنه يطلب له ماء فلم يجد فذهب إلى مياه فاتى منها بماء عذب فشرب رسول الله ﷺ ودعا له بخير وفى بعض الروايات ان نساء المدينة خرجن وفيهن فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم فلما لقيت رسول الله ﷺ اعتنقته وجعلت تغسل جراحاته وعلى كرم الله وجهه يسكب الماء فتزايد الدم ولما رأت ذلك أخذت شيئا من حصير أى معمول من البردى فاحرقته بالنار حتى صار رمادا فأخذت ذلك الرماد وكمدته حتى لصق بالجرح فاستمسك الدم انتهى أى لأن البردى له فعل قوى فى حبس الدم لأن فيه تجفيفا قويا وفى حديث غريب انه صلى الله عليه وسلم داوى جرحه بعظم بال أى محرق وقد يقال يجوز أن يكون الراوى ظن ذلك البردى المحرق عظما محرقا بناء على صحة تلك الرواية وعن وضع هذا الرماد الحار عبر بعضهم بانه ﷺ اكتوى فى وجهه وجعله معارضا للحديث الصحيح فى وصف السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة من غير حساب بانهم لا يكتوون وعارضه أيضا بانه صلى الله عليه وسلم كوى سعد بن معاذ مرتين ليرقا أى ينقطع الدم من جرحه وكوى أسعد بن زرارة رضى الله عنه لمرض الذبحة ففى كلام بعضهم كان موت أسعد بن زرارة رضى الله عنه بمرض يقال له الذبحة فكواه النبي ﷺ بيده وقال بئس الميتة لليهود يقولون أفلا دفع عن صاحبه وما أملك له ولا لنفسي شيئا وأجيب بان هذا الحديث محمول على من اكتوى خوفا من حدوث الداء أو لانهم كانوا يعظمون امره ويرون انه يقطع الداء واذا لم يكو العضو عطب وبطل وهو محمل قوله صلى الله عليه وسلم لم يتوكل من اكتوى او على من يفعله مع قيام غيره من الأدوية مقامه ومحمل ما فى الخصائص الكبرى ان الملائكة كانت تصافح عمران بن حصين رضى الله عنه وتسلم عليه من جانب بيته ثلاثين سنة حتى اكتوى أى لبواسير كانت به فكان يصبر على ألمها فلما ترك الكى عادت الملائكة الى سلامها عليه لأن ذلك قادح فى التوكل وما فى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الشفاء فى ثلاثة شربة عسل وشرطة محجم وكية نار وانا أنهى أمتى عن الكى وفى رواية وما أحب ان اكتوى اى فالنهى للتنزيه لا للتحريم والا لم يفعله عمران مع علمه بالنهى قال فى الهدى واراد صلى الله عليه وسلم بقوله وانا أنهى إلى آخره أى انه لا يؤتى بالكى الا إذا لم ينجع الدواء فلا يأتى به أولا ومن ثم أخره قيل والفصد داخل فى شرطة المحجم والحجامة فى البلاد الحارة أنجع من الفصد هذا كلامه وبينا رسول الله ﷺ فى الشعب مع أولئك النفر من أصحابه اذ علت طائفة من قريش الجبل معهم خالد بن الوليد فقال رسول الله ﷺ اللهم انهم لا ينبغى لهم أن يعلونا اللهم لا قوة لنا إلا بك فقاتلهم عمر بن الخطاب وجماعة من المهاجرين حتى أهبطوا من الجبل أى ونزل قوله تعالى ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون أى لا تضعفوا عن الحرب ولا تحزنوا على ما فاتكم من الظفر بالكفار ولعل هذا كان قبل أن يعلو صلى الله عليه وسلم الصخرة كما تقدم أو لعل الجبل كان أعلى من تلك الصخرة قال وفى بعض الروايات انه صلى الله عليه وسلم قال لسعد اردد هم قال كيف أرددهم وحدى فقال

---

نبيه صلى الله عليه وسلم وليس ممن توهب لدحية لكثرة من فى الصحابة مثل دحية وفوقه وقلة من كان فى السبي مثل صفية فى نفاستها نسبا وجمالا فلو خصه بها لأمكن بغير خاطر بعضهم فكان من المصلحة العامة ارتجاعها منه واختصاصه صلى الله عليه وسلم بها فان فى ذلك رضا الجميع وكانت صفية قبل ذلك رأت أن القمر وقع فى حجرها فذكرت ذلك لأبيها فلطم وجهها وقال انك لتمدين عنقك الى أن تكونى عند ملك العرب فلم يزل الأثر فى وجهها حتى أتى بها صلى الله عليه وسلم فسألها عنه فأخبرته

وأخرج ابن أبى عاصم عن أبى برزة رضى الله عنه قال لما نزل صلى الله عليه وسلم خيبر كانت صفية عروسا فرأت فى المنام ان الشمس نزلت حتى وقعت فى صدرها فقصت ذلك على زوجها فقال ما تمنين الا هذا الملك الذى نزل بنا ولا تنافى لامكان رؤيتها القمر أولا ثم الشمس ثانيا فاخبرت بالمنام الأول أباها وبالثانى زوجها (وفى هذه الغزوة) سمت اليهودية الشاة للنبي صلى الله عليه وسلم وأهدتها اليه واسمها زينب بنت الحرث امرأة سلام بن مشكم روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال لما فتحت خيبر واطمأن صلى الله عليه وسلم بعد فتحها أهديت للنبي صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم فلاك منها مضغة ثم لفظها حين أخبره العظم انها مسمومة وازدرد بشر بن البراء لقمة فقال صلى الله عليه وسلم لأصحابه ارفعوا أيديكم ثم قال اجمعوا لى من كان ههنا من اليهود فجمعوا له فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انى سائلكم عن شىء فهل أنتم صادقونى عنه فقالوا نعم يا أبا القاسم فقال من أبوكم فقالوا أبونا فلان أى وانتسبوا إلى غير أبيهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبتم بل أبوكم فلان قالوا صدقت وبررت ثم قال هل أنتم صادقونى عن شىء ان سألتكم عنه قالوا نعم يا أبا القاسم وان كذبناك عرفت كذبنا كما عرفته فى أبينا فقال لهم ﷺ من أهل النار قالوا نكون فيها زمانا يسيرا ثم تخلفوننا فيها فقال لهم رسول

له

لما ردهم قال سعد رضى الله عنه فأخذت سهما من كنانتى فرميت به رجلا منهم فقتلته ثم أخذت سهما فاذا هو سهمى الذى رميت به فرميت به آخر فقتلته ثم أخذت سهما آخر فاذا هو سهمى الذى رميت به فرميت به آخر فقتلته ثم أخذت سهما فاذا هو سهمى الذى رميت به فرميت به آخر فقتلته فهبطوا من مكانهم فقلت هذا سهم مبارك فكان عندى فى كنانتى لا يفارق كنانتى وكان بعده عند بنيه انتهى أى وحينئذ يحتاج إلى الجمع بين هذا أى كون سعد ردهم وحده بهذا السهم وماقبله الدال على ان الراد لهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه وجماعة من المهاجرين و روى عنه انه قال لقد رأيتنى أرمى بالسهم يوم أحد فيرده على رجل أبيض حسن الوجه لا أعرفه حتى كان بعد أى حتى بعد انقضاء الحرب لم أعرفه فظننت انه ملك أى وفى رواية عنه انه قال رميت بسهم فرده على رسول صلى الله عليه وسلم وسهمى أعرفه حتى واليت بين ثمانية أو تسعة كل ذلك يرده على رسول الله ﷺ فقلت هذا سهم دم أى يصيب فجعلته فى كنانتى لا يفارقنى أقول ولا منافاة بين هذا و بين قوله ثم أخذت سهما لان قوله المذكور لا ينافى أن يكون أخذه بمناولته ﷺ لا من كنانته كما قد يتبادر ولا بين قوله فيرده على رجل أبيض حسن الوجه لا أعرفه لانه يجوز أن يكون ذلك الرجل كان يرد السهام التى كان يرمى بها حتى لا تفنى سهامه الا هذا السهم فانه لم يرده له بل يناوله له رسول الله صلى الله عليه وسلم و يرده عليه ولا منافاة بين قوله حتى واليت بين ثمانية أو تسعة و بين أخباره بقوله ثم أخذت سهما إلى أن عد خمس مرات لانه يجوز أن تكون تلك الخمسة قتل فيها وفيما زاد لم يقتل بل جرح فليتأمل والله أعلم وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهر ذلك اليوم وهو جالس من الجراحة التى أصابته وصلى المسلمون خلفه قعودا أى ولعل ذلك كان بعد انصراف عدوهم وانما صلى المسلمون خلفه صلى الله عليه وسلم قعودا موافقة له ﷺ وقد نسخ ذلك أو ان من صلى قاعدا انما هو لما أصابهم من الجراح وكانوا هم الأغلب فقيل صلى المسلمون خلفه قعودا فقد جاء انه وجد بطلحة رضى الله عنه نيف وسبعون جراحة من طعنة وضربة و رمية وقطعت أصبعه وفى رواية أنامله وعند ذلك قال حسن فقال له ﷺ لو قلت بسم الله لرفعتك الملائكة عليهم السلام والناس ينظرون اليك حتى تلج بك فى جو السماء زاد فى لفظ ولرأيت بناءك الذى بنى الله لك فى الجنة وأنت فى الدنيا وفى البخارى عن قيس بن أبى حازم قال رأيت يد طلحة بن عبيد الله شلاء وقى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد أى من سهم وقيل من حربة ونزف به الدم حتى غشى عليه ونضح أبو بكر رضى الله عنه الماء فى وجهه حتى أفاق فقال مافعل رسول الله ﷺ قال له أبو بكر هو بخير وهو أرسلنى إليك فقال الحمد لله كل مصيبة بعده جلل أى قليلة وكان يقال لطلحة رضى الله عنه الفياض سماه بذلك رسول الله ﷺ فى غزوة العشيرة كما تقدم وسماه طلحة الجود فى أحد لانه أنفق فى أحد سبعمائة ألف درهم وسماه فى أحد أيضا طلحة الخير وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه أصيب فوه فهتم وجرح عشرين جراحة قال وفى رواية عشرين جراحة فأكثر وجرح فى رجله فكان يعرج منها وأصاب كعب

الله صلى الله عليه وسلم اخسؤا فيها والله لن نخلفكم فيها أبدا ثم قال لهم هل أنتم صادقونى عن الشىء ان سألتكم عنه فقالوا نعم قال هل جعلتم هذه الشاة سما فقالوا نعم فقال ماحملكم على ذلك قالوا أردنا ان كنت كاذبا ان نستريح منك وان كنت نبيا لم يضرك وفى رواية أرسل صلى الله عليه وسلم الى اليهودية فقال هل سممت هذه الشاة فقالت من أخبرك قال أخبرتنى هذه فى يدى مشيرا للذراع قالت نعم قال لها ماحملك على ذلك قالت ان كنت نبيا يطلعك الله وان كنت كاذبا فاريح الناس منك وقد استبان لى أنك صادق وأنا أشهدك ومن حضرك أنى على دينك وأن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله فعفا عنها صلى الله عليه وسلم ولم يعاقبها وتوفى من أصحابه الذين أكلوا معه بشر بن البراء رضى الله عنه واحتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم على كاهله من أجل الذى أكل من الشاة وفى رواية ان اليهودية قبل أن تضع السم جعلت تسأل أى أجزاء الشاة أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لها الذراع فعمدت إلى شاة لها فذبحتها ثم عمدت إلى سم يقتل من ساعته بعد ان شاورت يهود على سموم متعددة فعينوا لها هذا السم فسمت الشاة وأكثرت فى الذراعين والكتف وجاء ان بشر ابن البراء مات بعد حول من تلك الأكلة بسبب ذلك السم فدفع صلى الله عليه وسلم تلك اليهودية لأوليائه فقتلوها فيه وبهذا يجمع بين الروايات المختلفة فان فى بعضها انه صلى الله عليه وسلم لم يعاقب تلك اليهودية وفى بعضها انه قتلها فيحمل على قتلها قصاصا فى بشر بن البراء وما كان صلى الله عليه وسلم ينتقم لنفسه بل يعفو و يصفح و بعد فتح خيبر قدم من الحبشة جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه ومن معه من المسلمين وهم ستة عشر رجلا فتلقى النبى صلى الله عليه وسلم جعفراً وقبل جبهته وعانقه وقام له وقد قام لصفوان بن أمية لما قدم عليه ولعدى بن أبى حاتم رضى الله عنهما ثم قال ﷺ ما أدرى بأيهما أفرح بفتح خيبر أم بقدوم جعفر وقال صلى الله

عليه وسلم لجعفر رضى الله عنه أشبهت خلقى وخلقى فرقص رضى الله عنه من لذة هذا الخطاب ولم ينكر عليه صلى الله عليه وسلم رقصه وجعل ذلك أصلا لرقص الصوفية عند ما يجدون من لذة المواجيد فى مجالس الذكر والسماع وقدم من الحبشة مع جعفر رضى الله عنه أبو موسى الأشعرى رضى الله عنه وجماعة من قومه ففى البخارى ومسلم عن أبى موسى رضى الله عنه قال بلغنا مخرج النبى صلى الله عليه وسلم ونحن باليمن فخرجنا مهاجرين أنا واخوان لى أنا أصغرهم أحدهما أبو بردة والآخر أبو رهم فى ثلاث أو اثنين وخمسين رجلا من قومى فركبنا سفينة فالقتنا الى النجاشى فوافقنا جعفر ابن أبى طالب فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنا هنا وأمرنا بالاقامة فاقيموا معنا فاقمنا معه حتى قدمنا جميعا فوافقنا النبى صلى الله عليه وسلم حين افتتح خيبر فاسهم لنا ولم يسهم لأحد غاب عن فتح خيبر منها شيئا الا لمن شهدها معه الا أصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه فانه قسم لهم معنا وكانت أسماء بنت عميس رضى الله عنها متزوجة بجعفر ابن أبى طالب رضى الله عنه وولدت له بالحبشة ابنه عبد الله وحين قدمت معه قال لها عمر رضى الله عنه سبقناكم بالهجرة فنحن أحق برسول الله منكم فغضبت وذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ليس باحق بى منكم له ولاصحابه هجرة واحدة ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان وعند البيهقى حديث طويل فى قصتهم وفيه انه صلى الله عليه وسلم قال انى لأعرف أصوات رفقة الاشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل وقدم على النبى صلى الله عليه وسلم فى هذه الايام أيضا أبو هريرة رضى الله عنه وطائفة من قومه قال أبو هريرة رضى الله عنه قدمنا المدينة ونحن ثمانون بيتا من دوس فصلينا الصبح خلف سباع بن عرفطة الغفارى رضى الله عنه فأخبرنا ان النبى صلى الله عليه وسلم بخيبر فزودنا سباع ثم

---

ابن مالك رضى الله عنه سبعة عشر جراحة وفى رواية عشرون جراحة قال عاصم بن عمر بن قتادة كان عندنا رجل غريب لاندرى ممن هو أى يظهر الاسلام يقال له قزمان وكان ذا بأس وقوة وكان رسول الله ﷺ اذا ذكر يقول انه لمن أهل النار فلما كان يوم أحد قاتل قزمان قتالا شديدا أى فكان أول من رمى من المسلمين بسهم وكان يرمى النبال كأنها الرماح ثم فعل بالسيف الافاعيل فكان يكت كتيبة الجمل وقتل ثمانية أو تسعة من المشركين ولما أخبر صلى الله عليه وسلم بذلك قال انه من أهل النار فاعظم الناس ذلك وأثبتته الجراحة فاحتمل إلى دار بنى ظفر لأنه كان حليفا لهم فجعل رجال من المسلمين يقولون والله لقد ابتليت اليوم ياقزمان فابشر فيقول بماذا أبشر فوالله ماقاتلت الاعلى أحساب قومى أى على شرفهم ومفاخرهم أى مناصرة لهم ولولا ذلك ماقاتلت أى فلم يقاتل لاعلاء كلمة الله ورسوله وقهر أعدائهما أى وفى رواية ان قتادة رضى الله عنه قال له هنيئا لك الشهادة ياأبا الغيداق فقال انى والله ماقاتلت ياأبا عمرو على دين ماقاتلت إلا على الحفاظ أن تسير الينا قريش حتى تطأ أرضنا فلما اشتدت عليه الجراحة أخذ سهما من كنانته فقتل به نفسه أى قطع به عروقا فى باطن الذراع يقال لها الزواهق أى وفى رواية فجعل ذباب سيفه فى صدره أى بين ثدييه كما فى رواية ثم تحامل عليه حتى قتل نفسه قال فى النور وهو الصحيح ولا مانع أن يكون فعل كلا من الأمرين أى وعند ذلك جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال أشهد انك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وماذاك قال الرجل الذى ذكرت آنفا أنه من أصحاب النار فعل كذا وكذا وقد جاء سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء أى ذلك فى سبيل الله فقال رسول الله ﷺ من يقاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله فنص عليه وحينئذ قال فيه رسول الله ﷺ ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار وان الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة ففيه اشارة إلى أن باطن الأمر قد يكون بخلاف ظاهره وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر () أى وقد أشار إلى هذا الامام السبكى رحمه الله تعالى فى تائيته بقوله

وقلت لشخص يدعى الدين انه * بنار فأتى نفسه للمنية

هذا وفى كلام ابن الجوزى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال شهدنا مع رسول الله ﷺ خيبر فقال لرجل ممن يدعى الاسلام هذا من أهل النار فلما حضرنا القتال قاتل الرجل قتالا شديدا فأصابته جراحة فقيل يارسول الله الرجل الذى قلت انه من أهل النار فانه قاتل اليوم قتالا شديدا وقد مات فقال النبى ﷺ كما قال الى النار ثم قيل انه لم يمت ولكن به جراحة شديدة فلما كان من الليل لم يصبر على الجراحة فقتل نفسه فاخبر النبى ﷺ فقال الله أكبر أشهد انى عبد الله ورسوله فامر بلالا فنادى فى الناس انه لايدخل الجنة الا نفس مسلم وان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وهذا الرجل اسمه قزمان من المنافقين هذا كلامه فليتأمل فان تعدد الشخص المسمى بهذا الاسم فيه

بعد

جئنا خيبر وهو محاصر للكتيبة فأقمنا حتى فتح الله وقدم على النبي صلى الله عليه وسلم حجاج بن علاط السلمي وأسلم وكان مكثرا من
المال فقال يارسول الله ان مالي عند امرأتي بمكة ومتفرق في تجار مكة فائذن لي أن آتي مكة لآخذ مالي قبل أن يعلموا باسلامي فلا
اقدر على أخذ شيء منه فأذن له رسول الله ﷺ فقال يارسول الله لابد لي أن أقول أي خلاف الواقع لأحتال على التوصل
لأخذ مالي قال قل قال فخرجت حتى انتهيت إلى الحرم فاذا رجال من قريش  يتشممون الأخبار وقد بلغهم أن
رسول الله صلى الله عليه
وسلم سار إلى خيبر أهل
القوة والمنعة بعد ماوقع
بينهم من المراهنة على
مائة بعير في أن النبي
صلى الله عليه وسلم يغلب
أهل خيبر أولا فقال
حويطب بن عبد العزى
وجماعة بالأول وقال
عباس بن مرداس وجماعة
بالثاني فلما جاءهم حجاج
قالوا احجاج والله عنده الخبر
ولم يكونوا علموا باسلامه
ثم قالوا ياحجاج بلغنا ان
القاطع يعنون رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد
سار الى خيبر فقلت
عندي من الخبر مايسركم
فاجتمعوا على يقولون
ياحجاج ايه فقلت لم يلق
محمد وأصحابه قوما يحسنون
القتال غير خيبر فهزم
هزيمة لم يسمع بمثلها قط
وانهم أسروا محمدا وقالوا
لانقتله حتى نبعث به إلى
مكة فنقتله بين أظهرهم
وفي لفظ يقتلونه بمن كان
أصاب من رجالهم
فصاحوا وقالوا لأهل
مكة قد جاءكم الخبر هذا
محمد انما تنتظرون ان يقدم به عليكم فيقتل بين أظهركم قال حجاج وقلت لهم أعينوني على غرمائي أريد أن أقدم فأصيب من مغانم
محمد وأصحابه قبل أن يسبقني التجار إلى ماهناك فجمعوا لي مالي على أحسن مايكون ثم فشا الخبر بمكة وأظهر المشركون الفرح
والسرور بمكة وحزن من كان بمكة من المسلمين وسمع بذلك العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه فجعل لا يستطيع أن يقوم ثم ارسل
إلى حجاج غلاما وقال قل له يقول لك العباس الله أعلى واجل من أن يكون الذي جئت به حقا فقال له حجاج اقرأ على أبي الفضل

بعد ولعل ذكر خيبر بدل أحد اشتباه من الراوي وقوله صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد هذا الدين
بالرجل الفاجر عام فيدخل فيه كل من الملك والعالم الذي جعل تسليكه وتعليمه مصيدة للدنيا وأكل
الحرام فان الله يحيي بهما قلوبا ويهدي بهما إلى سواء السبيل مع انهما فاجران وقتل الاصيرم أصيرم
بني عبد الأشهل قال بعضهم كان الاصيرم يأبى الاسلام على قومه بني عبد الأشهل فلما كان يوم خروج
النبي ﷺ إلى أحد جاء إلى المدينة فسأل عن قومه فقيل له بأحد فبدا له في الاسلام أي
رغب فيه فأسلم ثم أخذ سيفه ورمحه ولامته وركب فرسه فغدا بالغين المعجمة حتى دخل في عرض
الناس أي بضم العين المهملة وبالضاد المعجمة جانبهم وناحيتهم فقاتل حتى أثبتته الجراحة أصابت
مقاتله فبينما رجال من بني عبد الاشهل يلتمسون قتلاهم في المعركة اذا هم به فقالوا والله إن هذا
الاصيرم فسألوه ما جاء بك مناصرة لقومك أم رغبة في الاسلام فقال بل رغبة في الاسلام آمنت بالله
وبرسوله ﷺ ثم جئت وقاتلت حتى أصابني ما أصابني ثم لم يلبث أن مات في أيديهم
فذكروه لرسول الله ﷺ فقال انه لمن أهل الجنة وكان ابو هريرة يقول حدثوني عن رجل
دخل الجنة ولم يصل يعني الاصيرم ويصدق على هذا قوله عليه الصلاة والسلام وان أحدكم ليعمل
بعمل أهل النار الحديث أي وممن يدخل الجنة ولم يصل الأسود الراعي لبعض يهود خيبر الذي جاء للنبي
ﷺ وقال يارسول الله أعرض علي الاسلام فعرضه عليه فأسلم ثم تقدم ليقاتل فاصابه حجر
فقتله وما صلى صلاة قط كما يأتي في غزاة خيبر وقتل حنظلة بن أبي عامر الفاسق رضي الله عنه وابو عامر
هذا هو الذي كان يسمى في الجاهلية الراهب فسماه رسول الله ﷺ الفاسق كما تقدم
وكان هو وعبد الله بن أبي ابن سلول من رؤس أهل المدينة وعظمائها المتوجين للرياسة على أهلها
كان أبو عامر من الأوس ويقال له ابن صيفي وكان عبد الله من الخزرج فعبد الله بن أبي أظهر الاسلام
وأما أبو عامر فاصر على الكفر الى أن مات طريدا وحيدا اجابة لدعاء رسول الله ﷺ حيث
دعا عليه بذلك والى ذلك أشار الامام السبكي رحمه الله في تائيته بقوله

ومات ابن صيفي على الصفة التي * ذكرت وحيدا بعد طرد وغربة

وقد كان أبو عامر هذا خرج من المدينة مباعدا لرسول الله ﷺ ومعه خمسون غلاما وقيل
خمسة عشر من قومه من الأوس فلحق بمكة وكان يعد قريشا انه لو لقي قومه أي الاوس لم يختلف عليه منهم
رجلان فلما جاء مع قريش نادى يامعشر الأوس أنا أبو عامر قالوا والله لا أنعم الله بك عينا يافاسق أي وفي لفظ
قالوا والله لا مرحبا بك ولا أهلا يافاسق ولا مانع من صدور الأمرين منهم فلما سمع ردهم عليه قال لعنه الله
لقد أصاب قومي بعدي شر ثم قاتل قتالا شديدا وهو الذي حفر الحفائر ليقع فيها المسلمون وهم
لا يعلمون التي وقع في احداها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم أي وكان هو أول من أثار الحرب
وضرب باسهم في وجوه المسلمين واستأذن ولده حنظلة رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في
قتله فنهاه عن قتله وسبب قتل حنظلة رضي الله تعالى عنه أن حنظلة ضرب فرس أبي سفيان فوقع

السلام وقل له ليخل لى بعض بيوته لآتيه بالخبر على مايسره وا كتم عنى فاقبل الغلام فقال أبشر ياأباالفضل فوثب العباس فرحا كأن لم يكن مسه شىء وأخبره بذلك واعتق العباس ذلك الغلام وقال لله على عتق عشر رقاب فلما كان الظهر جاءه حجاج فناشده الله ان يكتم عنه ثلاثة أيام وقال انى أخشى الطلب فاذا مضت الثلاث فاظهر أمرك فوافقه العباس رضى الله عنه على ذلك فقال انى أسلمت وان لى عند امرأتى مالا ودينا  على الناس ولو علموا باسلامى لم يدفعوه إلى وانى تركت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فتح خيبر وجرت سهام الله وسهام رسوله صلى الله عليه وسلم فيها وتركته عروسا بابنة ملكهم حيى بن أخطب وقتل ابن أبى الحقيق وأخبره الخبر بتمامه فلما أمسى حجاج خرج وطالت على العباس رضى الله عنه تلك الليالى الثلاث فلما مضت الثلاث عمد العباس رضى الله عنه الى حلة فلبسها وتخلق بخلوق وأخذ بيده قضيبا ثم أقبل يخطر حتى أتى مجالس قريش وهم يقولون لا يصيبك الا خيريا أبا الفضل هذا والله التجلد لحر المصيبة قال كلا والله الذى حلفتم به لم يصبنى الا خير بحمد الله أخبرنى حجاج ان خيبر فتحها الله على يد رسوله وجرى فيها سهام الله وسهام رسوله صلى الله عليه وسلم واصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية بنت ملكهم حيى بن أخطب لنفسه وانه تركه عروسا بها وإنما قال لكم ذلك ليخلص ماله والا فهو ممن أسلم

فى فرد الله الكآبة التى كانت بالمسلمين على المشركين فقال المشركون ياعباد الله انفلت عدو الله يعنون حجاجا أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن ولم يلبثوا أن جاءهم الخبر بذلك وقد قسم صلى الله عليه وسلم غنائم خيبر فاعطى الراجل سهما والفارس ثلاثة أسهم بعد أن خمسها خمسة أجزاء ثم دفع ﷺ لأهل خيبر الارض ليعملوا فيها بشطر مايخرج منها من ثمر أو زرع وقال

---

الأرض فصاح وعلاه حنظلة رضى الله عنه يريد ذبحه فرآه شداد بن الأوس كذا فى الأصل قيل وصوابه شداد بن الأسود فحمل عليه فقتله فقال رسول الله ﷺ إن صاحبكم يعنى حنظلة لتغسله الملائكة أى وفى رواية رأيت الملائكة تغسل حنظلة بين السماء والأرض بماء المزن فى صحاف الفضة فسئلت صاحبته أى زوجته وهى جميلة بنت عبد الله بن أبى ابن سلول رأس المنافقين أخت ولده عبد الله رضى الله عنهما فقالت خرج جنبا فقال رسول الله ﷺ لذلك غسلته الملائكة فانه دخل عليها عروسا تلك الليلة التى صبيحتها أحد وقد كان استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك أى فى الدخول بها فلما صلى الصبح غدا يريد رسول الله ﷺ فلزمته فكان معها فاجنب منها ونادى منادى رسول الله ﷺ بالخروج إلى العدو فعجل عن الغسل إجابة للداعى وفى رواية انها قالت خرج وهو جنب حين سمع الهاتفة أى الصياح بالخروج للعدو وفى لفظ الهائعة وفى لفظ الهيعة من الهياع وهو الصياح الذى فيه فزع وقد جاء فى الحديث خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه فلما سمع هيعة طار اليها وفى رواية وقد كان غسل احد شقيه فخرج ولم يغسل الشق الآخر وقد رأت هى تلك الليلة أن السماء قد فرجت فدخل فيها ثم أطبقت وجاء انها أشهدت اربعة من قومها عليه بالدخول بها خشية أن يكون فى ذلك نزاع قالت لانى رأيت السماء فرجت فدخل فيها ثم أطبقت فقلت هذه الشهادة وعلقت منه بعبد الله بن حنظلة رضى الله عنه فى تلك الليلة وعبد الله هذا هو الذى ولاه أهل المدينة عليهم لما خلعوا يزيد بن معاوية وكان ذلك سببا لوقعة الحرة ولم تمثل قريش بحنظلة رضى الله عنه لكون والده معهم الذى هو أبو عامر الراهب لعنه الله وفى الامتاع وجعل أبو قتادة الانصارى يريد التمثيل من قريش لما رأى من المثلة بالمسلمين فقال له صلى الله عليه وسلم يا أبا قتادة ان قريشا أهل امانة من بغاهم العواثر أكبه الله تعالى الى فيه وعسى ان طالت بك مدة ان تحقر عملك مع أعمالهم وفعالك مع فعالهم لولا ان تبطر قريش لأخبرتها بما لها عند الله فقال أبو قتادة والله يارسول الله ماغضبت الا لله ولرسوله فقال صدقت بئس القوم كانوا لنبيهم قال وجاء انه صلى الله عليه وسلم هم أن يدعو عليهم فنزلت الآية المذكورة أى ليس لك من الأمر شىء فكف عن الدعاء عليهم أى وفيه انها نزلت بعد قوله اللهم العن فلانا وفلانا إلى آخر ما تقدم عن بعض الروايات الا أن يقال أراد صلى الله عليه وسلم المداومة على الدعاء عليهم وعن أبى سعيد الساعدى قال ذهبنا إلى حنظلة رضى الله عنه فاذا رأسه يقطر ماء انتهى أى فعلم انه لامنافاة بين كونه صلى الله عليه وسلم دعا عليهم وبين كونه هم بالدعاء عليهم لانه يجوز أن يكون المراد هم بتكرير الدعاء عليهم وفى البخارى ومسلم والنسائى عن جابر رضى الله عنه قال قال رجل يوم أحد لرسول الله ﷺ ان قتلت فاين أنا قال فى الجنة فألقى تمرات كن فى يده فقاتل حتى قتل قال فى طرح التثريب قال الخطيب كانت هذه القصة يوم بدر لا يوم أحد فأشار الى تضعيف رواية الصحيحين التى فيها يوم أحد ولا توجيه لذلك بل التضعيف تفسير هذه بهذه أى جعلهما قصة واحدة وكل منهما صحيحة وهما قصتان لشخصين هذا كلامه وقد تقدم

لم انا إذا شئنا ان نخرجكم أخرجنا كم ثم استمروا على ذلك الى خلافة عمر رضى الله عنه ووقعت منهم خيانة وغدر لبعض المسلمين فاجلاهم الى الشام بعد أن استشار الصحابة رضى الله عنهم فى ذلك والله أعلم ﴿ غزوة وادى القرى ﴾ اسم موضع بقرب المدينة كان به جماعة من اليهود روى ابن اسحق عن أبى هريرة رضى الله عنه لما انصرفنا من خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتينا وادى القرى نزلناها أصيلا مع غروب الشمس وحاصرهم صلى الله عليه وسلم (٢٥٥) أربعة أيام وهيأ صلى الله عليه وسلم أصحابه للقتال وصفهم ودفع لواءه الى سعد بن عبادة رضى الله عنه وراية الى الحباب بن المنذر رضى الله عنه وراية الى سهل ابن حنيف رضى الله عنه وراية الى عباد بن بشر رضى الله عنه ثم دعاهم الى الاسلام وأخبرهم أنهم إن اسلموا أحرزوا أموالهم ودماءهم وحسابهم على الله فبرز رجل منهم فقتله الزبير رضى الله عنه ثم آخر فقتله الزبير أيضا ثم آخر فقتله على رضى الله عنه ثم آخر فقتله أبو دجانة رضى الله عنه ثم آخر فقتله أبو دجانة أيضا حتى قتل منهم أحد عشر رجلا كلما قتل رجل دعا من بقى الى الاسلام حتى أعطوا ما بايديهم وفتحها صلى الله عليه وسلم عنوة وغنمه الله أموالهم وأصابوا أثاثا ومتاعا كثيرا وقسم ما أصابه على أصحابه وترك الأرض والنخل بأيدى يهود وعاملهم عليها وولاها صلى الله عليه وسلم عمرو بن سعيد بن العاص وصالحه صلى الله عليه وسلم أهل تيماء على الجزية لما بلغهم فتح وادى القرى وولاها صلى الله عليه وسلم يزيد بن أبى سفيان رضى الله عنه وكان إسلامه يوم فتحها وتيماء بلدة معروفة بين المدينة والشام على سبع مراحل من المدينة وصالحه أيضا أهل فدك على أن لهم نصفها وله صلى الله عليه وسلم نصفها فأقرهم على ذلك فكانت له صلى الله عليه وسلم خاصة لانه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب وقدم بعض أهل السير مصالحة أهل فدك على غزوة وادى القرى لانه صالحهم بعد أن فتح

---

فى غزاة بدر الحوالة على هذا فليتأمل أى وأقبل رجل من المشركين مقنعا بالحديد يقول أنا ابن عويف فتلقاه رشيد الأنصارى الفارسي فضربه على عاتقه فقطع الدرع وقال خذها وأنا الغلام الفارسي ورسول الله صلى الله عليه وسلم يرى ذلك ويسمعه فقال رسول الله ﷺ هلا قلت خذها وأنا الغلام الأنصارى فعرض لرشيد أخو ذلك المقتول يعدو كأنه كلب وهو يقول أنا ابن عويف فضربه رشيد على رأسه وعليه المغفر ففلق رأسه وقال خذها وأنا الغلام الأنصارى فتبسم رسول الله ﷺ وقال أحسنت ياأبا عبد الله وكان يومئذ لاولد له وقتل عمرو بن الجموح رضى الله عنه وكان أعرج شديد العرج وكان له بنون أربعة مثل الأسد يشهدون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه وقالوا له قد عذرك الله فأتى رسول الله ﷺ فقال إن بنى يريدون أن يحبسونى عن الخروج معك فوالله إنى أريد أن أطأ بعرجتى هذه الجنة فقال له رسول الله ﷺ أما أنت فقد أعذرك الله فلا جهاد عليك وقال لبنيه ماعليكم أن لا تمنعوه لعل الله يرزقه الشهادة فأخذ سلاحه وخرج وأقبل على القبلة وقال اللهم ارزقنى الشهادة ولا تردنى خائبا الى أهلى فقتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ان منكم من لو أقسم على الله لأبره منهم عمرو بن الجموح ولقد رأيته يطأ فى الجنة بعرجته أى كشف له عن حاله يوم القيامة أى وفى رواية أنه قال يارسول الله أرأيت إن قاتلت فى سبيل الله حتى أقتل أمشى برجلى هذه صحيحة فى الجنة فرعليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كأنى أنظر اليك تمشى برجلك هذه صحيحة فى الجنة (أقول) لكن يمكن الجمع بأنه فى أول دخوله الجنة يطؤها برجله غير صحيحة ثم تصير صحيحة وعمرو بن الجموح رضى الله عنه كان فى الجاهلية على أصنامهم أى سادنا لها وكان فى الاسلام يولم عنه ﷺ إذا تزوج وقد وقع منه صلى الله عليه وسلم مثل ذلك لأنس بن النضر عم أنس بن مالك خادم النبى ﷺ فانه لما كسرت أخته الربيع ثنية جارية من الأنصار فطلب أهلها القصاص وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بكسر ثنية الربيع قال أخوها أنس المذكور والله لا تكسر ثنية الربيع وصار كلما يقول ﷺ كتاب الله القصاص يقول والله لا تكسر ثنية الربيع فرضى القوم بالارش فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره وقال ﷺ ذلك فى حق البراء بن مالك أخى أنس بن مالك رضى الله عنهما فعن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال رب أشعث أغبر لا يؤبه به لو أقسم على الله لأبره منهم البراء ابن مالك ومصداق ذلك ماوقع له رضى الله عنه فى مقاتلة الفرس فان الفرس غلبوا المسلمين فقالوا له يابراء أقسم على ربك فقال أقسم عليك يارب لما منحتنا أكتافهم وألحقتنى بنبيك محمد ﷺ فحمل رضى الله عنه وحمل المسلمون معه فقتل عظيم الفرس وانهزم الفرس ثم قتل البراء رضى الله عنه (ومما وقع) أنه كان مع أخيه أنس رضى الله عنه عند بعض حصون العدو بالعراق وكانوا يلقون كلاليب معلقة فى سلاسل محماة يخطفون بها الانسان فكان من جملة من خطف أنس رضى الله عنه

خيبر ثم رجع صلى الله عليه وسلم الى المدينة منصورا مؤيدا والله اعلم ﴿ ذكر خمس سرايا بين خيبر وعمرة القضاء ﴾

﴿ سرية عمر بن الخطاب رضى الله عنه ﴾ الى تربة بضم التاء وفتح الراء و بالموحدة وتاء التأنيث واد بقرب مكة على يومين منها ناحية العبلاء، وهو موضع على أربع ليال من مكة وكانت فى شعبان سنة سبع بعث صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه ومعه ثلاثون رجلا فكان يسير الليل ويكمن  النهار فأتى الخبر الى هوازن الى الطائفة التى كانت منهم بتربة فهربوا وجاء عمر رضى الله عنه الى محالهم فلم يلق منهم أحدا بل ترفعوا وأخذوا سائر مالهم من نعم وغيرها فانصرف راجعا الى المدينة فلما كان بذى الجدر موضع على ستة أميال من المدينة قال له رجل من بنى هلال هل لك فى جمع آخر تركته من خثعم سائرين قد أجدبت بلادهم فقال عمر رضى الله عنه لم يأمرنى ﷺ بهم إنما أمرنى أن أعمد لقتال هوزن بتربة ﴿ثم سرية أبى بكر الصديق رضى الله عنه﴾ الى بنى كلاب قبيلة بنجد بناحية ضرية بفتح الضاد وكسر الراء وتشديد الياء وكانت فى شعبان أيضا سنة سبع ويقال الى بنى فزارة فسبى منهم جماعة وقتل آخرين وفى صحيح مسلم عن سلمة ابن الأكوع رضى الله عنه قال بعث رسول الله ﷺ أبا بكر رضى الله عنه الى فزارة وخرجت معه حتى إذا صلينا الصبح أمرنا فشنينا الغارة فوردنا

فاقبل البراء رضى الله عنه وصعد محلا عاليا وأمسك السلسلة بيده ولا زال حتى قطع السلسلة ثم نظر الى يده فاذا عظمها يلوح ليس عليه لحم ونجى الله أنسا رضى الله عنه بذلك وقال ﷺ ما تقدم فى حق أويس القرنى رضى الله عنه فعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن خير التابعين رجل يقال له أويس بن عامر القرنى فمن لقيه منكم فمروه أن يستغفر لكم وفى رواية خطابا لعمر رضى الله عنه يأتى عليك أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن كان به برص فبرىء منه إلا موضع درهم له أم هو بها بار لو أقسم على الله لأبره فان استطعت أن يستغفر لك فافعل والله أعلم وقتل أيضا أحد بنى عمرو بن الجموح وهو خلاد رضى الله عنه وقتل أخو زوجته هند بنت حزام وهو عبد الله والد جابر رضى الله عنه فحملتهم هند على بعير لها تريد أن تدفنهم فى المدينة فلقيتها عائشة رضى الله عنها وقد خرجت فى نسوة يستروحن الخبر فقالت لها عائشة رضى الله عنها جاء خبر الجيش فقالت أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فصالح وكل مصيبة بعده جلل واتخذ الله من المؤمنين شهداء ثم قالت لها من هؤلاء قالت أخى عبد الله وابنى خلاد وزوجى عمرو بن الجموح رضى الله عنهم فبرك بهم البعير وصار كلما توجه الى المدينة يبرك وإن وجه الى أرض أحد نزع فرجعت الى النبى ﷺ وأخبرته فقال إن الجمل مأمور فقبرهم بأحد وقال صلى الله عليه وسلم لهند ياهند مازالت الملائكة مظلة على أخيك من لدن قتل الى الساعة ينظرون أين يدفن ولعل هذا كان قبل أن ينادى برد القتلى الى مضاجعهم قال جابر رضى الله عنه كان أبى أول قتيل للمسلمين قتله أبو الأعور السلمى وفى الصحيح أن عائشة رضى الله عنها وأم سليم كانا يسقيان الناس يفرغان من القرب فى أفواه القوم أى ولا مخالفة لأنه يجوز أن يكون ذلك شأن عائشة بعد وصولها لأحد أى وقد كان ﷺ خلف اليمان والد حذيفة وثابت بن وقس فى الآطام مع النساء والصبيان لأنهما كانا شيخين كبيرين فقال أحدهما لصاحبه لا أبالك ما تنتظر فوالله إن بقى لواحد منا فى عمره إلا ظمء حمار أفلا نأخذ أسيافنا ثم نلحق برسول الله ﷺ لعل الله يرزقنا الشهادة فأخذا أسيافهما ثم خرجا حتى دخلا فى الناس من جهة المشركين ولم يعلم المسلمون بهما فأما ثابت فقتله المشركون وأما اليمان فاختلفت عليه أسياف المسلمين فقتلوه ولم يعرفوه (وذكر السهيلى) أن فى تفسير ابن عباس رضى الله عنهما أن الذى قتله خطأ هو عتبة بن مسعود أخو عبد الله بن مسعود رضى الله عنه وعتبة هو أول من سمى المصحف مصحفا وعند ذلك قال حذيفة أبى فقالوا ما عرفناه فاراد رسول الله ﷺ ان يديه فتصدق حذيفة رضى الله عنه بديته على المسلمين فزاده ذلك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا واسم اليمان حسيل وقيل له اليمان لأنه نسب الى جده اليمان ابن الحرث وقيل إنما قيل له اليمان لأنه أصاب دما فى قومه فهرب الى المدينة فحالف بنى الأشهل فسماه قومه اليمان لمحالفته اليمانية أى وهم أهل المدينة (ومما يؤثر عن حذيفة رضى الله عنه) أنه قيل له من ميت الاحياء قال الذى لا ينكر المنكر بيده ولا بلسانه ولا بقلبه وفى الكشاف وعن حذيفة رضى الله عنه أنه استأذن رسول الله ﷺ فى قتل أبيه وهو فى صف المشركين أى قبل أن يسلم

الماء وقتل من قتل منهم ورأيت الذرارى فخشيت أن يسبقونى الى الجبل فأدركتهم فرميت بسهم بينهم وبين الجبل فلما رأوا السهم وقفوا وفيهم امرأة وهى أم قرفة عليها قشع من أدم ومعها ابنتها من أحسن العرب فجئت بهم أسوقهم الى أبى بكر رضى الله عنه فنفلنى أبو بكر ابنتها فلم أكشف لها ثوبا فقدمنا المدينة فلقينى صلى الله عليه وسلم فقال ياسلمة هب لى المرأة لله أبوك فقلت هى لك فبعث بها الى مكة ففدا بها أسرى من المسلمين كانوا فى أيدى المشركين قال بعضهم إن تسمية المرأة بام قرفة وهم لأن ذلك إنما كان

فقال صلى الله عليه وسلم له دعه يليه غيرك هذا كلامه ولم أقف على أى غزاة كان ذلك فيها وسيأتى
ما قبله يدل على أنه كان من الانصار كان حليفا لبنى عبد الأشهل ولم يحفظ أن أحدا من الانصار قاتله
صلى الله عليه وسلم قبل الاسلام فليتأمل ثم إن هندا زوج أبى سفيان والنسوة اللاتى خرجن معها
صرن يمثلن بقتلى المسلمين يجدعن أى يقطعن من آذانهم وأنوفهم واتخذن من ذلك قلائد وبقرت
أى شقت هند بطن سيدنا حمزة رضى الله عنه وأخرجت كبده فلاكتها أى مضغتها فلم تستطع أن تسيغها
أى تبتلعها فلفظتها أى ألقتها من فيها أى لانها كانت نذرت ان قدرت على حمزة رضى الله عنه لتأكلن
من كبده ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها أخرجت كبد حمزة قال هل أكلت منه شيئا قالوا لا
قال إن الله قد حرم على النار أن تذوق من لحم حمزة شيئا أبدا أى ولو أكلت منه أى استقر فى جوفها لم
تمسها النار وفى رواية لو أدخل بطنها لم تمسها النار لان حمزة أكرم على الله من أن يدخل شىء من جسده
النار أى ورأيت فى بعض السير أنها شوت منه ثم أكلت وقد يقال لا منافاة لجواز حمل الاكل على مجرد
المضغ من غير اساغة قال وفى رواية ان وحشيا هو الذى بقر بطن حمزة رضى الله عنه وأخرج كبده وجاء
بها الى هند أى وقال لها ماذا لى ان قتلت قاتل أبيك قالت سلبى فقال هذه كبد حمزة فأعطته ثيابها
وحليها ووعدته اذا وصلت الى مكة تدفع له عشرة دنانير وجاء بها الى مصرع حمزة رضى الله عنه فجدعت
أنفه وأذنيه أى وفى لفظ فقطعت مذاكيره وجدعت أنفه وقطعت أذنيه ثم جعلت ذلك كالسوار فى
يديها وقلائد فى عنقها واستمرت كذلك حتى قدمت مكة (وفى النهر لابى حيان) ان وحشيا جعل له على
قتل حمزة أن يعتق فلم يوف له بذلك فندم على ما صنع ثم ان هندا علت على صخرة مشرفة فصرخت بأعلى
صوتها وأنشدت أبياتا ثم ان زوجها أبا سفيان أشرف على الجبل كذا فى البخارى انه أشرف وفى رواية
كان بأسفل الجبل وقد يقال لا مخالفة لجواز وقوع الامرين معا ثم صرخ بأعلى صوته أنعمت فعال ان
الحرب سجال أى ومعنى سجال مرة لنا ومرة علينا يوم أحد بيوم بدر وأنعمت بكسر التاء خطابا للنفسه
أو للأزلام لانه استقسم بها عند خروجه الى أحد فخرج الذى يحب وهو افعل والفاء من فعال مفتوحة
وليست من أبنية الكلمة وهى أمر أى ارتفع عن لومها أى النفس أو الازلام يقال عال عنى أى ارتفع
عنى ودعنى أى وزاد فى لفظ يوم لنا ويوم علينا ويوم نساء ويوم نسر حنظلة بحنظلة وفلان بفلان أى
وقد جاء أنه ﷺ قال الحرب سجال وقد قال تعالى ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله
وتلك الأيام نداولها بين الناس وقد نزل ذلك فى قصة أحد باتفاق ثم قال أبو سفيان انكم ستجدون فى
القوم وفى رواية فى قتلاكم مثلة لم آمر بها ولم تسرنى وفى رواية والله ما رضيت وما سخطت وما أمرت وما
نهيت وفى لفظ ما أمرت ولا نهيت ولا أحببت ولا كرهت ولا ساءنى ولا سرنى أى وفى لفظ أما انكم
ستجدون فى قتلاكم مثلا ولم تكن عن رأى سراتنا ثم أدركته حمية الجاهلية فقال أما انه ان كان كذلك
لم نكرهه ومر الحليس سيد الاحابيش بأبى سفيان وهو يضرب بزج الرمح فى شدق حمزة رضى الله عنه
ويقول ذقه عقق أى ذق طعم مخالفتك لنا وتركك الذى كنت عليه يا عاق قومه جعل اسلامه عقوقا

فى سرية زيد بن حارثة كما تقدم والله أعلم ﴿ ثم سرية بشير بن سعد ﴾ الانصارى الخزرجى رضى الله عنه إلى بنى مرة بفدك فى شعبان
أيضا سنة سبع ومعه ثلاثون رجلا فلما وصلوا إلى محل القوم لقوا رعاء الشاء فسألوهم عن الناس فقالوا هم فى نواديهم والناس يومئذ
شاتون لا يحضرون الماء فاستاق النعم والشاء وانحدر إلى المدينة فخرج الصريخ فأخبرهم فأدركه العدد الكثير منهم عند الليل فباتوا
يرمونه بالنبل حتى فنيت نبل أصحاب بشير فأصيبوا وولى منهم من ولى وقاتل  بشير حتى جرح وصار به رمق
فضربوا كعبه اختبارا لحاله أهو حى أم ميت فلما لم يتحرك قالوا قد مات ورجعوا بنعمهم وشائهم وقدم علبة بن زيد رضى الله عنه بخبرهم على النبى صلى الله عليه وسلم ثم قدم بعده بشير بن سعد وذلك أنه استمر فى القتلى حتى أمسى فلما أمسى تحامل حتى انتهى إلى فدك فأقام عند يهود بها أياما حتى ارتفع من الجراح ثم رجع الى المدينة ﴿ ثم سرية غالب بن عبد الله الليثى رضى الله عنه ﴾ إلى أهل الميفعة بناحية نجد على ثمانية برد من المدينة فى شهر رمضان سنة سبع من الهجرة فى مائة وثلاثين رجلا وقيل فى مائتين وثلاثين فهجموا عليهم فى وسط محالهم فقتلوا من أشرف لهم واستاقوا نعما وشاء إلى المدينة وفى هذه السرية قتل أسامة بن زيد رضى الله عنهما نهيك بن مرداس الأسلمى وقيل الغطفانى بعد أن

قال لا اله الا الله محمد رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أسامة من لك بلا اله الا الله
فقال يا رسول الله انما قالها تعوذا من القتل قال هلا شققت عن قلبه فتعلم أصادق هو أم كاذب فقال أسامة لا أقاتل أحدا يشهد أن
لا اله إلا الله وفى رواية أن قوم مرداس لما انهزموا بقى وحده وكان ألجأ غنمه لجبل فلما لحقوه قال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام
عليكم فقتله أسامة بن زيد رضى الله عنهما فلما رجعوا نزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا

لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا الآية وقيل ان ذلك فى سرية أخرى سنة ثمان كان أسامة هو أميرها وانه لما قدم المدينة قال له النبي صلى الله عليه وسلم يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله قال أسامة قلت يارسول الله إنما كان متعوذا فما زال يكررها أى قوله أقتلته الخ حتى تمنيت أنى لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم أى لأن الاسلام يجب ما قبله فقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم دفع لأهل القتيل ديته وأمر أسامة أن يعتق رقبة والله أعلم ﴿ثم سرية بشير بن سعد أيضا﴾ الانصارى رضى الله عنه الى يمن وجبار وهى ارض لغطفان ويقال لفزارة وكانت فى شوال سنة سبع من الهجرة بعثه صلى الله عليه وسلم ومعه ثلثمائة رجل لجمع تجمعوا بارض غطفان واعدهم عيينة ابن حصن للاغارة على المدينة فساروا الليل وكمنوا النهار فلما بلغهم مسير بشير هربوا واصاب لهم نعما كثيرة فغنمها ثم لقوا جمع عيينة وهو لايشعر بهم فناوشوهم ثم انهزم جمع عيينة وتبعهم المسلمون فأسروا منهم رجلين وقدموا بهما المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلما فأرسلهما والمناوشة تدانى الفريقين وأخذ بعضهم بعضا

﴿عمرة القضاء﴾

قال موسى بن عقبة قال ابن شهاب انه صلى الله عليه وسلم خرج فى هلال ذى القعدة سنة سبع معتمرا وامر أصحابه ان يعتمروا قضاء لعمرتهم التى صدهم المشركون عنها بالحديبية وأمر أن لا يتخلف احد ممن شهد الحديبية وخرج معهم غيرهم ايضا فكانوا ألفين سوى النساء والصبيان واستخلف على المدينة ابارهم كلثوم بن الحصين الغفارى رضى الله عنه وساق معه صلى الله عليه وسلم ستين بدنة وحمل السلاح والدروع والرماح وقاد مائة فرس وانما فعل ذلك احتياطا وتوثقا خوفا من غدر اهل مكة فلما انتهى الى ذى الحليفة قدم الخيل أمامه عليها محمد بن مسلمة رضى الله عنه وقدم السلاح واستعمل عليه بشير بن سعد رضى الله

---

فقال الحليس يا بنى كنانة هذا سيد قريش يفعل بابن عمه ما ترون فقال أبو سفيان اكتمها عنى فانها زلة وقال أبو سفيان اعل هبل أى أظهر دينك أو ازدد علوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا عمر فأجبه فقل الله أعلى وأجل لا سواء قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار فقال أبو سفيان انكم تزعمون ذلك لقد خبنا إذا وخسرنا وهبل هذا تقدم انه صنم وتقدم الكلام عليه (ورأيت) فى كلام الشيخ محيي الدين بن العربى رحمه الله انه الحجر الذى يطؤه الناس فى العتبة السفلى من باب بنى شيبة وبلط الملوك فوقه البلاط ثم قال أبو سفيان ان لنا العزى ولا عزى لكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله مولانا ولا مولى لكم ثم قال أبو سفيان لعمر أى بعد أن قال له هلم يا عمر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ائته فانظر ما شأنه فجاءه فقال له أبو سفيان أنشدك الله يا عمر أقتلنا محمدا قال عمر رضى الله عنه لا وانه ليسمع كلامك الآن قال أنت أصدق عندى من ابن قمئة وأبر أى لأنه لما قتل مصعب بن عمير ظنه النبي صلى الله عليه وسلم فقال قتلت محمدا كما تقدم وفى رواية أن أبا سفيان نادى أفى القوم محمد أفى القوم محمد قال ذلك ثلاثا فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجيبوه ثم قال أفى القوم ابن أبى قحافة قالها ثلاثا ثم قال أفى القوم عمر قالها ثلاثا وفى رواية أين ابن أبى كبشة أى ابن أبى قحافة أين ابن الخطاب ثم أقبل على أصحابه فقال أما هؤلاء فقد قتلوا وقد كفيتموهم اذ لو كانوا أحياء لأجابوا فما ملك عمر رضى الله عنه نفسه أن قال كذبت والله يا عدو الله ان الذى عددت لأحياء كلهم وقد بقى لك ما يسوءك ثم نادى أبو سفيان أن موعدكم بدر العام المقبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه قل نعم بيننا وبينكم موعد ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب كرم الله وجهه وقيل سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه فقال اخرج فى آثار القوم فانظر ماذا يصنعون وماذا يريدون فان كانوا قد جنبوا الخيل أى جعلوها منقادة بجانبهم وامتطوا الابل أى ركبوا مطاها أى ظهورها لان المطا الظهر فانهم يريدون مكة وان ركبوا الخيل وساقوا الابل فهم يريدون المدينة والذى نفسى بيده ان أرادوها لأسيرن اليهم فيها ثم لأناجزهم قال على كرم الله وجهه أو سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه فخرجت فى آثارهم أنظر ماذا يصنعون فجنبوا الخيل وامتطوا الابل وتوجهوا الى مكة أى بعد أن تشاوروا فى نهب المدينة فأشار عليهم صفوان بن أمية أن لا تفعلوا أى وقال لهم فانكم لا تدرون ما يغشاكم وفزع الناس لقتلاهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل من رجل ينظر الى ما فعل سعد بن الربيع أفى الاحياء هو أم فى الأموات اى زاد فى رواية فانى رأيت الأسنة قد أشرعت اليه فقال رجل من الانصار اى وهو أبى ابن كعب وقيل محمد بن مسلمة وقيل زيد بن حارثة وقيل غير ذلك ويجوز أن يكون ارسلهم كلهم قال انا أنظر لك يارسول الله أى وفى رواية قال للمرسل ان رأيت سعد بن الربيع فأقره منى السلام وقل له يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تجدك فنظر فوجده جريحا وبه رمق أى بقية روح فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنى أن أنظر أفى الاحياء أنت أم فى الاموات فقال أنا فى الأموات قد طعنت اثنتى عشرة طعنة وانى قد أنفذت مقاتلى فأبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عنى السلام وقل له ان سعد

ابن

عنه وأحرم صلى الله عليه وسلم وسلك طريق الفرع وابي ولي المسلمون معه ومضى محمد بن مسلمة في الخيل الى مر الظهران فوجد بها نفرا من قريش فسألوه عن سبب مجيئه بالخيل فقال رسول الله ﷺ يصبح هذا المنزل غدا ان شاء الله تعالى فاتوا قريشا فاخبروهم ففزعوا وقالوا والله ما أحدثنا حدثا وانا على كتابنا ومدتنا ففيم يغزونا محمد في أصحابه و بعثوا مكرز بن حفص في نفر من قريش حتى لقوه ﷺ ببطن يأجج في أصحابه والهدى والسلاح قد تلاحق فقالوا والله ما عرفت صغيرا ولا كبيرا بالغدر تدخل بالسلاح في الحرم على قومك وقد شرطت لهم ان لا تدخل الا بسلاح المسافر فقال اني لا أدخل عليهم بسلاح فقال مكرز هو الذي تعرف به البر والوفاء ثم رجع باصحابه الى مكة فقال ان محمدا على الشرط الذي شرط لكم ونزل صلى الله عليه وسلم بمر الظهران وقدم السلاح الى بطن يأجج موضع على اميال من مكة وخلف عليه أوس ابن خولى الانصارى رضى الله عنه في مائتى رجل حتى قضى الكل مناسك عمرتهم رضى الله عنهم وخرجت قريش من مكة الى رؤس الجبال ولم يقدروا على رؤيته صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه يطوفون بالبيت وفي رواية خرجوا استنكافا أن ينظروا اليه صلى الله عليه وسلم غيظا وحنقا أى حسدا وقدم صلى الله عليه وسلم الهدى أمامه بذى طوى وخرج راكبا ناقته القصواء والمسلمون متوشحون السيوف محدقون برسول الله ﷺ فدخل من الثنية التي تطلعه على الحجون وعبد الله بن رواحة رضى الله عنه آخذ بزمام راحلته يمشى بين يديه وهو يقول خلوا بنى الكفار عن سبيله * اليوم نضربكم على تنزيله

ضربا يزيل الهام عن مقيله * ويذهل الخليل عن خليله
قد أنزل الرحمن في تنزيله * بأن خير القتل في سبيله
نحن قتلناكم على تأويله * كما قتلناكم على تنزيله
يارب انى مؤمن بقيله * انى رأيت الحق في قبوله

ابن الربيع يقول لك جزاك الله عنا خير ما جزى نبيا عن أمته وأبلغ قومك عنى السلام وقل لهم ان سعد ابن الربيع يقول لكم لا عذر لكم عند الله أن يخلص الى نبيكم وفيكم عين تطرف وفي رواية شفر يطرف اى يتحرك قال ثم لم أبرح حتى مات فجئت رسول الله ﷺ فاخبرته خبره أي وفي رواية أنه رأى الذى أرسله رسول الله ﷺ يدور بين القتلى فقال له ما شأنك قال بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم لآتيه بخبرك قال فاذهب اليه الحديث وفي رواية ان محمد بن مسلمة رضى الله عنه نادى في القتلى ياسعد بن الربيع مرة بعد أخرى فلم يجبه حتى قال ان رسول الله ﷺ أرسلنى انظر ماصنعت فاجابه بصوت ضعيف الحديث أى وفي رواية اقرأ على قومي منى السلام وقل لهم يقول لكم سعد بن الربيع الله الله وما عاهدتم عليه رسول الله ﷺ ليلة العقبة فو الله ما لكم عند الله عذر الحديث وفيه قال رسول الله ﷺ رحمه الله نصح لله ولرسوله حيا وميتا وخلف بنتين فاعطاهما رسول الله ﷺ من ميراثه الثلثين فكان ذلك بيان المراد من الآية وهى قوله تعالى فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ماترك وفي ذلك نزلت أى اثنتان فما فوقهما أى وحينئذ لا يحتاج الى قياس البنتين على الاختين بجامع ان للواحد منهما النصف ودخلت بنت له على أبى بكر رضى الله عنه فالقى لها رداءه لتجلس عليه فدخل عمر رضى الله عنه فسأله عنها فقال هذه ابنة من هو خير منى ومنك قال ومن هو ياخليفة رسول الله قال رجل تبوأ مقعده من الجنة وبقيت أنا وأنت هذه ابنة سعد بن الربيع رضى الله عنه وخرج رسول الله ﷺ يلتمس عمه حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه فقال له رجل رأيته بتلك الصخرات وهو يقول أنا أسد الله وأسد رسوله اللهم انى أبرأ اليك مما جاء به هؤلاء النفر أبو سفيان وأصحابه وأعتذر اليك مما صنع هؤلاء بانهزامهم وهذا الدعاء نقل عن أنس بن النضر عم أنس بن مالك خادم النبي ﷺ فانه غاب عن بدر فشق عليه ذلك فلما كان يوم أحد ورأى انهزام المسلمين أى وكان قد قال للنبي ﷺ يا رسول الله انى غبت عن أول قتال وقع قاتلت فيه المشركين والله لئن اشهدنى الله قتال المشركين ليرين الله ما أصنع فقال اللهم انى أعتذر اليك مما صنع هؤلاء يعنى أصحابه وأبرأ اليك مما فعل هؤلاء يعنى المشركين ولما سمع قتل رسول الله ﷺ قال ماتصنعون بالحياة بعده موتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ ثم استقبل القوم اى وقال لسعد بن معاذ هذه الجنة ورب الكعبة أجد ريحها دون أحد وقاتل رضى الله عنه حتى قتل أى ووجدوا فيه بضعا وثمانين جراحة ما بين ضربة بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم ولما قتل مثل به المشركون فما عرفته أخته الربيع الا ببنانه قال ابن أخيه أنس بن مالك رضى الله عنه لما نزل قوله تعالى من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية قلنا ان هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه من المؤمنين رضى الله عنه فجاء رسول الله ﷺ نحو حمزة فوجده ببطن الوادى قد بقر بطنه ومثل به فجدع أنفه وأذناه أى وقطعت مذاكيره فنظر ﷺ الى شيء لم ينظر الى شيء قط كان أوجع لقلبه منه أى وقال لن أصاب بمثلك

فقال له عمر رضى الله عنه يا ابن رواحة أبين يدى رسول الله ﷺ وفى حرم الله تقول الشعر فقال له صلى الله عليه وسلم خل عنه يا عمر فلهى أى هذه الابيات أى نكايتها فيهم أسرع من نضح النبل وقيل إن قوله نحن ضربنا كم على تأويله الخ من قول عمار بن ياسر رضى الله عنهما يوم صفين ولا مانع من أن عبد الله بن رواحة قال ذلك أولا وتمثل به عمار يوم صفين ثم قال صلى الله عليه وسلم لابن رواحة رضى الله عنه قل لا إله الا الله وحده نصر عبده وأعز جنده وهزم الاحزاب وحده فقالها ابن رواحة ثم قالها الناس وفى أمره بذلك زيادة اغاظة للكفار لتأذيهم بها أكثر من الشعر المذكور ولاسيما وقد قالوها كلهم معلنين بها ولم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبى حتى استلم الركن بمحجنه مضطبعا بثوبه وطاف على ناقته وفى رواية ماشيا وهرول ثلاثة أشواط والمسلمون يطوفون معه وقد اضطبعوا بثيابهم وفى البخارى ومسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال المشركون انه يقدم عليكم وفد وهنتهم حمى يثرب فأمرهم صلى الله عليه وسلم أن يرملوا الاشواط الثلاثة ليرى المشركون قوتهم فقالوا هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى وهنتهم لهؤلاء أجلد من كذا وكذا انهم لينفرون نفر الظبى والمشركون كانوا على جبل قعيقعان فأمرهم أن يمشوا بين الركنين حيث لا يراهم قريش لانهم انما يرونهم اذا كانوا بين الركنين الشاميين ثم سعى صلى الله عليه وسلم بين الصفا والمروة على راحلته و بعد فراغه نحر هديه عند المروة وحلق هناك ثم أمر مائتين من أصحابه أن يذهبوا إلى أصحابه ببطن يأجج يقيمون على السلاح و يأتى الآخرون ليقضوا نسكهم ففعلوا وأقام صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثا كما شرطه قريش فى الهدنة فلما كان الظهر من اليوم الرابع جاء سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى فقالا ننشدك الله والعهد الا ماخرجت



ماوقفت موقفا أغيظ لى من هذا وقال رحمة الله عليك فانك كنت ماعلمتك فعولا للخيرات وصولا للرحم أما والله لأمثلن بسبعين وفى رواية بثلاثين رجلا منهم مكانك وفى رواية لئن ظفرنى الله تعالى بقريش فى موطن من المواطن لأمثلن بسبعين منهم مكانك ولما رأى المسلمون جزع رسول الله ﷺ على عمه قالوا لئن أظفرنا الله تعالى بهم يوما من الدهر لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان الله تعالى أنزل فى ذلك وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وماصبرك الا بالله الآية فعفا رسول الله ﷺ وصبر ونهى عن المثلة وكفر عن يمينه وكان نزول هذه الآيات بعد أن مثل صلى الله عليه وسلم بالعرنيين وستأتى قصتهم فى السرايا واعترضه ابن كثير رحمه الله بان هذه الآيات مكية وقصة أحد فى المدينة بعد الهجرة بثلاث سنوات فكيف يلتئم هذا مع هذا هذا كلامه وقد يقال يجوز أن يكون ذلك مما تكرر نزوله فليتأمل وعن ابن مسعود رضى الله عنه ما رأينا رسول الله ﷺ باكيا أشد من بكائه على حمزة رضى الله عنه وضعه فى القبلة ثم وقف على جنازته وانتحب حتى نشق أى شهق حتى بلغ به الغشى يقول ياعم رسول الله وأسد الله وأسد رسول الله ياحمزة يافاعل الخيرات ياحمزة ياكاشف الكربات ياحمزة ياذاب أى بالذال المعجمة يامانع عن وجه رسول الله ﷺ أى قال ذلك لامع البكاء فلا يقال هذا من الندب المحرم وهو تعديد محاسن الميت لان ذلك مخصوص بما اذا قارنه البكاء وليس من نعى الجاهلية المنكر وهو النداء بذكر محاسن الميت على ان النداء بذلك محل كراهته اذا كان على وجه التفاخر والتعاظم ولم يكن وصفا لنحو صالح للحث على سلوك طريقته وقال ﷺ جاءنى جبريل عليه السلام وأخبرنى بان حمزة مكتوب فى أهل السموات السبع حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله وأمر ﷺ الزبير رضى الله عنه أن يرجع أمه صفية أخت حمزة رضى الله عنها عن رؤيته فقال لها ياأمه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن ترجعى فدفعت فى صدره وقالت لم وقد بلغنى انه مثل باخى وذلك فى الله فما أرضانى بما كان فى الله من ذلك أى أنا أشد رضا بذلك من غيرى لأحتسبن ولأصبرن ان شاء الله تعالى فجاء الزبير رضى الله عنه فاخبره ﷺ بذلك فقال خل سبيلها فجاءت واسترجعت واستغفرت له وفى رواية ان صفية لقيت عليا والزبير رضى الله تعالى عنهما فقالت لهما مافعل حمزة فارياها انهما لا يدريان فأى رحمة بها فجاءت النبى صلى الله عليه وسلم فقال انى أخاف على عقلها فوضع ﷺ يده الشريفة على صدرها ودعا لها فاسترجعت وبكت أى لما رأته أى وفى رواية لما منعها على والزبير رضى الله عنهما قالت لا أرجع حتى أرى رسول الله ﷺ فلما رأته قالت يارسول الله أين ابن أمى حمزة قال صلى الله عليه وسلم هو فى الناس قالت لا أرجع حتى أنظر اليه فجعل الزبير رضى الله عنه يحبسها فقال ﷺ دعها فلما رأته بكت وصارت كلما بكت بكى ﷺ ثم أمر به فسجى ببردة وفى رواية قال ألا كفن فقام رجل من الانصار فرمى بثوبه عليه ثم قام آخر فرمى بثوبه عليه فقال ﷺ يا جابر هذا الثوب

من أرضنا فرد عليها سعد بن عبادة رضى الله عنه فأسكته صلى الله عليه وسلم وأذن بالرحيل قال الحافظ ابن حجر كأنه دخل فى أوائل النهار فلم تكمل الثلاث إلا فى مثل ذلك الوقت من نهار الرابع بالتلفيق وكان مجيئهما قرب ذلك الوقت وفى البخارى من حديث البراء فلما دخلها يعنى مكة ومضى الأجل أى الايام الثلاثة أتوا عليا رضى الله عنه فقالوا قل لصاحبك اخرج عنا فقد مضى الأجل فخرج النبى صلى الله عليه وسلم فتبعته ابنة حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنها واسمها



أمامة أو عمارة أو سلمى أو غير ذلك تنادى ياعم ياعم فتناولها على رضى الله عنه وقال لفاطمة رضى الله عنها وهى فى هودجها دونك ابنة عمك وقال على رضى الله عنه للنبى صلى الله عليه وسلم علام نترك ابنة عمنا يتيمة بين ظهرانى المشركين فلم ينهه فخرج بها ثم اختصم فيها على وجعفر وزيد بن حارثة رضى الله عنهم أى فى أنها تكون عند أيهم وكان ذلك بعد أن قدموا المدينة فقال على رضى الله عنه أنا أخذتها وأخرجتها من بين ظهرانى المشركين وقال جعفر ابن أبى طالب هى ابنة عمى وخالتها أسماء بنت عميس تحتى وقال زيد بن حارثة هى ابنة أخى أى لأن النبى صلى الله عليه وسلم آخى بينه و بين حمزة رضى الله عنه فكان لكل فيها شبهة فقضى بها النبى صلى الله عليه وسلم لخالتها وقال الخالة بمنزلة الأم وقال لعلى أنت منى وأنا منك تطيبا لخاطره وقال لجعفر أشبهت خلقى وخلقى وقال لزيد أنت أخونا ومولانا وإنما أقرهم النبى صلى الله عليه وسلم على إخراجها مع اشتراط المشركين أن يرد إليهم من جاء إليه وأن لا يخرج بأحد من أهلها لأنهم لم يطلبوها ولأن النساء المؤمنات لم يدخلن فى ذلك الشرط وتزوج صلى الله عليه وسلم ميمونة رضى الله عنها عند رجوعه وهو حلال بسرف وجاء فى رواية أنه عقد عليها وهو محرم وبنى بها وهو حلال قال المحققون ان ذلك وهم والصحيح الأول واختلف الناس فى تسمية هذه العمرة عمرة القضاء فقال مالك والشافعى

الثوب لأبيك وهذا لعمى وهذا يدل على أن والد جابر رضى الله عنهما استمر لم يقبر إلى ذلك الوقت وهو خلاف ظاهر سياق ما تقدم وفى رواية وجاءت صفية معها بثوبين لحمزة فكان أحدهما لحمزة والآخر لرجل من الأنصار ولعله والد جابر رضى الله عنهما ولعله لما جاءت صفية بالثوبين جعل صلى الله عليه وسلم أحدهما لحمزة والآخر لوالد جابر وترك ثوبى الرجلين وفى رواية كفن حمزة رضى الله عنه بنمرة كانوا إذا مدوها على رأسه انكشفت رجلاه وإن مدوها على رجليه انكشفت رأسه فمدوها على رأسه وجعلوا على رجليه الاذخر وفى لفظ الحرمل أى ويحتاج إلى الجمع بين هاتين الروايتين على تقدير صحتها والمشهور حديث النمرة وقد يقال إنما اختار صلى الله عليه وسلم النمرة على الثوب لأنه كان بها دم الشهادة أو أراد ﷺ أن لا يكون لأحد على حمزة رضى الله عنه منة ويؤيد الأول ما يأتى ولم يكفنوا إلا فى ثيابهم التى قتلوا فيها فليتأمل فان السياق يقتضى أن ذلك إنما هو عن احتياج وسيأتى ما يصرح به وسيأتى ما يعارضه فليتأمل وعن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال قتل مصعب بن عمير رضى الله عنه يوم أحد وكفن فى بردة إن غطى بها رأسه بدت رجلاه وإن غطى بها رجلاه بدت رأسه وفى رواية قتل مصعب بن عمير فلم يترك إلا نمرة إذا غطينا بها رجليه خرج رأسه فقال رسول الله ﷺ غطوا بها رأسه واجعلوا على رجليه الاذخر وكان مصعب بن عمير هذا قبل الاسلام فتى مكة شبابا وجمالا ولباسا وعطرا ولما أسلم رضى الله عنه تشعث وعن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه أنه كان صائما وقد جىء له بطعامه فقال قتل مصعب بن عمير رضى الله عنه وهو خير منى فلم يوجد له ما يكفن فيه إلا بردة إن غطى رأسه بدت رجلاه وإن غطيت رجلاه بدت رأسه وقد بسط لنا من الدنيا ما بسط وأعطينا من الدنيا ما أعطينا وخشيت أن أكون عجلت لنا طيباتنا فى حياتنا الدنيا ثم جعل يبكى حتى ترك الطعام وعن أنس رضى الله عنه قال قلت الثياب وكثرت القتلى فكان الرجل والرجلان والثلاثة فى الثوب الواحد ثم يدفنون فى قبر واحد وقال ﷺ فى حق حمزة رضى الله عنه لولا أن تجزع صفية ونساؤنا أى يتطاول جزعهن ويدوم وفى رواية لولا تجد صفية فى نفسها أى يطول ذلك وتكون سنة من بعدى لتركنا حمزة ولم ندفنه حتى يحشر من بطون الطير والسباع وفى رواية حتى تأكله العافية ويحشر من بطونها ليشتد غضب الله على من فعل به ذلك ثم صلى عليه فكبر أربع تكبيرات ثم أتى بالقتلى يوضعون إلى جنب حمزة أى واحدا بعد واحد فيصلى على كل واحد منهم مع حمزة ثم يرفع ويؤتى بآخر فيصلى عليهم وعليه معهم حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة وفى رواية ثنتين وتسعين صلاة وهذا غريب وسبعين ضعيف والرواية الأولى تقتضى أن جملة من قتل بأحد اثنان وسبعون والرواية الثانية تقتضى أنهم كانوا اثنين وتسعين وقوله واحدا بعد واحد قد يخالف ما تقدم عن أنس رضى الله عنه من جعل الرجلين أو الثلاثة فى كفن واحد فليتأمل وجاء أنه ﷺ كان يصلى على عشرة عشرة أى يؤتى بتسعة وحمزة عاشرهم فيصلى عليهم ثم ترفع التسعة وحمزة مكانه ويؤتى بتسعة أخرى فيوضعون إلى جنب حمزة فيصلى عليهم حتى فعل ذلك سبع مرات وحينئذ يكون

والجمهور لأنه قاضى قريشا سنة الحديبية فالمراد بالقضاء الفصل الذي وقع عليه الحكم لا لأنها قضاء عن العمرة التي صد عنها لأنها لم تكن فسدت حتى يجب قضاؤها بل كانت عمرة تامة وقال أبو حنيفة وأحمد في رواية عنه ان من صد عن البيت فعليه القضاء فتسميتها قضاء على ظاهره والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ذكر خمس سرايا قبل سرية مؤتة﴾

سرية الأخرم بن أبي العوجاء السلمي رضي الله عنه إلى بني سليم في ذي الحجة (٢٦٢) سنة سبع في خمسين رجلا فخرج إليهم فعلم بخروجه عين لبني سليم فأخبرهم بخروجه إليهم وحذرهم فجمعوا لابن أبي العوجاء جمعا كثيرا فأتاهم وهم معدون له فدعاهم إلى الاسلام فقالوا لا حاجة لنا إلى ما دعوتنا إليه فتراموا بالنبل ساعة وأتتهم الأمداد وأحاط الكفار بالمسلمين من كل ناحية وقاتل القوم قتالا شديدا حتى قتل عامتهم وفي رواية قتلوا جميعا حتى أميرهم وقيل تركوه جريحا ثم تحامل حتى بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم في اول يوم من صفر وقيل نجا معه اثنان أو أكثر فعاونوه في الذهاب إلى المدينة والله أعلم

﴿سرية غالب بن عبد الله الليثي رضي الله عنه﴾

إلى بني الملوح بالكديد بفتح الكاف وكسر الدال المهملة وسكون التحتية آخره دال وهو ماء بين عسفان وقديد وكانت في صفر سنة ثمان روى ابن اسحق وغيره عن جندب بن مكيث الجهني رضي الله عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم غالب بن عبد الله على سرية كنت فيها وأمره بشن الغارة على بني الملوح بالكديد فخرجنا حتى إذا كنا بقديد لقينا الحرث بن مالك الليثي المعروف بابن البرصاء فأخذناه فقال إني جئت أريد الاسلام وما خرجت إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا له إن تكن مسلما فلن يضرك رباط يوم وليلة وإن تك غير ذلك كنا قد استوثقنا منك فشددناه وثاقا ثم خلفنا عليه رجلا من أصحابنا أسود وقلنا له إن غارك فاحتز رأسه ثم سرنا حتى أتينا الكديد عند غروب

---

جملة من قتل ثلاثة وستين وسيأتي الكلام على عدتهم وقيل كبر عليهم كبر تسعا وسبعا وخمسا أي بعد أن كبر على حمزة وحده أربعا فلا ينافي ما تقدم ولم أقف على عدد المرات التي كبر فيها ماذكر وجاء أن قتلى أحد لم يغسلهم ولم يصل عليهم ولم يكفنهم إلا في ثيابهم التي قتلوا فيها أي غير الجلود أخذا مما يأتي أي ولا يضر تتميم ستر بعضهم بالاذخر وحينئذ لا يكون تكفين حمزة بنمرته ومصعب ببردته وتتميم تكفينهما بالاذخر عن احتياج كما تقدم عن عبد الرحمن بن عوف وعن أنس رضي الله عنهما أي وقال مغلطاي وصلى على حمزة والشهداء من غير غسل وهذا أي دفنهم من غير غسل إجماع إلا ما شذ به بعض التابعين وفيه نظر ظاهر وقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم قال لقد رأيت الملائكة تغسل حمزة وتقدم أن هذا السياق يقتضي أن هذه رؤيا نوم وحينئذ يظهر التوقف فيما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قتل حمزة جنبا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذكر ولعل الراوي عن ابن عباس ذكر حمزة بدل حنظلة غلطا أما الصلاة عليهم فقال إمامنا الشافعي رضي الله عنه جاءت الأخبار كأنها عيان من وجوه متواترة أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يصل على قتلى أحد وما روي أنه صلى عليهم وكبر على حمزة سبعين تكبيرة لم يصح وقد كان ينبغي لمن عارض بذلك أي بما روي هذه الأحاديث الصحيحة أن يستحيي على نفسه أي فإن من رواة ذلك الحديث الدالة على أنه صلى عليهم سعيد بن ميسرة عن أنس رضي الله عنه وقد قال فيه البخاري انه يروي المناكير وقال ابن حبان يروي الموضوعات ومن جملة رواته أي رواة ذلك الحديث مقسم عن ابن عباس رضي الله عنهما وقد قال فيه البخاري منكر الحديث ومن ثم ذكر ابن كثير أن الذي في البخاري أمره صلى الله عليه وسلم بدفن شهداء أحد بدمائهم ولم يصل عليهم ولم يغسلوا وهو أثبت من صلاته عليهم وأما حديث عتبة بن عامر أي الذي رواه الشيخان وأبو داود والنسائي وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى على قتلى أحد بعد ثمان سنين صلاته على الميت أي دعا لهم كدعائه للميت كالمودع للأحياء والأموات أي حين علم قرب أجله أي فذلك كان توديعا لهم بذلك قال قال السهيلي رحمه الله لم يرد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه صلى على شهيد في شيء من مغازيه إلا في هذه الرواية في أحد وكذلك لم يصل أحد من الأئمة بعده ﷺ اه وفي النور أنه ﷺ صلى على أعرابي في غزوة أخرى وفي البخاري عن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر في قتلى أحد بدفنهم بدمائهم ولم يغسلوا ولم يصل عليهم بكسر اللام وفي رواية ولم يصل عليهم بفتح اللام لا يقال خبر جابر لا يحتج به لأنه نفي وشهادة النفي مردودة مع ما عارضها من خبر الاثبات لأنا نقول شهادة النفي إنما ترد إذا لم يحط بها علم الشاهد ولم تكن محصورة وإلا فتقبل بالاتفاق وهذه قضية معينة أحاط بها جابر وغيره علما واستدل أئمتنا على أن الشهيد لا يغسل ولو كان جنبا بقصة حنظلة رضي الله عنه لأن تغسيل الملائكة لا يكتفى به في إسقاط الحرج عن المكلفين من الانس لعدم تكليفهم بخلاف تغسيل الجن فإنهم مكلفون ودفنوا بثيابهم ونزع عنهم الحديد والجلود أي وأسلم وحشي رضي الله عنه بعد ذلك فإنه في يوم فتح مكة فر إلى الطائف ثم وقدم مع أهل الطائف لما وفدوا ليسلموا

الشمس فكنا في ناحية الوادي وبعثني أصحابي رئية لهم فخرجت حتى أتيت تلا مشرفا على الحاضر فاستندت فيه فعلوت على رأسه فنظرت الى الحاضر فوالله اني لمنبطح على التل اذ خرج رجل من خبائه فقال لامرأته اني لارى على التل سوادا ما رأيته في أول يومي فانظري الى أوعيتك هل تفقدين شيئا لا تكون الكلاب جرت بعضها فنظرت وقالت لا والله أفقد شيئا قال فناوليني قوسي وسهمين فناولته فارسل سهما فما أخطأ بين عيني فنزعته وثبت مكاني فارسل الآخر فوضعه في منكبي فنزعته ووضعته وثبت مكاني فقال لامرأته لو كان رئية لقوم قد خالطه سهماي لا أبا لك اذا أصبحت فابتغيهما فخذيهما لا تمضغهما الكلاب ثم دخل وأمهلناهم حتى اذا اطمأنوا وناموا وكان في وجه السحر شننا عليهم الغارة فقتلنا منهم واستقنا النعم وخرج صريخ القوم فجاءنا قوم لاقبل لنا بهم فمضينا بالنعم ومررنا بابن البرصاء وصاحبه واحتملناهما معنا وادركنا القوم حتى قربوا منا فما بيننا وبينهم الا الوادي قديد فارسل الله الوادي بالسيل من حيث شاء تبارك وتعالى من غير سحابة نراها ولا مطر فجاء بشيء ليس لاحد به قوة ولا يقدر احد أن يجاوزه فوقفوا ينظرون الينا وانا لنسوق نعمهم لا يستطيع رجل منهم أن يمر الينا ونحن نحدوها سراعا حتى فتناهم فلم يقدروا على طلبنا فقدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم والحرث بن مالك هو ابن البرصاء وهي أمه وقيل أم أبيه وهو صحابي رضي الله عنه سكن مكة ثم المدينة وتوفي آخر خلافة معاوية رضي الله عنه وله حديث واحد وهو قوله سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم الفتح لا تغزى مكة بعد اليوم إلى يوم القيامة رواه الترمذي وابن حبان وصححاه والله أعلم (اسلام خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة الحجبي وعمرو بن العاص رضي الله عنهم) قال خالد بن الوليد لما أراد الله عز وجل بي ما راد من الخير قذف في قلبي الاسلام وحضرني رشدي وقلت قد شهدت هذه المواطن كلها على محمد صلى الله عليه وسلم

---

ليسلموا وقد قيل له بعد أن ضاقت عليه ويحك والله انه لا يقتل احدا من الناس دخل دينه قال وحشي فلم يرعه ﷺ الا اني قائم على رأسه أشهد شهادة الحق فقال لي أنت وحشي وسألني كيف قتلت حمزة فاخبرته ثم قال ويحك غيب عني وجهك فلا اراك وفي رواية لا ترني وجهك وفي رواية تفل في وجهي ثلاث تفلات وقيل تفل في الارض وهو وجد مغضب أي وحينئذ لحق بالشام وكان وحشي لا يزال يحد في الخمر في زمن عمر رضي الله عنه حتى خلع من الديوان قال عمر رضي الله عنه قد علمت انه لم يكن الله ليدع قاتل حمزة رضي الله عنه أي لم يكن ليتركه من الابتلاء وهذا أي تكرر حده في شرب الخمر واخراجه من ديوان المجاهدين من أقبح أنواع الابتلاء عافانا الله من ذلك وروى الدارقطني في صحيحه عن سعيد بن المسيب رحمه الله انه كان يقول عجبت لقاتل حمزة كيف ينجو أي من الابتلاء حتى بلغني انه مات غريقا في الخمر أي وذلك مع ما تقدم ابتلاء فظيع له رضي الله عنه (وممن مثل به عبد الله بن جحش) بدعوة دعاها على نفسه فقال أي قبل احد يوم اللهم ارزقني غدا رجلا شديدا بأسه فيقتلني ثم يأخذني فيجدع انفي واذني فاذا لقيتك قلت يا عبد الله فيم جدع انفك واذنك فاقول فيك وفي رسولك فيقول الله صدقت قال وليس هذا من تمني الموت المنهي عنه انتهى أي لان المنهي عنه ان يكون ذلك لضر نزل به فليتأمل وجاء ان عبد الله بن جحش انقطع سيفه يوم احد فاعطاه رسول الله ﷺ عرجون نخلة فصار في يده سيفا وكان يسمى العرجون ودفن هو وخاله حمزة رضي الله عنهما في قبر واحد أي وانما كان حمزة خاله لان أم عبد الله أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ وكان القاتل له أبو الحكم بن الاخنس بن شريق وأبو الحكم هذا قتل كافرا يوم احد وقال ﷺ ادفنوا عبد الله بن عمرو أي وهو والد جابر رضي الله عنهما وعمرو بن الجموح وهو زوج عمة جابر رضي الله عنهم في قبر واحد لما بينهما من الصفاء وعبد الله بن عمرو هذا قد أصابه جرح في وجهه ومات ويده على جرحه فاميطت يده على وجهه فانبعث الدم فردت يده الى مكانها فسكن ويقال ان السيل حفر قبر عبد الله بن عمرو والد جابر رضي الله عنهما وعمرو بن الجموح فوجدا لم يتغيرا كأنهما ماتا بالامس وانه ازيلت يد عمرو عن جرحه ثم ارسلت فرجعت كما كانت وكان ذلك بعد الوقعة لست واربعين سنة وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما انه قال استصرخنا الى قتلانا باحد وذلك حين اجرى معاوية رضي الله عنه العين في وسط مقبرة شهداء احد وامر الناس بنقل موتاهم فاخرجناهم رطابا تنثني اطرافهم وذلك على رأس اربعين سنة ولعله وما قبله لا يخالف قول السهيلي وذلك بعد ثلاثين سنة واصابت المسحاة قدم حمزة رضي الله عنه فانبعث دما وذكر انه فاح من قبورهم مثل ريح المسك وفي لفظ نحو خمسين سنة مع ان ارض المدينة سبخة يتغير الميت في قبره من ليلته أي لان الارض لا تأكل لحوم شهداء المعركة كالانبياء عليهم الصلاة والسلام زاد بعضهم قارىء القرآن والعالم والمحتسب الاذان ويدل للاخير ما في الطبراني من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما المؤذن المحتسب كالمتشحط في دمه لا يدود في قبره أي كشهيد المعركة لا يأكله الدود في القبر وقد نظم هؤلاء الشيخ التتائي المالكي رحمه الله تعالى فقال

فليس موطن اشهده الا انصرف وأنا أرى فى نفسى أنى فى غير شئ وان محمدا يظهر فلما جاء لعمرة القضية تغيبت ولم أشهد دخوله فكان أخى الوليد بن الوليد دخل معه فطلبنى فلم يجدنى فكتب الى كتابا فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فانى لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الاسلام وعقلك عقلك ومثل الاسلام لا يجهله أحد قد سألنى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنك فقال أين خالد فقلت يأتى الله به فقال ما مثله يجهل الاسلام ولو كان  يجعل نكايته مع المسلمين على المشركين كان خيرا له ولقدمناه على غيره فاستدرك يا أخى ما قد فاتك من مواطن صالحة فلما جاءنى كتابه نشطت للخروج وزادنى رغبة فى الاسلام وسرتنى مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأيت فى المنام كأنى فى بلاد ضيقة جدبة فخرجت الى بلاد خضراء واسعة فما أجمعت على الخروج الى المدينة لقيت صفوان بن أمية فقلت يا أبا وهب اما ترى ان محمدا ظهر على العرب والعجم فلو قدمنا عليه واتبعناه فان شرفه شرف لنا فقال لو لم يبق غيرى ما اتبعته أبدا فقلت هذا رجل قتل أبوه وأخوه لبدر فلقيت عكرمة بن أبى جهل فقلت له مثل ما قلت لصفوان فقال مثل الذى قال صفوان قات فاكتم ذكر ما قلت لك قال لا أذكره ثم لقيت عثمان ابن طلحة الحجبي قلت هذا لى صديق فاردت ان أذكر له ثم ذكرت قتل أبيه طلحة وعمه عثمان واخوته الاربع مسافع والحلاس والحرث وكلاب فانهم قتلوا كلهم يوم أحد فكرهت ان أذكر له ثم قلت له إنما نحن بمنزلة ثعلب فى جحر لو صب فيه ذنوب من ماء لخرج ثم قلت له ماقلت لصفوان وعكرمة فاسرع الاجابة وواعدنى ان سبقنى أقام بمحل كذا وان سبقته اليه انتظرته فلم يطلع الفجر حتى التقينا فغدونا حتى انتهينا الى الهدة وهو اسم محل فوجدنا عمرو بن العاص بها فقال مرحبا بالقوم فقلنا وبك قال أين مسيركم قلنا الدخول فى الاسلام قال وذلك الذى اقدمنى وفى لفظ قال عمرو لخالد يا ابا سليمان أين تريد قال والله لقد استقام الميسم أى تبين

لا تأكل الارض جسما للنبى ولا * لعالم وشهيد قتل معترك
ولا لقارىء قرآن ومحتسب * اذانه لاله مجرى الفلك

ودفن خارجة بن زيد وسعد بن الربيع رضى الله عنهما فى قبر واحد لانه كان ابن عمه وولده خارجة وهو زيد بن خارجة الذى تكلم بعد الموت ذكر أن خارجة أخذته الرماح فجرح بضعة عشر جرحا فمر به صفوان بن أمية بن خلف فعرفه فاجهز عليه وقال الآن شفيت نفسى حين قتلت الاماثل من أصحاب محمد قتلت خارجة بن زيد وقتلت أوس بن أرقم وقتلت أبا نوفل ودفن النعمان بن مالك وعبد بنى الحسحاس فى قبر واحد وربما دفنوا ثلاثة فى قبر وصار ﷺ يقول احفروا وأوسعوا وأعمقوا وكان ﷺ يقول أنظروا أكثر هؤلاء جمعا أى حفظا للقرآن فقدموه فى القبر أى فى اللحد واحتمل ناس من المدينة قتلاهم الى المدينة فردهم ﷺ ليدفنوا حيث قتلوا وبه استدل أئمتنا رحمهم الله على حرمة نقل الميت قبل دفنه من محل موته الى محل أبعد من مقبرة محل موته وفيه أنهم قالوا الا أن يكون بقرب مكة أو المدينة أو بيت المقدس نص على ذلك امامنا الشافعى رحمه الله وقد يجاب بان هذا مخصوص بغير الشهيد أما هو فالافضل دفنه بمحل موته ولو بقرب ما ذكر كما بحث ذلك بعض المتأخرين من أئمتنا ويشهد له ما هنا ولا يشكل دفن اثنين أو ثلاثة فى لحد على قول فقهائنا بحرمة جمع اثنين فى لحد ولو الوالد وولده لان محل ذلك حيث لا ضرورة ككثرة الموتى ومشقة الحفر لكل واحد كما هنا (ثم رأيت فى بعض السير) وقد ثبت فى صحيح البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجمع بين الرجلين والثلاثة فى القبر الواحد وانما أرخص لهم فى ذلك لما بالمسلمين من الجراح التى يشق معها ان يحفروا لكل واحد واحد وفى رواية فحملوهم الى المدينة فدفنوهم فى نواحيها فجاء منادى رسول الله ﷺ ردوا القتلى الى مضاجعهم فادرك المنادى واحدا لم يكن دفن فرد وممن دفن أبقوه (ولما أشرف ﷺ) على قتلى أحد قال انا شهيد على هؤلاء وما من جرح يجرح فى الله الا والله يبعثه يوم القيامة يدمى جرحه اللون لون الدم والريح ريح المسك وفى رواية انه ليس مكلوم يكلم فى الله تعالى الا وهو يأتى يوم القيامة لونه أى لون الكلم أى الجرح لون الدم وريحه ريح المسك أى وفى رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ لما أصيب اخوانكم باحد جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم وحسن مقيلهم قالوا ياليت اخواننا يعلمون ما صنع الله بنا لئلا يزهدوا فى الجهاد ولا ينكلوا أى يمتنعوا عن الحرب فقال الله عز وجل أنا أبلغهم عنكم فانزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل احياء الآية وقد بينت فى النفحة العلوية ان الارواح فى البرزخ متفاوتة فى مستقرها أعظم تفاوت فلا تعارض بين الادلة الدالة على تلك الاقوال المختلفة وحينئذ تكون أرواح الانبياء عليهم الصلاة والسلام مع كونها فى الملأ الأعلى متفاوتة فيه وأرواح المؤمنين

الطريق وظهر الامر وان هذا الرجل لنبي فاذهب فاسلم فحتى متى قال عمرو وأنا والله ماجئت الا لأسلم فاصطحبنا جميعا وحدث عمرو ابن العاص رضى الله عنه عن سبب اسلامه كما رواه ابن اسحق وغيره قال عمرو لما انصرفنا عن الخندق جمعت رجالا من قريش كانوا يرون رأيي ويسمعون مني فقلت لهم تعلمون والله أن أمر محمد يعلو الامور علوا منكرا وقد رأيت أن نلحق بالنجاشي فان ظهر محمد فكوننا تحت يده أحب الينا من يد محمد وان ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا فلا يأتينا



منهم الا خير قالوا ان هذا الرأى قلت فاجمعوا ما يهدى له وكان أحب ما يهدى اليه من أرضنا الأدم فجمعنا له أدما كثيرا ثم خرجنا حتى قدمنا عليه فوالله انا لعنده اذ جاءه عمرو بن أمية الضمرى رسوله صلى الله عليه وسلم فى شأن جعفر وأصحابه فدخل عليه ثم خرج فقلت لاصحابى هذا عمرو بن أمية لو دخلت على النجاشى فاعطانيه فضربت عنقه لرأت قريش انى أجرت عنها بقتل رسول محمد فدخلت فسجدت له كما كنت أصنع فقال مرحبا بصديقى أهديت لى من بلادك شيئا قلت له نعم أدما كثيرا وقربته اليه فاعجبه واشتهاه ثم قلت له انى رأيت رسول عدونا خرج من عندك فاعطنيه لاقتله فانه أصاب من أشرافنا وخيارنا فغضب ثم ضرب أنفى ضربة بيده ظننت أنه كسره فلو انشقت لى الارض لدخلت فيها فرقا منه ثم قلت أيها الملك والله لو ظننت انك تكره هذا ما سألته قال اتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الاكبر الذى كان يأتى موسى عليه السلام تقتله قلت أكذاك هو قال ويحك يا عمرو أطعني واتبعه فانه والله لعلى الحق وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده قلت أفتبايعني له على الاسلام قال نعم فبسط يده فبايعته على الاسلام ثم خرجت عامدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقيت خالد بن الوليد وذلك قبل الفتح فصحبته حتى قدمنا المدينة وفى اسلام عمرو على يد النجاشى لطيفة



المؤمنين غير الشهداء أو غير الاطفال منها ما هو سماوى ومنها ما هو أرضى وأرواح الاطفال فى حواصل عصافير الجنة عند جبال المسك وأرواح الشهداء منهم من تكون روحه على باب الجنة ومنهم من تكون داخلها وحينئذ اما أن تكون فى جوف طير أخضر أو طير أبيض ومنهم من تكون روحه على صورة الطير وفى كلام القرطبى رحمه الله قال علماؤنا أرواح الشهداء طبقات مختلفة ومنازل متباينة يجمعها انهم يرزقون أى وتقدم الكلام على رزقهم أى ومن جملة من قتل من الصحابة يوم أحد أبو جابر أى كما تقدم فقال ﷺ لجابر رضى الله عنه يا جابر ألا أخبرك ما كلم الله تعالى أحدا قط لعل المراد من هؤلاء الشهداء كما يرشد اليه السياق الا من وراء حجاب وأنه كلم أباك كفاحا فقال سلنى أعطك فقال أسألك أن أرد الى الدنيا فاقتل فيك ثانية فقال الرب عز وجل انه سبق منى انهم لا يرجعون الى الدنيا قال أى رب فابلغ من ورائى فانزل الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا الآية أى ولا مانع من تعدد النزول للآية فلا يخالف ما تقدم قريبا أى وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال لما قتل أبى جعلت أبكي وأكشف الثوب عن وجهه فجعل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ينهونى والنبي ﷺ لم ينهنى وقال النبي صلى الله عليه وسلم تبكيه أو لا تبكيه مازالت الملائكة عليهم السلام مظلة له باجنحتها حتى رفع أى وسيأتى ان جابرا رضى الله عنه لم يحضر القتال وعن بشير بن عفراء رضى الله عنهما قال أصيب أبى يوم أحد فمر بى النبي ﷺ وأنا أبكي فقال أما ترضى أن تكون عائشة أمك وأكون أنا أباك ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة من بنى دينار قد أصيب زوجها وأخوها وأبوها وفى رواية وابنها يوم أحد فلما نعوا لها قالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى ما فعل به قالوا خيرا يا أم فلان هو بحمد الله كما تحبين قالت أرونيه حتى أنظر اليه فلما رأته صلى الله عليه وسلم قالت كل مصيبة بعدك جلل تريد صغيرة والجلل كما يقال للشىء الصغير يقال للشىء الكبير فهو من الاضداد وفى لفظ انها مرت باخيها وأبيها وزوجها وابنها صرعى وصارت كلما سألت عن واحد وقالت من هذا قيل لها هذا أخوك وابنك وزوجك وأبوك فلم تكترث بذلك بل صارت تقول ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون أمامك حتى جاءته أخذت بناحية ثوبه ثم جعلت تقول بابى أنت وأمى يا رسول الله لا أبالى إذ سلمت من عطب وأصيبت يوم أحد عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته أى فارادوا قطعها فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا فدعاه فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده أى أخذها بيده الشريفة وردها الى موضعها أى براحته الشريفة وقال اللهم اكسه جمالا فكانت أحسن عينيه وأحدهما نظرا وكانت لا ترمد اذا رمدت الاخرى أى وجاء عن قتادة رضى الله عنه انه قال كنت يوم أحد أتقى السهام بوجهى عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان آخرها سهما ندرت منه حدقتى فأخذتها أى رفعتها بيدى أى وقلت يا رسول الله ان لى امرأة أحبها وأخشى أن ترانى تقذرنى أى وقال له صلى الله عليه وسلم ان شئت صبرت ولك الجنة وان شئت رددتها ودعوت الله تعالى لك فقال يا رسول الله ان الجنة لجزاء جزيل وعطاء جليل وانى مغرم بحب النساء وأخاف أن يقلن أعور فلا يردننى ولكن

هى أن صحابيا أسلم على يدتابعى ولا يعرف مثله فلما وصلوا المدينة أناخوا ركابهم بظهر الحرة فاخبر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فسر بهم وقال لاصحابه رمتكم مكة بافلاذ كبدها قال خالد فلبست من صالح ثيابى ثم عمدت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقيت أخى فقال اسرع فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سر بقدومكم وهو ينتظركم فاسرعنا المشي فاطلعت عليه فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم حتى وقفت عليه فسلمت عليه بالنبوة فرد على السلام بوجه طلق فقلت انى أشهد أن لا إله إلا الله وانك لرسول الله قال الحمد لله الذى هداك قد كنت أرى لك عقلا رجوت ان لا يسلمك الا الى خير قلت يارسول الله ادع الله لى يغفر تلك المواطن التى كنت أشهدها عليك فقال صلى الله عليه وسلم الاسلام يجب ما كان قبله وتقدم عثمان وعمرو فاسلما وفى رواية عن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال قدمنا المدينة فانخنا بالحرة فلبسنا من صالح ثيابنا ثم نودى بالعصر فانطلقنا حتى اطلعنا عليه صلى الله عليه وسلم وان لوجهه تهللا والمسلمون حوله قد سروا باسلامنا فتقدم خالد بن الوليد فبايع ثم تقدم عثمان ابن طلحة فبايع ثم تقدمت فوالله ما هو الا أن جلست بين يديه صلى الله عليه وسلم وما استطعت أن أرفع طرفى حياء منه قال فبايعته على أن يغفر لى ماتقدم من ذنبى ولم يحضرنى ما تاخر فقال ان الاسلام يجب ما كان قبله والهجرة تجب ما كان قبلها فوالله ماعدل بى رسول الله صلى الله عليه وسلم و بخالد بن الوليد فى أمر حربه منذ أسلمنا ولقد كنا عند أبى بكر بتلك المنزلة ولقد كنت عند عمر بتلك المنزلة وروى الزبير بن بكار انهم لما قدموا عليه صلى الله عليه وسلم قال عمرو كنت أسن منهما فاردت أن أكيدهما فقدمتهما قبلى للبيعة فبايعا واشترطا أن يغفر لهما ما تقدم من ذنبهما فاضمرت فى نفسي أن أبايع على أن يغفر لى ما تقدم من ذنبى وما تاخر فلما بايعت ذكرت ما تقدم من ذنبى وأنسيت أن أقول وما تاخر وروى الزبير

---

تردها وتسأل الله تعالى لى الجنة فردها ودعالى بالجنة وجاء عن قتادة رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم لما رآها فى كفى أى مرفوعة دمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم ق قتادة كما وقى وجه نبيك بوجهه فاجعلها أحسن عينيه وأحدهما نظرا أى بعد أن ردها الى موضعها براحته الشريفة كما تقدم والى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله فى وصف راحته الشريفة

وأعادت على قتادة عينا * فهى حتى مماته النجلاء

أى وأعادت تلك الراحة الشريفة على قتادة بن النعمان رضى الله عنه عينا له ذهبت فهى إلى مماته الواسعة أى الكثيرة النظر قال الشيخ ابن حجر الهيتمى و يجمع بين رواية العين الواحدة ورواية الثنتين أى فقد جاء فى حديث غريب أصيبت عيناى فسقطتا على وجنتى فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعادهما و بصق فيهما فعادتا تبرقان بأن أحد الرواة ظن ان الساقطة واحدة و بعضهم ان الساقط ثنتان فاخبر كل بحسب علمه ومن قواعدهم ان زيادة الثقة مقبولة وبها تترجح رواية إحدى الثنتين هذا كلامه فليتأمل وكون ذلك كان يوم أحد هو المشهور وقيل يوم الخندق وقد حكى أبو عمر ابن عبد البر أن رجلا من ولد قتادة قدم على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فقال له من الرجل فقال

انا ابن الذى سالت على الخد عينه * فردت بكف المصطفى أحسن الرد

فعادت كما كانت لأول أمرها * فياحسن ماعين وياحسن مارد

فقال عمر بن عبد العزيز

تلك المكارم لاقعبان من لبن * شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

فوصله عمر وأحسن جائزته ورمى كلثوم بن الحصين بسهم فى نحره فجاء الى رسول الله ﷺ فبصق عليه فبرأ وحضرت الملائكة عليهم السلام يوم أحد ولم تقاتل قال و يؤيده قول مجاهد رحمه الله لم تقاتل الملائكة الا يوم بدر لكن جاء عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال رأيت عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان عنه كأشد القتال وما رأيتهما قبل ولا بعد أى وهما جبريل وميكائيل عليهما السلام ولا منافاة فقد قال البيهقى رحمه الله لم يقاتلوا يوم أحد عن القوم أى فلا ينافى انهم قاتلوا عنه صلى الله عليه وسلم خاصة اه (أقول) و يجوز أن يكون المراد بمقاتلتهما دفعهما عنه صلى الله عليه وسلم وفيه انه جاء عن الحرث بن الصمة رضى الله عنه قال سألنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى الشعب عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه فقلت رأيته فى جنب الجبل فقال الملائكة تقاتل معه قال الحرث فرجعت الى عبد الرحمن فاذا بين يديه سبعة صرعى فقلت ظفرت يمينك أكل هؤلاء قتلت قال اما هذا وهذا فانا قتلتهما واما هؤلاء فقتلهم من لم أره فقال صدق الله ورسوله أى ومقاتلة الملائكة عن خصوص عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه لا ينافى مقاتلتهم يوم بدر عن عموم القوم وفى الامتاع كان قد نزل قبل ان يخرج ﷺ الى أحد قوله تعالى ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا

ويأتوكم

ابن بكار ان رجلا قال لعمرو بن العاص رضي الله عنه ما أبطأ بك عن الاسلام وأنت أنت في عقلك قال كنا مع قوم لهم علينا تقدم
وكانوا ممن توازي أحلامهم الجبال فلذ نا بهم فلما ذهبوا وصار الأمر الينا نظرنا وتدبرنا فاذا حق بين فوقع الاسلام في قلبي وكان عمرو
رضي الله عنه أمير مصر في خلافة عمر رضي الله عنه وهو أحد دهاة العرب توفي سنة ثلاث وأربعين من الهجرة على الصحيح عن نحو
تسعين سنة وروى الخطيب مرفوعا يقدم عليكم الليلة رجل حكيم فقدم عمرو مهاجرا  وأما خالد بن الوليد رضي الله عنه

فهو أحد الأشراف كانت اليه أعنة الخيل في الجاهلية وشهد مع قريش الحروب إلى الحديبية وكان على خيل قريش طليعة كما تقدم ثم صار سيف الله ولم يزل صلى الله عليه وسلم يوليه أعنة الخيل روى أبو يعلى لا تؤذوا خالدا فانه سيف من سيوف الله صبه الله على الكفار وعزماته يوم مؤته ويوم قتال أهل الردة وفي بدء فتوح العراق وجميع فتوح الشام أكثر من أن تحصى إذا كان له فيها العناء العظيم الحفيل والبلاء الحسن الجميل روى أبو زرعة الدمشقي مرفوعا نعم عبد الله وأخو العشيرة خالد بن الوليد سيف من سيوف الله سله الله على الكفار وروى سعيد بن منصور عن خالد رضي الله عنه قال اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعلها عمرة الجعرانة فحلق رأسه فابتدر الناس شعره فسبقتهم إلى ناصيته فجعلتها

في هذه القلنسوة فلم أشهد قتالا وهي معي الا تبين لي النصر ورواه أبو يعلى بلفظ فما وجهت في وجه الا فتح والاكثر على انه مات بحمص
سنة احدى وعشرين وعمره بضع وأربعون سنة وقيل توفي بالمدينة النبوية روى ابن المبارك عن خالد رضي الله عنه انه قال لما حضرته
الوفاة لقد طلبت القتل في مظانه فلم يقدر لي الا أن أموت على فراشي وأما عثمان بن طلحة بن أبي طلحة عبد الله بن عبد العزى بن
عثمان بن عبد الدار بن قصي العبدري فهو حاجب البيت وصاحب المفتاح في الجاهلية والاسلام ووقع في تفسير الثعلبي بلا سند انه

ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين فلم يصبروا وانكشفوا فلم
يمد رسول الله صلى الله عليه وسلم بملك واحد يوم أحد فليتأمل والله أعلم ولما قتل مصعب بن عمير رضي الله
عنه وسقط اللواء أخذه ملك في صورة مصعب أي فانه لما قطعت يده اليمنى أخذ اللواء بيده اليسرى
أي وهو يقول وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية فلما قطعت جثى على اللواء وضمه
بعضديه إلى صدره وهو يقول وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية ولم تكن هذه الآية نزلت
بل قالها لما سمع قول القائل قتل محمد وانما نزلت أي بعد قوله في ذلك اليوم كما في الدر فهو من القرآن
الذي نزل على لسان بعض الصحابة ثم قتل أي وهذا الاينافي ما تقدم من انه قاتل دونه صلى الله عليه وسلم
فقتله ابن قمئة لعنه الله وهو يظنه رسول الله صلى الله عليه وسلم أوقتله أبي بن خلف لعنه الله لانه يجوز ان
يكون قتله وهو على هذه الكيفية المذكورة ثم رأيت في بعض الروايات ان ابن قمئة فعل به هذه الكيفية
أي ثم قتله وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للملك الذي على صورة مصعب تقدم يا مصعب
فالتفت اليه الملك فقال لست بمصعب فعرف صلى الله عليه وسلم انه ملك أيد به وفي رواية ان عبد
الرحمن بن عوف رضي الله عنه لما سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول أقدم مصعب قال يارسول الله
ألم يقتل مصعب قال بلى ولكن ملك قام مقامه وتسمى باسمه أي فلا ينافي ذلك قول الملك له صلى الله
عليه وسلم لما قال له تقدم يا مصعب لست بمصعب لان مراده لست بمصعب الذي هو صاحبكم ورأيت في
رواية انه لما سقط اللواء أخذه أبو الروم أخو مصعب ولم يزل في يده حتى دخل المدينة فليتأمل ووجود
هذا الملك يخالف ما تقدم عن الامتاع من انه صلى الله عليه وسلم لم يمد بملك واحد ولما أراد صلى الله عليه
وسلم أن يتوجه إلى المدينة ركب فرسه وخرج المسلمون حوله عامتهم جرحى أي ومعه أربع عشرة
امرأة فلما كانوا باصل أحد قال صلى الله عليه وسلم اصطفوا حتى أثني على ربي عز وجل فاصطف الرجال
خلفه صفوفا وخلفهم النساء فقال اللهم لك الحمد كله اللهم لا قابض لما بسطت ولا باسط لما قبضت
ولا هادي لمن أضللت ولا مضل لمن هديت ولا معطي لما منعت ولا مانع لما أعطيت ولا مقرب لما
أبعدت ولا مبعد لما قربت الحديث ثم توجه صلى الله عليه وسلم للمدينة فلقيته حمنة بنت جحش بنت
عمته صلى الله عليه وسلم أخت زينب بنت جحش أم المؤمنين رضي الله عنها فقال لها صلى الله عليه
وسلم احتسبي قالت من يارسول الله قال خالك حمزة قالت انا لله وانا اليه راجعون غفر الله له هنيئا له
الشهادة ثم قال لها احتسبي قالت من يارسول الله قال أخاك عبد الله بن جحش قالت انا لله وانا اليه
راجعون غفر الله له هنيئا له الشهادة ثم قال لها احتسبي قالت من يارسول الله قال زوجك مصعب بن
عمير فقالت واحزناه وصاحت وولولت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان زوج المرأة لبمكان ماهو
لاحد لما رأى من تثبتها على أخيها وخالها وصياحها على زوجها ثم قال لها لم قلت هذا قالت تذكرت يتم
بنيه فراعني فدعا لها صلى الله عليه وسلم ولولدها أن يحسن الله تعالى عليهم الخلف فتزوجت طلحة
ابن عبيد الله فكان أوصل الناس لولدها وولدت له محمد بن طلحة قال وجاءت أم سعد بن معاذ تعدو نحو

اسلم يوم الفتح بعد ان دفع له المفتاح قال الحافظ ابن حجر فى الاصابة وهو منكر والمعروف انه اسلم وهاجر مع عمرو وخالد وبه جزم غير واحد ثم سكن المدينة وبهامات سنة اثنتين وأربعين وقيل استشهد باجنادين قال العسكرى وهو باطل والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ سرية غالب بن عبد الله الليثى رضى الله عنه أيضا ﴾ لما رجع رضى الله عنه من سرية الكديد مؤيدا منصوراً بعثه صلى الله عليه وسلم إلى موضع مصاب  أصحاب بشير بن سعد بفدك فى صفر سنة ثمان روى ابن سعد أنه صلى الله عليه وسلم هيا الزبير بن العوام رضى الله عنه وقال له سر حتى تنتهى إلى مصاب أصحاب بشير فان أظفرك الله بهم فلا تبق فيهم وهيا معه مائتى رجل وعقد له لواء فقدم غالب بن عبد الله من سرية الكديد وقد أظفره الله عليهم فقال صلى الله عليه وسلم للزبير اجلس وبعث غالبا ومعه مائتا رجل فأغاروا عليهم مع الصبح وذلك انه لما دنا منهم بعث الطلائع ومعهم علبة بن الحرث الى محالهم فاشرف على جماعة منهم ثم رجع وأخبره الخبر وروى ابن سعد عن حويصة رضى الله عنه قال بعثنى صلى الله عليه وسلم فى سرية مع غالب إلى بنى مرة فأغرنا عليهم مع الصبح وقد أخذ علينا أميرنا ان لا نفترق وآخى بيننا وقال لا تعصونى فانه صلى الله عليه وسلم قال من أطاع أميرى فقد أطاعنى ومن عصاه فقد عصانى وانكم متى ما تعصونى فانكم تعصون نبيكم فآخى بينى وبين أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه فاصبنا القوم وروى انه لما دنا من القوم حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال أما بعد فانى أوصيكم بتقوى الله وحده لا شريك له وان تطيعونى ولا تعصونى ولا تخالفوا لى أمرا فانه لا رأى لمن لا يطاع ثم ألف بين كل اثنين وقال لهم لا يفارق أحد منكم زميله وإذا كبرت فكبروا فلما أحاط بالقوم كبر غالب فكبروا معه وجردوا السيوف فخرج الرجال فقاتلوا ساعة ووضع المسلمون فيهم السيف وكان شعارهم أمت أمت وقتلوا منهم قتلى وأصابوا منهم نعما وشاء وذرية فساقوها وكانت سهامهم

---

رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على فرسه وسعد بن معاذ آخذ بلجامها فقال له سعد يا رسول الله أمى فقال ﷺ مرحبا بها فوقف لها فدنت حتى تأملت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعزاها رسول الله ﷺ بابنها عمرو بن معاذ فقالت أما إذا رأيتك سالما فقد اشتويت المصيبة أى استقليتها ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل من قتل باحد أى بعد ان قال لأم سعد يا أم سعد أبشرى وبشرى أهلهم ان قتلاهم ترافقوا فى الجنة جميعا وقد شفعوا فى أهلهم جميعا قالت رضينا يا رسول الله ومن يبكى عليهم بعد هذا ثم قالت يا رسول الله ادع لمن خلفوا فقال اللهم اذهب حزن قلوبهم واجبر مصيبتهم وأحسن الخلف على من خلفوا وسمع ﷺ نساء الأنصار يبكين على أزواجهن أى وأبنائهن واخوانهن فقال حمزة لا بواكى له أى وبكى ﷺ ولعله رضى الله عنه لم يكن له بالمدينة لا زوجة ولا بنت فأمر سعد بن معاذ نساءه ونساء قومه أن يذهبن إلى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكين حمزة بين المغرب والعشاء أى وكذلك أسيد بن حضير أمر نساءه ونساء قومه ان يذهبن إلى بيت رسول الله ﷺ يبكين حمزة أى ولما جاء صلى الله عليه وسلم بيته حمله السعدان وأنزلاه عن فرسه ثم اتكأ عليهما حتى دخل بيته ثم أذن بلال لصلاة المغرب فخرج رسول الله ﷺ على مثل تلك الحال يتوكأ على السعدين فصلى صلى الله عليه وسلم فلما رجع من المسجد من صلاة المغرب سمع البكاء فقال ما هذا فقيل نساء الأنصار يبكين حمزة فقال رضى الله عنكن وعن أولادكن وأمر أن ترد النساء إلى منازلهن وفى رواية خرج عليهن أى بعد ثلث الليل لصلاة العشاء فان بلالا أذن بالعشاء حين غاب الشفق فلم يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ذهب ثلث الليل نادى بلال الصلاة يا رسول الله فقام من نومه وخرج وهن على باب المسجد يبكين حمزة رضى الله عنه ولا يخالف ما سبق لان بيت عائشة رضى الله عنها كان ملاصقا للمسجد فقال لهن ارجعن رحمكن الله لقد واسيتن معى رحم الله الأنصار فان المواساة فيهم كما علمت قديمة أى ولا منافاة لانه يجوز أن يكون الأمر عند رجوعه من صلاة المغرب كان لطائفة وبعد ثلث الليل كان لطائفة أخرى وصارت الواحدة من نساء الانصار بعد لا تبكى على ميتها إلا بدأت بالبكا على حمزة رضى الله عنه ثم بكت على ميتها ولعل المراد بالبكا النوح وباتت وجوه الأوس والخزرج تلك الليلة على بابه ﷺ بالمسجد يحرسونه خوفا من قريش أن تعود إلى المدينة وجاء انه صلى الله عليه وسلم نهى نساء الأنصار عن النوح وقال له الأنصار يا رسول الله بلغنا انك نهيت عن النوح وانما هو شىء نندب به موتانا ونجد فيه بعض الراحة فاذن لنا فيه فقال ﷺ ان فعلن فلا يخمشن ولا يلطمن ولا يحلقن شعرا ولا يشققن جيبا وجاء انه فى يوم أحد دفع على كرم الله وجهه سيفه لفاطمة رضى الله عنها وقال لها اغسليه غير ذميم فقال صلى الله عليه وسلم ان تكن أحسنت فقد أحسن فلان وفلان وعدد جماعة أى منهم سهل بن حنيف وأبو دجانة وما روى عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم فى يوم أحد دفع سيفه ذا الفقار لابنته فاطمة رضى الله عنها وقال لها اغسلى عنه دمه لقد صدقنى اليوم وناولها على كرم الله وجهه

عشرة أبعرة لكل رجل أوعدلها من الغنم لكل بعير عشرة والله أعلم * ثم سرية شجاع بن وهب الأسدي رضى الله عنه) * إلى جمع
من هوازن يقال لهم بنو عامر بالسيء بكسر السين المهملة ثم همزة ممدودة وهو ماء من ذات عرق على ثلاثة مراحل من مكة فى شهر
ربيع الأول سنة ثمان ومعه أربعة وعشرون رجلا وأمره أن يغير عليهم فكان يسير الليل ويكمن النهار حتى صبحهم فأصابوا
نعما كثيراً وشاء واستاقوا ذلك حتى قدموا المدينة وكانت غيبتهم خمس عشرة  ليلة واقتسموا الغنيمة وكانت

سهامهم خمسة عشر بعيرا وعدلوا البعير بعشر من الغنم والله أعلم (ثم سرية كعب بن عمير الغفاري رضى الله عنه الى ذات اطلاح من أرض الشام وراء ذات القرى فى ربيع الأول سنة ثمان فى خمسة عشر رجلا فساروا حتى انتهوا إلى ذات اطلاح فوجدوا جمعا كثيراً وكان يكمن النهار ويسير الليل حتى دنا من القوم فرآه عين لهم فأخبر بقلة الصحابة فجاؤا على الخيل فدعاهم المسلمون إلى الاسلام فلم يستجيبوا لهم ورشقوهم بالنبل فقاتلهم الصحابة أشد القتال حتى قتلوا ونجا منهم رجل جريح فى القتلى قال ابن سعد هو الأمير فلما برد عليه الليل تحامل حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر فشق عليه ذلك وهم بالبعث إليهم فبلغه أنهم ساروا إلى موضع آخر فتركهم والله أعلم * (ثم سرية مؤتة) *

وسماها البخاري وابن اسحق غزوة مؤتة لكثرة جيش المسلمين فيها وان لم يخرج فيها النبي ﷺ وهى بضم الميم وسكون
الواو والهمز بدلها آخرها هاء وهى من عمل البلقاء وهى مدينة معروفة بالشام على مرحلتين من بيت المقدس وكانت فى جمادى
الأولى سنة ثمان وسببها أن النبي ﷺ كان أرسل الحرث بن عمير الازدى بكتاب إلى أمير بصرى من جهة هرقل وهو الحرث
ابن أبي شمر الغساني فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فقال له أين تريد فقال الشام فقال لعلك من رسل محمد قال

وجهه سيفه وقال وهذا فاغسلي عنه دمه فوالله لقد صدقني اليوم فقال ﷺ لعلى كرم الله
وجهه لئن صدقت القتال لقد صدق معك سهيل بن حنيف وأبو دجانة وعن ابن عقبة لما
رأى رسول الله ﷺ سيف على كرم الله وجهه مختضبا دما قال ان تكن أحسنت القتال فقد
أحسن عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح والحرث بن الصمة وسهل بن حنيف وكونه ﷺ دفع
سيفه لابنته فاطمة رضي الله عنها رده الامام أبو العباس بن تيمية بأنه صلى الله عليه وسلم لم
يقاتل فى ذلك اليوم بسيف لكن فى النور أن هذا الحديث لم يتعقبه الذهبي قال ففيه رد على ابن
تيمية هذا كلامه فليتأمل والأكثر على أن الذين قتلوا يوم أحد من المسلمين سبعون أربعة من
المهاجرين وهم حمزة ومصعب وعبدالله بن جحش وشماس بن عثمان وقيل ثمانون أربعة وسبعون
من الأنصار وستة من المهاجرين قال الحافظ ابن حجر لعل الخامس سعد مولى حاطب بن أبي
بلتعة والسادس ثقيف بن عمرو حليف بني عبدشمس وعدهم فى الأصل ستة وتسعين وهذا لا
يناسب ما تقدم فى بدر من قوله ﷺ إن شئتم أخذتم منهم الفداء ويستشهد منكم سبعون بعد
ذلك وقتل من المشركين ثلاثة وعشرون وقيل اثنان وعشرون (أقول) أنظر هذا مع ما تقدم من أن
حمزة وحده قتل واحدا وثلاثين ورأيت فى الطبقات لمولانا الشيخ عبدالوهاب الشعراني نفعنا الله
ببركاته أن أويسا القرني كان مشغولا بخدمة والدته فلذلك لم يجتمع بالنبي ﷺ وقد روى أنه
اجتمع به مرات وحضر معه وقعة أحد وقال والله ما كسرت رباعيته ﷺ حتى كسرت
رباعيتي ولا شج وجهه الشريف حتى شج وجهي ولا وطىء ظهره حتى وطىء ظهري قال هكذا رأيت
هذا الكلام فى بعض المؤلفات والله أعلم بالحال هذا كلامه ولم أقف على انه عليه الصلاة والسلام
وطىء ظهره فى غزوة أحد فان مجموع ما دلت عليه الأخبار أنه ﷺ شج وجهه وكسرت رباعيته
وجرحت وجنتاه وشفته السفلى من باطنها ووهى منكبه وجحشت ركبته ثم رأيت بعض المؤرخين
ذكر أن سيدنا عمر رضى الله عنه سمع بعد وفاة النبي ﷺ يقول وهو يبكي بأبي أنت وأمي
يارسول الله لقد بلغ من فضلك عند ربك أن جعل طاعتك طاعته فقد قال تعالى من يطع الرسول
فقد أطاع الله بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند ربك أن أخبرك بالعفو عنك قبل
أن يخبرك بذنبك فقال عفا الله عنك لم أذنت لهم إلى أن قال فلقد وطىء ظهرك وأدمى وجهك
وكسر رباعيتك فأبيت أن تقول إلا خيراً فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ومما يدل على أن
أويسا لم يجتمع بالنبي ﷺ ما تقدم من قوله ﷺ خير التابعين رجل يقال له أويس
القرني وما أخرجه البيهقي عن عمر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال سيكون فى التابعين
رجل من قرن يقال له أويس بن عامر وفى رواية أن عمر قال لأويس استغفر لي فقال كيف استغفر
لك وأنت صاحب رسول الله ﷺ فقال له عمر رضى الله عنه سمعت رسول الله ﷺ
يقول إن خير التابعين رجل يقال له أويس والمراد من خير التابعين كما فى بعض الروايات فلا ينافى

ثم فأمر به فأوثق رباطا ثم قدمه فضرب عنقه ولم يقتل لرسول الله ﷺ رسول غيره فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مولاه زيد بن حارثة رضى الله عنه على ثلاثة آلاف وندب رسول الله ﷺ الناس وقال إن قتل زيد فالأمير جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه فان قتل فعبد الله بن رواحة فان قتل فليرتض المسلمون رجلا من بينهم يجعلونه عليهم أميرا وكان ممن حضر يهودى اسمه النعمان فقال يا محمد إن كنت سميت من سميت أصيبوا جميعا لأن أنبياء بنى إسرائيل كانوا إذا استعملوا الرجل على القوم ثم قالوا ان أصيب فلان فلو سموا مائة أصيبوا جميعا ثم جعل يقول لزيد اعهد أى أوص فانك لا ترجع الى محمد إن كان نبيا قال زيد أشهد أنه رسول صادق بار وعقد لهم صلى الله عليه وسلم لواء أبيض ودفعه الى زيد وأوصاهم أن يأتوا مقتل الحرث بن عمير وأن يدعو من هناك إلى الاسلام فان أجابوا و إلا فاستعينوا عليهم بالله وقاتلوهم فأسرع الناس بالخروج وعسكروا بالجرف وهو موضع على ثلاثة أميال من المدينة لجهة الشام وخرج صلى الله عليه وسلم مشيعا لهم حتى بلغ ثنية الوداع فوقف وودعهم وقال أوصيكم بتقوى الله وبمن معكم من المسلمين خيرا اغزوا باسم الله فى سبيل الله من كفر بالله لا تغدروا ولا تغلوا ولا تقتلوا وليدا ولا امرأة ولا كبيرا فانيا ولا منعزلا بصومعة ولا تقربوا نخلا ولا تقطعوا شجرا ولا تهدموا بناء ولما ودع ابن رواحة بكى رضى الله عنه فقالوا ما يبكيك فقال أما والله ما بى حب أصحاب الدنيا ولا صبابة بكم ولكنى سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا فلست أدرى كيف لى بالصدر بعد الورود فلما ساروا نادى المسلمون دفع الله عنكم وردكم صالحين غانمين فقال عبد الله بن رواحة رضى الله عنه

لكننى أسأل الرحمن مغفرة * وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا
أو طعنة بيدى حران مجهزة * بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا

---

ما نقل عن أحمد بن حنبل وغيره أن أفضل التابعين سعيد بن المسيب ومما يدل على أن أويسا لم يكن موجودا فى زمنه ﷺ ما جاء فى الجامع الصغير سيكون بعدى فى أمتى رجل يقال له أويس القرنى وان شفاعته فى أمتى مثل ربيعة ومضر وفى أسد الغابة أن أويسا أدرك النبى ﷺ ولم يره وسكن الكوفة وهو من كبار تابعى الكوفة وكان يسخر به ووفد رجل ممن كان يسخر به مع جماعة من أهل الكوفة على عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال عمر هل ههنا أحد من القرنيين فجاء ذلك الرجل فقال له عمر إن رسول الله ﷺ قد قال ان رجلا يأتيكم من اليمن يقال له أويس القرنى وقد كان به بياض فدعا الله تعالى فأذهب عنه الا قدر الدينار أو الدرهم فمن لقيه منكم فمروه أن يستغفر لكم فأقبل ذلك الرجل لما قدم الكوفة الى أويس قبل أن يأتى أهله فقال له أويس ما هذا بعادتك قال سمعت عمر رضى الله عنه يقول كذا وكذا فاستغفر لى قال لا أفعل حتى تجعل لى عليك أن لا تسخر بى ولا تذكر قول عمر لأحد فالتزم له ذلك فاستغفر له وقتل أويس يوم صفين مع على كرم الله وجهه ولما وصل صلى الله عليه وسلم المدينة أظهر المنافقون واليهود الشماتة والسرور وصاروا يظهرون أقبح القول أى ومنه ما محمد إلا طالب ملك ما أصيب بمثل هذا نبى قط أصيب فى بدنه وأصيب فى أصحابه ويقولون لو كان من قتل منكم عندنا ما قتل واستأذنه ﷺ عمر فى قتل هؤلاء المنافقين فقال أليس يظهرون شهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله قال بلى ولكن تعوذا من السيف فقد بان أمرهم وأبدى الله تعالى أضغانهم فقال ﷺ نهيت عن قتل من أظهر ذلك وصار ابن أبى لعنه الله يوبخ ابنه عبد الله رضى الله عنه وقد أثبتته الجراحة فقال له ابنه الذى صنع الله لرسوله والمسلمين خير قال وكانت عادة عبد الله بن أبى ابن سلول إذا جلس صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة على المنبر قام فقال أيها الناس هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهركم أكرمكم الله تعالى به وأعزكم فانصروه وعزروه واسمعوا له وأطيعوا ثم يجلس فبعد أحد أراد أن يفعل كذلك فلما قام أخذ المسلمون بثوبه من نواحيه وقالوا له اجلس عدو الله والله لست لذلك بأهل وقد صنعت ما صنعت فخرج وهو يتخطى رقاب الناس وهو يقول كأنى انما قلت هجرا وقال له بعض الأنصار ارجع يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله ما أبتغى أن يستغفر لى وأنزل الله تعالى قصة أحد فى آل عمران قوله تعالى وإذ غدوت من أهلك تبوىء المؤمنين مقاعد للقتال الآية

## ﴿ غزوة حمراء الأسد ﴾

لما كان صبيحة قدومه صلى الله عليه وسلم من أحد أذن مؤذنه ﷺ أن يخرجوا خلف قريش وأن لا يخرج إلا من حضر أحد وذلك إرهابا للعدو وليبلغهم أنه صلى الله عليه وسلم خرج فى طلبهم ليظنوا به ﷺ قوة وأن الذى أصابهم لم يوهنهم أى يضعفهم عن عدوهم قال وقيل لأنه ﷺ بلغه أن أبا سفيان يريد أن يرجع بقريش إلى المدينة ليستأصلوا من بقى من

أصحاب رسول الله ﷺ فقد بلغه ان المشركين قالوا له لا محمدا قتلتم ولا الكواعب أردفتم
بئس ما صنعتم ارجعوا أى وفى لفظ أنهم لما بلغوا بعض الطريق قدموا فقالوا بئس ما صنعتم انكم
قتلتموهم حتى اذا لم يبق الا الشريد تركتموهم ارجعوا فاستأصلوهم قبل أن يجدوا قوة وشوكة
فقذف الله فى قلوبهم الرعب ويذكر ان عبدالله بن عوف جاء إلى النبي ﷺ صبيحة قدومه
صلى الله عليه وسلم من أحد وأخبره انه أقبل من أهله حتى إذا كان بمحل كذا إذا قريش قد نزلوا به
فسمع أباسفيان وأصحابه يقولون ما صنعتم شيئا قد بقي منهم رؤس يجمعون لكم فارجعوا نستأصل
من بقى وصفوان بن أمية يأبي ذلك عليهم ويقول ياقوم لا تفعلوا فانى أخاف أن يجمع عليكم من
تخلف عن الخروج فارجعوا والدولة لكم فانى لا آمن ان رجعتم أن تكون الدولة عليكم فقال صلى الله
عليه وسلم أرشدهم صفوان وما كان يرشد فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعمر رضى الله
عنهما وذكر لهما الخبر أى ما أخبر به عبدالله بن عوف فقالا يارسول الله اطلب العدو لا يقتحمون على
الذرية فلما انصرف رسول الله ﷺ من صلاة الصبح ندب الناس وأمر بلالا ينادى ان
رسول الله ﷺ يأمركم بطلب عدوكم ولا يخرج الا من حضر القتال بالأمس انتهى وعند
تهيئه ﷺ للخروج جاء جابر بن عبدالله رضى الله عنهما فقال يارسول الله انما تخلفت عن
أحد لأن أبى خلفنى على أخوات لى سبع أى وقيل وهو الصحيح انهن تسع وقال يابنى انه لا ينبغى لى
ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن ولست بالذى أوثرك بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم لعل الله يرزقنى الشهادة فتخلف على اخواتك فاستخلفت عليهن واستأثر على بالشهادة فائذن لى
يارسول الله معك فأذن له رسول الله ﷺ ولم يخرج معه أحد لم يشهد القتال بالأمس غيرى
واستأذنه رجال لم يحضروا القتال أى منهم عبدالله بن أبى قال له أنا راكب معك فأبى ذلك عليهم رسول
الله ﷺ ودعا رسول الله ﷺ بلوائه وهو معقود لم يحل فدفعه لعلى بن أبى طالب كرم
الله وجهه ويقال لأبى بكر الصديق رضى الله عنه واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم وركب
رسول الله ﷺ فرسه أى المسمى بالسكب ولم يكن مع أصحابه فرس سواه وعليه الدرع والمغفر
وما يرى الاعيناه ( ) وخرج الناس معه أى جميع من كان معه ﷺ فى أحد وعن
عائشة رضى الله عنها انها قالت فى قوله تعالى الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح
الآية قالت لعروة بن الزبير يا ابن أختى كان أبوك الزبير رضى الله عنه وأبو بكر لما أصاب نبى الله
ما أصاب يوم أحد وانصرف عنه المشركون خاف أن يرجعوا فقال من يرجع فى أثرهم فانتدب منهم
سبعون رجلا قال ابن كثير وهذا السياق غريب جدا فان المشهور عند أصحاب المغازى ان الذين
خرجوا من رسول الله ﷺ الى حمراء الأسد كل من شهد أحدا وكانوا سبعمائة كما تقدم قتل منهم
سبعون وبقى الباقى هذا كلامه فليتأمل مع ما تقدم قال والظاهر انه لا تخالف لأن معنى قولها يعنى عائشة
انهم سبقوا غيرهم ثم تلاحق بهم الباقون وخرجوا بهم الجراحات ولم يعرجوا على دواء جراحاتهم

حتى يقال اذا مروا على جدثى * ياأرشد الله من غاز وقد رشدا وفى رواية ان عبدالله بن رواحة لما اراد وداع النبى صلى الله
عليه وسلم وفراقه قال له النبي صلى الله عليه وسلم قل شعرا تقتضبه اقتضابا أى من غير روية فقال انى تفرست فيك الخير نافلة
فراسة خالفت فيك الذى نظروا أنت الرسول فمن يحرم نوافلة * والوجه منه فقد أزهى به القدر فثبت الله ما أتاك من حسن *
تثبيت موسى ونصر كالذى نصروا فقال له صلى الله عليه وسلم وأنت فثبتك الله يا ابن رواحة وروى الامام
أحمد عن ابن عباس رضى الله عنهما أن ابن رواحة تخلف حتى صلى الجمعة مع النبى صلى الله عليه وسلم فلما صلى رآه قال ما منعك أن تغدو مع أصحابك قال أردت أن أصلى معك الجمعة ثم ألحقهم فقال صلى الله عليه وسلم لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما أدركت غدوتهم وفى رواية الغدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها فلما فصلوا من المدينة سمع العدو بمسيرهم وقام شرحبيل بن عمرو الغسانى فجمع أكثر من مائة ألف وقدم الطلائع أمامه فلما نزل المسلمون وادى القرى بعث أخاه سدوس بن عمرو فى خمسين من الكفار فاقتتلوا مع المسلمين وقتل سدوس وانكشف أصحابه ونزل المسلمون معان وبلغهم كثرة العدو فأقاموا على معان ليلتين ومعان بفتح الميم موضع أو جبل من أرض الشام وبلغ
المسلمين ان هرقل نزل بأرض البلقاء فى مائة ألف من مشركى الروم مع ما انضم اليهم من لخم وجذام وقيس وبهرام يبلغون مائة
ألف وهم الذين جمعهم شرحبيل وجاء فى رواية ان القوم كانوا مائتى ألف من الروم وخمسين ألفا من العرب ومعهم خيول كثيرة فقال
المسلمون نكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره الخبر فاما أن يمدنا بالرجال واما أن يأمرنا بأمر فنمضى له فشجعهم عبدالله بن
رواحة رضى الله عنه على المضى وقال ياقوم والله ان التى تكرهون للتى خرجتم اياها تطلبون الشهادة وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة

ولا كثرة ما نقاتلهم الا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به فانطلقوا فانما هي احدى الحسنيين اما ظهور واما شهادة فقال الناس قد والله صدق ابن رواحة رضى الله عنه فمضوا إلى مؤتة و وافاهم المشركون فجاء منهم من لا قبل لأحد به من العدد الكثير الزائد على مائتى ألف والسلاح والكراع أى الخيل والديباج والحرير والذهب اظهارا للقوة والشدة بكثرة أموالهم وآلات حروبهم وفى هذا دليل على فرط شجاعة الصحابة رضى الله عنهم وقوة قلوبهم وتوكلهم على ربهم وعدم مبالاتهم بأنفسهم لأنهم باعوها لله تعالى اذا أقدم ثلاثة آلاف على أكثر من مائتي ألف أصحاب حروب وشدة وهذا انما هو لما وقر فى قلوبهم واطمأنت عليه نفوسهم من الثقة بقول الله تعالى انا لننصر رسلنا والذين آمنوا وقوله وان جندنا لهم الغالبون وقوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين والتقى المسلمون والمشركون تقاتل الأمراء الثلاثة يومئذ على أرجلهم فأخذ اللواء زيد بن حارثة رضى الله عنه فقاتل وقاتل المسلمون معه على صفوفهم حتى قتل طعنا بالرماح رضى الله عنه ثم أخذ اللواء جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه فقاتل به وهو على فرسه فألجمه القتال وأحاط به فنزل عن فرس له شقراء فعقرها وقاتل حتى قتل وعمره ثلاث وثلاثون سنة وكان أسن من على رضى الله عنه بعشر سنين وقيل كان عمره أربعين وقيل احدى وأربعين وكان رضى الله عنه حين اشتد القتال وأحاط به العدو يقاتل و يقول

ياحبذا الجنة واقترابها * طيبة و بارد اشرابها *
والروم روم قد دنا عذابها * كافرة بعيدة أنسابها *
على اذلاقيتها ضرابها *

وانما عقر فرسه خوفا من أن يأخذه الكفار فيقاتلوا عليه المسلمين ولأن يقاتل ولا يفر ففيه دليل على فرط شجاعته رضى الله عنه ولما أخذ اللواء قاتل قتالا شديدا فقطعت يمينه فأخذه بيساره فقطعت يساره فاحتضنه وقاتل حتى قتل رضى الله عنه ووجد فيه بضع وسبعون وفى رواية

---

أى لم يلتفتوا لذلك والمراد دواء غير تكميد جراحهم بالنار وهو أن تسخن خرقة وتوضع على العضو الوجع و يتابع ذلك مرة بعد أخرى ليسكن الوجع فلا يخالف أنهم فعلوا ذلك أى أوقدوا النيران يكمدون بها جراحاتهم تلك الليلة فمنهم من كان به تسع جراحات وهو أسيد بن حضير رضى الله عنه وعقبة ابن عامر رضى الله عنه ومنهم من كان به عشر جراحات وهو خراش بن الصمة رضى الله عنه ومنهم من كان به بضع جراحة وهو كعب بن مالك رضى الله عنه ومنهم من كان به بضع وسبعون جراحة وهو طلحة بن عبيد الله وقطعت أصبعه قيل السبابة وقيل البنصر فشلت بقية أصابع يده وهى اليسرى وفى رواية أناملة كما تقدم ومنهم من كان به عشرون جراحة وهو عبد الرحمن بن عوف كما تقدم أى وجرح من بنى سلمة أربعون جريحا فقال صلى الله عليه وسلم لما رآهم اللهم ارحم بنى سلمة وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مجروح فى وجهه أثر الحلقتين ومشجوج فى وجهه ومكسورة رباعيته وشفته السفلى قد جرحت من باطنها أى وفى المنتقى وشفته العليا قد كلمت من باطنها متوهن منكبه الأيمن لضربة ابن قمئة لعنه الله وركبتاه مجروحتان من وقعته فى الحفيرة وتلقاه ﷺ طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه فقال له أبا طلحة أين سلاحك فقال قريب فذهب وأتى بسلاحه و بصدره تسع جراحات من تلك الجراحات التى به وهى كما تقدم بضع وسبعون جراحة يقول طلحة وأنا أهم بجراح رسول الله ﷺ منى بجراحى ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ياطلحة أين ترى القوم فقلت بالسفالة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الذى ظننت اما انهم ياطلحة لن ينالوا منا مثلها حتى يفتح الله مكة علينا وقال ﷺ لعمر بن الخطاب رضى الله عنه يا ابن الخطاب ان قريشا لن ينالوا منا مثل هذا حتى نستلم الركن انتهى وكان دليله صلى الله عليه وسلم فى السير ثابت بن الضحاك وليس هو أخا جبير وقيل هو أخوه ولازالوا سائرين حتى عسكروا بحمراء الأسد أى وهو محل بينه و بين المدينة ثمانية أميال أى وقيل عشرة أميال وعن رجل من الأنصار قال شهدت أحدا أنا وأخى فرجعنا جريحين فلما أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج فى طلب العدو فقال لى أخى أتفوتنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى لفظ ان تركنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لفسق والله ما لنا من دابة نركبها فخرجنا وكنت أيسر جراحا منه فكنت اذا غلب حملته عقبة و يمشى عقبة حتى انتهينا إلى ما انتهى اليه المسلمون من حمراء الأسد أى وذلك عند العشاء وهم يوقدون النيران فجاءتهما الحرس وكان على حرسه تلك الليلة عباد بن بشر مع طائفة فلما أتى بهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما ما حبسكما فأخبراه بعلتهما فدعا لهما بخير وقال لهما ان طالت بكما مدة كانت لكما مراكب من خيل و بغال وابل وذلك ليس بخير لكم أى وهذان الرجلان عبد الله ورافع ابنا سهيل بن رافع والذى ضعف عن المشى رافع والحامل له عبد الله (وأقام) المسلمون بذلك المحل ثلاث ليال وكانوا يوقدون فى كل ليلة من تلك الليالى خمسمائة نار حتى ترى من المكان البعيد وذهب صوت معسكرهم ونيرانهم فى كل وجه فكبت الله تعالى عدوهم (قال) جابر بن عبد الله رضى الله عنهما

وتسعون جرحا ما بين ضربة بسيف وطعنة برمح ليس فيها شيء في دبره ولا ظهره أي ليس منها شيء في حال الادبار بل كلها في حال الاقبال لمزيد شجاعته ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة رضي الله عنه ثم تقدم به وهو على فرسه فجعل يستنزل نفسه و يتردد بعض التردد ثم قال

أقسمت يا نفس لتنزلنه * لتنزلن أو لتكرهنه
ان أجلب الناس وشدوا الرنه * مالي أراك تكرهين الجنه
قد طالما قد كنت مطمئنه * هل أنت إلا نطفة في شنه

وقال أيضا



يا نفس الا تقتلي تموتي * هذا حمام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد أعطيت * ان تفعلي فعلهما هديت

يريد صاحبيه زيدا وجعفرا رضي الله عنهما ثم نزل عن فرسه فأتاه ابن عم له بعرق من لحم فقال شد بهذا صلبك فانك قد لقيت أيامك هذه ما لقيت فأخذه من يده ثم انتهس منه نهسة ثم سمع الحطمة في الناس فقال وأنت في الدنيا ثم ألقاه من يده وأخذ سيفه فقاتل حتى قتل روى سعيد بن منصور أنهم دفنوا يومئذ في قبر واحد زيدا وجعفرا وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم وفي الصحيح وما يسرهم أنهم عندنا أي لما رأوا من فضل الشهادة ثم أخذ اللواء ثابت بن أقرم العجلاني البلوي حليف الأنصار وكان من أهل بدر رضي الله عنه وقال يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم قالوا أنت قال ما أنا بفاعل فاصطلحوا على خالد بن الوليد رضي الله عنه وفي



رواية ان ثابتا مشى باللواء الى خالد وقال أنت أعلم بالقتال مني فلم يقبل خالد اللواء وقال أنت أحق به مني لأنك ممن شهد بدرا فنادى ثابت يا معشر المسلمين فاجتمع الناس على خالد بن الوليد رضي الله عنه وسلموه اللواء فأخذه وفي الصحيح حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله ففتح الله عليهم وانكشف الناس فكانت الهزيمة قال الحاكم قاتلهم خالد بن الوليد قتالا شديدا فقتل منهم مقتلة عظيمة واصاب غنيمة عظيمة وانقطع في يد خالد يومئذ تسعة اسياف حتى ما بقي في يده الا صفيحة

---

وكان عامة زادنا التمر وحمل سعد بن عبادة رضي الله عنه ثلاثين بعيرا حتى وافت حمراء الأسد وساق جزرا لتنحر فنحروا في يوم اثنين وفي يوم ثلاثا ولقي كفار قريش معبدا الخزاعي وكان يومئذ مشركا بالروحاء وكان رأى خروجه صلى الله عليه وسلم خلف قريش فأخبرهم بخروج رسول الله ﷺ لطلبهم وقد كانوا أرادوا الرجوع الى المدينة فكسرهم خروجه فتمادوا إلى مكة (قال) لما كان صلى الله عليه وسلم بحمراء الأسد لقيه معبد الخزاعي وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم تحبه صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد والله لقد عز علينا ما أصابك في نفسك وما أصابك في أصحابك ولوددنا ان الله تعالى أعلى كعبك وأن المصيبة كانت لغيرك ثم مضى معبد حتى كان بالروحاء فلما رأى أبو سفيان معبدا قال هذا معبد وعنده الخبر ما وراءك يا معبد فقال تركت محمدا وأصحابه قد خرجوا لطلبكم في جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقا قد اجتمع معه من كان تخلف عنه بالأمس من الأوس والخزرج وتعاهدوا على أن لا يرجعوا حتى يلقوكم فيثأروا أي يأخذوا ثأرهم منكم وغضبوا لقومهم غضبا شديدا وندموا على ما فعلوا فيهم من الحنق شيء لم أر مثله قط قال ويلك ما تقول قال والله ما أرى أن ترحل حتى ترى نواصي الخيل فقال والله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم قال فاني أنهاك عن ذلك فانصرفوا سراعا اه أي وعند انصرافهم أرسل أبو سفيان مع نفر يريدون المدينة أن يخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بأنهم أجمعوا على الرجعة فلما بلغوا رسول الله ﷺ ذلك قال صلى الله عليه وسلم حسبنا الله ونعم الوكيل فأنزل الله تعالى الذين استجابوا لله والرسول من بعدما أصابهم القرح الآية وقال ﷺ والذي نفسي بيده لقد سومت لهم الحجارة ولو رجعوا لكانوا كأمس الذاهب أي وأرسل معبد الخزاعي رجلا يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بانصراف أبي سفيان ومن معه خائفين فانصرف الى المدينة وظفر صلى الله عليه وسلم في حمراء الأسد بأبي عزة الشاعر الذي من عليه وقد أسر ببدر من غير فداء لأجل بناته وأخذ عليه عهدا أن لا يقاتله ولا يكثر عليه جمعا ولا يظاهر عليه أحدا كما تقدم فنقض العهد وخرج مع قريش لأحد وصار يستنفر الناس ويحرضهم على قتاله صلى الله عليه وسلم بأشعاره كما تقدم فدعا رسول الله ﷺ أن لا يفلت فأسر ثم قيل ان المشركين لما نزلوا بحمراء الأسد تركوه نائما فاستمر حتى ارتفع النهار وكان الذي أخذه عاصم بن ثابت وما أسر أحد من المشركين غيره في تلك الوقعة وقيل أسره عمير بن عبد الله (وفي النور) لا أستحضر أحدا في الصحابة اسمه عمير بن عبد الله فلما جيء به اليه صلى الله عليه وسلم قال يا محمد أقلني وامنن علي ودعني لبناتي وأعطيك عهدا أن لا أعود لمثل ما فعلت فقال ﷺ لا والله لا تمسح عارضيك بمكة وفي لفظ تمسح لحيتك تجلس بالحجر تقول خدعت محمدا وفي لفظ سحرت محمدا مرتين اضرب عنقه يا زبير وفي لفظ يا عاصم بن ثابت وفي لفظ يا زبير وقال ﷺ لا يلدغ بالدال المهملة والغين المعجمة وفي لفظ لا يلسع المؤمن من جحر مرتين فضرب عنقه (وذكر) ان رأسه حمل الى المدينة مشهورة على رمح قال بعضهم وهو أول رأس حمل في الاسلام أي ولا ينافيه ما قيل إن أول رأس حمل في الاسلام

يمانية وانهزم المشركون اسوأ هزيمة مارؤى مثلها قط حتى وضع المسلمون اسيافهم حيث شاؤا وجاء فى رواية أنه لما قتل عبد الله بن رواحة تفرق المسلمون وانهزموا حتى لم ير اثنان جميعا ثم لما اجتمعوا على خالد هزم الله المشركين وفى رواية أنه لما أصبح خالد بن الوليد جعل مقدمته ساقة وميمنته ميسرة فأنكر العدو حالهم وقالوا جاءهم مدد فرعبوا وانكشفوا منهزمين وغنم المسلمون أكثر ما كان معهم وكان جملة من قتل من المسلمين اثنى عشر رجلا وهذا من عناية الله بالاسلام وأهله ومزيد إعزازه ونصره لهم إذ جيش عدته ثلاثة آلاف يلقون أكثر من مائتى ألف فلا يقتل منهم الا اثنا عشر رجلا مع أنهم اقتتلوا مع المشركين سبعة أيام وأما قتلى المشركين فلا يحصون فكانت هذه السرية من أعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم الباهرة التى أكرم الله بها أصحابه رضى الله عنهم ورفعت الأرض يومئذ لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نظر الى معترك القوم فأخبر أصحابه وذلك أنه لما اطلع على ذلك نادى فى الناس الصلاة جامعة ثم صعد المنبر وعيناه تذرفان وقال يا أيها الناس باب خير باب خير باب خير ثلاثا أخبركم عن جيشكم هذا الغازى انهم انطلقوا فلقوا العدو فقتل زيد شهيدا فاستغفروا له ثم أخذ الراية جعفر فشد على القوم حتى قتل شهيدا فاستغفروا له ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة وأثبت قدميه حتى قتل شهيدا فاستغفروا له ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد ولم يكن من الامراء وهو أمير نفسه ولكنه سيف من سيوف الله فآب بنصره وفى سببا رواية ثم أخذ الراية خالد بن الوليد نعم عبد الله وأخو العشيرة وسيف من سيوف الله سله الله على الكفار والمنافقين من غير إمرة حتى فتح الله عليهم وفى رواية قال اللهم انه سيف من سيوفك فانصره فمن يومئذ سمى خالد سيف الله وفى لفظ ثم أخذ اللواء سيف من سيوف الله تبارك وتعالى ففتح الله على يديه وعن عبد الله بن أبى أوفى رضى الله عنهما قال اشتكى عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه

---

رأس كعب بن الاشرف كما سيأتى فى السرايا الامكان ان يراد أن رأس أبى عزة أول رأس حمل الى المدينة على رمح ولعل هذا الاينافى ماحكاه بعضهم ان عمرو بن الجموح كان رابع الأربعة الذين دخلوا على سيدنا عثمان الدار وكان مع على كرم الله وجهه فى مشاهده فلما ولى معاوية رضى الله عنه فرهاربا الى العراق فنهشته حية فدخل غارا ومات فأخبر بذلك زياد والى العراق فأرسل من حز رأسه وأرسل به الى معاوية فكان أول رأس نقل فى الاسلام من بلد إلى بلد (قال بعضهم) فى معنى هذا المثل أى لايلدغ المؤمن من جحر مرتين أنه ينبغى للمرء ان يستعمل الحزم وهذا المثل لم يسمع من غيره ﷺ ومورده أن شخصا جرد سيفه وقصد النبي صلى الله عليه وسلم فضربه ليقتله فأخطأت الضربة فقال كنت مازحا يا محمد فعفا عنه ثم عاد لمثل ذلك مرة أخرى وقال مثل ذلك فأمر ﷺ بقتله وقال لايلدغ المؤمن من جحر مرتين (وأمر) صلى الله عليه وسلم فى ذلك المحل بقتل معاوية بن المغيرة بن أبى العاص وهو جد عبد الملك بن مروان لامه وقد كان لجأ الى ابن عمه عثمان بن عفان رضى الله عنه أى فانه لما رجع الكفار من أحد ذهب على وجهه ثم أتى باب عثمان فدقه فقالت أم كلثوم بنت النبي صلى الله عليه وسلم زوج عثمان من أنت قال ابن عم عثمان فقالت ليس هو ههنا فقال أرسلى اليه فله عندى ثمن بعير كنت اشتريته منه فجاء عثمان فلما نظر اليه قال أهلكتنى وأهلكت نفسك فقال يا ابن عم لم يكن أحد أمس بى رحما منك فأجرنى فأدخله عثمان رضى الله عنه منزله وصيره فى ناحية ثم خرج عثمان ليأخذ له أمانا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان معاوية بالمدينة فاطلبوه فدخلوا منزل عثمان فأشارت اليهم أم كلثوم رضى الله عنها بأنه فى ذلك المكان فأخرجوه وأتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بقتله فقال عثمان رضى الله عنه والذى بعثك بالحق ماجئت الا لآخذ له أمانا فهبه لى فوهبه له وأجله ثلاثا وأقسم صلى الله عليه وسلم ان وجده بعدها قتله وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حمراء الأسد فأقام معاوية ثلاثا يستعلم أخبار رسول الله ﷺ ليأتى بها قريشا فلما كان فى اليوم الرابع عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فخرج معاوية هاربا فأدركه زيد بن حارثة وعمار بن ياسر رضى الله عنهما فرمياه حتى قتلاه وقد كان صلى الله عليه وسلم بعثهما اليه وقال لهما انكما ستجدانه بموضع كذا وكذا أى بموضع بينه وبين المدينة ثمانية أميال فواجداه به فقتلاه وقيل تبعه على كرم الله وجهه فقتله وكان صلى الله عليه وسلم بعث ثلاثة نفر من أسلم طليعة فى آثار القوم فلحق اثنان منهم للقوم بحمراء الأسد فقتلوهما فوجدهما صلى الله عليه وسلم قتيلين بحمراء الأسد فدفنهما فى قبر واحد ولا يأتى هنا الجواب المتقدم فى قتلى أحد وجاءه صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام بعد رجوعه الى المدينة بأن الحرث بن سويد فى قباء فانهض اليه واقتص منه بمن قتله من المسلمين غدرا يوم أحد وهو المجذر وتقدم أنه بالذال المعجمة مشددة مفتوحة ابن ذياد وتقدم أنه بكسر الذال المعجمة وفتحها وتخفيف المثناة تحت لأن سويدا كان قد قتل ذيادا أبا المجذر فى الجاهلية فظفر المجذر بسويد والد الحرث فقتله فى أبيه وذلك قبل الاسلام وكان ذلك

سببا الوقعة بعاث فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أسلم الحرث بن سويد وأسلم المجذر ابن زياد وشهد بدرا فجعل الحرث يطلب مجذرا يقتله بأبيه فلم يقدر عليه كما تقدم فلما كان يوم أحد وجال المسلمون تلك الجولة أتاه الحرث من خلفه فضرب عنقه قيل وقتل أيضا قيس بن زيد فنهض رسول الله ﷺ إلى قباء في وقت لم يكن يأتيهم فيه وهو شدة الحر في يوم حار تخرج اليه الانصار من أهل قباء رضي الله عنهم ومنهم الحرث بن سويد وعليه ثوب مورس وفي لفظ في ملحفة مورسة وفي لفظ في ثوبين مضرجين وفي لفظ ممرضين فأمر رسول الله ﷺ عويم بن ساعدة بضرب عنقه أي فقال له قدم الحرث بن سويد إلى باب المسجد واضرب عنقه وقيل أمر عثمان بن عفان بذلك فقدم ليضرب عنقه فقال الحرث لم يا رسول الله فقال بقتلك المجذر بن زياد وقيس بن زياد فما راجعه الحرث بكلمة فضرب عنقه قال وفي رواية أن الحرث قال والله قتلته أي المجذر وما كان قتلي إياه رجوعا عن الاسلام ولا ارتيابا فيه ولكن حمية من الشيطان وإني أتوب إلى الله ورسوله مما عملت وأخرج ديته وأصوم شهرين متتابعين وأعتق رقبة فلم يقبل منه النبي ﷺ ذلك انتهى ولم يذكر قتل قيس ابن زيد ولعله اكتفى بذلك في قتله الحرث ويعلم استحقاقه القتل بقتل قيس بن زيد بطريق أولى أي وكان في هذه السنة الثالثة مولد الحسن بن علي رضي الله عنهما وسماه حربا فسماه رسول الله ﷺ الحسن أي لانه صلى الله عليه وسلم لما جاء قال أروني ابني ما سميتموه قال علي حربا يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم هو حسن وحنكه ﷺ بتمر وكان في هذه السنة تحريم الخمر وقيل كان تحريمها في السنة الرابعة وهو محاصر بني النضير وقيل كان تحريمها بين الحديبية وخيبر وقيل كان بخيبر قال ﷺ الخمر من هاتين الشجرتين النخلة والعنبة وفي رواية الكرمة والنخلة وفي رواية الكرم والنخل كذا في مسلم ولعل ذكر الكرم كان قبل النهي عنه وإلا ففي مسلم لا يقولن أحدكم للعنب الكرم فان الكرم الرجل المسلم وفي رواية فان الكرم قلب المؤمن أو قيل ذلك بيانا للجواز اشارة إلى أن النهي للتنزيه وقد حرمت الخمر ثلاث مرات الأولى في قوله تعالى يسألونك عن الخمر والميسر أي القمار قل فيهما اثم كبير فانه ﷺ قدم المدينة وهم يشربون الخمر ويأكلون القمار فسألوه عن ذلك فنزلت الآية الثانية ان بعض الصحابة صلى بأصحابه صلاة المغرب وهو سكران فخلط في القراءة فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ثم أنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون فكف الناس عن شربها وقد جاء أن حمزة رضي الله عنه لما شربها قال للنبي ﷺ ومن معه هل أنتم إلا عبيد لأبي أي ففي البخاري أن حمزة رضي الله عنه لما شرب الخمر خرج فوجد ناقتين لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه فعلاهما بالسيف وبقر خواصرهما ثم أخذ من أكبادهما وجب سنامهما قال علي كرم الله وجهه فنظرت إلى منظر أفظعني فأتيت نبي الله ﷺ وعنده زيد بن حارثة فأخبرته الخبر فخرج صلى الله عليه وسلم

---

خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا خالد لم تؤذي رجلا من أهل بدر لو أنفقت مثل احد ذهبا لم تدرك عمله فقال يا رسول الله انهم يقعون في فارد عليهم فقالوا لا تؤذوا خالدا فانه سيف من سيوف الله صبه الله على الكفار قال بعضهم كون ما وقع يوم مؤتة فتحا ونصرا واضح لاحاطة العدو بهم وتكاثرهم عليهم لانهم كانوا أكثر من مائتي ألف والصحابة رضي الله عنهم ثلاثة آلاف وكان مقتضى العادة انهم يقتلون بالكلية وجاء في رواية أصاب خالد منهم مقتلة عظيمة وأصاب غنيمة وهذا لا يخالف ما جاء ان طائفة من الصحابة فروا إلى المدينة لما عاينوا كثرة جموع الروم فصار أهل المدينة يقولون لهم أنتم الفرارون ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بل هم الكرارون وفي لفظ العكارون أي الكرارون وجاء في رواية انا فئتكم يشير إلى قوله تعالى الا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة يعني ان فرارهم كان من الانحياز إلى فئة وأيضا زاد العدو على ضعفهم بل أزاد على عشرة أضعافهم والحاصل أن المسلمين لما قتل عبد الله بن رواحة رضي الله عنه انهزموا وتفرقوا وذهب جماعة منهم إلى المدينة ثم اجتمع الناس لما انحاز خالد بن الوليد رضي الله عنه ورتب الناس وقد مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدا على ذلك وأثنى عليه ولما قدم يعلى بن أمية رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم بخبر الجيش قال له النبي ﷺ ان شئت فاخبرني وان شئت أخبرتك قال فاخبرني يا رسول الله لأزداد يقينا فأخبره رسول الله ﷺ الخبر كله ووصف له ما كان فقال والذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفا واحدا وان أمرهم لكما ذكرت فقال رسول الله ﷺ إن الله رفع لي الأرض حتى رأيت معتركهم وحين رأى ذلك قال حمي الوطيس أي حميت الحرب واشتدت وقيل ان الذي جاء بخبرهم أبو عامر الأشعري رضي الله عنه ولا مانع من أن كلا منهما جاء بالخبر وعن أسماء بنت عميس رضي الله عنها

زوج جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه قالت دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أصيب جعفر وأصحابه فقال ائتني ببنى جعفر فاتيته بهم فشمهم وذرفت عيناه وفى رواية وبكى حتى نقطت لحيته الشريفة فقلت يارسول الله بأبى أنت وأمى مايبكيك أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء قال نعم أصيبوا هذا اليوم قالت فقمت أصيح واجتمع على النساء وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لي يا أسماء لاتقولى هجرا (٢٧٦) ولا تضربى خدا وقال اللهم قدمه يعنى جعفرا إلى أحسن الثواب واخلفه فى ذريته بأحسن ماخلفت أحدا من عبادك في ذريته وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله فقال لاتغفلوا عن آل جعفر أن تصنعوا لهم طعاما فانهم قدشغلوا بأمر صاحبهم وفى لفظ انه دخل على فاطمة رضى الله عنها وهى تقول واعماه فقال على مثل جعفر فلتبك البواكى ثم قال صلى الله عليه وسلم اصنعوا لآل جعفر طعاما فقد شغلوا عن أنفسهم اليوم وفى رواية قد شغلهم ماهم فيه وعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما أن سلمى مولاة النبي صلى الله عليه وسلم عمدت إلى شعير فطحنته ونسفته ثم عجنته وأدمته بزيت وجعلت عليه فلفلا قال عبد الله فأكلت من ذلك الطعام وحبسنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اخوتى ثلاثة أيام ندور معه صلى الله عليه وسلم كما صار فى بيت احدى نسائه ثم رجعنا إلى بيتنا وهذا الطعام الذى جعل لآل جعفر رضى الله عنه هو أصل طعام التعزية وتسميه العرب الوضيمة كما تسمى طعام عليه العرس الوليمة وطعام القادم من السفر النقيعة وطعام البناء الوكيرة وروى الامام أحمد بسند صحيح ثم أمهل ﷺ آل جعفر ثلاثا ثم أتاهم فقال لهم لاتبكوا على أخى بعد اليوم ثم قال ائتونى ببنى أخى فجيء بنا كانا أفراخ فدعا الحلاق فحلق رؤسنا ثم قال أما محمد فشبيه عمنا أبى طالب وأما عبدالله فشبيه خلقى وخلقى ثم دعالهم قال عبدالله بن جعفر رضي الله عنهما دعالى وقال اللهم بارك له فى

ومعه زبد فانطلقت معه فدخل على حمزة فتغيظ عليه فرفع حمزة رضى الله عنه بصره وقال هل أنتم إلا عبيد لأبى فرجع النبي صلى الله عليه وسلم يقهقر حتى خرج وذلك قبل تحريم الخمر ولكون السكر كان مباحا لم يترتب على قول حمزة مقتضاه مع أن من قال لنبي أنت عبدى أوعبد أبى كفر واعترض القول بانها فى السنة الرابعة بأن أنس بن مالك كان ساقيالها فلماسمع المنادى بتحريمها أراقها وفى البخارى عن أنس رضى الله عنه وإنى لقائم أسقى أباطلحة وفلاناوفلانا أى أباأيوب وأبا دجانة ومعاذ بن جبل وسهيل بن بيضاء وأبى بن كعب وأباعبيدة بن الجراح رضى الله عنهم إذجاء رجل وقال هل بلغكم الخبر قالوا وماذاك قال حرمت الخمر قال اهرق هذه القلال ياأنس فاهريقت وفى لفظ قال أنس رضى الله عنه فقمت إلى مهراس فضربتها باسفله حتى تكسرت وفى مسلم عن أبى طارق رضى الله عنه أنه قال يارسول الله انما أصنعه أى الخمر للدواء فقال انه ليس بدواء ولكنه داء واراقة الخمر حينئذ مع انها كانت مباحة فهى محترمة تغليظ وتوكيد للتحريم وفطم للنفوس لان اراقتها لم تكن بأمر منه ﷺ وسئل الحافظ السيوطى رحمه الله عن حكمة رجوعه صلى الله عليه وسلم القهقرى فأجاب بانه لعله كان من خوف الوثوب عليه ارشادا لمن يخاف الوثوب أو كان مقصوده ﷺ مداومته لحظه أوان الراوى أراد بالقهقرى مطلق الرجوع إلى المنزل لابالظهر وأنس رضى الله عنه لم يكن خادما للنبى ﷺ حينئذ أى فى السنة الرابعة بل بعدها وحينئذ يكون القول بان كونه فى الثالثة أشكل وأشكل من هذا ماحكاه ابن هشام فى قصة الاعشى بن قيس انه خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الاسلام فلما كان بمكة اعترضه بعض المشركين من قريش فسأله عن أمره فاخبره انه جاء يريد رسول الله ﷺ ليسلم فقال له ياأبانصير انه يحرم الزنا فقال الاعشى والله ان ذلك الأمر مالى فيه من أرب فقال يحرم الخمر فقال الاعشى أماهذه ان فى النفس منها لعلالات ولكنى منصرف فأتروى منها عامى هذا ثم آتيه فأسلم فانصرف فمات فى عامه ذلك ولم يعد إلى النبي صلى الله عليه وسلم هذا كلامه لما علمت ان الخمر لم تحرم بمكة وإنما حرمت بالمدينة فى السنة الثالثة أو الرابعة وأجاب بعضهم بان الاعشى أراد المدينة فاجتاز بمكة فعرض له بعض كفار قريش واعترض بانه قيل إن القائل له ذلك أبوجهل لعنه الله وكان فى دارعتبة بن ربيعة وأبوجهل قتل ببدر فى السنة الثانية وأجيب بانه على تسليم صحة ذلك بانه يجوز أن يكون أبوجهل لعنه الله قصد صد الاعشى عن الاسلام بطريق التقول والافتراء لانه كان يعرف ميل الاعشى إلى الخمر وعدم صبره على تركها فاختلق هذا القول من عنده ليمنعه بذلك عن الاسلام (أقول) لما حرمت الخمر قال بعض القوم قتل قوم وهى فى بطونهم أى لان جماعة شربوها صبيح يوم أحد وقتلوا من يومهم شهداء فانزل الله تعالى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا وكون أنس رضى الله عنه لم يكن خادما للنبي صلى الله عليه وسلم إلا بعد السنة الرابعة يخالف ماسبق أن عند قدومه ﷺ المدينة جاءت به أمه ليخدمه ﷺ وفى البخارى عن أنس رضى الله عنه قال قدم النبى صلى الله

صفقة بيمينه فما بعث شيئا ولا اشتريته الا بورك لى فيه وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال مثل لى زيد بن حارثة وجعفر وعبد الله بن رواحة رضى الله عنهم فى خيمة من در كل واحد منهم على سرير فرأيت زيدا وابن رواحة فى أعناقهم صدود أى اعراضا ورأيت جعفرا ليس فى عنقه صدود فسألت فقيل انهما حين غشيهما الموت اعرضا بوجوههما واما جعفر فانه لم يفعل * وعن قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما قتل زيد أخذ الراية جعفر فجاءه الشيطان فحبب اليه الحياة وكره اليه الموت ومناه الدنيا ثم مضى حتى استشهد وفى رواية رأيتهم فيما يرى النائم وقد رفعوا فى الجنة على سرر من ذهب فرأيت فى سرير عبد الله بن رواحة ازورارا من سريرى صاحبيه فقلت مم هذا فقيل لى مضينا وتردد عبد الله بعض التردد ثم مضى أى فانه كما تقدم صار يتنزل نفسه ويتردد بعض التردد فى النزول وفى لفظ دخل عبد الله بن رواحة الجنة معترضا فقيل يارسول الله ما اعتراضه قال لما أصابته الجراحة نكل فعاتب نفسه فتشجع فاستشهد وقال صلى الله عليه وسلم ان الله أبدل جعفرا بيديه جناحين يطير بهما فى الجنة حيث شاء وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال أتيته وهو مستلق آخر النهار فعرضت عليه الماء فقال انى صائم فضعه فى ترسى عند رأسى فان عشت حتى تغرب الشمس أفطرت قال فمات صائما قبل الغروب ووجدنا فيما بين صدره ومنكبيه وما أقبل منه تسعين جراحة ما بين ضربة بسيف وطعنة برمح وكان النبى صلى الله عليه وسلم يوما جالسا مع أصحابه فرفع رأسه الى السماء وقال وعليكم السلام ورحمة الله فقال الناس يارسول الله ما كنت تصنع هذا فقال مر بى جعفر بن أبى طالب فى ملأ من الملائكة فسلم على وفى رواية مر بى وهو مخضب الجناحين بالدم * ولما دنا الجيش من المدينة تلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ولقيهم الصبيان فقال النبى ﷺ خذوا الصبيان فاحملوهم واعطونى ابن عبد الله بن جعفر فأتى به فأخذه فحمله بين يديه وكان عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما ولد بالحبشة وأمه أسماء بنت عميس رضى الله عنها وتزوجها أبو بكر

---

عليه وسلم المدينة ليس له خادم ثم أخذ أبو طلحة بيدي فانطلق بى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله إن أنسا غلام كيس فليخدمك فخدمته ﷺ فى السفر والحضر وتقدم الجمع بين كون الآتى به أبا طلحة والآتى به أمه وفى البخارى أيضا عن أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال لأبى طلحة التمس لى غلاما من غلمانكم يخدمنى حين أخرج الى خيبر فخرج بى أبو طلحة مردفى وأنا غلام راهقت الحلم فكنت أخدم رسول الله ﷺ إذا نزل وقد يقال لا منافاة لانه يجوز أن يكون ﷺ لم يأمر أنسا بالخروج معه الى خيبر لظنه أن أمه لا تسمح له بذلك فلما قال لأبى طلحة ماذكر جاء اليه بأنس رضى الله تعالى عنه والله أعلم

## ﴿غزوة بنى النضير﴾

وهم قوم من اليهود بالمدينة وفى كلام بعضهم بنو النضير هؤلاء حى من يهود خيبر أى وقريتهم كان يقال لها زهرة كانت تلك الغزاة فى ربيع الأول أى من السنة الرابعة وقيل كانت قبل وقعة أحد قال وبه قال البخارى قال ابن كثير والصواب ايرادها بعد أحد كما ذكر ذلك ابن اسحق وغيره من أئمة المغازى انتهى أمر النبى ﷺ الناس بالتهيء لحرب بنى النضير والسير اليهم واختلف فى سبب ذلك فمن جملة ماقيل انه ذهب اليهم ليسألهم كيف الدية فيهم أى لانه كان بينهم وبين بنى عامر قبيلة الرجلين اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمرى عند رجوعه من بئر معونة غيلة حلف وعقد وقيل ذهب اليهم ليستعين بهم فى دية الرجلين المذكورين أى وكان ﷺ أخذ العهد على اليهود ان يعاونوه فى الديات وقيل لأخذ دية الرجلين منهم لان بنى النضير كانوا حلفاء لقوم الرجلين المذكورين وهم بنو عامر كذا فى الاصل فليتأمل فان فيه أخذ الدية من حلفاء المقتول وسار اليهم ﷺ فى نفر من أصحابه أى دون العشرة فيهم أبو بكر وعمر وعلى رضى الله تعالى عنهم فقالوا اله نعم يا أبا القاسم حتى تطعم وترجع بحاجتك وكان ﷺ جالسا الى جنب جدار من بيوتهم فخلا بعضهم ببعض وقالوا انكم لن تجدوا الرجل على مثل هذه الحالة فمن رجل يعلو على هذا البيت فيلقى عليه صخرة فيريحنا منه فقال أحد ساداتهم أنا لذلك أى وهو عمرو بن جحاش وقال لهم سلام بن مشكم لا تفعلوا والله ليخبرن بما هممتم به انه لنقض للعهد الذى بيننا وبينه فلما صعد ذلك الرجل ليلقى الصخرة أتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم فقام رسول الله ﷺ أى مظهرا انه يقضى حاجته وترك أصحابه فى مجالسهم ورجع مسرعا الى المدينة ولم يعلم من كان معه من أصحابه فقاموا فى طلبه ﷺ لما استبطؤه فلقوا رجلا مقبلا من المدينة فسألوه فقال رأيته داخل المدينة فاقبل أصحابه حتى انتهوا اليه فاخبرهم رسول الله ﷺ بما أرادت بنو النضير وقد أشار الى ذلك الامام السبكى فى تائيته بقوله

وجاءك وحى بالذى أضمرت بنو النـ * ـضير وقد هموا بالقاء صخرة

رضى الله عنه بعد جعفر بن أبى طالب فولدت له محمد بن أبى بكر رضى الله عنهما ثم تزوجها على بن أبى طالب رضى الله عنه بعد أبى بكر
رضى الله عنه وعن عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم هنيأ لك أبوك يطير مع الملائكة فى السماء
وروى الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال دخلت الجنة البارحة فرأيت فيها جعفر بن أبى
طالب رضى الله عنه يطير مع الملائكة  وفى رواية يطير مع جبريل وميكائيل له جناحان عوضه الله من يديه وروى
جناحان من ياقوت قال السهيلى ان الجناحين عبارة عن صفة ملكية وقوة روحانية أعطيها جعفر يقتدر بها على الطيران لا انهما جناحان كجناحى الطائر كما قد يسبق للوهم لأن الصورة الآدمية أشرف الصور ولا يضر ذلك وصفهما بانهما من ياقوت ولا كونهما مضمخين بالدم ورجح بعضهم حمل الكلام على حقيقته وقال انهما جناحان حقيقيان واطال فى ذلك والله أعلم وقد قال حسان بن ثابت رضى الله عنه قصيدة يرثى بها جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه وبعض من معه فقال

تأوبنى ليل بيثرب اعسر * وهم إذا ما نوم الناس مسهر
لذكرى حبيب هيجت لى لوعة * سفوحا واسباب البكاء التذكر
بلى ان فقدان الحبيب بلية * وكم من كريم يبتلى ثم يصبر
رأيت خيار المسلمين تواردوا * شعوبا وخلفا بعدهم يتأخر
فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا * جميعا وأسباب المنية تخطر
غداة غدوا بالمؤمنين يقودهم * الى الموت ميمون النقيبة ازهر
اغر كضوء البدر من آل هاشم * أبى إذا سيم الظلامة يجسر
فطاعن حتى مال غير موسد * بمعترك فيه قنا متكسر
فصار مع المستشهدين ثوابه * جنان وملتف الحدائق أخضر
وكنا نرى فى جعفر من محمد * وفاء وأمرا حازما حين يأمر
ولا زال فى الاسلام من آل هاشم * دعائم عز لا يزلن ومفخر
فهم جبل الاسلام والناس حولهم * رضام الى طود يروق ويقهر
بهاء ليال جعفر وابن أمه * على ومنهم أحمد المتخير

أى وفى رواية لما رأوا قلة أصحابه صلى الله عليه وسلم قالوا نقتله ونأخذ أصحابه أسارى الى مكة فنبيعهم
من قريش أى ولا مانع من وجود الامرين وقيل السبب فى خروجه صلى الله عليه وسلم اليهم انهم أرسلوا
اليه أن اخرج الينا فى ثلاثين من أصحابك وليخرج منا ثلاثون حبرا فان صدقوك وآمنوا بك آمنا بك
فلما غدا عليهم فى ثلاثين من أصحابه قال بعضهم لبعض كيف تخلصون اليه ومعه ثلاثون كل يحب
انه يموت قبله فارسلوا اليه ان اخرج فى ثلاثة من أصحابك ويلقاك ثلاثة من علمائنا فان آمنوا بك
اتبعناك ففعل واشتملت اليهود الثلاثة على الخناجر فارسلت امرأة من بنى النضير لاخ لها مسلم تعلمه
بذلك فاعلم اخوها النبى صلى الله عليه وسلم بذلك فرجع ولا مانع من وجود ذلك مع ما تقدم لكن فى السيرة
الشامية ان خبر ذلك بلغه قبل وصوله اليهم فرجع فبينما بنو النضير على ذلك أى على ارادة القاء
الحجر والتهيء لالقائه إذ جاء جاء من اليهود من المدينة فقال لهم ما تريدون فذكروا له الامر فقال لهم
أين محمد قالوا هذا محمد فقال لهم والله لقد تركت محمدا داخل المدينة فاسقط فى أيديهم وقالوا قد أخبر
بامرنا فارسل اليهم محمد بن مسلمة رضى الله عنه ان اخرجوا من بلدى يعنى المدينة لان قريتهم من أعمالها
فلا تساكنونى بها فقد هممتم بما هممتم به من الغدر اى وأخبرهم بما هموا به من ظهور عمرو بن جحاش
على ظهر البيت ليطرح الصخرة فسكتوا ولم يقولوا حرفا قال ويقول لكم قد أجلتكم عشرا فمن رؤى
بعد ذلك ضربت عنقه واقتصاره صلى الله عليه وسلم على ذلك لا ينافى ما تقدم من ارادة قتله أيضا قيل وأنزل
الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم
عنكم ولا ينافى ذلك ما تقدم من نزولها فى حق دعثور فى غزوة ذى أمر لجواز تكرار النزول فارسلوا
فى احضار الابل فارسل اليهم المنافقون أن لا تخرجوا من دياركم ونحن معكم ان قوتلتم فلكم علينا النصر
وان أخرجتم لن نتخلف عنكم خصوصا عبد الله بن أبى ابن سلول لعنه الله فانه ارسل لهم لا تخرجوا من
دياركم وأقيموا فى حصونكم فان معى ألفين من قومى وغيرهم من العرب يدخلون حصونكم ويموتون
عن آخرهم قبل أن يوصل اليكم وتمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان فطمع بنو النضير فيما قال ابن
أبى فارسلوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا لا نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك فاظهر رسول الله صلى
الله عليه وسلم التكبير وكبر المسلمون لتكبيره وقال حاربت يهود قال والمتولى امر ذلك سيد بنى النضير
حيى بن أخطب والد صفية أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها وقد نهاه أحد سادات بنى النضير وهو سلام
ابن مشكم وقال له منتك نفسك والله يا حيى الباطل فان قول ابن أبى ليس بشىء وانما يريد أن يورطك
فى الهلكة حتى تحارب محمدا فيجلس فى بيته ويتركك ألا ترى أنه أرسل الى كعب بن أسد القرظى سيد
بنى قريظة ان تمدكم بنو قريظة فقال له لا ينقض رجل واحد منا العهد فأيس من بنى قريظة وأيضا قد وعد
حلفاءه من بنى قينقاع مثل ما وعدك حتى حاربوا ونقضوا العهد وحصروا أنفسهم فى صياصيهم أى
حصونهم وانتظروا ابن أبى فجلس فى بيته وسار اليهم محمد حتى نزلوا على حكمه فاذا كان ابن أبى
لا ينصر حلفاءه ومن كان يمنعه من الناس ونحن لم نزل نضربه بسيوفنا مع الاوس فى حروبهم أى فانه

وحمزة والعباس منهم ومنهم * عقيل وماء العود من حيث يعصر بهم تفرج اللأواء فى كل مارق * عماس اذا ما ضاق بالناس مصدر هم أولياء الله أنزل حكمه * عليهم وفيهم ذا الكتاب المطهر * (سرية عمرو بن العاصى رضى الله عنه) * الى بلاد بلى وعذرة وهى وراء وادى ذات القرى بينها و بين المدينة عشرة أيام و بلى قبيلة كبيرة ينسبون الى بلى بن عمرو بن الحاف بن قضاعة وكذا عذرة ينسبون الى عذرة بن سعد بن قضاعة وتسمى سرية ذات السلاسل سميت بذلك (٢٧٩) لان المشركين ارتبط بعضهم الى بعض مخافة أن يفروا والمراد أنهم تجمعوا وانضم بعضهم الى بعض فى أول الامر فلا ينافى انهم لما قرب المسلمون منهم ألقى الله فى قلوبهم الرعب وفروا وقيل سميت بذلك لان بها ماء يقال له السلسل وكانت فى جمادى الآخرة سنة ثمان وسببها انه صلى الله عليه وسلم بلغه أن جمعا من قضاعة تجمعوا للاغارة وأرادوا أن يدنوا من أطراف المدينة فبعث صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص رضى الله عنه فى ثلثمائة من سراة المهاجرين والأنصار ومعهم ثلاثون فرسا وعن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال بعث الى النبي صلى الله عليه وسلم يأمرنى أن آخذ ثيابى وسلاحى فقال ياعمرو انى أريد أن أبعثك على جيش فيغنمك الله و يسلمك قلت انى لم أسلم رغبة فى المال قال نعم المال الصالح للمرء الصالح فعقد له لواء ابيض وجعل معه راية سوداء فسار هو ومن معه وكان يكمن النهار و يسير الليل فلما قرب منهم بلغه ان لهم جمعا كثيرا فبعث رافع بن مكيث الجهنى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمده فبعث اليه أبا عبيدة بن الجراح وعقد له لواء و بعث معه مائتين من سراة المهاجرين والانصار فيهم أبو بكر وعمر رضى الله عنهما وأمره أن يلحق بعمرو وان يكونا جميعا ولا يختلفا فاراد أبو عبيدة أن يؤم الناس فقال عمرو انما قدمت على مددا أى معينا ومقويا وأنا الامير أى ولا امارة لك حتى تؤم الناس فقال أبو عبيدة لا

اذا كان بين الاوس والخزرج حرب خرجت بنو قينقاع مع الخزرج وخرجت بنو النضير وقريظة مع الاوس فكيف يقبل قوله فقال حيى نابى الاعداوة محمد والا قتاله قال سلام فهو والله جلاؤنا من أرضنا وذهاب أموالنا وشرفنا وسبى ذرارينا مع قتل مقاتلينا فابى حيى الا محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت له بنو النضير أمرنا لامرك تبع لن نخالفك فارسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ذكر اه فتهيأ الناس لحربهم فلما اجتمع الناس خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم وحمل رايته على بن أبى طالب كرم الله وجهه وسار بالناس حتى نزل بهم وصلى العصر بفنائهم وقد تحصنوا وقاموا على حصنهم يرمون بالنبل والحجارة أى وفى كلام بعضهم انه صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه رضى الله عنهم بالمسير الى بنى النضير فصار بهم اليهم فوجدهم ينوحون على كعب بن الاشرف اى الآتى قتله فى السرايا قالوا يامحمد داعية إثر داعية و باكية إثر باكية ذرنا نبكى شجونا ثم ائتمر أمرك فقال صلى الله عليه وسلم لهم أخرجوا من المدينة قالوا الموت أهون من ذلك ثم تبادروا بالحرب هذا كلامه قال ولما جاء وقت العشاء رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيته فى عشرة من أصحابه عليه الدرع وهو على فرس واستعمل على العسكر على بن أبى طالب و يقال أبا بكر و بات المسلمون يحاصرونهم و يكبرون حتى أصبحوا ثم أذن بلال بالفجر فغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه الذين كانوا معه فصلى بالناس وأمر بلالا فضرب القبة وهى قبة من خشب عليها مسوح فدخل صلى الله عليه وسلم فيها وكان رجل من يهود يقال له غزول وكان أعسر راميا يبلغ نبله مالا يبلغه نبل غيره فوصل نبله تلك القبة فامر بها فحولت وفى ليلة من الليالى فقد على رضى الله تعالى عنه قرب العشاء فقال الناس يارسول الله مانرى عليا فقال دعوه أى اتركوه فانه فى بعض شأنكم فعن قليل جاء برأس الرجل الذى يقال له غزول الذى وصل نبله قبته صلى الله عليه وسلم كمن له على حين خرج يطلب غرة من المسلمين ومعه جماعة فشد عليه فقتله وفر من كان معه فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع على أبا دجانة وسهل بن حنيف فى عشرة فادركوا أولئك الجماعة الذين كانوا مع غزول وفروا من على فقتلوهم انتهى وذكر بعضهم ان أولئك الجماعة كانوا عشرة وأنهم أتوا برؤسهم فطرحت فى بعض الآبار وفى هذا رد على بعض الرافضة حيث ادعى ان عليا هو القاتل لأولئك العشرة وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع النخل أى و بحرقها بعد أن حاصرهم ست ليال وقيل خمسة عشر يوما أى وقيل عشرين ليلة وقيل ثلاثا وعشرين ليلة وقيل خمسا وعشرين ليلة وكان سعد بن عبادة رضى الله تعالى عنه فى تلك المدة يحمل التمر للمسلمين أى يجاء به من عنده قال واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على قطع النخل أبا ليلى المازنى وعبد الله بن سلام وكان أبو ليلى يقطع العجوة وعبد الله يقطع اللين و يقال له اللون وهو ما عدا العجوة والبرنى من أنواع التمر بالمدينة ومن أنواع تمر المدينة الصيحانى وجاء عن على كرم الله تعالى وجهه قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فصاحت نخلة باخرى هذا النبي المصطفى وعلى المرتضى فقال صلى الله عليه وسلم ياعلى انما سمى

ولـكن أنا على ما أنا عليه وأنت على ما أنت عليه وكان أبو عبيدة رجلا سهلا هينا عليه أمر الدنيا فقال يا عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى لا تختلفا وانك ان عصيتنى أطعتك فاطاع له أبو عبيدة فكان عمرو يصلى بالناس وسار حتى وصل الى العدو بلى وعذرة فحمل عليهم المسلمون فهربوا فى البلاد وتفرقوا بعد أن اقتتلوا ساعة فهزمهم المسلمون فاقام هناك ثلاثة أيام وكان يبعث الخيل فيأتون بالشاء والنعم فينحرون  ويأكلون ولم يكن فى ذلك غنائم تقسم وقال البلاذرى فلقى العدو من قضاعة وغيرهم وكانوا مجتمعين ففضهم أى فرقهم وقتل منهـم مقتلة عظيمة وغنم وهذا يعضده قوله صلى الله عليـه وسلم فيغنمك الله ويسلمك كما مر وروى ابن راهويه والحاكم عن بريدة ان عمرو بن العاص رضى الله عنـه أمرهم فى تلك الغزوة أن لا يوقدوا نارا فانـكر ذلك عمر رضى الله عنه فقال له أبو بكر رضى الله عنـه دعه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبعثه علينا الا لعلمه بالحرب فسكت عنـه (وروى ابن حبان) عن عمرو بن العاص رضى الله عنه أنهم سألوه ان يوقدوا نارا فمنعهم فكلموا أبا بكر رضى الله عنـه فكلمه فى ذلك فقال لا يوقد أحد نارا الا قذفت فيها قال فلقوا العـدو فهزمـوهم فارادوا أن يتبعـوهم فمنعهم فلما انصرفوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فسأله فقال كرهت أن آذن لهم أن يوقدوا نارا فيرى عدوهم قلتهم وكرهت أن يتبعوهم فيكون لهم مدد فحمد أمره وروى ابن
الشيخان عن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال قدمت عن جيش ذات السلاسل فحدثت نفسى انه لم يبعثنى على قوم فيهم أبو بكر وعمر الا لمنزلة لى عنده فاتيته حتى قعدت بين يديه فقلت يارسول الله أى الناس أحب اليك قال عائشة قلت انى لست أعنى النساء انما أعنى الرجال قال أبوها قلت ثم من قال ثم عمر بن الخطاب فعد رجالا فسكت مخافة أن يجعلنى فى آخرهم وقلت فى نفسى لا أعود أسأله

نخل المدينة أى هذا النوع صيحانيا لانه صاح بفضلى وهو حديث مطعون فيه قيل انه كذب والبرز بالفارسية حمل مبارك أو جيد وفى شرح مسلم للنووى انها مائة وعشرون نوعا أى وفى تاريخ المدينة الـكبير للسيد السمهودى أن أنواع التمر بالمدينة التى أمكن جمعها بلغت مائة و بضعا وثلاثين نوعا و يوافقه قول بعضهم اختبرناها فوجدناها أكثر مما ذكره النووى قال ولعل مازاد على ماذكره حدث بعد ذلك أى وأما أنواع التمر بغير المدينة كالمغرب فلا تكاد تنحصر فقد نقل ان عالم فاس محمد بن غازى أرسل الى عالم سلجماسة ابراهيم بن هلال يسأله عن حصر أنواع التمر بتلك البلد فارسل اليه حملا أو حملين من كل نوع تمرة واحدة وكتب اليه هذا ما تعلق به علم الفقير وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ثم رأيت فى نشق الازهار ان بهذه البلدة رطبا يسمى البتونى وهو أخضر اللون وأحلى من عسل النحل ونواه فى غاية الصغر وكانت العجوة خير أموال بنى النضير أى لانهم كانوا يقتاتونها وفى الحديث العجوة من الجنة وثمرها يغزى أحسن غذاء أى وتقدم ان آدم نزل بالعجوة من الجنة وفى البخارى من تصبح كل يوم على سبع تمرات عجوة لم يصبه فى ذلك اليوم سم ولا سحر أى وقد جاء فى عجوة العالية شفاء وانها ترياق أول البكرة من تصبح بسبع تمرات عجوة لم يضره فى ذلك اليوم سم ولا سحر أى وفى كلام بعضهم العجوة ضرب من التمر أكبر من الصيحانى تضرب الى السواد وهو مما غرسه النبي صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة بالمدينة أى وقد علمت انها فى نخل بنى النضير وفى العرائس عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هبط آدم من الجنة بثلاثة أشياء بالآسة وهى سيدة ريحان الدنيا والسنبلة وهى سيدة طعام الدنيا والعجوة وهى سيدة ثمار الدنيا وروى عن ابن عباس وعائشة وأبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان العجوة من غرس الجنة وفيها شفاء وانها ترياق أول البكرة وعليكم بالتمر البرنى فكلوه فانه يسبح فى شجره ويستغفر لآكله هذا كلام العرائس وفى حديث وفد عبد القيس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم ذلك وذكر البرنى انه من خير تمركم وانه دواء وليس بداء وجاء بيت لا تمر فيه جياع أهله قال ذلك مرتين ولما قطعت العجوة شق النساء الجيوب وضربن الخدود ودعون بالويل أى وذلك البعض الذى حرق كان بمحل يعرف بالبويرة اه أى والبويرة تصغير بورة وهى هنا الحفرة ويقال لها البولة باللام بدل الراء وعند ذلك نادوه أي يا محمد وفى رواية يا أبا القاسم قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه فما بال قطع النخل وتحريقها أى وفى رواية ماهذا الفساد وفي لفظ قالوا يا محمد زعمت انك تريد الصلاح أفمن الصلاح قطع النخل وهل وجدت فيما زعمت أنه أنزل عليك الفساد فى الأرض وقالوا للمؤمنين انكم تـكرهون الفساد وأنتم تفسدون وحينئذ وقع فى نفوس بعض المسلمين من ذلك شىء فانزل الله تعالى ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله وليخزى الفاسقين أى فى قولهم ان ذلك من الفساد قال بعضهم جميع ما قطعوا وحرقوا ست نخلات ولا زال عبد الله بن أبى ابن سلول يبعث لبنى النضير أن اثبتوا وتمنعوا فانكم ان قوتلتم قاتلنا معكم وان أخرجتم خرجنا معكم أى ومعه على ذلك جمع من قومه فانتظروا ذلك نخذلهم ولم يحصل لهم منه شىء أى وجعل سلام بن مشكم وكنانة

عن هذا وفى الحديث جواز تأمير المفضول على الفاضل إذا امتاز المفضول بصفة تتعلق بتلك الولاية وفضل أبي بكر على الرجال و بنته على النساء ومنقبة لعمرو بن العاص رضى الله عنه لتأميره على جيش فيهم أبو بكر وعمر رضى الله عنهما وان لم يقتض ذلك أفضليته عليهم لكن يقتضى أن له فضلا فى الجملة وقد قال رافع الطائى وهذه الغزوة هى التى يفتخر بها أهل الشام أى ويحتجون بها على فضل عمرو بن العاص رضي الله عنه والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿سرية الخبط﴾

وهي سرية أبى عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال القرشى الفهرى أحد العشرة المبشرين بالجنة رضى الله عنه وعنهم وسماها البخارى غزوة سيف البحر بكسر السين أى ساحل البحر واشتهرت بسراية الخبط بعث صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة ومعه ثلثمائة و بضعة عشر رجلا وكان فيهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى أرض جهينة ليلقى عيرا لقريش ولمحاربة حى من جهينة وكانت فى رجب سنة ثمان بعد نكث قريش العهد وقبل فتح مكة وزودهم رسول الله صلى الله عليه وسلم جرابا من التمر لم يجدوا غيره وقيل كان معهم غيره فلما فنى ما معهم أكلوا الخبط وهو بفتح الخاء المعجمة والباء الموحدة ورق السلم قال جابر رضى الله عنه كنا نضرب بعصينا الخبط ونبله بالماء فنأكله وفى رواية كان الرجل منا يأكل تمرة تمرة فقالوا لجابر كيف كنتم تصنعون قال نمصها كما يمص الصبي الثدى ثم نشرب عليها الماء فيكفينا يومنا إلى الليل ثم أكلوا الخبط بعد فناء التمر وابتاع لهم قيس بن سعد بن عبادة رضى الله عنهما جزرا ونحرها لهم وفى رواية انهم أصابهم جوع شديد فقال قيس من يشترى منى تمرا بالمدينة بجزر تجزرهنا فقال له رجل من جهينة من أنت فانتسب فعرفه الجهنى فقال عرفت نسبك فابتاع منه خمس جزائر بخمسة أوسق وأشهد له نفرا من الصحابة وامتنع عمر رضى الله عنه لكون قيس لا مال له

---

ابن صوريا يقولان لحيي أين نصرا بن أبى الذى زعمت فيقول حيي ما أصنع هى ملحمة كتبت علينا ولزم رسول الله صلى الله عليه وسلم حصارهم وقذف الله فى قلوبهم الرعب فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجليهم و يكف عن دمائهم على أن لهم ما حملت الابل من أموالهم إلا الحلقة أى آلة الحرب ففعل فاحتملوا النساء والصبيان وحملوا من أموالهم غير الحلقة ما استقلت به الابل وكانت ستمائة بعير فكان الرجل يهدم بيته عما استحسن من خشبه كبابه وكنجافه أى أسكفته ( ) فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به أى وفى لفظ صاروا ينقضون العمد والسقوف و ينزعون الخشب حتى الأوتاد و ينقضون الجدران حتى لا يسكنها المسلمون حسدا و بغضا وفى رواية جعل المسلمون يهدمون ما يليهم من حصنهم ويهدم الآخرون ما يليهم قال وفى رواية انهم خرجوا مظهرين التجلد خرجت النساء على الهوادج وعليهن الديباج والحرير وقطف الخز الاخضر والاحمر وحلى الذهب والفضة وخلفهم القيان بالدفوف والمزامير ومنهم سلمى أم وهب وقال ابن اسحق أم عمرو صاحبة عروة بن الورد الذى قيل فيه من قال ان حاتما أسمح العرب فقد ظلم عروة بن الورد أغار عروة على قومها فسباها ثم اتخذها حليلة له فجاءت منه بأولاد ثم إن بعض بنى النضير اشتراها من عروة بعد أن سقاه الخمر ثم لما أفاق ندم ثم اتفق هو ومن اشتراها على أن تكون عند من تختاره بخيرها فاختارت من اشتراها وقيل إن قومها جاءوا إليه بفدائها بخيرها وكان لا يظن أن تختار عليه أحدا فاختارت قومها فندم وعند مفارقتها له قالت له والله ما أعلم امرأة من العرب أرخت سترا على بعل مثلك أغض طرفا ولا أندى كفا ولا أغنى غناء و إنك لرفيع العماد كثير الرماد خفيف على ظهور الخيل ثقيل على متون الاعداء وأحنى الاهل والجار وما كنت لأوثر عليك أهلى لولا انى كنت أسمع بنات عمك يقلن قالت أم عروة وفعلت أم عروة فأجد من ذلك الموت والله لا يجامع وجهى وجه أحد من أهلك فاستوص ببنيك خيرا ثم تزوجت فى بنى النضير وشقوا سوق المدينة وصف لهم الناس فجعلوا يمرون قطارا فى أثر قطار وان سلام بن أبى الحقيق رافع جلد جمل أى أو ثور أو حمار مملوء حليا و ينادى بأعلى صوته هذا أعددناه لرفع الارض وخفضها وان كنا تركنا نخلا ففى خيبر النخل وحزن المنافقون لخروجهم أشد الحزن انتهى وهذا الحلى كانوا يعيرونه للعرب من أهل مكة وغيرهم وكان يكون عند آل أبى الحقيق وسيأتى فى غزوة خيبر أنه صلى الله عليه وسلم عبر عن هذا الحلى بالآنية والكنز وانه كان سببا لقتل ولدى أبى الحقيق لما كتماه عنه صلى الله عليه وسلم فمنهم من سار إلى خيبر أى ومن جملة هؤلاء أكابرهم حيي ابن أخطب وسلام بن أبى الحقيق وكنانة بن أبى الربيع بن أبى الحقيق فلما نزلوا خيبر دان لهم أهلها ومنهم من سار إلى الشام أى إلى أذرعات وكان فيهم جماعة من أبناء الانصار لأن المرأة من الانصار كان إذا لم يعش لها ولد تجعل على نفسها إن عاش لها ولد تهوده فلما أجليت بنو النضير قال آباء أولئك لا ندع أبناءنا وأنزل الله تعالى لا إكراه فى الدين وهى مخصوصة بهؤلاء الذين تهودوا قبل الاسلام والا فاكراه الكفار الحربيين على الاسلام سائغ ولم يسلم من بنى النضير إلا رجلان أى وهما يامين بن عمير وأبو سعد بن

فقال الاعرابى ما كان سعد ليقصر بابنه وأرى وجها حسنا وفعلا شريفا فاخذ قيس الجزر فنحر لهم ثلاثة كل يوم جزورا فلما كان اليوم الرابع نهاه أميره فقال عزمت عليك أن لا تنحر أتريد أن تخفر ذمتك ولا مال لك فقال قيس يا أبا عبيدة أترى أبا ثابت يقضى ديون الناس ويحمل الكل ويطعم فى المجاعة ولا يقضى عنى تمر القوم مجاهدين فى سبيل الله فكاد أبو عبيدة يلين وجعل عمر يقول اعزم فعزم عليه فبقيت جزوران فقدم (٢٨٢) بهما قيس المدينة ظهرا يتعاقبون عليهما وبلغ سعدا مجاعة القوم فقال ان يكن قيس كما أعرف فسينحر لهم فلما لقيه قال ما صنعت فى مجاعة قال نحرت قال أصبت ثم ماذا قال نحرت قال أصبت ثم ماذا قال نحرت قال أصبت ثم ماذا قال نهيت قال ومن نهاك قال أبو عبيدة أميرى قال ولم قال زعم انه لا مال لى وانما المال لأبيك فقال لك أربع حوائط أدناها تجد منه خمسين وسقا وقدم الجهنى مع قيس فأوفاه أوسقه وحمله وكساه فبلغ النبى صلى الله عليه وسلم فعل قيس فقال ان الجود من شيمة أهل ذلك البيت وقيل ان قيسا نحر قبل الثلاث ستا مما كان معه من الظهر ثم ثلاثا من التى اشتراها من الجهنى وكان قيس من دهاة العرب أهل الرأى والمكيدة فى الحرب مع النجدة والبسالة والشجاعة من وقف على ما وقع بينه وبين معاوية رضى الله عنهما حين ولاه سيدنا على رضى الله عنه مصر بعد قتل سيدنا عثمان رضى الله عنه لرأى العجب العجاب من وفور عقله ومع ذلك كان له من الكرم ما لا مزيد عليه وقفت له عجوز مرة وقالت أشكو اليك قلة الجرذان ببيتى والجرذان نوع من الفيران فقال ما أحسن هذا السؤال وقال لها لأكثرن جرذان بيتك فملأ بيتها طعاما وقيل قالت له مشت جرذان بيتى على العصا فقال لها لأدعهن يثبن وثوب الأسود ثم ملأ لها بيتها طعاما ولا مانع من تعدد الواقعة وكان قيس لا شعر بوجهه وكان مع ذلك جميلا وكانت الانصار

---

وهب قال أحدهما لصاحبه والله انك لتعلم انه رسول الله فما ننتظر ان نسلم فنأمن على دمائنا وأموالنا فنزلا من الليل وأسلما) فاحرزوا أموالهما أى وجعل يامين لرجل من قيس جعلا أى وهو عشرة دنانير وقيل خمسة أوسق من تمر على قتل عمرو بن جحاش الذى أراد أن يلقى الحجر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتله غيلة أى بعد أن قال رسول الله ﷺ ليامين ألم تر ما لقيت من ابن عمك وما هم به من شأنى فسر بذلك النبى ﷺ ونزل فى أمر بنى النضير سورة الحشر ولذلك كان يسميها ابن عباس رضى الله عنهما سورة بنى النضير كما فى البخارى وفى كلام السبكى رحمه الله لم يختلفوا أن سورة الحشر نزلت فى بنى النضير وقد أشار لقصتهم صاحب الهمزية بقوله

خدعوا بالمنافقين وهل ينـ * ـفق الا على السفيه الشقاء
ونهيتم وما انتهت عنه قوم * فابيد الامار والنهاء
أسلموهم لأول الحشر لاميـ * ـعادهم صادق ولا الايلاء
سكن الرعب والخراب قلوبا * وبيوتا منهم نعاها الجلاء

أى وخدعهم قول المنافقين انهم يكونون معهم وينصرونهم على النبى صلى الله عليه وسلم وما يروج الشقاء الا على السفيه والمراد بالمنافقين عبد الله بن أبى ابن سلول ومن كان معه على النفاق لانه كما تقدم لا زال يرسل لهم ان اثبتوا وتمنعوا فانكم ان قوتلتم قاتلنا معكم وان خرجتم خرجنا معكم ونهاهم عن موافقته سلام بن مشكم فلم ينتهوا أسلمهم أولئك المنافقون لاول الحشر وهو أى الحشر جلاؤهم وخروجهم من ديارهم فميعادهم لهم بان ينصروهم على النبى صلى الله عليه وسلم غير صادق وكذا حلفهم لهم على ذلك غير صادق أيضا اذ كر موسى بن عقبة انهم كانوا من سبط لم يصبهم جلاء قبلها فلذلك قال لاول الحشر والحشر الجلاء وقيل المراد بالحشر أرض المحشر فانهم قالوا إلى أين تخرج يا محمد قال الى الحشر يعنى أرض المحشر والحشر الثانى هو حشر النار التى تخرج من قعر عدن فتحشر الناس إلى الموقف وقيل الحشر الثانى لهم كان على يد سيدنا عمر رضى الله عنه أجلاهم من خيبر الى تيماء وريحاء وسيأتى ذكره وسكن الرعب وهو خشية انتقامه ﷺ منهم قلوبهم وسكن الخراب بيوتهم وقد أخبر تلك البيوت بموت أهلها خروجهم وجلاؤهم من أرضهم وأنزل الله تعالى ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب وهم بنو النضير لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أى فى خذلانكم أحدا أبدا وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم مثلهم كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برىء منك انى أخاف الله رب العالمين ووجد صلى الله عليه وسلم من الحلقة أى آلة السلاح خمسين درعا وخمسين بيضة وثلثمائة وأربعين سيفا ولم يخمس ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أى كما خمس أموال بنى قينقاع قال وقد قال له عمر رضى الله تعالى عنه يا رسول الله الا تخمس ما أصبت أى كما فعلت فى بنى قينقاع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أجعل شيئا جعله الله لى دون المؤمنين بقوله تعالى

تقول وددنا أن نشتري لقيس بن سعد لحية بأموالنا كلها * ولنرجع إلى تمام قصة سرية الخبط قال أهل السير ثم أخرج الله لهم دابة من البحر تسمى العنبر وهي سمكة كبيرة يتخذ من جلدها الترسة وقيل إن العنبر المشموم رجيعها قال الأزهري العنبر سمكة بالبحر الأعظم يبلغ طولها خمسين ذراعا وفي رواية لجابر رضي الله عنه فألقى لنا البحر حوتا ميتا لم نر مثله فأكلنا منه نصف شهر وفي رواية ثمانية عشر يوما حتى صحت أجسامنا وادهنا من ودكه فأخذ أبو عبيدة ضلعا من  أضلاعه فنصبه ونظر الى أطول بعير فجاز تحته براكبه وفي رواية ثم أمر بأجسم بعير معنا فحمل عليه أجسم رجل فخرج من تحتها وما مست رأسه وفي رواية فدخل أي الراكب تحتها ما يطأطئ رأسه وفي رواية لمسلم عن جابر رضي الله عنه فلقد رأيتنا نغترف من وقب عينيه أي حدقتيه الدهن بالقلال ونقتطع منه القدر أي القطع من اللحم كالثور وفي رواية عن جابر أيضا فدخلت أنا وفلان فعد خمسة في حجاج عينها ما يرانا أحد حتى خرجنا فسبحان القوي القادر فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا له ذلك فقال هو رزق أخرجه الله لكم فهل معكم شيء من لحمه فتطعمونا فكان معنا منه شيء فأرسلنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكل ولم يذكر أحد من أهل السير انهم قاتلوا أحدا في هذه السرية بل أقاموا نصف شهر أو أكثر في مكان واحد ثم رجعوا ولم يلقوا كيدا والله سبحانه وتعالى أعلم ﴿ سرية أبي قتادة رضي الله عنه الى نجد ﴾ واسم أبي قتادة الحرث وقيل عمرو أو النعمان بن ربعي الأنصاري السلمي بعثه صلى الله عليه وسلم الى خضرة وهي أرض محارب بنجد في شعبان سنة ثمان وبعث معه خمسة عشر رجلا وأمره أن يشن الغارة على غطفان بأرض محارب فسار الليل وكمن النهار ثم هجم على جمع منهم فقاتله منهم رجال وقتل من أشرف منهم وسبى أبو قتادة ومن معه سبيا كثيرا واستاق النعم فكانت الابل مائتي بعير والغنم ألفي شاة وفي رواية عن

تعالى ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى الآية كهيئة ما وقع فيه السهمان () أي فكان أموال بني النضير وعقارهم فيئا لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة وتقدم التنبيه على ذلك في غزوة بني قينقاع وفسرت القرى بالصفراء ووادي القرى أي ثلث ذلك كما في الامتاع وينبع وفسرت القرى ببني النضير وخيبر أي بثلاث حصون منها وهي الكتيبة والوطيح وسلالم كما في الامتاع وفدك أي نصفها كما في الامتاع ذكره الرافعي في شرح مسند إمامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه أقول قال بعضهم وهذا أول فيء حصل لرسول الله ﷺ ويرده ما تقدم في غزوة بني قينقاع الا أن يقال المراد أول فيء اختص به صلى الله عليه وسلم ولم يقسمه قسمة الغنيمة على ما تقدم ثم دعا الأنصار الاوس والخزرج فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم ذكر الانصار وما صنعوا بالمهاجرين من انزالهم في منازلهم وايثارهم على أنفسهم بأموالهم ثم قال لهم إن اخوانكم المهاجرين ليس لهم أموال فان شئتم قسمت هذه الاموال أي التي أفاء الله علي وخصني بها مع أموالكم بينكم جميعا وان شئتم أمسكتم أموالكم وقسمت هذه فيكم خاصة فقالوا بل أقسم هذه فيهم واقسم لهم من أموالنا ما شئت وفي رواية ان أحببتم قسمت بينكم وبين المهاجرين ما أفاء الله علي من بني النضير وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في منازلكم وأموالكم أي الارض والنخل لانه لما قدم المهاجرون من مكة الى المدينة قدموا وليس بأيديهم شيء وكان الانصار أهل الأرض والعقار أي النخل فآثروهم بمتاع من أشجارهم فمنهم من قبلها منيحة محضة ويكفونه العمل ومنهم من قبلها بشرط أن يعمل في الشجر والارض وله نصف الثمار ولم تطب نفسه أن يقبلها منيحة محضة لشرف نفوسهم وكراهتهم ان يكونوا كلا وان أحببتم أعطيتهم أي وخرجوا من دوركم أي وأموالكم فتكلم سعد بن عبادة وسعد بن معاذ فقالا يا رسول الله بل تقسم بين المهاجرين ويكونون في دورنا كما كانوا بل نحب أن تقسم ديارنا وأموالنا على المهاجرين الذين تركوا ديارهم وأموالهم وعشائرهم وخرجوا حبا لله ولرسوله ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها ونادت الانصار رضينا وسلمنا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم الانصار وأبناء الانصار زاد في رواية وأبناء أبناء الأنصار وقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه جزاكم الله يا معشر الانصار خيرا اي وأنزل الله تعالى فيهم ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة أي ولو كان بهم فاقة وحاجة الى ما يؤثرون به فقسم رسول الله ﷺ ذلك بين المهاجرين اى وفي كلام بعضهم انه صلى الله عليه وسلم لم يعم المهاجرين ولم يعط أحدا من الانصار الا رجلين كانا محتاجين أي وهما سهل بن حنيف وأبو دجانة رضي الله عنهما وبعضهم ضم اليهما ثالثا وهو الحرث بن الصمة ونظر فيه بعضهم بأنه قتل في بئر معونة وأعطى ﷺ سعد بن معاذ سيف ابن أبي الحقيق أحد سادات بني النضير وكان سيفا له ذكر عندهم وكان ﷺ يزرع أرضهم التي تحت النخل فيدخر من ذلك قوت أهله سنة وما فضل يجعله في الكراع أي الخيل والسلاح عدة في سبيل الله تعالى أقول فيه تصريح بأنه لم يقسم الارض ويحتمل أن المراد بقوله كان يزرع أرضهم التي تحت النخل أي بعض ارضهم ويدل له ما يأتي

ابن عمر رضى الله عنهما بعث صلى الله عليه وسلم سرية قبل نجد فكنت فيها فغنموا ابلا كثيرة وغنما فكانت سهامنا اثنى عشر بعيرا ونفلنا بعيرا بعيرا فرجعنا بثلاثة عشر بعيرا وكانت غيبته خمس عشرة ليلة وكان السبى أربع نسوة وأطفال وجوار وكان فيهم جارية وضيئة كأنها ظبى وقعت فى سهم أبى قتادة فجاء محمية بن جزء الزبيدى فقال يارسول الله ان أبا قتادة قد أصاب فى وجهه هذا جارية وضيئة وقد كنت وعدتنى جارية



فارسل صلى الله عليه وسلم الى أبى قتادة فقال هب لى الجارية فوهبها له فدفعها الى محمية بن جزء الزبيدى والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿سرية أبى قتادة أيضا رضى الله عنه الى اضم﴾ وهو بكسر الهمزة وفتح الضاد المعجمة وبالميم واد على ثلاثة برد من المدينة وكانت هذه السرية فى أول شهر رمضان سنة ثمان وذلك أنه صلى الله عليه وسلم لما هم أن يغزو أهل مكة بعد أن نقضوا العهد كما سيأتى بعث أبا قتادة رضى الله عنه فى ثمانية أنفار سرية الى بطن اضم ليظن ظان أنه صلى الله عليه وسلم توجه الى تلك الناحية ولتذهب بذلك الاخبار فلا تستعد قريش لحربه ويدخل عليهم على حين غفلة وكان يقول اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها واستجيب له فعميت الاخبار عنهم فلم يأتهم خبر عنه ولا علموا بذلك الا ليلة دخوله صلى الله عليه وسلم كما سيأتى فخرج أبو قتادة ومن معه رضى الله عنهم فلقوا عامر بن الاضبط الاشجعى فسلم عليهم بتحية الاسلام أى قال السلام عليكم ثبت وقيل عظمهم بالانقياد ومنه كلمة الشهادة التى هى أمارة على اسلامه فقتله محلم بن جثامة فانزل الله ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا الآية روى الامام أحمد والطبرانى عن عبد الله بن أبى حدرد رضى الله عنه قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اضم فى نفر من المسلمين فيهم أبو قتادة ومحلم بن جثامة بن قيس فخرجنا حتى اذا كنا ببطن اضم مر بنا عامر بن الاضبط الاشجعى على قعود

---

ولم أقف على كيفية زرعه صلى الله عليه وسلم للارض من مزارعة أو غيرها وفى الخصائص الكبرى عن رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال كان نخل بنى النضير لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة أعطاه الله تعالى اياه وخصه بها فاعطى أكثرها المهاجرين وقسمها بينهم وقسم منها لرجلين من الانصار وهذا السياق يدل على ان مراده بنخل بنى النضير أموالهم كما تقدم فى الروايات لاخصوص النخل ثم رأيت فى عبارة بعضهم وأكثر الروايات على ان أموال بنى النضير أى من مواشيهم كالخيل ومزارعهم وعقارهم حق لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة له خصه الله تعالى بها لم يخمسها ولم يسهم منها لأحد وأعطى منها ما أراد ووهب العقار للناس وأعطى أبا بكر وعمر وعبد الرحمن ابن عوف وصهيبا وأبا سلمة بن عبد الاسد ضياعا معروفة من ضياع بنى النضير ولعل المراد بالضياع الاراضى ويدل لذلك مافى البخارى أقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير أرضا من أراضى بنى النضير كان ذلك هو المراد بقول الامتاع وكانت بنو النضير من صفايا رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلها حبسا لنوائبه وكان صلى الله عليه وسلم ينفق على أهله منها وكانت صدقاته منها وقد يقال لا منافاة لانه يجوز أن يكون أعطى بعض أراض وأبقى بعضها يزرع له صلى الله عليه وسلم ولما أعطى المهاجرين أمرهم برد ما كان للانصار لاستغنائهم عنهم ولانهم لم يكونوا ملكوهم ذلك وانما كانوا دفعوا لهم تلك النخيل لينتفعوا بثمرها وظنت أم أيمن ان ذلك ملك لها فامتنعت من رده أى لان أم أنس كانت أعطته صلى الله عليه وسلم نخلات فاعطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم أم أيمن ولم ينكر عليها ذلك تطييبا لقلبها لكونها حاضنته وصار يعطيها وهى تمتنع من رده إلى ان أعطاها عشرة أمثاله أو قريبا من ذلك وذكر هذا فى بنى النضير يخالف مافى مسلم ان ذلك كان عند فتح خيبر حيث ذكر أنه صلى الله عليه وسلم لما فرغ من قتال أهل خيبر وانصرف الى المدينة رد المهاجرون الى الانصار منائحهم التى كانوا منحوهم من ثمارها وذكر قصة أم أيمن فلتأمل والله أعلم

## غزوة ذات الرقاع

أى وتسمى غزوة الاعاجيب أى لما وقع فيها من الأمور العجيبة وغزوة محارب وغزوة بنى ثعلبة وغزوة بنى أنمار عن ابن اسحق رحمه الله ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد غزوة بنى النضير شهر ربيع الأول وقال غيره شهرى ربيع وبعض جمادى ثم غزا نجدا يريد بنى محارب وبنى ثعلبة حين بلغه صلى الله عليه وسلم انهم جمعوا الجموع أى من غطفان لمحاربته فخرج صلى الله عليه وسلم فى أربعمائة من أصحابه رضى الله عنهم أى وقيل سبعمائة وقيل ثمانمائة ( ) أى واحتج البخارى رحمه الله على ان هذه الغزاة كانت بعد خيبر بما رواه عن أبى موسى رضى الله عنه مما يدل على ان أبا موسى شهد غزاة ذات الرقاع وهو وخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة نفر بيننا بعير فنقبت أقدامنا نقبت قدماى وسقطت أظفارى فكنا نلف على أرجلنا الخرق فسميت غزاة ذات الرقاع واذا

له ومعه متيع له ووطب من لبن فسلم علينا بتحية الاسلام فامسكنا عنه وحمل عليه محلم فقتله لشيء كان بينه و بينه وأخذ بعيره ومتيعه فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرناه الخبر نزل فينا يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا الى آخر الآية وتقدم في سرية غالب الليثي أن الآية نزلت في قتل اسامة بن زيد مرداس بن نهيك فيحتمل تعدد القصة وتكرر نزول الآية ثم إن أبا قتادة ومن معه لم يلقوا جمعا  و بلغهم أنه صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة وتوجه الى مكة فلحقوه بالسقيا فأخبروه الخبر فقال لمحلم أقتلته بعد ماقال آمنت بالله وفي رواية بعد ماقال إني مسلم فجلس محلم بين يدي رسول الله ﷺ ليستغفر له وقال إنما قالها متعوذا قال أفلا شققت عن قلبه لتعلم أصادق هو أم كاذب قال وهل قلبه إلا مضغة من لحم قال ﷺ إنما كان ينبيء عنه لسانه وفي رواية لامافي قلبه تعلم ولا لسانه صدقت فقال استغفر لي يارسول الله قال لاغفر الله لك أي زجرا وتهويلا لهذا الأمر كيلا يتهاون الناس بقتل النفس المؤمنة فقام محلم وهو يتلقى دموعه ببرديه فما مضت له سابعة من الليالي حتى مات فجهزوه ودفنوه فلفظته الارض ثم عادوا ودفنوه فلفظته الارض ثم دفنوه فلفظته الارض فرضموا عليه الحجارة حتى واروه فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن الأرض تقبل من هو شر من صاحبكم ولكن الله أراد أن يعظكم في حرمة ما بينكم بما أراكم منه وجاء في بعض طرق هذه القصة أن عيينة بن حصن قام يطالب بدم عامر بن الاضبط وعيينة يومئذ رئيس غطفان وقام الاقرع بن حابس يدفع عن محلم بن جثامة لمكانه من خندق فتداولا الخصومة عنده صلى الله عليه وسلم وأرادوا الاقتصاص من محلم ثم قبلوا الدية ثم سألوا محلم النبي صلى الله عليه وسلم أن يستغفر له فقال اللهم لاتغفر له فمات بعد سبع الى آخر ما تقدم

﴿ غزوة الفتح الاعظم وهو فتح مكة

ثبت أن أبا موسى شهد غزاة ذات الرقاع وثبت أنه لم يجيء اليه ﷺ من الحبشة إلا بخيبر لزم أن تكون غزوة ذات الرقاع بعد خيبر إلا أن يدعى تعدد غزوة ذات الرقاع مرتين وأنها كانت قبل خيبر و بعدها والتي وجدت فيها صلاة الخوف هي الثانية أي والسبب في تسميتها ذات الرقاع ماتقدم عن أبي موسى رضي الله عنه وحيث كانت بعد خيبر يلزم أن تكون بعد الخندق لقول الحافظ ابن حجر رحمه الله صلاة الخوف في غزوة الخندق لم تكن شرعت أي لأنها لو كانت شرعت لصلاها ﷺ ولم يؤخر الصلاة كما سيأتي وسيأتي الجواب عن ذلك وقد ذكرها الشمس الشامي رحمه الله تعالى بعد خيبر والاصل لم يذكر ماتقدم عن البخاري بل رواه بالمعنى فقال روينا في صحيح البخاري من حديث أبي موسى رضي الله عنه أنهم نقبت أقدامهم فلفوا عليها الخرق فسميت غزوة ذات الرقاع قال وجعله أي البخاري حديث أبي موسى هذا حجة على أن غزوة ذات الرقاع متأخرة عن خيبر لأن أبا موسى إنما قدم في خيبر لادلالة فيه على ذلك أي لأنه يجوز أن يكون قول أبي موسى رضي الله عنه أنهم نقبت أقدامهم يعني الصحابة فيكون هذا مما رواه أبو موسى عمن شاهد الوقعة من الصحابة وفيه أن هذا لا يأتي مع قول البخاري عن أبي موسى فنقبت قدماي وسقطت أظفاري إذ هو صريح في أن أبا موسى رضي الله عنه حضرها والأصل تبع في تقديمها على خيبر شيخه الدمياطي وتابعه أيضا في رواية ما تقدم عن البخاري بالمعنى ونظر الدمياطي في رواية أبي موسى أي التي في البخاري التي رواها عنه بالمعنى بانها مخالفة لما عليه أهل المغازي من تقديمها على خيبر قال الحافظ ابن حجر وادعى الدمياطي غلط الحديث الصحيح وان جميع أهل السير على خلافه والاعتماد على ما في الصحيح أي من تأخيرها عن خيبر أولى لأن أصحاب المغازي مختلفون في زمانها قال والبخاري مع روايته عن أبي موسى الصريحة في تأخر غزوة ذات الرقاع عن غزوة خيبر قدم غزوة ذات الرقاع على خيبر قال ولا أدري هل تعمد ذلك تسليما لأصحاب المغازي أنها كانت قبل خيبر أو أن ذلك من الرواة عنه أو اشارة الى احتمال أن تكون ذات الرقاع اسما لغزوتين مختلفتين أي واحدة قبل خيبر والثانية بعدها كما قدمناه أي وقدمنا أن سبب التسمية في الثانية ماذكر عن أبي موسى رضي الله عنه وأما في الأولى فأحد الأسباب الآتية قال في الامتاع وقد قال بعض من أرخ أن غزوة ذات الرقاع أكثر من مرة فواحدة كانت قبل الخندق وأخرى بعدها أي و بعد خيبر ولما غزا صلى الله عليه وسلم استخلف على المدينة أبا ذر الغفاري وقيل عثمان بن عفان رضي الله عنه قال ابن عبد البر وعليه الأكثر أي وقد نظر في الأول بان أبا ذر رضي الله عنه لما أسلم بمكة رجع الى بلاد قومه فلم يجيء حتى مضت بدر وأحد والخندق ( أقول ) وهذا النظر بناء على أنها كانت قبل الخندق وأما على أنها كانت بعد الخندق و بعد خيبر فلا يتأتى هذا النظر والله أعلم وسار صلى الله عليه وسلم حتى بلغ نجدا فلم يجد بها أحدا ووجد نسوة فأخذهن وفيهن جارية وضيئة ثم لقي جمعا فتقارب الجمعان ولم يكن بينهما حرب وقد خاف بعضهم بعضا أي خاف المسلمون ان تغير المشركون عليهم وهم غارون أي غافلون حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس صلاة الخوف وكانت أول صلاة للخوف صلاها قال وفي

شرفها الله تعالى ﴿ وهو الفتح الذى استبشر به أهل السماء وضربت أطناب عزه على مناكب الجوزاء ودخل الناس بسببه فى دين الله أفواجا وأشرق به وجه الارض ضياء وابتهاجا خرج صلى الله عليه وسلم بكتائب الاسلام وجنود الرحمن لنقض قريش العهد الذى وقع بالحديبية فانه كان قد وقع الشرط أن من أحب أن يدخل فى عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده فعل ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم فعل فدخلت بنو بكر فى عقد قريش وعهدهم ودخلت خزاعة فى عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده وكانت خزاعة حلفاء جده عبد المطلب حين تنازع مع عمه نوفل فى ساحات وأفنية من السقاية كانت فى يد عبد المطلب فأخذها منه نوفل فاستنهض عبد المطلب قومه فلم ينهض معه منهم أحد وقالوا لاندخل بينك وبين عمك ثم كتب الى أخواله بنى النجار فجاء منهم سبعون وقالوا ورب هذه البنية لتردن على ابن أختنا ما أخذت منه وإلا ملأنا منك السيف فرده ثم حالف نوفل بنى أخيه عبد شمس فحالف عبد المطلب خزاعة وكان عليه الصلاة والسلام بذلك عارفا ولقد جاءته خزاعة يوم الحديبية بكتاب جده عبد المطلب فقرأه عليه أبى بن كعب رضى الله عنه وهو باسمك اللهم هذا حلف عبد المطلب ابن هاشم لخزاعة إذ قدم عليه سرواتهم وأهل الرأى منهم غائبهم يقر بما قاضى عليه شاهدهم أن بيننا وبينكم عهود الله وعقوده ومالا ينسى أبدا اليد واحدة والنصر من واحد ما أشرق ثبير وثبت حراء وما بل بحر صوفة ولا يزداد فيما بيننا وبينكم إلا تجددا أبد الدهر سرمدا وفى رواية حلفا جامعا غير مفرق الأشياخ على الأشياخ والأصاغر على الأصاغر والشاهد على الغائب وتعاهدوا وتعاقدوا أوكد عهد وأوثق عقد لا ينقض ولا ينكث ما أشرقت شمس على ثبير وحن بفلاة بعير وما أقام الأخشبان واعتمر بمكة انسان حلف أبد لطول أمد يزيده طلوع الشمس

رواية حانت صلاة الظهر فصلاها صلى الله عليه وسلم بأصحابه فهم بهم المشركون فقال قائلهم دعوهم فان لهم صلاة بعد هذه هى أحب اليهم من أبنائهم أى وهى صلاة العصر فنزل جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فصلى صلاة العصر صلاة الخوف اه (أقول) سيأتى هذا كله بعينه فى غزوة الحديبية التى هى صلاة الخوف بعسفان ولا مانع من تعدد ذلك ويحتمل أنه من الاشتباه على بعض الرواة والله أعلم وكان العدو فى غير جهة القبلة ففرقهم فرقتين فرقة وقفت فى وجه العدو وفرقة صلى بها ركعة ثم عند قيامه للثانية فارقته وأتمت بقية صلاتها ثم جاءت ووقفت فى وجه العدو وجاءت تلك الفرقة التى كانت فى وجه العدو واقتدت به فى ثانيته فصلى بها ركعة ثم قامت وهو فى جلوس التشهد وأتمت بقية صلاتها ولحقته فى جلوس التشهد وسلم بها وهذه الكيفية فى ذات الرقاع رواها الشيخان ونزل بها القرآن وهو قوله تعالى وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة الآية أى وفى كلام بعضهم فصلى بهم النبى صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف صلى بطائفة ركعتين وبالأخرى ركعتين وسيأتى أن هذه صلاته ﷺ ببطن نخل وفى الخصائص الصغرى وخص صلى الله عليه وسلم بصلاة الخوف فلم تشرع لأحد من الامم قبلنا وبصلاة شدة الخوف عند التحام القتال أى وفى هذه الغزوة نزل صلى الله عليه وسلم ليلا وكانت تلك الليلة ذات ريح وكان نزوله صلى الله عليه وسلم فى شعب استقبله فقال من رجل يكلؤنا أى يحفظنا هذه الليلة فقام عباد بن بشر رضى الله عنه وعمار بن ياسر رضى الله عنهما فقالا نحن يارسول الله نكلؤكم فجلسا على فم الشعب فقال عباد بن بشر لعمار بن ياسر أنا أكفيك أول الليل وتكفينى آخره فنام عمار رضى الله عنه وقام عباد رضى الله عنه يصلى وكان زوج بعض النسوة التى أصابهن رسول الله صلى الله عليه وسلم غائبا فلما جاء أخبر الخبر فتبع الجيش وحلف لاينتهى حتى يصيب محمدا أو يهريق فى أصحاب محمد دما فلما رأى سواد عباد قال هذا ربيئة القوم ففوق سهما فوضعه فيه فانتزعه عباد فرماه بآخر فوضعه فيه فانتزعه فرماه بآخر فانتزعه فلما غلبه الدم قال لعمار اجلس فقد أتيت فلما رأى ذلك الرجل عمارا جلس علم أنه قد نذر به فهرب فقال عمار أى أخى ما منعك أن توقظنى له فى أول سهم رمى به فقال كنت أقرأ فى سورة أى فى سورة الكهف فكرهت أن أقطعها وفى لفظ جعل صلى الله عليه وسلم شخصين من أصحابه يقال هما عباد بن بشر من الانصار وعمار بن ياسر من المهاجرين فى مقابلة العدو فرمى أحدهما بسهم فأصابه ونزفه الدم وهو يصلى ولم يقطع صلاته بل ركع وسجد ومضى فى صلاته ثم رماه بثان وثالث وهو يصيبه ولم يقطع صلاته أى وهو عباد بن بشر كما تقدم وقد قال عباد اعتذارا عن ايقاظ صاحبه لولا أنى خشيت أن أضيع ثغرا أمرنى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انصرفت ولو أتى على نفسى (أقول) وبهذه الواقعة استدل أئمتنا على أن النجاسة الحادثة من غير السبيلين لا تنقض الوضوء لانه صلى الله عليه وسلم علم ذلك ولم ينكره وأما كونه صلى مع الدم فلعل ما أصاب ثوبه وبدنه منه قليل ولا ينافى ذلك ما تقدم فى الرواية قبل هذه فلما غلبه الدم إذ يجوز مع كونه كثيرا أنه لم يصب ثوبه ولا بدنه إلا القليل منه والله أعلم ويقال إن رجلا

شدا وظلام الليل مداوان عبدالمطلب وولده ومن معهم رجال خزاعة متكافئون متضافرون متعاونون على عبدالمطلب النصرة
لهم بمن تابعه على كل طالب وعلى خزاعة النصرة لعبدالمطلب وولده ومن معهم على جميع العرب فى شرق أو غرب أو حزن أو سهل
وجعلوا الله على ذلك كفيلا وكفى به حميلا ولما ذكرت خزاعة ذلك الحلف للنبى صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية قال صلى الله عليه
وسلم ما أعرفنى بحلفكم وأنتم على ما أسلمتم عليه من الحلف وكل حلف كان فى الجاهلية فلا يزيده الاسلام الا شدة ولا
حلف فى الاسلام وهذا الذى نفاه فى الاسلام هو ما كان على الفتن والقتال والغارات والذى قواه الاسلام ما كان على نصر المظلوم وصلة الارحام والخير ونصرة الحق فلا تنافى حينئذ ثم انه قد كان بين بنى بكر بن عبدمناة ابن كنانة وبين خزاعة حروب وقتلى فى الجاهلية وتشاغلوا عن ذلك لما ظهر الاسلام فلما كانت الهدنة خرج نوفل بن معاوية الديلى من بنى بكر ومعه جماعة من قبيلة بنى الديل حتى بيت خزاعة وهم على ماء لهم يسمى الوتير بأسفل مكة فأصاب منهم رجلا يقال له منبه واستيقظت لهم خزاعة فاقتتلوا إلى أن دخلوا الحرم ولم يتركوا القتال فلما انتهوا إلى الحرم قالت بنو بكر يا نوفل انا قد دخلنا الحرم إلهك إلهك فقال كلمة عظيمة وهى قوله لا إله له يا بنى بكر أصيبوا ثاركم فلعمرى انكم لتسرقون فلا
تصيبون ثاركم فيه وقيل ان سبب القتال بين بنى بكر وخزاعة ان شخصا من بنى بكر هجا رسول الله ﷺ وصار يتغنى به
فسمعه غلام من خزاعة فضربه فشجه فثار الشر بين الحيين مع ما كان بينهم من العداوة وطلب بنو بكر من قريش أن يعينوهم
بالرجال والسلاح على خزاعة فأمدوهم بذلك فبيتوا خزاعة ووقع القتال بينهم وكان جملة من قتل من خزاعة عشرين أو ثلاثة
وعشرين وقاتل مع بنى بكر جمع من قريش خفية منهم صفوان بن أمية وحويطب بن عبد العزى وعكرمة بن ابى جهل وشيبة بن

من القوم أى وهو غورث بالغين المعجمة مكبرا على الاشهر وقيل غويرث بالتصغير والمهملة ابن
الحرث قال لهم ألا أقتل لكم محمدا قالوا بلى وكيف تقتله قال افتك به أى أجىء اليه على غفلة فجاء اليه
ﷺ وسيفه فى حجره فقال يا محمد أرنى أنظر الى سيفك هذا فأخذه من حجره فاستله ثم جعل
يهزه ويهم فيكبته الله أى يخزيه ثم قال يا محمد ما تخافنى قال لا بل يمنعنى الله تعالى منك ثم دفع السيف
اليه ﷺ فأخذه صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك منى فقال كن خير آخذ قال تشهد أن
لا إله إلا الله وانى رسول الله قال أعاهدك على أنى لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك قال فخلى
رسول الله ﷺ سبيله فجاء الى قومه فقال جئتكم من عند خير الناس وأسلم هذا بعد وكانت له
صحبة وفى رواية جاء اليه ﷺ وهو جالس وسيفه فى حجره فقال يا محمد انظر الى سيفك
هذا قال نعم فأخذه فاستله ثم جعل يهزه ثم قال يا محمد أما تخافنى قال لا وما أخاف منك قال وفى يدى
السيف قال لا يمنعنى الله تعالى منك ثم غمد سيف رسول الله ﷺ فرده عليه وهذه واقعة
غير واقعة دعثور المتقدمة فى غزوة ذى أمر فهما واقعتان احداهما مع دعثور والثانية مع غورث
فقول أصله والظاهر ان الخبرين واحد فيه نظر ظاهر فليتأمل قال وفى رواية لما قفل رسول
الله ﷺ راجعا الى المدينة أدركته القائلة يوما بواد كثير العضاه أى الاشجار العظيمة التى لها
شوك وتفرق الناس فى العضاه أى الاشجار يستظلون بالشجر ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم
تحت ظل شجرة أى ظليلة قال جابر رضى الله عنه تركناها للنبى ﷺ فعلق صلى الله عليه
وسلم سيفه فيها فنمنا نومة فاذا رسول الله ﷺ يدعونا فجئنا اليه فوجدنا عنده اعرابيا
جالسا فقال ان هذا قد اخترط سيفى وأنا نائم فاستيقظت وهو فى يده مصلتا أى مسلولا فقال
لى من يمنعك منى قلت الله قال ذلك ثلاث مرات ولم يعاقبه ﷺ اه وهذه الرواية مع ما قبلها
يقتضى سياقهما أنهما واقعتان لا واقعة واحدة ويبعد أن يكون ذلك الاعرابى هو غورث صاحب
الواقعة الأولى فيكون تعدد منه هذا الفعل مرتين أى وأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة
الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم وتقدم أن سبب نزولها ارادة إلقاء
الحجر عليه من بعض أهل بنى النضير لعنهم الله وتقدم أنه لا مانع من تعدد النزول لتعدد الأسباب وفى
الشفاء قيل كان رسول الله ﷺ يخاف قريشا فلما نزلت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا
اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم الآية استلقى ثم قال من شاء فليخذلنى أى وفيه ان هذا لا يحسن الا
عند نزول آية والله يعصمك من الناس الا ان يقال هو ﷺ علم من ذلك ان الله مانع له
ممن يريده بسوء وان كان يجوز أن يمنعه من شخص دون آخر فليتأمل وإنما لم يعاقب ﷺ
ذلك الاعرابى حرصا على استئلاف قلوب الكفار ليدخلوا فى الاسلام وكانت مدة غيبته ﷺ
خمس عشرة ليلة وبعث ﷺ جعال بن سراقة الى المدينة مبشرا بسلامته وسلامة المسلمين
أى وكان رضى الله عنه من اهل الصفة وهو الذى تمثل به إبليس لعنه الله يوم أحد حين نادى

عثمان وسهيل بن عمرو وكل هؤلاء أسلموا بعد ذلك رضى الله عنهم ولم يشاوروا فى ذلك أبا سفيان وقيل شاوروه فأبى عليهم وظنوا أنهم لم يعرفوا وأن هذا لا يبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا زالوا يقاتلون خزاعة حتى أدخلوهم دار بديل بن ورقاء الخزاعى بمكة فلما ناصرت قريش بنى بكر على خزاعة ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهد والميثاق ندموا وفى رواية ولما لجأت خزاعة إلى دار بديل بن ورقاء ودار مولى لهم يقال له رافع وانتهوا بهم فى عماية الصبح ودخلت رؤساء قريش منازلهم وهم يظنون أنهم لا يعرفون وأصبحت خزاعة مقتولين على باب بديل ورافع فقال سهيل بن عمرو لنوفل ابن معاوية البكرى قد حصرتهم تريد قتل من بقى وهذا مما لا نطاوعك عليه فاتركهم فتركهم فخرجوا وندمت قريش على ما صنعوا وجاء الحرث ابن هشام وعبد الله بن أبى ربيعة الى صفوان ومن كان معه فلاماهم على ما صنعوا وقالا ان بينكم وبين محمد مدة وهذا نقض لها وقالت قريش ان محمدا غازينا فقال ابن أبى سرح لا يغزوكم حتى يخيركم فى خصال كلها أهون من غزوة يرسل اليكم أن دوا قتلى خزاعة وهم ثلاثة وعشرون قتيلا أو تبرؤا من حلف بنى بكر أو ننبذ اليكم على سواء فقال سهيل بن عمرو نبرأ من حلفهم أسهل وقال شيبة بن عثمان ندى القتلى أهون وقال قرظة ابن عمرو لا ندى ولا نبرأ لكنا ننبذ اليه على سواء وقال أبو سفيان ليس هذا بشىء وما الرأى الا جحد هذا الأمر أى كون قريش دخلت فى نقض عهد او قطع مدة وأنه قطع قوم بغير رضانا ولا مشورة فما علينا قالوا هذا الرأى ولا رأى غيره وكان هذا النقض من قريش فى شعبان سنة ثمان وأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك يوم وقوعه حتى قال لعائشة رضى الله عنها صبيحة وقعة خزاعة لقد حدث يا عائشة فى خزاعة أمر فقالت أترى قريشا تجترىء على نقض العهد الذى بينك وبينهم وقد أفناهم السيف فقال ينقضون العهد لأمر يريده الله تعالى قالت يارسول الله خير قال خير (وروى الطبرانى)

ان محمدا قد قتل كما تقدم وأبطأ جمل جابر بن عبد الله رضى الله عنهما فنخسه ﷺ وفى لفظ أنه حجنه بمحجنه فانطلق متقدما بين يدى الركب وفى رواية فلقد رأيتنى أكفه عن رسول الله ﷺ حياء منه لا يسبقه أى وهو ينازعنى خطامه مع انى كنت أرجو أن يستاق معنا ثم قال له ﷺ أتبيعنيه فابتاعه منه أى بأوقية وقيل بأربع أواق وقيل بخمس أواق وقيل بخمس دنانير وقيل بأربع دنانير بعد أن أعطاه فيه أولا درهما ممازحا له فقال له جابر رضى الله عنه تبيعنى يارسول الله وفى رواية لا زال ﷺ يزيده درهما درهما فيقول جابر أخذته بكذا والله يغفر لك يا رسول الله قال بعضهم كأنه ﷺ أراد باعطائه درهما درهما أن يكثر استغفاره له وقال له لك ظهره الى المدينة وفى رواية وشرط لى ظهره الى المدينة أى واستغفر لجابر رضى الله عنه فى تلك الليلة خمسا وعشرين مرة وقيل سبعين مرة فلما وصل ﷺ المدينة أعطاه الثمن ووهب له الجمل أى وقيل ان هذه القصة أى إبطاء جمل جابر رضى الله عنه إنما كانت فى رجوعه ﷺ من مكة الى المدينة وقيل كانت فى رجوعه من غزوة تبوك أى والذى فى البخارى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال كنت مع النبى ﷺ فى سفر فكنت على جمل ثفال إنما هو فى آخر القوم فمر به النبى ﷺ فقال من هذا فقلت جابر بن عبد الله قال مالك قلت انى على جمل ثفال قال أمعك قضيب قلت نعم قال أعطنيه فضربه فزجره فكان من ذلك المكان من أول القوم قال بعنيه قلت بل هو لك يارسول الله قال بل بعنيه فقد أخذته بأربعة دنانير ولك ظهره الى المدينة فلما قدمت المدينة قال يابلال اقضه وزده فأعطاه أربعة دنانير وزاده قيراطا قال جابر رضى الله عنه وأعطانى الجمل وسهمى مع القوم وفى لفظ عن جابر قال دخل النبى ﷺ المسجد فدخلت اليه فعلقت الجمل فى ناحية البلاط فقلت يارسول الله هذا جملك فخرج ﷺ فجعل يطوف بالجمل قال الثمن والجمل لك وفى لفظ إنما باعه له بوقية أى ذهب وانه استثنى حملانه الى أهله فلما قدم المدينة وأنقده الثمن وانصرف أرسل على أثره وقال له ما كنت لآخذ جملك فخذ جملك وعن جابر رضى الله عنه أنه ﷺ اشتراه بطريق تبوك بأربع أواق وفى لفظ بعشرين دينارا فليتأمل الجمع بين هذه الروايات على تقدير صحتها فان التعدد بعددها بعيد قيل وسميت ذات الرقاع باسم شجرة كانت فى ذلك المحل يقال لها ذات الرقاع أو لأنهم رقعوا راياتهم أو لأنهم لفوا على أقدامهم الخرق لما حصل لهم الحفاء كما تقدم أو لأن الصلاة رقعت فيها أو لأن الجبل الذى نزلوا به كانت أرضه ذات ألوان تشبه الرقاع فيه بقع حمر وسود وبيض واستغربه الحافظ ابن حجر قال الامام النووى رحمه الله ويحتمل أنها سميت بالمجموع قال وفى هذه الغزوة جاءته ﷺ امرأة بدوية بابن لها فقالت يارسول الله هذا ابنى قد غلبنى عليه الشيطان ففتح فاه فبزق فيه وقال اخسأ عدو الله أنا رسول الله ثم قال ﷺ شأنك بابنك لن يعود اليه شىء مما كان يصيبه أى فكان كذلك وفيها أيضا جاء رجل بفرخ طائر فأقبل أحد أبويه حتى طرح نفسه بين يدى الذى أخذ فرخه

من حديث ميمونة ام المؤمنين رضى الله عنها قالت بات عندى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقام ليتوضأ للصلاة فسمعته
يقول فى متوضئه بالليل لبيك لبيك لبيك ثلاثا نصرت نصرت نصرت ثلاثا فلما خرج قلت يارسول الله سمعتك تقول فى متوضئك
لبيك لبيك لبيك ثلاثا نصرت نصرت نصرت ثلاثا كأنك تكلم انسانا فهل كان معك أحد فقال هذا راجز بنى كعب وهم بطن من
خزاعة يستصرخنى ويزعم أن قريشا أعانت عليهم بنى بكر وهذا علم من أعلام (٢٨٩) النبوة باهر فأما أنه أعلم بذلك بالوحى وعلم
ما تصوره الراجز فى نفسه
أو أن الراجز كان يرتجز
وأسمع الله نبيه صلى الله
عليه وسلم كلامه (قال
أهل السير) ولما انقضى
قتال بنى بكر وخزاعة
خرج عمرو بن سالم الخزاعى
أحد بنى كعب وهم بطن
من خزاعة ومعه أربعون
راكبا من خزاعة فقدموا
على رسول الله صلى
الله عليه وسلم يخبرونه
بالذى أصابهم ويستنصرونه
وقبل قدومهم بثلاث
أمر النبى صلى الله
عليه وسلم عائشة رضى
الله عنها أن تجهزه
أى تهيء له أهبة السفر
وما يحتاج اليه فى قطع
المسافة اعتمادا على
ما أطلعه الله عليه مما
وقع من نقض العهد
وأمرها أن لا تعلم أحدا
فدخل عليها أبو بكر
رضى الله عنه قبل أن
يخبره النبى صلى الله عليه
وسلم ويستشيره فى ذلك
فقال يا بنية ماهذا الجهاز
فقالت ما أدرى فقال
والله ماهذا زمان غزو بنى
الأصفر فأين يريد رسول الله ﷺ فقالت لا علم لى وفى رواية لابن
أبى شيبة أنها أعلمته وجمع بينهما بأنه دخل عليها مرتين الأولى قالت له لا علم لى ثم أخبرته ﷺ فأذن لها فى اخبارها بها لكونه
عيبة سره فدخل عليها ثانيا فأخبرته فقال والله ما انقضت الهدنة بيننا وخرج رضى الله عنه فذكر ما قالت له للنبى ﷺ
فذكر له صلى الله عليه وسلم أنهم أول من غدر قالت ميمونة رضى الله عنها فأقمنا ثلاثا أى بعد قوله لها هذا راجز بنى

فرخه فعجب الناس من ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتعجبون من هذا الطائر أخذتم
فرخه فطرح نفسه رحمة لفرخه والله لربكم أرحم بكم من هذا الطائر بفرخه وفيها أيضا جيء له
ﷺ بثلاث بيضات من بيض النعام فقال لجابر دونك ياجابر فاعمل هذه البيضات قال جابر رضى
الله عنه فعملتهن ثم جئت بهن فى قصعة فجعلنا نطلب خبزا فلم نجد فجعل صلى الله عليه وسلم
وأصحابه يأكلون من ذلك البيض بغير خبز حتى انتهى كل إلى حاجته أى إلى الشبع والبيض فى
القصعة كما هو وفيها أيضا جاء جمل يرفل أى حتى وقف عنده ﷺ وأرغى فقال رسول الله ﷺ
أتدرون ماقال هذا الجمل هذا جمل يستعيذنى على سيده يزعم أنه كان يحرث عليه منذ سنين وأنه
أراد أن ينحره اذهب ياجابر إلى صاحبه فأت به قال جابر رضى الله عنه فقلت لا أعرفه قال إنه سيدلك
عليه قال جابر فخرج بين يدى حتى وقف على صاحبه فجئته به فكلمه ﷺ فى شأن الجمل
اه وعن عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل حائط رجل من
الأنصار فاذا جمل فلما رأى النبى ﷺ حن وذرفت عيناه فأتاه النبى ﷺ فمسح عليه فسكن
ثم قال من رب هذا الجمل فجاء فتى من الأنصار فقال هذا لى يارسول الله فقال ألا تتقى الله عز
وجل فى هذه البهيمة التى ملكك الله فانه شكا إلى أنك تجيعه وتدئبه وفى رواية كنا جلوسا مع
النبى ﷺ إذ بعير أقبل حتى وقف على هامة رسول الله ﷺ فرغا فقال له النبى ﷺ
أيها البعير أسكن فان تك صادقا فلك صدقك وان تك كاذبا فعليك كذبك إن الله تعالى قد
أمن عائذنا ولن يخيب لائذنا فقلنا يارسول الله مايقول هذا البعير قال يريد أهله نحره وأكل لحمه
فهرب منهم واستغاث بنبيكم فبينما نحن كذلك اذ أقبل أصحابه يتعادون فلما نظر اليهم البعير عاد إلى
هامة رسول الله ﷺ فلاذ بها فقالوا يارسول الله هذا بعيرنا هرب منذ ثلاثة أيام فلم نجده إلا بين
يديك فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أما انه يشكو فقالوا يارسول الله مايقول قال يقول إنه
ربى فيكم سنين وكنتم تحملون عليه فى الصيف إلى موضع الكلا فاذا كان الشتاء حملتم عليه إلى موضع
الدفا فلما كبر استفحلتموه فرزقكم الله به ابلا سليمة فلما أدركته هذه السنة الجدبة هممتم بنحره
وأكل لحمه فقالوا والله يارسول الله قد كان ذلك فقال لهم رسول الله ﷺ ماهذا جزاء المملوك
الصالح من مواليه فقالوا لرسول الله ﷺ انا لا نتعبه ولا ننحره فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم كذبتم قد استغاث بكم فلم تغيثوه وأنا أولى بالرحمة منكم لأن الله قد نزع الرحمة من قلوب
المنافقين وأسكنها فى قلوب المؤمنين فاشتراه ﷺ منهم بمائة درهم وقال أيها البعير انطلق
حيث شئت فرغا البعير على هامة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له آمين ثم رغا الثانية فقال له
آمين ثم رغا الثالثة فقال له آمين ثم رغا الرابعة فبكى النبى ﷺ فقلنا يارسول الله مايقول هذا
البعير فقال قال جزاك الله خيرا أيها النبى عن الاسلام والقرآن قلت آمين قال سكن الله رعب
أمتك كما سكنت قلبى قلت آمين قال حقن الله دماء أمتك كما حقنت دمى قلت آمين قال لا جعل الله

كعب ثم صلى بالناس صلى اليوم الثالث فسمعت الراجز ينشده وذلك أن عمرو بن سالم أقبل هو ومن معه حتى دخل على النبي ﷺ وهو جالس بالمسجد فقال منشئاً يارب انى ناشد محمداً * حلف أبينا وأبيه الأتلدا ان قريشاً أخلفوك الموعدا * ونقضوا ميثاقك المؤكدا وزعموا أن لست تدعوا أحدا * وجعلوا لى فى كداء رصدا فانصر هداك الله نصراً أبدا * وادع عباد الله يأتوا مددا فيهم رسول الله قد تجردا * ان سيم خسفا وجهه تربدا هم بيتونا بالوتير هجدا * وقتلونا ركعاً وسجداً



بأسهم بينهم شديداً فبكيت لأنى سألت ربى فيها أى فى هذه الرابعة فمنعنى اعطاءها وقوله ﷺ للجمل اذهب كيف شئت لايناسب ماعليه أئمتنا من عدم جواز ارسال الدواب تقربا إلى الله تعالى لأنه فى معنى سوائب الجاهلية إلا أن يقال المراد بقوله ﷺ له اذهب كيف شئت أى أنت آمن فى سائر أحوالك مماشكوت منه ورأيت فى كلام ابن الجوزى رحمه الله مايؤيد ذلك وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمه سمة نعم الصدقة ثم بعث به وعليه لااشكال والى قصة الجمل أشار الامام السبكى رحمه الله فى تائيته بقوله

ورب بعير قد شكا لك حاله * فأذهبت عنه كل كل وثقلة

وفى هذه أعنى السنة الرابعة تزوج صلى الله عليه وسلم أم سلمة هند رضى الله عنها بعد موت أبى سلمة ابن عبد الأسد رضى الله عنه ومارُوى عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال تزوجها سنة اثنتين ليس بشىء قيل وفيها شرع التيمم

## ﴿ غزوة بدر الآخرة ﴾

ويقال لها بدر الموعد أى لموعد أبى سفيان رضى الله عنه حيث قال حين منصرفه من أحد موعد مابيننا وبينكم بدر أى موسمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضى الله عنه قل نعم ان شاء الله تعالى كما تقدم لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة ذات الرقاع أقام بقية جمادى الأولى إلى آخر رجب ثم خرج رسول الله ﷺ فى شعبان وعليه اقتصر الأصل وقيل خرج فى شوال وقيل فى مستهل ذى القعدة كل ذلك فى سنة أربع ومن الوهم قول موسى بن عقبة رحمه الله إنها كانت فى شعبان سنة ثلاث لما علمت أنها بعد أحد وأحد كانت فى شوال سنة ثلاث والحافظ الدمياطى قدم هذه الغزوة على غزوة ذات الرقاع وتبعه الشمس الشامى وصاحب الامتاع وكان وصوله ﷺ إلى بدر هلال ذى القعدة وهذا لايناسب الاالقول بأن خروجه ﷺ كان فى شوال وكان ذلك موسما لبدر فى كل سنة يحضره الناس ويقيمون به ثمانية أيام كما تقدمت الحوالة عليه وحين خرج صلى الله عليه وسلم من المدينة استخلف عليها عبد الله بن عبد الله بن أبى ابن سلول رضى الله تعالى عنه وقيل عبد الله بن رواحة رضى الله عنه وخرج فى ألف وخمسمائة من أصحابه وكان الخيل عشرة أفراس وعند تهيء المسلمين للخروج قدم نعيم بن مسعود الأشجعى أى وكان ذلك قبل اسلامه رضى الله عنه وأخبر قريشا أن المسلمين تهيؤا للخروج لقتالهم ببدر فكره أبو سفيان الخروج لذلك وجعل لنعيم ان رجع إلى المدينة وخذل المسلمين عن الخروج لبدر عشرين بعيرا وفى لفظ عشرة من الابل وحمله على بعير أى وقال له أبو سفيان إنه بدا لى أن لا أخرج وأكره أن يخرج محمد ولا أخرج أنا فيزيدهم ذلك جراءة فلايكون الخلف من قبلهم أحب إلى من أن يكون من قبلى فالحق بالمدينة وأعلمهم أنا فى جميع كثير ولا طاقة لهم بنا ولك عندى من الابل كذا وكذا أدفعها لك على يد سهيل بن عمرو فجاء نعيم إلى سهيل بن عمرو فقال له ياأبا يزيد تضمن لى هذه الابل وأنطلق إلى محمد وأثبطه قال نعم

(وفى رواية)

هم قتلونا بصعيد هجدا * نتلو القرآن ركعاً وسجداً * وزعموا أن لست ادعوا أحدا * وهم أذل وأقل عددا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت ياعمرو بن سالم وفى رواية فقام صلى الله عليه وسلم وهو يجر رداءه وهو يقول لا نصرت ان لم أنصركم بما أنصر به نفسى وفى رواية قال والذى نفسى بيده لأمنعنهم مما أمنع منه نفسى وأهل بيتى وفى رواية قالت عائشة رضى الله عنها لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم غضب مما كان من شأن بنى كعب غضباً لم أره غضبه منذ زمان وفى رواية أنه دمعت عيناه حين سمع شعر عمرو بن سالم وقال خزاعة منى وأنا منهم وسأل صلى الله عليه وسلم عمرو بن سالم فيمن تهمتكم قال فى بنى بكر قال كلها قال لا ولكن فى بنى نفاثة وهم بطن من بنى بكر ثم قال صلى الله عليه وسلم لعمرو بن سالم وأصحابه ارجعوا وتفرقوا فى الأودية فرجعوا وتفرقوا فقدم وذهبت فرقة إلى الساحل وفرقة لزمت الطريق وقصد بذلك صلى الله عليه وسلم اخفاء مجيئهم للنبى صلى الله عليه وسلم ثم قدم بديل بن ورقاء الخزاعى على النبى صلى الله عليه وسلم بعد ذهاب عمرو بن سالم ومعه نفر من قومه فأخبروه صلى الله عليه وسلم الخبر ورجعوا ولزم بديل الطريق فى نفر من قومه وقيل إن بديلا لم يفارق مكة حتى لقيه فى الفتح بمر الظهران وفى رواية أنه ﷺ

قال لركب خزاعة أنا باعث الى أهل مكة فسائلهم عن هذا الأمر ومخيرهم فى خصال ثلاث فبعث ضمرة يخيرهم بين أن يدوا قتلى خزاعة أو يبرؤا من حلف بنى نفاثة أو ينبذ اليهم على سواء فأتاهم ضمرة فأخبرهم فقال قرطة بن عمرو لا ندى ولا نبرأ لكن ننبذ اليه على سواء ثم ندمت قريش على ماردوا به فبعثوا أبا سفيان يجدد الصلح ويزيدهم فى المدة وقيل ان أبا سفيان توجه مبادرا قبل أن يبلغ المسلمين الخبر ولم يعلم بمسير خزاعة قبله وقيل ان الحرث بن هشام  وعبد الله بن أبى ربيعة مشيا الى أبى سفيان

فقدم نعيم المدينة وأرجف بكثرة جموع أبى سفيان أى وصار يطوف فيهم حتى قذف الرعب فى قلوب المسلمين ولم يبق لهم نية فى الخروج واستبشر المنافقون أى واليهود وقالوا محمد لا يفلت من هذا الجمع فجاء أبو بكر وعمر رضى الله عنهما إلى النبى ﷺ وقد سمعا ما أرجف به المسلمون وقالا له يا رسول الله ان الله مظهر نبيه ومعز دينه وقد وعدنا القوم موعدا لا نحب ان نتخلف عنه فيرون أن هذا جبن فسر لموعدهم فوالله إن فى ذلك لخيرة فسر رسول الله ﷺ بذلك ثم قال والذى نفسى بيده لأخرجن وان لم يخرج معى أحد فأذهب الله عنهم ما كانوا يجدون وحمل لواء رسول الله ﷺ على بن أبى طالب كرم الله وجهه وخرج المسلمون معهم بتجارات الى بدر فربحت الضعف ثم ان أبا سفيان قال لقريش لقد بعثنا نعيما ليخذل أصحاب محمد عن الخروج ولكن نخرج نحن فنسير ليلة أو ليلتين ثم نرجع فان كان محمد لم يخرج و بلغه أنا خرجنا فرجعنا لأنه ان لم يخرج كان هذا لنا عليه وان خرج أظهرنا ان هذا عام جدب ولا يصلحنا الا عام عشب قالوا نعم ما رأيت فخرج أبو سفيان فى قريش أى وهم ألفان ومعهم خمسون فرسا حتى انتهوا الى مجنة أى بفتح الميم والجيم وتشديد النون وهو سوق معروف من ناحية مر الظهران وقيل الى عسفان ثم قال يا معشر قريش لا يصلحكم إلا عام خصب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه الماء وان عامكم هذا عام جدب وانى راجع فارجعوا فرجع الناس فسماهم أهل مكة جيش السويق يقولون انما خرجتم لتشربوا السويق وأقام رسول الله ﷺ على بدر ينتظر أبا سفيان لميعاده مدة الموسم التى هى ثمانية أيام أى فانه ﷺ انتهى إلى بدر هلال ذى القعدة كما تقدم وقام السوق صبيحة الهلال فأقاموا ثمانية أيام والسوق قائمة أى وصار المسلمون كلما سألوا عن قريش وقيل لهم قد جمعوا لكم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل حتى قيل لهم لما قربوا من بدر انها قد امتلأت من الذين جمعهم أبو سفيان يرعبونهم ويرهبونهم فيقول المؤمنون حسبنا الله ونعم الوكيل فلما قدموا بدرا وجدوا أسواقا لا ينازعهم فيها أحد فأنزل الله تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فالمراد بالناس الأول نعيم نزل منزلة الجماعة وعن امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه أن القائلين ذلك كانوا أربعة ولا مانع أن يكون هؤلاء الأربعة من المنافقين لعنهم الله وافقوا نعيما على ما قال حتى ان قائلهم قال للمسلمين إنما أتيتم لهم أكلة رأس وان ذهبتم اليهم لا يرجع منكم أحد وقيل القائلون ركب من عبد القيس كانوا قاصدين المدينة للميرة فجعل لهم أبو سفيان حمل أبعرتهم زبيبا ان هم خذلوا المسلمين وأرجفوهم ولا مانع من وجود ذلك كله هذا وقد نقل ابن عطية رحمه الله عن الجمهور ان هذه الآية الواقعة المذكورة انما كانت بحمراء الأسد عند انصرافه من أحد فليتأمل ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة أى وبلغ قريشا خروج المسلمين لبدر وكثرتهم وانهم كانوا أصحاب الموسم أى والمخبر لهم بذلك معبد بن أبى معبد الخزاعى فانه بعد انقضاء الموسم خرج سريعا الى مكة وأخبرهم بذلك فقال صفوان بن أمية لأبى سفيان قد والله نهيتك يومئذ ان تعد القوم وقد اجترؤا علينا ورأونا أخلفناهم وانما خلفنا الضعف

فقالا لئن لم يصلح هذا الأمر لا يروعكم الا محمد فى أصحابه فقال أبو سفيان قد رأت هند بنت عتبة رؤيا كرهتها وخفت من شرها قالوا وماهى قال رأت دما أقبل من الحجون يسيل حتى وقف بالخندمة مليا ثم كان ذلك الدم كأن لم يكن فكرهوا الرؤيا وقال أبو سفيان هذا أمر لم أشهده ولم أغب عنه ولا يحمل الا على والله ماشوورت فيه ولا هويته حتى بلغنى ليغزونا محمد ان صدقنى ظنى وهو صادق ومابد من أن آتى محمدا فأكلمه فقالت قريش أصبت فخرج ومعه مولى له على راحلتين وعند رجوع ركب خزاعة من المدينة لقوا أبا سفيان بعسفان فسألهم هل ذهبتم إلى المدينة قالوا لا وتركوه وذهبوا فجاء الى مبركهم بعد ان فارقوه فأخذ بعرا ففتته فوجد فيه النوى فعلم أنهم ذهبوا الى المدينة وفى رواية ان أبا سفيان

لقى بديل بن ورقاء بعسفان فأشفق أبو سفيان أن يكون بديل قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال القوم أخبرونا عن يثرب متى عهدكم بها قالوا لا علم لنا بها انما كنا بالساحل نصلح بين الناس فى قتيل وفى لفظ قال من أين أقبلت يا بديل قال سرت الى خزاعة فى هذا الساحل قال أوما أتيت محمدا قال لا فلما راح بديل الى مكة أى توجه اليها قال أبو سفيان لئن كان جاء إلى المدينة لقد علف بها النوى فجاء الى منزلهم ففتت أبعار أباعرهم فوجد فيها النوى فقال أبو سفيان أحلف بالله لقد جاء القوم محمدا وقيل قدوم أبى سفيان المدينة

قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه رضى الله عنهم كأنكم بأبي سفيان قد جاء يقول جدد العهد وزد فى المدة وهو راجع بسخطة فلما انتهى أبو سفيان إلى المدينة دخل على بنته أم حبيبة أم المؤمنين زوج النبي صلى الله عليه وسلم ورضى عنها فأراد أن يجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فطوته عنه فقال يا بنية ما أدرى أرغبت بى عن هذا الفراش أم رغبت به عنى قالت بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت رجل مشرك نجس ولم أحب أن تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والله



لقد أصابك يا بنية بعدى شر فقالت بل هدانى الله للاسلام فأنت يا أبت سيد قريش وكبيرها كيف يسقط عنك الدخول فى الاسلام وأنت تعبد حجرا لا يسمع ولا يبصر فقام من عندها فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله أن يجدد العهد ويزيد فى المدة فأبى عليه وقال ابن اسحق انه كلم النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليه شيئا وفى رواية قال يا محمد انى كنت غائبا فى صلح الحديبية فاشدد العهد وزدنا فى المدة فقال صلى الله عليه وسلم فلذلك جئت قال نعم فقال هل كان من حدث فقال معاذ الله نحن على عهدنا وصلحنا لا نغير ولا نبدل فقال صلى الله عليه وسلم فنحن على ذلك فأعاد أبو سفيان القول فلم يرد عليه شيئا فذهب إلى أبى بكر رضي الله عنه فكلمه أن يكلم له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما أنا بفاعل وفى رواية قال لأبى بكر تكلم محمدا أو تجير بين الناس فقال جوارى فى جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى عمر رضى الله عنه فقال أنا أشفع لكم والله لو لم أجد الا الذر لجاهدتكم به وفى رواية قال له عمر رضى الله عنه ما كان من حلفنا جديدا فأخلقه الله وما كان متينا فقطعه الله وما كان منه مقطوعا فلا وصله الله فقال أبو سفيان جوزيت من ذى رحم شرا ثم دخل على على رضى الله عنه وعنده فاطمة رضى الله عنها وحسن رضى الله عنه غلام يدب بين يديها فقال يا على



﴿ غزوة دومة الجندل ﴾

بضم الدال و يجوز فتحها واقتصر الحافظ الدمياطى على الأول أى وأما دومة بالفتح لا غير فموضع آخر ومن ثم قال الجوهرى الصواب الضم واخطأ المحدثون فى الفتح سميت بدومى بن اسمعيل عليه السلام لأنه كان نزلها وهي بلدة بينها وبين دمشق خمس ليال وهى أقرب بلاد الشام إلى المدينة و بينها و بين المدينة خمس أوست عشرة ليلة أى وهى بقرب تبوك بلغ رسول الله ﷺ ان بها جمعا كثيرا يظلمون من مر بهم وانهم يريدون أن يدنوا من المدينة فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس لذلك فخرج فى ألف من المسلمين أى وذلك فى أواخر السنة الرابعة وذكر بعضهم انها كانت فى ربيع الأول من السنة الخامسة و يوافقه قول الحافظ الدمياطى أنها كانت على رأس تسعة وأربعين شهرا من مهاجرته ﷺ أى واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة الغفارى () فكان يسير الليل و يكمن النهار ومعه دليل له من بنى عذرة أى يقال له مذكور رضى الله تعالى عنه فلما دنا منهم جاء اليهم الخبر فتفرقوا فهجم على ماشيتهم ورعاتهم فأصاب من أصاب وهرب من هرب ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بساحتهم فلم يلق بها أحدا و بعث السرايا فرجعت ولم تأت منهم أحدا أى ورجعت كل سرية بابل وأخذ محمد بن مسلمة رجلا منهم وجاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فقال هربوا حيث سمعوا أنك أخذت نعمهم فعرض عليه الاسلام فأسلم ورجع رسول الله ﷺ المدينة وفى رجوعه وادع أى صالح عيينة بن حصن واسمه حذيفة الفزارى ان يرعى بمحل بينه و بين المدينة ستة وثلاثون ميلا أى لأن أرضه كانت أجدبت ولما سمن حافره وخفه وانتقل الى أرضه غزا على لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغابة كما سيأتى وقيل له بئس ما جزيت به محمدا ﷺ أحلك أرضه حتى سمن حافرك وخفك وتفعل معه ذلك فقال هو حافرى وقيل له عيينة لأنه أصابته لقوة فجحظت عيناه وسمى عيينة وعيينة هذا أسلم بعد الفتح وشهد حنينا والطائف وكان من المؤلفة كما سيأتى وكان يقال له الأحمق المطاع كان يتبعه عشرة آلاف فتاة ودخل على النبي ﷺ بغير إذن وأساء الأدب فصبر النبي صلى الله عليه وسلم على جفوته وقال فيه ﷺ ان شر الناس من تركه الناس اتقاء فحشه وقيل ان ذلك إنما قيل فى مخرمة ابن نوفل أى ولا مانع من تعدد ذلك وقد ارتد عيينة بعد ذلك فى زمن الصديق رضي الله عنه فانه لحق بطليحة بن خويلد حين تنبأ وآمن به فلما هرب طليحة أسره خالد بن الوليد رضى الله عنه وأرسل به الى الصديق فى وثاق فلما دخل المدينة صار أولاد المدينة ينخسونه بالحديد و يضربونه و يقولون أى عدو الله كفرت بالله بعد ايمانك فيقول والله ما كنت آمنت فمن عليه الصديق فأسلم ولم يزل مظهراً للاسلام وفى سنة أربع نزلت آية الحجاب لأزواجه ﷺ وكان فيها قصر الصلاة وولادة الحسين رضى الله عنه ووقع أنه لما ولد سماه على كرم الله وجهه حربا فلما جاء صلى الله عليه وسلم قال أرونى ابنى ما سميتموه قالوا حربا قال بل اسمه حسين أى كما فعل ذلك بالحسن كما مر فلما ولد

الثالث جاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال أروني ابني ما سميتموه فقال علي كرم الله وجهه سميته حربا
فقال بل هو محسن ثم قال صلى الله عليه وسلم اني سميتهم باسماء ولد هرون شبر وشبير ومشبر ومن
المستظرف ما حكاه بعضهم قال وقع بين الحسن والحسين كلام فتهاجرا فلما كان بعد ذلك أقبل
الحسن على الحسين وأكب على رأسه يقبله فقال له الحسين ان الذي منعني من ابتدائك بهذا انك أحق
بالفضل مني فكرهت ان أنازعك ما أنت أحق به ورجم اليهوديين الزانيين وفرض الحج وقيل
فرض في الخامسة وقيل في السادسة وقيل في السابعة وقيل في الثامنة وقيل في التاسعة وقيل
في العاشرة قيل وفيها أي الرابعة شرع التيمم أي كما تقدم وقيل شرع في الغزوة التي تلي هذه وهي
غزوة بني المصطلق وقيل كان في غزوة أخرى أي وفي غيبته صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة ماتت
أم سعد بن عبادة وكان ابنها رضي الله عنه معه صلى الله عليه وسلم ولما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة
صلى على قبرها وذلك بعد شهر وقال له سعد يا رسول الله أتصدق عنها قال نعم قال أي الصدقة أفضل قال
الماء فحفر بئرا وقال هذه لام سعد رضي الله عنها

## ﴿غزوة بني المصطلق﴾

ويقال لها غزوة المريسيع ويقال لها غزوة محارب وقيل محارب غيرها ويقال لها غزوة الاعاجيب لما
وقع فيها من الامور العجيبة أي كما قيل بذلك كذلك في غزوة ذات الرقاع كما تقدم وبنو المصطلق بطن
من خزاعة وهم بنو جذيمة وجذيمة هو المصطلق من الصلق وهو رفع الصوت والمريسيع اسم ماء من
مياههم أي من ماء خزاعة مأخوذة من قولهم رسعت عين الرجل اذا دمعت من فساد وذلك الماء
في ناحية قديد وسببها أنه ﷺ بلغه أن الحرث بن ضرار سيد بني المصطلق رضي الله عنه
فانه أسلم بعد ذلك كما سيأتي جمع لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم من قدر عليه من قومه ومن
العرب فارسل ﷺ بريدة بالتصغير ابن الحصيب بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين في آخره
موحدة كما تقدم أي ليعلم علم ذلك قال واستأذن بريدة رسول الله ﷺ ان يقول ما يتخلص
به من شرهم أي وان كان خلاف الواقع فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج حتى ورد عليهم
ورأى جمعهم فقالوا له من الرجل قال رجل منكم قدمت لما بلغني من جمعكم لهذا الرجل فاسير في قومي
ومن أطاعني فنكون يدا واحدة حتى نستأصلهم فقال له الحرث فنحن على ذلك فعجل علينا قال
بريدة اركب الآن فآتيكم بجمع كثير من قومي فسروا بذلك منه ورجع الى رسول الله ﷺ
فاخبره خبر القوم انتهى فندب رسول الله ﷺ الناس اليهم فاسرعوا الخروج وكان في شعبان
لليلتين خلتا منه سنة خمس من الهجرة وقيل أربع كما في البخاري نقلا عن ابن عقبة وعليه جرى
الامام النووي في الروضة قال الحافظ ابن حجر وكأنه سبق قلم أراد أن يكتب سنة خمس من الهجرة
فكتب سنة أربع لان الذي في مغازي ابن عقبة من عدة طرق سنة خمس وقيل سنة ست وان عليه

---

انك امس القوم بي رحما واني جئت في حاجة فلا أرجع كما جئت خائبا فاشفع لي فقال علي رضي الله عنه ويحك يا أبا سفيان والله لقد
عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر ما نستطيع ان نكلمه فيه فالتفت إلى فاطمة وقال يا بنت محمد هل لك ان تامري ابنك هذا
فيجير بين الناس فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر فقالت والله ما بلغ بني هذا ان يجير بين الناس وما كان أحد يجير على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية انه جاء عثمان رضي الله عنه قبل علي رضي الله عنه فقال جواري في
جوار رسول الله ﷺ ثم أتى سعد بن عبادة رضي الله عنه فقال يا أبا ثابت انك سيد هذه البحيرة فاجر بين الناس وزد في المدة فقال سعد جواري في جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يجير أحد عليه فأتى أشراف قريش والانصار فكلمهم وكلهم يقول جواري في جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يجير أحد عليه فلما أيس منهم دخل على فاطمة رضي الله عنها فقال هل لك ان تجيري بين الناس فقالت إنما أنا امرأة وأبت عليه فقال مري ابنك فقالت ما بلغ ان يجير فقال لعلي رضي الله عنه يا أبا حسن اني أرى الامور قد اشتدت على فانصحني قال والله ما أعلم شيئا يغني عنك ولكنك سيد بني كنانة فقم فاجر بين الناس ثم الحق بارضك قال أو ترى ذلك مغنيا عني شيئا قال لا والله ما أظنه ولكن لا أجد لك غير ذلك فقام أبو سفيان
في المسجد فقال أيها الناس اني قد أجرت بين الناس ولا والله ما أظن ان يخفرني أحد ثم دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا محمد اني قد أجرت بين الناس فقال صلى الله عليه وسلم أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة ثم ركب بعيره وانصرف الى مكة وكانت
غيبته قد طالت واتهمته قريش أشد التهمة وقالوا قد صبا واتبع محمدا سرا وكتم اسلامه فلما دخل على هند امرأته ليلا قالت لقد
غبت حتى أتهمك قومك فان كنت مع طول الاقامة جئتهم بنجح فأنت الرجل ثم جلس منها مجلس الرجل من امرأته فقالت

ماصنعت فأخبرها الخبر وقال لم أجد الا ماقال لى على فضربت برجلها فى صدره وقالت قبحت من رسول قوم فماجئت بخير فلما أصبح
حلق رأسه عند أساف ونائلة وذبح لهما ومسح بالدم رؤسهما وقال لا أفارق عبادتكما حتى أموت وأراد بذلك ان تبرئه قريش
مما اتهمته به من قولهم انه صبا فلما صنع ذلك قالوا له ماوراءك هل جئت بكتاب من محمد أو زيادة فى مدة فانا لانأمن ان يغزونا فقال
والله لقد أبى علىّ وفى رواية كلمته (٢٩٤) فوالله مارد على شيئا ثم جئت أبابكر فلم أجد فيه خيرا ثم جئت ابن الخطاب فوجدته
أدنى العدو وفى رواية
اعدى العدو وكلمت عليه
أصحابه فماقدرت على شىء
منهم الا انهم يرمونى
بكلمة واحدة ومارأيت
قوما يوما اطوع لملك
عليهم منهم له الا أن عليا
لماضاقت بى الامور قال
أنت سيد بنى كنانة فاجر
بين الناس فناديت بالجوار
قالوا هل أجاز ذلك محمد
قال لا وانما قال انت تقول
ذلك يا أبا حنظلة قالوا
رضيت بغير رضا وجئتنا
بما لايغنى عنا ولا عنك
شيئا ولعمر الله ماجوارك
بجائز وان اخفارك عليهم
لهين والله مازاد على على
ان لعب بك تلعبا فقال
والله ماوجدت غير ذلك
فقالوا ماجئتنا بحرب
فنحذر ولا صلح فنأمن
وتجهز رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال اللهم
خذ العيون والاخبار عن
قريش حتى نبغتها فى
بلادها (وروى ابن أبى
شيبة) عن أبى مالك
الاشجعى قال خرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم
من بعض حجره فجلس عند بابها وكان اذا جلس وحده لم يأته أحد حتى يدعوه فقال ادع لى
أبا بكر فجاء فجلس بين يديه فناجاه طويلا ثم أمره فجلس عن يمينه ثم قال ادع لى عمر فجاء فجلس فناجاه طويلا فرفع عمر صوته
فقال يارسول الله هم رأس الكفر الذين زعموا انك ساحر وانك كاهن وانك كذاب وانك مفتر ولم يدع شيئا مما كانوا يقولون الا ذكره
ثم قال وايم الله لاتذل العرب حتى تذل أهل مكة فامره فجلس عن شماله ثم دعا الناس فقال ألا أحدثكم بمثل صاحبيكم هذين قالوا

أكثر المحدثين وقادوا الخيل وهى ثلاثون فرسا عشرة للمهاجرين أى منها فرسان له صلى الله عليه وسلم
اللزاز والظرب وعشرون للانصار رضى الله عنهم واستخلف ﷺ على المدينة زيد بن حارثة
رضى الله عنهما وقيل أبا ذر الغفارى رضى الله عنه وقيل نميلة تصغير نملة ابن عبد الله الليثى رضى
الله عنه وخرج معه ﷺ من نسائه عائشة وأم سلمة رضى الله عنهما أى وخرج معه صلى الله
عليه وسلم ناس كثير من المنافقين لم يخرجوا فى غزوة قط مثلها منهم عبد الله بن أبى ابن سلول وزيد
ابن الصلت ليس لهم رغبة فى الجهاد وانما غرضهم ان يصيبوا من عرض الدنيا مع قرب المسافة وسار
صلى الله عليه وسلم حتى بلغ محلا نزل به فأتى برجل من عبد القيس فسلم على رسول الله ﷺ فقال
له أين أهلك قال بالروحاء قال أين تريد قال اياك جئت لاومن بك وأشهد أن ماجئت به حق
وأقاتل معك عدوك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى هداك للاسلام وسأل رسول الله
صلى الله عليه وسلم أى الاعمال أحب فقال رسول الله ﷺ الصلاة لاول وقتها فكان بعد
ذلك يصلى الصلاة لاول وقتها وأصاب ﷺ عينا للمشركين كان وجهه الحرث ليأتيه بخبر
رسول الله ﷺ فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فلم يذكر من شأنهم شيئا فعرض
عليه الاسلام فأبى فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان يضرب
عنقه فضرب عنقه فلما بلغ الحرث مسير رسول الله ﷺ وانه قتل عينه سىء بذلك ومن معه
وخافوا خوفا شديدا وتفرق عنه جمع كثير ممن كان معه وانتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
المريسيع فضربت له ﷺ قبة من أدم وكان معه فيها عائشة وأم سلمة رضى الله تعالى
عنهما فتهيأ المسلمون للقتال ودفع ﷺ راية المهاجرين الى أبى بكر رضى الله عنه وقيل لعمار
ابن ياسر وراية الانصار الى سعد بن عبادة رضى الله عنه أى وأمر رسول الله ﷺ عمر
ابن الخطاب رضى الله عنه ان يقول لهم قولوا لا إله إلا الله تمنعوا بها أنفسكم وأموالكم ففعل عمر ذلك
فأبوا فتراموا بالنبل ساعة ثم أمر رسول الله ﷺ أصحابه فحملوا حملة رجل واحد فما أفلت
منهم انسان وقتل منهم عشرة وأسر سائرهم الرجال والنساء والذرية واستاق ابلهم وشياههم
فكانت الابل ألفى بعير والشاء خمسة آلاف شاة واستعمل ﷺ على ذلك مولاه شقران أى
بضم الشين المعجمة واسمه صالح وكان رضى الله عنه حبشيا وكان السبى مائتى أهل بيت وفى
كلام بعضهم كانوا أكثر من سبعمائة وكانت برة بنت الحرث الذى هو سيد بنى المصطلق فى السبى
وقيل أغار عليهم رسول الله ﷺ وهم غافلون فقتل مقاتلهم وسبى سبيهم أى وهذا القول
هو الذى فى صحيح البخارى أى ومسلم والاول هو الذى فى السيرة الهشامية وجمع بانه يجوز أن
يكون ﷺ لما أغار عليهم ثبتوا وصفوا للقتال ثم انهزموا ووقعت الغلبة عليهم أى وقتل منهم
من قاتل ولم يستأسر وكان شعار المسلمين أى علامتهم التى يعرفون بها فى ظلمة الليل أو عند
الاختلاط يامنصور أمت تفاؤلا بان يحصل لهم النصر بعد موت عدوهم وأمر رسول الله ﷺ
بالأسارى

بالأسارى فكتفوا واستعمل عليهم بريدة رضى الله عنه ثم فرق ﷺ السبي فصار فى أيدى الناس أى وفى هذا دليل لقول إمامنا الشافعى رضى الله عنه فى الجديد بجواز استرقاق العرب لأن بنى المصطلق عرب من خزاعة خلافا لقوله فى القديم انهم لا يسترقون لشرفهم وقد قال فى الأم لولا أنا نأثم بالتمنى لتمنينا أن يكون هذا أى لا يجرى الرق على عربى وبعث صلى الله عليه وسلم أبا ثعلبة الطائى إلى المدينة بشيرا من المريسيع أى وجمع صلى الله عليه وسلم المتاع الذى وجده فى رحالهم والسلاح والنعم والشاء وعدلت الجزور بعشرة من الغنم ووقعت برة بنت الحرث فى سهم ثابت بن قيس وابن عم له فجعل ثابت لابن عمه نخلات له بالمدينة فى حصته من برة وكاتبها أى على تسع أواق من ذهب فدخلت عليه صلى الله عليه وسلم فقالت له يارسول الله إنى امرأة مسلمة أى أسلمت لأنى أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله وأنى برة بنت الحرث سيد قومه أصابنا من الأمر ما قد علمت ووقعت فى سهم ثابت بن قيس وابن عم له وخلصنى ثابت من ابن عمه بنخلات فى المدينة وكاتبنى على ما لا طاقة لى به وانى رجوتك فأعنى فى مكاتبتى فقال رسول الله ﷺ أو خير من ذلك قالت ما هو قال أؤدى عنك كتابتك وأتزوجك قالت نعم يارسول الله قد فعلت فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ثابت بن قيس فطلبها منه فقال ثابت رضى الله عنه هى لك يارسول الله بأبى أنت وأمى فأدى رسول الله ﷺ ما كان كاتبها عليه وأعتقها وتزوجها أى وهى ابنة عشرين سنة وسماها جويرية أى وكان اسمها برة وكذلك ميمونة وزينب بنت جحش كان اسم كل منهما برة فغيره ﷺ وكذا كان اسم بنت أم سلمة برة فسماها زينب ويذكر أن عليا كرم الله وجهه هو الذى أسرها (أقول) ولا مانع أن يكون على كرم الله وجهه أسرها ثم وقعت فى سهم ثابت وابن عمه رضى الله عنهما عند القسمة لأنه لم يثبت فى هذه الغزوة أنه صلى الله عليه وسلم جعل الاسرى لمن أسرهم كما وقع فى بدر إلا ما يأتى من قول أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ورغبنا فى الفداء وقد يقال رغبوا فى الفداء بعد القسمة والله أعلم قال وعن عائشة رضى الله عنها قالت كانت جويرية امرأة حلوة لا يكاد يراها أحد إلا أخذت بنفسه فبينما النبى صلى الله عليه وسلم عندى ونحن على الماء أى الذى هو المريسيع إذ دخلت جويرية تسأله فى كتابتها فوالله ما هو إلا أن رأيتها فكرهت دخولها على النبى ﷺ وعرفت أنه سيرى منها مثل الذى رأيت فقالت يارسول الله إنى امرأة مسلمة الحديث انتهى وانما كرهت ذلك لما جبلت عليه النساء من الغيرة ومن ثم جاء أنه صلى الله عليه وسلم خطب امرأة فأرسل عائشة رضى الله تعالى عنها لتنظر إليها فلما رجعت إليه قالت ما رأيت طائلا فقال بلى لقد رأيت خالا فى خدها فاقشعرت منه كل شعرة فى جسدك أى وفى لفظ آخر عن عائشة رضى الله عنها فما هو إلا أن وقفت جويرية بباب الخباء لتستعين رسول الله ﷺ على كتابتها فنظرت إليها فرأيت على وجهها ملاحة وحسنا فأيقنت أن رسول الله ﷺ إذا رآها أعجبته علما منها بموقع الجمال منه صلى الله عليه وسلم فما هو إلا أن كلمته ﷺ فقال لها صلى الله عليه وسلم خير من ذلك أنا أؤدى

---

ثم يارسول الله فأقبل بوجهه الكريم على أبى بكر رضى الله عنه فقال إن ابراهيم عليه السلام كان ألين فى الله تعالى من الدهن باللبن ثم أقبل على عمر رضى الله عنه فقال إن نوحا كان أشد فى الله تعالى من الحجر وأن الأمر أمر عمر فتجهزوا وتعاونوا فتبعوا أبا بكر فقالوا إنا كرهنا أن نسأل عمر عما ناجاك به رسول الله ﷺ قال قال لى كيف تأمرنى فى غزو مكة قلت يارسول الله هم قومك حتى رأيت أنه سيطيعنى ثم دعا عمر فقال هم رأس الكفر حتى ذكر له كل سوء كانوا يقولونه (٢٩٥) وقد أمركم بالجهاد لتغزوا مكة وجاء فى بعض الروايات أنه صلى الله عليه وسلم تجهز وما أعلم أحدا والمراد أنه ما أعلم عامة الناس فلا ينافى أنه أعلم كبار أصحابه رضى الله عنهم فتجهز الناس وقال حسان رضى الله عنه يحرض الناس ويذكر مصاب رجال خزاعة

عنانى ولم أشهد ببطحاء مكة
رجال بنى كعب تحز رقابها
بأيدى رجال لم يسلوا سيوفهم
وقتلى كثير لم تجن ثيابها
ألا ليت شعرى هل تنالن نصرتى
سهيل بن عمرو حرها وعقابها
فلا تأمنن يا ابن أم مجالد
اذا احتلبت صرفا وأعضل بابها
فلا تجزعوا منها فان سيوفنا
لها وقعة بالموت يفتح بابها

قال ابن اسحق قوله بأيدى رجال يعنى قريشا وابن أم مجالد عكرمة بن أبى جهل وكان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم خذ على أسماعهم وأبصارهم فلا يرونا إلا بغتة ولا يسمعون بنا إلا فلتة وأمر جماعة أن تقيم بالانقاب وكان عمر رضى الله عنه يطوف على الانقاب فيقول لا تدعوا أحدا يمر بكم تنكرونه إلا رددتموه وفى رواية ثم أمر بالطرق فحبست فعمى على أهل مكة لا يأتيهم خبر فكتب حاطب بن أبى بلتعة البدرى حليف بنى أسد رضى الله عنه كتابا وأرسله إلى مكة يخبرهم بمسير النبى صلى الله عليه وسلم وأرسله مع امرأة استأجرها بعشرة دنانير وقال لها اخفيه ما استطعت ولا تمرى على الطريق فان عليه حرسا فاطلع

الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال عليه الصلاة والسلام لعلي بن أبي طالب والزبير بن العوام والمقداد بن الأسود رضي الله عنهما انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ وهو موضع على بريد من المدينة فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين فخذوه منها قال فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فاذا نحن بالظعينة فقلنا لها اخرجي الكتاب قالت ما معي كتاب فالتمسناه فلم نر كتابا فقلنا ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم لتخرجن الكتاب أو لنلقين عنك الثياب وفي رواية أو لنكشفنك أو لنضربن عنقك فلما رأت الجد حلت قرونها فأخرجته من عقاصها وفي رواية فلما رأت الجد أهوت إلى حجزتها فأخرجته

فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى سهيل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية أما بعد يا معشر قريش فان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءكم بجيش عظيم يسير كالسيل فوالله لو جاءكم وحده لنصره الله وأنجز له وعده فانظروا لأنفسكم والسلام وفي رواية أن لفظ الكتاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن في الناس بالغزو ولا أراه يريد غيركم وقد أحببت أن تكون لي عندكم يد فدعا النبي صلى الله عليه وسلم حاطبا فقال أتعرف هذا الكتاب قال نعم قال ما حملك على هذا قال حاطب يا رسول الله لا تعجل علي أما والله إني لمؤمن بالله ورسوله ما غيرت ولا بدلت وفي لفظ ما كفرت منذ أسلمت ولا غششت منذ نصحت كنت ولا أحببتهم منذ فارقتهم ولكني كنت امرأ ملصقا في قريش يعني حليفا لهم ولم أكن من أنفسها وفي رواية ولكني كنت امرأ ليس لي في القوم أصل ولا عشيرة وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليه وكان من معك من المهاجرين من له أهل ومال بمكة لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم فأحببت إذ فاتني النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتي وفي رواية فقال حاطب

---

كتابتك وأتزوجك فقضى عنها كتابتها وتزوجها والملاح أبلغ من المليح والمليح مستعار من قولهم طعام مليح إذا كان فيه الملح بمقدار ما يصلحه قال الأصمعي رحمه الله الحسن في العينين والجمال في الأنف والملاحة في الفم وهذا السياق يدل على أنه صلى الله عليه وسلم تزوجها وهم على الماء الذي هو المريسيع ويؤيده ما يأتي عنها رضي الله تعالى عنها قال الشمس الشامي رحمه الله ونظر رسول الله ﷺ لجويرية حتى عرف من حسنها ما دعاه لتزوجها لأنها كانت أمة مملوكة أي لأنها مكاتبة ولو كانت غير مملوكة أي حرة ما ملأ صلى الله عليه وسلم عينه منها أو أنه صلى الله عليه وسلم نوى نكاحها أو أن ذلك كان قبل آية الحجاب (أقول) تبع في هذا السهيلي رحمه الله وقد قدمنا أن من خصائصه ﷺ جواز نظر الأجنبية والخلوة بها لأمنه صلى الله عليه وسلم من الفتنة فلا يحسن قوله ولو كانت حرة ما ملأ ﷺ عينه منها * ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم حرمة نكاح الأمة فلا يحسن قوله أو أنه نوى نكاحها وأن نزول آية الحجاب كان في سنة ثلاث على الراجح ومذهب الشافعي رضي الله عنه حرمة نظر سائر بدن الأمة الأجنبية كالحرة على الراجح عند الشافعية ومنهم الشمس الشامي فلا يحسن قوله لأنها كانت أمة مملوكة والله أعلم روى الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة بني المصطلق فسبينا كرائم العرب أي واقتسمناها وملكناها فطالت علينا العزبة ورغبنا في الفداء فأردنا نستمتع ونعزل فقلنا نفعل ذلك وفي لفظ فأصبنا سبايا وبنا شهوة للنساء واشتدت علينا العزوبة وأحببنا الفداء وأردنا أن نستمتع ونعزل وقلنا نعزل ورسول الله ﷺ بين أظهرنا فسألناه عن ذلك فقال ﷺ لا عليكم أن لا تفعلوا ما كتب الله خلق نسمة أي نفسا قدرها هي كائنة إلى يوم القيامة إلا ستكون وفي لفظ ما عليكم أن لا تفعلوا فان الله قد كتب من هو خالق إلى يوم القيامة وفي رواية لا عليكم أن لا تفعلوا ذلك فانما هو القدر وفي رواية ما من كل الماء يكون الولد وإذا أراد الله خلق شيء لم يمنعه أي ما عليكم حرج في عدم فعل العزل وهو الانزال في الفرج لأن العزل الانزال خارج الفرج فيجامع حتى إذا قارب الانزال نزع فأنزل خارج الفرج ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة إلا وهي كائنة أي عزلتم أم لا فلا فائدة في عزلكم لأن الماء قد يسبق العزل إلى الرحم فيجيء الولد وقد ينزل في الفرج ولا يجيء الولد وكون ذلك كان في بني المصطلق هو الصحيح خلافا لما نقل عن موسى بن عقبة رحمه الله تعالى أن ذلك كان في غزوة أوطاس وقول أبي سعيد رضي الله عنه قد طالت علينا العزبة واشتهينا النساء أي لعل أبا سعيد الخدري رضي الله عنه ومن تكلم على لسانه كان في المدينة أعزب وإلا فأيام تلك الغزوة لم تطل فانها كانت ثمانية وعشرين يوما قال أبو سعيد رضي الله عنه فقدم علينا وفدهم أي بالمدينة في الامتاع وكانوا قدموا المدينة ببعض السبي فقدم عليهم أهلوهم فافتدوا الذرية والنساء كل واحد بست فرائض ورجعوا إلى بلادهم قال أبو سعيد رضي الله عنه وخرجت بجارية أبيعها في السوق أي قبل أن يقدم وفدهم في فدائهم فقال لي يهودي يا أبا سعيد تريد بيعها وفي بطنها منك سخلة هي في الأصل ولد الغنم فقلت كلا إني

والله ما ارتبت فى الله منذ أسلمت ولكننى كنت امرأ غريبا ولى فى مكة بنون وأخوة فكتبت كتابا لا يضر الله ورسوله ولم أفعله ارتدادا عن دينى ولا رضا بالكفر بعد الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما انه قد صدقكم فيما أخبركم به فقال له عمر رضى الله عنه قاتلك الله ترى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ بالانقاب وتكتب إلى قريش وفى رواية أنه قال انه يعلم يارسول الله أنك أخذت على الطريق وأمرت أن لا نرى أحدا يمر ممن ننكره إلا رددناه (٢٩٧) يارسول الله دعنى أضرب عنق هذا المنافق فقال النبى صلى الله عليه وسلم أنه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدرا فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم وفى رواية فقد وجبت لكم الجنة وفى أخرى لا يدخل النار أحد شهد بدرا فدمعت عينا عمر رضى الله عنه وقال الله ورسوله أعلم وأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى تسرون اليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل فالذى نزل فى ذلك إلى هنا وقيل إلى قوله قد كانت لكم اسوة حسنة فى ابراهيم وانما قال عمر رضى الله عنه دعنى يارسول الله أضرب عنق هذا المنافق مع

كنت أعزل عنها فقال تلك الوأدة الصغرى أى المرة من الوأد وهو أن يدفن الرجل بنته حية فالموءودة البنت تدفن فى القبر وهى حية كانت الجاهلية خصوصا كندة تفعل ذلك فجئت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته فقال كذبت يهود كذبت يهود زاد فى رواية لو أراد الله عز وجل أن يخلقه ما استطعت أن تصرفه وبهذا مع ما تقدم من نفى الحرج استدل أئمتنا رحمهم الله على جواز العزل مع الكراهة فى كل امرأة سرية أو حرة فى كل حال سواء رضيت أم لا وقال جمع بحرمته قالوا لأنه طريق إلى قطع النسل وفى مسلم ما يوافق ما قالته يهود ففى مسلم سألوه ﷺ عن العزل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الوأد الخفى أى بمثابة دفن البنت حية الذى كان يفعله الجاهلية خوف الاملاق أو خوف حصول العار إلا أن يقال هذا كان منه صلى الله عليه وسلم قبل أن يوحى اليه بحل ذلك ثم نسخ فلا مخالفة ويدل لذلك ما فى مسلم أيضا عن جابر رضى الله عنه كنا نعزل على عهد رسول الله ﷺ والقرآن ينزل فلم ينهنا وفى رواية أن رجلا أتى النبى ﷺ فقال ان لى جارية هى خادمنا وساقيتنا فى النخل وأنا أكره أن تحمل فقال ﷺ أعزل عنها إن شئت فانه سيأتيها ما قدر لها فلبث الرجل ثم أتاه ﷺ فقال يارسول الله ان الجارية قد حبلت فقال قد أخبرتك أنه سيأتيها ما قدر لها فقد أرشده ﷺ إلى العزل الذى لا يكون معه الولد غالبا وأخبر بأن ذلك لا يمنع وجود ما قدر لها من حصول الولد وعن عبد الله بن زياد رضى الله عنه قال أفاء أى غنم رسول الله ﷺ فى غزوة بنى المصطلق جويرية بنت الحرث وقدم رسول الله ﷺ المدينة فأقبل أبوها فى فدائها فلما كان بالعقيق نظر إلى إبله التى يفدى بها ابنته فرغب فى بعيرين منها كان من أفضلها فعقبهما فى شعب من شعاب العقيق ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أصبتم ابنتى وفى رواية قال يارسول الله كريمة لا تسبى وهذا فداؤها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فأين البعيران اللذان عقبتهما بالعقيق فى شعب كذا وكذا فقال الحرث أشهد أنك رسول الله ما اطلع على ذلك إلا الله وأسلم ولعله دخل بالأمان إلى المدينة وفى رواية أنه أسلم قبل ذلك وأسلم معه ابنان وناس من قومه وعليه فيكون قوله وأسلم أى أظهر اسلامه وعند ذلك أمره ﷺ بأن يخيرها فقالت أحسنت وأجملت فقال لها أبوها يا بنية لا تفضحى قومك قالت اخترت الله ورسوله وفيه كيف يأمره صلى الله عليه وسلم بتخييرها بعد أن تزوجها كما تقدم أن مقتضى السياق أنه تزوجها وهم على الماء ثم رأيت الامام أبا العباس ابن تيمية أنكر مجىء أبيها وتخييرها فليتأمل وفى الاستيعاب أن عبد الله بن الحرث أخا جويرية بنت الحرث زوج النبى ﷺ قدم على النبى صلى الله عليه وسلم فى فداء أسارى بنى المصطلق وغيب فى الطريق ذودا وجارية سوداء فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فداء الاسارى فقال رسول الله ﷺ نعم فما جئت به قال ما جئت بشىء قال فأين الذود والجارية السوداء الذى غيبت فى موضع كذا قال أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله والله ما كان معى أحد ولا سبقنى اليك أحد فأسلم وفيه ما تقدم فى أبيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لك الهجرة حتى

(٣٨ - حل - نى) تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاطب فيما اعتذر به لما كان عند عمر رضى الله عنه من القوة فى الدين وبغض المنافقين فظن أنه يستحق القتل لكونه خالف ما أمر به النبى صلى الله عليه وسلم من اخفاء مسيره عن قريش وحرصه على عدم وصول خبره اليهم وبعثه جماعة على الطريق حتى لا يبلغهم الخبر فلذا ظن أنه استحق القتل لكنه لم يجزم بذلك فلذلك استأذن فى قتله وأطلق عليه منافقا لكونه أظهر خلاف ما أبطن وحاطب كان معذورا أما أولا بما ذكره من عذره وكفاه منقبة

شهادة الله له بالايمان حيث قال يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الخ وقوله صلى الله عليه وسلم لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ليس فيه اباحة المعاصى لهم وانما هو خطاب اكرام وتشريف تضمن انهم رضى الله عنهم حصلت لهم حالة غفرت بها ذنوبهم السالفة وتأهلوا لأن يغفر لهم ما سيحصل من الذنوب لو فرض وقوعه منهم وما أحسن قول بعضهم

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد * جاءت محاسنه بألف شفيع



وقد أظهر الله صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل من أخبر عنه بشىء من ذلك فانهم لم يزالوا على أعمال أهل الجنة إلى أن فارقوا الدنيا ولو قدر صدور شىء من أحدهم لبادر الى التوبة ولازم الطريقة المثلى يعلم ذلك من أحوالهم بالقطع من اطلع على سيرهم رضى الله عنهم ولما أراد صلى الله عليه وسلم الخروج من المدينة وعزم على غزو أهل مكة بعث إلى من حوله من العرب وطلب حضورهم أسلم وغفار وأشجع وسليم وغيرهم فأرسل اليهم يقول لهم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة وبعث رسلا فى كل ناحية فمنهم من وافاه بالمدينة ومنهم من لحقه بالطريق فكان المسلمون فى غزوة الفتح عشرة آلاف وقيل اثنى عشر ألفا من المهاجرين والأنصار وأسلم وغفار ومزينة وجهينة وأشجع وسليم وقيل ان العشرة آلاف خرج بهم من نفس المدينة ثم تلاحق به ألفان قال الحلبي في السيرة وكان المهاجرون سبعمائة ومعهم ثلثمائة فرس وكانت الأنصار أربعة آلاف ومعهم خمسمائة فرس وكانت مزينة ألفا ومعها مائة فرس وكانت أسلم أربعمائة ومعها ثلاثون فرسا وكانت جهينة ثمانمائة ومعها خمسون فرسا وكان معه صلى الله عليه وسلم من زوجاته أم سلمة وميمونة رضى الله عنهما واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم وقيل أبارهم كلثوم بن الحصين الغفارى وجمع

---

بركـ الغماد هذا كلامه والذود من الابل ما بين الثلاث إلى العشر والمتبادر من السياق أنه جاء بذلك الذود وتلك الجارية للفداء فمن له أن يسأل فى الفداء من غير شيء فغيب ذلك الذود وتلك الجارية طمعا فى أنه صلى الله عليه وسلم يجيبه لذلك لمكان أخته عنده ويحتمل أن العبارة فيها اختصار وحينئذ يكون الأصل فى قوله صلى الله عليه وسلم فما جئت به المال الزائد على هذا الذى جئت به فيكون الذود والجارية بعض ما جاء للفداء فقال ما جئت بشيء أى زائد على هذا الذى جئت به لأنه جد أن يطلب الفداء من غير شيء فليتأمل وفى لفظ أنه لما جاء أبوها فى فدائها دفعت اليه ابنته جويرية وأسلمت وحسن اسلامها فخطبها النبي صلى الله عليه وسلم إلى أبيها فزوجه إياها وأصدقها أربعمائة درهم وفى الامتاع يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم جعل صداقها عتق كل أسير من بنى المصطلق ويقال جعل صداقها عتق أربعين من قومها ولا يخفى أن مجيء أبيها فى فدائها وتزويجها للنبي ﷺ مخالف لسياق ما تقدم أنه تزوجها وهم على الماء ويحتاج للجمع بين ما ذكر وبين ما روى أنه لما رأى المسلمون أنه صلى الله عليه وسلم تزوج جويرية قالوا فى حق بنى المصطلق اصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقوا ما بأيديهم منهم وعبارة الامتاع ولما تزوجها ﷺ خرج الخبر الى الناس وقد اقتسموا رجال بنى المصطلق وملكوهم ووطؤا نساءهم فقالوا اصهار النبي صلى الله عليه وسلم فاعتقوا ما بأيديهم من ذلك السبي وعن جويرية رضى الله عنها قالت لما أعتقنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوجنى والله ما كلمته فى قومى حتى كان المسلمون هم الذين أرسلوهم وما شعرت الا بجارية من بنات عمى تخبرنى الخبر فحمدت الله سبحانه وتعالى أقول وذكر بعضهم أن ليلة دخوله صلى الله عليه وسلم بها طلبتهم منه فوهبهم لها ويحتاج للجمع ويقال فى الجمع بين ما تقدم من فدائهم واطلاقهم من غير فداء بأنه يجوز أن يكون الفداء وقع لبعضهم قبل عتق جويرية والتزوج بها فلما تزوجها صلى الله عليه وسلم أطلق بعضهم الآخر الباقى فالفداء وقع لبعضهم والاعتاق وقع لبعضهم الآخر فان السبي كان لأهل مائتى بيت ويؤيد ذلك قول بعضهم كان السبي منهم من من عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير فداء ومنهم من افتدى ويؤيد ذلك ما يأتى فى كلام عائشة رضى الله عنها أن الاعتاق كان لأهل مائة بيت أى فيكون الفداء لأهل مائة بيت والاطلاق فى الفداء لأهل المائة الاخرى ويكون مراد جويرية رضى الله عنها بقولها ما كلمته فى قومى أى فيمن بقى منهم ثم لا يخفى أن مجيء أبيها أو أخيها ومجيء وفدهم لفدائهم مخالف لما تقدم من أنه أسر سائرهم الرجال والنساء والذرية ولم يفلت منهم أحد ويبعد غياب هؤلاء خصوصا أباها الذى كان يجمع القوم فعليك أن تتنبه للجمع بين هذه الروايات على تقدير صحتها والله أعلم ثم بعد ذلك أسلم بنو المصطلق وبعد بعامين بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة بن أبى معيط لأخذ الصدقة أي وكان بينهم وبينه شحناء فى الجاهلية فخرجوا للقائه وهم متقلدون السيوف فرحا وسرورا بقدومه فتوهم أنهم خرجوا لقتاله ففر راجعا وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنهم ارتدوا فهم عليه الصلاة والسلام بقتالهم

أى

بينهما بان أبا رهم جعله للقضايا والاحكام وابن أم مكتوم للصلاة وخرج عليه الصلاة والسلام من المدينة لعشر ليال خلون من رمضان
بعد العصر سنة ثمان من الهجرة وقيل لليلتين خلتا من رمضان وقيل لست عشرة وقيل ثمان عشرة قال النووى لا أعلم خلافا فى ان
ذلك فى شهر رمضان أى وانما الخلاف فيما مضى منه حين الخروج ولما بلغ صلى الله عليه وسلم الكديد بفتح الكاف وهو موضع
بين قديد وعسفان أفطر لانه بلغه أن الناس شق عليهم الصيام وقيل له انما ينظرون فيما فعلت فلما استوى
على راحلته بعد العصر
دعا باناء من ماء وقيل من
لبن فوضعه على راحلته
ليراه الناس فشرب فافطر
فناوله رجلا الى جنبه
فشرب فلم يزل مفطرا رفقا
بالمسلمين حتى انسلخ
الشهر لانه وان قدم مكة
قبل تمام الشهر لكنه
كان فى أهبة القتال
و بعث السرايا ولم ينو
الاقامة ولذا كان يقصر
الصلاة وكان العباس بن
عبد المطلب رضى الله
عنه عم النبى صلى الله
عليه وسلم قد خرج باهله
وعياله مهاجرا فلقى رسول
الله صلى الله عليه وسلم
بالجحفة وكان اسلامه
قديما وكان يكتمه بامر
النبى صلى الله عليه وسلم
وكان صلى الله عليه وسلم
أمره بالاقامة بمكة ليكتب
له أخبار قريش وكان
العباس رضى الله عنه
يسره ما يفتح الله على
المسلمين وما أظهر
اسلامه لاهل مكة الا يوم
الفتح وكان مقيما بمكة
على سقايته وكان ينفع
المستضعفين بمكة وبه يثقون ورسول الله صلى الله عليه وسلم عنه راض وقيل إنه اتى النبى صلى الله عليه وسلم بذى الحليفة فبعث ثقله
الى المدينة وسار مع النبى صلى الله عليه وسلم الى مكة للفتح (وروى الطبرانى) عن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه قال استأذن
العباس النبى ﷺ فى الهجرة فكتب اليه يا عم أقم مكانك الذى أنت فيه فان الله يختم بك الهجرة كما ختم بى النبوة ولما
لقيه قال هجرتك يا عم آخر هجرة كما ان نبوتى آخر نبوة (وكان) ممن لقيه صلى الله عليه وسلم فى الطريق أبو سفيان بن الحرث بن

أى وأكثر المسلمون ذكر غزوهم فعند ذلك قدم وفدهم وأخبروا بانهم خرجوا اليه ليكرموه ويؤدوا
ما عليهم من الصدقة أى وفى رواية أنه ﷺ أرسل اليهم خالد بن الوليد فاخبروه الخبر
وعند ارساله قال له صلى الله عليه وسلم ارمقهم عند الصلاة فان كان القوم تركوا الصلاة فشأنك بهم
فدنا منهم عند غروب الشمس فكمن حيث يسمع الصلاة فاذا هو بالمؤذن قد قام حين غربت
الشمس فاذن ثم أقام الصلاة فصلوا المغرب ثم لما غاب الشفق أذن مؤذنهم ثم أقام الصلاة فصلوا
العشاء ثم لما كان جوف الليل فاذا هم يتهجدون ثم عند طلوع الفجر اذن مؤذنهم وأقام الصلاة
فصلوا فلما انصرفوا وأضاء النهار فاذا هم بنواصى الخيل فى ديارهم فقالوا ما هذا قيل خالد بن الوليد
فقالوا يا خالد ما شأنك قال أنتم والله شأنى أتى النبى ﷺ فقيل له انكم تركتم الصلاة وكفرتم
بالله فجثوا يبكون وقالوا معاذ الله وهذا الوليد بيننا وبينه شحناء فى الجاهلية وانما خرجنا بالسيوف خشية
ان يكافئنا بالذى كان بيننا وبينه فرد الخيل عنهم ورجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله
تعالى يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة الآيتين قال ابن عبد البر
رحمه الله لا خلاف بين أهل العلم بتأويل القرآن فيما علمت أن قوله ان جاءكم فاسق بنبأ نزلت فى
الوليد بن عقبة بن أبى معيط حين بعثه رسول الله ﷺ الى بنى المصطلق لأخذ صدقاتهم
أى ونزل فيه وفى على بن أبى طالب كرم الله وجهه فمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون أى فكان
يدعى الفاسق وبعثه لأخذ صدقات بنى المصطلق يرد قول من قال إنه ممن أسلم يوم الفتح وكان قد ناهز
الحلم أى ويرد ما روى بعضهم عنه انه قال لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة جعل أهل مكة
يأتونه بصبيانهم فيمسح على رؤسهم ويدعو لهم بالبركة فأتى بى اليه وأنا مضمخ بالخلوق فلم يمسح على
رأسى ولم يمنعه من ذلك الا وجود الخلوق ويرد ذلك أيضا ما سيأتى انه خرج هو وأخوه عمارة ليردا
أختهما أم كلثوم عن الهجرة وكانت هجرتها فى الهدنة هدنة الحديبية والوليد هذا كان أخا عثمان بن
عفان لامه وولاه الكوفة أى وعزل عنها سعد بن أبى وقاص فلما قدم الوليد الكوفة على سعد رضى الله
عنه قال له والله ما أدرى اصرت كيسا بعدنا أم حمقنا بعدك فقال له لا تجزعن أبا اسحق وانما هو الملك
يتغداه قوم ويتعشاه آخرون فقال سعد أراكم يعنى بنى أمية ستجعلونها والله يعنى الخلافة ملكا وعند
ذلك قال الناس بئسما فعل عثمان رضى الله عنه عزل سعد الهين اللين الورع المستجاب الدعوة وولى
أخاه الخائن الفاسق كما تقدم ولقى الوليد ابن مسعود رضى الله عنه فقال له ما جاء بك فقال جئت أميرا
فقال له ابن مسعود ما أدرى أصلحت بعدنا أم فسد الناس وكان الوليد شاعرا ظريفا حليما شجاعا كريما
شرب الخمر ليلة من أول الليل الى الفجر فلما أذن المؤذن لصلاة الفجر خرج الى المسجد وصلى باهل
الكوفة الصبح أربع ركعات وصار يقول فى ركوعه وسجوده اشرب واسقنى ثم قاء فى المحراب ثم سلم وقال
هل أزيدكم فقال له ابن مسعود رضى الله عنه لا زادك الله خيرا ولا من بعثك الينا وأخذ فردة خفه وضرب
بها وجه الوليد وحصبه الناس فدخل القصر والحصباء تأخذه وهو مترنح والى ذلك يشير الحطيئة بقوله

عبد المطلب ابن عمه ﷺ وأخوه من الرضاع من حليمة السعدية وكان مع أبي سفيان ولده جعفر وعبد الله بن أبي أمية المخزومي ابن عمته صلى الله عليه وسلم عاتكة بنت عبد المطلب وهو أخو أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم لا بيها لان أمها عاتكة بنت عامر بن قيس وكان لقاء أبي سفيان ومن معه للنبي ﷺ بنقب العقاب بين مكة والمدينة وقيل بالابواء وهم مسلمون مهاجرون واسم أبي سفيان كنيته وقيل اسمه المغيرة وكان يألف النبي صلى الله عليه وسلم ولا يفارقه قبل النبوة فلما بعثه الله عاداه وهجاه واجابه عنه حسان رضي الله عنه كثيرا وكان عبد الله بن أبي أمية قبل اسلامه شديدا على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين وفي لفظ وكان كل منهما أي من أبي سفيان وعبد الله من أشد الناس أذية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاعرض عنهما صلى الله عليه وسلم لما لقياه لما كان يلقى منهما من شدة الاذى والهجو فالتمسا الدخول عليه صلى الله عليه وسلم فكلمته أم سلمة رضي الله عنها فيهما فقالت يارسول الله ابن عمك وابن عمتك وصهرك فقال لا حاجة لي بهما أما ابن عمي فهتك عرضي وأما ابن عمتي وصهري فهو الذي قال لي بمكة ماقال يعني قوله له والله لا آمنت بك حتى تتخذ سلما الى السماء فتعرج فيه وأنا أنظر ثم تأتي بصك وأربعة من الملائكة يشهدون ان الله أرسلك فقالت له أم سلمة رضي الله عنها لا يكن ابن عمك وابن عمتك أشقى الناس بك فلما خرج الخبر اليهما بذلك قال أبو سفيان والله ليأذنن لي أولآخذن بيدابني هذا يعني ولده جعفرا ثم لنذهبن في الارض حتى نموت عطشا وجوعا فلما بلغ ذلك النبي ﷺ رق لهما ثم أذن لهما فدخلا عليه وأسلما وأنشده أبو سفيان معتذرا مما مضى فقال

لعمرك اني يوم احمل راية * لتغلب خيل اللات خيل محمد
لكالمدلج الحيران أظلم ليله * فهذا أواني حين أهدي وأهتدي

---

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه * ان الوليد أحق بالعذر
نادى وقد تمت صلاتهم * أأزيدكم سكرا وما يدري

ولما شهدوا عليه بشرب الخمر عند عثمان بن عفان رضي الله عنه استقدمه وأمر به فجلد أي أمر عليا كرم الله وجهه أن يقيم عليه الحد فجلده وقيل فقال علي كرم الله وجهه لابن أخيه عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما أقم عليه الحد أي بعد أن أمر ابنه الحسن رضي الله عنه بذلك فامتنع فاخذ عبد الله رضي الله عنه السوط جلده وعلي كرم الله وجهه يعد عليه حتى بلغ أربعين فقال لعبد الله امسك جلد رسول الله ﷺ في الخمر أربعين وجلد أبو بكر رضي الله عنه أربعين وجلد عمر رضي الله عنه ثمانين وكل سنة وهذا أي مافعلته من جلده أربعين أحب الي من جلد عمر ثمانين هذا وفي البخاري ان عبد الله جلده ثمانين وأجيب عنه بان السوط كان له رأسان وحينئذ يكون قوله وكل سنة أي طريقة فاربعون طريقته ﷺ وطريقة الصديق رضي الله عنه والثمانون طريقة عمر رضي الله عنه رآها اجتهادا مع استشارته لبعض الصحابة في ذلك لما رآه من كثرة شرب الناس للخمر وبعد أن جلده عزله عن الكوفة وأعاد سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ولما أراد سعد أن يصعد المنبر قال لا أصعد عليه حتى تغسلوه من آثار الوليد الفاسق فانه نجس فغسلوه كما تقدم وارسال الوليد بن عقبة لبني المصطلق كما ينبغي ان يذكر في السرايا وكذا ارسال خالد رضي الله عنه لهم قالت عائشة رضي الله عنها لا أعلم امرأة أعظم بركة على قومها من جويرية أعتق بتزويجها لرسول الله ﷺ أهل مائة بيت أي ومن المعلوم ان هذا كان قبل سبايا أوطاس الذين أطلقوا بسبب أخته ﷺ من الرضاعة على ما سيأتي في بعض الروايات وقيل في حقها ماعرفت امرأة هي أيمن على قومها منها وذكرت جويرية رضي الله عنها انها قبل قدومه ﷺ عليهم بثلاث ليال رأت كأن القمر يسير من يثرب حتى وقع في حجرها أي وعنها رضي الله عنها قالت فكرهت أن أخبر بها أحدا من الناس فلما سبينا رجوت الرؤيا قال وعنها رضي الله عنها انها قالت لما أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن على المريسيع فاسمع أبي يقول أتانا مالا قبل لنا به فلبثت أرى من الناس والخيل والسلاح مالا أصف من الكثرة فلما ان أسلمت وتزوجني رسول الله ﷺ ورجعنا جعلت أنظر الى المسلمين فليسوا كما كنت أرى فعلمت انه رعب من الله تعالى يلقيه في قلوب المشركين أي وهذا مما يؤيد ماتقدم من أنه صلى الله عليه وسلم تزوجها وهم على الماء الذي هو المريسيع وكان رجل منهم ممن أسلم وحسن اسلامه يقول لقد كنا نرى رجالا بيضا على خيل بلق ما كنا نراهم قبل ولا بعدا نتهى وهو يدل على أن الملائكة عليهم الصلاة والسلام كانت مددا لهم في هذه الغزوة ولم يقتل في غزوة بني المصطلق من المسلمين إلا رجل واحد قتله رجل من الانصار خطأ يظنه من العدو والمقتول هشام بن صبابة رضي الله عنه أقول وهذا محمل قول الحافظ الدمياطي رحمه الله في سيرته أنه لم يقتل من المسلمين الا رجل واحد فاعتراض صاحب الهدى عليه بان هذا وهم لانهم لم يكن بينهم قتال ليس في محله لانه فهم ان الرجل قتله

هدانى هاد غير نفسى ونالنى * مع الله من طردته كل مطرد     أصدوأنأى جانبا عن محمد * وادعى وان لم أنتسب من محمد

قال ابن اسحق انه لما قال ونالنى مع الله من طردته كل مطرد ضرب صلى الله عليه وسلم صدره قال أنت طردتنى كل مطرد وقال على رضى الله عنه لابى سفيان بن الحرث عند اذنه صلى الله عليه وسلم له فى الدخول عليه ائت من قبل وجهه فقل له ماقال اخوة يوسف تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين فانه لايرضى أن يكون أحد أحسن منه قولا



ففعل ذلك أبو سفيان فقال له صلى الله عليه وسلم لاتثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ويقال انه مارفع رأسه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلم حياء منه وكان صلى الله عليه وسلم يحبه ويشهد له بالجنة ولزم ركاب النبى صلى الله عليه وسلم يوم حنين ولم يفارقه وكان صلى الله عليه وسلم يقول فيه أرجو أن يكون خلفا من حمزة وقال له صلى الله عليه وسلم كل الصيد فى جوف الفرا وقيل قال ذلك لابى سفيان بن حرب ولا مانع من التعدد وتوفى أبو سفيان بن الحرث رضى الله عنه سنة خمس عشرة أو عشرين بالمدينة وصلى عليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقبره بالمدينة معروف يزار عليه قبة منيرة يروى انه قال عند موته ولا تبكن على فانى لم أنطق بخطيئة منذ أسلمت ( وأما عبد الله بن أبى أمية المخزومى فكذلك ) كان بعد

اسلامه شديد الحياء من النبى صلى الله عليه وسلم لايستطيع أن يرفع طرفه اليه حياء منه واستشهد فى غزوة الطائف رضى الله عنه وعقد صلى الله عليه وسلم الالوية والرايات بقديد ودفعها للقبائل فاعطى لبنى سليم لواء ورايةولبنى غفار رايةولاسلم لواءين ولبنى كعب راية ولمزينة ثلاثة ألوية ولجهينة أربعة ألوية وكان جماعة من بنى بكر أسلموا فكانوا معه صلى الله عليه وسلم فاعطاهم لواء ولاشجع لواءين ورأى أبو بكر الصديق منا ما قبل عقد الالوية وقيل عند نزولهم بمر الظهران فقال يارسول الله رأيت فى المنام انا دنونا من مكة

---

قتله الكفار وقد علمت انما قتله شخص من الأنصار يظنه من العدو والله أعلم وقدم أخو هذا المقتول من مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم مظهر الاسلام وقال جئت أطلب دية أخى فامر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بدية أخيه فاخذها مائة من الابل وأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم غير كثير ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ثم خرج الى مكة مرتدا فيوم فتح مكة أهدر رسول الله صلى الله عليه وسلم دمه فقتل فى ذلك اليوم كما سيأتى وماهنا هو الصحيح خلافا لما يأتى عن الأصل فى فتح مكة ان قتل أخيه كان فى غزوة ذى قرد ثم بعد انقضاء الحرب وهم على الماء اختصم أجير لعمر بن الخطاب رضى الله عنه أى كان يقود له فرسه يقال له جهجاه رضى الله عنه مع رجل من خلفاء الخزرج قيل حليف عمرو ابن عمرو وقيل حليف عبد الله بن أبى ابن سلول وهو سنان بن فروة رضى الله عنه أى فضرب أجير عمر رضى الله عنه حليف الخزرج فسال الدم وفى لفظ كسعه أى دفعه فنادى حليف الخزرج يامعشر الأنصار أى وقيل قال ياللخزرج ونادى أجير عمر يامعشر المهاجرين وقيل قال يالكنانة يالقريش فاقبل جمع من الجيشين وشهروا السلاح حتى كادأن تكون فتنة عظيمة فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مابال دعوى الجاهلية فاخبر بالحال أى فقالوا رجل من المهاجرين ضرب رجلا من الأنصار فقال صلى الله عليه وسلم دعوها أى تلك الكلمة التى هى يالفلان فانها منتنة أى مذمومة لانها من دعوى الجاهلية وجاء من دعا دعوى الجاهلية كان من محثى جهنم أى مما يرمى به فيها قيل يارسول الله وان صام وان صلى وزعم انه مسلم قال وان صام وان صلى وزعم انه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم لينصر الرجل أخاه ظالما أو مظلوما ان كان ظالما فلينهه فانه ناصر أى له وان كان مظلوما فلينصره أى يزيل ظلامته ثم كلم ذلك المضروب فترك حقه فسكنت الفتنة وانطفت ثائرة الحرب وجهجاه هذا روى عنه عطاء بن يسار ان النبى صلى الله عليه وسلم قال الكافر يأكل فى سبعة امعاء والمؤمن يأكل فى معى واحد وهو المراد بهذا الحديث فى كفره واسلامه لانه شرب حلاب سبع شياه قبل ان يسلم ثم أسلم فلم يستتم حلاب شاة واحدة أى وسيأتى نظير ذلك لثمامة الحنفى ونقل أبو عبيد أن الرجل الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه المقالة هو أبو بصرة الغفارى أى ولامانع أن يكون صلى الله عليه وسلم قال ذلك فى حق الرجل المذكور أيضا فقد تكرر منه صلى الله عليه وسلم ذلك ثلاث مرات لرجال ثلاثة أكل كل واحد منهم فى الكفر أكثر مما أكل فى الاسلام قال ابن عبد البر رحمه الله وجهجاه هذا هو الذى تناول عصا رسول الله صلى الله عليه وسلم من يد عثمان رضى الله عنه وهو يخطب فكسرها على ركبته فاخذته أكلة فى ركبته فمات منها هذا كلامه وفى كلام السهيلى رحمه الله انه انتزع تلك العصا من عثمان حين أخرج من المسجد ومنع من الصلاة فيه وكان هو أحد المعينين عليه هذا كلامه وقد يقال لامخالفة بين كونه أخذ العصا منه وهو يخطب وبين كونه أخذها حين أخرج من المسجد لانه يجوز أن يكون أخرج من المسجد فى اثناء الخطبة وأخذت العصا منه حينئذ وعند تخاصم الرجلين غضب عبد الله ابن أبى ابن سلول وكان عنده رهط من قومه من الخزرج من المنافقين وكان عندهم زيد بن أرقم رضى

فخرجت الينا كلبة تهر أى تصوت فلما دنونا منها استلقت على ظهرها فاذا هى تشخب لبنا فقال صلى الله عليه وسلم ذهب كلبهم وأقبل درهم وهم يساوون بارحامهم وانكم لاقون بعضهم فان لقيتم أباسفيان فلا تقتلوه وقوله ذهب كلبهم أى شدتهم وقوله وأقبل درهم المراد خيرهم وهو انقيادهم للاسلام ثم لما نزل صلى الله عليه وسلم مر الظهران أمر أصحابه فاوقدوا عشرة آلاف نار لتراها قريش أوتسمع بها فترعب من  كثرتها واستجاب الله لرسوله صلى الله عليه وسلم فاخذ العيون والاخبار عن أهل مكة ولم يبلغهم مسيره وهم مغتمون محزونون متحيرون خائفون وتقدم ان العباس رضى الله عنه استقبل النبى صلى الله عليه وسلم وهو مهاجر فبعث أهله إلى المدينة ورجع مع النبى صلى الله عليه وسلم قال العباس حين نزل النبى صلى الله عليه وسلم مر الظهران رقت نفسى لأهل مكة وقلت واصباح قريش والله لئن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه انه لهلاك قريش إلى آخر الدهر فجلست على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء فخرجت عليها حتى جئت الاراك لعلى أجد بعض الحطابة أو صاحب لبن أوذا حاجة يأتى مكة يخبرهم بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا اليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عنوة وكان من قضاء الله وقدره ان خرج أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء الخزاعى يتجسسون الاخبار و ينظرون ان هل يجدون خبرا أو يسمعون به وقيل انه بلغهم مسيره ﷺ ولم يعلموا إلى أى جهة وقيل ان قريشا بعثوا أبا سفيان يتجسس الأخبار وقالوا ان لقيت محمدا فخذ لنا منه أمانا فأقبل أبو سفيان وحكيم و بديل يسيرون فلما سمعوا صهيل الخيل راعهم ذلك ورأوا كثرة النيران فقال أبو سفيان ما رأيت كالليلة نيرانا قطولا عسكرا هذه كنيران عرفة فقال بديل هذه نيران بنى عمرو يعنى

---

الله عنه وهو غلام حديث السن فقال عبد الله بن أبى لعنه الله والله ما رأيت كاليوم مذلة وقد فعلوها نافرونا أى غلبونا وكاثرونا فى بلادنا أى وأنكرونا ملتنا والله ما أعدنا أى أظننا يعنى معاشر الأنصار وقريش وفى رواية وجلابيب قريش هؤلاء يعنى معاشر المهاجرين الا كما قال الأول أى الأقدمون فى أمثالهم سمن كلبك يأكلك أى ويقولون اجع كلبك يتبعك والله انى لقد ظننت انى سأموت قبل ان أسمع هاتفا يهتف بما سمعت أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل يعنى بالأعز نفسه وبالأذل النبى صلى الله عليه وسلم وفى الاستيعاب ان عبد الله بن أبى قال ذلك فى غزوة تبوك هذا كلامه وفيه نظر ظاهر والجلابيب جمع جلبيب مايجلب من بلد إلى غيره يعنى اغراب وقيل شبهوا بالجلابيب التى هى الأزر الغلاظ القليلة القيمة ثم أقبل على من حضر من قومه فقال هذا ما فعلتم بانفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم أى ثم لم ترضوا بما فعلتم حتى جعلتم أنفسكم أغراضا للمنايا فقتلتم دونه يعنى النبى صلى الله عليه وسلم فأيتمتم أولادكم وقللتم وكثروا فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من عند محمد ﷺ فسمع ذلك زيد بن أرقم رضى الله عنه على ما هو الصحيح وقيل سفيان بن تيم فمشى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب رضى الله عنه أى ونفر من المهاجرين والأنصار وفى البخارى عن زيد بن أرقم رضى الله عنه فذكرت ذلك لعمى أو لعمر فذكره للنبى ﷺ فدعانى فحدثته فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك وتغير وجهه وقال له يا غلام لعلك غضبت عليه قال والله يا رسول الله لقد سمعته منه قال لعله أخطأ سمعك ولامه من حضر من الأنصار وقالوا اعمدت إلى سيد قومك تقول عليه مالم يقل أى وفى البخارى فكذبنى رسول الله ﷺ وأصابنى هم لم يصبنى مثله قط وجلست فى البيت أى الخباء فقال لى عمى ما أردت إلا أن كذبك رسول الله صلى الله عليه وسلم ومقتك فقال زيد والله لقد سمعت ما قال ولو سمعت هذه المقالة من أبى لنقلتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانى لأرجو ان ينزل الله على نبيه ﷺ ما يصدق حديثى أى وقيل ان زيد بن أرقم رضى الله عنه قال لابن أبى لما قال أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل أنت والله الذليل المنقص فى قومك ومحمد ﷺ فى عز من الرحمن وقوة من المسلمين فقال له ابن أبى لعنه الله اسكت فانما كنت ألعب فعند تغير وجه رسول الله ﷺ استأذنه عمر رضى الله عنه فى أن يقتل ابن أبى والتمس منه ان يأمر غيره بقتله إذا لم يأذن له فى ذلك أى فعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لما كان من أمر ابن أبى ما كان جئت رسول الله ﷺ وهو فى فىء شجرة أى ظلها عنده غليم أسود يغمز ظهره أى يكبسه فقلت يا رسول الله كأنك تشتكى ظهرك فقال تقحمت بى الناقة أى ألقتنى الليلة فقلت يا رسول الله ائذن لى أن أضرب عنق ابن أبى أو مر محمد بن مسلمة بقتله أى وفى رواية مر به عباد بن بشر فليقتله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يا عمر إذا تحدث الناس بان محمدا يقتل أصحابه وفى لفظ ان عمر رضى الله عنه قال له رسول ﷺ

ان كرهت أن يقتله مهاجرى فأمر به انصاريا فقال ترعدله اذن أنف كثيرة بيثرب يعنى المدينة ولعل تسميته ﷺ لها بذلك ان كان بعد النهى لبيان الجواز ويبعد أن يكون ذلك كان قبل النهى عن ذلك ولكن أذن بالرحيل وكان ذلك فى ساعة لم يكن يرتحل فيها أى وفى رواية لما شاع الخبر ولم يكن للناس حديث فى ذلك اليوم أى الوقت الا ذلك اذن بالرحيل وكانت ساعة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحل فيها أى لشدة الحر فارتحل الناس وسار رسول الله ﷺ فجاءه أسيد ابن حضير رضى الله عنه فحياه بتحية النبوة وسلم عليه أى قال السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته وقال يا نبى الله لقد رحلت فى ساعة منكرة ما كنت تروح فى مثلها أى فانه ﷺ كان لا يرحل الا أن برد الوقت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أما بلغك ما قال صاحبكم فقال أى صاحب يا رسول الله قال عبد الله بن أبى ابن سلول قال وما قال قال زعم انه ان رجع إلى المدينة أخرج الأعز منها الأذل قال فانت والله يا رسول الله تخرجه ان شئت هو والله الذليل وأنت العزيز ثم قال يا رسول الله ارفق به فوالله لقد جاء الله بك وفى رواية لقد جاءنا الله بك وان قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه ما بقيت عليهم الا خرزة واحدة عند يوشع اليهودى فانه ليرى انك استلبته ملكا وقد تقدم الاعتذار عنه بذلك فى غير ما مرة ثم سار رسول الله ﷺ بالناس سيرا حثيثا أى صار يضرب راحلته بالسوط فى مراقها أى مارق من جلد أسفل بطنها وسار يومهم ذلك وليلتهم وصدر ذلك اليوم الثانى حتى آذتهم الشمس ثم نزل بالناس فلم يلبثوا ان وجدوا مس الارض وقعوا نياما وانما فعل صلى الله عليه وسلم ذلك ليشتغل الناس عن الحديث الذى كان بالأمس من حديث عبد الله بن أبى ابن سلول قال وذهب بعض الأنصار الذين سمعوا قول النبى صلى الله عليه وسلم ورده على الغلام إلى ابن أبى لعنه الله فقال له يا أبا الحباب ان كنت قلت ما نقل عنك فاخبر به النبى ﷺ فليستغفر لك ولا تجحده فينزل فيك ما يكذبك وان كنت لم تقله فأت رسول الله ﷺ فاعتذر له واحلف له ما قلته فحلف بالله العظيم ما قال من ذلك شيئا ثم مشى الى رسول الله ﷺ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن أبى ان كانت سبقت منك مقالة فتب فجعل يحلف بالله ما قلت ما قال زيد وما تكلمت به انتهى أى وفى لفظ انه صلى الله عليه وسلم أرسل الى ابن أبى فأتاه فقال له أنت صاحب هذا الكلام الذى بلغنى عنك فقال والذى أنزل عليك الكتاب ما قلت شيئا من ذلك وان زيدا لكاذب فقال من حضر رسول ﷺ من الانصار يا رسول الله عسى أن يكون الغلام أوهم فى حديثه ولم يحفظ ما قال الرجل أى وفى لفظ انهم قالوا يا رسول الله شيخنا وكبيرنا لا يصدق عليه كلام غلام ثم ان عبد الله رضى الله عنه ولد عبد الله بن أبى ابن سلول أى وكان اسمه الحباب فسماه ﷺ يوم موت أبيه عبد الله لما بلغه مقالة عمر رضى الله عنه من قتل أبيه جاء الى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إنه قد بلغنى انك تريد قتل عبد الله بن أبى يعنى والده فيما بلغك عنه فان كنت فاعلا فمرنى أن أحمل لك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل أبر بوالده منى

خزاعة فقال أبو سفيان هم أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها فلما دخل أبو سفيان ومن معه عسكر المسلمين اخذهم حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية أخذتهم الخيل تحت الليل وكان الحرس عند نفر من الانصار وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه عليهم تلك الليلة فجاءوا بهم فلما أخذوا بخطم أبعرتهم قال أبو سفيان من أنتم قالوا هذا رسول الله ﷺ وأصحابه فقال هل سمعتم بمثل هذا الجيش نزلوا على أكباد قوم لم يعلموا بهم وروى الطبرانى عن أبى ليلى قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمر الظهران فقال ان أبا سفيان بالاراك فخذوه فأخذناه وفى رواية وكان صلى الله عليه وسلم بعث بين يديه خيلا تقتص العيون وخزاعة على الطريق لا يتركون أحدا يمضى ولما أخذ المسلمون أبا سفيان ومن معه جاؤا بهم إلى عمر رضى الله عنه لكونه كان على الحرس تلك الليلة فقالوا جئناك بنفر أخذناهم من أهل مكة فقال عمر رضى الله عنه وهو يضحك اليهم والله لو جئتمونى بأبى سفيان مازدتم قالوا والله أتيناك بأبى سفيان فقال احبسوه وفى رواية ان العباس رضى الله عنه كان صديقا لأبى سفيان فلما ركب البغلة ليتوجه إلى الاراك رجاء أن يجد من يبعثه لقريش ليأخذوا أمانا اذ سمع صوت أبى سفيان فأخذه وجاء به فامسكه الحرس فأجاره من الحرس أن يقتلوه وقال عمر رضى الله عنه لأبى سفيان حين مر به العباس عليه أبو سفيان عدو الله الحمد لله الذى أمكن منك من غير عقد ولا عهد قال العباس وقلت له يا أبا حنظلة فعرف صوتى فقال أبو الفضل قلت نعم قال مالك فداك أبى وأمى قلت والله هذا رسول الله ﷺ فى الناس قد جاءكم بما لا قبل لكم به وفى رواية قد جاءكم فى عشرة آلاف فقال واصباح قريش والله فما الحيلة فداك أبى وأمى قلت والله لئن ظفر بك ليضرب عنقك فاركب فى عجز هذه البغلة حتى آتى بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأمنه لك فترك صاحبيه وركب خلف

العباس رضى الله عنه فكان كلما مر بنا زمن نيران المسلمين قالوا من هذا فاذا رأوا بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم والعباس عليها قالوا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته قال العباس ثم خرج عمر رضى الله عنه يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم فركضت البغلة وسبقته فاقتحمت عن البغلة فدخلت على رسول الله ﷺ ودخل عليه عمر فى أثرى فقال يارسول الله هذا أبو سفيان عدو الله قد أمكن الله منه من غير عقد ولا عهد فدعنى أضرب عنقه قال العباس رضى الله عنه قلت يارسول الله انى قد أجرته ولعل العباس وعمر لم يبلغهما قوله صلى الله عليه وسلم انكم لاقون بعضهم فان لقيتم أبا سفيان فلا تقتلوه قال العباس رضى الله عنه ثم جلست إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لا يناجيه الليلة دونى رجل فلما أكثر عمر فى شأن أبى سفيان قلت مهلا ياعمر فوالله لو كان من رجال بنى عدى ماقلت هذا ولكنك قد عرفت انه من رجال بنى عبد مناف فقال مهلا ياعباس فوالله لاسلامك يوم أسلمت كان أحب الى من اسلام الخطاب لو أسلم ومابى الا أنى عرفت أن اسلامك كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اسلام الخطاب لو أسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب ياعباس به الى رحلك فاذا أصبحت فأتنى به كذا فى رواية ابن اسحق وذكر موسى ابن عقبة وغيره أن العباس قال قلت يارسول الله أبو سفيان وحكيم وبديل قد أجرتهم وهم يدخلون عليك صلى
عليك قال أدخلهم فدخلوا عليه فمكثوا عنده عامة الليل يستخبرهم فدعاهم الى الاسلام وأن يشهدوا أن لا اله الا الله وأنه رسول الله فشهد بديل وحكيم وقال أبو سفيان ما أعلم ذلك والله ان فى النفس من هذا شيئا بعد فارجئها أى أخرها وفى رواية قال له ﷺ يا أبا سفيان أسلم تسلم قال كيف أصنع باللات والعزى فقال له عمر اخرأ عليهما وكان عمر رضى الله عنه خارج القبة ثم قال عمر

انى أخشى أن تأمر به غيرى فيقتله فاقتل مؤمنا بكافر فادخل النار فقال رسول الله ﷺ بل نترفق به ونحسن صحبته مابقى معنا قال وفى رواية فمرنى فوالله لأحملن اليك رأسه قبل أن تقوم من مجلسك هذا وانى لأخشى يارسول الله أن تأمر به غيرى فيقتله فلا تدعنى نفسى أن أنظر الى قاتل أبى يمشى فى الناس فاقتله فادخل النار فعفوك أفضل ومنتك أعظم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أردت قتله ولا أمرت به ولنحسن صحبته ما كان بين أظهرنا فقال عبد الله يارسول الله ان أبى كانت أهل هذه البحيرة أى المدينة اتفقوا على أن يتوجوه عليهم فجاء الله عز وجل بك فوضعه ورفعنا بك أى زاد فى رواية ومعه قوم أى من المنافقين يطيفون به ويذكرونه أمورا قد غلب الله عليها وتقدم انه وقع لعبد الله رضى الله عنه مثل ذلك مع أبيه وروى الدارقطنى مسندا ان رسول الله ﷺ مر على جماعة فيهم عبد الله بن أبى فسلم عليهم ثم ولى فقال عبد الله لقد عتا ابن أبى كبشة فى هذه البلاد فسمعها ابنه عبد الله فاستأذن رسول الله ﷺ فى أن يأتيه برأس أبيه فقال لا ولكن برأباك ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بقرب المدينة هاجت ريح شديدة تخوفوها كادت تدفن الراكب أى خافوا أن تكون لأمر حدث بالمدينة على أهلهم فان مدة الموادعة التى كانت بينه ﷺ وبين عيينة بن حصن كان ذلك حين انقضائها فخافوا على المدينة منه فقال صلى الله عليه وسلم ليس عليكم منه يعنى من عيينة بن حصن بأس مابالمدينة من نقب أى باب الا وملك يحرسه وما كان ليدخلها عدو حتى تأتوها ولكن تعصف هذه الريح لموت عظيم من الكفار وفى رواية لموت منافق وفى لفظ مات اليوم منافق عظيم النفاق بالمدينة فكان كما قال ﷺ مات فى ذلك اليوم زيد بن رفاعة بن التابوت وكان كهفا للمنافقين كان من عظماء يهود بنى قينقاع وكان ممن أسلم ظاهرا وإلى ذلك أشار الامام السبكى رحمه الله تعالى فى تائيته بقوله

وقد عصفت ريح فأخبرت انها * لموت عظيم فى اليهود بطيبة

قال وفى رواية ان النبى ﷺ أخبر بموته فقد جاء ان عبادة بن الصامت قال لابن أبى يا أبا حباب مات خليلك قال أى خليل قال من موته فتح للاسلام وأهله قال من قال زيد بن رفاعة قال واويلاه من أخبرك يا أبا الوليد بموته قال قلت رسول الله ﷺ أخبرنا أنه مات هذه الساعة فحزن حزنا شديدا انتهى وذكر أهل المدينة ان هذه الريح وجدت بالمدينة وانه لما دفن عدو الله سكنت

أقول لكن فى كلام ابن الجوزى رفاعة بن زيد بن التابوت وهو عم قتادة بن النعمان قد ذكر عنه قتادة رضى الله عنه مايدل على صحة اسلامه أى وقد يقال جاز أن يكون أظهر ذلك لقتادة ليظن به ماظنه من صحة اسلامه قال ابن الجوزى ولهم رفاعة بن التابوت معدود فى الصحابة ذكره فى الاصابة قال جاء ذكره فى حديث مرسل كانوا فى الجاهلية اذا أحرموا لم يأتوا بيتا من قبل بابه ولكن من قبل ظهره الا الحمس فانها كانت تأتى البيوت من أبوابها فدخل رسول الله ﷺ حائطا ثم خرج من بابه فاتبعه رجل يقال له رفاعة بن التابوت ولم يكن من الحمس فقالوا يارسول الله نافق رفاعة فقال له رسول الله

أما والله لو كنت خارج القبة ماقلتها فقال أبو سفيان ويحك ياعمر انك رجل فاحش دعني مع ابن عمي فاياه أكلم فقال ﷺ اذهب به ياعباس فذهب به فلما أصبح أتى به أول النهار على رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ان أباسفيان لما أصبح ورأى الناس بادروا الى الوضوء قال ماللناس أمروا في بشيء قالوا لا ولكنهم قاموا الى الصلاة فامره العباس فتوضأ وانطلق به فلما كبر صلى الله عليه وسلم كبر الناس ثم ركع فركعوا ثم رفع فرفعوا ثم سجد فسجدوا فقال ما رأيت كاليوم طاعة قوم جمعهم من ههنا وههنا ولا فارس الا كارم ولا الروم ذات القرون باطوع منهم له ياأبا الفضل أصبح ابن أخيك والله عظيم الملك فقال العباس انه ليس بملك ولكنها النبوة فقال أوذاك فلما رآه صلى الله عليه وسلم بعد فراغه من الصلاة قال ويحك ياأباسفيان ألم يأن لك أن تعلم ان لا اله الا الله فلما رأى أبو سفيان مخاطبة النبي ﷺ له بهذا الخطاب اللين (٣٠٥) العذب وانه صلى الله عليه وسلم أغضى وضرب صفحا عما جرى منه في عداوته ومحاربته قال بابي أنت وأمي ماأحلمك وأكرمك وأوصلك لقد ظننت انه لو كان مع الله غيره لاغنى عني شيئا لقد استنصرت الهي واستنصرت الهك فوالله مالقيتك من مرة الا نصرت على فلو كان الهي محقا والهك مبطلا لكنت غلبتك ثم قال صلى الله عليه وسلم ويحك يا أباسفيان ألم يأن لك ان تعلم اني رسول الله فقال بابي أنت وأمي ماأحلمك وأكرمك وأوصلك أما هذه ففي النفس منها شيء فخاف عليه العباس ان يبادر أحد بقتله لانه ليس وقت مجادلة لا سيما مع شدة حنق المسلمين عليه فقال له ويحك أسلم واشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله قبل ان تضرب عنقك فاسلم وشهد شهادة الحق رضي الله عنه وروى الحافظ الذهلي عن سعيد بن المسيب قال لما دخل ﷺ مكة ليلة الفتح لم يزالوا في تكبير وتهليل وطواف بالبيت حتى أصبحوا فقال أبو سفيان لهند أترين هذا من الله ثم أصبح فقال له النبي ﷺ قلت لهند أترين هذا من الله فقال أبو سفيان أشهد انك عبد الله ورسوله والذي يحلف به ما سمع قولي هذا الا الله وهند وروى ابن عساكر عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم قال خرج صلى الله عليه وسلم وأبو سفيان جالس في المسجد فقال في نفسه ماأدري بم يغلبنا محمد فاتاه صلى الله عليه وسلم فضرب صدره وقال بالله نغلبك فقال أشهد انك رسول الله وروى الحاكم والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال رأى أبو سفيان رسول الله ﷺ يمشي والناس يطئون عقبه فقال في نفسه لو عاودت هذا الرجل القتال وجمعت له



صلى الله عليه وسلم ماحملك على ماصنعت ولم تكن من الحمس قال فان ديننا واحد فنزلت وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها وسيأتي نحو هذه القصة لقطبة بن عامر ولعلها وقعت لهما وأما الحديث الذي أخرجه مسلم ان ريحا عظيمة هبت فقال النبي ﷺ انها هبت لموت منافق عظيم النفاق وهو رفاعة بن التابوت فهو آخر غير هذا فقد جاء من وجه آخر رافع بن التابوت أي فذكر رفاعة بدل رافع من تصرف بعض الرواة وذكر في الاصابة ان رفاعة بن زيد عم قتادة بن النعمان رضي الله عنه لم يوصف بانه ابن التابوت كما ذكره ابن الجوزي أي فوضعه بابن التابوت من تصرف بعض الرواة فليتأمل والله أعلم وعن جابر رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فهاجت ريح منتنة فقال النبي ﷺ ان ناسا من المنافقين اغتابوا ناسا من المؤمنين فلذلك هاجت هذه الريح ولم يعين جابر السفرة فيحتمل ان تكون هي هذه الغزوة وهو ظاهر سياقها فيها ويحتمل أن تكون غيرها وفقدت ناقة رسول الله ﷺ القصواء من بين الابل أي ليلا فجعل المسلمون يطلبونها من كل وجه فقال زيد بن الصلت وكان منافقا كما علمت من بني قينقاع وكان بمجمع من الانصار أين يذهب هؤلاء في كل وجه قالوا يطلبون ناقة رسول الله ﷺ قد ضلت قال أفلا يخبره الله بمكانها أي وفي لفظ كيف يدعي انه يعلم الغيب ولا يعلم مكان ناقته ولا يخبره الذي يأتيه بالوحي فانكر عليه القوم وقالوا قاتلك الله ياعدو الله نافقت وأرادوا قتله فعمد هاربا الى رسول الله ﷺ متعوذا به فقال رسول الله ﷺ وذلك الرجل يسمع ان رجلا من المنافقين شمت ان ضلت ناقة رسول الله ﷺ وقال ألا يخبره الله بمكانها والله قد أخبرني بمكانها ولا يعلم الغيب الا الله وانها في الشعب مقابلكم قد مسك زمامها بشجرة فاعمدوا نحوها فذهبوا فأتوا بها من حيث قال ﷺ فقام ذلك الرجل سريعا إلى رفقائه فقالوا له حين دنا لا تدن منا فقال لهم أنشدكم الله هل أتى أحد منكم محمدا فاخبره خبري قالوا لا والله ولا قمنا من مجلسنا فقال اني وجدت ماتكلمت به عنده فاشهد ان محمدا رسول الله كأني لم أسلم الا اليوم فقالوا له فاذهب الى رسول الله ﷺ يستغفر لك فذهب اليه واعترف بذنبه واستغفر له قال ويقال انه لم يزل فشلا أي جبانا حتى مات ووقع مثل هذا أي هبوب الريح واضلال ناقته ﷺ في غزوة تبوك وأوقع صلى الله عليه وسلم السباق بين الابل فسابق بلال رضي الله عنه على ناقته ﷺ

جمعا فجاء عليه السلام حتى ضرب فى صدره فقال اذن يخزيك الله فقال أتوب الى الله وأستغفر الله ما أيقنت انك نبى الا الساعة انى
كنت لأحدث بذلك نفسى والحاصل ان أباسفيان كان فى أول الأمر مستكرها فلم يزل صلى الله عليه وسلم يترفق به ويتألفه حتى
تمكن الاسلام من قلبه ولقد حضر مع النبى ﷺ غزوة الطائف ففقئت عينه فجاء بها فى يده الى النبى صلى الله عليه
وسلم فقال له ان شئت أرجعها الله اليك خيرا مما كانت وان شئت خيرا منها فى الجنة فرمى بها وقال خيرا منها فى الجنة وفقئت عينه
الاخرى يوم اليرموك فى خلافة عمر رضى الله عنه وكان يحث الناس ويحرضهم على القتال ويقول هذا يوم من أيام الله انصروا
دين الله ينصركم الله قال أنس بن مالك رضى الله عنه لقد رأيته أعمى يقوده غلامه يدخل به على عثمان رضى الله عنه فى زمن
خلافته وتوفى فى خلافة عثمان (٣٠٦) رضى الله عنه وصلى عليه عثمان ودفن بالبقيع سنة اربع وثلاثين وقيل سنة احدى
وثلاثين وعمره ثمان
وثمانون سنة قال السيوطى
فى تحفة الادب روى
القزوينى فى تاريخه عن
ابن عباس رضى الله عنهما
قال لطم أبو جهل فاطمة
رضى الله عنها فى أول بعثة
النبى صلى الله عليه وسلم
فشكت الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال
لها ائت أبا سفيان فاتته
فاخبرته فاخذ بيدها حتى
وقف على أبى جهل فقال
لها ألطميه كما لطمك
ففعلت فجاءت الى النبى
صلى الله عليه وسلم
فاخبرته فرفع يديه وقال
اللهم لا تنسها لأبى سفيان
قال ابن عباس رضى الله
عنهما ما شككت ان
اسلامه كان لدعوة النبى
صلى الله عليه وسلم وقد
أوصى صلى الله عليه
وسلم باصحابه وأنصاره
وأصهاره وهو من أصهاره لان ابنته أم حبيبة رضى الله عنها كانت زوج النبى
صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم انى سألت الله ان لا يدخل النار أحدا ممن صاهرنى أو صاهرته فاياك أن تصغى لما
ينقله بعض المؤرخين ويتشدق به بعض أهل الزيغ والضلال من الطعن فيه وفى ابنه أو فى أحد من أصحاب النبى صلى الله عليه
وسلم فتكون من الهالكين وماجرى بين الصحابة من الاختلاف فهو محمول على الاجتهاد وكلهم ماجورون ان شاء الله تعالى فنسأل
الله أن يحيينا ويميتنا على محبة أهل البيت وأصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وأن لا يجعل لاحد منهم فى عنقنا ظلامة قال موسى بن
عقبة قال أبو سفيان وحكيم بن حزام يارسول الله جئت باوباش الناس ممن يعرف وممن لا يعرف الى أهلك وعشيرتك فقال صلى
الله عليه وسلم أنتم أظلم وأفجر فقد غدرتم بعهد الحديبية وظاهرتم على بنى كعب يعنى خزاعة بالاثم والعدوان فى حرم الله وأمنه فقالا

القصواء فسبقت غيرها من الابل وسابق أبو سعيد الساعدى رضى الله عنه على فرسه ﷺ
الذى يقال له الظراب فسبق غيره من الخيل اهـ أى وجاء ان ناقته صلى الله عليه وسلم العضباء كانت
لا تسبق فجاء اعرابى على قعود فسبقها فشق ذلك على المسلمين فقال ﷺ حق على الله
ان لا يرفع شيئا من الدنيا الا وضعه اهـ أقول فى الامتاع انه ﷺ فى هذه الغزوة تسابق
مع عائشة رضى الله عنها فتحزمت بقبائها وفعل كذلك رسول الله ﷺ ثم استبقا فسبقها
رسول الله ﷺ وقال لها هذه بتلك التى كنت سبقتنى يشير صلى الله عليه وسلم الى انه
جاء الى بيت أبى بكر رضى الله عنه فوجد مع عائشة شيئا فطلبه منها فابت وسعت وسعى صلى الله عليه
وسلم خلفها فسبقته هذا وفى كلام ابن الجوزى عن عائشة رضى الله عنها انها قالت خرجت مع رسول
الله ﷺ فى بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم فقال للناس تقدموا فتقدموا ثم قال
تعالى حتى اسابقك فسابقته فسبقته فسكت عنى حتى حملت اللحم وخرجت معه فى سفرة أخرى فقال
للناس تقدموا فتقدموا ثم قال لى تعالى حتى أسابقك فسابقته فسبقنى فجعل يضحك وهو يقول هذه
بتلك فليتأمل قال ولما انتهى رسول الله ﷺ الى وادى العقيق تقدم عبد الله رضى الله
عنه ابن عبد الله بن أبى ابن سلول وجعل يتصفح الركاب حتى مر أبوه فاناخ به ثم وطىء على يد راحلته
فقال أبوه ماتريد يالكع فقال والله لا تدخل حتى تقر أنك الذليل وان رسول الله صلى الله عليه وسلم
العزيز حتى يأذن لك رسول الله ﷺ لتعلم أيضا الاعز من الاذل أنت أو رسول الله صلى الله
عليه وسلم فصار يقول لأنا أذل من الصبيان لأنا أذل من النساء حتى جاء رسول الله ﷺ
قال خل عن أبيك نخلى عنه أى وفى لفظ انه لما جاء قال له ابنه وراءك قال مالك ويلك قال والله
لا تدخلها يعنى المدينة حتى يأذن لك رسول الله ﷺ وتعلم اليوم من الاعز من الاذل وفى
لفظ حتى تقول رسول الله ﷺ الاعز وأنت الاذل فقال له انت من بين الناس فقال نعم
أنا من بين الناس وانصرف الى النبى ﷺ وشكا له ما صنع ابنه رضى الله عنه فارسل
صلى الله عليه وسلم الى ابنه ان خل عنه وفى لفظ قال له ابنه رضى الله عنه لئن لم تقر لله ولرسوله بالعزة
لأضربن عنقك فقال ويحك أفاعل أنت قال نعم ولما رأى منه الجد قال أشهد أن العزة لله ولرسوله
وللمؤمنين فقال رسول الله ﷺ لابنه جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا وأنزل الله
تعالى

تعالى سورة المنافقين قال زيد بن أرقم رضي الله عنه رأيت رسول الله ﷺ تأخذه البرحاء و يعرق جبينه الشريف وتثقل يدا راحلته فقلت إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوحى إليه ورجوت أن ينزل الله تصديقي فلما سرى عن رسول الله ﷺ أخذ بأذني و أنا على راحلتي يرفعها إلى السماء حتى ارتفعت عن مقعدي وهو يقول وعت أذنك يا غلام وصدق الله حديثك وكذب المنافقين وفي رواية هذا الذي أوفى الله باذنه ونزل وتعيها أذن واعية فكان يقال لزيد بن أرقم رضي الله عنه ذو الأذن الواعية وذكر بعض الرافضة أن قوله تعالى وتعيها أذن واعية جاء في الحديث أنها نزلت في علي كرم الله وجهه قال الامام ابن تيمية وهذا حديث موضوع باتفاق أهل العلم أي وعلى تقدير صحته لا مانع من التعدد وصار قوم عبد الله بن أبي عند نزول سورة المنافقين يعاتبونه و يعنفونه ولما بلغه صلى الله عليه وسلم أي بغض قومه له ومعاتبتهم له قال ﷺ لعمر رضي الله عنه كيف ترى يا عمر إني والله لو قتلته يوم قلت لارعدت له أنوف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته فقال عمر رضي الله عنه قد والله علمت لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم بركة من أمري اه وجاء أنه لما نزلت سورة المنافقين وفيها تكذيب ابن أبي قال له أصحابه اذهب إلى رسول الله ﷺ يستغفر لك فلوى رأسه ثم قال أمرتموني أن أومن فآمنت وأمرتموني أن أعطي زكاة أموالي فأعطيت فما بقي إلا أن أسجد لمحمد ﷺ فأنزل الله تعالى و إذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم الآية وفي تفسير القرطبي عند قوله تعالى لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر قال السدي نزلت في عبد الله بن أبي جلس الى النبي ﷺ فشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له بالله يا رسول الله أما أبقيت فضلة من شرابك اسقها أبي لعل الله يطهر بها قلبه فأفضل له فأتاه بها فقال له عبد الله ما هذا فقال هي فضلة من شراب النبي ﷺ جئتك بها تشربها لعل الله يطهر قلبك بها فقال له أبوه فهلا جئتني ببول أمك فانه أطهر منها فغضب وجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله بالله أما أذنت لي في قتل أبي فقال النبي ﷺ بل ترفق به وتحسن إليه وقد جاء أن ابنه رضي الله عنه قال يا رسول الله ذرني أسقي والدي من وضوئك لعل قلبه أن يلين فتوضأ ﷺ وأعطاه فذهب به إلى أبيه فسقاه وقال له هل تدري ما سقيتك قال نعم سقيتني بول أمك قال لا والله لكن سقيتك بول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم

صدقت يا رسول الله وقال بديل والله يا رسول الله لقد غدروا ولو أن قريشا خلوا بيننا و بين عدونا يعني بني بكر ما نالوا منا ثم قالا لو كنت جعلت جدك ومكيدتك لهوازن فهم أبعد رحما وأشد عداوة لك فقال ﷺ إني لأرجو من ربي أن يجمع لي ذلك كله فتح مكة و إعزاز الاسلام بها وهزيمة هوازن وغنيمة أموالهم وذراريهم فاني أرغب إلى الله تعالى في ذلك ثم قال أبو سفيان يا رسول الله أدع الناس بالأمان أرأيت ان اعتزلت قريش فكفت أيديها أهم آمنون قال رسول الله ﷺ نعم من كف يده وأغلق داره فهو آمن ثم أراد العباس رضي الله عنه تثبيت إسلام أبي سفيان لئلا يدخل عليه الشيطان من حيث أنه كان متبوعاً فأصبح تابعاً ليس له من الأمر شيء فقال يا رسول الله ان أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئاً قال نعم ثم أعانه أبو بكر رضي الله عنه فقد روى ابن أبي شيبة أن أبا بكر رضي الله عنه قال يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب السماع أي الشرف يعني فاجعل له شيئاً فقال صلى الله عليه وسلم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن قال وما تسع داري زاد ابن عقبة ومن دخل دار حكيم فهو آمن وهي من أسفل مكة ودار أبي سفيان بأعلاها ومن دخل المسجد فهو آمن قال وما يسع المسجد قال ومن أغلق بابه فهو آمن قال أبو سفيان هذه واسعة وأمر صلى الله عليه وسلم مناديه أن ينادي بذلك كله الا من استثناهم النبي صلى الله عليه وسلم وأمر بقتلهم كما سيأتي ثم قال له العباس النجاء إلى قومك أي بعد أن حبسه حتى مرت عليه جنود الله كما سيأتي وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم بعث أبا سفيان وحكيم بن حزام الى أهل مكة ينادون فيهم بذلك حتى إذا جاء أبو سفيان قومه صرخ بأعلى صوته يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به اسلموا تسلموا من دخل دار أبي سفيان فهو آمن قالوا قاتلك الله وما تغني عنا دارك قال ومن أغلق بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن فقامت فيه هند زوجته فأخذت بشاربه وقالت اقتلوا الحميت أي الزق الضخم الدسم الأحمس قبحت من طليعة قوم وفي رواية أنها أخذت بلحيته ونادت يا آل غالب اقتلوا الشيخ الأحمق هلا قاتلتم ودفعتم عن أنفسكم و بلادكم فقال لها ويحك اسكني وادخلي بيتك والله لتسلمن أو لأضربن عنقك وقال لهم و يلكم لا تغرنكم هذه من أنفسكم فقد جاءكم بما لا قبل لكم به فتفرقوا إلى دوركم والى المسجد وروى أنه ﷺ قال قبل مجيء أبي سفيان ومن معه إليه أن بمكة أربعة نفر اربأبهم عن الشرك وارغب بهم في الاسلام عتاب بن أسيد وجبير بن مطعم وحكيم بن حزام وسهيل بن عمرو وهذا يدل على أن جبيراً أسلم يوم الفتح لكن ذكر معه وقيل ان إسلامه كان قبل ذلك وحكيم بن حزام

رضى الله عنه أبوه حزام بن خويلد أخ لخديجة زوج النبي ﷺ ورضى عنها فهى عمة حكيم وكان عمره حين أسلم ستين سنة وعاش فى الاسلام ستين وتوفى وعمره مائة وعشرون سنة وكان من أشراف قريش فى الجاهلية والاسلام أعتق فى الجاهلية مائة رقبة وفى الاسلام مثل ذلك فانه حج فى الاسلام و وقف بعرفة واعتق بها مائة وصيف فى أعناقهم أطواق الفضة منقوش عليها عتقاء الله عن حكيم بن حزام وأهدى مائة بدنة قد جللها بالحبرة وأهدى ألف شاة رضى الله عنه ولما أراد ﷺ السير من مر الظهران قال للعباس رضى الله عنه لا آمن أن يرجع أبو سفيان فيكفر فأحبسه عند خطم الجبل حتى يرى جنود الله وجاء أن أبا بكر رضى الله عنه هو الذى قال يارسول الله لو أمرت بأبى سفيان فحبس على الطريق فحبسه العباس بالمضيق دون الاراك وفى رواية ومعه حكيم بن حزام فقال أبو سفيان (٣٠٨) أغدرا قال لا ولكن لى إليك حاجة حتى تنظر جنود الله وما أعد الله للمشركين وفى رواية قال له إن أهل النبوة لايغدرون وأمر صلى الله عليه وسلم كل قبيلة أن تكون عند راية صاحبها وتظهر مامعها من القوة والعدة فأصبح الناس على ظهر وقدم بين يديه الكتائب ومرت القبائل على قاداتها والكتائب على راياتها فجعلت القبائل تمر كتيبة كتيبة والكتيبة بالتاء المثناة القطعة من الجيش وأبو سفيان ينظر إليهم ويسأل عنهم وأول من قدم خالد ابن الوليد رضى الله عنه فى بنى سليم وهم ألف وقيل تسعمائة معهم لوا آن يحملها العباس ابن مرداس وخفاف بن ندبة فحين مروا بأبى سفيان كبروا ثلاثاً فقال أبو سفيان للعباس من هؤلاء فقال خالد بن الوليد فقال خالد الغلام قال نعم قال ومن معه قال بنو سليم قال مالى ولبنى سليم ثم مر على أثره الزبير بن العوام رضى الله عنه فى خمسمائة من المهاجرين وأفناء العرب فكبروا ثلاثاً فقال أبو سفيان للعباس من هؤلاء قال الزبير بن العوام قال ابن أختك قال نعم ثم مرت كتيبة بنى غفار فى ثلثمائة يحمل رايتهم أبو ذر رضى الله عنه فلما حاذوه كبروا ثلاثاً فقال ياعباس من هؤلاء قال غفار قال مالى ولغفار ثم مرت أسلم فى أربعمائة فيها لوا آن يحملهما بريدة بن الحصيب وناجية بن الأعجم فلما حاذوه كبروا ثلاثاً فقال من هؤلاء قال أسلم قال مالى ولأسلم ثم مرت بنو كعب بن عمرو وهم خزاعة فى خمسمائة يحمل رايتهم بشر بن سفيان فلما حاذوه كبروا ثلاثاً فقال من هؤلاء قال بنو كعب اخوة أسلم قال هؤلاء حلفاء محمد قال نعم ثم مرت مزينة فيها مائة فرس وثلاثة ألوية يحملها النعمان وعبد بن عمرو بن عوف و بلال بن الحرث فلما حاذوه كبروا ثلاثاً قال من هؤلاء قال مزينة قال مالى ولمزينة قد جاءتنى تقعقع من

رسول الله ﷺ المدينة هلال رمضان فكانت غيبته ثمانية وعشرين ليلة قال وفى هذه الغزوة جاءت امرأة بابن لها وقالت يارسول الله هذا ابنى غلبنى عليه الشيطان ففتح صلى الله عليه وسلم فم الولد و بزق فيه وقال اخسأ عدو الله أنا رسول الله قال ذلك ثلاثاً ثم قال للمرأة شأنك بابنك لن يعود إليه شىء مما كان يصيبه وفى هذه الغزوة جاء شخص بثلاث بيضات له ﷺ من بيض النعام فقال صلى الله عليه وسلم لجابر رضى الله عنه دونك ياجابر فاعمل هذه البيضات قال جابر فعملتهن ثم جئت بهن فجعلنا نطلب خبزاً فلم نجد فجعل كل من رسول الله ﷺ وأصحابه يأكل من ذلك بغير خبز حتى انتهى كل الى حاجته والبيض كما هو وفى هذه الغزوة جاء جمل إلى رسول الله ﷺ يرفل أى يختال فى مشيه وصوت فقال صلى الله عليه وسلم تدرون ما يقول هذا الجمل هذا يستعيذنى على سيده يقول انه كان يحرث عليه وأنه أراد أن ينحره اذهب ياجابر إلى صاحبه فأت به فقلت لا أعرفه قال إنه سيدلك عليه فخرج بين يدى حتى وقف على صاحبه فجئت به إلى النبى ﷺ فكلمه فى شأن الجمل اه (أقول) قد تقدمت هذه الأمور الثلاثة التى هى قصة ابن المرأة وقصة البيض وقصة الجمل فى ذات الرقاع والتعدد فيها حتى لأجل هذه الأمور سميت كل منها بغزوة الأعاجيب بعيد والذى أراه أنه اشتباه من بعض الرواة فليتأمل * وفى هذه الغزوة كانت قصة الافك أى الكذب على عائشة الصديقة المبرأة المطهرة رضى الله عنها قالت لما دنونا من المدينة قافلين أى راجعين أذن ليلة بالرحيل فقمت وذهبت لأقضى حاجتى حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأنى أقبلت الى رحلى فاذا عقد لى من جزع أظفار كذا بالألف عند البخارى وفى رواية ظفار بغير ألف قال القرطبى ومن قيده بالألف فقد أخطأ أى ولعل المراد خالف الرواية وفى لفظ ظفارى أى بياء النسبة وفى لفظ الجزع الظفرى وقد يقال لا مانع من وقوع هذه الألفاظ من الصديقة فى أوقات مختلفة قال بعضهم الجزع بفتح الجيم واسكان الزاى وآخره عين مهملة خرز وطفار بالطاء المهملة (١) كوبار مبنية على الكسر قرية من قرى اليمن كان ثمنه يسيراً وفى كلام بعضهم كان يساوى اثنى عشر درهماً قد انقطع فالتمست عقدى أى ذهبت إلى التماسه فى المحل الذى قضيت فيه حاجتى وحبسنى التماسه أقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لى هو بتخفيف الحاء أى يجعلون هودجها على الرحل فاحتملوا هودجى فرحلوه

(١) قوله وطفار بالطاء المهملة سبق قلم والصواب بالظاء المعجمة كما فى البخارى والقسطلانى عليه

شراهقها ثم مرت جهينة فى ثمانمائة فيها أربعة ألوية يحملها معبد بن خالد وسويد بن صخر ورافع بن مكيث وعبد الله بن بدر فلما حاذوه كبروا ثلاثا قال من هؤلاء قال جهينة قال مالى ولجهينة والله ما كان بينى وبينهم حرب قط ثم مرت كنانة بنو ليث وضمرة وسعد ابن بكر فى مائتين يحمل لواءهم أبو واقد الليثى فلما حاذوه كبروا ثلاثا قال من هؤلاء قال بنو بكر قال نعم أهل شؤم والله هؤلاء الذين غزانا محمد بسببهم ثم مرت أشجع وهم ثلثمائة معهم لوا آن يحملهما معقل بن سنان ونعيم بن مسعود الأشجعى فكبروا ثلاثا قال من هؤلاء قال أشجع قال هؤلاء كانوا أشد العرب على محمد فقال له العباس أدخل الله الاسلام فى قلوبهم فهذا فضل الله ومرت بنو تميم وبنو فزارة وسعد بن هذيم وهم من قضاعة فصنعوا مثل ذلك وقيل ان مرور هؤلاء كان قبل أشجع وان أشجع كانت آخرهم ثم قال أبو سفيان أبعد ما مضى محمد فقال له العباس لو أتت الكتيبة التى محمد فيها لرأيت (٣٠٩) الخيل والحديد والرجال وما ليس لاحد به طاقة قال ومن له بهؤلاء طاقة وجعل الناس يمرون وهو يقول عند مرور كل قبيلة مامر محمد فيقول العباس لا حتى أقبلت كتيبة لم ير مثلها إذ فى كل بطن منها لواء وهم فى الحديد لا يرى منهم إلا الحدق فيهم ألفا دارع وفيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو سفيان من هؤلاء قال هؤلاء الأنصار عليهم سعد ابن عبادة رضى الله عنه معه راية الأنصار وتقدم أن راية المهاجرين كانت مع الزبير رضى الله عنه وكان جملة من كبار المهاجرين مع النبى صلى الله عليه وسلم والأنصار وعمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول رويدا يلحق أولكم آخركم وفى رواية ثم جاءت كتيبة خضراء فيها ألفا

فرحلوه على بعيرى الذى كنت أركب وهم يحسبون انى فيه وكان النساء اذ ذاك خفافا قالقلة أكلهن أى لان السمن وكثرة اللحم غالبا تنشأ عن كثرة الأكل وساروا أى وعن عائشة رضى الله عنها ان الذى كان يرحل هودجها ويقود بعيرها أبو موهبة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رجلا صالحا ولا يخالف هذا قولها وأقبل الرهط الى آخره وقولها فى بعض الروايات ولم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه لانه يجوز ان جماعة كانوا يعاونون أبا موهبة فى ذلك فوجدت عقدى فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب وأقمت بمنزلى الذى كنت فيه وظننت أنهم سيفقدونى فيرجعون الى فبينما أنا جالسة فى منزلى غلبتنى عينى فنمت وكان صفوان السلمى خلف الجيش أى لانه كان على ساقة الجيش يتخلف عن الجيش ليلتقط ما يسقط من المتاع وقيل كان ثقيل النوم لا يستيقظ حتى يرتحل الناس وقد جاء أن زوجته شكته الى النبى صلى الله عليه وسلم وقالت له انه لا يصلى الصبح فقال يارسول الله انى امرؤ ثقيل النوم لا أستيقظ حتى تطلع الشمس فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استيقظت فصل أى وفى رواية شكته الى النبى صلى الله عليه وسلم انه يضربها فقال انها تصوم بغير اذنى فقال لها لا تصومى الا باذنه قالت انه ينام عن الصلاة أى صلاة الصبح قال انه شىء ابتلاه الله به فاذا استيقظ فليصل وهذا يدل على انه صلى الله عليه وسلم كان يعلم من حاله انه ينام عن صلاة الصبح قالت انه اذا سمعنى أقرأ يضربنى فقال ان معى سورة ليس معى غيرها هى تقرؤها قال لا تضربها فان هذه السورة لو قسمت فى الناس لوسعتهم أى وهذا الجواب منه صلى الله عليه وسلم يدل على ان صفوان ظن أن امرأته اذا قرأت تلك السورة شاركته فى ثوابها فليتأمل فادلج أى سار ليلا فاصبح عند منزلى أى على خلاف عادته فرأى سوادا أى شخص انسان نائم فاتانى فعرفنى فاستيقظت باسترجاعه أى بقوله انا لله وانا اليه راجعون أى لان تخلف أم المؤمنين عن الرفقة فى مضيعة مصيبة أى مصيبة قالت فخمرت وجهى بجلبابى وهو ثوب أقصر من الخمار ويقال له المقنعة تغطى بها المرأة رأسها أى لان ذلك كان بعد نزول آية الحجاب أى ياأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى الآية أى لانه تقدم ان ذلك كان فى سنة ثلاث على الراجح عند الأصل وفى الامتاع وذكر بعض علماء الأخبار ان تزوجه صلى الله عليه وسلم زينب التى نزلت آية الحجاب بسببها كان فى ذى القعدة سنة خمس ولا يخفى ان هذا القول ينافيه ما يأتى عن عائشة رضى الله عنها من قولها ان زينب هى التى كانت تسامينى من أزواج النبى

دارع وفيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه المهاجرون والأنصار وفيها الرايات والألوية مع كل بطن من بطون الأنصار لواء وراية وهم فى الحديد لا يرى منهم الا الحدق ولعمر بن الخطاب رضى الله عنه فيها زجل بصوت عال وهو يقول رويدا يلحق أولكم آخركم وفى رواية قال أبو سفيان سبحان الله ياعباس من هؤلاء قال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الأنصار فقال ما لاحد بهؤلاء قبل ولا طاقة والله ياأبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم عظيما فقال ياأباسفيان انها النبوة فقال نعم اذن فلما حاذى سعد بن عبادة أباسفيان قال ياأباسفيان اليوم يوم الملحمة أى يوم الحرب الذى لا يوجد منه مخلص اليوم تستحل الكعبة أى يقتل من أهدر دمه ولو تعلق باستار الكعبة فقال أبو سفيان ياعباس حبذا يوم الدمار أى حبذا يوم الهلاك تمنى أبو سفيان يكون له يد وقوة فيحمى قومه ويدفع عنهم وقيل معناه هذا يوم الغضب للحريم والاهل والانتصار لهم لمن قدر عليه قال ذلك غلبة وعجزا وقيل المعنى هذا يوم

يلزمك فيه حفظي وحمايتي لقربك من النبي صلى الله عليه وسلم وسمع مقالة سعد بن عبادة رجل من المهاجرين قيل هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقيل سمعها رجلان وهما عثمان وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما فقالا يارسول الله ما نامن أن تكون لسعد صولة فى قريش فقال لعلى رضى الله عنه أدركه فخذ الراية منه ثم أمره أن يسلمها لابنه قيس بن سعد بن عبادة ورأى صلى الله عليه وسلم أن الراية لم تخرج عنه حيث صارت لابنه وقيل انما أمر بأخذ الراية منه حين حاذى النبي ﷺ أباسفيان فانه قال للنبي ﷺ لما حاذاه وهو مار فى جنود الله أمرت بقتل قومك قال لا فذكر له أبو سفيان ماقال سعد بن عبادة ثم ناشده الله والرحم اى قال له أنشدك الله فى قومك فانك أبر الناس وأرحمهم وأوصلهم فقال ياأباسفيان اليوم يوم المرحمة اليوم يعز الله قريشا أى بالاسلام والدين وبانقاذهم (٣١٠) من الضلال المبين وفى رواية ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ويوم تكسى فيه الكعبة أشار بهذا الى أنه صلى الله عليه وسلم هو الذى يكسونا ذلك العام وقد وقع ذلك فالمراد من اليوم الزمان ثم أرسل الى سعد فاخذ الراية منه فدفعها لابنه قيس رضى الله عنه وروى ابن عساكر عن جابر رضى الله عنه قال لما قال سعد بن عبادة ذلك القول تعرضت امرأة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت

يانبي الهدى اليك لجا حي … قريش ولات حين لجاء
حين ضاقت عليهم سعة الار … ض وعاداهم اله السماء
والتقت حلقتا البطان على القو … م ونودوا بالصيلم الصلعاء
ان سعدا يريد قاصمة الظهـ … ـر باهل الحجون والبطحاء
خزرجى لو يستطيع من الغيـ … ـظ رمانا بالنسر والعواء
وغر الصدر لايهم بشىء … أول
غير سفك الدما وسبى النساء … قد تلظى على البطاح وجاءت * عنه هند بالسوأة السوآء … اذ ينادى بذل حى قريش * وابن
حرب بذا من الشهداء … فلئن أقحم اللواء ونادى * ياحماة الادبار أهل اللواء … ثم ثابت اليه من بهم الخز * رج والأوس
أنجم الهيجاء … لتكونن بالبطاح قريش * فقعة القاع فى أكف الاماء … فانهينه فانه أسد الأسـ * ـد لدى الغاب والغ فى الدماء
انه مطرق يريد لنا الأمر سكوتا كالحية الصماء

فلما سمع ﷺ هذا الشعر دخلته رأفة ورحمة فأمر بالراية فأخذت من سعد ودفعت لابنه قيس وجاء انه لما جاءه الرسول من النبي ﷺ بتسليمها لابنه أبي أن يسلمها الا بامارة من النبي ﷺ فارسل اليه بعمامته فسلمها لابنه وجاء فى بعض الروايات انه ﷺ سلمها لعلى وفى بعضها انه سلمها

صلى الله عليه وسلم إذ هو صريح فى أنها كانت زوجة له ﷺ قبل هذه الغزوة بناء على ان هذه الغزوة كانت سنة ست قالت والله ما كلمنى وفى لفظ والله مايكلمنى كلمة وماسمعت منه كلمة أى فلا كلمها ولا كلم نفسه قيل استعمل الصمت أدبا لهول هذا الأمر الذى هو فيه فلم يقع منه غير الاسترجاع حين أناخ ناقته فوطئ على يدها فركبتها وفى رواية ثم قرب البعير فقال اركبي أى وفى لفظ قال أمه قومي فاركبي وأخذ برأس البعير وجاء انها لما ركبت قالت حسبي الله ونعم الوكيل وفى سيرة ابن هشام انه لما قال لها ماخلفك يرحمك الله قالت فما كلمته أى ويحتاج الى الجمع بين هذه الروايات الثلاث وماقبلها على تقدير صحتها وقد يقال انها لم تسمع منه غير استرجاعه ولا كلمها ولا تكلم قبل أن يقرب اليها البعير كما علمت فلما قرب البعير اليها قال لها ياأمه قومي فاركبي لان اناخة البعير وتقريبه ليس صريحا فى الاذن لها فى الركوب فأتى بذلك اللفظ الدال على مزيد احترامها واجلالها وتعظيمها وبعض الرواة اقتصر على قولها اركبي وبعد أن ركبت أى وحصلت الطمأنينة واندفعت الريبة قال لها متعجبا لا مستفهما ماخلفك قالت فانطلق يقود بى الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا وذلك فى نحر الظهيرة أى وسطها وهو بلوغ الشمس منتهاها من الارتفاع وبهذه الواقعة استدل فقهاؤنا على انه يجوز الخلوة بالمرأة الأجنبية اذا وجدها منقطعة ببرية أونحوها بل يجب استصحابها إذا خاف عليها وتركها هذا وفى الخصائص الصغرى وفى معانى الآثار للطحاوى رحمه الله قال أبو حنيفة كان الناس لعائشة رضى الله عنها محرما فمع أيهم سافرت فقد سافرت مع محرم وليس غيرها من النساء كذلك أى وقوله وليس غيرها من النساء كذلك يشمل بقية أزواج النبي ﷺ وحينئذ فليتأمل الفرق بينها وبين بقية أمهات المؤمنين فيما ذكر وفيما سيأتى عن بعضهم ان من قذف عائشة يقتل ويحد فى غيرها من أزواجه ﷺ حدين قالت عائشة رضى الله عنها فلما نزلنا هلك من هلك بقول البهتان والافتراء والذى تولى كبره أى معظمه عبد الله بن أبى ابن سلول أى فانه كان أول من أشاعه فى العسكر أى فانه كان ينزل مع جماعة المنافقين متبعدين من الناس فمرت عليهم فقال من هذه قالوا عائشة وصفوان فقال فجر بها ورب الكعبة وفى لفظ مابرئت منه ومابرئ منها وفى لفظ والله مانجت منه ولا نجا منها وصار يقول امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت ثم أشاع ذلك فى المدينة بعد دخولهم لها لشدة عداوته لرسول الله ﷺ أى والذى فى البخارى كان يتحدث به عنده فيقره ويستمعه ويستوشيه أى يستخرجه بالبحث عنه وقد يقال لامنافاة لانه يجوز ان يكون هو

الزبير بن العوام فدخل مكة براياتين قال الحافظ ابن حجر والذى يظهر فى الجمع بين الروايات انه صلى الله عليه وسلم أرسل عليا رضى الله عنه لينزعها ويدخل بها ثم خشى تغير خاطر سعد فامر بدفعها لابنه قيس ثم ان سعدا خشى أن يقع من ابنه شىء ينكره النبى صلى الله عليه وسلم فسأل النبى ﷺ أن يأخذها منه فحينئذ أخذها الزبير ثم بعد مرور جنود الله كلها بابى سفيان قال له العباس النجاء الى قومك فجاء اليهم يصيح بالامان فامسكته زوجته وقالت اقتلوه الى آخر ما تقدم وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تركز رايته بالحجون قال عروة بن الزبير أخبرنى نافع بن جبير بن مطعم رضى الله عنه قال سمعت العباس يقول للزبير رضى الله عنهما فى حجة اجتمعوا فيها بمكة فى خلافة عمر رضى الله عنه يا أبا عبد الله ههنا أمرك رسول الله ﷺ أن تركز الراية قال ثم قال الحلبى فى السيرة وفى ذلك المحل بنى مسجد يقال له مسجد الراية ودخل صلى الله



عليه وسلم من الثنية العليا وأمر خالد بن الوليد ومن معه أن يدخلوا من الثنية السفلى روى البخارى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم أقبل يوم الفتح من أعلى مكة على راحلته القصواء مردفا اسامة بن زيد رضى الله عنهما خلفه وهذا من مزيد تواضعه وكريم أخلاقه حيث أردف فى هذا الموكب العظيم خادمه وابن خادمه رضى الله عنهما والمتكبر يعد ارداف ابنه اذا ركب فى السوق عارا عليه ماذاك الا تكبر ابرأ الله منه نبيه صلى الله عليه وسلم وفى رواية ودخل صلى الله عليه وسلم مكة يوم الجمعة معتجرا بشقة بردحبرة حمراء وفى رواية وعليه عمامة سوداء حرفانية واضعا رأسه الشريف على رحله تواضعا لله تعالى حين رأى ما راى من فتح الله وكثرة المسلمين وهو يقول اللهم ان العيش عيش الآخرة وفى رواية دخل وعلى رأسه المغفر ويمكن الجمع بين ذلك كله وروى البيهقى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال لما دخل ﷺ عام الفتح أى لما أراد الدخول رأى النساء يلطمن وجوه الخيل بالخمر فتبسم والتفت الى أبى بكر رضى الله عنه وقال يا أبا بكر كيف قال حسان فانشده قوله عدمت بنيتى ان لم تروها * تثير النقع موعدها كداء ينازعن الاعنة مسرجات * يلطمهن بالخمر النساء فقال ﷺ ادخلوها من حيث قال حسان وروى الطبرانى عن العباس رضى الله عنه قال لما بعث صلى الله عليه وسلم قلت لأبى سفيان بن حرب أسلم بنا قال لا والله حتى أرى الخيل تطلع من كداء قلت ما هذا قال شىء طلع بقلبى لان الله لا يطلع هناك خيلا أبدا قال العباس رضى الله عنه فلما طلع ﷺ من هناك ذكرت أبا سفيان به فذكره وتقدم هذا

---

أول من أشاعه عند دخول المدينة ثم صار يستخرجه بالبحث عنه ليكثر اشاعته قالت فقدمنا المدينة فاشتكيت أى مرضت حين قدمت شهرا والناس يفيضون فى قول أصحاب الافك أى ووصل الخبر الى النبى ﷺ والى أبوى ولا أشعر بشىء من ذلك وكان يريبنى انى لا أعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذى كنت ارى منه حين اشتكى اى حين امرض واللطف بضم اللام وسكون الطاء وقيل بفتح اللام والطاء وهو من الانسان الرفق ومن الله التوفيق انما يدخل على فيسلم أى وعندى أمى تمرضنى ثم يقول كيف تيكم اى لا يزيد على ذلك ثم ينصرف فذاك الذى يريبنى حتى خرجت بعد ما نقهت بكسر القاف وفتحها أى أول ما أفقت من المرض فخرجت معى أم مسطح وهى بنت خالة أبى بكر أى وما فى لفظ وكان مسطح ابن خالة أبى بكر هو على ضرب من التجوز والمسامحة وكان مسطح يتيما فى حجر أبى بكر وكان فقيرا ينفق عليه ابو بكر قالت وخروجنا كان الى المحل الذى تخرج اليه النساء ليلا أى لقضاء حاجة الانسان وذلك قبل ان تتخذ الكنف اى فان ازواج النبى ﷺ كن يخرجن بالليل اذا تبرزن نحو المنصع وهو محل متسع قالت فلما فرغنا من شأننا واقبلت عثرت أم مسطح فى مرطها أى ازارها فقالت تعس مسطح بفتح العين وكسرها هلك مسطح تعنى ولدها ومسطح فى الاصل عمود الخيمة قلت لها بئس ما قلت أتسبين رجلا شهد بدرا قالت ياهنتاه بفتح الهاء الاولى وسكون النون وضم الهاء الثانية أى ياهذه أو لم تسمعى ماقال قلت وما قال فاخبرتنى بقول أهل الافك فازددت مرضا على مرضى أى عاودنى المرض وازددت عليه أى وفى لفظ فخرت مغشيا عليها وفى رواية خرجت لبعض حاجتى ومعى أم مسطح قد حملت السطل وفيه ماء فعثرت ووقع السطل منها فقالت تعس مسطح فقلت أى أم تسبين ابنك فسكتت ثم عثرت الثانية فقالت تعس مسطح فقلت أى أم تسبين ابنك ثم عثرت الثالثة فقالت تعس مسطح فنهرتها فقالت والله ما أسبه الا فيك فقلت فى أى شأنى فبقرت أى كشفت لى الحديث فقلت وقد كان هذا قالت نعم فاخذتنى حمى نافضة ورجعت الى بيتى فلما رجعت الى بيتى مكثت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لى دمع ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت ابكى ودخل على رسول الله ﷺ وقال بعد أن سلم كيف تيكم فقلت اتأذن لى أن آتى بيت أبوى وأنا أريد أن أتثبت الخبر من قبلهما أى لأن أمها فارقتها لما نقهت من المرض وذهبت الى بيتها فلا ينافى ماسبق من قولها وعندى أمى تمرضنى قالت فاذن لى رسول الله ﷺ فجئت ابوى أى وارسل معى

الحديث بأطول من هذا وانهما توجها الى اليمن فى تجارة واجتمعا بحبر من أحبار اليهود وسألاه عن النبي صلى الله عليه وسلم فسألهما عن صفاته فوصفاه له فقال هو هو ذبحت يهود وقام وترك رداءه فتعجب أبو سفيان من تصديق اليهود به وخوفهم منه فقال له العباس ألا تسلم بنا فقال لا والله حتى أرى الخيل تطلع من كداء الى آخر الحديث قال الحافظ ابن حجر وقد ساق موسى بن عقبة دخول خالد والزبير سياقا واضحا موافقا للاحاديث الصحيحة فقال و بعث رسول الله ﷺ الزبير بن العوام على المهاجرين وخيلهم وأمره أن يدخل من كداء بالفتح والمد وأمره ان يركز رايته بالحجون وان يمكث عند الراية ولا يبرح حتى يأتيه و بعث خالد ابن الوليد فى قبائل منها قضاعة وسليم واسلم وغفار ومزينة وجهينة وغيرهم وأمره أن يدخل من أسفل مكة وان يغرز رايته عند أدنى البيوت أى أقربها الى الثنية (٣١٢) التى دخل منها وهو أول بيوت مكة من الجهة التى دخل منها وكان لواؤه صلى الله عليه وسلم يوم دخل مكة أبيض ورايته سوداء تسمى العقاب وكانت من برد لعائشة رضى الله عنها وجعل أبا عبيدة على الرجالة أى المشاة و بعث سعد بن عبادة فى كتيبة الانصار وكانت معه الراية حتى نزعت منه واستمر بلا راية فى مقدمة كتيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرهم صلى الله عليه وسلم أن يكفوا أيديهم ولا يقاتلوا الا من قاتلهم فاندفع خالد بن الوليد رضى الله عنه حتى دخل من أسفل مكة وقد تجمع بها ناس من بنى بكر و بنى الحرث بن عبد مناف وناس من هذيل الذين استنصرت بهم قريش فقاتلوا خالدا ومنعوه الدخول وشهروا السلاح ورموه بالنبل وقالوا لا تدخلها عنوة فصاح خالد فى أصحابه فقاتلهم فانهزموا أقبح الانهزام وقتل من بنى بكر نحو أربعة وعشرين رجلا ومن هذيل أربعة حتى انتهى بهم القتال الى الحزورة وكانت سوقا بمكة ثم دخلوا الدور وارتفعت طائفة منهم على الجبال هربا وتبعهم المسلمون فصاح حكيم بن حزام وأبو سفيان يا معشر قريش علام تقتلون أنفسكم من دخل داره فهو آمن ومن وضع السلاح فهو آمن فجعلوا يقتحمون الدور و يغلقون أبوابها و يطرحون السلاح فى الطرق فيأخذه المسلمون و روى ابن اسحق ان أصحاب خالد لقوا ناسا من قريش منهم صفوان بن أمية وعكرمة بن أبى جهل وسهيل بن عمرو وتجمعوا بالخندمة ليقاتلوا المسلمين فناوشوهم شيئا من القتال فقتل من أصحاب خالد مسلمة بن الميلاء الجهنى وقتل من المشركين اثنا عشر أو ثلاثة عشر ثم انهزموا وفى ذلك يقول جحاش بن قيس يخاطب امرأته حين لامته على الفرار وقد كان سابقا يصلح سلاحه و يعدها أن يأتيها ببعض

الغلام فدخلت الدار فوجدت أم رومان فى السفل وأبا بكر فوق يقرأ فقالت أمى ما جاء بك فأخبرتها فذهبا بها الى أبويها كما علمت كان بعد أن صحت من المرض و بعد اخبار أم مسطح لها بالقصة والذى فى السيرة الهشامية ما يفيد أنه كان قبل ذلك وهو انها رضى الله عنها قالت كان ﷺ كلما يدخل يقول كيف تيكم لا يزيد على ذلك حتى وجدته فى نفسى فقلت يا رسول الله حين رأيت ما رأيت من جفائه لو أذنت لى قال لا عليك قالت فانتقلت الى أمى تمرضنى ولا علم لى بشىء مما كان حتى نقهت من وجعى بعد بضع وعشرين ليلة وكنا قوما عربا لا نتخذ فى بيوتنا هذه الكنف التى تتخذها الاعاجم أى بيوت الاخلية نعافها وننكرها انما كنا نذهب فى فسح المدينة فخرجت ليلة ومعى أم مسطح بنت خالة ابى بكر اذ عثرت فى مرطها فقالت تعس مسطح قلت بئس لعمر الله ما قلت لرجل من المهاجرين وقد شهد بدرا قالت أو ما بلغك الخبر يا ابنة أبى بكر قلت وما الخبر فأخبرتنى بالذى كان من قول أهل الافك قلت أو قد كان هذا قالت نعم والله لقد كان فوالله ما قدرت على أن أقضى حاجتى و رجعت فوالله ما زلت أبكى حتى ظننت ان البكاء سيصدع كبدى فليتأمل الجمع بين ما فى السيرة الهشامية وما فى غيرها على تقدير صحتهما قالت وقلت لامى يغفر الله لك تحدث الناس بما تحدثوا به ولا تذكرين لى من ذلك شيئا الحديث وفى رواية فقلت لامى يا أماه ما يتحدث الناس وفى لفظ قلت لامى يغفر الله لك تحدث الناس بما تحدثوا ألا تذكرين لى من ذلك شيئا قالت يا بنية هونى عليك وفى لفظ خفضى عليك الشأن فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة أى جميلة عند رجل يحبها ولها ضرائر الا أكثرن عليها أى القول فى تنقيصها وفيه أن ضرائرها أمهات المؤمنين لم يكن السبب فى اشاعة ذلك ولم ينقصنها به الا ان يقال ظنت أمها ذلك على ما هو العادة فى ذلك وعند ذلك قالت فقلت سبحان الله ولقد تحدث الناس بهذا أى وقلت قد علم به أبى قالت نعم قلت و رسول الله قالت نعم فاستعبرت و بكيت فسمع أبو بكر صوتى فنزل فقال لامى ما شأنها فقالت بلغها الذى ذكر من شأنها ففاضت عيناه فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لى دمع أى لا يرتفع ولا اكتحلت بنوم فى الليلة الثانية كذلك ولما أصبحت أصبح أبواى عندى يظنان أن البكاء فالق كبدى فبينما هما جالسان عندى وانا أبكى أى وهما يبكيان وأهل الدار يبكون فاستأذنت على امرأة من الأنصار فأذنت لها فجلست تبكى معى وسمعت من بعض الشيوخ ان هرة كانت بالبيت جالسة تبكى أيضا فبينا نحن على ذلك دخل علينا رسول الله ﷺ فسلم ثم جلس ولم يجلس عندى

منذ

أسرى المسلمين يكون خادما لها وكانت أسلمت سرا وفى روايه انها رأته وهو يبرى نبلاله فقالت له لم تبرى هذ النبل قال بلغنى أن محمدا يريد أن يفتح مكة و يغزوها فائن كان لاخدمنك خادما من بعض من نستأسره فقالت والله لكانى بك قدرجعت تطلب مخبأ أخبؤك فيه لورأيت خيل محمد فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح أقبل اليها وقال ويحك هل من مخبأ فقالت له وأين الخادم فقال لها دعينى عنك وأنشد يقول انك لوشهدت يوم الخندمه * اذفر صفوان وفر عكرمه وأبو يزيد قائم كالمؤتمه * واستقبلتهم بالسيوف المسلمه يقطعن كل ساعد وجمجمه * ضربا فلا تسمع الا غمغمه لهم نهيت خلفنا وهمهمه * لم تنطق فى اللوم أدنى كلمه وكان شعار المهاجرين يوم الفتح وحنين والطائف يابنى عبدالرحمن وشعار الخزرج يابنى عبدالله وشعار الأوس يابني عبيدالله وقتل من أصحاب خالد أيضا رجلان حبيش بن الاشعر الخزاعى أخو أم معبد التى مر بها النبى صلى الله عليه وسلم مهاجرا وكرز بن جابر الفهرى وهذا أسلم بعد غزوة بدر وكان قبل ذلك من رؤساء المشركين وهو الذى أغار على سرح النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة بدر الأولى ثم لما أسلم استعمله النبى صلى الله عليه وسلم و بعثه فى طلب العرنيين كما تقدم ولما وقع القتال باسفل مكة نظر صلى الله عليه وسلم إلى بارقة السيوف فقال ماهذا وقد نهيت عن القتال فقالوا نظن ان خالدا قوتل و بدىء بالقتال فلم يكن له بد أن يقاتلهم وجاء فى رواية انه قيل له يارسول الله هذا خالد بن الوليد يقتل فقال قم يافلان فقل له فليرفع يديه من القتل فأتاه الرجل فقال له ان نبى الله يقول لك أقتل من قدرت عليه وأجرى الله ذلك على لسانه فقتل سبعين فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فأرسل اليه ألا آمرك أن تنذر خالدا قال أردت أمرا فأراد الله أمرا فكان أمر الله فوق أمرك وما استطعت الا الذى كان فسكت صلى الله عليه وسلم ومارد عليه وقوله قتل سبعين لا ينافى رواية أربعة وعشرين لان زيادة الثقة مقبولة والاقل داخل فى الأكثر وقال موسى بن عقبة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن اطمأن لخالد رضى الله عنه قاتلت وقد نهيتك عن القتال فقال هم بدءونا بالقتال وقد كففت يدى ما استطعت فقال صلى الله عليه وسلم قضاء الله خير وجاء فى رواية ان قريشا و بشت أوباشا لها أى جمعت جموعا من قبائل شتى فنادى صلى الله عليه وسلم أباهريرة رضى الله عنه وقال له اهتف لى بالانصار فهتف بهم فجاؤا وطافوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم ترون الى أوباش قريش وأتباعهم ثم قال بيديه احداهما

منذ قيل ماقيل وقد لبث صلى الله عليه وسلم شهرا لا يوحى اليه فى شأنى فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال أما بعد ياعائشة فانه قد بلغنى عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله وتوبى فان العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تعالى تاب الله عليه قال بعضهم دعاها إلى الاعتراف ولم يأمرها بالستر أى مع أنه المطلوب ممن أتى ذنبا لم يطلع عليه وفى لفظ قال ياعائشة انه قد كان ما بلغك من قول الناس فاتق الله فان كنت قارفت أى اكتسبت سوأ مما يقول الناس فتوبى إلى الله تعالى فان الله تعالى يقبل التوبة عن عباده قالت فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعى أى ارتفع حتى ما أحس منه بقطرة فقلت لابى أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال قال فوالله لا أدرى ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لامى أجيبى رسول الله ﷺ فقالت والله ماأدرى ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفى لفظ قلت لابوى ألا تجيبان رسول الله ﷺ فقالا والله لاندرى بماذا نجيبه فقلت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر فى نفوسكم فلئن قلت لكم انى بريئة والله يعلم انى بريئة لاتصدقونى بذلك ولئن اعترفت لكم بامر والله يعلم أنى منه بريئة لتصدقنى فوالله لا أجد لى ولكم وفى لفظ لا أجد لى مثلا الا قول أبى يوسف عليهما السلام أى والتمست اسم يعقوب فلم أقدر عليه إذ يقول فصبر جميل والله المستعان أى وفى رواية كما فى البخارى مثلى ومثلكم كيعقوب و بنيه والله المستعان على ما تصفون وفى لفظ انما أشكو بثى وحزنى إلى الله وبذلك استدل على جواز ضرب المثل من القرآن أيضا ثم تحولت فاضطجعت على فراشى وما كنت أظن أن الله ينزل فى شأنى وحيا يتلى وفى لفظ قرآنا يقرأ به فى المسجد و يصلى به ولشأنى فى نفسى كان أحقر من أن يتكلم الله فى بامر يتلى وكنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا فى النوم يبرئنى الله بها أى وعند ذلك قال أبو بكر رضى الله عنه ما أعلم أهل بيت من العرب دخل عليهم ما دخل على والله ما قيل لنا هذا فى الجاهلية حيث لا يعبد الله فيقال لنا فى الاسلام وأقبل على عائشة مغضبا فأخذ رسول الله ﷺ ما كان يأخذه عند نزول الوحى أى من شدة الكرب فسجى أى غطى بثوبه ووضعت له وسادة من أدم تحت رأسه وفى لفظ قالت عائشة رضى الله عنها فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت فوالله ما فزعت لانى قد عرفت انى بريئة وان الله غير ظالمى وأما ابواى فوالذى نفس عائشة بيده ما سرى عن رسول الله ﷺ أى وأخبر

على الأخرى احصدوهم حصدا حتى توافوني بالصفا قال أبو هريرة رضى الله عنه فانطلقنا فما نشاء أن نقتل أحدا منهم إلا قتلناه لا يقدر أن يدفع عن نفسه فجاء أبو سفيان فقال يارسول الله أبيحت خضراء قريش لا قريش بعد اليوم فعند ذلك قال صلى الله عليه وسلم من أغلق بابه فهو آمن اى امر أن ينادى بذلك و يعلن به ووجه صلى الله عليه وسلم اللوم على خالد بن الوليد فقال يارسول الله هم بدءونا بالقتال وقد كففت ما استطعت ودعوتهم إلى الاسلام فابوا حتى إذا لم أجد بدا قاتلتهم فظفرنا الله بهم فهربوا فى كل وجه فقال صلى الله عليه وسلم قضاء الله خير وجاء فى رواية انه صلى الله عليه وسلم قال كفوا القتال الا خزاعة عن بنى بكر الى صلاة العصر وهى الساعة التى أحلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان دخوله ﷺ لعشر بقين من رمضان ومعه صلى الله عليه وسلم زوجتاه أم سلمة وميمونة رضى الله عنهما وتقدم انه ﷺ استثنى أناسا من الدخول فى الامان وأمر بقتلهم وهم خمسة عشر ما بين رجل وامرأة عبد الله بن ابى سرح وعبد الله بن خطل وقينتان كانتا عنده تغنيان بهجاء النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين وعكرمة بن أبى جهل والحويرث بن نقيد ومقيس بن صبابة وهبار ابن الأسود وكعب بن زهير والحرث بن هشام وهو أخو أبى جهل لابويه وزهير بن أبى امية وسارة وهي مولاة لبنى المطلب وصفوان بن أمية وهند بنت عتبة زوج أبى سفيان أم معاوية ووحشى قاتل حمزة وأكثر هؤلاء أسلموا كما سيأتى بيانه أما عبد الله بن أبى سرح بن الحرث العامرى فانه كان أسلم ثم ارتد ولحق بمكة وصار يتكلم بكلام قبيح فى حق النبي صلى الله عليه وسلم فاهدر دمه ﷺ يوم الفتح فلما علم باهدار دمه لجأ الى عثمان بن عفان رضى الله عنه وكان أخاه من الرضاع فقال يا أخى استأمن لى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يضرب عنقى فغيبه عثمان رضى الله عنه حتى هدأ الناس واطمأنوا ثم أتى به اليه صلى الله عليه وسلم وصار يقول عثمان يارسول الله امنته فبايعه والنبي صلى الله عليه وسلم يعرض عنه مرارا ثم قال نعم فبسط يده فبايعه فلما خرج عثمان وعبد الله قال صلى الله عليه وسلم لمن حوله أعرضت عنه مرارا ليقوم اليه بعضكم فيضرب عنقه وكان عباد بن بشر رضى الله عنه نذر إن رأى عبد الله بن أبى سرح قتله وكان قائما على رأس النبي ﷺ وهو متقلد سيفه ينتظر النبي صلى الله عليه وسلم يشير اليه أن يقتله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انتظرتك ان توفى بنذرك فقال يارسول الله خفتك أفلا أو مضت الى فقال إنه لا ينبغى لنبي أن تكون له خائنة الأعين وهو الايماء بالطرف قال

أولى

بما أخبر حتى ظننت لتخرجن انفسهما فرقا أى خوفا من أن يأتى من الله تحقيق ما قال الناس فلما سرى عن رسول الله ﷺ سرى عنه وهو يضحك وانه لينحدر منه العرق كالجمان وهى حبوب مدحرجة تجعل من الفضة امثال اللؤلؤ فجعل يمسح العرق عن وجهه الكريم فكان أول كلمة تكلم بها يا عائشة أما ان الله قد برأك فقالت أمى قومي اليه ﷺ فقلت والله لا أقوم اليه ولا احمد الا الله وفى لفظ قال ابشرى يا عائشة فقد أنزل الله تعالى براءتك قلت نحمد الله لا نحمد أحدا قالت عائشة رضى الله عنها نزلت تلك الآيات فى يوم شات قالت وتناول رسول الله ﷺ درعى فقلت بيده هكذا أى ادفع يده عن درعى فأخذ أبو بكر النعل ليعلونى بها فمنعته فضحك رسول الله ﷺ وقال له أقسمت عليك لا تفعل وفى رواية لما أنزل الله براءتها قام اليها أبو بكر رضى الله عنه فقبل رأسها فقالت له هلا كنت عذرتنى فقال أى بنية أى سماء تظلنى وأى ارض تقلنى ان قلت بما لا أعلم ولا مخالفة بين هذه الرواية وما قبلها لجواز أن يكون ما قبلها بعدها وأنزل الله تعالى ان الذين جاؤا بالافك الآيات العشر أى وفى تفسير البيضاوى الثمانية عشر قال السهيلى وكان نزول براءة عائشة رضى الله عنها بعد قدومهم المدينة أى من الغزوة المذكورة لسبع وثلاثين ليلة فى قول بعض المفسرين فمن نسبها رضى الله عنها الى الزنا كغلاة الرافضة كان كافرا لان فى ذلك تكذيبا للنصوص القرآنية ومكذبها كافر وفى حياة الحيوان عن عائشة رضى الله عنها لما تكلم الناس فى الافك رأيت فى منامى فتى فقال لى مالك قلت حزينة مما ذكر الناس فقال ادعى بهذه يفرج الله عنك قلت وما هى قال قولى يا سابغ النعم ويا دافع النقم ويا فارج الغمم ويا كاشف الظلم ويا اعدل من حكم ويا حسيب من ظلم ويا أول بلا بداية ويا آخر بلا نهاية اجعل لى من أمرى فرجا ومخرجا قالت فقلت ذلك فانتبهت وقد أنزل الله فرجى قال بعضهم برأ الله تعالى أربعة بأربعة برأ يوسف بشاهد من أهل زليخة وبرأ موسى عليه السلام من قول اليهود فيه أن له أدرة بالحجر الذى فر بثوبه وبرأ مريم بانطاق ولدها وبرأ عائشة بهذه الآيات وكان أبو بكر رضى الله عنه ينفق على مسطح لقرابته منه أى كما تقدم ولفقره فحلف لا ينفق عليه أى فانه قال والله لا أنفق على مسطح ابدا ولا انفعه بنفع أبدا بعد ما قال لعائشة وادخل علينا وفى لفظ أخرجه من منزله وقال له لا وصلتك بدرهم أبدا ولا عطفت عليك بخير أبدا فانزل الله تعالى ولا يأتل أولوا الفضل أى الفضيلة والافضال منكم والسعة أى فى الرزق أن يؤتوا

الزرقانى ثم أدركته العناية الازلية وأتته السعادة الابدية فاسلم وحسن اسلامه وعرف فضله وجهاده وكان على ميمنة عمرو بن العاص رضى الله عنه فى فتح مصر وكان له المواقف المحمودة فى الفتوح وهو الذى افتتح افريقية فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه سنة ثمان أو سبع وعشرين وكان ذلك الفتح من أعظم الفتوح بلغ سهم الفارس ثلاثة آلاف دينار وغزا الاساود من النوبة سنة إحدى وثلاثين وهادن باقى النوبة الهدنة الباقية بعده وغزا ذات الصوارى سنة أربع وثلاثين وولاه عمر رضى الله عنه صعيد مصر ثم ضم اليه عثمان رضى الله عنه مصر كلها وكان محمودا فى ولايته واعتزل الفتنة حتى مات سنة سبع أو تسع وخمسين وروى البغوى باسناد صحيح عن يزيد بن أبى حبيب قال لما كان عند الصبح قال ابن أبى سرح اللهم اجعل آخر عملى الصبح فتوضأ ثم صلى فسلم عن يمينه ثم ذهب يسلم عن يساره فقبض الله روحه رضى الله عنه وأما عبد الله بن خطل فانه انما امر بقتله لانه كان ممن قدم المدينة قبل فتح مكة وأسلم وكان اسمه عبد العزى فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله وبعثه لاخذ الصدقة وأرسل معه رجلا من الانصار يخدمه وفى رواية كان مسلما فنزل منزلا وأمر ان يذبح له تيسا ويصنع له طعاما ونام ثم استيقظ فلم يجده صنع له شيئا وهو نائم فعدا عليه فقتله ثم ارتد مشركا وكان شاعرا فجعل يهجو النبي صلى الله عليه وسلم فى شعره وكان له قينتان تغنيانه بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى يصنعه وقد جاء انه يوم فتح مكة ركب فرسه ولبس درعه وأخذ بيده قناة وصار يقسم لايدخلها محمد عنوة فلما رأى خيل الله دخله الرعب فانطلق الى الكعبة فنزل عن فرسه وألقى سلاحه ودخل تحت أستارها فاخذ رجل سلاحه وركب فرسه ولحق برسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجون فاخبره فامر بقتله وقيل لما طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكعبة قيل هذا ابن خطل متعلقا باستار الكعبة فقال اقتلوه فان الكعبة لا تعيذ عاصيا ولا تمنع من اقامة حد واجب فقتله سعيد بن حريث وأبو برزة الاسلمى وقيل الزبير وقيل سعيد بن ذؤيب وقيل سعيد بن زيد والظاهر انهم اشتركوا فى قتله جميعا جمعا بين الاقوال وأمر صلى الله عليه وسلم بقتل قينتيه فقتلت احداهما واستؤمن رسول الله صلى الله عليه وسلم للاخرى فامنها فاسلمت وأما عكرمة بن أبى جهل فانما امر صلى الله عليه وسلم بقتله لانه كان من أشد الناس أذية للنبي صلى الله عليه وسلم وكان أشد الناس على المسلمين ولما بلغه ان النبي صلى الله عليه وسلم أهدر دمه هرب ليلقى نفسه فى البحر أو يموت تائها فى البلاد وكانت امرأته أم حكيم رضى

---

أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم وعند ذلك قال النبي ﷺ لابى بكر رضى الله عنه أما تحب أن يغفر الله لك قال أبو بكر رضى الله عنه والله انى لاحب ان يغفر لى فرجع الى مسطح بالنفقة التى كان ينفق عليه وقال والله انى لا أنزعها عنه أبدا وفى معجم الطبرانى الكبير والنسائى انه أضعف له النفقة التى كان يعطيه اياها قبل القذف أى أعطاه ضعف ما كان يعطيه قبل ذلك أى وكفر عن يمينه وبهذا وبما فى الصحيح من قوله صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين ورأى غيرها خيرا منها فليأت الذى هو خير وليكفر عن يمينه استدل فقهاؤنا على ان الافضل فى حق من حلف على ترك مندوب أو فعل مكروه ان يحنث ويكفر عن يمينه وهنا لطيفة وهى ان ابن المقرى رحمه الله منع عن ولده النفقة تأديبا له على أمر وقع منه فكتب الى والده رحمه الله تعالى هذه الابيات

لاتقطعن عادة بر ولا * تجعل عقاب المرء فى رزقه
فان أمر الافك من مسطح * يحط قدر النجم من افقه
وقد جرى منه الذى قد جرى * وعوتب الصديق فى حقه

فكتب اليه والده رحمه الله تعالى هذه الابيات

قد يمنع المضطر من ميتة * اذا عصى بالسير فى طرقه
لانه يقوى على توبة * تكون ايصالا الى رزقه
لو لم يتب مسطح من ذنبه * ماعوتب الصديق فى حقه

ووصف الله تعالى الصديق باولى الفضل موافق لوصفه صلى الله عليه وسلم له بذلك فقد جاء ان عليا كرم الله وجهه دخل على النبي ﷺ وأبو بكر الصديق رضى الله عنه جالس عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنحى أبو بكر عن مكانه وأجلس عليا كرم الله وجهه بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم فتهلل وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحا وسرورا وقال لا يعرف الفضل لاهل الفضل إلا أولو الفضل وعنها رضى الله عنها انها قالت لما استلبث الوحى عنه صلى الله عليه وسلم أى أبطأ عليه ولم ينزل استشار الصحابة فقال له عمر رضى الله عنه من زوجها لك يارسول الله قال الله تعالى قال أفتظن ان الله دلس عليك فيها سبحانك هذا بهتان عظيم فنزلت ودعا على بن أبى طالب كرم الله وجهه واسامة

الله عنها بنت عمه الحرث بن هشام رضي الله عنه أسلمت قبله فاستأمنت له رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ابو داود والنسائى ان عكرمة ركب البحر أى حين هرب فاصابتهم ريح عاصف فنادى عكرمة اللات والعزى فقال أهل السفينة أخلصوا ان آلهتكم لا تغنى عنكم شيئاً ههنا فقال عكرمة والله لئن لم ينج من البحر الا الاخلاص لا ينجي فى البر غيره اللهم لك عهد ان أنت عافيتنى مما أنا فيه أن آتى محمدا حتى أضع يدى فى يده فلأجدنه عفوا غفورا كريما فجاء وأسلم أى بعد ان ذهبت اليه زوجته وجاءت به وقد ذكر كثير من المفسرين انه نزل فيه واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد وروى البيهقى ان امرأته قالت يارسول الله قد ذهب عكرمة عنك الى اليمن وخاف ان تقتله فامنه فقال هو آمن فخرجت فى طلبه فادركته وقد ركب سفينة ونوتى يقول له أخلص أخلص قال ما أقول قال قل لا إله إلا الله قال ماهربت الا من هذا وان هذا أمر تعرفه العرب والعجم حتى النواتى ما الدين الا ماجاء به محمد صلى الله عليه وسلم قال وغير الله قلبى وجاءت أم حكيم تقول يا ابن عم جئتك من عند أبر الناس وخير الناس لا تهلك نفسك انى قد استأمنت لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع معها وجعل يطلب جماعها فتأبى وتقول أنت كافر وأنا مسلمة فقال ان أمرا منعك منى لامر كبير فلما وافى مكة أو المدينة قال صلى الله عليه وسلم يأتيكم عكرمة فلا تسبوا أباه فان سب الميت يؤذى الحى قال الزهرى وابن عقبة فلما رآه صلى الله عليه وسلم وثب قائما فرحا به ورمى عليه رداءه وقال مرحبا بمن جاء مؤمنا مهاجرا فوقف بين يديه صلى الله عليه وسلم ومعه زوجته أم حكيم بنت الحرث بن هشام رضى الله عنها وهى منتقبة فقال ما

(٣١٦)

ابن زيد رضى الله عنهما ليستأمرهما فى فراق أهله أى تعنى نفسها فاما اسامة بن زيد فقال أهلك أى الزم أهلك يارسول الله ولا نعلم الا الخير واما على بن أبى طالب كرم الله وجهه فقال يارسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وانك لتقدر ان تستخلف وفى لفظ قد أحل الله لك فطلقها وانكح غيرها وان تسأل الجارية تصدقك يعنى بريرة رضى الله عنها أى لانها كانت تخدم عائشة اما قبل شرائها لها أو بعده وقبل عتقها لها كان بعد الفتح فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال أى بريرة هل رأيت من شيء يريبك قالت بريرة والذى بعثك بالحق ما رأيت عليها أمرا أغمصه بالغين المعجمة والصاد المهملة بينهما ميم مكسورة أى أعيبه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتى الداجن وهى الدابة التى تألف البيوت ولا تخرج للمرعى وهى هنا الشاة فتأكله وفى لفظ فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فسألها فقام اليها على كرم الله وجهه فضربها ضربا شديدا وجعل يقول لها أصدقى رسول الله ﷺ فتقول والله ما أعلم الا خيرا وما كنت أعيب على عائشة شيئا الا انى كنت أعجن عجينى فآمرها أن تحفظه فتنام عنه فتأتى الشاة فتأكله أى وضربها كما قال السهيلى ولم تستوجب ضربا ولا استأذن رسول الله ﷺ فى ضربها لانه اتهمها فى انها خانت الله ورسوله فكتمت من الحديث مالا يسعها كتمه هذا كلامه والذى فى البخارى وانتهرها بعض الصحابة فقال أصدقى رسول الله ﷺ فقالت سبحان الله والله ما علمت عليها الا ما يعلم الصائغ على تبر الذهب الاحمر وفى الامتاع جاء رسول الله ﷺ لبريرة وسألها فقالت هى أطيب من طيب الذهب والله لا أعلم عليها الا الخير أو الله يارسول الله لئن كانت على غير ذلك ليخبرك الله بذلك أى وبريرة هذه روى عنها عبد الملك بن مروان فقد ذكر انه قال كنت أجالس بريرة رضى الله عنها بالمدينة قبل أن آتى الى هذا الامر يعنى الخلافة فكانت تقول لى يا عبد الملك انى ارى فيك خصالا وانك لخليق ان تلى هذا الامر يعنى الخلافة فان وليته فاحذر الدماء فانى سمعت رسول الله ﷺ يقول ان الرجل ليدفع عن باب الجنة بعد ان ينظر اليها على محجمة من دم يريقه من مسلم بغير حق قالت عائشة رضى الله عنها وكان رسول الله ﷺ يسأل زينب بنت جحش أم المؤمنين عن أمرى يقول ماذا علمت أو رأيت فتقول يارسول الله احمى سمعى وبصرى أى اصون سمعى من ان اقول سمعت ولم أسمع وأصون بصرى من أن اقول أبصرت ولم أبصر ما علمت الا الخير أى وفى رواية حاشا سمعى وبصرى

ان هذه أخبرتنى انك أمنتنى فقال صلى الله عليه وسلم صدقت فأنت آمن فقال إلام تدعو قال ادعو الى أن تشهد ان لا إله إلا الله وانى رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وكذا وكذا حتى عد خصال الاسلام قال ما دعوت الا الى خير وأمر حسن جميل قد كنت فينا يارسول الله قبل أن تدعو وأنت أصدقنا حديثا وأبرنا ثم قال فانى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله قال ثم ماذا اقال تقول أشهد الله وأشهد من حضرنى أنى مسلم مجاهد مهاجر فقال عكرمة ذلك رواه البيهقى وفى رواية قال عكرمة أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنك عبده ورسوله وطأطأ رأسه من الحياء فقال له ياعكرمة ما تسألنى شيئا أقدر عليه الا أعطيتكه قال استغفر لى كل عداوة عاديتكها فقال اللهم اغفر لعكرمة كل عداوة عادانيها أو منطق تكلم به ورد صلى الله عليه وسلم زوجته له أى أبقاها على

نكاحها الأول حيث اجتمعا في الاسلام قبل تمام عدتها وكان بعد ذلك من فضلاء الصحابة رضي الله عنه وروى ابن عبد البر انه صلى الله عليه وسلم رأى في منامه أنه دخل الجنة ورأى فيها عذقا فأعجبه فقال لمن هذا فقيل لأبي جهل فشق عليه وقال لا يدخلها إلا نفس مؤمنة فلما جاءه عكرمة بن أبي جهل مسلما فرح به وأول ذلك العذق بعكرمة واستدل بذلك على تأخر الرؤيا وأنها قد تكون لغير من ترى له ولم يزل عكرمة رضي الله عنه مستقيما حاله حتى استشهد في الشام في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقيل إنما استشهد في خلافة عمر رضي الله عنه وتفصيل ذلك أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه لما فرغ من قتال أهل الردة قوم مسيلمة الكذاب جهز الجيوش لغزو الروم وأمر عليهم أبا عبيدة رضي الله عنه ثم عزله وولى خالد بن الوليد رضي الله عنه وكان ممن خرج مع الناس عكرمة بن أبي جهل والحرث بن هشام وسهيل بن عمرو رضي الله عنهم ووقفوا (٣١٧) أنفسهم للجهاد وأنهم لا يرجعون فحضروا فتوح الشام بعد حروب كثيرة ثم توفي أبو بكر رضي الله عنه واستخلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه فولى أبا عبيدة رضي الله عنه على الجنود وأبقى خالد بن الوليد رضي الله عنه أميرا من الأمراء تحت أمر أبي عبيدة فخرجوا من الشام لفتح بقية المدائن التي حوله ففتحوا بعلبك ومدائن كثيرة ثم توجهوا لفتح حمص ولاقتهم الروم بجموع كثيرة فاقتتلوا مع المسلمين قتالا شديدا ولم يكن أحد في يوم حمص أشد قتالا وأكثر بأسا من عكرمة بن أبي جهل حتى كان يقصد الاسنة بنفسه فقيل له اتق الله وارفق بنفسك فقال ياقوم أنا كنت أقاتل عن الأصنام فكيف اليوم وأنا أقاتل في طاعة الملك العلام وإني أرى الحور العين يتشوقن إلي ولو بدت واحدة منهن لأهل الدنيا لأغنتهم عن الشمس والقمر ولقد صدقنا رسول الله ﷺ فيما وعد ثم سل سيفه وغاص في الروم ولم يزدد الا إقداما وقد عجبت الروم من حسن صبره وقتاله فبينما هو كذلك اذ حمل عليه البطريق الكبير من بطارقتهم ويسمى هربيس وبيده حربة عظيمة تضيء وتلهب فهزها في كفه وضربه بها فوقعت في قلبه ومرقت من ظهره فاستشهد وعجل الله بروحه إلى الجنة رضي الله عنه فوقف عليه ابن عمه خالد بن الوليد رضي الله عنه وبكى بكاء شديدا ثم كر سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين على البطريق الذي قتل عكرمة فقتله وعجل الله بروحه إلى النار ثم فتح الله عليهم حمص وكان جملة من قتل من الكفار في ذلك اليوم خمسة آلاف وجملة من استشهد من المسلمين مائتان وخمسة وثلاثون رجلا رضي الله عنهم وفي الاحياء للامام الغزالي في كتاب تلاوة القرآن كان عكرمة

ما علمت الا خيرا والله ما أكلمها وإني لمهاجرتها وما كنت أقول الا الحق قالت عائشة وهي التي كانت تساميني من أزواج رسول الله ﷺ وفي لفظ تناصيني أي تعادلني من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم في المنزلة والمحبة عنده صلى الله عليه وسلم فعصمها الله تعالى أي ولهذا جعلها في النور أفضل نسائه صلى الله عليه وسلم بعد عائشة وخديجة حيث قال والذي يظهر أن أفضلهن أي زوجاته ﷺ بعد خديجة وعائشة زينب بنت جحش وقالت عائشة رضي الله عنها في وصفها لم أر امرأة قط خيرا من زينب في الدين وأتقى لله وأصدق حديثا وأوصل للرحم وأعظم صدقة وأشد ابتذالا لنفسها في العمل الذي يتقرب به إلى الله ماعدا سورة أي حدة تسرع فيها الفيئة أي ترجع عنها سريعا قالت عائشة رضي الله عنها وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم أي عند استلباث الوحي وتأخره في الناس وخطبهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس ما بال رجال يؤذونني في أهلي ويقولون عليهم غير الحق وفي رواية فاستعذر من عبد الله بن أبي ابن سلول فقال وهو على المنبر من يعذرني أن ينصفني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي فوالله ما علمت على أهلي الا خيرا ولقد ذكروا رجلا يعني صفوان ما علمت عليه الا خيرا أي وزاد في رواية ولا يدخل بيتي وفي لفظ بيتا من بيوتي إلا وأنا حاضر ولا غبت في سفر الا غاب معي يقولون عليه غير الحق فقام سعد بن معاذ أي سيد الأوس فقال يارسول الله أنا أعذرك منه ان كان من الأوس ضربت عنقه وان كان من اخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وقد احتملته الحمية وفي لفظ أجهلته الحمية وكان قبل ذلك رجلا صالحا أي لما ذكر سعد بن معاذ الخزرج الذين هم قوم سعد بن عبادة غضب سعد بن عبادة لأجلهم وحملته الحمية لهم على أن يجهل أي قال قول الجهل فقال لسعد بن معاذ كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ كما تقدم فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه وانفك راغم فانك منافق تجادل عن المنافقين أي والمراد بكونه منافقا أنه يفعل فعل المنافقين ومن ثم لم ينكر صلى الله عليه وسلم ذلك ان كان سمعه فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا لأنه كان بين الحيين قبل الاسلام مشاحنة ومحاربة كما تقدم ورسول الله ﷺ قائم على المنبر فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا قالت وأنا لا أعلم بشيء من ذلك (أقول) فيه أن سعد بن معاذ لم يقل انه ان كان من الخزرج نقتله بل قال نفعل فيه ما أمر به النبي ﷺ فلا يحسن رد سعد بن عبادة عليه

ابن أبي جهل رضي الله عنه إذا نشر المصحف غشي عليه و يقول هو كلام ربي هو كلام ربي رضي الله عنه ولما انقضت عدة زوجته
أم حكيم رضي الله عنها وكانت خرجت مع زوجها إلى الشام تزوجها خالد بن سعيد رضي الله عنه وأراد أن يدخل بها فجعلت تقول
لو أخرت الدخول حتى يفض الله هذه الجموع تعني الروم فقال خالد ان نفسي تحدثني أني أصاب في جموعهم قالت فدونك فدخل
بها في خيمته فما أصبح الصبح الا والروم قد اصطفت فخرج خالد رضي الله عنه فقاتل حتى قتل فشدت أم حكيم رضي الله عنها
عليها ثيابها وأخذت عمود الخيمة التي دخل بها فيها خالد فقتلت بذلك العمود سبعة من الروم وجاء أن عكرمة رضي الله عنه شكا
إلى النبي ﷺ قولهم له عكرمة بن أبي جهل فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تؤذوا الأحياء بسبب الأموات وفي
رواية لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء وفي أخرى اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم وقد
كان قبل اسلامه رضي الله عنه بارز رجلا من المسلمين فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له بعض الأنصار ما أضحكك يارسول الله وقد فجعنا بصاحبنا قال أضحكني أنهما في درجة واحدة في الجنة ومن ثم قتل عكرمة رضي الله عنه شهيدا في قتل الروم في وقعة اليرموك كما تقدم وأما الحويرث بن نقيد بنون وقاف مصغرا ابن وهب بن عبد بن قصي فانما أهدر دمه صلى الله عليه وسلم لأنه كان يعظم القول فيه صلى الله عليه وسلم وينشد الهجاء فيه ويكثر أذاه وهو بمكة وكان العباس رضي الله عنه حمل فاطمة وأم كلثوم رضي الله عنهما بنتي
رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة يريد بهما المدينة فنخس الحويرث بهما الجمل فرمى بهما الأرض من
وشارك هبار بن الأسود في نخس جمل زينب رضي الله عنها لما هاجرت فأهدر صلى الله عليه وسلم دمه فقتله علي رضي الله عنه وذلك
أنه سأل عنه وهو في بيته قد أغلق عليه بابه فقيل هو في البادية فتنحى علي رضي الله عنه عن بابه فخرج يريد أن يهرب من بيت إلى
آخر فتلقاه علي رضي الله عنه فضرب عنقه وأما مقيس بن صبابة فانه كان أسلم ثم أتى على أنصاري فقتله وكان الأنصاري قتل
أخاه هشام بن صبابة خطأ في غزوة ذي قرد ظنه من العدو فجاء مقيس فأخذ الدية ثم قتل الأنصاري ثم ارتد ورجع الى قريش
فأهدر ﷺ دمه فقتله غيلة بن عبد الله الليثي وأما هبار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الأسدي
فانه كان شديد الأذى للمسلمين وكان عرض لزينب رضي الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجرت فنخس

بما ذكر ثم رأيت بعضهم ذكر أن الاظهر عندي أن ابن عبادة لم يقل ذلك حمية لقومه وانما أراد الانكار
على ابن معاذ في كونه يقتل شخصا من قومه الذين هم الأوس مع أنه يظهر الاسلام لأنه ﷺ
لم يكن يقتل من يظهر الاسلام فكأنه قال لا تقل ما لا تفعل ولا تقدر على فعله حيث لم يأمرك بذلك
النبي صلى الله عليه وسلم وانما انتصر أسيد بن حضير لسعد بن معاذ نصرة للنبي ﷺ في مثل
هذه الحالة العظيمة التي طلب النبي ﷺ فيها من يعذره من ذلك القائل وانكاره على سعد بن
عبادة إنما هو انكار ظاهر لفظه وان كان لباطنه مخلص حسن وكم من لفظ ينكر اطلاقه على
قائله وان كان في الباطن له مخلص هذا كلامه ثم رأيت في السيرة الهشامية أن المتكلم أسيد بن حضير
وأنه قال يارسول الله ان يكونوا من الأوس نكفيكهم وان يكونوا من اخواننا الخزرج فمرنا أمرك
فوالله انهم لأهل لأن تضرب أعناقهم فقام سعد بن عبادة فقال كذبت لعمر الله والله ما تضرب
أعناقهم أما والله ما قلت هذه المقالة الا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج ولو كانوا من قومك يعني
الأوس ما قلت هذا أي لأن عبد الله بن أبي ابن سلول من الخزرج وكذا حسان بن ثابت رضي الله
عنه بناء على أنه كان من أصحاب الافك وفي البخاري أن سعد بن معاذ قال ائذن لي يارسول الله أن
أضرب أعناقهم فقام رجل من الخزرج وكانت أم حسان من رهط ذلك الرجل أي من الخزرج
فقال كذبت أما والله لو كانوا من الأوس ما أحببت أن تضرب أعناقهم وعلى هذه الرواية فلا
اشكال وقول البخاري وكانت أم حسان إلى آخره يشعر بأن حسان لم يكن من الخزرج وهو
يخالف ما تقدم وما سيأتي أنه من الخزرج الا أن يقال وصفه بذلك على المسامحة لكون أمه منهم
فليتأمل ولا يخفى أن ذكر المنبر يخالف ما في الأصل من أن اتخاذ المنبر كان في السنة الثامنة وقصة
الافك كانت في السنة الخامسة أو السادسة وفي النور المراد بالمنبر شيء مرتفع قال والا فالمنبر انما
اتخذ في السنة الثامنة أي فيكون المراد المنبر الذي اتخذ في السنة الثانية كان من الطين والذي
كان من خشب انما اتخذ في السنة الثامنة وقد بينا ذلك مبسوطا والله أعلم ثم بعد نزول آيات الافك
أي وهي ان الذين جاؤا بالافك عصبة إلى قوله أولئك مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم
خرج صلى الله عليه وسلم إلى الناس وخطبهم وتلا عليهم تلك الآيات وأمر بجلد أصحاب الافك أي
وهم عبد الله بن أبي ومسطح وحمنة بنت جحش أخت زينب بنت جحش أم المؤمنين وأخوها عبد الله
بالتصغير بن جحش ويقال له أبو أحمد كان ضريرا أي وكان يدور مكة أعلاها وأدناها في أي محل

بها الجمل حتى سقطت على صخرة وأسقطت جنينها ولم تزل مريضة حتى ماتت رضى الله عنها فاهدر صلى الله عليه وسلم دمه يوم الفتح
فهرب واختفى ثم جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو بالجعرانة قال جبير بن مطعم رضى الله عنه كنت جالسا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم منصرفه من الجعرانة فطلع هبار بن الأسود فقال يارسول الله هبار بن الأسود قال قد رأيته فاراد رجل القيام اليه فأشار اليه
أن اجلس فوقف هبار فقال السلام عليك يانبي الله أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وقد هربت منك فى البلاد وأردت
اللحاق بالأعاجم ثم ذكرت عائدتك وصلتك وصفحك عمن جهل عليك وكنا يارسول الله أهل شرك فهدانا الله بك وأنقذنا من الهلكة
فاصفح عن جهلى وعما كان يبلغك عنى فانى مقر بسوء فعلى معترف بذنبى فقال صلى الله عليه وسلم قد عفوت عنك وقد أحسن الله
اليك حيث هداك للاسلام والاسلام يجب ماقبله قال الزهرى ان هبارا  رضى الله عنه لما قدم المدينة جعلوا
يسبونه فشكا ذلك له
صلى الله عليه وسلم فقال
سب من سبك فكفوا
عنه وأما كعب بن زهير
ابن أبى سلمى المزنى فانما
أهدر دمه صلى الله عليه
وسلم لانه كان من الشعراء
الذين تكلموا بهجاء
النبي صلى الله عليه وسلم
وصار يعير أخاه بجيرا حين
أسلم وكان من خبر كعب
وأخيه بجيرا ان بجيرا قال
لكعب أثبت فى غنمنا
حتى آتى هذا الرجل يعنى
النبي صلى الله عليه وسلم
فأسمع كلامه وأعرف
ماعنده فاقام كعب بابرق
العزاف وهو ماء لبنى
أسد بين المدينة والربذة
ومضى بجير فأتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم
فسمع كلامه وآمن به
وسبب قول بجير لأخيه
اثبت فى غنمنا حتى آتى
هذا الرجل الخ ان أباهما زهيرا كان يجالس أهل الكتاب فسمع منهم انه قد قرب مبعثه صلى الله عليه وسلم ورأى زهير فى منامه ان
قد مد سبب أى حبل من السماء وانه مد يده ليتناوله ففاته فأول ذلك بالنبي الذى يبعث فى آخر الزمان وانه لا يدركه وأخبر بنيه بذلك
المنام وبما سمعه من أهل الكتاب وأمرهم وأوصاهم ان أدركوه أن يسلموا فكتب بجير إلى أخيه كعب يخبره بأنه قد ظهر أمره وتحققت
نبوته وانه آمن به واتبعه وحثه على القدوم اليه ليؤمن كايمانه فكتب اليه كعب ألا أبلغا عنى بجيرا رسالة * فهل لك فيما
قلت ويحك هل لكا فبين لنا إن كنت لست بفاعل * على أى شىء غير ذلك دلكا على خلق لم تلف أما ولا أبا *
عليه ولا تلفى عليه أخا لكا فان كنت لم تفعل فلست بآسف * ولا قائل أما عثرت لعا لكا سقاك بها المأمون كأسا روية
* فانهلك المأمون منها وعلكا وكان صلى الله عليه وسلم يسمى فى الجاهلية الأمين والمأمون ثم أرسل كعب بالابيات إلى أخيه

من غير قائد وكان شاعراً وهو ابن عمة أميمة بنت عبد المطلب عمة النبي صلى الله عليه وسلم وأما أخوها عبد الله
مكبرا فقد قتل يوم أحد كما تقدم وزاد بعضهم خامسا وهو زيد بن رفاعة وفيه انه تقدم انهم لما قدموا
المدينة وجدوه قدمات الا أن يقال ان لهم زيد بن رفاعة غيره فيجوز أن يكون هو ذلك ويقال
وحسان ابن ثابت فجلدوا الحد وهو ثمانون قال بعضهم وذكر سعد بن معاذ فى هذه الرواية أى
انه القائل أنا أعذرك وهم من بعض الرواة وانما المتكلم بذلك أسيد بن حضير أى كما تقدم عن السيرة
الشامية لأن سعد بن معاذ مات بعد بنى قريظة قال فى الاصل لو اتفق أهل المغازى على أن غزوة
الخندق وبنى قريظة متقدمة على غزوة بنى المصطلق لكان الوهم لازما ولكنهم مختلفون (أقول)
أى فالوهم لا يلزم الا من جعل هذه الغزوة التى هى غزوة بنى المصطلق متأخرة عن بنى قريظة ويذكر
فيها سعد بن معاذ كالاصل ومن ثم لما قال ابن اسحق بانها بعد بنى قريظة روى عن عائشة بدل سعد بن
معاذ أسيد بن حضير قال فى الامتاع وهذا هو الصحيح والوهم لم يسلم منه أحد من بنى آدم وفيه أن مما
يدل على تقدمها وان ذكر سعد بن معاذ ليس من الوهم فى شىء ماذكره فى الكتاب المذكور الذى هو
الامتاع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث أياما ثم أخذ بيد سعد بن معاذ فى نفر حتى دخل على سعد بن عبادة
فتحدثوا ساعة وقرب لهم سعد بن عبادة طعاما فأصابوا منه ثم انصرفوا فمكث أياما ثم أخذ بيد سعد بن
عبادة فى نفر فانطلقوا حتى دخلوا منزل سعد بن معاذ فتحدثوا ساعة وقرب لهم سعد بن معاذ طعاما
فأصابوا منه ثم خرجوا فذهب من أنفسهم ما كان واذ ذكر سعد بن معاذ وقع فى الصحيحين وغيرهما
والله أعلم وذكر أن صفوان بن المعطل رضى الله عنه الذى كان الافك بسببه ظهر انه كان حصورا لا
يأتى النساء أى وانما معه مثل الهدبة أى عنين وقد قال الشيخ محيي الدين الحصور عندنا العنين أى ويدل
له ما فى البخارى انه رضى الله عنه ما كشف كنيف امرأة قط أى سترها لأن الكنيف الساتر وقد جاء
فى تفسير وصف يحيى بن زكريا بحصورا انه صلى الله عليه وسلم أهوى الى الارض وأخذ قذاة وقال كان ذكره
يعنى يحيى عليه السلام مثل هذه القذاة ولعل المراد التشبيه فى الارتخاء وعدم الشدة فلا يخالف ماقبله
لكن فى النهر الحصور الذى لا يأتى النساء مع القدرة على ذلك أى وربما يؤيد ذلك ما جاء أربعة لعنوا
فى الدنيا والآخرة وأمنت الملائكة رجل جعله الله ذكرا فأنث نفسه وتشبه بالنساء وامرأة جعلها
الله أنثى فتذكرت وتشبهت بالرجال والذى يضل الأعمى ورجل حصور ولم يجعل الله حصوراً

بجير فلما أتت بجيرا كره أن يكتمها رسول الله صلى الله عليه وسلم فانشده اياها فلما سمع صلى الله عليه وسلم قوله سقاك بها المأمون
قال صدق وانه لكذوب وأنا المأمون ولما سمع قوله على خلق لم تلف أما ولا أبا عليه قال أجل لم يلف عليه أباه ولا أمه ثم قال صلى الله
عليه وسلم من لقي منكم كعب بن زهير فليقتله فكتب اليه أخوه بجير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل رجالا ممن كانوا يهجونه
ويؤذونه فان كانت لك فى نفسك حاجة فطر أى أقبل مسرعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لا يقتل أحدا جاء تائبا وان أنت لم
تفعل فانج إلى نجائك من الارض أى إلى محل ينجيك وكتب له هذه الأبيات     فمن مبلغ كعبا فهل لك فى التى * تلوم عليها باطلا
وهى أحزم     إلى الله لا العزى ولا اللات وحده * فتنجو اذا كان النجاء وتسلم     لدى يوم لا ينجو وليس بمفلت *
من الناس الا طاهر القلب مسلم     (٣٢٠)     فدين زهير وهو لا شىء دينه * ودين أبى سلمى على محرم     فلما بلغت الابيات
كعبا وبلغه انه صلى الله عليه وسلم أمر بقتله وأراق دمه ضاقت عليه الارض وخاف على نفسه وأرجف به أى خوفه من كان حاضرا عنده من مجيئه لرسول الله وقالوا انك لمقتول فلما لم يجد بدا ومخلصا يلتجىء اليه إلا الاسلام خرج حتى قدم المدينة بعد رجوع النبى صلى الله عليه وسلم من فتح مكة فنزل على رجل من جهينة كانت بينه وبينه معرفة فغدا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلى الصبح ثم أشار له إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هذا رسول الله فقم اليه واستأمنه فجاء حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع يده فى يده وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرفه فقال يارسول الله ان كعب بن زهير قد جاءك يستأمنك     لكن
تائبا مسلما فهل أنت قابل منه ان أنا جئتك به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فقال أنا يارسول الله كعب بن زهير ثم تشهد فقال
أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ثم أنشد قصيدته المعروفة التى أولها بانت سعاد فقلبى اليوم متبول إلى أن قال فيها
تمشى الوشاة بجنبيها وقولهم * انك يا ابن أبى سلمى لمقتول     وقال كل صديق كنت آمله * لا ألهينك انى عنك مشغول
فقلت خلوا سبيلى لا أبا لكم * فكل ما قدر الرحمن مفعول     كل ابن انثى وان طالت سلامته * يوما على آلة حدباء محمول
أنبئت أن رسول الله أوعدنى * والعفو عند رسول الله مأمول     مهلا هداك الذى أعطاك نافلة الـقرآن فيه مواعيظ وتفصيل
لا تأخذنى بأقوال الوشاة ولم * أذنب وان كثرت فى الأقاويل (وقال فيها) ان الرسول لنور يستضاء به * مهند من سيوف الله مسلول

الا يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام فالحصور وصف مذموم الا فى يحيى عليه السلام خصوصية
له دون غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والا فقد امتن سبحانه على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام
بقوله ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية قيل وهذا الوصف جاء ليحيى من اثر همة
والده زكريا عليهما السلام فانه لما شهد مريم منقطعة عن الأزواج أحب أن يرزقه الله ولدا مثلها أى
منقطعا عن الزوجات فجاء يحيى عليه السلام حصورا ويؤيد ذلك ما فى أنس الجليل وكان يحيى عليه
السلام لا يأتى النساء لانه لم يكن له ما للرجال كذا قيل وهو غير مرضى وقد تكلم القاضى عياض رحمه الله
فى الشفاء على معنى كون يحيى حصورا بما حاصله ان هذا الذى قيل نقيصة وعيب لا يليق بالأنبياء
عليهم الصلاة والسلام وانما معناه انه معصوم من الذنوب لا يأتيها فكأنه حصر عنها وانه حصر نفسه
عن الشهوات قمعا لها هذا كلامه فليتأمل أى وعلى الأول لا ينافى ذلك كون صفوان كان متزوجا لما
تقدم أن زوجته شكته للنبى ﷺ أى على ان ابن الجوزى نقل عن شيخه ابن ناصر الدين رحمه
الله تعالى ان صفوان رضى الله عنه انما تزوج بعد حديث الافك ومما يدل على ان حسان رضى الله
عنه لم يكن من أصحاب الافك تبرؤه مما نسب اليه فى أبيات مدح بها عائشة رضى الله عنها منها
مهذبة قد طيب الله خيمها * وطهرها من كل سوء وباطل
فان كنت قد قلت الذى قد زعمتم * فلا رفعت سوطى الى أناملى
وكيف وودى ما حييت ونصرتى * لآل رسول الله زين المحافل
ومن ثم قال ابن عبد البر وقد أنكر قوم كون حسان رضى الله عنه خاض فى الافك وانه جلد وجاء ان عائشة
رضى الله عنها برأته من ذلك أى فقد ذكر الزبير بن بكار انه قيل لعائشة رضى الله عنها وقد قالت فى
حق حسان رضى الله عنه إنى لأرجو أن يدخله الله الجنة بذبه بلسانه عن رسول الله ﷺ أليس
هو ممن لعنه الله فى الدنيا والآخرة بما قال فيك قالت لم يقل شيئا ولكنه القائل
فان كان ما قد قيل عنى قلته * فلا رفعت سوطى إلى أناملى
وقد قال مثل هذا البيت أنس بن زنيم وقد بلغه ان النبى صلى الله عليه وسلم أهدر دمه لما بلغه
صلى الله عليه وسلم انه هجاه فجاء اليه صلى الله عليه وسلم معتذرا وأنشده ابياتا منها
ونبى رسول الله إنى هجوته * فلا رفعت صوتى إلى اذن يدى

فى عصبة من قريش قال قائلهم * ببطن مكة لما أسلموا زولوا الى آخر القصيدة قال ابن الانبارى إنه لما وصل الى قوله إن الرسول لنور يستضاء به * مهند من سيوف الله مسلول رمى عليه الصلاة والسلام اليه بردة كانت عليه وان معاوية رضى الله عنه فى زمن خلافته بذل له فيها عشرة آلاف درهم فقال ما كنت لأوثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أعطانيه أحدا فلما مات بعث معاوية الى ورثته بعشرين ألفا فأخذها منهم وهى البردة التى عند السلاطين الى اليوم وكان الخلفاء يلبسونها فى الأعياد وقيل إنها فقدت فى وقعة التتار وروى ابن اسحق أنه لما جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وثب عليه رجل من الانصار فقال يارسول الله دعنى وعدو الله أضرب عنقه فقال صلى الله عليه وسلم دعه عنك فانه جاء تائبا نازعا أى مائلا مشتاقا الى الاسلام كافا عن الشرك تاركا له فغضب كعب على هذا الحى من الانصار لما صنع به صاحبهم (٣٢١) وخص المهاجرين بمدحته فى قصيدته لأنهم لم يتكلموا فيه إلا بخير وعرض بذم الانصار فقال له صلى الله عليه وسلم لولا ذكرت الانصار بخير فانهم أهل لذلك فقال بعد ذلك يمدح الأنصار

من سره كرم الحياة فلا يزل
في مقنب من صالحى الأنصار
ورثوا المكارم كابرا عن كابر
ان الخيار هم بنو الاخيار
الناظرون بأعين محمرة
كالجمر غير كليلة الأبصار
والبائعون نفوسهم لنبيهم
للموت يوم تعانق وكرار
يتطهرون يرونه نسكا لهم
بدماء من علقوا من الكفار

وقد كان كعب بن زهير من فحول الشعراء وكذا أبوه زهير وأخوه بجير وابنه عقبة بن كعب وابن ابنه العوام بن عقبة رضى الله عنه وجاء عن سعيد بن المسيب ان كعبا لما قدم المدينة سأل عن أرق الصحابة رضى الله عنهم فدل على أبى بكر رضى الله عنه فأخبره بخبره فمشى أبو بكر وكعب على أثره حتى صار بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل يبايعك يارسول الله فمد يده فبايعه قال العلامة الزرقانى والجمع ممكن بأنه لما قدم المدينة نزل على الجهنى فأخبره بان أبا بكر أرق الصحابة وأتى به اليه فسارا بمعاتم تقدم الصديق وكعب على أثره فلما آمن عرفه بنفسه والله أعلم * وأما الحرث بن هشام المخزومى وهو أخو أبى جهل شقيقه فانه كان شديدا على النبى ﷺ والمسلمين وكذا زهير بن أبى أمية المخزومى أخو أم سلمة رضى الله عنها فانه كان شديدا فى كفره فأهدر دمهما ﷺ يوم الفتح فهربا واختبيا فى بيت أم هانىء بنت أبى طالب رضى الله عنها فأجارتهما فأجاز صلى الله عليه وسلم جوارها

---

لكن فى رواية أنها كانت تأذن لحسان بن ثابت وتلقى له الوسادة وتقول لا تقولوا لحسان الاخير أفانه كان يرد عن النبى ﷺ بلسانه وقد قال تعالى والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم وقد عمى والعمى عذاب عظيم والله قادر على أن يجعل ذلك و يغفر لحسان و يدخله الجنة وفيه أنه سيأتى عن عائشة وغيرها ان الذى تولى كبره عبد الله بن أبى ابن سلول كما تقدم الا أن يقال كبره مقول بالتشكيك والذى بلغ فيه الغاية عبد الله بن أبى ابن سلول فليتأمل وعن الزهرى قال كنت عند الوليد بن عبد الملك ليلة من الليالى وهو يقرأ سورة النور مستلقيا على سريره فلما بلغ والذى تولى كبره جلس ثم قال ياأبا بكر من تولى كبره أليس على بن أبى طالب قال الزهرى فقلت فى نفسى ماذا أقول ان قلت لا لا آمن ان ألقى منه شرا وان قلت نعم جئت بأمر عظيم ثم قلت لنفسى لقد عودنى الله على الصدق خيرا فقلت لا فضرب بقضيبه السرير قال فمن يكرر ذلك مرارا قلت لكن عبد الله بن أبى ابن سلول ووقع لسليمان بن يسار مع هشام بن عبد الملك نحو ذلك فان سليمان بن يسار رحمه الله دخل على هشام بن عبد الملك فقال له ياأباسليمان الذى تولى كبره من هو قال عبد الله بن أبى قال كذبت هو على قال أنا أكذب لا أبالك لو نادى مناد من السماء ان الله أحل الكذب ما كذبت حدثنى عروة وسعيد وعبد الله وعلقمة رحمهم الله عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت الذى تولى كبره عبد الله بن أبى وعن عائشة رضى الله عنها أنه ذكر عندها حسان بسوء فنهتهم وقالت سمعت رسول الله ﷺ يقول لا يحبه الامؤمن ولا يبغضه الا منافق وفى البخارى كانت عائشة رضى الله عنها تكره ان يسب عندها حسان وتقول إنه الذى قال فان أبى ووالدتى وعرضى * لعرض محمد منكم وقاء فبهذا البيت يغفر الله تعالى له وذكر بعضهم ان الذين كانوا يهجون رسول الله ﷺ من مشركى قريش عبد الله بن الزبعرى وأبو سفيان ابن عمه ﷺ وعمرو بن العاصى وضرار ابن الحرث ولما أراد حسان رضى الله عنه ان يهجوهم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تهجوهم وأنا منهم وكيف تهجو أباسفيان ابن عمى فقال له والله لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين فقال له صلى الله عليه وسلم ائت أبا بكر فانه أعلم بانساب القوم منك فكان يجىء الى أبى بكر ليوقفه على انسابهم فجعل حسان يهجوهم فلما سمعوا هجوه قالوا ان هذا الشعر ما غاب عنه ابن أبى قحافة وعاش حسان رضى الله عنه مائة وعشرين سنة نصفها فى الجاهلية و نصفها فى الاسلام وعاش

ثم جاءت بهما فأسلما وحسن إسلامهما رضى الله عنهما وكون الذى اجارته مع الحرث بن هشام هو زهير بن أبى أمية هو الصحيح وقيل
الذى اجارته معه هو عبد الله بن أبى ربيعة وقيل هو هبيرة بن أبى وهب قال الحافظ ابن حجر وهذا ليس بشىء لأن هبيرة هرب عند الفتح
الى نجران فلم يزل بها مشركا حتى مات وكانت أم هانىء رضى الله عنها تحت هبيرة بن أبى وهب المخزومى روى الامام أحمد وغيره عن
أم هانىء رضى الله عنها قالت لما كان يوم الفتح فر الى رجلان من أحمائى من بنى مخزوم فدخل على على رضى الله عنه فقال والله
لاقتلنهما فاغلقت عليهما بيتى ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآنى قال مرحبا وأهلا بأم هانىء ماجاء بك فأخبرته خبر
الرجلين وخبر على رضى الله عنه فقال النبى صلى الله عليه وسلم قد أجرنا من أجرت يا أم هانىء والمشهور أن اسلام أم هانىء رضى الله
عنها كان عام الفتح وقيل أسلمت  قديما وكانت تكتم اسلامها وعن الحرث بن هشام رضى الله عنه قال لما أجارتنى
أم هانىء رضى الله عنها وأجاز النبى صلى الله عليه وسلم جوارها صار لا يتعرضنى أحد بعد ذلك وكنت أخشى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فمر على وأنا جالس ولم يتعرض لى وكنت أستحى أن يرانى رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أذكر برؤيته اياى ماكنت أفعله فى كل موطن مع المشركين فلقيته وهو داخل المسجد فلقينى بالبشر ووقف حتى جئته فسلمت عليه وشهدت شهادة الحق فقال الحمد لله الذى هداك ما كان مثلك يجهل الاسلام ثم صار بعد ذلك من فضلاء الصحابة وابنه عبد الرحمن ابن الحرث بن هشام كان من فضلاء التابعين وعلمائهم وعبادهم رضى
الله عنه وكذا ابن ابنه أبو بكر بن عبد الرحمن وابنه عبد الملك بن أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام وفى
رضى الله عنهم وأما سارة فهى مولاة لبنى المطلب بن عبد مناف وإنما أهدر ﷺ دمها لأنها كانت مغنية بمكة تغنى
بهجاء النبى ﷺ وهى التى كان معها كتاب حاطب بن أبى بلتعة وكانت قدمت المدينة تشكو الحاجة وتطلب الصلة
فقال لها ﷺ ما كان فى غنائك ما يغنيك فقالت ان قريشا منذ قتل من قتل منهم ببدر تركوا الغناء فوصلها وأوقر لها
بعيرا طعاما فرجعت الى مكة وكان ابن خطل يلقى اليها هجاء رسول الله ﷺ فتغنى به فاختفت عند فتح مكة ثم استؤمن
لها رسول الله ﷺ فجاءته وأسلمت وحسن اسلامها رضى الله عنها وأما صفوان بن أمية بن خلف الجمحى فكان
أيضا من أشد الناس عداوة وأذية لرسول الله ﷺ وللمسلمين فأهدر دمه صلى الله عليه وسلم فاختفى وأراد أن يذهب

والده أيضا مائة وعشرين سنة وكذا جده وجد جده قال بعضهم ولا يعرف أربعة تناسلوا وتساوت
أعمارهم غيرهم ولم يشهد حسان مع النبى ﷺ مشهدا لأنه كان يخشى الموت فكان ينسب للجبن
ومن ثم جعل يوم الخندق مع النساء والذرارى فى الآطام وماوقع له مع صفية عمته صلى الله عليه وسلم
فى أمر اليهودى الذى قتلته فى ذلك المكان وماقاله لها يدل على أنه كان جبانا شديد الجبن ورد انكار
بعض العلماء كونه جبانا قال إذ لو صح ذلك لهجى به فانه كان يهاجى الشعراء وكانوا يردون عليه فماعيره
أحد منهم به ولا وسمه به ولعله كان به علة اقتضت جعله مع الذرارى فى الآطام منعته من شهود القتال
هذا كلامه وقد يقال على تسليم أنه لم يهج بالجبن يجوز أن يكون لكونه كان لا يتأثر بوصفه بذلك وذكر
بعضهم ان حسان رضي الله عنه شلت يداه بضربة ضربها له صفوان بسيف لما هجاه فذكر ذلك حسان
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا حسان وصفوان أى وأظهر التغيظ على صفوان بسبب اظهاره
السلاح على حسان وضربه به فقال صفوان يارسول الله آذانى وهجانى فاحتملنى الغضب فضربته فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان ياحسان أحسن فيما أصابك قال هى لك وفى رواية قال كل حق
لى قبل صفوان فهو لك فقال له ﷺ قد أحسنت وقبلت ذلك منك وأعطاه رسول الله صلى
الله عليه وسلم عوضا منها حديقة له يقال لها بئرحا بفتح الراء فى الأحوال الثلاثة مع قصر حا قيل لها ذلك
لأن الابل يقال لها إذا وردت وزجرت عن الماء حا وفيه أنه كان القياس ان يقال بئرحا بضم الراء فى حالة
الرفع وحدها الا أن يقال المجموع اسم مركب وكانت هذه البئر لأبى طلحة رضى الله عنه فتصدق بها
على رسول الله ﷺ ليضعها حيث شاء ثم باعها حسان من معاوية بمال عظيم أقول الذى
فى البخارى كان أبو طلحة رضي الله عنه أكثر أنصارى بالمدينة مالا وكان أحب أمواله اليه بيرحا وهى
حديقة كانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويستظل بها ويشرب من
ماء فيها طيب فلما نزلت لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قام أبو طلحة رضى الله عنه الى رسول الله
ﷺ فقال يارسول الله ان الله يقول فى كتابه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وان
أحب أموالى الى بيرحا وانه صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله تعالى فضعها يارسول الله حيث شئت
فقال ﷺ بخ بخ ذلك مال رابح ذلك مال رابح قد سمعت ماقلت فيها قد قبلناها منك
ورددناها عليك وأرى أن تجعلها فى الأقربين قال افعل يارسول الله فقسمها أبو طلحة فى اقاربه وبنى عمه

ويلقى نفسه فى البحر فجاء ابن عمه عمير بن وهب الجمحى رضى الله عنه وقال يانبى الله إن صفوان سيد قومه قد هرب ليقذف نفسه فى البحر فأمنه فانك أمنت الأحمر والأسود فقال أدرك ابن عمك فهو آمن فقال أعطنى آية يعرف بها أمانك فانى قد طلبت منه العود فقال لا أعود معك إلا أن تأتينى بعلامة أعرفها فأعطاه ﷺ عمامته التى دخل بها مكة فلحقه بها وهو يريد يركب البحر فقال له صفوان أعزب عنى لا تكلمنى فقال أى صفوان فداك أبى وأمى جئتك من عند أفضل الناس وأبر الناس وأحلم الناس وخير الناس وهو ابن عمك عزه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك قال إنى أخافه على نفسى قال هو أحلم من ذلك وأكرم وأراه العمامة التى جاء بها فرجع معه حتى وقف على رسول الله ﷺ فقال ان هذا يزعم أنك أمنتنى قال صدق فقال أمهلنى بالخيار شهرين فقال صلى الله عليه وسلم أنت بالخيار أربعة أشهر ولما أراد صلى الله عليه وسلم الخروج إلى حرب هوازن استقرض منه أربعين ألف درهم وطلب منه دروعا كانت عنده فقال أغصبا يامحمد قال لا ولكن عارية مرجوعة أو مضمونة ثم خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم حين خرج لحرب هوازن وهو على شركه فلما قسم صلى الله عليه وسلم غنائم هوازن بحنين أعطاه مائة من الابل ثم مائة ثم مائة ثم رآه صلى الله عليه وسلم يرمق شعبا مملوأ نعما وشاء فقال له صلى الله عليه وسلم يعجبك هذا قال نعم قال هولك ومافيه وفى رواية أن صفوان رضى الله عنه طاف مع النبي صلى الله عليه وسلم ليتصفح الغنائم إذ مر بشعب مملوء إبلا وغنما فأعجبه وجعل ينظر إليه فقال له النبي ﷺ أعجبك هذا الشعب ياأبا وهب قال نعم قال هولك بما فيه فقبض صفوان مافى الشعب وقال إن الملوك لا تطيب نفوسها بمثل هذا ماطابت نفس أحد قط بمثل هذا الانبى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فأسلم وحسن إسلامه رضى الله عنه وترك المدة التى كان طلبها وكان يقول كان النبي ﷺ أبغض الخلق الى فما زال يعطينى حتى صار أحب الخلق إلى

وأما هند بنت عتبة بن ربيعة زوج أبى سفيان وأم ابنه معاوية رضى الله عنهم فانما أهدر دمها صلى الله عليه وسلم لأنها مثلت بعمه حمزة رضى الله عنه يوم أحد ولاكت قلبه ولم تقدر على ابتلاعه فلفظته فلما كان يوم الفتح ورأت جند الله اختفت فى بيت أبى سفيان زوجها ثم أسلمت وأتته ﷺ بالأبطح وقالت الحمد لله الذى أظهر الدين الذى اختاره لنفسه لتمسنى رحمتك يامحمد إنى امرأة مؤمنة بالله مصدقة به ثم قالت أنا هند بنت عتبة فقال صلى الله عليه وسلم مرحبا بك ثم أرسلت إليه بهدية جديين

---

وفى لفظ آخر فى البخارى قال ﷺ لأبى طلحة اجعله لفقراء أقاربك فجعلها لحسان وأبى ابن كعب وفيه أن أبى بن كعب كان غنيا وبين فى البخارى وجه قرابتهما من أبى طلحة فذكر أن حسان يجتمع مع أبى طلحة فى الأب الثالث وأبى يجتمع معه فى الأب السادس وذكر بعضهم أن أبى بن كعب كان ابن عمة أبى طلحة وفى الامتاع أنه ﷺ أعطى حسان تلك الحديقة وأعطاه سيرين جاريته أخت مارية أم ولده صلى الله عليه وسلم ابراهيم فجاءت منه بابنه عبد الرحمن وكان يفتخر بأنه ابن خالة ابراهيم ابن النبى ﷺ وقد روت سيرين هذه عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثا قالت رأى رسول الله ﷺ خللا فى قبر ابنه ابراهيم فأصلحه وقال إن الله يحب من العبد إذا عمل عملا أن يتقنه وأعطاه سعد بن عبادة رضى الله عنه بستانا كان يتحصل منه مال كثير وحاصل مافى الامتاع فيما وقع بين حسان وصفوان أن حسان رضى الله عنه لما قال

أمسى الجلابيب قد عزوا وقد كبروا * وابن القريعة أمسى بيضة البلد

قال صفوان ما أراه الاعنانى أى بالجلابيب وتقدم أن ابن أبى ابن سلول قد قالها فى حق المهاجرين والقريعة بالقاف جدة حسان رضى الله عنه وقيل أمه وقريعة الشىء خياره وقريعة القبيلة سيدها واستعمل بيضة البلد فى الذم بقرينة المقام والافكما تستعمل فى الذم تستعمل فى المدح يقال فلان بيضة البلد أى واحد فى قومه عظيم فيهم فعند ذلك خرج صفوان مصلتا السيف وجاء الى حسان وهو فى نادى قومه الخزرج وضربه فلقى بيده فوقع السيف فيها فقام قومه وأوثقوا صفوان رباطا ثم إنه حل وجىء به إلى رسول الله ﷺ فقال حسان رضى الله عنه يارسول الله شهر على السيف فى نادى قومى ثم ضربنى ولا أرانى الا ميتا من جراحتى فقال ﷺ لصفوان ولم ضربته وحملت السلاح عليه وتغيظ لحسان فقال صفوان ماتقدم ثم قال لقوم حسان احبسوا صفوان فان مات حسان فاقتلوه به فحبسوه فبلغ ذلك سيد الخزرج سعد بن عبادة فأقبل على قومه ولامهم على حبسه فقالوا أمرنا رسول الله ﷺ بحبسه وقال لنا ان مات صاحبكم فاقتلوه فقال سعد والله إن أحب الأمر إلى رسول الله ﷺ العفو عنه ولكن رسول الله ﷺ قضى بالحق والله لا أبرح حتى يطلق فاستحى القوم وأطلقوه وأخذه سعد وانطلق به الى منزله وكساه حلة وجاء به إلى المسجد فلما رآه صلى الله عليه وسلم قال صفوان قالوا نعم يارسول الله قال من كساه قالوا سعد بن

مشويين وقديدمع جارية لها فقالت إنها تعتذر إليك وتقول لك إن غنمنا اليوم قليلة الوالدة فقال ﷺ بارك الله لكم فى غنمكم
وأكثر والدتها قالت هند فلقد رأينا من كثرتها مالم نره قبل وذلك بدعائه صلى الله عليه وسلم وقالت كنت أرى فى النوم أنى
فى الشمس أبداً قائمة والظل قريب منى لا أقدر عليه فلما دنا ﷺ رأيت كأنى دخلت الظل فكان ذلك هو الدخول فى الاسلام
وجاء أنها لما أسلمت عمدت الى صنم كان فى بيتها فجعلت تضربه بالقدوم وتقول كنا منك فى غرور وروى البخارى ومسلم عن
عائشة رضى الله عنها قالت قالت هند بنت عتبة يارسول الله ما كان على ظهر الأرض أهل خباء أحب الى أن يذلوا من أهل
خبائك ثم ما أصبح اليوم على ظهر الأرض أهل خباء أحب الى أن يعزوا من أهل خبائك قال النبى ﷺ وأيضا والذى نفسى
بيده أى ستزيدين من ذلك (٣٢٤) و يتمكن الايمان فى قلبك فيزيد حبك لرسول الله صلى الله عليه وسلم و يقوى
رجوعك عن بغضه ثم
قالت يارسول الله ان أبا
سفيان رجل مسيك
فهل على حرج أن أطعم
من الذي له عيالنا قال
لا أراه إلا بالمعروف وكان
اسلامها بعد إسلام زوجها
فأقرهما صلى الله عليه
وسلم على النكاح الأول
لأن الاسلام جمعهما فى
العدة بل قيل إن بين
إسلامها واسلام زوجها
ليلة واحدة وكانت هند
امرأة ذات أنفة ورأى
وعقل وجاء فى رواية أنه
صلى الله عليه وسلم لما
فرغ من بيعة الرجال
بايع النساء وفيهم هند
بنت عتبة منتقبة خوفا
من رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما دنين من
رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لهن بايعنني على
أن لا تشركن بالله شيئاً
ولا تسرقن ولا تزنين ولا تقتلن أولادكن ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن
ولا تعصينني فى معروف فقالت هند لما قال ولا تسرقن قالت والله إنى كنت أصيب من مال أبى سفيان الهنة بعد الهنة وما كنت
أدرى أكان ذلك حلالا أم لا فقال أبو سفيان وكان حاضراً أما ما أصبت فيما مضى فأنت منه فى حل عفا الله عنك فضحك النبى
ﷺ وعرفها فقال وانك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف عفا الله عنك يانبى الله ولما قال ولا تزنين قالت أو تزنى
يارسول الله الحرة ولما قال ولا تقتلن أولادكن قالت ربيناهم صغاراً فقتلتهم كباراً وفى لفظ وهل تركت لنا ولداً إلا قتلته يوم بدر
فضحك عمر رضى الله عنه حتى استلقى على قفاه وتبسم ﷺ ولما قال ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن قالت
والله إن إتيان البهتان لقبيح وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق ولما قال ولا تعصينني فى معروف قالت والله ماجلسنا مجلسنا هذا

عبادة قال كساه الله من ثياب الجنة ثم ان رسول الله ﷺ كلم حسان رضى الله عنه فى العفو
عن صفوان فقال يارسول الله كل حق لى قبل صفوان فهو لك فقال صلى الله عليه وسلم قد أحسنت
وقبلت ذلك ثم أعطاه ﷺ أرضا له وسيرين جاريته أخت مارية أم ولده ابراهيم وأعطاه
أيضا سعد بن عبادة رضى الله عنه حائطاً كان يتحصل منه مال كبير بما عفا عن حقه وقيل انما
أعطاه سيرين لذبه عن رسول الله ﷺ بشعره فقد قال ابن عبد البر رحمه الله أعطاه رسول الله
ﷺ سيرين أخت مارية لحسان بن ثابت يروى من وجوه وأكثرها أن ذلك ليس بسبب
ضرب صفوان له بل لذبه بلسانه عن رسول الله ﷺ قيل وكان لسان حسان يصل لجبهته
وإلى نحره وكذلك كان أبوه وجده وكان حسان رضى الله عنه يقول على لسانه والله لو وضعته
على صخر لفلقه أوشعر لحلقه وقدعمى مسطح أيضا أى وقدروى أصحاب السنن الأربعة عن
عائشة رضى الله عنها أنه ﷺ أمر برجلين وامرأة فضربوا حدهم قال الترمذى حسن
غريب أى والمرأة حمنة بنت جحش والرجلان أخوها عبيد الله أبو أحمد بن جحش ومسطح ولم
يحد الخبيث عبد الله بن أبى ابن سلول لأن الحد كفارة وليس من أهلها وقيل لأنه لم تقم عليه البينة
بذلك بخلاف أولئك وقيل لأنه كان لا يأتى بذلك على أنه من عنده بل على لسان غيره وفى الطبرانى
ومعجم النسائى عن عائشة رضى الله عنها أن عبد الله بن أبى ابن سلول جلد مائة وستين أى حد
حدين قال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما وهكذا يفعل بكل من قذف زوجة نبى أى ولعل المراد أنه
يجوز أن يفعل به ذلك فلاينافى ماتقدم من أن الحد كان ثمانين جلدة وعن ابن عباس رضى الله
عنهما مازنت وفى لفظ لم تبلغ امرأة نبى قط وأما قوله تعالى فى امرأة نوح وامرأة لوط فخانتاهما
فالمراد آذتاهما قالت امرأة نوح عليه السلام فى حقه إنه لمجنون وامرأة لوط عليه السلام دلت على
أضيافه قيل انما جاز أن تكون امرأة النبى كافرة كامرأة نوح ولوط عليهما السلام ولم يجز أن تكون
فاجرة أى زانية لأن النبى مبعوث إلى الكفار ليدعوهم فيجب أن لا يكون معه منقص ينفرهم عنه
والكفر غير منقص عندهم وأما الفجور فمن أعظم النقصان وفى الخصائص الصغرى ومن قذف
أزواجه ﷺ فلاتوبة له البتة كما قاله ابن عباس وغيره ويقتل كما نقله القاضى عياض وغيره
وقيل يختص القتل بمن قذف عائشة ويحد فى غيرها حدين وقد وقع أن الحسن بن يزيد الراعى
من أهل طبرستان وكان من العظماء كان يلبس الصوف ويأمر بالمعروف وكان يرسل فى كل
سنة

وفي أنفسنا انا نعصيك في معروف وحضرت هند قتال الروم يوم اليرموك مع أبي سفيان وكانت تشجع المسلمين وتحرضهم على القتال مع بقية النسوة اللاتي كن معها وتوفيت في خلافة عمر رضي الله عنه في اليوم الذي توفي فيه أبو قحافة والد أبي بكر الصديق رضي الله عنهم وكان من جملة من أسلم وبايعه صلى الله عليه وسلم على الاسلام ابنها معاوية وأخوه يزيد ابنا أبو سفيان وقيل ان اسلام معاوية كان عام الحديبية وعن معاوية رضي الله عنه قال لما كان عام الحديبية وقع الاسلام في قلبي فذكرت ذلك لأمي فقالت اياك أن تخالف أباك فيقطع عنك القوت فأسلمت وأخفيت اسلامي فقال لي يوما أبو سفيان وكأنه شعر باسلامي أخوك خير منك هو على ديني فلما كان عام الفتح اظهرت اسلامي ولقيته صلى الله عليه وسلم فرحب بي وكتبت له بعد أن استشار في ذلك جبريل عليه السلام فقال استكتبه فانه أمين وفي البخاري أن كريبا قال لابن عباس رضي الله عنهما إن معاوية يوتر (٣٢٥) بركعة فقال دعه فانه فقيه قد صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء انه صلى الله عليه وسلم أردفه يوما خلفه فقال ما يليني منك قلت بطني قال اللهم املأه حلما وعلما وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاوية رضي الله عنه اللهم علمه الكتاب والحساب وقه العذاب ومكن له في البلاد وعن بعض الصحابة رضي الله عنهم انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يدعو لمعاوية رضي الله عنه يقول اللهم اجعله هاديا مهديا واهده واهد به ولا تعذبه وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاوية رضي الله عنه أنت مني

سنة الى بغداد عشرين ألف دينار تفرق على أولاد الصحابة فحضر عنده رجل من أشياع العلويين فذكر عائشة رضي الله عنها بالقبيح فقال الحسن لغلامه ياغلام أضرب عنق هذا فنهض اليه العلويون وقالوا هذا رجل من شيعتنا فقال معاذ الله هذا طعن على رسول الله ﷺ قال الله تعالى الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات فان كانت عائشة رضي الله عنها خبيثة فان زوجها يكون خبيثا وحاشاه صلى الله عليه وسلم من ذلك بل هو الطيب الطاهر وهي الطيبة الطاهرة المبرأة من السماء ياغلام اضرب عنق هذا الكافر فضرب عنقه وفي كتاب الاشارات للفخر الرازي انه ﷺ في تلك الأيام التي تكلم فيها بالافك كان أكثر أوقاته في البيت فدخل عليه عمر رضي الله عنه فاستشاره صلى الله عليه وسلم في تلك الواقعة فقال يارسول الله أنا اقطع بكذب المنافقين وأخذت براءة عائشة رضي الله عنها من الذباب لان الذباب لايقرب بدنك فاذا كان الله تعالى صان بدنك أن يخالطه الذباب لمخالطته للقاذورات فكيف أهلك ودخل عليه ﷺ عثمان رضي الله عنه فاستشاره فقال له عثمان يا رسول الله أخذت براءة عائشة رضي الله عنها من ظلك اني رأيت الله تعالى صان ظلك أن يقع على الأرض أي لان ظل شخصه الشريف كان لايظهر في شمس ولاقمر لئلا يوطأ بالاقدام فاذا صان الله ظلك فكيف بأهلك أي وقد أشار الى ذلك الامام السبكي رحمه الله في تائيته بقوله

لقد نزه الرحمن ظلك أن يرى * على الأرض ملقى فانطوى لمزية

(وهنا لطيفة لا بأس بها) وهي ان عبدالله بن عمر رضي الله عنهما كان مسافرا وكان يسايره يهودي فلما أراد المفارقة قال عبدالله رضي الله عنه لليهودي بلغني انكم تدينون بايذاء المسلمين فهل قدرت على شيء من ذلك معي وأقسم عليه فقال ان أمنتني أخبرتك فأمنه فقال لم أقدر عليك في شيء أكثر من اني كنت اذا رأيت ظلك وطئته بقدمي وفاء بامر ديننا ودخل صلى الله عليه وسلم على كرم الله وجهه فاستشاره فقال له علي كرم الله وجهه أخذت براءة عائشة من شيء هو أنا صلينا خلفك وأنت تصلي

وأنا منك لتزاحمني على باب الجنة كهاتين وأشار بأصبعه الوسطى والتي تليها وقال له النبي ﷺ إذا ملكت فاحسن وفي رواية اذا ملكت من أمر أمتي شيئا فاتق الله واعدل وفي رواية يامعاوية أنك ستلي أمر أمتي فارفق بها ويذكر انه كان عنده قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم وإزاره ورداؤه وشيء من شعره فقال عند موته كفنوني في القميص وأدرجوني في الرداء وآزروني بالازار واحشوا منخري وشدقي من الشعر وخلوا بيني وبين ارحم الراحمين ولما حضرته الوفاة قال اللهم ارحم الشيخ العاصي ذا القلب القاسي اللهم أقل عثرتي واغفر ذلتي وعد بحلمك على من لايرجو غيرك ولم يثق بأحد سواك ثم بكى حتى علا نحيبه وكانت وفاته بدمشق سنة ستين من الهجرة وهو ابن ثنتين وثمانين سنة وقيل ثمان وسبعين سنة وكان أبيض جميلا وهو من الموصوفين بالحلم ولي الشام لعمر وعثمان رضي الله عنهما عشرين سنة وولي الخلافة سنة اربعين ومكث خليفة عشرين سنة الا ستة أشهر وأما ماوقع بينه وبين علي رضي الله عنه فمذهب أهل السنة ان ذلك كان باجتهاد منهما فلا يعترض على أحد منهما وقد قال صلى الله عليه وسلم الله الله في أصحابي واصهاري وأنصاري فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وأما وحشي بن حرب فاهدر صلى الله عليه وسلم دمه لكونه قتل عمه حمزة رضي الله عنه فلما فتحت مكة هرب إلى الطائف قال فكنت بالطائف فلما خرج وفد الطائف

ليسلموا ضاقت علىّ المذاهب فقلت ألحق بالشام أو باليمن أو ببعض البلاد فوالله انى لفى ذلك من همى اذ قال لى رجل ويحك والله
انه ما يقتل أحدا يدخل فى دينه فخرجت حتى قدمت عليه فلم يرعه إلا وأنا قائم على رأسه أشهد شهادة الحق فلما رآنى قال وحشى
قلت نعم يارسول الله قال اقعد فحدثنى كيف قتلت حمزة فحدثته فلما فرغت قال ويحك غيب وجهك عنى فكنت أتنكب رسول الله
صلى الله عليه وسلم حيث كان لئلا يرانى حتى قبضه الله ثم خرج وحشى مع من خرج لقتال أهل الردة فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه
فقتل مسيلمة الكذاب بحربته التى قتل بها حمزة رضى الله عنه فكان يقول أرجو أن تكون هذه بتلك أى ان هذه تكفر تلك وممن
اختفى يوم الفتح عتبة ومعتب ابنا أبى لهب فقال النبى ﷺ لعمه العباس أين ابنا أخيك لا أراهما يعنى عتبة ومعتبا
ابنى أبى لهب فقال العباس رضى الله عنه تنحيا فيمن تنحى من مشركى قريش قال ائتنى بهما فركبت اليهما
فأتيته بهما فدعاهما للاسلام فاسلما فسر باسلامهما ودعا لهما ثم قام صلى الله عليه وسلم وأخذ بأيديهما وانطلق بهما حتى أتى الملتزم فدعا ساعة ثم انصرف والسرور يرى فى وجهه فقال له العباس رضى الله عنه اسرك الله يارسول الله انى أرى السرور فى وجهك قال انى استوهبت ابنى عمى هذين من ربى فوهبهما لى وشهدا معه حنينا والطائف ولزماه يوم حنين وقلعت عين معتب يوم حنين وممن اختفى أيضا سهيل بن عمرو وكان ابنه عبدالله مسلما فجاء الى النبى صلى الله عليه وسلم ليأخذ له امانا فقال صلى الله عليه وسلم هو آمن بامان الله فليظهر
ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن حوله من لقى سهيل بن عمرو فلا يحد النظر اليه فلعمرى
أن سهيلا له عقل وشرف وما مثل سهيل يجهل الاسلام فخرج ابنه عبد الله اليه فاخبره بمقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
سهيل كان والله برا صغيرا برا كبيرا ثم انه خرج إلى حنين وهو على شركه ثم أسلم بالجعرانة رضى الله عنه وصار من فضلاء الصحابة رضى
الله عنهم حتى ان الله ثبت به أهل مكة يوم جاءهم خبر وفاته ﷺ فكادوا ان يرتدوا فخطبهم خطبة مثل خطبة الصديق
رضى الله عنه بالمدينة وقال فيها من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت وما محمد إلا رسول قد خلت من
قبله الرسل الآية فثبتهم الله به رضى الله عنه واستشهد رضى الله عنه فى اليرموك وقيل توفى بالشام فى طاعون عمواس ودخل صلى الله
عليه وسلم مكة يوم الاثنين بين أبى بكر وأسيد بن حضير رضى الله عنهما وهو متواضع مطأطئ راسه على ناقته القصواء مردفا اسامة بن

---

بنعليك ثم انك خلعت احدى نعليك فقلنا ليكون ذلك سنة لنا قلت لا إن جبريل عليه السلام
أخبرنى أن فى تلك النعل نجاسة فاذا كان لا تكون النجاسة بنعليك فكيف تكون باهلك فسر صلى
الله عليه وسلم بذلك أى ويحتاج أئمتنا إلى الجواب عن خلع إحدى نعليه فى أثناء الصلاة لنجاسة بها
واستمر فى الصلاة وعن أبى أيوب الانصارى رضى الله عنه انه قال لزوجته أم أيوب ألا ترين ما يقال
أى من الافك فقالت له لو كنت بدل صفوان أكنت تهم بسوء بحرم رسول الله ﷺ قال
لا قالت ولو كنت أنا بدل عائشة ما خنت رسول الله ﷺ فعائشة خير منى وصفوان خير
منك وفى السيرة الشامية ان أبا أيوب رضى الله عنه قالت له زوجته أم أيوب ألا تسمع ما يقول الناس
فى عائشة قال بلى وذلك الكذب أكنت يا أم أيوب فاعلة قالت لا والله ما كنت لأفعله قال فعائشة والله
خير منك وجاء ان ابن عباس رضى الله عنهما دخل على عائشة رضى الله عنها فى مرض موتها فوجدها
وجلة من القدوم على الله فقال لها لا تخافى فانك لا تقدمين إلا على مغفرة ورزق كريم فغشى عليها
من الفرح بذلك لانها كانت تقول متحدثة بنعمة الله عليها لقد أعطيت تسعا ما أعطيتهن امرأة لقد
نزل جبريل عليه السلام بصورتى فى راحته حين أمر رسول الله ﷺ أن يتزوجنى ولقد
تزوجنى بكرا وما تزوج بكرا غيرى ولقد توفى وان رأسه فى حجرى ولقد قبر فى بيتى وان الوحى ينزل
عليه فى أهله فيفرقون منه وان كان لينزل عليه وأنا معه فى لحاف واحد وأبى رضى الله عنه خليفته
وصديقه ولقد نزلت براءتى من السماء ولقد خلقت طيبة عن طيب ولقد وعدت مغفرة ورزقا
كريما قيل وفى هذه الغزوة فقدت عائشة رضى الله عنها عقدها أيضا فاحتبسوا على طلبه أى
فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طلبه رجلين من المسلمين أى أحدهما أسيد بن حضير
فحضرت الصلاة أى صلاة الصبح وكانوا على غير ماء زاد فى رواية وليس معهم ماء ونزلت آية التيمم
وهذا القيل نقله إمامنا الشافعى رضى الله عنه عن عدة من أهل المغازى أى وعليه يكون سقط عقدها
فى تلك الغزوة مرتين لاختلاف القضيتين باختلاف سياقهما والصحيح أن ذلك كان فى غزوة
أخرى أى متأخرة عن هذه الغزوة فعن عائشة رضى الله عنها قالت لما كان من أمر عقدى
ما كان وقال أهل الافك ما قالوا خرجت مع النبى ﷺ فى غزوة أخرى فسقط
أيضا عقدى حتى حبس التماسه الناس أى فانه صلى الله عليه وسلم بعث رجالا فى طلبه وهو
لا يخالف ما سبق انه ﷺ أرسل فى طلبه رجلين وطلع الفجر فلقيت من أبى بكر رضى
الله

زيد رضى الله عنهما خلفه وهو صلى الله عليه وسلم يقرأ سورة الفتح وعن أنس رضى الله عنه قال لما دخل ﷺ مكة يوم الفتح استشرفه الناس فوضع رأسه على رحله متخشعا وفى رواية حتى ان رأسه لتكاد تمس رحله أي تواضعا لله لما رأى ما أكرمه به من الفتح ولم يزل يقرأ سورة الفتح فى حال دخوله حتى جاء البيت فطاف به وفى شرح المواهب للعلامة الزرقانى ان طوافه صلى الله عليه وسلم انما كان بعد أن استقر فى خيمته ساعة واغتسل وعاد للبس السلاح والمغفر ودعا بالقصواء فادنيت إلى باب الخيمة وقد حف به الناس فركبها وسار وأبو بكر رضى الله عنه يحادثه فمر ببنات أبى أحيحة بالبطحاء وقد نشرن شعورهن يلطمن وجوه الخيل بالخمر فتبسم الى أبى بكر رضى الله عنه واستنشده قول حسان الماضى * يلطمهن بالخمر النساء * إلى ان انتهى إلى الكعبة ومعه المسلمون فاستلم الركن بمحجنه وكبر فكبر المسلمون لتكبيره ورجعوا التكبير حتى ارتجت مكة تكبيرا حتى جعل صلى الله عليه وسلم يشير اليهم ان اسكتوا والمشركون فوق الجبال ينظرون فطاف بالبيت ومحمد بن مسلمة آخذ بزمام الناقة سبعا يستلم الحجر الأسود كل طوفة بمحجنه وكان ذلك يوم الاثنين لعشر بقين من رمضان وهو حلال غير محرم وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وعلى الكعبة ثلثمائة وستون صنما لكل حى من أحياء العرب صنم قد شدوا أقدامها بالرصاص فجاء صلى الله عليه وسلم ومعه قضيب فجعل يهوى به إلى كل صنم منها فيخر لوجهه وفى رواية لقفاه وفى رواية فما أشار إلى صنم منها فى وجهه إلا وقع لقفاه ولا أشار لقفاه إلا وقع لوجهه من غير أن يمسه بما فى يده يقول جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا وفى رواية فاتى فى طوافه على صنم الى جنب البيت من جهة بابه يعبدونه وهو هبل وكان أعظم الأصنام وكان فى يده ﷺ قوس فجعل يطعن بها فى عينيه ويقول جاء الحق الآية ثم أمر به فكسر فقال الزبير بن العوام رضى الله عنه لأبى سفيان رضى الله عنه قد كسر هبل اما انك قد كنت يوم أحد فى غرور حتى تزعم انه قد أنعم فقال أبو سفيان دع هذا عنك يا ابن العوام لقد أرى لو كان مع إله محمد غيره لكان غير ما كان وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ يوم الفتح هذا ما وعدنى ربى ثم قرأ إذا جاء نصر الله والفتح وقد أشار صاحب الهمزية الى ذلك فقال واستجابت له بنصر وفتح * بعد ذاك الخضراء والغبراء
توالت للمصطفى الآية الكبـ * رى عليهم والغارة الشعواء فاذا ما تلا كتابا من الله * تلته كتيبة خضراء ولما فرغ صلى الله

---

الله عنه ماشاء الله أى لان الناس جاؤا لأبى بكر رضى الله عنه وشكوا اليه ما نزل بهم فجاء اليها رسول الله ﷺ واضع رأسه الشريف على فخذها قد نام فقال لها حبست رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء فجعل يطعن بيده فى خاصرتها ويقول يا بنية فى كل سفرة تكونين عناء وبلاء وليس مع الناس ماء قالت فلا يمنعنى من التحرك الا مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذى أى لانه ﷺ كان إذا نام لا يوقظه أحد حتى يكون هو يستيقظ لانهم لا يدرون ما يحدث له فى نومه فقام حين أصبح وفى لفظ فاستيقظ وحضرت الصلاة فالتمس الماء فلم يجد فأنزل الله تعالى الرخصة بالتيمم وفى لفظ فأنزل الله تعالى آية التيمم أى التى فى المائدة ففى بعض الروايات فنزلت يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة الآية وقيل المراد بالآية آية النساء لان آية المائدة تسمى آية الوضوء وآية النساء لا ذكر للوضوء فيها فيتجه تسميتها بآية التيمم وكلام الواحدى رحمه الله فى أسباب النزول يدل عليه فقال أبو بكر عند ذلك والله يا بنية انك كما علمت مباركة أى وقال لها ﷺ ما أعظم بركة قلادتك وقال أسيد بن حضير ماهذا باول بركتكم يا آل أبى بكر أى وفى رواية انه قال لها جزاك الله خيرا فما نزل بك أمر تكرهينه الا جعل الله منه مخرجا وللمسلمين فيه خيرا أى وهذا بما يفيد تكرر وقوع ما تكرهه وان فى ذلك خير المسلمين فليتأمل وفى لفظ قال أسيد بن حضير لقد بارك الله للناس فيكم يا آل أبى بكر ما أنتم الا بركة لهم قال الحافظ ابن حجر رحمه الله وانما قال أسيد بن حضير ما قال دون غيره لانه كان رأس من بعث فى طلب العقد أى بل تقدم فى بعض الروايات الاقتصار على بعثه لطلب ذلك قالت فبعثنا البعير الذى كنت عليه أى أقمناه من مبركه فوجدنا العقد تحته أقول فى النور اعلم ان العقد سقط مرتين مرة كان لها ومرة كان لأختها أسماء استعارته وبهذا يجمع بين الأحاديث التى فى المسئلة هذا كلامه فليتأمل وينظر تلك الأحاديث ما هى أى وكون هذا العقد لأسماء أختها لا يخالف ذلك قولها عقدى لأن الاضافة تأتى لأدنى ملابسة أى فعقد أسماء كان فى المرة الثانية وفى البخارى أيضا ان آية التيمم نزلت بعد أن صلوا بلا وضوء فعن عائشة رضى الله عنها انها استعارت من أسماء رضى الله عنها قلادة فهلكت أى ضاعت فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا فوجدها فأدركتهم الصلاة وليس معهم ماء فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فانزل الله تعالى آية التيمم وقد ترجم البخارى عن تلك بقوله باب اذا لم يجد ماء ولا ترابا وقوله فبعث رجلا

عليه وسلم من طوافه نزل عن راحلته روى ابن أبى شيبة عن عمر رضى الله عنه قال ماوجدنا مناخا فى المسجد لراحلته ﷺ حتى أنزل على أيدى الرجال فاخرجت الراحلة فانيخت بالوادى ثم انتهى ﷺ إلى المقام فصلى ركعتين ثم انصرف إلى زمزم وقال لولا أن تغلب بنو عبد المطلب لنزعت منها دلوا فنزع له العباس دلوا فشرب منه وتوضأ والمسلمون يبتدرون وضوءه يصبونه على وجوههم والمشركون ينظرون و يعجبون و يقولون مارأينا ملكا قط أبلغ من هذا ولا سمعنا به ثم جلس ﷺ فى ناحية المسجد وأبو بكر رضى الله عنه قائم على رأسه بالسيف ثم دعا عثمان بن طلحة رضى الله عنه ففتح له الكعبة ودخلها صلى الله عليه وسلم هو و بلال وأسامة بن زيد وعثمان بن طلحة الحجبى رضى الله عنهم وصلى ركعتين بين العمودين اليمانين وفى رواية جعل عمودين عن يمينه وعمودا عن  يساره وثلاثة وراءه وكان البيت على ستة أعمدة وفى رواية ان بين موقفه صلى الله عليه وسلم و بين الجدار الذى استقبله قريبا من ثلاثة أذرع وفى رواية ان دخوله ذلك كان ثانى يوم الفتح ثم وقف على باب الكعبة فقال لا إله إلا الله وحده لاشريك له صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ثم خطب خطبة طويلة وذكر فيها جملة من الأحكام منها لا يقتل مسلم بكافر ولا يتوارث أهل ملتين مختلفتين ولا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها والبينة على المدعى واليمين على من أنكر ولا تسافر المرأة مسيرة ثلاثة أيام إلا مع ذى محرم ولا صلاة بعد العصر و بعد الصبح ولا يصام يوم الأضحى و يوم الفطر ثم قال يامعشر قريش ان الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء والناس من آدم وآدم من تراب ثم تلا هذه الآية يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير ثم قال يامعشر قريش ماذا تقولون وماذا تظنون انى فاعل فيكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت وأول من قال ذلك سهيل بن عمرو فقال ﷺ أقول كما قال أخى يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين اذهبوا فأنتم الطلقاء أى الذين أطلقوا فلم يسترقوا ولم يؤسروا وخرجوا كأنما نشروا من القبور فدخلوا فى الاسلام ومما ذكره فى تلك الخطبة قوله أيها الناس ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهى حرام بحرمة الله الى يوم القيامة فلا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما أو يعضد بها شجرة فان أحد ترخص فيها لقتال رسول الله ﷺ فقالوا له ان الله قد أذن لرسوله صلى الله عليه وسلم

---

فوجدها يجوز أن يكون هذا الرجل هو الذى أقام البعير أو من جملة من أقامه فلا يخالف ماسبق مما يدل على ان الذين بعثهم فى طلبه لم يجدوه ثم رأيت الحافظ ابن حجر رحمه الله قال وطريق الجمع بين هذه الروايات ان أسيدا كان رأس من بعث لذلك فلذلك سمى فى بعض الروايات دون غيره ولذا أسند الفعل الى واحد منهم وكأنهم لم يجدوا العقد أولا فلما رجعوا ونزلت آية التيمم وأرادوا الرحيل وأثاروا البعير وجده أسيد رضى الله عنه هذا كلامه قيل وفى هذه الغزوة خرجوا عن الطريق وأدركهم الليل بقرب واد وعر فهبط جبريل عليه السلام وأخبره ﷺ ان طائفة من كفار الجن بهذا الوادى يريدون كيده ﷺ وإيقاع الشر باصحابه فدعا صلى الله عليه وسلم بعلى كرم الله وجهه وعوذه وأمره بنزول الوادى فقتلهم قال الامام ابن تيمية وهذا من الأحاديث المكذوبة على رسول الله ﷺ وعلى على كرم الله وجهه قال ابن تيمية ومن هذا ماروى فى عام الحديبية انه قاتل الجن فى بئر ذات العلم وهى بئر فى الجحفة وهو حديث موضوع عند أهل المغازى أى وجاء فى سبب مشروعية التيمم غير ماذكر فى الطبرانى عن أسلع قال كنت أخدم رسول الله ﷺ وأرحل له ناقته فقال لى ذات يوم يا أسلع قم فارحل فقلت يارسول الله أصابتنى جنابة أى ولا ماء فسكت رسول الله ﷺ فأتاه جبريل بآية الصعيد أى التراب فقال رسول الله ﷺ قم يا أسلع فتيمم فأرانى التيمم ضربة للوجه وضربة لليدين الى المرفقين فقمت فتيممت ثم رحلت له حتى مر بماء فقال يا أسلع أمس هذا جلدك وفى الامتاع نزلت آية التيمم طلوع الفجر فمسح المسلمون أيديهم بالارض ثم مسحوا بأيديهم إلى المناكب أى و يحتاج أئمتنا الى الجواب عن هذه الرواية وفى هذه السنة الخامسة خسف القمر فصلى رسول الله ﷺ باصحابه صلاة الخسوف حتى انجلى القمر وصارت اليهود تضرب بالطساس و يقولون سحر القمر

## ﴿ غزوة الخندق ﴾

و يقال لها غزوة الأحزاب أى وهى الغزوة التى ابتلى الله تعالى فيها عباده المؤمنين وثبت الايمان فى قلوب أوليائه المتقين أى وأظهر ما كان يبطنه أهل النفاق والشقاق المعاندين وسببها انه لما وقع اجلاء بنى النضير من أماكنهم كما تقدم سار منهم جمع من كبرائهم منهم سيدهم حيى بن أخطب أبو صفية أم

المؤمنين

ولم يأذن لكم وانما أحلت لى ساعة من نهار وقد عادت حرمتها الآن كحرمتها بالأمس فيبلغ الشاهد الغائب ثم قال يامعشر قريش
ماترون انى فاعل فيكم إلى آخر ماتقدم وقد اختلفت الروايات فى كيفية احضار مفتاح الكعبة له حين أراد الدخول والصحيح انه
دعا عثمان بن طلحة وقال ائتنى بالمفتاح وتقدم انه أسلم فى مدة صلح الحديبية وهاجر هو وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص رضى الله
عنهم فذهب عثمان إلى أمه سلافة بنت سعيد الانصارية الأوسية وقد أسلمت بعد ذلك رضى الله عنها فلما جاءها ليأخذ منها المفتاح
أبت أن تعطيه فقال ياأمه ادفعى لى المفتاح فانه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبت أن تعطيه وقالت لا واللات والعزى فقال
لها لا لات ولا عزى قد جاء أمر غير ما كنا فيه والله لتعطنه وانك ان لم تفعلى قتلت أنا وأخى وأنت قتلتينا والله لتدفعنه أو ليأتين غيرى
فيأخذه منك فادخلته فى حجرتها وقالت أى رجل يدخل يده هنا قال الزهرى وأبطأ (٣٢٩) عثمان على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو ينتظر
حتى انه لينحدر منه
مثل الجمان من العرق
و يقول مايحبسه وفى رواية
فجعلت تقول ان أخذه
منكم لايعطيكموه فبينما
هو يكلمها اذ سمعت
صوت أبى بكر وعمر
رضى الله عنهما فى الدار
وعمر رافع صوته وهو
يقول ياعثمان اخرج
فقالت يابنى خذ المفتاح
فان تأخذه أحب إلى من
أن يأخذه تيم وعدى أى
أبو بكر وعمر فأخذه
عثمان فخرج يمشى حتى
إذا كان قريبا من وجه
رسول الله صلى الله عليه
وسلم عثر عثمان فسقط
منه المفتاح فحنى عليه
وتناوله وفى رواية فاستقبله
صلى الله عليه وسلم ببشر
ففتح له عثمان الباب
وفى رواية فأخذه صلى
(٤٢ - حل - نى) الله عليه وسلم منه وفتح الكعبة فيحتمل انهما تشاركا فى الفتح فقد روى الفاكهى عن ابن عمر رضى
الله عنهما قال كانت بنو أبى طلحة يزعمون انه لايستطيع أحد فتح الكعبة غيرهم فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم المفتاح
ففتح بيده قال العلامة الزرقانى و يحتمل الجمع بانه صلى الله عليه وسلم لما فتح الضبة بالمفتاح عاونه عثمان فدفع الباب ففتحه له أى
فصح اسناد الفتح لكل منهما وجاء ان خالد بن الوليد كان حين دخل النبى صلى الله عليه وسلم الكعبة على باب الكعبة يذب الناس
ولما خرج صلى الله عليه وسلم من الكعبة جلس فى المسجد ومفتاح الكعبة فى يده فقام اليه على رضى الله عنه فقال يارسول الله
اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم ما معناه انما أعطيكم ماتبذلون فيه أموالكم للناس أى وهو
السقاية لاما تأخذون فيه من الناس أموالهم وهى الحجابة لشرفكم وعلو مقامكم وفى رواية أن العباس رضى الله عنه تطاول يومئذ

المؤمنين رضى الله عنها وعظيمهم سلام بن مشكم و رئيسهم كنانة بن أبى الحقيق وهوذة بن قيس
وأبو عامر الفاسق إلى أن قدموا مكة على قريش يدعونهم و يحرضونهم على حرب رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقالوا انا سنكون معكم عليه حتى نستأصله أى ونكون معكم على عداوته فقال أبو سفيان
مرحبا وأهلا وأحب الناس الينا من أعاننا على عداوة محمد زاد فى رواية فقال لهم لكن لا نأمنكم إلا ان
سجدتم لآلهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا فقالت قريش لأولئك اليهود يامعشر يهود انكم أهل
الكتاب الأول والعلم أخبرونا عما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد أفديننا خير أم دين محمد قالوا بل
دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق منه وفى رواية أنحن أهدى سبيلا أم محمد فقالوا أنتم أهدى سبيلا
أى لانكم تعظمون هذا البيت وتقومون على السقاية وتنحرون البدن وتعبدون ما كان يعبد آباؤكم
أى فأنتم أولى بالحق منه فأنزل الله تعالى فيهم ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت
والطاغوت الآيات فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ونشطهم لما دعوهم اليه من حرب رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعند ذلك خرج من بطون قريش خمسون رجلا وتحالفوا وقد ألصقوا أكبادهم
بالكعبة متعلقين بأستارها ان لايخذل بعضهم بعضا و يكونون كلهم يدا واحدة على محمد صلى الله عليه
وسلم مابقى منهم رجل وقد أشار إلى ذلك صاحب الهمزية رحمه الله بأبيات ذم فيها اليهود لعنهم الله
بأمور بقوله

لاتكذب ان اليهود وقد زا * غوا عن الحق معشر لؤماء
جحدوا المصطفى وآمن بالطا * غوت قوم هم عندهم شرفاء
قتلوا الأنبياء واتخذوا العجـل ألا انهم هم السفهاء
وسفيه من ساءه المن والسلـوى وارضاه الفوم والقثاء
ملئت بالخبيث منهم بطون * فهى نار طباقها الأمعاء
لو أريدوا فى حال سبت بخير * كان سبتا لديهم الاربعاء
هو يوم مبارك قيل للتصـريف فيه من اليهود اعتداء
فبظلم منهم وكفر عدتهم * طيبات فى تركهن ابتلاء

أى لاتكذب ان اليهود والحال انهم قد مالوا عن الحق قوم لؤماء واللئيم الدنى الاصل الشحيح النفس
ومن عظيم لؤمهم انهم جحدوا نبوته ﷺ ورسالته والحال انه قد آمن بالطاغوت وهو كل

لأخذ المفتاح فى رجال من بنى هاشم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أين عثمان بن طلحة فدعى به فقال هاك مفتاحك ياعثمان
اليوم يوم بر و وفاء وأنزل الله هذه الآية فى شأن عثمان بن طلحة ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها و روى الازرقى وغيره
عن مجاهد قال نزلت هذه الآية فى عثمان بن طلحة أخذ عليه الصلاة والسلام منه مفتاح الكعبة ودخلها يوم الفتح فخرج وهو
يتلوها فدعا عثمان فدفع المفتاح اليه وقال خذوها أى الحجابة يابنى أبى طلحة لاينزعها منكم إلا ظالم قال وقال عمر رضى الله عنه
خرج صلى الله عليه وسلم من الكعبة وهو يتلو هذه الآية ماسمعته يتلوها قبل ذلك قال السيوطى ظاهر هذا انها أنزلت فى جوف
الكعبة وروى الأزرقى عن ابن المسيب خذوها خالدة تالدة لايظلمكوها إلا كافر وفى رواية عند ابن أبى شيبة عن عبد الرحمن
ابن سابط انه صلى الله عليه وسلم  دفع المفتاح إلى عثمان فقال خذوها خالدة مخلدة انى لم أدفعها اليكم ولكن الله دفعها
اليكم ولاينزعها منكم الا ظالم وروى ابن سعد وغيره عن عثمان بن طلحة رضى الله عنه قال لقينى صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة فدعانى الى الاسلام فقلت يامحمد العجب لك حيث تطمع ان أتبعك وقد خالفت دين قومك وجئت بدين محدث قال وكنا نفتح الكعبة فى الجاهلية يوم الاثنين والخميس فاقبل النبي صلى الله عليه وسلم يوما يريد أن يدخل الكعبة مع الناس وذلك بعد بعثته فاغلظت له ونلت منه فحلم عنى ثم قال ياعثمان لعلك سترى هذا المفتاح يوما بيدى أضعه حيث شئت فقلت لقد هلكت قريش يومئذ وذلت يعنى مادامت قريش انك لاتقدر على
ذلك فقال بل عمرت وعزت يومئذ ودخل الكعبة فوقعت كلمته منى موقعا ظننت أن الأمر سيصير وتقدم
إلى ما قال أى لانه كان معروفا بينهم بالصدق والامانة قال عثمان فاردت الاسلام فاذا قومى يزبروننى زبرا شديدا فلما كان يوم
الفتح قال ياعثمان ائتنى بالمفتاح فأتيته به ثم دفعه إلى وقال خذوها يعنى سدانة البيت خالدة تالدة لاينزعها منكم الاظالم ياعثمان ان
الله استأمنكم على بيته فكلوا مما يصل اليكم من هذا البيت بالمعروف قال عثمان فلما وليت نادانى فرجعت اليه فقال ألم يكن الذى
قلت لك فذكرت قوله لى بمكة قبل الهجرة لعلك سترى هذا المفتاح بيدى أضعه حيث شئت قلت بلى أشهد أنك رسول الله وفى تفسير
الثعالبى بلا سند أن هذه الآية ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها نزلت فى عثمان بن طلحة الحجبى أمره عليه الصلاة والسلام
أن يأتيه بمفتاح الكعبة فأبى عليه وأغلق باب البيت وصعد إلى السطح وقال لو علمت انه رسول الله لم أمنعه فلوى على يده وأخذ منه

ماعبد من دون الله مأخوذ من الطغيان قوم هم عندهم شرفاء وهم كفار قريش ورد ان اليهود قتلوا
فى يوم واحد سبعين نبيا ومن جملة من قتلوا زكريا و يحيى واتخذوا العجل إلها يعبدونه ومن يفعل
ذلك لاسفيه غيره ومن أرضاه الفوم والقثاء بدل المن وهو نوع من الحلواء والسلوى نوع من الطير
سفيه بلاشك ملئت بالحرام كالربا بطون منهم فبطونهم نار لاشتمالها على مايؤدى إلى تلك النار
طباق تلك النار المصارين ولو أراد الله لليهود فى حال سبتهم الذى اختاروا تعظيمه على ماتقدم
خيرا لكان يوم الأربعاء يوم سبتهم لانه يوم خلق فيه النور فاختيار يوم السبت دون يوم الاربعاء
لسبتهم أى سكوتهم عما عدا العبادة دليل على انه تعالى لم يرد بهم الخير ويوم السبت ابتدأ الله فيه خلق
العالم خلافا لهم حيث قالوا ان ذلك أى ابتداء الخلق كان يوم الأحد وفرغ من الخلق يوم الجمعة
واستراح يوم السبت قالوا فنحن نستريح فيه كما استراح الرب تعالى فيه قالوا فان الله لايقضى يوم
السبت شيئا من خلق ولا رزق ولا رحمة ولاعذاب ولا احياء ولا إماتة ومن مات يوم السبت يكون محى
اسمه من اللوح المحفوظ قبل ذلك وقد كذبهم الله تعالى بقوله كل يوم هو فى شان فكان فيه منهم
ظلم وعدوان لأجل التصرف فيه بغير العبادة فبسبب ظلم وكفر حاصل منهم فيه فاتهم طيبات
كانت حلالا لهم فحرمها الله تعالى عليهم فكان فى ذلك ابتلاء لهم ونقل عن ابن حجر الهيثمى رحمه الله
انه بحث استحباب صوم يوم الأربعاء لما ذكر من انه خلق فيه النور فليتأمل ثم جاء أولئك إلى
غطفان ودعوهم وحرضوهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا لهم انا سنكون معكم وان
قريشا قد بايعوهم على ذلك وجعلوا لهم تمر خيبر سنة ان هم نصروهم عليه فتجهزت قريش أى
وأتباعها من القبائل وغطفان أى وأتباعها وقائد قريش أبو سفيان بن حرب وكانوا أربعة آلاف
ومعهم ثلثمائة فرس أى وألف وخمسمائة بعير وعقد اللواء فى دار الندوة وحمله عثمان بن طلحة بن
أبى طلحة المقتول والده الذى هو طلحة يوم أحد وكذا عماه أى عما عثمان بن طلحة وهما عثمان بن
أبى طلحة وأبو سعيد بن أبى طلحة وعثمان بن أبى طلحة هو أبو شيبة كما تقدم فشيبة ابن عم عثمان
ابن طلحة وقتل يوم أحد أخوة عثمان بن طلحة الأربعة وهم مسافع بن طلحة والحرث بن طلحة
وكلاب بن طلحة والجلاس بن طلحة وعثمان بن طلحة هذا أى الحامل لواء قريش أسلم بعد ذلك ويقال
له الحجبى لانه كان من بنى عبد الدار وهم سدنة الكعبة وبنو عبد الدار كان لهم ولايتهم حمل لواء قريش
عند الحرب دون غيرهم كما تقدم وقائد غطفان عيينة بن حصن الفزارى فى بنى فزارة أى وهم ألف

المفتاح وفتح الباب فدخل صلى الله عليه وسلم البيت فلما خرج سأله العباس أن يعطيه المفتاح ويجمع له بين السقاية والسدانة فأنزل الله هذه الآية فأمر صلى الله عليه وسلم عليا أن يرد المفتاح الى عثمان و يعتذر اليه ففعل ذلك على رضى الله عنه فقال عثمان لعلى رضى الله عنهما أكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال على رضى الله عنه لقد أنزل الله فى شأنك قرآنا وقرأ عليه الآية فقال عثمان أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وأسلم قال الحافظ ابن حجر هذه الرواية منكرة والمعروف أنه أسلم قبل الفتح وها جر مع عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وكذا قوله فى أول الحديث فلوى على يده وأخذ المفتاح مع قوله قبله لو علمت أنه رسول الله لم أمنعه فان ذلك كله منكر قال الزرقانى ولعله بفرض صحته وقع من ابن عمه شيبة لأنه لم يكن أسلم بعد لكن بعده لا يخفى لأنه لم يمكن من هو أجل منه منع شىء ولا قول شىء يومئذ والروايات السابقة هى التى صحت بها الأحاديث ( ٣٣١ ) وعثمان المذكور هذا هو ابن طلحة

وتقدم أن عيينة أسلم بعد ذلك ثم ارتد بعد إسلامه وأخذ أسيرا فى زمن خلافة الصديق رضى الله عنه ثم أسلم وكان قبل إسلامه يتبعه عشرة آلاف قناة وكان عنده جفوة وغلظة ومن ثم قال ﷺ فى حقه انه الأحمق المطاع وقال فيه إن شر الناس من ودعه الناس اتقاء شره وقائد بنى مرة أى وهم أربعمائة الحرث بن عوف المرى وأسلم بعد ذلك أى وقيل لم تحضر بنو مرة وقائد بنى أشجع أبو مسعود ابن رخيلة بضم الراء وفتح الخاء المعجمة وأسلم بعد ذلك أى وقائد بنى سليم وهم سبعمائة سفيان بن عبد شمس لا يعلم إسلامه أى وقائد بنى أسد طليحة بن خويلد الأسدى وأسلم بعد ذلك أى بعد أن كان ارتد بعد إسلامه ثم حسن إسلامه وكانت أشجع و بنو أسد تتمة العشرة آلاف فقد قال بعضهم كانت الأحزاب عشرة آلاف وهم ثلاث عساكر وملاك أمرها لأبى سفيان أى المدبر لامرها والقائم بشأنها ولما تهيأت قريش للخروج أتى ركب من خزاعة فى أربع ليال حتى أخبروا رسول الله ﷺ فلما سمع رسول الله ﷺ بما أجمعوا عليه ندب الناس أى دعاهم وأخبرهم خبر عدوهم وشاورهم فى أمرهم أى قال لهم هل نبرز من المدينة أو نكون فيها فأشير عليه بالخندق أى أشار عليه بذلك سلمان الفارسى رضى الله عنه فقال يارسول الله إنا كنا بأرض فارس إذا تخوفنا الخيل خندقنا علينا أى فان ذلك كان من مكايد الفرس وأول من فعله من ملوك الفرس ملك كان فى زمن موسى بن عمران صلوات الله وسلامه عليه فأعجبهم ذلك فضرب على المدينة الخندق أى وعند ذلك ركب رسول الله ﷺ فرسا له ومعه عدة من المهاجرين والأنصار فارتاد موضعا ينزل له وجعل سلعا خلف ظهره وأمرهم بالجد ووعدهم النصر إنهم صبروا فعمل فيه رسول الله ﷺ مع المسلمين أى وحمل التراب على ظهره الشريف ودأب المسلمون يبادرون قدوم العدو قال واستعاروا من بنى قريظة آلة كثيرة من مساحى وكرازين ومكاتل وكان من جملة من يعمل فى الخندق جعال أو جعيل ابن سراقة وكان رجلا دميما قبيح الوجه صالحا من أصحاب الصفة وهو الذى تمثل به الشيطان يوم أحد وقال ان محمدا قد قتل كما تقدم فغير ﷺ اسمه وسماه عمرا فجعل المسلمون يرتجزون ويقولون

سماه من بعد جعيل عمرا * وكان للبائس يوما ظهرا

وصار رسول الله ﷺ إذا قالوا عمرا قال عمرا وإذا قالوا ظهرا قال ظهرا انتهى أى وسياق أسد الغابة يدل على أن هذا الذى غير رسول الله ﷺ اسمه وسماه عمرا غير جعيل المذكور

ابن أبى طلحة واسم أبى طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصى بن كلاب العبدرى وطلحة أبو عثمان قتل كافرا يوم أحد ويقال لعثمان الحجبى ولآل بيته الحجبة ويعرفون الآن بالشيبيين نسبة الى شيبة بن عثمان ابن أبى طلحة وهو ابن عم عثمان بن طلحة بن أبى طلحة قال الحافظ بن حجر إن أبا طلحة له ولدان عثمان وطلحة أتى عثمان بشيبة وأتى طلحة بعثمان فلما مات عثمان بن طلحة ابن أبى طلحة أخذ المفتاح ابن عمه شيبة بن عثمان ابن أبى طلحة لأن عثمان ابن طلحة كان لا ولد له وبقى فى أولاد شيبة وهم الشيبيون قال العلامة الزرقانى وفى هذه الأخبار كلها دليل على بقاء عقبهم الى الآن قال العلامة الشمس الحطاب المالكى المكى ولا التفات الى قول بعض المؤرخين أن عقبهما انقطع فى خلافة هشام بن عبد الملك فانه غلط لقول مالك رضى الله عنه لا يشرك مع الحجبة فى الخزانة أحد لأنها ولاية منه صلى الله عليه وسلم ومالك ولد بعد هشام بن عبد الملك بنحو عشرين سنة وذكر ابن حزم وابن عبد البر جماعة منهم فى زمانهما وعاشا الى ما بعد نصف المائة الخامسة وكذا ذكر العلامة القلقشندى وعاش الى احدى وعشرين وثمانمائة ولا دلالة لزاعم انقراضهم فى اخدام معاوية رضى الله عنه الكعبة عبيدا لأن اخدامها غير ولاية فتحها كما هو معلوم وكثيرا ما يقع فى كلام المؤرخين كالازرقى والفاكهى ذكر الحجبة ثم الخدمة بما يدل على التغاير انتهى وقد تقدم الكلام على إسلام عثمان بن طلحة بن أبى طلحة فى قصة إسلام خالد بن الوليد وعمرو ابن العاص رضى الله عنهم وأما شيبة بن عثمان بن أبى طلحة فأسلم عام الفتح وكان رضى الله عنه يحدث عن سبب إسلامه فيقول

مارأيت أعجب مما كنا فيه من لزوم بعض ماعليه آباؤنا من الضلالات ولما كان عام الفتح ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ثم صار الى حرب هوازن قلت أسير مع قريش الى هوازن بحنين فعسى إن اختلطوا أن أصيب من محمد غرة فأقتله فأكون أنا الذى قمت بثار قريش كلها وفى لفظ اليوم أدرك ثارى من محمد أى لأن أباه وعمه وجملة من بنى عمه قتلوا يوم أحد قتلهم حمزة وعلى وغيرهم رضى الله عنهم قال وقلت لولم يبق من العرب والعجم أحد الا أتبع محمدا ما تبعته لا يزداد ذلك الامر عندى إلا شدة فلما اختلط الناس يوم حنين ونزل صلى الله عليه وسلم عن بغلته أصلت السيف ودنوت منه أريد الذى أريد منه ورفعت السيف حتى كدت أوقع به الفعل رفع الى شواظ من نار كالبرق كاد يهلكنى فوضعت يدى على بصرى خوفا عليه وفى رواية فلما هممت به حال بينى و بينه خندق من نار وسور من حديد ولا مانع  من وقوع كل ذلك قال فالتفت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبسم وعرف الذى أريد فنادانى ياشيبة ادن منى فدنوت منه فمسح صدرى ثم قال اللهم أعذه من الشيطان قال شيبة فوالله لهو فى الساعة صار أحب الى من سمعى و بصرى وأذهب الله ما كان فى ثم قال ادن فقاتل فتقدمت أمامه أضرب بسيفى والله أعلم انى أحب أن أقيه بنفسى وكل شىء ولو كان أبى حيا ولقيته تلك الساعة لاوقعت السيف به فجعلت ألزمه فيمن لزمه أى ثبت معه يوم حنين حتى تراجع المسلمون وكروا كرة رجل واحد وقربت اليه بغلته فاستوى عليها قائما وجاء فى رواية عن شيبة بن عثمان الحجبى رضى الله عنه قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فوالله إنى لو أقف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قلت يارسول الله إنى لأرى هذا خيلا بلقا قال ياشيبة انه لايراها إلا كافر فضرب بيده على صدرى ثم قال اللهم اهد شيبة فعل ذلك ثلاثا فما رفع صلى الله عليه وسلم يده عن صدرى الثالثة حتى ما أجد من خلق الله أحب الى منه ولما انقضى القتال ورجع صلى الله عليه وسلم الى معسكره فدخل خباءه دخلت عليه مادخل عليه غيرى حبا لرؤية وجهه صلى الله عليه وسلم وسرورا به فقال ياشيبة الذى أراد الله خير مما أردت لنفسك ثم حدثنى بكل ما أضمرته فى نفسى مما لم أذكره لأحد قط فقلت إنى أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله ثم قلت له استغفر لى فقال غفر الله لك وجاء أن بلالا رضى الله عنه أمره النبى صلى الله عليه وسلم أن يؤذن ظهر يوم الفتح على ظهر الكعبة ليغيظ بذلك المشركين وكان أبو سفيان وعتاب بن أسيد وفى رواية وخالد بن أسيد أخو عتاب والحرث بن هشام وغيرهم جلوسا بفناء

---

وحصل للصحابة رضى الله عنهم تعب وجوع لأنه كان فى زمن عسرة وعام مجاعة ولما رأى رسول الله ﷺ ما بأصحابه من النصب والجوع قال متمثلا بقول ابن رواحة رضى الله عنه

اللهم لاعيش إلاعيش الآخره * فارحم الأنصار والمهاجره

قيل و إنما قال ابن رواحة لاهم إن العيش من غير ألف ولام فقد غيره ﷺ على ما هو عادته كما تقدم وفى لفظ

اللهم لاخير إلا خير الآخره * فبارك فى الأنصار والمهاجره

وفى لفظ فاكرم الانصار والمهاجره وتقدم فى بناء المسجد

اللهم إن الأجر أجر الآخره * فارحم الأنصار والمهاجره

زاد فى الامتاع

اللهم العن عضلا والقاره * هم كلفونى أنقل الحجاره

وفى لفظ هم كلفونا ننقل الحجاره قال الحافظ ابن حجر ولعله كان والعن إلهى عضلا والقاره أى والتغيير منه صلى الله عليه وسلم وفى لفظ

اللهم لاخير إلا خير الآخره * فارحم المهاجرين والأناصره

وفى لفظ فانصر الأنصار والمهاجره وأجابوه رضى الله عنهم بقولهم

نحن الذين بايعوا محمدا * على الجهاد ما بقينا أبدا

وقال ﷺ متمثلا بقول ابن رواحة وهو ينقل التراب وقد وارى الغبار جلد بطنه الشريف

اللهم لولا أنت مااهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا

فانزلن سكينة علينا * وثبت الأقدام إذ لاقينا

والمشركون قد بغوا علينا * وإن أرادوا فتنة أبينا

يمد بها صوته مكررا لها أبينا أبينا ولما بدأ ﷺ بالحفر فى الخندق قال بسم الاله وبه بدينا بكسر الدال

ولو عبدنا غيره شقينا * ياحبذا ربا وحب دينا

وفى الامتاع أنه ﷺ قال ماتقدم عنه فى بناء المسجد وهو

الكعبة فقال عتاب بن أسيد أو خالد بن اسيد لقد أكرم الله أسيدا ان لا يكون يسمع هذا فيسمع منه مايغيظه وقال الحرث بن هشام اما والله لو اعلم انه حق لاتبعته ان يكن الله يكره هذا فسيغيره وفي رواية انه قال اما وجد محمد غير هذا الغراب الاسود مؤذنا وقال بعض بني سعيد بن العاص لقد أكرم الله سعيدا اقبل أن يرى هذا الاسود على ظهر الكعبة وقال الحكم بن أبي العاص والله ان هذا لحدث عظيم عبد بني جمح يصيح على بنية أبي طلحة وقال أبو سفيان لا أقول شيئا لو تكلمت لأخبرت عني هذه الحصباء فخرج عليهم النبي ﷺ فقال لهم قد علمت الذي قلتم ثم ذكر لهم ذلك فقال أما أنت يافلان فقلت كذا وأما أنت يافلان فقلت كذا وأما أنت يافلان فقلت كذا فقال أبو سفيان أما أنا يارسول الله فما قلت شيئا فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الحرث بن هشام وعتاب بن اسيد وخالد بن أسيد نشهد انك رسول الله والله مااطلع على هذا أحد كان معنا فنقول (٣٣٣) أخبرك وصار بعض من قريش يستهزؤن ويحكون صوت بلال غيظا وكان من جملتهم أبو محذورة وكان من أحسنهم صوتا فلما رفع صوته بالاذان مستهزئا سمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر به النبي صلى الله عليه وسلم فمثل بين يديه وهو يظن انه مقتول فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم ناصيته وصدره بيده الشريفة قال فامتلأ قلبي والله ايمانا ويقينا وعلمت انه رسول الله صلى الله عليه وسلم فالقى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الاذان وعلمه اياه وأمره أن يؤذن لاهل مكة وكان سنه ست عشرة سنة وأولاده بعده كانوا يتوارثون الاذان بمكة ويروى أن جويرة بنت أبي جهل قالت عند أذان بلال على ظهر الكعبة والله لانحب من قتل الاحبة أبدا ولقد جاء لابي الذي جاء لمحمد من النبوة فردها ولم يرد خلاف قومه ثم أسلمت وحسن اسلامها رضي الله عنها * وممن جاءه صلى الله عليه وسلم يوم الفتح السائب بن عبد الله المخزومي وقيل عبد الله بن السائب وقيل السائب بن عويم وقيل قيس بن السائب بن عويم وكان شريكا للنبي ﷺ قبل بعثته صلى الله عليه وسلم قال لما أسلمت أخذ عثمان وغيره يثنون علي فقال صلى الله عليه وسلم لا تعلموني به كان صاحبي وفي لفظ لما اقبلت عليه قال مرحبا بأخي وشريكي كان لايداري ولا يماري قد كنت تعمل أعمالا في الجاهلية لا تتقبل منك أي لتوقفها على الاسلام وهي اليوم تتقبل منك أي لوجود الاسلام وجاء ان فضالة بن عمير بن الملوح حدث نفسه بقتل النبي صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت عام الفتح فلما دنا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أفضالة قال نعم فضالة يارسول الله قال ماذا كنت تحدث به نفسك قال لاشيء كنت أذكر الله فضحك النبي ﷺ ثم قال استغفر الله ثم وضع يده الشريفة على صدره فسكن قلبه فكان فضالة رضي الله عنه يقول والله مارفع يده عن

---

هذا الحمال لاحمال خيبر * هذا أبر ربنا وأطهر

وتقدم الكلام عليه وعلى انشاده الشعر في الكلام على بناء المسجد أي ورأيت أن عمار بن ياسر رضي الله عنه حين كان يحفر في الخندق جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح رأسه ويقول ابن سمية تقتلك الفئة الباغية أي كما تقدم له في بناء المسجد وصار الشخص منهم اذا نابته النائبة من الحاجة التي لابد له منها يذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويستأذنه في اللحوق بها فاذا قضى حاجته رجع إلى ما كان عليه من عمله رغبة في الخير وتباطأ رجال من المنافقين وجعلوا يورون بالضعف وصار الواحد منهم يتسلل إلى أهله من غير استئذان له صلى الله عليه وسلم أي وكان زيد بن ثابت ممن ينقل التراب فقال رسول الله ﷺ في حقه اما انه نعم الغلام وغلبته عينه فنام في الخندق فاخذ عمارة ابن حزم سلاحه وهو نائم فلما قام فزع على سلاحه فقال له ﷺ يابارقد نمت حتى ذهب سلاحك ثم قال من له علم بسلاح هذا الغلام فقال عمارة انا يارسول الله وهو عندي فقال رده عليه ونهى أن يروع المسلم ويؤخذ متاعه لاعبا واليه استند أئمتنا في تحريم أخذ متاع الغير مع عدم علمه بذلك واشتد على الصحابة رضي الله عنهم في حفر الخندق كدية أي محل صلب فشكوا ذلك لرسول الله ﷺ فاخذ المعول وضرب فصارت كثيبا اهيل أو اهيم أي رملا سائلا وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم دعا بماء ثم تفل عليه ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به ثم نضح ذلك الماء أي رشه على تلك الكدية قال بعض الحاضرين فوالذي بعثه بالحق لانهالت حتى عادت كالكثيب أي الرمل ماترد فاسا ولا مسحاة وهي المجرفة من الحديد أي وكان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ينقلان التراب في ثيابهما اذا لم يجدا مكاتل من العجلة وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال ضربت في ناحية من الخندق فغلظت علي ورسول الله صلى الله عليه وسلم قريب مني فلما رآني أضرب ورأى شدة المكان علي نزل فاخذ المعول من يدي فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة ثم ضرب به أخرى فلمعت تحته برقة أخرى ثم ضرب به الثالثة فلمعت برقة أخرى فقلت بأبي أنت وأمي يارسول الله ماهذا الذي رأيت يلمع تحت المعول وأنت تضرب قال أوقد رأيت ذلك ياسلمان قال قلت نعم قال أما الأولى فان الله تعالى فتح علي بها اليمن وأما الثانية فان الله فتح علي بها الشام والمغرب وأما الثالثة فان الله فتح علي بها المشرق قال وقد

صدرى حتى ماخلق الله شيئا أحب إلى منه وفى سيرة ابن هشام قال فضالة فرجعت إلى أهلى فمررت بامرأة كنت أتحدث اليها فقالت هلم إلى الحديث فقلت لا وانبعث فضالة رضى الله عنه يقول    قالت هلم إلى الحديث فقلت لا * يأبى على الله والاسلام لو مارأيت محمدا وقبيله * بالفتح يوم تكسر الاصنام    لرأيت دين الله أضحى بينا * والشرك يغشى وجهه الاظلام ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكعبة وجلس فى المسجد والناس حوله ذهب أبو بكر رضى الله عنه وجاء بابيه عثمان ويكنى بابى قحافة يقوده وقد كف بصره فلما رآه صلى الله عليه وسلم قال هلا تركت الشيخ فى بيته حتى أكون أنا آتيه وفى لفظ لو أقررت الشيخ فى بيته لآتيناه تكرمة لابى بكر رضى الله عنه فقال أبو بكر رضى الله عنه يارسول هو أحق أن يمشى اليك من أن تمشى أنت اليه فاجلسه بين يدى  رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره وقال أسلم

تسلم فاسلم ولم يعش لابى قحافة ابن ذكر الا ابو بكر رضى الله عنه وهنأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضى الله عنه باسلام أبيه وعند ذلك قال أبو بكر رضى الله عنه للنبى صلى الله عليه وسلم والذى بعثك بالحق لاسلام أبى طالب كان أقر لعينى من اسلامه يعنى اباه ابا قحافة وذلك ان اسلام أبى طالب كان أقر لعينك وكان رأس أبى قحافة رضى الله عنه ولحيته مبيضتين بالشيب فقال صلى الله عليه وسلم غيروها وجنبوه السواد وكانت أم أبى بكر بنت عم أبيه أسلمت قديما حين أسلم أبو بكر رضى الله عنه وأخته أم فروة رضى الله عنها اسلمت أيضا وبناؤه

و بناته قال بعضهم لم يكن أحد من الصحابة أسلم هو ووالده وأخته وجميع أولاده

و بناته غير أبى بكر رضى الله عنه و بنوه ثلاثة عبدالله وهو أكبرهم مات أول خلافة أبيه وعبد الرحمن ومحمد وكانت ولادة محمد رضى الله عنه عام حجة الوداع و بناته ثلاثة أسماء وهى أكبرهن وهى شقيقة عبدالله وعائشة وهى شقيقة عبدالرحمن وأم كلثوم مات أبو بكر رضى الله عنه وهى فى بطن امها واخبر بأنها انثى قبل وفاته وهى حمل فى بطن امها حيث قال لعائشة رضى الله عنها إنما هما اخواك وأختاك ولم تكن تعلم ان لها أختا غير اسماء رضى الله عنها فسألته عن ذلك فأشار الى الحمل المذكور وقال أراها أنثى فكان ذلك من كراماته رضى الله عنه وقد ذكر جملة من المفسرين ان هذه الآية نزلت فى أبى بكر الصديق رضي الله عنه رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لى فى ذريتى انى تبت اليك وانى من المسلمين أولئك الذين نتقبل عنهم

ذكر ان سلمان الفارسى رضى الله عنه تنافس فيه المهاجرون والانصار فقال المهاجرون سلمان منا وقالت الانصار سلمان منا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمان منا أهل البيت ولذلك يشير بعضهم بقوله    لقد رقى سلمان بعد رقه * منزلة شامخة البنيان

وكيف لا والمصطفى قد عده * من أهل بيته العظيم الشان

وانما وقع التنافس فى سلمان رضى الله عنه لانه كان رجلا قويا يعمل عمل عشرة رجال فى الخندق أى فكان يحفر فى كل يوم خمسة أذرع فى عمق خمسة أذرع حتى أصيب بالعين اصابه بالعين قيس بن صعصعة فلبط به أى بلام مضمومة فموحدة مكسورة فطاء مهملة صرع فجأة وتعطل عن العمل فاخبر النبى صلى الله عليه وسلم بذلك فقال صلى الله عليه وسلم مروه فليتوضأ وليغتسل ويكفىء الاناء خلفه ففعل فكأنما نشط أى حل من عقال وفى لفظ فامر أن يتوضأ قيس لسلمان ويجمع وضوأه فى ظرف ويغتسل سلمان بتلك الغسالة ويكفىء الاناء خلف ظهره وذكر انه لما اشتدت تلك الكدية على سلمان أخذ ﷺ المعول من سلمان وقال بسم الله وضرب ضربة فكسر ثلثها وبرقت برقة فخرج نور من قبل اليمن كالمصباح فى جوف ليل مظلم فكبر رسول الله ﷺ وقال أعطيت مفاتيح اليمن انى لابصر أبواب صنعاء من مكان الساعة كأنها أنياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقطع ثلثا آخر فخرج نور من قبل الروم فكبر رسول الله ﷺ وقال أعطيت مفاتيح الشام والله انى لابصر قصورها أى زاد فى رواية الحمر ثم ضرب الثالثة فقطع بقية الحجر وبرق برقة فكبر وقال أعطيت مفاتيح فارس والله انى لابصر قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب فى مكانى هذا أى وفى رواية انى لابصر قصر المدائن الابيض الآن وجعل ﷺ يصف لسلمان أماكن فارس ويقول سلمان صدقت يارسول الله هذه صفتها أشهد أنك رسول الله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه فتوح يفتحها الله بعدى ياسلمان اه أى وعند ذلك قال جمع من المنافقين منهم معتب بن قشير ألا تعجبون من محمد يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق أى الخوف لا تستطيعون أن تبرزوا فانزل الله تعالى قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء الآية وقيل فى سبب نزولها انه ﷺ لما فتح مكة وعد أمته ملك فارس والروم فقال المنافقون واليهود هيهات هيهات من أين لمحمد ملك فارس والروم وهم اعز وأمنع من ذلك ولما فرغ رسول الله

صلى

أحسن ماعملوا ونتجاوز عن سيئاتهم فى أصحاب الجنة وعد الصدق الذى كانوا يوعدون قال بعضهم لا يعرف فى الصحابة أربعة متناسلون أسلموا وأصحبوا النبي ﷺ وكل واحد أبو الذى بعده الافى بيت أبى بكر رضى الله عنه أبو قحافة وابنه أبو بكر وابنه عبد الرحمن وابن عبد الرحمن محمد ومن أثبت غير ذلك كزيد بن حارثة وأبيه حارثة أى فانه أسلم وابنه أسامة بن زيد وابن أسامة فقد نوزع فى ثبوت ان ابن أسامة رآه النبي ﷺ فاما أبو بكر رضى الله عنه وأهل بيته فمتفق على ثبوت ذلك فيهم وبقى من الأصنام التى كانت على الكعبة صنم لخزاعة كان فوق الكعبة وكان من صفر وفى رواية من نحاس موتدا باوتاد من حديد الى الارض فامر النبي ﷺ عليا رضى الله عنه أن يرميه فرمى به وكسره وجعل أهل مكة يتعجبون وروى الحاكم عن على رضى الله عنه قال انطلق بى صلى الله عليه وسلم حتى أتى بى الكعبة فقال اجلس



فجلست الى جنب الكعبة فصعد على منكبي ثم قال انهض فنهضت فلما رأى ضعفى تحته قال اجلس فجلست ثم قال يا على اصعد على منكبي ففعلت فلما نهض بى خيل لى انى لو شئت نلت أفق السماء فصعدت فوق الكعبة وتنحى صلى الله عليه وسلم فقال ألق صنمهم الأكبر وعالجه قال فلم أزل أعالجه حتى استمكنت منه فالقيته وقد أجاد القائل

يارب بالقدم التى أوطأتها
من قاب قوسين المحل الأعظما
وبحرمة القدم التى جعلت لها
كتف المؤيد بالرسالة سلما
ثبت على متن الصراط تكرما
قدمى وكن لى منقذا ومسلما
واجعلهما ذخرى فمن كانا له
ذخرا فليس يخاف قط جهنما

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما قدم رسول الله ﷺ مكة أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة أى بحسب زعمهم وكانت تماثيل على صور شتى فامر بها فاخرجت وفى رواية أمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو بالبطحاء أن ياتى الكعبة فيمحو كل صورة فيها فلم يدخلها حتى محيت الصور فكان عمر رضى الله عنه هو الذى أخرجها وأخرجوا صورة ابراهيم واسمعيل عليهما السلام فى أيديهما الازلام التى كانوا يستقسمون بها فقال رسول الله ﷺ قاتلهم الله أما والله لقد علموا انهما لم يستقسما بها قط وفى رواية عن جابر رضى الله عنه وكان عمر رضى الله عنه قد ترك صورة ابراهيم عليه السلام فلما دخل صلى الله عليه وسلم رآها فقيل يا عمر ألم آمرك أن لا تدع فيها صورة قاتلهم الله جعلوه شيخا يستقسم بالازلام ثم رأى صورة مريم فقال امسحوا ما فيها من الصورة قاتل الله قوما يصورون مالا يخلقون وفى رواية أسامة بن زيد رضى الله عنهما أنه ﷺ دخل

ﷺ من حفر الخندق أقبلت قريش ومن معها وكانوا عشرة آلاف كما تقدم فنزلت قريش بمجمع الاسيال وغطفان ومن معهم الى جانب أحد وكان المسلمون ثلاثة آلاف أى وقد قال ابن اسحق سبعمائة ووهم فى ذلك وقال ابن حزم انه الصحيح الذى لاشك فيه ولا وهم وعسكر بهم صلى الله عليه وسلم الى سفح سلع وهو جبل فوق المدينة أى فجعل ظهر عسكره الى سلع كما تقدم والخندق بينه وبين القوم أى وضربت له ﷺ قبة من أدم قال وكان صلى الله عليه وسلم يعقب فيها بين ثلاثة من نسائه عائشة وأم سلمة وزينب بنت جحش فتكون عائشة عنده أياما أى فانه مكث فى عمل الخندق بضع عشرة ليلة وقيل أربعا وعشرين ليلة أى وقيل عشرين ليلة وقيل قريبا من شهر وقيل شهرا قال بعضهم وكونه قريبا من شهر هو أثبت الاقاويل وقيل أثبت الاقاويل انها كانت خمسة عشر يوما وبه جزم النووى رحمه الله فى الروضة وسائر نسائه صلى الله عليه وسلم فى بنى حارثة وجعل النساء والذرارى فى الآطام وعرض الغلمان وهو يحفر الخندق وكانوا اجمعهم من بلغ ومن لم يبلغ يعملون فيه فلما التحم الامر أمر من لم يبلغ خمس عشرة سنة أن يرجع الى أهله وأجاز من بلغ خمس عشرة سنة فمن أجازه عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما وزيد بن ثابت وأبو سعيد الخدرى والبراء بن عازب رضى الله عنهم اه وشبكوا المدينة بالبنيان من كل ناحية فصارت كالحصن وفى كلام بعضهم كان أحد جوانب المدينة عورة وسائر جوانبها مشتبكة بالبنيان والنخيل لا يتمكن العدو منه فاختار ذلك الجانب للخندق واستخلف ﷺ على المدينة ابن أم مكتوم رضى الله عنه وأرسل سليطا وسفيان بن عوف طليعة للاحزاب فقتلوهما فاتى بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفنهما فى قبر واحد فهما الشهيدان القرينان وأعطى لواء المهاجرين لزيد بن حارثة ولواء الأنصار لسعد بن عبادة وبعث مسلمة بن أسلم فى مائتى رجل وزيد بن حارثة فى ثلثمائة رجل يحرسون المدينة ويظهرون التكبير تخوفا على الذرارى من بنى قريظة أى لما بلغه ﷺ انهم نقضوا ما بينه وبينهم من العهد كما سيأتى أى وأنهم يريدون الاغارة على المدينة فان حيي بن أخطب أرسل الى قريش أن يأتيه منهم ألف رجل والى غطفان أن يأتيه منهم ألف رجل أخرى ليغيروا على المدينة وجاء الخبر بذلك الى رسول الله ﷺ فعظم البلاء وصار الخوف على الذرارى أشد من الخوف على أهل الخندق ولما نظر المشركون الى الخندق قالوا والله ان هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها وصار

الكعبة فرأى صورا فدعا بماء فجعل يمحوها وهو محمول على أنه بقيت بقية خفيت على من محاها أولا وذكر بعضهم أن صورة عيسى وأمه بقيتا أو بقي بعض أثرهما حتى رآهما بعض من أسلم من نصارى غسان فقال انكما لبيلاد عربية فلما هدم ابن الزبير رضى الله عنهما البيت ذهبا فلم يبق لهما أثر ثم نادى منادى رسول الله ﷺ بمكة من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع فى بيته صنما الا كسره فكسروا الاصنام التى كانت فى بيوتهم وعمدت هند بنت عتبة رضى الله عنها الى صنم كان فى بيتها وجعلت تضربه وتقول كنا منك فى غرور ثم بعث رسول الله ﷺ السرايا الى كسر الأصنام التى حول مكة لانهم كانوا اتخذوا لهم أصناما جعلوا لها بيوتا يعظمونها ويهدون لها ويطوفون بها كما يطوفون بالكعبة فكان فى كل حى صنم فمنها العزى ومناة وسواع وسيأتى ذكر السرايا اليها (٣٣٦) ولما كان الغد من يوم الفتح عدت خزاعة على رجل من هذيل فقتلوه وهو مشرك فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا بعد الظهر مسندا ظهره الى الكعبة وقيل كان على راحلته فحمد الله وأثنى عليه وقال أيها الناس ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض ويوم خلق الشمس والقمر ووضع هذين الجبلين فهى حرام الى يوم القيامة فلا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر يسفك بها دما ولا يعضد فيها شجرة لم تحل لاحد كان قبلي ولم تحل لاحد يكون بعدى ولم تحل لى الا هذه الساعة يعنى من صبيحة يوم الفتح الى العصر غضبا على أهلها الا قد رجعت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس فليبلغ الشاهد منكم الغائب فمن قال لكم ان رسول الله ﷺ قد قاتل فيها فقولوا له ان الله تعالى قد أحلها لرسوله صلى الله عليه وسلم ولم يحلها لكم وقد جاء فى صحيح مسلم لا يحل أن يحمل السلاح بمكة يا معشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل فقد كثر القتل فمن قتل بعد مقامى هذا فاهله بخير النظرين ان شاؤا فدم قاتله وان شاؤا فعقله ثم ودى رسول الله ﷺ ذلك الرجل الذى قتلته خزاعة وهو ابن الاقرع الذهلى وكان مع بنى بكر فلما دخل مكة وهو على شركه عرفته خزاعة فاحاطوا به فطعنه منهم خراش الخزاعى بشقص فى بطنه حتى قتله فلامه ﷺ وقال لو كنت قاتلا مسلما بكافر لقتلت خراش والشقص ما طال من النصل وعرض وقال ﷺ يوم الفتح لا تغزى مكة بعد اليوم الى يوم القيامة أى لا تغزى على الكفر أى لا يقاتلوا على أن يسلموا واختلف العلماء رحمهم الله هل فتحت مكة صلحا أو عنوة فقال الاكثرون انها فتحت عنوة وقال الشافعى وأحمد فى رواية عنه

المشركون يتناوبون فيغدوا أبو سفيان فى أصحابه يوما ويغدو خالد بن الوليد يوما ويغدو عمرو بن العاص يوما ويغدو هبيرة بن أبى وهب يوما ويغدو عكرمة بن أبى جهل يوما ويغدو ضرار بن الخطاب يوما فلا يزالون يجيلون خيلهم ويفترقون مرة ويجتمعون أخرى ويناوشون أصحاب رسول صلى الله عليه وسلم أى يقربون منهم ويقدمون رجالهم فيرمون ومكثوا على ذلك المدة المتقدمة ولم يكن بينهم حرب الا الرمى بالنبل والحصا وفى تلك المدة أقبل نوفل بن عبد الله بن المغيرة على فرس له ليوثبه الخندق فوقع فى الخندق فقتله الله أى اندقت عنقه أى وفى لفظ وأما نوفل بن عبد الله فضرب فرسه ليدخل الخندق فوقع فيه مع فرسه فتحطما جميعا وقيل رمى بالحجارة فجعل يقول قتلة أحسن من هذه يا معشر العرب فنزل اليه على كرم الله وجهه فقتله أى ضربه بالسيف فقطعه نصفين وكبر ذلك على المشركين فارسلوا الى رسول الله ﷺ انا نعطيك الدية على أن تدفعه الينا فندفنه فرد عليهم رسول الله ﷺ بانه خبيث الدية فلعنه الله ولعن ديته ولا نمنعكم أن تدفنوه ولا أرب أى غرض لنا فى ديته وقيل اعطوا فى جثته عشرة آلاف أى وفى رواية أنهم أرسلوا اليه ﷺ ان أرسل الينا بجسده ونعطيك اثنى عشر ألفا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا خير فى جثته ولا فى ثمنه ادفعوه اليهم فانه خبيث الجسد خبيث الدية وفى لفظ انما هى جيفة حمار ثم ان عدو الله حيى بن أخطب سيد بنى النضير كان يقول لقريش فى مسيره معهم ان قومى بنى قريظة معكم وهم أهل حلقة وافرة وهم سبعمائة مقاتل وخمسون مقاتلا فقال له أبو سفيان ائت قومك حتى ينقضوا العهد الذى بينهم و بين محمد ﷺ فعند ذلك خرج حيي لعنه الله حتى أتى كعب بن أسد القرظى سيد بنى قريظة وولى عهدهم الذى عاهدهم عليه رسول الله ﷺ أى المتقدم ذكره فدق عليه باب حصنه فابى أن يفتح له وألح عليه فى ذلك فقال له ويحك يا حيي انك امرؤ مشؤوم وانى قد عاهدت محمدا فلست بناقض ما بينى وبينه ولم أر منه الا الوفاء وصدقا فقال له ويحك افتح لى أكلمك فقال ما أنا بفاعل فغاظه فقال له والله ما أغلقت دونى الا تخوفا على جشيشتك أى بالجيم المفتوحة والشين المعجمة وهى البر يطحن غليظا ويقال له الدشيش ان آكل معك منها ففتح له فقال له ويحك يا كعب جئت بعز الدهر جئتك بقريش حتى أنزلتهم بمجمع الاسيال وبغطفان حتى أنزلتهم بجانب أحد قد عاهدونى وعاقدونى أن لا يبرحوا حتى يستأصلوا محمدا ومن معه فقال له كعب جئتنى والله بذل الدهر وكل ما

أنها فتحت صلحا وجمع بعضهم بين الروايات بان اعلاها فتح صلحا أى الذى سلكه النبي صلى الله عليه وسلم وأسفلها فتح عنوة أى الذى سلكه خالد بن الوليد رضى الله عنه ولما قرب صلى الله عليه وسلم من دخول مكة أى قبل أن يدخلها بيوم قال له أسامة بن زيد رضى الله عنهما يارسول الله أين تنزل غدا زاد فى رواية أتنزل فى دارك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم وهل ترك لنا عقيل من منزل وفى رواية وهل ترك لناعقيل من رباع أو دور وكان عقيل ورث أباطالب هو وأخوه طالب ولم يرث جعفر ولا على معهما شيئا لأنهما كانا مسلمين وترك لهما النبي صلى الله عليه وسلم مايخصه تفضلا واستمالة وتأليفا لهما وقيل تصحيحا لتصرفات الجاهلية كما تصحح انكحتهم ثم ان عقيلا أسلم وأماطالب ففقد يبدر وكان مع المشركين وقيل اختطفته الجن وفى رواية للبخارى قال صلى الله عليه وسلم منزلنا إن شاء الله إذا فتح الله مكة الخيف وفى رواية بخيف بنى كنانة حيث



تقاسموا على الكفر يعنى به المحصب

مايخشى فانى لم أر فى محمد الاصدقا ووفاء وفى لفظ جئتنى بجهام أى سحاب قد هراق ماءه أى لاماء فيه يرعد ويبرق وليس فيه شىء ويحك ياحيي دعنى وما أنا عليه فلم يزل حيي بكعب حتى أعطاه عهدا من الله وميثاقا لئن رجعت قريش وغطفان ولم يقتلوا محمدا أن يكون معه فى حصنه ويصيبه ما أصابه فعند ذلك نقض كعب العهد وبرىء مما كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ومزقوا الصحيفة التى كان فيها العقد وجمع رؤساء قومه وهم الزبير بن مطا وشاس بن قيس وعزال بن ميمون وعقبة بن زيد واعلمهم بما صنع من نقض العهد وشق الكتاب الذى كتبه رسول الله ﷺ فلجم الأمر لما أراد الله من هلاكهم وكان حيي بن أخطب فى اليهود يشبه بأبى جهل فى قريش فلما انتهى الخبر بذلك الى رسول الله ﷺ أى أخبره بذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال يارسول الله بلغنى ان بنى قريظة قد نقضت العهد وحاربت فاشتد الأمر على رسول الله ﷺ وشق عليه ذلك وأرسل سعد بن معاذ سيد الأوس وسعد بن عبادة سيد الخزرج وأرسل معهما ابن رواحة وخوات بن جبير وأسقطهما فى الامتاع وذكر بدلهما أسيد بن حضير وقال لهم انطلقوا حتى تنظروا أحق مابلغنا عن هؤلاء القوم فان كان حقا فالحنوا الى لحنا أعرفه دون القوم أى ورّوا وكنوا فى كلامكم بما لا يفهمه القوم أى لئلا يحصل لهم الوهن والضعف والا فاجهروا بذلك بين الناس فان اللحن العدول بالكلام عن الوجه المعروف عند الناس الى وجه لايعرفه الا صاحبه كما ان اللحن الذى هو الخطأ عدول عن الصواب المعروف ومنه قول القائل وخير الحديث ما كان لحنا فخرجوا حتى أتوا بنى قريظة فوجدوهم قد نقضوا العهد ونالوا من رسول الله ﷺ أى قالوا من رسول الله وتبرؤا من عقده وعهده وقالوا لا عهد بيننا وبين محمد فشتمهم سعد بن معاذ وهم حلفاؤه أى وقيل سعد بن عبادة أى وكان فيه حدة وشاتموه أى ولا مانع من وجود الأمرين وقال سعد بن معاذ لسعد ابن عبادة أو بالعكس دع عنك مشاتمتهم فما بيننا وبينهم أربى أى أقوى من المشاتمة ثم أقبل السعدان ومن معهما الى رسول الله ﷺ فكنوا له عن نقضهم العهد أى قالوا عضل والقارة أى غدروا كغدر عضل والقارة بأصحاب الرجيع وسيأتى خبر ذلك فى السرايا فقال رسول الله ﷺ الله أكبر أى وقال أبشروا يامعاشر المسلمين نصرة الله تعالى وعونه وتقنع صلى الله عليه وسلم بثوبه واضطجع ومكث طويلا فاشتد على الناس البلاء والخوف حين رأوه صلى الله عليه وسلم

وذلك ان قريشا وكنانة تحالفت على بنى هاشم وبنى المطلب أن لاينا كحوهم ولا يبايعوهم حتى يسلموا اليهم النبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم وانما اختار صلى الله عليه وسلم النزول فى ذلك الموضع ليتذكر ما كانوا فيه فيشكر الله على ما أنعم به عليه من الفتح العظيم وتمكنه من دخول مكة ظاهرا غالبا على رغم من سعى فى إخراجه منها ومبالغة فى الصفح عن الذين أساؤا ومقابلتهم بالمن والاحسان ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وعن جابر رضى الله عنه قال لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيوت مكة وقف فحمد الله واثنى عليه ونظر الى موضع قبته أى التى



ضربت له بعد وقال هذا منزلنا ياجابر حيث تقاسمت قريش علينا قال جابر رضى الله عنه فذكرت حديثا كنت سمعته منه قبل ذلك بالمدينة منزلنا إذا فتح الله علينا مكة فى خيف بنى كنانة حيث تقاسموا على الكفر وقال ذلك أيضا ﷺ فى حجة الوداع فعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال يوم النحر وهو بمنى نحن نازلون غدا بخيف بنى كنانة حيث تقاسموا على الكفر يعنى بذلك المحصب وبعد ان فتح الله مكة جاء ﷺ الى الصفا حيث ينظر الى البيت ورفع يديه وقام يدعو ويذكر الله بما شاء وقد أحدقت به الانصار فقال بعضهم لبعض أما الرجل فقد أدركته رغبة فى قريته ورأفة بعشيرته فنزل عليه الوحى بما ذكر القوم فرفع رسول الله ﷺ رأسه وقال يامعشر الأنصار قلتم أما الرجل فأدركته رغبة فى قريته ورأفة بعشيرته قالوا اقلنا ذلك يارسول الله قال فما اسمى إذن إن فعلت ذلك كيف اسمى وأوصف

بأبى عبدالله ورسوله كلا لا افعل ذلك انى عبد الله ورسوله اى من كان هذا وصفه لا يفعل ذلك هاجرت الى الله واليكم فالمحيا محياكم والممات مماتكم فاقبلوا اليه يبكون ويقولون والله ماقلنا الذى قلنا الا الضن أى البخل بالله ورسوله أى لا نسمح أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غير بلدتنا يعنون المدينة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الله ورسوله يعذرانكم أى يقبلان عذركم ويصدقانكم وفى رواية ان الأنصار قالوا فيما بينهم أترون رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها فلما فرغ من دعائه قال ماذا قلتم قالوا لا شىء يارسول الله فلم يزل بهم حتى أخبروه فقال النبى صلى الله عليه وسلم معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم وتقدم له صلى الله عليه وسلم فى بيعة العقبة نظير ذلك وهو ان الأنصار قالوا يارسول الله هل عسيت ان نصرناك وأظهرك الله ان ترجع الى قومك (٣٣٨) وتدعنا فتبسم صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم الدم والهدم الهدم واستقرض

صلى الله عليه وسلم من ثلاثة نفر من قريش أخذ من صفوان بن أمية قبل أن يسلم خمسين ألف درهم ومن عبدالله ابن أبى ربيعة أربعين ألف درهم ومن حويطب ابن عبد العزى أربعين ألف درهم فرقها فى أصحابه من اهل الضعف ثم وفاها مما غنمه من هوازن وأقام صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها تسعة عشر وقيل ثمانية عشر يوما واعتمده البخارى يقصر الصلاة فى مدة اقامته بها لأنه كان يترقب المسير الى حرب هوازن لسماعه بتجهزهم لحاربته وولى مكة عتاب ابن أسيد بن أبى العيص ابن أمية بن عبد شمس ابن عبدمناف وكان عمره

احدى وعشرين سنة وفى رواية ان عمره كان ثمانى عشرة سنة وجعل معه معاذ بن جبل رضى الله عنه يعلم الناس من الفرائض والسنن وجعل رزق عتاب كل يوم درهما فكان رضى الله عنه يقول لا أشبع الله بطنا جاع على درهم كل يوم وفى رواية أنه خطب الناس فقال أيها الناس اجاع الله كبد من جاع على درهم فقد رزقنى رسول الله ﷺ كل يوم درهما فلا حاجة لى الى أحد وبقى على عمله الى آخر خلافة الصديق رضى الله عنه وتوفى فى اليوم الذى توفى فيه الصديق رضى الله عنه وقيل بل استعمله عمر رضى الله عنه وعاش الى سنة احدى وعشرين وكانت وفاته فى خلافة عمر رضى الله عنه وإنما استعمله النبى ﷺ لأنه ﷺ كان رأى فى المنام ان أسيدا والده ولى على مكة مسلما فمات كافرا فكان تأويل تلك الرؤيا ولاية ولده عتاب رضى الله عنه حين أسلم وكان رضى الله عنه من فضلاء الصحابة وعبادهم وجاء أنه ﷺ لما ولاه

---

اضطجع ثم رفع رأسه فقال أبشروا بفتح الله ونصره أى ولعل هذا أى ارسال السعدين ومن معهما كان بعد ارساله صلى الله عليه وسلم الزبير اليهم ليأتى بخبرهم هل نقضوا العهد استثباتا للأمر فعن عبدالله بن الزبير رضى الله عنهما قال كنت يوم الاحزاب أنا وعمرو بن أبى سلمة مع النساء فى أطم حسان ابن ثابت أى وكان حسان مع النساء ومن جملتهم صفية بنت عبد المطلب واتفق ان يهوديا جعل يطوف بذلك الحصن فقالت صفية لحسان ياحسان لا آمن هذا اليهودى ان يدلهم على عورة الحصن فيأتون الينا فانزل فاقتله قال حسان رضى الله عنه يابنت عبد المطلب قد عرفت ما أنا بصاحب هذا قالت فلما أيست منه أخذت عمودا ونزلت ففتحت باب الحصن وأتيته من خلفه فضربته بالعمود حتى قتلته وصعدت الحصن فقلت ياحسان انزل اليه فاسلبه فانه لم يمنعنى من سلبه إلا انه رجل فقال يابنة عبد المطلب مالى بسلبه حاجة أى وهذا يدل على ماقيل ان حسان بن ثابت كان من أجبن الناس كما تقدم قال عبدالله بن الزبير رضى الله عنهما فنظرت فاذا الزبير على فرسه يختلف الى بنى قريظة مرتين أو ثلاثا فلما رجعت قلت ياأبت رأيتك تختلف الى بنى قريظة قال رأيتنى يابنى قلت نعم قال كان رسول الله ﷺ قال من يأتى بنى قريظة فيأتينى بخبرهم فلما رجعت جمع لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه فقال فداك أبى وأمى أخرجه الشيخان أى وفى كلام ابن عبد البر رحمه الله ثبت عن الزبير رضى الله عنه أنه قال جمع لى رسول الله ﷺ أبويه مرتين يوم أحد ويوم بنى قريظة فقال ارم فداك أبى وأمى وقال ولعل ذلك كان فى أحد ان لكل نبى حواريا وان حوارى الزبير وقال الزبير ابن عمتى وحوارى من أمتى ويذكر أن الزبير رضى الله عنه كان له ألف مملوك يؤدون اليه الخراج وكان يتصدق بذلك كله ولا يدخل بيته من ذلك درهما واحدا وذلك من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم فقد جاء أنه لما نزل قوله تعالى ثم لتسألن يومئذ عن النعيم قال له الزبير يارسول الله أى نعيم نسئل عنه وإنما هما الأسودان التمر والماء قال أما انه سيكون وقد جعله سبعة من الصحابة وصيا على أولادهم فكان يحفظ على أولادهم مالهم و ينفق عليهم من ماله وهؤلاء السبعة منهم عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف والمقداد وابن مسعود وعظم عند ذلك البلاء على المسلمين لما وصل اليهم الخبر أى خبر نقض بنى قريظة العهد ولا منافاة بين بلوغهم الخبر وما تقدم من عدم الافصاح به لأنهم جاءهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المسلمون كل الظن وأنزل الله تعالى إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وظهر النفاق

قال له انطلق فقد استعملتك على أهل الله قال ذلك ثلاثا وفى رواية قال له يا عتاب أتدرى على من استعملتك على أهل الله فاستوص بهم خيرا يقول ذلك ثلاث مرات فكان عتاب رضى الله عنه شديدا على المريب لينا على المؤمن وقال والله لا أعلم متخلفا يتخلف عن الصلاة فى جماعة إلا ضربت عنقه فانه لا يتخلف عن الصلاة إلا منافق فقال أهل مكة يا رسول الله لقد استعملت على أهل مكة عتاب ابن أسيد أعرابيا جافيا فقال صلى الله عليه وسلم إنى رأيت فيما يرى النائم كأن عتاب بن أسيد أتى باب الجنة فأخذ بحلق الباب فقلقلها قلقالا شديدا حتى فتح له فدخلها فأعز الله به الاسلام لنصرته للمسلمين على من يريد ظلمهم قال ابن الجوزى إنما استعمل صلى الله عليه وسلم عتابا حين أراد الخروج إلى حرب هوازن وفى كلام غيره ان ذلك كان بعد غزوة الطائف وعمرة الجعرانة حين أراد صلى الله عليه وسلم الذهاب إلى المدينة ولا تخالف لاحتمال أن يراد أنه أبقاه على ذلك حين أراد الرجوع إلى المدينة وكان لعتاب رضى الله عنه ولد اسمه عبد الرحمن يقال له يعسوب قريش حضر وقعة الجمل مع على رضى الله عنه فقتل واحتمل نسر يده وألقاها بمكة فعرفوها بخاتمه فجهزوها وصلوا عليها ودفنوها والكلام على هذه الغزوة الشريفة يطول وفيما ذكر كفاية والله سبحانه وتعالى أعلم وقد أشار الامام البوصيرى لبعض ما وقع فيها فقال

صرعت قومه حبائل بغى * مدها المكرم منهم والدهاء
فأتتهم خيل إلى الحرب تختا * ل وللخيل فى الوغى خيلاء
قصدت منهم القنا فقوافى الـ * ـطعن منها ما شأنه الايطاء
وأثارت بأرض مكة نقعا * ظن أن الغدو منها عشاء
أحجمت عنده الحجون وأكدى * دون اعطائه القليل كداء
ودهت أوجها بها وبيوتا * مل منها الاكفاء والاقواء
فدعوا أحلم البرية والعفـ * ـو جواب الحليم والاغضاء
ناشدوه القربى التى من قريش * قطعتها الترات والشحناء
فعفا عفو قادر لم ينغصه عليهم * بما مضى إغراء
وإذا كان القطع والوصل لله * تساوى التقريب والاقصاء
وسواء عليه فيما أتاه * من سواه الملام والاطراء
ولو ان انتقامه لهوى النفـ * ـس لدامت قطيعة وجفاء
قام لله فى الامور فأرضى * الله منه تباين ووفاء
فعله كله جميل وهل * ينضح إلا بما حواه الاناء

وقد أجاد العلامة أبو محمد عبد الله بن أبى زكريا يحيى بن على الشقراطسى حيث يقول فى قصيدته المشهورة بعد ما ساق قصة بدر أتبعها بثمانية وعشرين بيتا فى قصة الفتح لأنهما كانتا عظيمتين فبدر أول مشهد نصر الله رسوله صلى الله عليه وسلم فيه وهذه يوم استيلائه على مكة التى هى من أشرف البقاع ويوم عزه فى بلاده التى أوذى فيها ودخل الناس فى دين الله

من المنافقين حتى قال بعضهم كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا فأنزل الله تعالى وإذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم شدة الامر بعث إلى عيينة بن حصن الفزارى وإلى الحرث بن عوف المرى فى أن يقطعهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه فجاآ مستخفيين من أبى سفيان فوافقاه على ذلك أى بعد أن طلبا النصف فأبى عليهما إلا الثلث فرضيا وكتبا بذلك صحيفة أى وفى رواية أحضرت الصحيفة والدواة فكتب عثمان بن عفان رضى الله عنه الصلح فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يوقع الصلح على ذلك بعث إلى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة رضى الله عنهما فذكر لهما ذلك واستشارهما فيه فقالا يا رسول الله أمرا تحبه فتصنعه أم شيئا أمرك الله به لا بد لنا من العمل به أم شيئا تصنعه لنا أى وفى لفظ إن كان أمرا من السماء فامض له وإن كان أمرا لم تؤمر به ولك فيه هوى فسمع وطاعة وإن كان إنما هو الرأى فما لهم عندنا إلا السيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أمرنى الله ما شاورتكما والله ما أصنع ذلك إلا لأنى رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب فأردت أن أكسر شوكتهم الى أمر ما فقال له سعد بن معاذ يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم أى غطفان على الشرك بالله وعبادة الاوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون أن يأكلوا منا تمرة إلا قرى أو بيعا أى وإن كانوا ليأكلون العلهز فى الجاهلية من الجهد أفحين أكرمنا الله بالاسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نقطعهم أموالنا أى وفى لفظ نعطى الدنية ما لنا بهذا من حاجة والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنت وذاك فأخذ سعد الصحيفة فمحى ما فيها من الكتابة أى وهذا إنما يناسب الرواية الاولى وكذا ما جاء فى لفظ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شق الكتاب فشقه سعد وقال لعيينة والحرث ارجعا بيننا وبينكم السيف رافعا صوته ثم قال لسعد ليجهدوا علينا ثم ان طائفة من المشركين أقبلوا أى وأكرهوا خيولهم على اقتحام الخندق من مضيق به () وفيهم عكرمة بن أبى جهل رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وفيهم هبيرة بن أبى وهب أى وهو زوج أم هانىء أخت على كرم الله وجهه رضى الله عنها وأبو أولادها مات على كفره وضرار بن الخطاب وعمرو بن وادى قيل ونوفل بن عبد الله وكان عمرو بن ود عمره إذ ذاك تسعين سنة فقال من يبارز فقام على كرم الله وجهه وقال أنا له يا نبى الله

افواجافقال   ويوم مكة إذ أشرفت فى أمم * تضيق عنها فجاج الوعث والسهل   خوافق ضاق ذرع الخافقين بها * فى قاتم من عجاج الخيل والابل   وجحفل قذف الارجاء ذى لجب * عرمرم كزهاء السيل منسحل   وأنت صلى عليك الله تقدمهم * فى بهو اشراق نور منك مكتمل   ينير فوق أغر الوجه منتجب * متوج بعزيز النصر مقتبل   يسموأمام جنود الله مرتديا * ثوب الوقار لأمر الله ممتثل   خشعت تحت بهاء العزحين سمت * بك المهابة فعل الخاضع الوجل   وقد تباشر أملاك السماء بما * ملكت إذ نلت منه غاية الامل   والارض ترجف من زهو ومن فرق * والجو يزهر إشراقا من الجذل   والخيل تختال زهوا فى أعنتها * والعيس تنثال رهوا فى ثنى الجدل   لولا الذى خطت الاقلام من قدر * وسابق من قضاء غير ذى حول   أهل ثهلان بالتهليل من طرب *



وذاب يذبل تهليلا من الذبل   الملك لله هذا عزمن عقدت * له النبوة فوق العرش فى الازل

شعبت صدع قريش بعد ماقذفت
بهم شعوب شعاب السهل والقلل
قالوا محمد قد زادت كتائبه
كالأسد تزأر فى أنيابها العصل
فويل مكة من آثار وطأته
وويل أم قريش من جوى الهبل
فجدت عفوا بفضل العفو منك ولم
تلمم ولا بأليم اللوم والعذل
أضربت بالصفح صفحا عن طوائلهم
طولا أطال مقيل النوم فى المقل
رحمت واشج أرحام أتيح لها
تحت الوشيج نشيج الروع والوجل
عاذوا بظل كريم العفو ذى لطف * مبارك الوجه بالتوفيق مشتمل   أزكى الخليقة أخلاقا وأطهرها * وفى وأكرم الناس صفحا عن ذوى الزلل   زان الخشوع وقار منه فى خفر * أرق من خفر العذراء فى الكلل   وطفت بالبيت محبورا وطاف به * من كان عنه قبيل الفتح فى شغل   والكفر فى ظلمات الرجس مرتكس * ثاو بمنزلة البهموت من زحل   حجزت بالأمن أقطار الحجاز معا * وملت بالخوف عن حيف وعن طلل   وحل أمن ويمن منك فى يمن * لما أجابت الى الايمان عن عجل   وأصبح الدين قد حفت جوانبه * بعزة النصر واستولى على الملل   قد طاع منحرف منهم لمعترف * وانقاد منعدل منهم لمعتدل   أحبب بخلة أهل الحق فى الخلل * وعز دولته الغراء فى الدول   ﴿هدم العزى وتعرف بسرية خالد بن الوليد سيف الله الذى صبه على الكفار﴾   وكانت عقب فتح مكة بخمس ليال بعث صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد رضى الله عنه

فقال صلى الله عليه وسلم له اجلس انه عمرو بن ود ثم كرر عمرو النداء وجعل يوبخ المسلمين ويقول أين جنتكم التى تزعمون أنه من قتل منكم دخلها أفلا تبرزن لى رجلا وأنشد أبياتا منها

ولقد بححت من الندا * ء بجمعكم هل من مبارز
إن الشجاعة فى الفتى * والجود من خير الغرائز

فقام على كرم الله وجهه فقال أنا له يارسول الله فقال اجلس انه عمرو بن ود ثم نادى الثالثة فقام على كرم الله وجهه فقال أناله يارسول الله فقال انه عمرو فقال وان كان عمرا فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنشد سيدنا على أبياتا منها

لا تعجلن فقد أتا * ك مجيب قولك غير عاجز
ذو نية وبصيرة * والصدق منجى كل فائز

وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم أعطاه سيفه ذا الفقار وألبسه درعه الحديد وعممه بعمامته وقال اللهم أعنه عليه أى وفى لفظ اللهم هذا أخى وابن عمى فلا تذرنى فردا وأنت خير الوارثين زاد فى رواية أنه صلى الله عليه وسلم رفع عمامته إلى السماء وقال إلهى أخذت عبيدة منى يوم بدر وحمزة يوم أحد وهذا على أخى وابن عمى الحديث فمشى اليه على كرم الله وجهه فقال له ياعمرو انك كنت قد عاهدت الله لا يدعوك رجل من قريش الى إحدى خلتين أى خصلتين الا أخذتها منه قال له أجل أى نعم فقال له على كرم الله وجهه فأنا أدعوك الى الله والى رسوله صلى الله عليه وسلم والى الاسلام فقال لا حاجة لى بذلك قال له على فانى أدعوك الى البراز قال وفى رواية أنك كنت تقول لا يدعونى أحد الى واحدة من ثلاث الا قبلتها قال أجل فقال على فانى أدعوك أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتسلم لرب العالمين فقال يا ابن أخى أخر عنى هذه قال وأخرى ترجع الى بلادك فان يك محمد صلى الله عليه وسلم صادقا كنت أسعد الناس به وان يك كاذبا كان الذى تريد قال هذا مالا تتحدث به نساء قريش أبدا كيف وقد قدرت على استيفاء مانذرت أى فانه نذر لما افلت هاربا يوم بدر وقد جرح أن لا يمس رأسه دهنا حتى يقتل محمدا صلى الله عليه وسلم قال فالثالثة ماهى قال البراز فضحك عمرو وقال ان هذه لخصلة ما كنت أظن أن أحدا من العرب يروعنى بها اهـ ثم قال له عند طلب المبارزة لم يا ابن أخى فوالله ما أحب أن أقتلك فقال على كرم الله وجهه ولكنى والله أحب أن أقتلك فحمى عمرو عند ذلك أى أخذته الحمية

إلى العزى ومعه ثلاثون فارسا ليهدمها واختلف فى المراد من العزى فقيل هى شجرة وقيل صنم وضعه سعد بن ظالم الغطفانى لما قدم
مكة ورأى أهلها يطوفون بين الصفا والمروة فأخذ من كل حجرا ونقلهما الى نخلة وهو موضع على ليلة من مكة وكانت العزى لقريش
وجميع بنى كنانة وحجابها بنى شيبان من بنى سليم وكانوا حلفاء بنى هاشم وكانت أعظم أصنامهم وذلك أن عمرو بن لحى لعنه الله
قال لهم ان الرب يشتى عند اللات و يصيف عند العزى فعظموها و بنوا لها بيتا وكانوا يهدون لها كما يهدون للكعبة و يعظمونها
كتعظيمها و يطوفون و ينحرون عندها ومع ذلك يعرفون فضل الكعبة عليها لأنها بيت ابراهيم عليه السلام ومسجده قال ابن
اسحق فلما سمع سادن العزى بسير خالد اليه علق سيفه واستند فى الجبل الذى هى فيه وهو يقول أيا عز شدى شدة لا سوى لها *
على خالد ألقى القناع وشمرى أيا عز ان لم تقتلى المرء خالدا * فبوئى باثم عاجل أو تنصرى فلما انتهوا اليها هدموا البيت
التى هى فيه وكان على
ثلاث سمرات فقطعها
خالد رضى الله عنه وهدم
البيت وكسر الصنم ثم
رجع الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم بمكة فأخبره
فقال هل رأيت شيئا خرج
منها حين هدمتها قال
لا قال فانك لم تهدمها أى
الهدم الأبدى المزيل لها
حقيقة فان الذى فعلته
هو ازالة الصورة الظاهرة
و بقى أمر خفى لا تزول إلا
بزواله فارجع اليها فاهدمها
فرجع خالد رضى الله عنه
وهو متغيظ فجرد سيفه
فخرجت اليه امرأة عجوز
عريانة سوداء ثائرة الرأس
تحثو التراب على رأسها
ووجهها فجعل السادن
يصيح بها وهو يقول
ياعز خبليه * ياعز عوريه
ولا تموتى برغم فضربها
خالد رضى الله عنه وهو
يقول ياعز كفرانك لاسبحانك * انى رأيت الله قد أهانك فجزلها أى قطعها اثنتين وفى رواية فضرب الشجرة بالفاس
فقلعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية و يلها واضعة يدها على رأسها فضربها فقطعها اثنتين ورجع الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال نعم تلك العزى وقد يئست أن تعبد ببلادكم أبدا ﴿هدم سواع وهى سرية عمرو بن العاص رضى الله
عنه﴾ الى هدم سواع وهو صنم لهذيل على ثلاثة أميال من مكة وكان بعثه رمضان أيضا بعد الفتح وقال ابن جرير سواع بن شيث
ابن آدم لما مات صورت صورته وعظمت لموضعه من الدين ولما عهدوا فى دعائه من الاجابة وأولاده يغوث و يعوق ونسر فلما ماتوا
صورت صورهم فلما خلفت الخلوف قالوا ما عظم هؤلاء آباؤنا الا لأنها ترزق وتنفع وتضر فاتخذوها آلهة قال السهيلى وكان بدء
عبادتها فى عهد مهلاييل بن قينان قبل نوح عليه السلام وفى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما صارت الأوثان التى كانت

وفى رواية أن عمرا قال له من أنت أى لأن عليا كرم الله وجهه كان مقنعا بالحديد قال على قال ابن عبد
مناف قال أنا على بن أبى طالب فقال غيرك يا ابن أخى من أعمامك من هو أشد منك فانى أكره أن
اهريق أى أسيل دمك أى وزاد فى رواية فان أباك كان لى صديقا أى وفى لفظ كنت له نديما فقال على وأنا
والله ما أكره أن اهريق دمك فغضب فقال له على كرم الله وجهه كيف أقاتلك وأنت على فرسك ولكن
انزل معى فاقتحم عن فرسه وسل سيفه كأنه شعلة نار فعقر فرسه وضرب وجهه وأقبل على على كرم الله
وجهه فاستقبله على بدرقته فضربه عمرو فيها فقدها وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجه فضربه
على كرم الله وجهه على حبل عاتقه أى وهو موضع الرداء من العنق فسقط وكبر المسلمون فلما سمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم التكبير عرف أن عليا كرم الله وجهه قتل عمرا لعنه الله أى وذكر بعضهم
ان النبى صلى الله عليه وسلم عند ذلك قال قتل على لعمرو بن ود أفضل من عبادة الثقلين قال الامام
أبو العباس ابن تيمية وهذا من الأحاديث الموضوعة التى لم ترد فى شىء من الكتب التى يعتمد عليها ولا
بسند ضعيف وكيف يكون قتل كافر أفضل من عبادة الثقلين الانس والجن ومنهم الأنبياء قال بل
ان عمرو بن ود هذا لم يعرف له ذكر الا فى هذه الغزوة (أقول) و يرد قوله أن عمرو بن ود هذا لم يعرف
له ذكر الا فى هذه الغزوة قول الأصل وكان عمرو بن ود قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد
يوم أحد فلما كان يوم الخندق خرج معلما أى جعل له علامة يعرف بها ليرى مكانه أى و يرده أيضا
ما تقدم من أنه نذر أن لا يمس رأسه دهنا حتى يقتل محمدا ﷺ واستدلاله بقوله وكيف يكون الى
آخره فيه نظر لأن قتل هذا كان فيه نصرة للدين وخذلان للكافرين وفى تفسير الفخر أنه صلى الله عليه
وسلم قال لعلى كرم الله وجهه بعد قتله لعمرو بن ود كيف وجدت نفسك معه يا على قال وجدته لو كان
أهل المدينة كلهم فى جانب وأنا فى جانب لقدرت عليهم وفى كلام السهيلى رحمه الله ولما أقبل على كرم
الله وجهه بعد قتله لعمرو بن ود على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متهلل قال له عمر بن
الخطاب رضى الله عنه هلا سلبته درعه فانه ليس فى العرب درع خير منها قال انى حين ضربته استقبلنى
بسوأته فاستحييت يا ابن عمى أن أسلبه هذا كلامه وعندى أن هذا اشتباه من بعض الرواة لأن هذه
الواقعة لعلى كرم الله وجهه انما كانت فى يوم أحد مع طلحة بن أبى طلحة كما تقدم وعمرو بن ود لم يشهد
أحدا كما تقدم عن الأصل فليتأمل قال وذكر ابن اسحق أن المشركين بعثوا الى رسول الله صلى الله

عليه وسلم يشترون جيفة عمرو بعشرة آلاف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو لكم ولا نأكل ثمن الموتى وحين قتل عمرو رجع من وصل الخندق من المشركين بخيلهم هاربين فتبعهم الزبير رضى الله عنه وضرب نوفل بن عبد الله بالسيف فشقه نصفين ووصلت الضربة إلى كاهل فرسه فقيل له يا أبا عبد الله ما رأينا مثل سيفك فقال والله ما هو السيف ولكنها الساعد أى وفيه أنه تقدم أن نوفل بن عبد الله وقع فى الخندق فاندقت عنقه إلى آخر ما تقدم لكنى رأيت بعضهم قال ان وقوع نوفل فى الخندق ورميه بالحجارة وقتل على كرم الله وجهه له فى الخندق غريب من وجهين فليتأمل وحمل الزبير رضى الله عنه على هبيرة بن أبى وهب وهو زوج أم هانىء أخت على بن أبى طالب كما تقدم فضرب ثغر فرسه فقطعه وسقطت درع كان محقبها الفرس أى جعلها على مؤخر ظهرها فأخذها الزبير وألقى عكرمة ابن أبى جهل رمحه منهزما انتهى أى وفى رواية ثم حمل ضرار بن الخطاب أخو عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهبيرة بن أبى وهب على على كرم الله وجهه فأقبل على عليهما فأما ضرار فولى هاربا ولم يثبت وأما هبيرة فثبت ثم ألقى درعه وهرب وكان فارس قريش وشاعرها وذكر أن ضرار بن الخطاب لما هرب تبعه أخوه عمر بن الخطاب وصار يشتد فى أثره فكر ضرار راجعا وحمل على عمر رضى الله عنه بالرمح ليطعنه ثم أمسك وقال يا عمر هذه نعمة مشكورة أثبتها عليك ويد لى عندك غير مجزى بها فاحفظها أى ووقع له مع عمر رضى الله عنه مثل ذلك فى أحد فانه التقى معه فضرب عمر رضى الله عنه بالقناة ثم رفعها عنه وقال له ما كنت لأقتلك يا ابن الخطاب ثم من الله على ضرار فأسلم وحسن اسلامه وكان شعار المسلمين حم لا ينصرون أى ولعل المراد بالمسلمين الأنصار فلا يخالف ما فى الامتاع وكان شعار المهاجرين ياخيل الله وفيه خرجت طائفتان للمسلمين ليلا لا يشعر بعضهم ببعض ولا يظنون الا أنهم العدو فكانت بينهم جراحة وقتل ثم نادوا بشعار الاسلام حم لا ينصرون فكف بعضهم عن بعض وقد يقال يجوز أن تكون الطائفتان كانتا من الأنصار وجاءوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم جراحكم فى سبيل الله ومن قتل فهو شهيد وبهذا استدل أئمتنا على أن من قتله مسلم خطأ فى الحرب يكون شهيدا ورمى سعد بن معاذ بسهم قطع أكحله وهو عرق فى الذراع تتشعب منه عروق البدن ولعله محل الفصد الذى يقال له

المشترك

فى قوم نوح فى العرب وهى أسماء قوم صالحين فلما هلكوا اوحى الشيطان إلى قومهم ان انصبوا فى مجالسهم التى كانوا يجلسونها أنصابا وسموها بأسمائهم فلم تعبد فلما هلك أولئك ونسخ العلم عبدت قال عمرو بن العاص رضى الله عنه فانتهيت إلى سواع وعنده السادن قال ما تريد فقلت أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهدمه قال لا تقدر على ذلك فقلت لم قال يمنعك قلت حتى الآن أنت على الباطل ويحك وهل يسمع أو يبصر حتى يمنعنى قال فدنوت منه فكسرته وأمرت أصحابى فهدموا بيت خزانته فلم نجد فيه شيئا ثم قلت للسادن كيف رأيت فقال أسلمت لله رب العالمين ولم يذكر أحد عدد الذين كانوا مع عمرو رضى الله عنه

﴿ هدم مناة وهى سرية سعد بن زيد الاشهلى رضى الله عنه إلى مناة ﴾ وهى صنم للاوس والخزرج ومن دان دينهم وقيل إنها أيضا لهذيل وبنى كعب وخزاعة وغسان وكانت بالمشلل بضم الميم وفتح الشين واللام الأولى المشددة جبل على ساحل البحر يهبط منه الى قديد وكان بعثه فى رمضان أيضا بعد الفتح فخرج سعد بن زيد رضى الله عنه فى عشرين فارسا حتى انتهى اليها وعليها سادن قال السادن ما تريد قال أريد هدم مناة قال انت وذاك تهكما لظنه أنه لا يقدر عليها فأقبل سعد يمشى اليها فخرجت اليه امرأة عريانة سوداء ثائرة الرأس أى منتشرة الشعر تدعو بالويل وتضرب صدرها فقال السادن مناة دونك بعض عصاتك فضربها سعد فقتلها وأقبل الى الصنم ومعه أصحابه فهدموه ولم يجدوا فى خزانته شيئا وانصرف راجعا الى النبى صلى الله عليه وسلم ثم ما ذكر من أن الذى ذهب لهدمها سعد بن زيد الاشهلى هو ما مشى عليه فى المواهب تبعا لطبقات ابن سعد وقال ابن اسحق ان الذى بعثه النبى صلى الله عليه وسلم لهدمها أبو سفيان بن حرب رضى الله عنه وفى سيرة ابن هشام أنه على ابن أبى طالب رضى الله عنه ويمكن أن الجميع ذهبوا لذلك والله أعلم

﴿ غزوة حنين ﴾ وهو اسم موضع فى طريق الطائف الى جنب ذى المجاز وهو سوق كان فى الجاهلية وقيل حنين اسم لما بين مكة والطائف وتسمى غزوة أوطاس وهو اسم لموضع كانت به الوقعة وتسمى أيضا غزوة هوازن وهوازن قبيلة كبيرة من العرب فيها عدة بطون ينسبون الى هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن الياس بن مضر وسببها أنه صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة مشت أشراف هوازن وثقيف بعضها الى بعض وتشاوروا على قتاله صلى الله عليه وسلم لأنهم خافوا أن يسير اليهم ويغزوهم وقالوا قد فرغ لنا فلا مانع له دوننا فالرأى أن نغزوه قبل أن يغزونا بل جاء فى بعض الروايات أنهم قبل فتح مكة كانوا يريدون قتاله صلى الله عليه وسلم وروى عن أبى الزناد ان هوازن أقامت سنة تجمع الجموع وتسير رؤساؤهم فى العرب تجمعهم فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة قالوا لا ناهية له

دوننا وعزموا على أنهم يغزونه قبل أن يغزوهم وقال بعض منهم والله مالاقى محمد اقوم يحسنون القتال فأجمعوا أمركم وسيروا اليه
قبل أن يسير اليكم فأجمعوا أمرهم على ذلك وكان جماع أمر الناس إلى مالك بن عوف بن سعد بن يربوع بن واثلة بن دهمان بن نصر
ابن معاوية بن بكر بن هوازن و يقال له النصرى بالصاد وأسلم بعد ذلك رضى الله عنه فاجتمع اليه من القبائل جموع كثيرة منهم بنو
سعد بن بكر وهم الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسترضعا فيهم ومعهم دريد بن الصمة وكان شجاعا مجربا لكنه كبر لأنه بلغ
مائة وعشرين سنة وقيل مائة وخمسين وقيل مائة وسبعين وقيل قارب المائتين وقد عمى وصار لا ينتفع إلا برأيه ومعرفته بالحرب لأنه
كان صاحب رأى وتدبير ومعرفة بالحروب وكان قائد ثقيف كنانة بن عبد ياليل وأسلم بعد ذلك رضى الله عنه وكان جملة من اجتمع
من بنى سعد وثقيف أربعة آلاف وانضم اليهم من أعداد سائر العرب جموع (٣٤٣) كثيرة وكان مجموعهم كلهم ثلاثين
ألفا وجعلوا أمر الجميع إلى مالك بن عوف النصرى وكان عمره ثلاثين سنة واشترطوا عليه أن يأخذ برأى دريد بن الصمة فأمرهم مالك بن عوف أن يسوقوا معهم مواشيهم وأموالهم ونساءهم وأبناءهم كى يثبتوا عند الحرب ولا يفروا فلما نزلوا بأوطاس قال دريد بن الصمة مالى أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير ويعار الشاء وخوار البقر قالوا ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم قال أين هو فحضر بين يديه فقال له انك تقاتل رجلا كريما قد أوطأ العرب وخافته العجم وأجلى يهود أى غالبهم اماقتلا واما اخراجا عن ذل وصغار
فقال له ما لك لا تخالفك فى أمر تراه فقال يامالك أصبحت رئيس قومك وان هذا يوم كان له ما بعده من الأيام مالى أسمع رغاء البعير
ونهاق الحمير وبكاء الصغير ويعار الشاء وخوار البقر قال سقت مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم قال ولم قال أردت أن أجعل
خلف كل رجل أهله وماله يقاتل عنهم فزجره كما تزجر الدابة وهو أن يلصق اللسان بالحنك الأعلى ويصوت به وهو معنى قول بعضهم
صوت بلسانه فى فيه ثم قال له رويعى ضأن والله ماله وللحرب أى من كانت هذه صفته ماله وللحرب ثم أشار عليه برد الذرية والأموال
وقال هل يرد المنهزم شىء هى ان كانت لك لم ينفعك الا رجل بسيفه ورمحه لاهؤلاء النساء والصبيان والمواشى وان كانت عليك
فضحت فى أهلك ومالك فلم يقبل ذلك منه مالك ثم قال دريد مافعلت كعب وكلب قالوا لم يشهدها منهم أحد قال غاب الحد والجد لو كان
يوم علاء ورفعة ماغابا ثم قال دريد لمالك ان يومك هذا الذى تلقى فيه محمدا مابعده يوم فقال له مالك انى لأطمع أن ترى مايسرك ثم

---

المشترك أى ويقال لهذا العرق عرق الحياة أى رماه ابن العرقة اسم جدته سميت بذلك لطيب عرقها
وقال خذها وأنا ابن العرقة فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك قال عرق الله وجهه فى النار وقيل
قائل ذلك سعد رضى الله عنه وعند ذلك قال سعد اللهم ان كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم يعنى قريشا
فاجعلها لى شهادة ولا تمتنى حتى تقر عينى وفى لفظ حتى تشفينى من بنى قريظة وفى لفظ اللهم ان كنت
أبقيت من حرب قريش شيئا فأبقنى لها فانه لا قوم أحب إلى أن أجاهدهم من قوم آذوا رسولك
وأخرجوه وكذبوه وفى يوم استمرت المقاتلة قيل من سائر جوانب الخندق إلى الليل ولم يصل ﷺ
ولا أحد من المسلمين صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء أى وصار المسلمون يقولون
ماصلينا فيقول ﷺ ولا أنا فلما انكشف القتال جاء صلى الله عليه وسلم إلى قبته وأمر بلالا
فأذن وأقام الظهر فصلى ثم أقام بعد كل صلاة اقامة وصلى هو وأصحابه مافاتهم من الصلوات
وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما فأمر بلالا فأذن وأقام فصلى الظهر ثم أمره فأذن وأقام
فصلى العصر ثم أمره فأذن وأقام فصلى المغرب ثم أمره فأذن وأقام فصلى العشاء أقول فى الرواية الأولى
مايشهد لقول امامنا الشافعى يندب أن يؤذن للأولى من الفوائت ويقيم لما عداها إذا قضاها
متوالية وكونه يؤذن للأولى من الفوائت هو ماذهب اليه فى القديم وهو المفتى به وفى الرواية
الثانية دليل على أنه يؤذن لكل من الفوائت إذا قضاها متوالية ولم يقل به امامنا فانه جاء عن ابن
مسعود رضى الله عنه مرسلا لأنه رواه عنه ابنه أبو عبيدة ولم يسمع منه لصغر سنه وروى امامنا
الشافعى رضى الله عنه باسناد صحيح عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال حبسنا يوم الخندق
حتى ذهب هوى أى طائفة من الليل حتى كفينا القتال وذلك قوله تعالى وكفى الله المؤمنين القتال
فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا فأمره فأقام الظهر فصلاها كما كان يصلى ثم أقام العصر
فصلاها كذلك ثم أقام المغرب فصلاها كذلك ثم أقام العشاء فصلاها كذلك أى وفى لفظ فصلى كل
صلاة كأحسن ما كان يصليها فى وقتها وهو دليل لعدم ندب الأذان للفائتة وهو ماذهب اليه امامنا
الشافعى رضى الله عنه فى الجديد وهو مرجوح وجمع الامام النووى فى شرح المهذب بين رواية الى
الليل ورواية حتى ذهب هوى من الليل بأنهما قضيتان جرتا فى أيام الخندق قال فانها كانت خمسة
عشر يوما أى على ما تقدم وفيه أن كونهما قضيتين أمر واضح لاخفاء فيه لأن فى الأولى وفى يوم

أشار دريد عليه بأمور لم يقبلها مالك وقال والله لا أطيعك انك قد كبرت وضعف رأيك فقال لهوازن قد شرط مالك أن لا يخالفني وقد خالفني فأنا أرجع إلى أهلي فمنعوه وقال مالك والله لتطيعنني يا معشر هوازن أولا تكئن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري وكره أن يكون لدريد فيها رأي أو ذكر فقالوا أطعناك فقال دريد يا معشر هوازن ان هذا فاضحكم في عورتكم يعني النساء والذرية وممكن منكم عدوكم ولاحق بحصن ثقيف وتارككم فانصرفوا واتركوه فأبوا فلما رأى دريد أنهم خالفوه قال يا ليتني فيها جذع * أخب فيها وأضع أقود وطفاء الزمع * كأنها شاة صدع ثم أمر مالك بالخيل فجعلت صفوفا وجعل المشاة خلفهم ثم جعل النساء فوق الابل وراء المقاتلة صفوفا ثم جعل الابل والبقر والغنم وراء ذلك لئلا يفروا ويقاتلوا عن مالهم ونسائهم وذراريهم ثم قال للناس إذا رأيتموني شددت (٣٤٤) عليهم شدوا عليهم شدة رجل واحد ولما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم اجتماعهم وتحزبهم أجمع على الخروج اليهم وكان خروجه من مكة يوم السبت لست خلون من شوال وكان معه صلى الله عليه وسلم اثنا عشر ألفا منهم عشرة آلاف الذين جاؤا معه من المدينة لفتح مكة وألفان من الذين أسلموا في فتح مكة الذين من عليهم وأطلقهم يوم الفتح وفصل بعضهم العشرة الآلاف الذين جاؤا معه من المدينة وخرجوا لحرب هوازن فقال أربعة آلاف من الأنصار وألف من المهاجرين وألف من جهينة وألف من مزينة وألف من أسلم وألف من غفار وألف من أشجع وتقدم أنه صلى الله عليه وسلم استقرض من ثلاثة نفر من قريش أخذ من

استمرت المقاتلة إلى الليل وفي الثانية حتى كفينا القتال فمع ذلك كيف يظن أنهما قضية واحدة حتى يحتاج إلى الجمع وظاهر سياق هذه الروايات أنه صلى الأربع صلوات بوضوء واحد وبه صرح البغوي في تفسير سورة المائدة وحينئذ يحتاج للجمع بينه وبين ما يأتي في فتح مكة وروى الطحاوي واستدل به مكحول والأوزاعي على جواز تأخير الصلاة لعذر القتال أن الشمس ردت له ﷺ بعد ما غربت حين شغل عن صلاة العصر حتى صلى العصر وذكر الامام النووي في شرح مسلم ان رواته ثقات وفي البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه جاء يوم الخندق بعدما كادت الشمس تغرب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما صليتها يعني العصر فنزلنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بطحان فتوضأ للصلاة وتوضأنا لها فصلى العصر بعدما غربت الشمس ثم صلى بعدها المغرب وهذه الرواية تقتضي أنه لم يفته إلا العصر وأنه صلاها بعد الغروب قال الامام النووي رحمه الله وطريق الجمع أن هذا كان في بعض أيام الخندق وكون صلاة العصر هي الوسطى قد جاء في بعض الروايات شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر حتى غابت الشمس ملأ الله أجوافهم وفي لفظ بطونهم وقبورهم نارا والذي في البخاري ومسلم وأبي داود والنسائي والترمذي وقال حسن صحيح ملأ الله عليهم بيوتهم وقبورهم نارا كما شغلونا عن صلاة الوسطى حتى غابت الشمس وكون الوسطى هي صلاة العصر هو قول من تسعة عشر قولا ذكرها الحافظ الدمياطي في مؤلف له سماه كشف الغطا عن الصلاة الوسطى وفي الينبوع ان كون الصلاة الوسطى هي العصر هو الذي اعتقده والله أعلم قال وجاء أنه صلى الله عليه وسلم صلى المغرب فلما فرغ قال هل أحد منكم علم أني صليت العصر قالوا يا رسول الله ما صليناها أي لا نحن ولا أنت فأمر المؤذن فأقام الصلاة فصلى العصر ثم أعاد المغرب وكان ذلك قبل أن تنزل صلاة الخوف فان خفتم فرجالا أو ركبانا اه أقول يحتاج إلى الجواب عن إعادة المغرب وقد يقال أعادها مع الجماعة وان قوله فان خفتم فرجالا أو ركبانا يرشد إلى أن المراد بصلاة الخوف صلاة شدته لا صلاة ذات الرقاع التي نزل فيها قوله تعالى واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة الآية كما تقدم فلا ينافي ما تقدم من صلاته في ذات الرقاع بناء على تقدمها على هذه الغزوة التي هي غزوة الخندق وحينئذ يندفع الاستدلال على أن ذات الرقاع متأخرة عن الخندق بقولهم ولم تكن شرعت صلاة الخوف أي صلاة ذات الرقاع والا لصلاها في الخندق ولم يخرج الصلاة عن وقتها لما علمت أن المراد بصلاة الخوف التي لم تشرع زمن الخندق صلاة شدته لا صلاة ذات الرقاع وسقط القول

صفوان بن أمية خمسين ألف درهم ومن عبد الله بن ربيعة أربعين ألف درهم ومن حويطب بن عبد العزى أربعين ألف درهم فرقها في أصحابه أهل الضعف ليستعينوا بها وكان ذلك عند عزمه على الخروج لحرب هوازن ثم وفاها مما غنمه من هوازن وقال إنما جزاء السلف الحمد والأداء وكان صفوان بن أمية على دين قومه وأخذ أمانا من النبي صلى الله عليه وسلم وسأله أن يعطيه مهلة شهرين ثم ان شاء تبعه ودخل في الاسلام وان شاء ذهب حيث شاء فأعطاه أربعة أشهر ثم أسلم بعد ذلك رضي الله عنه وتقدم الكلام على قصة اسلامه مستوفى عند ذكره في عداد من أهدر دمهم صلى الله عليه وسلم واستثناهم من الدخول في الامان ثم أنه ﷺ ذكروا له عند عزمه على الخروج لحرب هوازن أن عند صفوان بن أمية أدراعا وسلاحا فأرسل اليه فقال يا أبا أمية أعرنا سلاحك نلقى به عدونا غدا فقال صفوان أغصبا يا محمد قال بل عارية وهي مضمونة حتى نؤديها اليك فقال ليس

بهذا بأس فاعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح وفى رواية اربعمائة درع وسأله النبى صلى الله عليه وسلم أن يكفيهم حملها الى موضع القتال ففعل * وذكر بعضهم ان بعض تلك الأدراع فقد فأراد النبى ﷺ أن يضمنها له فأبى بعد اسلامه وقال أنا اليوم يارسول الله فى الاسلام أرغب واستعار ﷺ من نوفل بن الحرث بن عبد المطلب وهو ابن عمه صلى الله عليه وسلم ثلاثة آلاف رمح وقال كأنى أنظر إلى رماحك هذه تقصف ظهر المشركين ثم خرج النبى ﷺ وخرج الناس معه وأهل مكة ركبانا ومشاة حتى النساء خرجن يمشين على غير وهن رجاء للغنائم ومن لم يكمل اسلامه لم يكره ان الصدمة برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه واستعمل ﷺ على مكة عتاب بن أسيد رضى الله عنه وترك معه معاذ بن جبل رضى الله عنه يعلم الناس الأحكام والشرائع وقد تقدم الكلام على ذلك فى غزوة الفتح وخرج معه ﷺ من المشركين الذين أمنهم ولم يسلموا حين خروجه ثمانون رجلا منهم صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو رضى الله عنهما فانهما أسلما بعد ذلك وقد تقدم قصة اسلامهما فلما قرب النبى صلى الله عليه وسلم من محل العدو رتب أصحابه وصفهم ووضع الألوية والرايات مع المهاجرين والأنصار فلواء المهاجرين أعطاه عليا رضى الله عنه وقسم الرايات على كل بطن فاعطى سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه راية وأعطى عمر بن الخطاب رضى الله عنه راية وهكذا وأعطى لواء الخزرج للحباب بن المنذر رضى الله عنه ولواء الأوس لأسيد بن حضير رضى الله عنه وجعل لكل



بطن راية يحملها واحد منهم ثم رتب قبائل العرب التى كانت معه وفرق عليهم الألوية والرايات ولبس صلى الله عليه وسلم درعين والبيضة والمغفر وركب بغلته البيضاء وفى رواية الشهباء وهى بغلة واحدة سماها بعضهم بيضاء وبعضهم شهباء لان بياضها كان يميل الى الشهبة واسمها دلدل وأرسل مالك بن عوف رئيس هوازن ثلاثة نفر عيونا وجواسيس ينظرون الى رسول الله ﷺ ومن معه فرجعوا إلى مالك وقد تفرقت أوصالهم من الفزع فقال ويلكم ماشأنكم قالوا رأينا رجالا بيضا على خيل بلق فوالله ما تماسكنا ان أصابنا ما ترى وان أطعتنا رجعت بقومك فقال اف لكم بل أنتم أجبن القوم وحبسهم عنده خوفا ان يشيع ذلك فى جيشه ولم يصرفه ذلك ومضى على ما يريد وأرسل اليهم رسول الله ﷺ رجلا من أصحابه وهو عبد الله بن أبى حدرد الاسلمى رضى الله عنه وأمره أن يدخل فيهم ويسمع منهم ما أجمعوا عليه فدخل

---

القول بان الآية التى نزلت فى صلاة ذات الرقاع منسوخة فتركه صلى الله عليه وسلم تلك الصلاة فى الخندق لان الخندق وان لم يلتحم فيه القتال الا انهم لا يأمنون هجوم العدو عليهم فلو صلوها لكانت تلك الصلاة صلاة شدة الخوف لا صلاة ذات الرقاع لان شرطها امن هجوم العدو وصلاة شدة الخوف اما أن يلتحم فيها القتال أو يخافوا هجوم العدو وقول بعضهم ان ابن اسحق وهو امام أهل المغازى ذكر انه ﷺ صلى صلاة الخوف بعسفان وذكر انها قبل الخندق فتكون صلاة عسفان منسوخة أيضا فيه نظر ظاهر لان صلاة عسفان انما كانت فى الحديبية كما سيأتى وعلى تسليم أن صلاة عسفان ان كانت قبل الخندق فتلك يشترط فيها الأمن من هجوم العدو والله أعلم قال ثم ان طائفة من الأنصار خرجوا ليدفنوا ميتا منهم بالمدينة فصادفوا عشرين بعيرا لقريش محملة شعيرا أو تمرا وتبنا حملها ذلك حيى بن أخطب شدادا وتقوية لقريش فأتوا بها رسول الله ﷺ فتوسع بها أهل الخندق ولما بلغ أبا سفيان ذلك قال ان حييا المشئوم قطع بنا ما نجد ما نحمل عليه إذا رجعنا ثم ان خالد بن الوليد كر بطائفة من المشركين يطلب غرة للمسلمين أى غفلتهم فصادف أسيد بن حضير على الخندق فى مائتين من المسلمين فناوشهم أى تقاربوا منهم ساعة وكان فى أولئك المشركين وحشى قاتل حمزة رضى الله عنه فزرق الطفيل بن النعمان فقتله ثم بعد ذلك صاروا يرسلون الطلائع بالليل يطمعون فى الغارة أى الاغارة فاقام المسلمون فى شدة من الخوف أى وفى الصحيحين ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاحزاب فقال اللهم منزل الكتاب سريع الحساب أهزم الأحزاب اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم وزلزلهم أى وقام فى الناس فقال يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فان لقيتم العدو فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف أى السبب الموصل الى الجنة عند الضرب بالسيف فى سبيل الله تعالى ودعا صلى الله عليه وسلم بقوله ياصريخ المكروبين يامجيب المضطرين اكشف همى وغمى وكربى فانك ترى ما نزل بى وبأصحابى وقال له المسلمون رضى الله عنهم هل من شىء نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر قال نعم قولوا اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا فاتاه جبريل عليه السلام فبشره ان الله يرسل عليهم ريحا وجنودا وأعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بذلك وصار يرفع يديه قائلا شكرا شكرا وجاء ان دعاءه صلى الله عليه وسلم عليهم كان يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء واستجيب له ذلك اليوم الذى هو يوم الأربعاء بين الظهر

فيهم ومكث يوما أو يومين وسمع مايقولون ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره انه انتهى الى خباء مالك بن عوف وعنده رؤساء
هوازن فسمعه يقول لأصحابه ان محمدا لم يقاتل قوما قط قبل هذه المرة وانما كان يلقى قوما أغمارا لا علم لهم بالحرب فيظهر عليهم فاذا
كان السحر فصفوا مواشيكم ونساءكم وأبناءكم من ورائكم ثم صفوا ثم تكون الحملة منكم واكسروا أغماد سيوفكم فتلقونه بعشرين
ألف سيف واحملوا حملة رجل واحد واعلموا ان الغلبة لمن حمل أولا وفى رواية ان ابن أبى حدرد رضى الله عنه قال للنبى صلى الله عليه
وسلم انى انطلقت بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا فاذا بهوازن عن بكرة أبيهم لظعنهم أى نسائهم ونعمهم وشائهم اجتمعوا
إلى حنين فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال تلك غنيمة المسلمين ان شاء الله فقال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم عن قلة
فشق ذلك على رسول الله صلى الله (٣٤٦) عليه وسلم وقوله فيما تقدم بعشرين ألف سيف حق وهو الراجح كما حقق ذلك العلامة
الزرقانى فى شرح المواهب
وقيل كانوا ثلاثين ألفا
وأما رواية انهم كانوا
أربعة آلاف فمرجوحة
ولما كان صلى الله عليه
وسلم بحنين وانحدر فى
الوادى وذلك عند غبش
الصبح خرج عليهم القوم
وكانوا قد كمنوا لهم فى
شعاب الوادى ومضايقه
وذلك باشارة دريد بن
الصمة فانه قال لمالك بن
عوف اجعل كمينا يكون
لك عونا ان حمل القوم
عليك جاءهم الكمين
من خلفهم وكررت عليهم
أنت بمن معك وان كانت
الحملة لك لم يفلت من
القوم أحد فحملوا عليهم
حملة رجل واحد وكانت
هوازن رماة فاستقبلوهم
بالنبل كأنه جراد منتشر
لا يكاد يسقط لهم سهم
وقال البراء بن عازب رضى
الله عنهما كانت هوازن رماة وانا لما حملنا عليهم انكشفوا فاكببنا على الغنائم فاستقبلونا بالسهام فاخذ المسلمون ما
فى الرجوع منهزمين لا يلوى أحد على أحد وفى رواية فاستقبلهم من هوازن مالم يروا مثله قط من السواد والكثرة وذلك فى غبش
الصبح وخرجت الكتائب من مضيق الوادى فحملوا حملة واحدة فانكشفت خيل بنى سليم مولية وكانت مع النبى ﷺ
وأصحابه فتبعهم أهل مكة والناس فانهزموا وقيل ان الطلقاء وهم أهل مكة قال بعضهم لبعض أى قال من كان منهم اسلامه
مدخولا خذلوهم فهذا وقته فانهزموا أول من انهزم وتبعهم الناس وسأل رجل البراء بن عازب رضى الله عنهما أفررتم عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم حنين فقال البراء ولكن رسول الله ﷺ لم يفر وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انحاز
ذات اليمين ومعه نفر قليل منهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى والعباس وابنه الفضل وأبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب بن

والعصر فعرف السرور فى وجهه صلى الله عليه وسلم أى ومن ثم كان جابر رضى الله عنه يدعو فى
مهماته فى ذلك اليوم فى ذلك الوقت ويتحرى ذلك والأحاديث والآثار التى جاءت بذم يوم الأربعاء
محمولة على آخر أربعاء فى الشهر فان فى ذلك اليوم ولد فرعون وادعى الربوبية وأهلكه الله فيه وهو
اليوم الذى أصيب فيه أيوب عليه الصلاة والسلام بالبلاء قال وكان صلى الله عليه وسلم يختلف الى
ثلمة فى الخندق والثلمة الخلل فى الحائط فعن عائشة رضى الله عنها قالت كان ﷺ
يذهب الى تلك الثلمة فاذا أخذه البرد جاء فأدفأته فى حضنى فاذا دفىء خرج الى تلك الثلمة ويقول
ما أخشى أن تؤتى المسلمون الا منها فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حضنى صار يقول ليت
رجلا صالحا يحرس هذه الثلمة الليلة فسمع صوت السلاح فقال رسول الله ﷺ من
هذا فقال سعد بن أبى وقاص سعد يارسول الله أتيتك احرسك فقال عليك هذه الثلمة فاحرسها ونام
رسول الله ﷺ حتى غط وقام صلى الله عليه وسلم فى قبته يصلى لانه صلى الله عليه وسلم
كان إذا أحزنه أمر فزع الى الصلاة ومن ثم لما نعى لابن عباس أخوه قثم وهو فى سفر استرجع
وتنحى عن الطريق وصلى ركعتين أطال فيهما الجلوس وتلا واستعينوا بالصبر والصلاة ثم خرج
صلى الله عليه وسلم من قبته فقال هذه خيل المشركين تطيف بالخندق ثم نادى ﷺ
ياعباد بن بشر قال لبيك قال هل معك أحد قال نعم أنا فى نفر حول قبتك يارسول الله وكان ألزم الناس
لقبة رسول الله ﷺ يحرسها فبعثه صلى الله عليه وسلم يطيف بالخندق وأعلمه بان خيل
المشركين تطيف بهم ثم قال اللهم ادفع عنا شرهم وانصرنا عليهم واغلبهم لا يغلبهم غيرك واذا
أبو سفيان فى خيل يطيفون بمضيق من الخندق فرماهم المسلمون حتى رجعوا ثم ان نعيم بن مسعود
الأشجعى أتى رسول الله ﷺ أى ليلا فقال يارسول الله انى أسلمت وان قومى لم يعلموا
باسلامى فمرنى بما شئت قال وفى رواية ان نعيما لما سارت الأحزاب سار مع قومه أى غطفان وهو على
دينهم فقذف الله فى قلبه الاسلام فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ بين المغرب والعشاء
فوجده يصلى فلما رآه جلس ثم قال له النبى ﷺ ماجاء بك يانعيم قال جئت أصدقك
وأشهد أن ماجئت به حق فاسلم انتهى فقال رسول الله ﷺ انما أنت رجل واحد
فخذل عنا ما استطعت فان الحرب خدعة بفتح الخاء وسكون الدال المهملة أى ينقضى أمرها
بالمخادعة فقال له نعيم يارسول الله انى أقول أى ما يقتضيه الحال وان كان خلاف الواقع قال قل

عمه صلى الله عليه وسلم وأسامة بن زيد وربيعة بن الحرث بن عبد المطلب وعتبة ومعتب ابنا أبى لهب وأيمن ابن أم ايمن وغيرهم
رضى الله عنهم أجمعين وأيمن هذا استشهد يومئذ واختلف فى عدد الذين ثبتوا معه يومئذ فقيل مائة وقيل ثمانون وقيل اثنا عشر وقيل
عشرة وقيل ثلثمائة ولا مخالفة لامكان الجمع باختلاف اللحظات فكانوا تارة قليلا وتارة كثيرا وتارة يجتمعون معه وتارة يتفرقون
عن يمينه وشماله يقاتلون وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فولى الناس وبقيت
معه فى ثمانين رجلا من المهاجرين والانصار فقمنا على أقدامنا ولم نولهم الدبر وهم الذين أنزل الله عليهم السكينة ورسول الله صلى الله
عليه وسلم على بغلته لم يمض قدما وكان العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه عم النبي صلى الله عليه وسلم آخذاً بلجام بغلته يكفها
أن تتقدم فى نحر العدو وجاء فى رواية ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان  آخذا باللجام فلعله كان يمسكه هو تارة
والعباس تارة وكان
أبو سفيان بن الحرث وهو
ابن عم النبي صلى الله
عليه وسلم ورضى عنه
آخذا بركابه صلى الله عليه
وسلم قال رضى الله عنه
لما لقينا العدو بحنين
اقتحمت عن فرسى
و بيدى السيف مصلتا
والله يعلم انى أريد الموت
دونه صلى الله عليه وسلم
وهو ينظر الى فقال له
العباس رضى الله عنه
يارسول الله أخوك وابن
عمك أبو سفيان فارض
عنه فقال صلى الله عليه
وسلم غفر الله له كل عداوة
عادنيها قال ثم التفت إلى
وقال يا أخى فقبلت رجله
فى الركاب وقال صلى الله
عليه وسلم فيه أبو سفيان
ابن الحرث من شباب
أهل الجنة وفى رواية سيد
فتيان أهل الجنة وكان
النبي صلى الله عليه وسلم يركض ناحية هوازن ويقول أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب وأخذ كفا من تراب فرماه فى وجوههم
وقال شاهت الوجوه فما خلق الله منهم انسانا الاملأ الله عينيه من تلك القبضة وجاء فى بعض الروايات انه حين أراد تناول التراب حادت
به بغلته ومال به السرج وكان ابن مسعود رضى الله عنه قريبا منه قال فقلت ارتفع رفعك الله فقال ناولنى كفا من تراب فناولته
فضرب به وجوههم فامتلأت ترابا وقيل انه نزل عن بغلته وأخذ التراب بيده وفى رواية قال للعباس ناولنى من الحصباء فألهم الله
البغلة فانخفضت به حتى كاد بطنها يمس الارض فتناول من البطحاء فحثا فى وجوههم وقال شاهت الوجوه حم لا ينصرون وعن
مالك بن أوس قال حدثنى عدة من قومى شهدوا ذلك اليوم يقولون لقد رمى رسول الله ﷺ تلك الرمية من الحصى فما منا
أحد الا شكى القذى فى عينيه ولقد كنا نجد فى صدورنا خفقا كوقع الحصى فى الطاس ما يهدأ ذلك الخفقان وعن يزيد بن عامر

مابدالك وأنت فى حل ( ) فخرج نعيم رضى الله عنه حتى أتى بنى قريظة وكان لهم نديما قال فلما رأونى
رحبوا بى وعرضوا على الطعام والشراب فقلت انى لم آت لشىء من هذا انما جئتكم تخوفا عليكم لاشير
عليكم برأيى يا بنى قريظة قد عرفتم ودى اياكم وخاصة ما بينى وبينكم قالوا صدقت لست عندنا بمتهم
فقال لهم اكتموا عنى قالوا نفعل قال لقد رأيتم ما وقع لبنى قينقاع ولبنى النضير من اجلائهم وأخذ
أموالهم وان قريشا وغطفان ليسوا كأنتم البلد بلدكم وبها أموالكم ونساؤكم وأبناؤكم لا تقدرون
على أن ترحلوا منه إلى غيره وان قريشا وغطفان قد جاؤا لحرب محمد وأصحابه وقد ظاهرتموهم أى
عاونتموهم عليه وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره فليسوا كأنتم فان رأوا نهزة أى فرصة أصابوها
وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين بلدكم والرجل ببلدكم ولا طاقة لكم به ان خلا
بكم فلا تقاتلوا معهم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم أى سبعين رجلا يكونون بايديكم ثقة لكم
على أن يقاتلوا معكم محمدا حتى يناجزوه أى يقاتلوه قالوا لقد أشرت بالرأى والنصح ودعوا له وشكروا
وقالوا نحن فاعلون قال ولكن اكتموا عنى قالوا نفعل ثم خرج رضى الله عنه حتى أتى قريشا فقال
لأبى سفيان ومن معه من أشراف قريش قد عرفتم ودى لكم وفراقى لمحمد وانه قد بلغنى أمر قد رأيت
ان أبلغكموه نصحا لكم فاكتموا قالوا نفعل قال تعلمون ان معشر يهود يعنى بنى قريظة قد ندموا
على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد أى من نقض عهده وقد أرسلوا اليه أى وأنا عندهم انا قد ندمنا
على ما فعلنا فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين قريش وغطفان رجالا من أشرافهم أى
سبعين رجلا فنعطيكهم فتضرب أعناقهم أى وترد جناحنا الذى كسرت إلى ديارهم يعنون بنى
النضير ثم نكون معك على من بقى منهم حتى نستأصلهم فارسل اليهم نعم فان بعث اليكم يهود
يطلبون منكم رهنا من رجالكم فلا تدفعوا اليهم رجلا واحدا واحذروهم على أسراركم ولكن
اكتموا عنى ولا تذكروا من هذا حرفا قالوا لا نذكره ثم خرج رضى الله عنه حتى أتى غطفان فقال
يا معشر غطفان انكم أهلى وعشيرتى وأحب الناس إلى ولا أراكم تتهموننى قالوا صدقت ما أنت عندنا
بمتهم قال فاكتموا على قالوا نعم فقال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم فلما كان ليلة السبت أرسل
أبو سفيان ورؤس غطفان الى بنى قريظة عكرمة بن أبى جهل فى نفر من قريش وغطفان
فقالوا لهم انا لسنا بدار مقام وقد هلك الخف والحافر فاعدوا للقتال حتى نناجز أى نقاتل محمدا
ونفرغ مما بيننا وبينه فارسلوا اليهم ان اليوم أى الذى يلى هذه الليلة يوم السبت وقد علمتم ما نال منا

من تعدى فى السبت ومع ذلك فلا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا أى سبعين رجلا فقالوا اصدق والله نعم وفى رواية ان بنى قريظة أرسلت لقريش قبل مجىء رسل قريش اليهم رسولا يقول لهم ماهذا التوانى والرأى أن تتواعدوا على يوم يكونون معكم فيه لكنهم لايخرجون حتى ترسلوا اليهم رهنا سبعين رجلا من أشرافكم فانهم يخافون ان أصابكم ماتكرهون رجعتم وتركتموهم فلم تردلهم قريش جوابا وجاءهم نعيم وقال لهم كنت عند أبى سفيان وقد جاءه رسولكم فقال لوطلبوا منى عناقا مادفعتها لهم فاختلفت كلمتهم أى وجاء حيى بن أخطب لبنى قريظة فلم يجد منهم موافقة له وقالوا لانقاتل معهم حتى يدفعوا الينا سبعين رجلا من قريش وغطفان رهنا عندنا و بعث الله تعالى ريحا عاصفا أى وهى ريح الصبا فى ليال شديدة البرد فنقلت بيوتهم وقطعت أطنابها وكفأت قدورهم على أفواهها وصارت الريح تلقى الرجال على أمتعتهم وفى رواية دفنت الرجال واطفأت نيرانهم أى وأرسل الله اليهم الملائكة زلزلتهم قال تعالى فأرسلنا عليهم ريحا وجنوداً لم تروها ولم تقاتل الملائكة بل نفثت فى روعهم الرعب وقال ﷺ نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور وفى لفظ نصر الله المسلمين بالريح وكانت ريحا صفراء ملأت عيونهم ودامت عليهم ثم ان رسول الله ﷺ بلغه اختلاف كلمتهم وكانت تلك الليلة شديدة البرد والريح فى أصوات ريحها أمثال الصواعق وسيأتى انها لم تجاوز عسكر المشركين وشديدة الظلمة بحيث لايرى الشخص أصبعه إذا مدها فجعل المنافقون يستأذنون ويقولون ان بيوتنا عورة أى من العدو لانها خارج المدينة وحيطانها قصيرة يخشى عليها السرقة فاذن لنا أن نرجع الى نسائنا وأبنائنا وذرارينا فيأذن ﷺ لهم قيل ولم يبق معه ﷺ تلك الليلة الا ثلثمائة وقال من يأتينا بخبر القوم فقال الزبير رضى الله عنه انا قال صلى الله عليه وسلم ذلك ثلاثا والزبير يجيبه بماذكر فقال النبى ﷺ لكل نبى حوارى أى ناصر وان حوارى الزبير أى وهذا قاله ﷺ له أيضا عند ارساله لكشف خبر بنى قريظة هل نقضوا العهد أولا كما تقدم وسيأتى ان قول ذلك أيضا فى خيبر وفى الحديث حوارى الزبير من الرجال وحوارى من النساء عائشة وفى رواية انه ﷺ قال ألا رجل يقوم فينظر لنا مافعل القوم ثم يرجع اسأل الله أن يكون رفيقى فى الجنة وفى لفظ يكون معى يوم القيامة وفى لفظ يكون رفيق ابراهيم يوم القيامة قال ذلك ثلاثا فما قام أحد من شدة الخوف والجوع والبرد فدعا ﷺ حذيفة

السوانى وكان حضر ذلك اليوم فسئل عن الرعب فكان يأخذ الحصاة فيرمى بها فى الطست فيطن فيقول انا كنا نجد فى أجوافنا مثل هذا وعن أبى عبد الرحمن الفهرى قال حدثنى أبناؤهم عن آبائهم انهم قالوا لم يبق منا أحد الا امتلأت عيناه وفمه ترابا وسمعنا صلصلة من السماء كامرار الحديد على الطست وهذا الرمى وقع فى هذه الغزوة وفى غزوة بدر وفى ذلك قال الله تعالى وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وإلى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله ورمى بالحصى فاقصد جيشا * ما العصا عنده وما الالقاء وعن عبد الرحمن بن مولى عن رجل كان فى المشركين يوم حنين قال لما التقينا نحن وأصحاب رسول الله ﷺ يوم حنين لم يقوموا لنا حلب شاة فلما لقيناهم جعلنا نسوقهم ونحن فى آثارهم حتى انتهينا إلى صاحب البغلة البيضاء فاذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلقانا عنده رجال بيض الوجوه (٣٤٨) حسان فقالوا لنا شاهت الوجوه ارجعوا قال فانهزمنا وركبوا أكتافنا ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأى من الهزيمة صار يقول الى أيها الناس الى قال الراوى للحديث فلم أر الناس يلوون على شىء فقال صلى الله عليه وسلم لعمه العباس رضى الله عنه اصرخ يامعشر الانصار يا أصحاب السمرة يعنى الشجرة التى كانت تحتها بيعة الرضوان وفى رواية اصرخ يا للمهاجرين الذين بايعوا تحت الشجرة ويا للانصار الذين آووا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان العباس رضى الله عنه رفيع الصوت حتى جاء انه كان يسمع صوته من مسافة ثمانية أميال وفى رواية قال له ناد يا أصحاب البيعة يوم الحديبية يا أصحاب سورة البقرة وفى لفظ ناد يا أنصار الله وأنصار رسوله يا بنى الخزرج ولا تنافى بين الروايات لاحتمال تكرر قول النبى صلى الله عليه وسلم له وتكرر ندائه وأنه ابن نادى بكل تلك الالفاظ وفى رواية انه ﷺ نادى بنفسه أيضا بعد نداء العباس فالتفت عن يمينه فقال يامعشر الانصار فقالوا لبيك يارسول الله أبشر نحن معك ثم التفت عن يساره فقال يامعشر الانصار فقالوا لبيك يارسول الله أبشر نحن معك وفى رواية فأجابوه لبيك لبيك نحن معك يارسول الله وصار الرجل منهم اذا لم يطاوعه بعيره على الرجوع أى لم ينقد معه بسهولة انحدر عنه وتركه ورجع وسيفه وترسه معه يؤم الصوت حتى ينتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعض الرواة ماشبهت عطفة الأنصار على رسول الله ﷺ الاعطفة الابل وفى لفظ عطفة البقر على أولادها وفى رواية اقبلوا كأنهم الابل إذا حنت على أولادها وفى رواية فجاء المهاجرون والانصار بسيوفهم فى أيمانهم كأنها الشهب فأمرهم النبى صلى الله عليه وسلم أن يصدقوا

الحملة فاقتتلوا مع الكفار قتالا شديدا فنظر الى قتالهم فقال الآن حمى الوطيس وهو التنور يخبز فيه يضرب مثلا لشدة الحرب التى يشبه حرها حر التنور وهذا من فصيح الكلام ولم يسمع من أحد قبل النبى صلى الله عليه وسلم فولى المشركون الادبار والمسلمون يقتلون ويأسرون فيهم وكان فى ركوبه صلى الله عليه وسلم البغلة فى هذا الموطن الذى هو موطن الحرب والطعن والضرب تحقيق لنبوته لما خصه الله به من مزيد الشجاعة وتمام القوة والا فالبغال عادة من مراكب الطمأنينة والامن ولا يصلح لمواطن الحرب فى العادة الا الخيل لأن الخيل مخلوقة للكر والفر بخلاف البغال والابل فبين عليه الصلاة والسلام ان الحرب عنده كالسلم قوة قلب وشجاعة نفس وثقة بالله وتوكلا عليه وقد أجمعت الصحابة رضى الله عنهم انه صلى الله عليه وسلم ما انهزم مع من انهزم بل صار يقدم فى وجه العدو بل ما انهزم فى موطن قط وقد انعقد الاجماع على ذلك قال القاضى عياض من قال  انه انهزم يستتاب فان تاب والا قتل ولما انهزم المشركون تبع أثرهم المسلمون قتلا وأسرا حتى حدث بعض من هوازن بعد اسلامه قال ماخيل لنا الا أن كل حجر وشجر فارس يطلبنا وأنزل الله من الملائكة خمسة آلاف وقيل ثمانية آلاف وقيل ستة عشر ألفا فقيل انهم قاتلوا وقيل لم يقاتلوا وانما نزلوا لالقاء السكينة فى قلوب المؤمنين بالقاء الخواطر الحسنة وجاء أن النبى صلى الله عليه وسلم رفع يديه ودعا وقال اللهم أنشدك ماوعدتنى اللهم لا ينبغى أن يظهروا علينا اللهم كنت وتكون وأنت حى لا تموت تنام العيون وتنكدر النجوم وأنت حى قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ياحى ياقيوم اللهم ان تشأ أن لا تعبد بعد اليوم اللهم لك الحمد واليك المشتكى وأنت المستعان فقال له جبريل عليه السلام لقد لقنت الكلمات التى لقن الله موسى يوم فلق له البحر كان البحر أمامه وفرعون خلفه وكان فى يوم حنين أمام المشركين رجل على جمل أحمر بيده راية سوداء فى رأس رمح طويل وهوازن خلفه ان أدرك من أمامه طعنه برمحه وان فاته دفع رمحه لمن وراءه فاتبعوه فبينما هو كذلك اذ هوى اليه على بن أبى طالب رضى الله عنه ورجل من الانصار يريدانه فأتى على رضى الله عنه من خلفه وضرب عرقوبى الجمل فوقع على عجزه ووثب الانصارى على الرجل فضربه ضربة اطن قدمه بنصف ساقه واجتلد الناس فوالله مارجعت راجعة المسلمين من هزيمتهم حتى وجدوا الاسارى مكتوفين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما انهزم المسلمون تكلم رجال من أهل مكة لما فى نفوسهم من الضغن وكان ذلك قبل أن يتمكن الاسلام فى قلوبهم وقالوا لا تنتهى هذه الهزيمة دون البحر وقالوا غلبت والله هوازن ولم يرض صفوان بن أمية بتلك

ابن اليمان قال فلم أجد بدا من القيام حيث فوه باسمى فجئته صلى الله عليه وسلم فقال تسمع كلامى منذ الليلة ولا تقوم فقلت لا والذى بعثك بالحق ان قدرت أى ماقدرت على مابى من الجوع والبرد والخوف فقال اذهب حفظك الله من أمامك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك حتى ترجع الينا قال حذيفة فلم يكن لى بد من القيام حين دعانى وقال ياحذيفة اذهب فادخل فى القوم فقمت مستبشرا بدعاء رسول الله ﷺ كأنى احتملت احتمالا وذهب عنى ماكنت أجد من الخوف والبرد وعهد صلى الله عليه وسلم الى أن لا أحدث حدثا وفى رواية أما سمعت صوتى قلت نعم قال فما منعك أن تجيبنى قلت البرد قال لا برد عليك حتى ترجع كما يدل على ذلك الرواية الآتية فقال ان فى القوم خبرا فأتنى بخبر القوم قال وفى رواية انه ﷺ لما كرر قوله ألا رجل يأتينى بخبر القوم يكون معى يوم القيامة ولم يجبه أحد قال أبو بكر رضى الله عنه يارسول الله حذيفة قال حذيفة فمر على رسول الله ﷺ وما على جنة من العدو والبرد الامرطا لامرأتى مايجاوز ركبتى وأنا جاث على ركبتى فقال من هذا قلت حذيفة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حذيفة قال حذيفة رضى الله عنه فتقاصرت بالارض قلت بلى يارسول الله قال قم فقمت فقال انه كائن فى القوم خبر فأتنى بخبر القوم فقلت والذى بعثك بالحق ماقمت الاحياء منك من البرد قال لا بأس عليك من حر ولا برد حتى ترجع فقلت والله مابى أن أقتل ولكن أخشى أن أوسر فقال انك لن تؤسر اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته فمضيت كأنى أمشى فى حمام مأخوذ من الحميم وهو الماء الحار وهو عربى قال حذيفة فلما وليت دعانى فقال لى لا تحدثن شيئا وفى رواية لا ترم بسهم ولا حجر ولا تضربن بسيف حتى تأتينى بخبرهم ودخلت فى عمارهم فسمعت أبا سفيان يقول يامعشر قريش ليتعرف كل امرىء منكم جليسه واحذروا الجواسيس والعيون فأخذت بيد جليسى على يمينى وقلت من أنت فقال معاوية بن أبى سفيان وقبضت بيد من على يسارى وقلت من أنت قال عمرو بن العاصى فعلت ذلك خشية أن يفطن بى فقال أبو سفيان يامعشر قريش والله انكم لستم بدار مقام ولقد هلك الكراع والخف واختلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذى نكره ولقينا من هذه الريح ماترون فارتحلوا فانى مرتحل ووثب على جمله فما حل عقال يده الا وهو قائم أى فانه لما ركبه كان معقولا فلما ضربه وثب على ثلاثة قوائم ثم حل عقاله فقال له عكرمة بن أبى جهل انك رأس القوم وقائدهم

المقالة وكان ذلك قبل اسلامه فقال لقائل ذلك بفيك الكثكث أى الحجارة والتراب وقال هشام بن كلدة وكان اخا لصفوان لامه بطل سحر محمد فقال له صفوان اسكت فض الله فاك فوالله لان يربنى رجل من قريش أحب الى من أن يربنى رجل من هوازن ومر رجل على صفوان فقال له أبشر بهزيمة محمد وأصحابه فوالله لا يجبرونها أبدا فغضب صفوان وقال أتبشرنى بظهور الاعراب فوالله لرب من قريش أى مالك يدبر أمرى أحب الى من رجل من الاعراب وقال عكرمة بن أبى جهل لمن قال لا يجبرونها أبدا ليس هذا لك ولا بيدك الامر بيد الله ليس الى محمد منه شىء ان ديل عليه اليوم فان له العاقبة غدا ووصلت الهزيمة الى مكة وسر بذلك قوم لم يتمكن الاسلام فى قلوبهم وأظهروا الشماتة وقال قائل منهم ترجع العرب الى دين آبائها وثبت الله عتاب بن أسيد وجماعة معه فلم يتغيروا عما هم عليه حتى جاءتهم البشرى بنصرة النبى ﷺ وأصحابه وانهزام هوازن ومن معهم وعن قتادة قال مضى سرعان المنهزمين إلى مكة يخبرون أهلها بالهزيمة فسر بذلك قوم من أهلها واظهروا الشماتة وقال قائلهم ترجع العرب الى دين آبائها وقد قتل محمد وتفرق أصحابه فقال عتاب بن أسيد رضى الله عنه ان قتل محمد فان دين الله قائم والذى يعبده محمد حى لا يموت فما أمسوا حتى جاءهم الخبر بنصره صلى الله عليه وسلم فسر عتاب ومعاذ وكبت الله من كان يسره خلاف ذلك ولما انعطف المسلمون راجعين انتهوا فى قتالهم هوازن الى قتل الذرية فنهاهم رسول الله ﷺ عن قتل الذرية وقال ﷺ من قتل قتيلا فله سلبه روى ان اباطلحة الانصارى رضى الله عنه قتل وحده عشرين قتيلا وأخذ أسلابهم وأدرك ربيعة بن رفيع السلمى دريد بن الصمة فاخذ بخطام جمله وهو يظن انه امرأة جاءتكم فاذا هو شيخ كبير أعمى ولا يعرفه الغلام فقال له دريد ماذا تريد فقال أقتلك قال ومن أنت قال ربيعة بن رفيع السلمى ثم ضربه بسيفه فلم يغن شيئا فقال له دريد يسخر به بئس ما سلحتك أمك خذ سيفى هذا من مؤخر الرحل ثم اضرب به وارفع عن العظام واخفض عن الدماغ فانى كذلك كنت أضرب الرجال ثم إذا أتيت أمك فاخبرها انك قتلت دريد بن الصمة فرب يوم قد منعت فيه نساءك فقتله فلما أخبر ربيعة أمه بقتله قالت له أما والله لقد أعتق اثنين بل ثلاثا هلا تكرمت عن قتله لما أخبرك بمنه علينا فقال ما كنت لأتكرم عن رضا الله ورسوله وقيل القاتل لدريد الزبير بن العوام رضى الله عنه وكانت أم سليم رضى الله عنها مع زوجها ابى طلحة زيد بن سهل الانصارى رضى الله عنه وكانت رضى الله عنها حازمة وسطها ببردها وفى حزامها خنجر وكانت حاملا بابنها عبد الله بن ابى طلحة

تذهب وتترك الناس فاستحيا أبو سفيان وأناخ جمله وأخذ بزمامه وهو يقوده وقال ارحلوا فجعل الناس يرحلون وهو قائم ثم قال لعمرو بن العاص يا أبا عبد الله نقيم فى جريدة من الخيل بازاء محمد وأصحابه فانا لا نأمن أن نطلب فقال عمرو أنا أقيم وقال لخالد بن الوليد ما ترى أبا سليمان فقال أنا أيضا أقيم فأقام عمرو وخالد فى مائتى فارس وسار جميع العسكر قال حذيفة رضى الله عنه ولولا عهد رسول الله ﷺ الى حين بعثنى أن لا أحدث شيئا لقتلته يعنى أبا سفيان بسهم وسمعت غطفان بما فعلت قريش فاشتدوا راجعين الى بلادهم وفى رواية فدخلت العسكر فاذا الناس فى عسكرهم يقولون الرحيل الرحيل لا مقام لكم والريح تقلبهم على بعض أمتعتهم وتضربهم بالحجارة والريح لا تجاوز عسكرهم فلما انتصفت الطريق إذا أنا بنحو عشرين فارسا معتمين فخرج الى منهم فارسان وقالا أخبر صاحبك ان الله كفاه القوم قال حذيفة ثم أتيت رسول الله ﷺ فوجدته قائما يصلى فخبرته فحمد الله تعالى وأثنى عليه أى وفى رواية فاخبرته الخبر فضحك حتى بدت ثناياه فى سواد الليل وعاودنى البرد فجعلت أقرقف فاومأ الى رسول الله ﷺ بيده فدنوت منه فسدل على من فضل شملته فنمت ولم أزل نائما حتى الصبح أى طلوع الفجر فلما أن أصبحت أى دخل وقت صلاة الصبح قال لى رسول الله ﷺ قم يا نومان أى يا كثير النوم لأن النبى ﷺ انما قال له لا بأس عليك من برد حتى ترجع الى أى ومن هذا أى ارسال حذيفة رضى الله عنه وما تقدم أى من ارسال الزبير رضى الله عنه تعلم أن ذلك كان فى الخندق ولا مانع منه لأنه يجوز أن يكون ﷺ عدل عن ارسال الزبير واختار حذيفة لامر قام عنده ﷺ من جملة ذلك كون الزبير رضى الله عنه كان عنده حدة وشدة لا يملك نفسه أن يحدث بالقوم ما نهى عنه حذيفة رضى الله عنه وحينئذ يرد قول بعضهم ان الزبير انما أرسل لكشف أمر بنى قريظة هل نقضوا العهد أم لا لا لكشف أمر قريش وحذيفة رضى الله عنه ذهب لكشف أمر قريش هل ارتحلوا أولا وقد اشتبه الامر على بعض الناس فظنهما قضية واحدة فليتأمل ذلك وكان يقال لحذيفة رضى الله عنه صاحب سر رسول الله ﷺ الذى لا يعلمه غيره فقد قال حذيفة رضى الله عنه لقد حدثنى رسول الله ﷺ بما كان وبما يكون حتى تقوم الساعة أى وتقدم ان ابن مسعود رضى الله عنه كان يقال له أيضا صاحب سر رسول الله ﷺ وقد ذكر ابن ظفر فى ينبوع الحياة فى تفسير قوله تعالى فى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ

فقال لها زوجها ماهذا الخنجر الذى معك يا أم سليم قالت ان دنا مني أحد من المشركين بعجته به فقال أبو طلحة ألا تسمع يارسول الله ما تقول أم سليم فاعاد عليه القول فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك وقالت أم سليم رضى الله عنها للنبي صلى الله عليه وسلم بابي أنت وأمى يارسول الله أقتل هؤلاء الذين انهزموا عنك فانهم لذلك أهل فقال رسول الله ﷺ ان الله قد كفى وأحسن أى وقد غفر الله لهم كما قال تعالى وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم وجرح خالد بن الوليد رضى الله عنه جراحات أثقلت به وعن بعض الصحابة رضي الله عنهم قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم بعد ماهزم الله الكفار ورجع المسلمون إلى رحالهم يمشى فى المسلمين ويقول من يدلنى على رحل خالد بن الوليد حتى دل عليه فوجده قد أسند إلى مؤخرة الرحل لانه أثقل بالجراحة فتفل ﷺ  فى جراحاته فبرأ لوقته ❊ وعن جبير ابن مطعم رضى الله عنه قال لقد رأيت قبل هزيمة هوازن والناس يقتتلون شيئا أسود أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم فاذا نمل مبثوث قد ملأ الوادى فلم أشك انه الملائكة ولم تكن الا هزيمة القوم وعن جمع من هوازن قالوا لقد رأينا يوم حنين رجالا بيضا على خيل بلق عليهم عمائم صفر قد أرخوها بين أكتافهم بين السماء والأرض كتائب لا نستطيع أن نقاتلهم من الرعب منهم وكان جملة من قتل من المسلمين فى هذه الوقعة أربعة فقط وقتل من المشركين وقت الحرب أكثر من سبعين قيل وفى الانهزام أكثر من ثلثمائة وأسر منهم خلق كثير ومن النساء ستة آلاف نفس وغنم المسلمون من الابل أربعة وعشرين ألف بعير ومن الغنم أكثر من أربعين ألف شاة ومن الفضة أربعة آلاف أوقية ولم يذكروا عدد البقر لانها كانت قليلة بالنسبة لما ذكر ولما وقعت هزيمة هوازن أسلم كثير من كفار مكة وغيرهم لما رأوا من نصر رسول الله ﷺ وعن عائذ بن عمرو رضى الله عنه قال أصابتنى رمية يوم حنين فى جبهتى وسال الدم على وجهى وصدرى فسلت النبي صلى الله عليه وسلم بيده عن وجهى وصدرى الى ترقوتى ثم دعا لى فصار أثر يده غرة سائلة كغرة الفرس ولما انهزم القوم عسكر بعضهم باوطاس فارسل اليهم ﷺ أبا عامر الاشعرى رضى الله عنه كما يأتى على الاثر والله أعلم

﴿سرية أبى عامر الأشعرى رضى الله عنه﴾ وهو عم أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه وتسمى هذه السرية غزوة أوطاس بعث ﷺ ابا عامر خلف الفارين من هوازن ومعه جمع من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منهم سلمة بن الاكوع رضى الله

---

جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وهبت ريح الصبا ليلا فقلعت الأوتاد وألقت عليهم الابنية وكفأت القدور وسفت عليهم التراب ورمتهم بالحصا وسمعوا فى ارجاء اى نواحى معسكرهم التكبير وقعقعة السلاح أى من الملائكة فصار سيد كل حى يقول لقومه يابنى فلان هلموا إلى فاذا اجتمعوا قال النجاء النجاء فارتحلوا هرابا فى ليلتهم وتركوا ما استثقلوه من متاعهم أى والصبا هي الريح الشرقية وعن ابن عباس رضى الله عنهما قالت الصبا للشمال اذهبي بنا ننصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان الحرائر لا تهب بالليل فغضب الله عليها فجعلها عقيما ويقال لها الدبور فكان نصره ﷺ بالصبا وكان اهلاك عاد بالدبور وهى الريح الغربية وحين انجلاء الأحزاب قال صلى الله عليه وسلم الآن نغزوهم ولا يغزونا وانصرف رسول ﷺ لسبع ليال من ذى القعدة أى بناء على انها كانت فى القعدة وهو قول ابن سعد وقيل كانت فى شوال وكان ذلك سنة خمس أى كما قاله الجمهور قال الذهبي وهو المقطوع به وقال ابن القيم انه الاصح وقال الحافظ ابن حجر هو المعتمد وقيل سنة أربع وصححه الامام النووى فى الروضة قال بعضهم وهو عجيب فانه صحح أن غزوة بنى قريظة كانت فى الخامسة ومعلوم انها كانت عقب الخندق أى وفيه انه يجوز أن تكون بنو قريظة أوائل الخامسة والخندق أواخر الرابعة فتكون فى ذى الحجة واستدل من قال إن الخندق كانت سنة أربع بما يصح عن ابن عمر رضى الله عنهما انه عرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وهو ابن اربع عشرة سنة فلم يجزه ثم عرض عليه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة فاجازه فيكون بينهما سنة واحدة أى وكانت سنة ثلاث فيكون الخندق سنة اربع قال الحافظ ابن حجر ولا حجة فيه لاحتمال أن يكون ابن عمر رضى الله عنهما فى أحد كان أول ما طعن فى الرابعة عشر وكان فى الاحزاب قد استكمل الخمسة عشر وسبقه إلى ذلك البيهقى وحينئذ يكون بين أحد والخندق سنتان كما هو الواقع لا سنة واحدة ومما وقع من الآيات فى هذه الغزوة فى مدة حفر الخندق غير ما تقدم أن بنت بشير بن سعد جاءت لابيها وخالها أى عبد الله بن رواحة بحفنة من التمر ليتغديا بها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هاتيه فصبته فى كفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فما ملأهما ثم أمر بثوب فبسط له ثم قال لانسان عنده اصرخ فى أهل الخندق ان هلموا الى الغداء فاجتمع أهل الخندق عليه فجعلوا يأكلون منه وجعل يزيد حتى صدر أهل الخندق عنه وانه ليسقط من اطراف الثوب أى فان أهل الخندق أصابهم مجاعة قال بعض الصحابة لبثنا ثلاثة أيام لا نذوق زادا وربط ﷺ

غنه فالتقوا باوطاس وهو واد فى ديار هوازن وكان المنهزمون انقسموا ثلاث فرق فرقة منهم لحقت بالطائف وفرقة بنخلة وفرقة باوطاس فانتهى اليهم أبو عامر فاذاهم مجتمعون فناوشوه القتال وقتل منهم أبو عامر تسعة أخوة مبارزة بعد أن يدعو كل واحد منهم الى الاسلام و يقول اللهم اشهد عليه بانى دعوته إلى الاسلام فلم يجب ثم برز له العاشر فدعاه إلى الاسلام وقال اللهم اشهد عليه فقال اللهم لا تشهد على فكف عنه أبو عامر ظنا منه أنه اسلم فافلت ثم أسلم بعد فحسن اسلامه فكان صلى الله عليه وسلم اذا رآه قال هذا شريد أبي عامر ثم استشهد أبو عامر رضى الله عنه قتله أخوان وهما العلاء وأوفى ابنا الحرث بن جشم وجاء ان أبا موسى ادرك قاتل عمه فقتله وقيل ان الذى قتله عاشر الاخوة التسعة وهو الذى أسلم بعد ثم خلف أبا عامر ابو موسى رضى الله عنه باستخلاف عمر له فاقره الناس فقاتل القوم حتى هزمهم وفتح الله على يديه وظفر المسلمون بالغنائم والسبايا ودعا النبى صلى الله عليه وسلم لابى عامر وقال اللهم اغفر لابى عامر واجعله من أعلى امتى فى الجنة وفى رواية وادخله يوم القيامة مدخلا كريما

﴿ ثم سرية الطفيل بن عمرو الدوسى رضى الله عنه الى ذى الكفين ﴾

وهو صنم من خشب كان لعمرو بن حممة الدوسى وذلك انه لما أراد صلى الله عليه وسلم السير الى الطائف لمحاصرة من تحصنوا به من ثقيف بعث الطفيل لاحراق ذلك الصنم وان يوافيه بالطائف فخرج سريعا فهدمه وجعل يلقى النار فى وجهه و يقول

يا ذا الكفين لست من عبادكا
ميلادنا أقدم من ميلادكا
انى حشوت النار فى فؤادكا

وانحدر معه من قومه أربعمائة سراعا لانه كان مطاعا فى قومه فوافوا النبى صلى الله عليه وسلم بعد مقدمه من الطائف بأربعة أيام

﴿ غزوة الطائف ﴾

وذلك أنه صلى الله عليه وسلم حين خرج من حنين وحبس الغنائم بالجعرانة سار الى الطائف وجعل خالد بن الوليد على مقدمته فى ألف من أصحابه وكانت ثقيف لما انهزموا دخلوا حصنهم بالطائف وأغلقوه عليهم بعد أن ادخلوا فيه ما يصلحهم من القوت لسنة وتهيئوا للقتال وكان معهم مالك بن عوف وجمع من أشراف قومه ومر ﷺ فى طريقه بحصن لمالك بن عوف فامر به فهدم ومر بحائط أى بستان لرجل من ثقيف قد تمنع فيه فارسل اليه النبى ﷺ اما أن تخرج واما أن نحرق عليك حائطك فابى أن يخرج منه فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم باحراقه ولما وصل خالد رضى الله عنه الطائف نزل بمن معه من المسلمين قريبا من الحصن وعسكر هناك فرموا المسلمين بالنبل

---

الحجر على بطنه من الجوع أقول أورد ابن حبان فى صحيحه لما أورد الحديث الذى فيه نهيه صلى الله عليه وسلم عن الوصال وقالوا له مالك تواصل يارسول الله قال انى لست مثلكم انى أبيت يطعمنى ربى ويسقينى قال يستدل بهذا الحديث على بطلان ماورد انه صلى الله عليه وسلم كان يضع الحجر على بطنه من الجوع لانه كان يطعم و يسقى من ربه اذا واصل فكيف يترك جائعا مع عدم الوصال حتى يحتاج إلى شد الحجر على بطنه قال وانما لفظ الحديث الحجز بالزاى وهو طرف الازار فصحفوا وزادوا لفظ من الجوع وأجيب بانه لا منافاة كان صلى الله عليه وسلم يطعم و يسقي إذا واصل فى الصوم أى يصير كالطاعم والساقى تكرمة له ولا يحصل له ذلك دائما بل يحصل له الجوع فى بعض الأحايين على وجه الابتلاء الذى يحصل للأنبياء عليهم الصلاة والسلام تعظيما لثوابهم والله أعلم وان جابر بن عبد الله رضى الله عنهما لما علم مابه صلى الله عليه وسلم من شدة الجوع صنع شويهة وصاعا من شعير قال جابر وانما أريد أن ينصرف معى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده فلما قلت له أمر صارخا فصرخ أن انصرفوا مع رسول الله ﷺ الى بيت جابر بن عبد الله قال جابر فقلت انا لله وانا اليه راجعون فاقبل الناس معه أى بعضهم فجلس صلى الله عليه وسلم فاخرجناها اليه فبرك وسمى الله تعالى ثم أكل وتواردها الناس كلما فرغ قوم قاموا أى وذهبوا الى الخندق وجاء آخرون حتى صدر أهل الخندق عنها وهم ألف فاقسم بالله لقد اكلوا حتى تركوه وانصرفوا وان برمتنا لتغط كما هى وان عجيننا ليخبز كما هو قال وفى رواية ان جابرا رضى الله عنه لما رأى مابه صلى الله عليه وسلم من الجوع استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الانصراف الى بيته فاذن له قال جابر فجئت لامرأتى وقلت لها انى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم خمصا شديدا أفعندك شيء قالت عندى صاع من شعير وعناق فذبحت العناق وطحنت الشعير وجعلت اللحم فى برمة فلما أمسينا جئت الى رسول الله ﷺ فساررته وقلت له طعيم لى فقم أنت يارسول الله ورجل أو رجلان فشبك صلى الله عليه وسلم أصابعه فى أصابعى وقال كم هو فذكرت له قال كثير طيب لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينكم حتى أجىء وصاح رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أهل الخندق ان جابرا قد صنع لكم سؤارا أى ضيافة فحيهلا بكم أى سيروا مسرعين وسار رسول الله ﷺ يقدم الناس قال جابر رضى الله عنه فلقيت من الحياء مالا يعلمه الا الله والله انها لفضيحة فقال

رسول

رميا شديدا حتى أصيب كثير من المسلمين بجراحات وقتل من المسلمين اثنا عشر رجلا منهم عبد الله بن أبي أمية المخزومي رضي الله عنه وهو أخو أم سلمة رضي الله عنها وأصيبت عين أبي سفيان رضي الله عنه فأتى النبي صلى الله عليه وسلم وعينه في يده فقال يا رسول الله هذه عيني أصيبت في سبيل الله فقال النبي ﷺ ان شئت دعوت فردت عليك وان شئت فعين في الجنة قال في الجنة ورمى بها من يده وأصيبت عينه الثانية يوم اليرموك عند قتال الروم كما تقدم الكلام على ذلك ولما وصل صلى الله عليه وسلم الطائف نزل قريبا من الحصن ثم لما قتل من قتل من المسلمين ارتفع إلى موضع مسجد الطائف اليوم وحاصرهم ثمانية عشر يوما ونصب عليهم المنجنيق وهو أول منجنيق رمي به في الاسلام وكان الذي أشار به سلمان الفارسي رضي الله عنه بل قيل انه صنعه بيده وأقبل خالد بن الوليد رضي الله عنه ينادي أهل الحصن ويقول من يبارز فلم يطلع



اليه أحد وناداه عبد يا ليل لا ينزل اليك منا أحد ولكن نقيم في حصننا فان به من الطعام ما يكفينا سنين فان أقمت حتى يذهب ذلك الطعام خرجنا اليك بأسيافنا جميعا حتى نموت عن آخرنا ودخل جماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم تحت دبابتين لينقبوا عليهم السور وزحفوا بها إلى جدار الحصن ليخرقوه ففطن لهم ثقيف فارسلوا اليهم سكك الحديد محماة بالنار فخرجوا من تحتها فرموهم بالنبل فقتلوا منهم رجالا والدبابة بفتح الدال المهملة وموحدة مشددة وبعد الألف موحدة ثم هاء التأنيث هي آلة من آلات الحرب تجعل من الجلود يدخل فيها الرجال فيدبون بها إلى الأسوار لينقبوها وأمر رسول الله ﷺ بقطع أعنابهم وتحريقها فقطع المسلمون قطعا ذريعا فسألوه أن يدعها لله وللرحم فقال صلى الله عليه وسلم فاني أدعها لله وللرحم ونادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما عبد نزل من الحصن وخرج لنا فهو حر فخرج منهم بضعة عشر وقيل ثلاثة وعشرون رجلا ونزل منهم شخص في بكرة فقيل له أبو بكرة وكان عبدا للحرث بن كلدة فأعتقهم رسول الله ﷺ ودفع كل رجل منهم إلى رجل من المسلمين يمونه فشق ذلك على أهل الطائف مشقة شديدة واستأذن عيينة بن حصن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أن يأتي ثقيفا في حصنهم ليدعوهم إلى الاسلام فاذن له في ذلك فأتاهم فدخل حصنهم فقال لهم تمسكوا في حصنكم فوالله لنحن أذل من العبيد ولا تعطوا بأيديكم ولا يشق عليكم قطع هذا الشجر ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فقال له ما قلت لهم يا عيينة قال أمرتهم بالاسلام ودعوتهم

رسول الله صلى الله عليه وسلم ادخلوا عشرة عشرة أي بعد أن أخرجت له عجيننا فبصق فيه وبارك ثم عمد ﷺ إلى برمتنا وبصق فيها وبارك الحديث أي ومجيء القوم كان على الوجه المتقدم وان أم عامر الاشهلية أرسلت بقصعة فيها حيس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في القبة عنده أم سلمة رضي الله عنها فأكلت أم سلمة حاجتها ثم خرج بالقصعة ونادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم هلموا إلى عشائه فأكل أهل الخندق حتى نهلوا منها وهي كما هي وقد ذكر الشيخ عبد الوهاب الشعراني رحمه الله ونفعنا ببركاته انه قدم لأربعة عشر رجلا من الفلاحين رغيفا واحدا فأكلوا منه كلهم وشبعوا قال وقدمت مرة الطاجن الذي نعمله في الفرن إلى سبعة عشر نفسا فأكلوا منه وشبعوا وذكر أنه شاهد شيخه الشيخ محمد الشناوي رحمه الله ونفعنا ببركاته وقد جاء من الريف ومعه نحو خمسين رجلا ونزل بزاوية شيخه الشيخ محمد السروي فتسامع مجاورو الجامع الأزهر بمجيئه فأتوا لزيارته فامتلأت الزاوية وفرشوا الحصر في الزقاق ثم قال لنقيب شيخه هل عندك طبيخ قال نعم الطبيخ الذي أفعله لي ولزوجتي فقال له لا تغرف شيئا حتى أحضر ثم غطى الشيخ الدست بردائه وأخذ المغرفة وصار يغرف إلى ان كفى من في الزاوية ومن في الزقاق وهذا شيء رأيته بعيني هذا كلامه ولا بدع فقد ذكر غير واحد من العلماء كالحافظ ابن كثير ان كرامات الأولياء معجزات للأنبياء عليهم الصلاة والسلام لأن الولي إنما نال ذلك ببركة متابعته لنبيه وثواب إيمانه به هذا كلامه قال وأرسل أبو سفيان كتابا لرسول الله ﷺ فيه باسمك اللهم فاني أحلف باللات والعزى أي وأساف ونائلة وهبل كما في لفظ لقد سرت اليك في جمع وأنا أريد أن لا أعود اليك أبدا حتى أستأصلكم فرأيتك قد كرهت لقاءنا واعتصمت بالخندق أي وفي لفظ قد اعتصمت بمكيدة ما كانت العرب تعرفها وانما تعرف ظل رماحها وشبا سيوفها وما فعلت هذا إلا فرارا من سيوفنا ولقائنا ولك مني يوم كيوم أحد فأرسل له ﷺ جوابه فيه أما بعد أي بعد بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى صخر بن حرب كذا في كلام سبط ابن الجوزي فقد أتاني كتابك وقديما غرك بالله الغرور وأما ما ذكرت انك سرت الينا وأنت لا تريد أن تعود حتى تستأصلنا فذلك أمر يحول الله بينك وبينه ويجعل لنا العاقبة وليأتين عليك يوم أكسر فيه اللات والعزى وأسافا ونائلة وهبل حتى أذكرك ذلك يا سفيه بني غالب انتهى

## ﴿ غزوة بني قريظة ﴾

اليه وحذرتهم النا رود لالتهم على الجنة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبت إنما قلت لهم كذا وقص عليه القصة فقال صدقت يارسول الله أتوب إلى الله واليك من ذلك وكان جملة من قتل من المسلمين اثنى عشر منهم عبدالله بن أبى أمية المخزومى رضى الله عنه أخو أم سلمة رضى الله عنها ولم يؤذن لرسول الله ﷺ فى فتح الطائف قالت خولة بنت حكيم رضى الله عنها قلت له يارسول الله ما يمنعك أن تنهض إلى أهل الطائف قال لم يؤذن لنا حتى الآن فيهم وما أظن أن نفتحها الآن فذكرت خولة ذلك لعمر ابن الخطاب رضى الله عنه فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ماحديث حدثتنيه خولة زعمت انك قلته لها قال قلته قال أوما أذن الله فيهم يارسول الله قال لا واستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم نوفل بن معاوية الديلى فى الذهاب أو المقام فقال له ثعلب فى حجر ان أقمت أخذته  وان تركته لم يضرك قال ابن اسحق و بلغنى انه ﷺ قال لأبى بكر الصديق رضى الله عنه انى رأيت انى أهديت لى قعبة مملوءة زبدا فنقرها ديك فهراق مافيها فقال أبو بكر رضى الله عنه ماأظن أن تدرك منهم يومك هذا ماتريد فقال صلى الله عليه وسلم وأنا لاأرى ذلك وكأن الحكمة فى انه لم يؤذن له فى فتح الطائف ذلك العام ان لايستأصل أهل ذلك الحصن قتلا فاخر الله أمرهم حتى جاؤا طائعين مسلمين كما سيأتى ذكره فى الوفود ان شاء الله ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه فاذن فى الناس بالرحيل فضج الناس من ذلك وقالوا نرحل ولم يفتح علينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاغدوا على القتال فغدوا فأصابت المسلمين جراحات فقال ﷺ انا قافلون ان شاء الله فسروا بذلك لذلك واذعنوا وجعلوا يرحلون ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك تعجبا من سرعة تغير رأيهم لانهم رأوا ان رأيه ﷺ أبرك وأنفع من رأيهم فرجعوا اليه وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده فلما ارتحلوا قال قولوا آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون وقيل له يارسول الله ادع على ثقيف أهل الطائف فقال اللهم اهد ثقيفا وائت بهم مسلمين و رحم الله الأبوصيرى حيث يقول

جهلت قومه عليه فاغضى * وأخو الحلم دأبه الاغضاء

وسع العالمين علما وحلما * فهو بحر لم تعيه الاعياء

وعند انحداره إلى الجعرانة لقيه سراقة بن مالك وهو واضع للكتاب الذى كتبه له ﷺ عند الهجرة بين اصبعيه و ينادى أنا سراقة وهذا كتابى فقال صلى الله عليه وسلم هذا يوم وفاء ومودة ادنوه فأدنوه منه فأسلم رضى الله عنه وسأل النبى ﷺ عن الضالة من الابل ترد حوضه الذى ملأه لابله هل له فى ذلك أجر فقال له رسول الله ﷺ نعم فى كل ذات كبد حرى أجر ولما وصل ﷺ الجعرانة

---

وهم قوم من اليهود بالمدينة من حلفاء الاوس وسيد الاوس حينئذ سعد بن معاذ رضى الله عنه كما تقدم لمارجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق وكان وقت الظهيرة أى وقد صلى الظهر ودخل بيت عائشة رضى الله عنها وقيل زينب بنت جحش رضى الله عنها ودعا بماء فبينما هو ﷺ يغتسل أى غسل شق رأسه الشريف وفى رواية بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغسل يرجل رأسه قد رجل أحد شقيه أى وفى رواية غسل رأسه واغتسل ودعا بالمجمرة ليتبخر أتى جبريل عليه السلام النبى ﷺ معتجرا بعمامة أى سوداء من استبرق وهو نوع من الديباج مرخيا منها بين كتفيه وفى رواية عليه لامته ولا معارضة لانه يجوز أن يكون الاعتجار بالعمامة على تلك اللامة وهو على بغلة أى شهباء عليها قطيفة وهى كساء له وبر من ديباج أى أحمر وفى رواية جاءه على فرس أبلق فقال أوقد وضعت السلاح يارسول الله قال نعم قال جبريل عليه السلام ماوضعت السلاح وفى رواية ماوضعت ملائكة الله السلاح بعد قال وفى رواية انه قال يارسول الله ماأسرع ماحللتم عذيرك من محارب عفا الله عنك أى من يعذرك وفى لفظ غفر الله لك أوقد وضعتم السلاح قبل أن تضعه الملائكة فقال رسول الله ﷺ نعم قال فوالله ماوضعناه وفى لفظ ماوضعت الملائكة السلاح منذ نزل بك العدو ومارجعنا الآن إلا من طلب القوم يعنى الأحزاب حتى بلغنا الاسد انتهى أى حمراء الاسد إن الله يأمرك يامحمد بالمسير إلى بنى قريظة فانى عامد اليهم زاد فى رواية بمن معى من الملائكة فمزلزل بهم الحصون زاد وفى رواية فقال رسول الله ﷺ ان فى أصحابى جهدا فلو نظرتهم أياما فقال جبريل عليه السلام انهض اليهم فوالله لأدقنهم كدق البيض على الصفا ولأدخلن فرسى هذا عليهم فى حصونهم ثم لاضعضعنها فادبر جبريل عليه السلام ومن معه من الملائكة حتى سطع الغبار فى زقاق بنى غنم وهم طائفة من الأنصار وفى البخارى عن أنس قال كأنى أنظر إلى الغبار ساطعا فى زقاق بنى غنم موكب جبريل عليه السلام حين سار لبنى قريظة والموكب بكسر الكاف اسم لنوع من السير وعن عائشة رضى الله عنها انها قالت لمارجع النبى ﷺ يوم الخندق بينا هو عندى اذ دق الباب أى وفى رواية نادى مناد أى فى موضع الجنائز عذيرك من محارب () أى من يعذرك فارتاع

مربا احصاء السبي فكان كما تقدم ستة آلاف من النساء والذرية والاسرى ومن الابل أربعة وعشرين ألفا ومن الغنم اكثر من اربعين ألفا ومن الفضة أربعة آلاف أوقية غير ما يتبع ذلك من الامتعة وكان صلى الله عليه وسلم قد انتظر قدوم هوازن وتربص بهم بضع عشرة ليلة ثم بدأ بقسمة الغنائم فقسمها ثم قدم عليه هوازن مسلمين ورد عليهم السبي كما سيأتى وسألهم عن رئيسهم مالك بن عوف النصرى فقالوا هو مع ثقيف بالطائف فقال أخبروه انه ان أتانى مسلما رددت عليه أهله وماله وأعطيته مائة من الابل فلما أخبروا مالكا بذلك ركب مستخفيا فأدرك النبي صلى الله عليه وسلم بالجعرانة وقيل بمكة فرد عليه أهله وماله وأعطاه مائة من الابل كما وعد صلى الله عليه وسلم وأسلم وحسن اسلامه رضى الله عنه وقال حين أسلم يمدح النبي صلى الله عليه وسلم ما ان رأيت ولا سمعت بمثله * فى الناس كلهم بمثل محمد أوفى وأعطى للجزيل اذا احتدى * ومتى تشا يخبرك عما فى غد فكأنه ليث على أشباله وسط الهباة جاذر فى مرصد



واستعمله النبي صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه فكان يقاتل بهم ثقيفا لا يخرج لهم سرح الا أغار عليه وضيق عليهم حتى أسلموا وشهد فتح القادسية وفتح دمشق فى خلافة عمر رضى الله عنه ولما جاء وفد هوازن الى النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن قسم الغنائم سألوه أن يرد عليهم سبيهم وأموالهم فقال صلى الله عليه وسلم معى من ترون يعنى من المسلمين وقد استأنيت بكم حتى ظننت أنكم لا تقدمون وقد قسمت فاختاروا إما السبي وإما المال فاختاروا السبي فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين فى رد سبيهم عليهم فردوه كلهم الا عيينة بن حصن فانه أبى ان يرد عجوزا كبيرة وقال هذه أم الحى لعلهم ان يغلوا فداءها ثم ردها بست قلائص كما سيأتى وكانت فى السبي أخته صلى الله عليه وسلم من الرضاع وهى الشيماء قيل وأمه حليمة رضى الله عنها ولما قالت له الشيماء انا أختك يارسول الله قال وما علامة ذلك فأخبرته بعضة كان عضها إياها حين كان مسترضعا عندهم وأرته إياها فعرفها وتذكر ذلك فقام و بسط لها رداءه وصنع مثل ذلك بأمه حليمة رضى الله عنها حين جاءته ودمعت عيناه وقال للشيماء لما ان عرفها سلى تعطى واشفعى تشفعى وقيل ان قومها قالوا لها ان هذا الرجل أخوك فلو أتيته فسألته فى قومك لرجونا أن يحابينا فأتته فقالت أتعرفنى قال من أنت قالت انا اختك بنت أبى ذؤيب وآية ذلك انى حملتك فعضضت كتفى عضة شديدة هذا أثرها فرحب بها فاستوهبته السبي وهم ستة آلاف فوهبهم لها فما عرفت مكرمة مثلها ولا امرأة أيمن على قومها منها وخيرها صلى الله عليه وسلم فقال ان احببت فعندى محببة

---

لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أى فزع ووثب وثبة منكرة وخرج فخرجت فى أثره فاذا رجل على دابة والنبي صلى الله عليه وسلم متكئ على معرفة الدابة يكلمه فرجعت فلما دخل قلت من ذلك الرجل الذى كنت تكلمه قال ورأيته قلت نعم قال بمن تشبهينه قلت بدحية الكلبي قال ذاك بكسر الكاف جبريل عليه السلام أمرنى أن أمضى الى بنى قريظة أى وهذا يؤيد أنه صلى الله عليه وسلم كان عند منصرفه من الخندق فى بيت عائشة وأبرز رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذنا أى وهو بلال كما فى سيرة الحافظ الدمياطى فأذن فى الناس من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر أى وفى رواية الظهر الا ببنى قريظة قال فى النور والجمع بينهما أن الامر بعد دخول وقت الظهر بالمدينة وقد صلى بعضهم دون بعض فقيل للذين لم يصلوا الظهر لا تصلوا الظهر الا فى بنى قريظة وقيل للذين صلوها لا تصلوا العصر الا فى بنى قريظة وفى رواية بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ مناديا يا خيل الله أى يا فرسان خيل الله اركبى ثم سار اليهم قال وقد لبس صلى الله عليه وسلم السلاح الدرع والمغفر والبيضة وأخذ قناة بيده الشريفة وتقلد السيف وركب فرسه اللحيف بالضم وقيل ركب حمارا وهو اليعفور عريانا والناس حوله قد لبسوا السلاح وركبوا الخيل وهم ثلاثة آلاف والخيل ستة وثلاثون فرسا له صلى الله عليه وسلم منها ثلاثة واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضى الله عنه وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب كرم الله وجهه برايته الى بنى قريظة اى وفى رواية دفع إليه لواءه وكان اللواء على حاله لم يحل من مرجعه من الخندق ومر صلى الله عليه وسلم بنفر من بنى النجار قد لبسوا السلاح فقال هل مر بكم أحد قالوا نعم دحية الكلبي مر على بغلة بيضاء اى وفى رواية على فرس أبيض عليه اللامة وأمرنا بحمل السلاح وقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلع عليكم الآن فلبسنا سلاحنا وصففنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك جبريل عليه السلام بعث الى بنى قريظة ليزلزل حصونهم ويقذف الرعب فى قلوبهم فلما دنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه من الحصن اى ومعه نفر من المهاجرين والانصار وغرز اللواء عند أصل الحصن سمع من بنى قريظة مقالة قبيحة فى حقه صلى الله عليه وسلم اى وحق ازواجه اى فسكت المسلمون وقالوا السيف بيننا وبينكم فلما رأى على كرم الله وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا امر أبا قتادة الانصارى رضى الله عنه أن يلزم اللواء ورجع اليه صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الاخابث قال لعلك سمعت منهم لى أذى قال نعم يارسول الله قال

مكرمة وان أحببت ان أمتعك وترجعي إلى قومك قالت بل تمتعني وأرجع إلى قومي فاعطاها نعما وشاء وغلاما يقال له مكحول وجارية وقيل أعطاها ثلاثة أعبد وجارية ونعما وشاء وقيل القادم عليه أمه وقيل هما معا جمعا بين الروايات وجاءه أبو صرد ويكني بابي برقان وكان عماله صلى الله عليه وسلم من الرضاع فقال يارسول الله انا أصل وعشيرة وقد أصابنا من البلاء مالم يخف عليك وان فيمن أصبتم الامهات والاخوات والعمات والخالات ونرغب إلى الله واليك يارسول الله وقال زهير بن صرد يارسول الله ان مافى الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتى كن يكفلنك أى لان مرضعته حليمة رضى الله عنها كانت من هوازن لو أرضعنا للحرث بن أبى شمر ملك الشام أو للنعمان بن المنذر ملك العراق ثم نزل بنا مثل مانزلت بنا لرجونا عطفه وعائدته علينا وأنت خير المكفولين ثم أنشده أبياتا يستعطفه بها منها قوله امنن (٣٥٦) علينا رسول الله فى كرم * فانك المرء نرجوه وننتظر امنن على نسوة قد كنت ترضعها * اذفوك يملؤه من محضها الدرر انا نؤمل عفوا منك تلبسه هذى البرية أن تعفو وتنتصر فالبس العفو من قد كنت ترضعه من أمهاتك ان العفو مشتهر فقال صلى الله عليه وسلم ان أحسن الحديث أصدقه أبناؤكم ونساؤكم أحب اليكم أم أموالكم فاختاروا احدى الطائفتين اما السبي واما المال وقد كنت استأنيت بكم حتى ظننت انكم لاتقدمون لانه كما تقدم انتظرهم بعد ان قفل من الطائف بضع عشرة ليلة وفى رواية قال لهم قد وقعت المقاسم مواقعها فاى الامرين أحب اليكم السبي أم الاموال وفى رواية قال لهم أما مالى ولبنى عبد المطلب فهو لكم قال لهم اذا أنا صليت الظهر بالناس فقوموا فقولوا انا نستشفع برسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسلمين وبالمسلمين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أبنائنا ونسائنا وأظهروا اسلامكم وقولوا نحن اخوانكم فى الدين فسأسأل لكم الناس فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر قاموا فتكلموا بالذى أمرهم به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن أثنى على الله بماهو أهله أما بعد فان اخوانكم هؤلاء جاؤا تائبين وانى قد رأيت ان أرد اليهم سبيهم فمن أحب منكم أن يطيب بذلك فليفعل ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه اياه من أول ما يفيء الله علينا فليفعل وفى رواية قال وأما من تمسك منكم بحقه من السبي فله بكل انسان ست قلائص وفى رواية فرائض لان البعير يسمى فريضة لكونه يؤخذ فى الزكاة ونعطيه ذلك من اول سبي نصيبه وفى رواية فمن أحب أن يعطى غير مكره فليفعل ومن كره أن يعطى وأراد أخذ الفداء فعلى فداؤهم ثم قال أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم فقال المهاجرون والانصار ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الاقرع

لو رأونى لم يقولوا من ذلك شيئا فلما دنا رسول الله ﷺ من حصونهم قال يااخوان القردة هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته قال وفى رواية نادى باعلى صوته نفرا من أشرافهم حتى أسمعهم وقال أجيبوا يااخوة القردة والخنازير وعبدة الطاغوت أى وهو ماعبد من دون الله كما تقدم هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته أتشتمونى فجعلوا يحلفون ويقولون ماقلنا اه ويقولون ياأبا القاسم ما كنت جهولا أى وفى لفظ ما كنت فاحشا وفى رواية تقدمه صلى الله عليه وسلم الى يهود أسيد ابن حضير رضى الله عنه فقال لهم يا أعداء الله لاتبرحوا من حصنكم حتى تموتوا جوعا إنما أنتم بمنزلة ثعلب فى جحر فقالوا ياابن الحضير نحن مواليك وخاروا أى خافوا قال لاعهد بينى وبينكم وتقدم أسيد إلى بنى قريظة يجوز أن يكون قبل مقدم على لهم ويجوز أن يكون بعده وانما قال لهم ياإخوان القردة والخنازير لان اليهود مسخ شبانهم قردة وشيوخهم خنازير عند اعتدائهم يوم السبت بصيد السمك وقد حرم عليهم ذلك كسائر الاعمال وقد أمرهم أن يتفرغوا لعبادة ربهم فى ذلك اليوم وكان ذلك فى زمن داود عليه السلام فلما مسخوا خرجوا من تلك القرية هائمين على وجوههم متحيرين فمشوا ثلاثة أيام لايأكلون ولا يشربون ثم ماتوا وهذا دليل لمن يقول ان الممسوخ لايعيش أكثر من ثلاثة أيام ولم يحصل منه توالد ولا تناسل وفى الكشاف قيل ان أهل أيلة أى وهى قرية بين مصر ومدين لما اعتدوا فى السبت قال داود عليه الصلاة والسلام اللهم العنهم واجعلهم للناس آية فمسخوا قردة ولما كفر أصحاب عيسى عليه الصلاة والسلام بعد المائدة قال عيسى اللهم عذب من كفر بعدما أكل من المائدة عذابا لم تعذبه أحدا من العالمين والعنهم كما لعنت أصحاب السبت فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل مافيهم امرأة ولاصبى هذا كلامه فليتأمل فمكثوا ثلاثة أيام لايأكلون ولايشربون فماتوا ثم ان جماعة من الصحابة شغلهم مالم يكن لهم منه بد المسير عن لبنى قريظة ليصلوا بها العصر فاخروا صلاة العصر الى أن جاؤا بعد عشاء الآخرة امتثالا لقوله ﷺ لايصلين العصر الا فى بنى قريظة فصلوا العصر بها بعد عشاء الآخرة أى وبعضهم قال نصلى مايريد رسول الله ﷺ منا أن ندع الصلاة ونخرجها عن وقتها وانما أراد الحث على الاسراع فصلوها فى أماكنهم ثم ساروا ( ) فماعابهم الله فى كتابه ولاعنفهم رسول الله ﷺ أى لان كلا من الفريقين تأول قال فى الهدى كل من الفريقين مأجور بقصده الا أن من صلى حاز الفضيلتين ولم يعنف الذين أخروها لقيام عذرهم فى التمسك بظاهر الأمر وهو دليل

ابن حابس اما أنا و بنو تميم فلا وقال عيينة بن حصن الفزاري أما أنا و بنو فزارة فلا وقال العباس بن مرداس السلمي أما أنا و بنو سليم فلا فقال بنو سليم بلى ما كان لنا فهو لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم فقال لهم العباس وهنتموني أي أضعفتموني حيث صيرتموني منفردا وفي رواية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء القوم مسلمون وقد خيرتهم فلم يعدلوا بالأبناء والنساء شيئا فمن كان عنده من النساء سبي فطابت نفسه أن يرده فليرده ومن أبى فليرد ذلك فرضا علينا بكل انسان ست فرائض من أول ما يفيء الله علينا قالوا رضينا وسلمنا فردوا عليهم نساءهم وأبناءهم وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال إنا لا ندري لعل فيكم من لم يرض فمروا عرفاءكم فليرفعوا إلينا فرفعت العرفاء اليه أنهم قد رضوا وكان صلى الله عليه وسلم عند تفريق السبي على المسلمين قد أمر مناديا ينادي أن لا توطأ الحبالى حتى يضعن ولا غير الحبالى حتى يستبرأن بحيضة وقد أشار (٣٥٧) صاحب الهمزية إلى عفوه صلى الله عليه وسلم عن هوازن ومنه عليهم بقوله

من فضلا على هوازن إذ كا
ن له قبل ذاك فيهم رباء
وأتى السبي فيه أخت رضاع
وضع الكفر قدرها والسباء
فحباها برا توهمت النا
س به انما السباء هداء
بسط المصطفى لها من رداء
أي فضل حواه ذاك الرداء
فغدت به وهي سيدة النسـ
ـوة والسيدات فيه اماء

والصحيح أنه صلى الله عليه وسلم رد عليهم جميع السبي ولم يتخلف منه أحد إلا عجوز من عجائزهم كانت عند عيينة بن حصن كما تقدم فأبى أن يردها وقال حين أخذها أرى عجوزا إني لأحسب أن لها في الحي نسبا وعسى أن يعظم فداؤها فمر عليه ولدها وهو زهير بن صرد فساومها منه وأعطاه مائة من الابل فيها فأبى عيينة وطمع في الزيادة فتركه وذهب وغاب عنه ثم مر عليه معرضا فقال له عيينة خذها بالمائة فأبى وقال لا أدفع إلا خمسين فأبى عيينة فغاب عنه ثم مر معرضا فقال خذها بالخمسين فقال لا أدفع الا خمسة وعشرين فأبى عيينة فغاب عنه ثم مر عليه معرضا فقال خذها بالخمسة والعشرين فقال لا آخذها الا بعشرة فأبى عيينة فغاب عنه ثم مر معرضا فقال خذها بالعشرة فقال لا آخذها الا بستة والله ما ثديها بناهد ولا بطنها بوالد ولا فوها ببارد ولا صاحبها بواجد عند قوتها أي حزين ولا درها بناكد أي غزير فقال له عيينة خذها لا بارك الله لك فيها وذلك بسبب دعائه ﷺ فانه دعا على من أبى أن يرد من السبي شيئا أن يبخس أي يكسد ثمنه ولما أخذها ولدها قال لعيينة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كسا السبي قبطية فقال لا والله ماذاك لها عندي فما فارقه حتى أخذ لها منه ثوبا والقبطية بضم القاف ثوب أبيض من ثياب مصر منسوب للقبط روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر رجلا

دليل على أن كل مختلفين في الفروع من المجتهدين مصيب وادعى ابن التين رحمه الله أن الذين صلوا العصر صلوها على ظهور دوابهم قال لأنهم لو صلوا نزولا لكان مضادة لما أمروا به من الاسراع ولا يظن ذلك مع تقرب أفهامهم قال الحافظ ابن حجر رحمه الله وفيه نظر لأنه لم يأمرهم بترك النزول ولم أر أنهم صلوا ركبانا في شيء من طرق القصة والتعليل بالاسراع يقتضي أنهم صلوا على ظهور دوابهم سائرة لا واقفة وحاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بني قريظة خمسا وعشرين ليلة وقيل خمسة عشر يوما أي وقيل شهرا وكان طعام الصحابة التمر يرسل به إليهم سعد بن عبادة رضي الله عنه أي يجاء به من عنده وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ نعم الطعام التمر () حتى جهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب وكان حيي بن أخطب دخل مع بني قريظة حصنهم حين رجعت الاحزاب وفاء لكعب بما كان عاهده عليه أي كما تقدم فلما أيقنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يناجزهم أي يقاتلهم قال كبيرهم كعب بن أسيد يا معشر يهود قد نزل بكم من الامر ما ترون واني عارض عليكم خلالا ثلاثا أيها شئتم قالوا وما هي قال نتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين لكم أنه نبي مرسل وأنه الذي تجدونه في كتابكم فتأمنون على دمائكم وأموالكم ونسائكم وأبنائكم قال وزاد في لفظ آخر وما منعنا من الدخول معه الا الحسد للعرب حيث لم يكن من بني اسرائيل ولقد كنت كارها لنقض العهد ولم يكن البلاء والشؤم إلا من هذا الجالس يعني حيي بن خطب أتذكرون ما قال لكم ابن خراش حين قدم عليكم انه يخرج بهذه القرية نبي فاتبعوه وكونوا له أنصارا وتكونوا آمنتم بالكتابين الأول والآخر اه أي التوراة والقرآن اي وكانت يهود بني قريظة يدرسون ذكر رسول الله ﷺ في كتبهم ويعلمون الولدان صفته وان مهاجره المدينة وفيه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانت يهود بني قريظة و بني النضير وفدك وخيبر يجدون صفة النبي ﷺ قبل أن يبعث وان دار هجرته المدينة ولما قال لهم كعب ذلك قالوا لا نفارق حكم التوراة أبدا ولا نستبدل به غيره قال كعب فاذا أبيتم على هذه فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج الى محمد وأصحابه رجالا مصلتين السيوف ولم نترك وراءنا ثقلا حتى يحكم الله بيننا و بين محمد فان نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلا أي ولدا يخشى عليه وان نظفر فلعمري لنجدن النساء والابناء قالوا نقتل هؤلاء المساكين فما خير العيش بعدهم قال فان أبيتم على هذه فان الليلة ليلة السبت وان عسى ان

أن يقدم مكة فيشترى للسبي ثيابا فلا يخرج الحر منهم إلا كاسيا وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحبس أهل مالك بن عوف النصرى عند عمته عاتكة أم عبد الله بن أبى أمية المخزومى حتى جاء مالك فسلم إليه أهله وكان الوفد كلموه صلى الله عليه وسلم فى ذلك فقال إنما أريد بهم الخير ولم يجز أن تجرى السهمان فى مال مالك بن عوف حتى حضر ورده عليه وزاده مائة من الابل كما تقدم ﴿ ذكر قسمة الغنائم ﴾ لما رجع صلى الله عليه وسلم إلى الجعرانة قسم الغنائم وبدأ بالمؤلفة قلوبهم وهم ناس من قريش أسلموا يوم الفتح إسلاما ضعيفا وأراد صلى الله عليه وسلم أن يتمكن الايمان فى قلوبهم وكان فيهم من لم يسلم بعد ثم أسلم كصفوان بن أمية ولما جمعت الغنائم وأحصيت جاء أبو سفيان إلى النبى صلى الله عليه وسلم فلما رأى كثرة المال قال يا محمد أصبحت أكثر قريش فتبسم صلى الله عليه وسلم ثم أعطاه مائة من الابل وأربعين أوقية من فضة فقال يارسول الله ابنى يزيد وكان يقال له يزيد الخير وكان أكبر من معاوية فأعطى صلى الله عليه وسلم لابنه يزيد مائة من الابل وأربعين أوقية من فضة فقال يارسول الله ابنى معاوية فأعطاه مائة من الابل وأربعين أوقية من فضة فأخذ أبو سفيان وابناه ثلثمائة من الابل ومائة وعشرين أوقية من الفضة فقال أبو سفيان بأبى أنت وأمى يارسول الله لأنت كريم فى الحرب وكريم فى السلم لقد حاربتك فنعم المحارب كنت وسالمتك فنعم المسالم كنت هذا غاية الكرم جزاك الله خيرا وجاء حكيم بن حزام فسأل النبى صلى الله عليه وسلم فأعطاه مائة من الابل ثم سأل النبى صلى الله عليه وسلم فأعطاه مائة ثم سأله فأعطاه مائة ثم قال له يا حكيم هذا المال خضر حلو فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذى يأكل ولا يشبع واليد العليا خير من اليد السفلى فأخذ حكيم المائة الاولى وترك ماعداها وقال يارسول الله والذى بعثك بالحق لا أرزأ أحدا بعدك شيئا حتى أفارق الدنيا فكان أبو بكر رضى الله عنه يدعو حكيما ليعطيه العطاء فيأبى ان يقبل منه شيئا ثم كان عمر رضى الله عنه فى زمن خلافته يدعوه ليعطيه فيأبى أن يقبل فكان عمر رضى الله عنه يقول يامعشر المسلمين إنى أعرض على حكيم حقه الذى قسم الله له من هذا الفىء فيأبى ان يقبله رضى الله عنه والذين أعطاهم النبى صلى الله عليه وسلم مائة مائة من الابل كثير منهم أبو سفيان وابناه يزيد ومعاوية وحكيم بن حزام والاخنس بن شريق وجبير ابن مطعم والجد بن قيس السهمى والحرث بن الحرث والحرث بن هشام أخو أبى جهل وحاطب بن عبد العزى وحرملة بن خودة

يكون محمد وأصحابه قد أمنوا فيها فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة أى غفلة فقالوا نفسد سبتنا ونحدث فيه مالم يحدث فيه من كان قبلنا إلا من قد علمت وأصابه مالم يخف عليك من المسخ قال وقال لهم عمرو بن سعدى قد خالفتم محمدا فيما حالفتموه أى عاهدتموه عليه ولم أشركم فى غدركم فان أبيتم أن تدخلوا معه فاثبتوا على اليهودية واعطوا الجزية فوالله ما أدرى يقبلها أم لا قالوا نحن لا نقر للعرب بخراج فى رقابنا يأخذونه القتل خير من ذلك قال فانى برىء منكم وخرج فى تلك الليلة فمر بحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه محمد بن مسلمة فقال محمد بن مسلمة من هذا قال عمرو بن سعدى قال مر اللهم لا تحرمنى إقالة عثرات الكرام وخلى سبيله وبعد ذلك لم يدر أين هو وقيل وجدت رمته وأخبر رسول الله ﷺ خبره فقال ذلك رجل نجاه الله بوفائه وفى لفظ أنه قال لهم قبل أن يقدم النبى ﷺ لحصارهم يابنى قريظة لقد رأيت عبرا رأيت دار إخواننا يعنى بنى النضير خالية بعد ذلك العز والجلد والشرف والرأى الفاضل والعقل تركوا أموالهم قد تملكها غيرهم وخرجوا خروج ذل لا والتوراة ما سلط هذا على قوم قط ولله بهم حاجة وقد أوقع ببنى قينقاع وكانوا أهل عدة وسلاح ونجدة فلم يخرج أحد منهم رأسه حتى سباهم فكلم فيهم فتركهم على إجلائهم من يثرب ياقوم قد رأيتم ما رأيتم فأطيعونى وتعالوا نتبع محمدا فوالله انكم لتعلمون أنه نبى وقد بشرنا به علماؤنا لا يزال يخوفهم بالحرب والسبى والجلاء ثم أقبل على كعب بن أسيد وقال والتوراة التى أنزلت على موسى عليه السلام يوم طور سيناء انه للعز والشرف فى الدنيا فبينما هم على ذلك لم يرعهم إلا مقدمة النبى ﷺ قد حلت بساحتهم فقال هذا الذى قلت لكم أى وبعد الحصار قيل ارسلوا بنباش بن قيس إلى رسول الله ﷺ ان ينزلوا على ما نزلت عليه بنو النضير من أن لهم ما حملت الابل إلا الحلقة فأبى رسول الله ﷺ أن يحقن دماءهم ويسلم لهم نساءهم والذرية فأرسلوه ثانيا بأنه لا حاجة لهم بشىء من الاموال لا من الحلقة ولا من غيرها فأبى رسول الله ﷺ إلا أن ينزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعاد نباش إليهم بذلك اه ثم انهم بعثوا إلى رسول الله ﷺ أن ابعث إلينا أبا لبابة أى وهو رفاعة ابن المنذر لنستشيره فى أمرنا أى لأنه كان من حلفاء الاوس وبنو قريظة منهم وفى لفظ وكان أبو لبابة مناصحا لهم لأن ماله وولده وعياله كانت فى بنى قريظة فأرسله ﷺ إليهم فلما رأوه قام إليه الرجال وجهش أى أسرع إليه النساء والصبيان يبكون فى وجهه من شدة المحاصرة وتشتيت

وحو يطب بن عبدالعزى وحكيم بن طليق وخالد بن أسيد وخلف بن هشام وزهير بن أبي أسيد وزيد الخيل والسائب ابى السائب
وصيفى بن عائذ وسهيل وسهل ابنا عمرو وشيبة بن عثمان الحجبي وعبدالرحمن بن يعقوب الثقفى وسفيان بن عبدالاسد المخزومي
وصفوان بن أمية وكان قد خرج مع من خرج وهو على شركه فأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم مائة ثم مائة ثم مائة ثم واديا مملوأ إبلا
وغنما فلم يزل يعطيه حتى أسلم رضى الله عنه وتقدمت قصته عند ذكره فيمن اهدر دمهم صلى الله عليه وسلم وممن أعطاه النبي صلى
الله عليه وسلم مائة الاقرع بن حابس التيمى وعيينة بن حصن الفزارى وأعطى العباس بن مرداس السلمى دون المائة وكان
مثلهما رئيسا على قومه كما انهما رئيسان على قومهما فقال يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم اتجعل نهبي ونهب العبيد *
بين عيينة والاقرع فما كان حصن ولاحابس * يفوقان مرداس فى مجمع (٣٥٩) وقد كنت فى الحرب ذا تدرؤ *
فلم أعط شيئا ولم أمنع
وما كنت دون امرىء منهما
ومن تخفض اليوم لم يرفع
فقال النبي صلى الله عليه وسلم اقطعوا عنى لسانه وأعطوه مثل أصحابه وفى رواية ياأبا بكر اقطع عنى لسانه واعطه مائة من الابل فاعطى تمام المائة والعبيد اسم فرسه وأعطى صلى الله عليه وسلم جماعة من المؤلفة خمسين خمسين من الابل منهم عثمان بن وهب المخزومى وعمير بن ودقة وعمير بن وهب وعدى ابن قيس السهمى وعمرو ابن مرداس السلمى أخو العباس بن مرداس ومخرمة ابن نوفل الزهرى وهشام ابن عمرو العامرى وسعيد ابن يربوع وذكر بعضهم ان ممن أعطاه مائة أبا جهم بن حذيفة العدوى
وأباسفيان بن الحرث بن عبدالمطلب وهو ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وعكرمة بن عامر العبدرى وعلقمة بن علاثة وعمرو بن الاهتم
والعلاء بن جارية الثقفى وكعب بن الاخنس ولبيد بن ربيعة العامرى ومالك بن عوف رئيس هوازن ومطيع بن الاسود القرشى
والنضير بن الحرث بالتصغير أخو النضر المقتول ببدر ونوفل بن معاوية الكنانى وهشام بن الوليد المخزومى وذكر بعضهم عكرمة بن
أبى جهل فيمن أعطاه مائة وقيل انه لم يكن حاضرا وهو الصحيح لانه اختفى ثم ركب البحر حتى ذهبت اليه زوجته بامان من
النبي ﷺ فرجع كما تقدم ثم قسم النبي صلى الله عليه وسلم بقية الغنائم على بقية الاعراب قال أهل المغازى أمر صلى
الله عليه وسلم زيد بن ثابت رضى الله عنه وكان من أعظم كتابه صلى الله عليه وسلم باحضار الناس والغنائم ثم قسمها على
الناس فكانت سهامهم لكل رجل أربعة من الابل وأربعين شاة فان كان فارسا أخذ اثنى عشر من الابل ومائة وعشرين شاة وان كان

مالهم فرق لهم وقالوا ياأبا لبابة اترى ان ننزل على حكم محمد قال نعم وأشار بيده الى حلقه أى انه الذبح أى
وفى لفظ ماترى ان محمدا قد أبى ان لا ننزل الا على حكمه قال فانزلوا وأومأ الى حلقه وروى انهم قالوا له ما
ترى أننزل على حكم سعد بن معاذ فأومأ أبو لبابة بيده الى حلقه انه الذبح فلا تفعلوا قال أبو لبابة رضى الله
عنه فوالله مازالت قدماى من مكانهما حتى عرفت انى خنت الله ورسوله أى لان فى ذلك تنفيرا لهم
عن الانقياد له ﷺ ومن ثم انزل الله فيه ياأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول الآية
أى وقيل نزل وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم الآية
وهذا أثبت من الاول وقد يقال كلاهما نزل فيه تلك الآية فى توجه اللوم عليه وهذه فى توبته لا يقال
هى ليست نصا فى توبة الله عليه لانا نقول الترجى فى حقه تعالى أمر محقق وعن أبى لبابة رضى الله عنه
لما أرسلت بنو قريظة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه ان يرسلنى اليهم دعانى قال اذهب
إلى حلفائك فانهم ارسلوا اليك من بين الاوس فذهبت اليهم فقام كعب بن أسيد فقال ياأبا بشير قد
عرفت ما بيننا وقد اشتد علينا الحصار وهلكنا ومحمد لا يفارق حصننا حتى ننزل على حكمه فلو زال عنا
لحقنا بارض الشام أو خيبر ولم نطأ له ارضا ولم نكثر عليه جمعا ابدا ماترى قد اخترناك على غيرك أننزل على
حكم محمد قال أبو لبابة نعم فانزلوا وأومأ الى حلقه بالذبح قال فندمت واسترجعت فقال لى كعب مالك ياأبا
لبابة فقلت خنت الله ورسوله فنزلت وان عينى لتسيل من الدموع ثم انطلق أبو لبابة على وجهه فلم
يات رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتبط بالمسجد الى عمود من عمده أى وهى السارية ويقال لها
الاسطوانة وهى التى كانت عند باب أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فى حر شديد وقيل
الاسطوانة المخلقة التى يقال لها اسطوانة التوبة والاول أثبت وكانت تلك الاسطوانة أكثر تنفله
ﷺ عندها وكان ينصرف اليها من صلاة الصبح فكان يستبق اليها الفقراء والمساكين ومن
لا بيت له الا المسجد فيجىء اليهم صلى الله عليه وسلم ويتلو عليهم ما أنزل من ليلته ويحدثهم ويحدثونه
وكان ارتباطه بسلسلة ربوض أى ثقيلة وقال والله لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله على
مما صنعت وعاهد الله أن لا يطأ بنى قريظة أبدا ولا يرى فى بلد خان الله ورسوله فيه ابدا فلما بلغ رسول
الله ﷺ خبره وكان قد استبطأه قال اما لو جاءنى لاستغفرت له واما اذ فعل ما فعل فما انا بالذى
أطلقه حتى يتوب الله عليه هذا وفى كلام البيهقى واورده فى الدر أن ارتباطه انما كان لتخلفه عن

معه أكثر من فرس لم يسهم للزائد ولم يعط الانصار ولا كبار المهاجرين شيئا فقال رجل من المنافقين هذه قسمة ما عدل فيها وما أريد بها وجه الله تعالى فاخبر ﷺ بذلك فغضب وقال اذا لم اعدل فمن يعدل رحم الله أخي موسى لقد أوذي باكثر من هذا فصبر فقال عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد رضي الله عنهما ائذن لنا نضرب عنقه يارسول الله فقال دعوه فانه سيكون له شيعة يتعمقون في الدين حتي يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية لايتحدث الناس اني أقتل أصحابي فعامل النبي ﷺ ذلك الرجل بظاهر حاله تالفا للناس ليدخلوا في الاسلام وقال ناس من الانصار ليسوا منافقين يغفر الله لرسول الله ﷺ يعطي قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم والله ان هذا لعجب اذا كانت شدة فنحن ندعى لها وتعطى الغنائم لغيرنا ووددنا أن نعلم ممن كان هذا فان كان من الله تعالى صبرنا وان  كان من النبي صلى الله عليه وسلم استعتبناه فبلغ الخبر النبي صلى الله عليه وسلم فارسل الى الانصار فجمعهم في قبة من ادم فلما اجتمعوا قام صلى الله عليه وسلم فقال ما حديث بلغني عنكم فقال فقهاء الانصار اما فقهاؤنا فلم يقولوا شيئا واما ناس منا حديثة اسنانهم فقالوا يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم فقال صلى الله عليه وسلم اني أعطي رجالا حديثي عهد بكفر ومصيبة اتالفهم واني اردت ان أخيرهم أو أجبرهم أما ترضون ان يرجع الناس بالاموال وفي رواية بالشاة والبعير وترجعون برسول الله الى بيوتكم فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به قالوا يارسول الله قد رضينا وفي رواية فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار ولو سلك الناس شعبا كان لسلكت شعب الانصار اللهم ارحم الانصار وابناء الانصار فبكى القوم حتى اخضلت لحاهم وقالوا رضينا برسول الله قسما وحظا وفي رواية انه خطبهم فقال يامعشر الانصار ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي وكنتم متفرقين فألفكم الله بي وكنتم عالة فاغناكم الله بي وكلما قال شيئا قالوا الله ورسوله أمن ثم قال ما يمنعكم ان تجيبوا رسول الله لو شئتم لقلتم فصدقتم وصدقتم أتيتنا مكذبا فصدقناك ومخذولا فنصرناك وطريدا فآويناك وعائلا فواسيناك وخائفا فأمناك قالوا بل المن علينا لله ورسوله ﷺ وانما قال ذلك ﷺ تواضعا وانصافا واظهارا لشرف قدرهم والا فالحجة البالغة والمنة الظاهرة في جميع ذلك له عليهم فلولا هجرته وسكناه عندهم كان بينهم وبين غيرهم فرق وقد اقتضت حكمة الله ان الغنائم لما حصلت قسمت على من لم يتمكن الايمان من قلبه لما بقي فيه من طبع البشر من حب المال فكان ذلك سببا لاجتماع قلوبهم على محبته ﷺ لان القلوب جبلت على حب من أحسن اليها وانما لم يعط ﷺ اكابر المهاجرين والانصار مع استحقاقهم جميعا لرسوخ الايمان في قلوبهم فوكلهم الى قوة ايمانهم فكان في قسمها على المؤلفة استجلاب قلوبهم وقلوب اتباعهم الذين كانوا يرضون اذا رضي رئيسهم فيكون سببا لاسلامهم ولتقوية

---

تبوك فقد ذكر انه لما أشار بيده الى حلقه وأخبر عنه ﷺ بذلك قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسبت ان الله غفل عن يدك حيث تشير اليهم بها الى حلقك فلبث حينا ورسول الله ﷺ عاتب عليه ثم لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تبوك كان أبو لبابة فيمن تخلف فلما قفل رسول الله ﷺ أي رجع جاءه أبو لبابة يسلم عليه فاعرض عنه رسول الله ﷺ ففزع أبو لبابة وارتبط بالسارية واستغرب ذلك بعضهم فقال واغرب من ادعى ان أبا لبابة إنما فعل ذلك لتخلفه عن غزوة تبوك ثم ان بني قريظة نزلوا على حكم رسول الله ﷺ فامر بهم فكتفوا وجعلوا ناحية وكانوا استمائة وقيل سبعمائة وخمسين مقاتلا وهو الذي تقدم عن حيي ابن أخطب ولا يخالف هذا ماقيل انهم كانوا بين الثمانمائة والسبعمائة وقيل كانوا أربعمائة مقاتل ولا يخالف ماقبله لانه يجوز أن يكون مازاد على ذلك كانوا اتباعا لايعدون وأخرج النساء والذراري من الحصون وجعلوا ناحية أي وكانوا الفا واستعمل عليهم عبدالله بن سلام فتواثبت الأوس وقالوا يارسول الله موالينا وحلفاؤنا وقد فعلت في موالي اخواننا بالامس ماقد فعلت يعنون بني قينقاع لانهم كانوا حلفاء الخزرج ومن الخزرج عبدالله بن أبي ابن سلول وقد نزلوا على حكم رسول الله ﷺ وقد كلمه فيهم عبدالله بن أبي ابن سلول فوهبهم له على أن يجلوا كما تقدم أي فظنت الأوس من رسول الله ﷺ ان يهب لهم بني قريظة كما وهب بني قينقاع للخزرج فلما كلمته الأوس أبى أن يفعل ببني قريظة مافعل ببني قينقاع ثم قال لهم اما ترضون يامعشر الأوس ان يحكم فيهم رجل منكم قالوا بلى فقال فذلك الى سعد بن معاذ أي وقيل انه ﷺ قال لهم اختاروا من شئتم من اصحابي فاختاروا سعد بن معاذ وهو رضي الله عنه سيد الأوس حينئذ كما تقدم وقيل انهم قالوا ننزل على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه فرضي بذلك رسول الله ﷺ أي وكان سعد بن معاذ رضي الله عنه يومئذ في المسجد في خيمة رفيدة رضي الله عنها وقد كان ﷺ قال لقوم سعد بن معاذ حين اصابه السهم بالخندق اجعلوه في خيمة رفيدة حتى اعوده من قرب أي لان رفيدة رضي الله عنها

قلب من دخل فى الاسلام منهم فيتبعهم من دونهم فكان فيه مصلحة عظيمة ولذا لم يقسم من أموال مكة عند فتحها شيء مع احتياج
الجيوش إلى المال الذى يعينهم على ماهم عليه ولما قيل له صلى الله عليه وسلم أعطيت عيينة والأقرع وتركت جعيل بن سراقة قال أما
والذى نفس محمد بيده لجعيل خير من طلوع الأرض كلها مثل عيينة والأقرع ولكنى أتالفهما ليسلما أى يقوى اسلامهما ووكلت
جعيل بن سراقة لاسلامه وانى لأعطى الرجل وغيره أحب الى منه مخافة أن يكبه الله فى النار على وجهه وفى رواية انى لأعطى أقواما
أخاف هلعهم وجزعهم وأكل أقواما الى ماجعل الله فى قلوبهم من الخير والغنى منهم عمرو بن تغلب قال عمرو فوالله ما أحب ان لى بها حمر
النعم وقد جاءت أحاديث كثيرة فى مدح الأنصار رضى الله عنهم والدعاء لهم ولأبنائهم وأبناء أبنائهم وقال حسان رضى الله عنه فى
مدحهم سماهم الله أنصاراً بنصرهم * دين الهدى وعدان الحرب تستعر وسارعوا فى سبيل الله واعترضوا * للنائبات
وماخافوا وما ضجروا وفى البخارى عن جبير بن مطعم رضى الله عنه بينما أنا مع النبى صلى الله عليه وسلم مقفله من حنين إذ
علقت برسول الله صلى الله عليه وسلم الاعراب يسألونه أن يعطيهم من الغنيمة يقولون يارسول الله أقسم علينا فيئنا حتى اضطروه أى
ألجؤه إلى سمرة فخطفت رداءه فوقف ﷺ فقال أعطونى ردائى فلو كان عندى عدد هذه العضاه نعما وفى رواية لو كان
عندى عدد شجر تهامة نعما لقسمته بينكم ثم لاتجدونى بخيلا ولا كذوبا ولاجبانا أى إذاجربتمونى لاتجدونى ذابخل ولا ذا كذب ولا ذا
جبن ثم قام صلى الله عليه وسلم إلى جنب بعير وأخذ وبرة من سنامه فرفعها ثم قال للناس والله مالى من فيئكم أى غنيمتكم ولا هذه
الوبرة إلا الخمس والخمس مردود عليكم أى لان أكثره كان يصرفه صلى الله عليه (٣٦١) وسلم فى مصالح المسلمين ثم بعد تمام
قسمة الغنائم اعتمر صلى
الله عليه وسلم من الجعرانة
لخمس ليال خلون من ذى
القعدة وقيل لاثنتى عشرة
ليلة بقيت من ذى القعدة
ليلة الأربعاء وقيل ليلة
الخميس ودخل مكة وطاف
وسعى وحلق ورجع الى
الجعرانة من ليلته فكأنه
كان بائتا بها والجعرانة
بالتخفيف أفصح من
التشديد وهو موضع بينه
( ٤٦ - حل - نى ) وبين مكة ثمانية عشر ميلا سمى باسم امرأة تلقب بالجعرانة وكانت مدة اقامته بها ثلاث عشرة ليلة وجاء فى
الحديث انه اعتمر من الجعرانة سبعون نبيا ثم توجه ﷺ إلى المدينة واستعمل على أهل مكة عتاب بن أسيد أى تركه
باقيا على عمله وترك معه معاذ بن جبل وأباموسى الأشعرى رضى الله عنهما يعلمان الناس القرآن والفقه فى الدين وكان قدومه المدينة
لثلاث بقين من ذى القعدة وقيل لست بقين منه قال الحافظ ابن حجر ان مدة غيبته كانت أكثر من ثمانين يوما قال كثير من أهل المغازى
ان غزوة بدر وغزوة حنين كسر الله بهما ثورة الكفر وأطفأتا جمرة العرب وانفدتا سهامهم وأذلتا جموعهم حتى لم يجدوا بدا من
الدخول فى دين الله وجبر الله أهل مكة بغزوة حنين وفرحهم بما نالوا من النصر والمغنم فكانت كالدواء لما نالهم من كسرهم وأنجز الله
بها الوعد لرسول الله ﷺ فانه وعده إذا فتح مكة أن يدخل الناس فى دين الله أفواجا وتدين له العرب باسرها فلما
تم له الفتح اقتضت حكمته تعالى أن يمسك قلوب هوازن ومن تبعها عن الاسلام وأن يجمعوا من قدروا على جمعه ويتأهبوا لحربه
صلى الله عليه وسلم ليظهر الله أمره واعزازه لرسوله ﷺ ونصره لدينه ولتكون غنائمهم جبرا نا لأهل الفتح وليظهر الله تعالى
رسوله وعباده المؤمنين ويعلى دينهم على سائر الأديان بقهر هذه الشوكة العظيمة التى لم يلق المسلمون قبلها مثلها حتى لايقاومهم
بعدها أحد من العرب واقتضت حكمته سبحانه وتعالى ان أذاق المسلمين أولا مرارة الهزيمة مع كثرة عددهم وعددهم وقوة شوكتهم
ليخفض بذلك رؤسا رفعت بالفتح لمكة والنصر على أهلها فابتلاهم الله بقصة حنين منعا لهم عن الترفع وتنبيها على ان المطلوب
منهم التواضع واظهار الشكر كما فعل صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة فانه دخل منحنيا على ناقته متواضعا خاضعا لربه

كان لها خيمة فى المسجد تداوى فيها الجرحى من الصحابة ممن لم يكن له من يقوم عليه فاتاه قومه
فحملوه على حمار ثم أقبلوا به الى رسول الله ﷺ وهم يقولون يا أبا عمرو أحسن فى مواليك
فان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما ولاك ذلك لتحسن فيهم فاحسن فيهم فقد رأيت ابن أبى وماصنع
فى حلفائه وهو ساكت فلما أكثروا عليه قال رضى الله عنه لقد آن لسعد ان لا تأخذه فى الله لومة لائم فقال
بعضهم واقوماه فلما انتهى سعد رضى الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى المسلمين وهم
حوله جلوس قال رسول الله ﷺ قوموا إلى سيدكم أى زاد فى رواية فانزلوه فقال عمر رضى
الله عنه السيد هو الله وفى رواية إلى خيركم أى معاشر المسلمين من المهاجرين والأنصار أو معاشر الأنصار
فقاموا اليه فقالوا يا أباعمرو ان رسول الله ﷺ قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم وفى رواية
فقمنا صفين يحييه كل رجل منا حتى انتهى الى رسول الله ﷺ فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم أحكم فيهم ياسعد فقال الله ورسوله أحق بالحكم قال قد امرك الله أن تحكم فيهم فقال
سعد أى لمن فى الناحية التى ليس فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بذلك عهد الله وميثاقه

وليبين سبحانه لمن قال لن تغلب اليوم عن قلة ان النصر إنما هو من عند الله وان من ينصره الله فلا غالب له ومن يخذله فلا ناصر له وانه سبحانه وتعالى هو الذى تولى النصر لنبيه ﷺ وهو الذى أنزل سكينته عليه وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وقد اقتضت حكمته سبحانه وتعالى ان خلع النصر وجوائزه انما تفاض على أهل الانكسار كما قال تعالى ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين وافتتح الله غزو العرب ببدر واختتمه بحنين وهما أعظم غزواته صلى الله عليه وسلم ولهذا يجمع بينهما فى الذكر فيقال بدر وحنين وفى لبسه ﷺ الدرع والبيضة والمغفر دليل على ان من تمام التوكل استعمال الأسباب التى نصبها الله لمسبباتها قدراً وشرعا فانه ﷺ أكمل الخلق توكلا وقوة يقين وقد دخل مكة والبيضة على رأسه ولبس يوم حنين درعين وقد أنزل الله عليه والله يعصمك من الناس ومن تمام العبودية استعمال الاسباب فى مسبباتها مع اعتقاد ان التأثير لله وحده لا شريك له ولولا ان الله تعالى ستر قضاءه وقدره بظواهر الأسباب لما انقسم الناس الى مؤمن وكافر وشقي وسعيد فلو كانت جميع الاشياء تجرى على خرق العادة لما بقى كافر بل يكونون كلهم ملجئين الى الاسلام بظهور الخوارق ولو بقيت الاشياء كلها على ظواهرها من ربطها باسبابها من غير وجود خارق للعادة لما انقاد أحد للاسلام وربما كانوا كلهم يعتقدون تأثير تلك الأسباب فاظهر الله بعض الاشياء على وفق العادة وخرق فى بعضها العادة ثم انه كشف ذلك لاناس وحجب عنه آخرين ليضل من يشاء ويهدى من يشاء ولا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وفى صبره ﷺ على جفاء الاعراب عند قسمة الغنائم دليل لما كان عليه ﷺ من الكرم والحلم وحسن الخلق وسعة الجود والصبر وغير ذلك من صفاته الحميدة صلى الله عليه وسلم والله سبحانه وتعالى أعلم (٣٦٢) ﴿ بعث قيس بن سعد الى صداء ﴾ بعث ﷺ قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي رضى الله عنهما الى ناحية اليمن بعد انصرافه من الجعرانة فى اربعمائة فارس وأمره ان يقاتل قبيلة صداء بضم الصاد وفتح الدال والمد وهم حى من اليمن فقدم زياد بن الحرث الصدائى فسأل عن ذلك البعث فاخبر به فقال يارسول الله أنا وافدهم اليك فاردد الجيش وأنا أتكفل باسلام قومى وطاعتهم فقال اذهب اليهم فردهم فقال ان راحلتى قد كلت فبعث ﷺ اليهم خلفهم فردهم ورجع الصدائى الى قومه فقدموا بعد خمسة عشر يوما فأسلموا ﴿ البعث الى بنى تميم ﴾ وتعرف بسرية عيينة بن حصن الفزارى الى بنى تميم وسببها انه ﷺ بعث بشر بن سفيان العدوى الكلبي الى بنى كعب من خزاعة لاخذ صدقاتهم وكانوا مع بنى تميم على ماء فأخذ بشر صدقات بنى كعب فقال لهم بنو تميم وقد استكثروا ذلك لم تعطوهم أموالكم فاجتمعوا وانتهزوا السلاح ومنعوا بشرا من أخذ الصدقة فقال لهم بنو كعب نحن أسلمنا ولا بد فى ديننا من دفع الزكاة فقال بنو تميم والله لا ندع بعيرا واحدا يخرج فلما رأى بشر ذلك قدم المدينة وأخبر النبى ﷺ بذلك فعند ذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصن الفزارى الى بنى تميم فى خمسين فارسا من العرب ليس فيهم مهاجرى ولا انصارى فكان يسير الليل ويكمن النهار فهجم عليهم وأخذ منهم أحد عشر رجلا واحدى وعشرين امرأة وثلاثين صبيا فجاء بهم الى المدينة فأمر بهم ﷺ فحبسوا فى دار رملة بنت الحرث فجاء فى أثرهم جماعة من رؤسائهم منهم عطارد بن حاجب والزبرقان بن بدر والأقرع بن حابس وقيس بن الحرث ونعيم ابن سعد وعمرو بن الأهيم ورباح بن الحرث فلما رأوهم بكى اليهم النساء والذرارى فجاؤا الى باب النبى ﷺ بعد ان دخلوا المسجد ووجدوا بلالا يؤذن بالظهر والناس ينتظرون خروج رسول الله ﷺ فاستبطؤه فجاؤا من وراء الحجرات فنادوا بصوت جاف أخرج الينا نفاخرك ونشاعرك فان مدحنا زين وذمنا شين يا محمد اخرج الينا فخرج رسول الله ﷺ وقد نادى من صياحهم وفيهم أنزل الله ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ولو أنهم صبروا حتى تخرج

---

ان الحكم فيهم كما حكمت قالوا نعم قال وعلى من ههنا مثل ذلك وأشار الى الناحية التى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معرض عن رسول الله ﷺ اجلالا له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم أى وفى لفظ فقال سعد لبنى قريظة أترضون بحكمى قالوا نعم فاخذ عليهم عهد الله وميثاقه ان الحكم ما حكم به قال سعد فانى أحكم فيهم ان تقتل الرجال وفى لفظ أن يقتل كل من جرت عليه الموسى وتغنم الاموال وتسبى الذرارى والنساء زاد بعضهم وتكون الديار للمهاجرين دون الأنصار فقالت الانصار اخواننا يعنون المهاجرين لنا معهم فقال إنى أحببت ان يستغنوا عنكم فقال رسول الله ﷺ لسعد لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة أى السموات السبع قيل سميت بذلك لانها رقعت بالنجوم وجاء فى الصحيح من فوق سبع سموات والمراد ان شأن هذا الحكم العلو والرفعة وقد طرقنى بذلك الملك سحرا ثم أمر ﷺ أن يجمع ما وجد فى حصونهم من الحلقة والسلاح وغير ذلك فجمع فوجد فيها ألفا وخمسمائة سيف وثلثمائة درع وألفى رمح وخمسمائة ترس وجحفة ووجد

اليهم لكان خيرالهم والله غفور رحيم وأقام بلال الصلاة وتعلقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمونه فوقف معهم فقالوا له نحن ناس من تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا لنشاعرك وتفاخرك فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم ما بالشعر بعثنا ولا بالفخار أمرنا ثم مضى فصلى الظهر ثم جلس فى صحن المسجد ثم قالوا إن مدحنا لزين وان شتمنا لشين نحن أكرم العرب فقال رسول ﷺ كذبتم بل مدح الله الزين وشتمه الشين وأكرم منكم يوسف بن يعقوب ثم قالوا فاذن لخطيبنا وشاعرنا قال أذنت فليقم وفى رواية انى لم أبعث بالشعر ولم أومر بالفخر ولكن هاتوا فقدموا عطارد بن حاجب وفى رواية قال الأقرع بن حابس لشاب منهم قم يافلان فاذكر فضلك وفضل قومك فتكلم وخطب فقال الحمد لله الذى له علينا الفضل وهو أهله الذى جعلنا ملوكا ووهب لنا أموالا عظاما نفعل فيها المعروف وجعلنا أعز أهل المشرق عددا فمن مثلنا فى الناس ألسنا رؤس الناس وأولى فضلهم فمن فاخر فليعدد مثل ماعددنا وانا لو نشئنا أكثرنا وانما أقول هذا الأن يأتوا بمثل قولنا وامر أفضل من أمرنا ثم جلس وفى رواية انه قال الحمد لله الذى جعلنا خير خلقه واعطانا أموالا نفعل فيها مانشاء فنحن خير أهل الأرض أكثرهم عددا وأكثرهم سلاحا فمن أنكر علينا قولنا فليأت بقول هو أحسن من قولنا أو بفعال هى أفضل من فعالنا فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت بن قيس بن شماس أن يجيبه فقال له قم فأجب الرجل فى خطبته فقام ثابت رضى الله عنه فقال * الحمد لله الذى السموات والأرض خلقه قضى فيهن أمره ووسع كرسيه علمه ولم يكن شىء قط الامن فضله ثم ان من فضله ان جعلنا ملوكا واصطفى من خير خلقه رسولا أكرمهم نسبا وأصدقهم قلبا وأفضلهم حسبا فانزل عليه كتابه وائتمنه على خلقه فكان خيرة الله من العالمين ثم دعا الناس الى الايمان فآمن برسول الله ﷺ المهاجرون من قومه وذوو رحمه أكرم الناس أحسابا وأحسن الناس وجوها وخير الناس مقالا ثم كان أول الخلق اجابة واستجابة لله حين دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن فنحن أنصار الله ورسوله نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله ورسوله فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه ومن كفر جاهدناه فى الله  وكان قتله علينا يسيرا أقول هذا واستغفر الله لى وللمؤمنين والمؤمنات والسلام عليكم وفى رواية انه قال الحمد لله نحمده ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله دعا المهاجرين من بنى عمه أحسن الناس وجوها وأعظم الناس أخلاقا فاجابوه والحمد لله الذى جعلنا أنصاره ووزراء رسوله وعزا لدينه فنحن نقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله فمن قالها منع منا نفسه وماله ومن أباها قاتلناه وكان رغمه فى الله علينا هينا أقول قولى وأستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات ثم قال الزبرقان لرجل منهم قم يافلان قل أبياتا تذكر فيها فضلك وفضل قومك فقام فقال أبياتا منها

نحن الكرام فلا حى يعادلنا * نحن الرؤس وفينا يقسم الربع

اذا أبينا فلا يأبى لنا أحد * انا كذلك عند الفخر نرتفع

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم على بحسان بن ثابت رضى الله عنه فحضر فقال له قم فاجبه فقال يسمعنى ماقال فاسمعه فقال حسان رضى الله عنه أبياتا منها

نصرنا رسول الله والدين عنوة * على رغم عات من بعيد وحاضر

واحياؤنا من خير من وطىء الحصا * وأمواتنا من خير أهل المقابر

وثابت بن قيس رضى الله عنه كان يعرف بخطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم افتقده رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال من يعلم لى علمه فقال رجل أنا يارسول الله فذهب فوجده فى منزله جالسا منكسا رأسه فقال له ماشأنك فقال أخشى أن أكون من أهل النار لانى رفعت صوتى فوق صوت رسول الله ﷺ أى وقد أنزل الله لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون وكان ثابت بن قيس رضى الله عنه يرفع صوته لثقل فى سمعه فكان يظن ان الناس لا يسمعونه الا أن رفع صوته فرجع الرجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلمه بما قال ثابت فقال اذهب اليه فقل له لست من أهل النار ولكنك من اهل الجنة وقال ﷺ فيه نعم الرجل ثابت بن قيس بن شماس ولم يزل رضى الله عنه فى عمل صالح وحسن استقامة حتى استشهد يوم القيامة فى خلافة الصديق رضى الله عنه وكان عليه درع نفيسة فمر به رجل من المسلمين فأخذها فبينما رجل من المسلمين نائم اذ رآه فى منامه يقول له انى أوصيك بوصية فاياك أن تقول حلم فتضيعها انى لما قتلت مر بى رجل من المسلمين فاخذ درعى ومنزله فى أقصى الناس وعند خبائه فرس وقد كفا على الدرع برمة وفوق البرمة رحل فأت خالدا فمره فليأخذها فاذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله ﷺ يعنى أبا بكر رضى الله عنه

أثاثا كثيرا وآنية كثيرة وجمالا نواضح اى يسقى عليها الماء وماشية وشياها كثيرة وخمس ذلك أى مع النخل والسبى حتى الرثة وهو السقط من أمتعة البيت خمسة أجزاء فقض أربعة اسهم على الناس فجعل للفارس ثلاثة أسهم أى سهم له وسهمان لفرسه وللراجل سهما قال بعضهم وهو اول فىء وقعت فيه السهام ورضخ للنساء اللاتى حضرن القتال وهن صفية عمته صلى الله عليه وسلم وأم عمارة وأم سليط وأم العلاء والسميراء بنت قيس وأم سعد بن معاذ وكبشة بنت رافع ولم يسهم لهن وأخذ هو صلى الله

فقل له ان على من الدين كذا وكذا وان فلانا من رقيقي عتيق فاستيقظ الرجل فأتى خالدا فاخبره فبعث الى الدرع فاتى بها بعد أن وجدها على ماوصفه ثم لما قدم المدينة أخبر أبابكر رضى الله عنه برؤياه فاجاز وصيته ولا يعلم أحدا حدثت وصيته بعد موته وأجيزت سواه ووقعت مفاخرة بين الزبرقان بن بدر وحسان رضى الله عنه كل واحد منهما يذكر قصيدة فيها مفاخره فمن قصيدة الزبرقان وهو مطلعها نحن الكرام فلا حى يعادلنا * من الملوك وفينا تنصب البيع ومن قصيدة حسان رضى الله عنها وهو مطلعها انا أبينا ولن يأبى لنا أحد * انا كذلك عند الفخر نرتفع وقال الأقرع بن حابس انى والله يا محمد قلت شعرا فاسمعه فقال هات فانشده أتيناك كيما تعرف الناس فضلنا * اذا حالفونا عند ذكر المكارم

وانا رؤس الناس من كل معشر * وان ليس فى أرض الحجاز كدارم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم ياحسان فاجبه فقال حسان رضى الله عنه بنى دارم لاتفخروا ان فخركم * يعود وبالا عند ذكر المكارم

هبلتم علينا تفخرون وأنتم * لنا خول من بين ظئر وخادم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للاقرع لقد كنت غنيا ياأخا بنى دارم ان تذكر ما كنت ترى أن الناس قد نسوه فكان هذا القول من رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم أشد من قول حسان رضى الله عنه وحينئذ قال الأقرع بن حابس لخطيبه يعنى النبى صلى الله عليه وسلم أخطب من خطيبنا ولشاعره أشعر من شاعرنا ولاصواتهم أعلى من اصواتنا ثم دنا الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مايضرك ما كان قبل هذا وروى ان الاقرع بن حابس رضى الله عنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الحسن بن على رضى الله عنهما (٤٦٤) فقال يارسول الله ان لى من الولد عشرة ماقبلت واحدا منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لا يرحم لا يرحم واسم الاقرع فراس وانما لقب الاقرع لقرع كان فى رأسه والقرع انحسار الشعر وكان شريفا فى الجاهلية والاسلام ووقع أن عمرو بن الاهيم مدح الزبرقان للنبى صلى الله عليه وسلم فقال انه لمطاع فى أنديته سيد فى عشيرته فقال الزبرقان لقد حسدنى يارسول الله لشرفى ولقد علم أفضل مما قال فقال عمرو انه لزمر المروأة ضيق العطن لئيم الخال وفى رواية أن الزبرقان قال يارسول الله أنا سيد تميم والمطاع فيهم والمجاب منهم آخذ لهم بحقوقهم وأمنعهم من الظلم وهذا يعلم ذلك يعنى عمرو بن الاهيم فقال عمرو انه لشديد العارضة مانع لجانبه مطاع فى أدانيه فقال الزبرقان والله لقد كذب يارسول الله وما يمنعه أن يتكلم الا الحسد فقال عمرو أنا أحسدك والله انك لئيم الخال حديث المال أحمق الوالد مبغض فى القبر فعرف عمرو الانكار فى وجه رسول الله ﷺ فقال يارسول الله والله لقد صدقت فى الأولى وما كذبت فى الثانية رضيت فقلت أحسن ماعلمت وسخطت فقلت أقبح ماعلمت فعند ذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا ثم انه صلى الله عليه وسلم رد عليهم الاسارى والسبى وأحسن جوائزهم بعد أن اسلموا كلهم وأعطى كل واحد اثنتى عشرة أوقية من الفضة واختلف فى عدد هذا الوفد فقيل كانوا سبعين رجلا وقيل ثمانين وقيل تسعين قال ابن عبد البر فى الاستيعاب ان القوم لما اسلموا بقوا فى المدينة مدة يتعلمون القرآن والدين ثم أرادوا الخروج الى قومهم فاعطاهم النبى صلى الله عليه وسلم أموالهم ونساءهم وقال أما بقى منكم أحد وكان عمرو بن الاهيم فى ركائبهم فقال قيس بن عاصم وكان مشاحنا له لم يبق منا الا غلام حدث فى ركابنا وأزرى به فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما أعطاهم وقيل بل أعطاه خمس أواق فقط ولما بلغ عمرو بن الاهيم ماقاله قيس بن عاصم فى حقه أنشد أبياتا تتضمن لومه على ذلك وكان عمرو خطيبا بليغا شاعرا يقال ان شعره كان حللا مستورة وكان جميلا يدعى المكحل لجماله وهو القائل لعمرك ماضاقت بلاد بأهلها * ولكن أخلاق الرجال تضيق والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿بعث الوليد بن عقبة إلى بنى المصطلق﴾ بعث النبى صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبه بن أبى معيط لاخذ

---

عليه وسلم جزأ وهو الخمس وعبارة بعضهم وهو أول فىء وقعت فيه السهمان وخمس اى جزى خمسة اجزاء وكتب فى سهم لله ثم أخذ ذلك السهم الذى خرج عليه وعلى سنته مضت قسمة الغنائم وفى كون هذا أول فىء جرت فيه السهمان نظر لما كان ذلك فى بنى قينقاع فان الفىء الحاصل منهم خمس خمسة اخماس أخذ صلى الله عليه وسلم واحدا والاربعة لاصحابه أى ووجد جرار خمر فاهريق ولم يخمس وهذا يدل على أن الخمر كانت محرمة قبل ذلك ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بالاسارى أن يكونوا فى دار اسامة بن زيد رضى الله عنهما والنساء والذرية فى دار ابنة الحرث النجارية أى لان تلك الدار كانت معدودة لنزول الوفود من العرب وقيل فى دار كبشة بنت الحرث بن كريز كانت تحت مسيلمة الكذاب ثم خلف عليها عبد الله بن عامر بن كريز وهذا لما نزل فى دارها وفد بنى حنيفة كما سيأتى وبالمتاع ان يحمل وترك المواشى هناك ترعى الشجر ثم غدا صلى الله عليه وسلم الى المدينة ثم خرج الى سوق المدينة فخندق فيها خنادق أى حفر فيها حفائر ثم أمر بقتل كل من أنبت فبعث اليهم فجاؤا

الصدقات من بنى المصطلق و بنو المصطلق بطن من خزاعة وكان بينهم و بين الوليد عداوة فى الجاهلية وكانوا قد أسلموا و بنوا المساجد فلما سمعوا بدنو الوليد خرج منهم عشرون رجلا بالابل والغنم يؤدونها عن زكاتهم فرحا به وتعظيما لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله لرؤية السلاح معهم مع أنهم انما خرجوا بالسلاح تجملا فرجع من الطريق قبل أن يصلوا اليه وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم مستندا لظنه أنهم لقوه بالسلاح يحولون بينه و بين الصدقة وفى رواية أخبره أنهم ارتدوا فهم صلى الله عليه وسلم أن يبعث اليهم من يغزوهم و بلغ ذلك القوم وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم بعث اليهم خالد بن الوليد لاستكشاف الخبر خفية فى عسكر معه وأمره أن يخفى عنهم قدومه فلما دنا منهم بعث عيونا ليلا فاذا هم ينادون بالصلاة و يصلون فأتاهم خالد فلم ير منهم إلا الطاعة وخيرا فرجع إليه صلى الله عليه وسلم فأخبره وفى رواية بعث صلى الله عليه وسلم اليهم بعثا فاستقبلهم الحرث بن ضرار الخزاعى وكان رئيس القوم فقال إلى أين بعثتم قالوا اليك قال ولم قالوا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الوليد فزعم أنك منعته الزكاة وأردت قتله فقال لا والذى بعث محمدا بالحق ما رأيته ولا أتانى ثم قدم على النبي صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه صلى الله عليه وسلم قال له صلى الله عليه وسلم منعت الزكاة وأردت قتل رسولى قال لا والذى بعثك بالحق وقدم الركب الذين لقوا الوليد فأخبروا النبى صلى الله عليه وسلم الخبر على وجهه فبعث صلى الله عليه وسلم معهم عباد بن بشر يأخذ صدقات أموالهم و يعلمهم شرائع الاسلام و يقرئهم القرآن والوليد بن عقبة بن أبى معيط كان أخا لعثمان رضى الله عنه لأمه ولاه عثمان رضى الله عنه الكوفة ثم عزله ولما مات عثمان رضى الله عنه اعتزل الوليد الفتنة فلم يشهد مع على رضى الله عنه ولا غيره وأقام بالرقة الى أن توفى فى خلافة معاوية رضى الله عنه

{سرية عبد الله بن عوسجة} رضى الله عنه إلى بنى عمرو بن حارثة وقيل حارثة بن عمرو فى مستهل صفر وقيل ربيع الأول سنة تسع من الهجرة يدعوهم الى الاسلام فأبوا أن يجيبوا واستخفوا بصحيفة النبي صلى الله عليه وسلم فغسلوها ورقعوا بها أسفل دلوهم فأخبر صلى الله عليه وسلم بذلك فدعا عليهم بذهاب العقل فقال ما لهم ذهب الله بعقولهم فهم الى اليوم أهل رعدة أى اضطراب فى أجسادهم وعجلة فى كلامهم وكلامهم مختلط لا يفهم قال الواقدى رأيت بعضهم ذا عى لا يحسن الكلام

{سرية قطبة بن عامر} الخزرجى رضى الله عنه الى خثعم قريبا من تربة بضم الفوقية وفتح الراء من أعمال مكة على يومين أو أكثر وكانت فى صفر سنة تسع و بعث معه عشرين رجلا وأمره أن يشن الغارة عليهم فجاؤهم واقتتلوا قتالا شديدا حتى كثرت الجرحى فى الفريقين ثم هزموهم وساقوا النعم والشاء والنساء إلى المدينة والله أعلم

{سرية الضحاك بن سفيان} الكلابى رضى الله عنه الى بنى كلاب فى ربيع الأول سنة تسع بجيش فجاءهم ودعاهم الى الاسلام فأبوا فقاتلهم بمن معه فهزمهم وغنم أموالهم

{سرية علقمة بن مجزز} بضم الميم وفتح الجيم ومعجمتين الأولى مكسورة ثقيلة المدلجى رضى الله عنه الى طائفة من الحبشة بساحل البحر قريبا من جدة بعثه فى ثلثمائة فانتهى الى جزيرة فى البحر فلما خاض البحر ليصل اليهم هربوا فرجع علقمة ومن معه ولم يلقوا كيدا ولما أراد الرجوع علقمة أراد بعض القوم التعجيل والرجوع الى أهلهم قبل بقية الجيش وكان فيهم عبد الله بن حذافة السهمى رضى الله عنه فأمره علقمة عليهم وكان فيه دعابة أى مزاح فنزلوا ببعض الطريق وأوقدوا نارا يصطلون عليها فقال لهم عبد الله بن حذافة عزمت عليكم الا تواثبتم فى هذه النار فلما هم بعضهم بذلك قال امنعوا أنفسكم فانما كنت أمزح فذكروا ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم لما قدموا فقال من أمركم بمعصية فلا تطيعوه وفى رواية أنهم لما أوقدوا النار وهموا بالدخول فيها جعل بعضهم يمسك بعضا و يقولون فررنا من النار أى فكيف نلقى أنفسنا فيها وفى رواية أنه غضب فأمرهم بذلك ليرى امتثالهم له فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لو دخلوها ما خرجوا منها أى ان كانوا مستحلين الدخول وجاء فى بعض الروايات وصف الامير المذكور بالانصارى قال الحافظ ابن حجر يحتمل حمله على المعنى الاعم أى انه نصر

---

اليه ارسالا تضرب أعناقهم و يلقون فى تلك الخنادق وقد قال بعضهم لسيدهم كعب بن أسيد يا كعب ما تراه يصنع بنا قال فى كل موطن لا تعقلون أما ترون أن من ذهب منكم لا يرجع هو والله القتل قد دعوتكم الى غير هذا فأبيتم على قالوا ليس حين عتاب فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أى وذلك ليلا على شعل السعف ثم رد عليهم التراب فى تلك الخنادق وعند قتلهم صاحت نساؤهم وشقت جيوبها ونشرت شعورها وضربت خدودها وملأت المدينة نواحا وكان من جملة من أتى معهم عدو الله حيي بن أخطب مجموعة يداه الى عنقه بحبل فلما نظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألم يمكن الله منك يا عدو الله قال بلى أبى الله الا تمكينك منى أما والله ما لمت نفسى فى عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل وفى كلام السهيلى رحمه الله أنه صلى الله عليه وسلم لما قال له ألم يمكن الله منك فقال بلى وقد قلقلنا كل مقلقل ولكنه من يخذلك يخذل فقوله يخذلك كقول الآخر فى البيت ولكنه

النبي صلى الله عليه وسلم في الجملة فلا ينافي أن عبد الله بن حذافة من المهاجرين وفي رواية ان الذي أمره عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فيحتمل أنه أسند اليه صلى الله عليه وسلم في هذه الرواية لأن تأمير أميره كتأميره صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن حذافة هذا رضي الله عنه من قدماء المهاجرين ممن شهد بدرا ومات بمصر في خلافة عثمان رضي الله عنه ومن مناقبه ما أخرجه البيهقي عن أبي رافع رضي الله عنه قال وجه عمر رضي الله عنه جيشا إلى الروم وفيهم عبد الله بن حذافة رضي الله عنه فقال له ملك الروم تنصر واشركك في ملكي فأبى فأمر به أن يصلب إن لم يتنصر فلما ذهبوا به بكى فقال ردوه فقال له لم بكيت قال تمنيت أن لي مائة نفس تلقى هذا في الله فعجب منه ثم قال له قبل رأسي وأنا أخلي عنك فقال وعن جميع أسارى المسلمين قال نعم فقبل رأسه فخلى سبيلهم فقدم به على عمر رضي الله عنه فقام عمر فقبل رأسه رضي الله عنهما ﴿ سرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه ﴾ لهدم صنم طيء بموضع يسمى الفلس بضم الفاء وسكون اللام بعثه صلى الله عليه وسلم في ربيع الأول سنة تسع وبعث معه مائة وخمسين رجلا من الأنصار وفي رواية كانوا مائتي رجل فأغار على أحياء من العرب وشن الغارة على محلة آل حاتم مع الفجر وحرق الصنم بعد هدمه ووجد في خزانته ثلاثة أسياف وثلاثة أدرع وغنم سبيا ونعما وشاء وفضة وقدم بذلك المدينة وكان في السبي سفانة بنت حاتم الطائي وهي بفتح السين وتشديد الفاء بعدها نون مفتوحة فتاء تأنيث فأسلمت وحسن اسلامها رضي الله عنها ومن عليها صلى الله عليه وسلم فدعت له فقالت شكرتك يد افتقرت بعد غنى ولا ملكتك يد استغنت بعد فقر وأصاب الله بمعروفك مواضعه ولا جعل لك الى لئيم حاجة ولا سلب نعمة من كريم إلا وجعلك سببا لردها عليه (٣٦٦) وكان المن عليها سببا لاسلام أخيها عدي بن حاتم رضي الله عنه وكان رضي الله عنه من فضلاء الصحابة ولم يرتد مع من ارتد من العرب بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بل ثبت على الاسلام وكان يبعث بصدقات قومه الى الصديق رضي الله عنه وحضر فتوح العراق مات سنة ثمان وستين وهو ابن مائة وعشرين وقيل مائة وثمانين سنة وروى له أصحاب السنن الستة قال ابن اسحق في قصة سبي أخت حاتم أصابت خيله صلى الله عليه وسلم ابنة حاتم في سبايا فجعلت في حظيرة في المسجد فمر بها صلى الله عليه وسلم فقامت اليه وكانت جزلة فقالت يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فقال ومن وافدك قالت عدي بن حاتم قال الفار من الله ورسوله فمضى حتى كان الغد قالت مر بي فقلت له وقال في مثل ذلك حتى كان بعد الغد مر بي ويئست فأشار الى علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو خلفه أن قومي اليه فكلميه فقمت فقلت يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فامنن علي من الله عليك قال قد فعلت فلا تعجلي حتى تجدي ثقة يبلغك بلادك ثم آذنيني فقدم رهط من طيء قالت فأخبرته أن لي فيهم ثقة وبلاغا فكساني وحملني وأعطاني نفقة فخرجت حتى قدمت الشام على أخي فقال ما ترين في هذا الرجل قالت أرى والله أن تلحق به سريعا فان يك نبيا فللسابق اليه فضيلة وان يكن ملكا فلن تزال في عز اليمن وأنت أنت فقلت والله هذا هو الرأي فقدم فأسلم والقصة طويلة وروى ابن المبارك في الزهد عن عدي بن حاتم رضي الله عنه ما دخل وقت صلاة قط إلا وأنا أشتاق اليها وفي رواية ما أقيمت الصلاة منذ أسلمت إلا وأنا على وضوء وكان جوادا وقد روى الامام أحمد أن رجلا سأله مائة درهم فقال تسألني مائة درهم وأنا ابن حاتم والله لا أعطيك وروى ابن سعد أن الذي سبى أخت حاتم خالد بن الوليد وجمع بعضهم بين الروايتين بأن خالدا كان في جيش علي رضي الله عنهما ونوزع بأن الجيش كله كان من الأنصار ويمكن أن يقال المراد أكثر الجيش من الانصار فلا ينافي كون خالد معهم أو يكون منهم نظرا لمعنى النصرة بالمعنى الأعم والله أعلم ﴿ ثم سرية عكاشة بن محصن الاسدي رضي الله عنه ﴾ الى الجباب بكسر الجيم وموحدتين بينهما ألف أرض عذرة بضم العين وسكون الذال المعجمة وبلي بفتح الباء وكسر اللام وشد التحتية وهما قبيلتان من قضاعة وقيل ان الجباب أرض فزارة وكلب ولعذرة فيها شرك وكانت هذه السرية في شهر ربيع الآخر سنة تسع

من يخذل الله يخذل لأنه إنما نظم في البيت كلام حيي ثم أقبل على الناس فقال أيها الناس انه لا بأس بأمر الله كتاب وقدر وملحمة أي قتال كتب الله على بني اسرائيل ثم جلس فضربت عنقه قال ولما أتي بكعب بن أسد سيد بني قريظة قال له النبي ﷺ يا كعب قال نعم يا أبا القاسم قال ما انتفعتم بنصح ابن خراش لكم وكان مصدقا بي أما أمركم باتباعي وان رأيتموني تقرؤني منه السلام قال بلى والتوراة يا أبا القاسم ولولا أن تعيرني يهود بالجزع من السيف لاتبعتك ولكنه على دين يهود فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقدم فيضرب عنقه ففعل به ذلك أي وكان المتولي لقتلهم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه والزبير بن العوام رضي الله عنه أقول في الامتاع وجاء سعد بن عبادة والحباب بن المنذر فقالا يا رسول الله ان الاوس قد كرهت قتل بني قريظة لمكان حلفهم فقال سعد بن معاذ رضي الله عنه ما كرهه أحد من الاوس فيه خير فمن كرهه فلا أرضاه الله فقام أسيد بن حضير فقال يا رسول الله لا تبقى دارا من دور الاوس الا فرقتهم فيها ففرقهم في دور الانصار فقتلوهم هذا كلامه والضمير في قتلوهم ظاهر في رجوعه للاوس

ولم يذكروا سببها ولا عدد من ذهب فيها ولا ما جرى والله أعلم ﴿غزوة تبوك﴾ على وزن تقول لا ينصرف للعلمية ووزن الفعل وقيل للعلمية والتأنيث وجوز بعضهم صرفه على ارادة المكان وهو مكان معروف بينه و بين المدينة من جهة الشام أربع عشرة مرحلة و بينه و بين دمشق احدى عشرة مرحلة وقيل اثنتا عشرة مرحلة وقيل هو نصف الطريق بين المدينة ودمشق وهي غزوة العسرة بمهملتين الأولى مضمومة بعدها سكون مأخوذ من قوله تعالى الذين اتبعوه في ساعة العسرة وتعرف بالفاضحة لافتضاح المنافقين فيها قالوا لا تنفروا في الحر وقد فضحهم الله في آيات كثيرة في سورة التوبة كقوله تعالى ومنهم من يقول ائذن لي وكقوله تعالى ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب وكانت في رجب سنة تسع من الهجرة قال الحافظ ابن حجر وذكر البخاري لها بعد حجة الوداع من خطأ النساخ قال بعضهم ولعل البخاري تعمد تأخيرها للاشارة إلى انها آخر مغازيه ﷺ وكان الوقت حين خروجه صلى الله عليه وسلم حرا شديدا وقحطا كثيرا ولذلك لم يور عنها كعادته في سائر الغزوات وقد روى البخاري ومسلم عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال لم يكن ﷺ يريد غزوة إلا ورى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة غزاها في حر شديد واستقبل سفرا بعيدا وغزا عدوا كثيرا فجلا للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوتهم بالوجه الذي يريدوا والتورية ذكر لفظ يحتمل معنيين أحدهما أقرب من الآخر فيتوهم السامع ارادة القريب والمتكلم يريد البعيد و روى عبد الرزاق أنهم خرجوا في قلة من الظهر مع كثرتهم في حر شديد حتى كانوا ينحرون البعير فيشربون ما في كرشه من الماء فسميت غزوة العسرة أي الشدة والضيق واختلف في سببها فقال بعضهم سببها أنه صلى الله عليه وسلم بلغه من الانباط الذين (٣٦٧) يقدمون بالزيت من الشام إلى المدينة أن الروم تجمعت بالشام مع هرقل وهو قيصر ملك الروم اجتمعت معهم لخم وجذام وعاملة وغسان وغيرهم من متنصرة العرب وجاءت مقدمتهم إلى البلقاء فلما بلغه صلى الله عليه وسلم ذلك ندب الناس إلى الخروج وأعلمهم بالمكان الذي يريد ليتأهبوا لذلك بما يحتاجونه في السفر والحرب و روى الطبراني من حديث عمران بن حصين الخزاعي رضي الله عنهما قال كانت نصارى العرب كتبت إلى هرقل ان هذا الرجل الذي يدعي النبوة هلك واصابتهم سنون فهلكت أموالهم فان كنت تريد أن تلحق دينك فالآن فبعث رجلا من عظمائهم يقال له قباذا وجهز معه أربعين ألفا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن للناس قوة في الذهاب لتلك الأرض لفقد الظهر والنفقة وكان عثمان رضي الله عنه قد جهز عيرا إلى الشام فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم يحث على النفقة والحملان قال يا رسول الله هذه مائتا بعير باقتابها واحلاسها ومائة أوقية قال عمران رضي الله عنه فسمعته صلى الله عليه وسلم يقول لا يضر عثمان ما عمل بعدها وهذا اشارة إلى أن الله منعه من وقوع زلة ببركة انفاقه في سبيل الله وانه صلح أن يغفر له ما عساه أن يكون ذنبا ان وقع ولا يلزم من الصلاحية وجوده وقد أظهر الله صدق رسوله ﷺ فان عثمان رضي الله عنه لم يزل على أعمال أهل الجنة حتى فارق الدنيا وقيل سبب هذه الغزوة ان الله لما منع المشركين من قرب المسجد الحرام في الحج وغيره قالت قريش لتقطعن عنا المتاجر والأسواق وليذهبن ما كنا نصيب منها فعوضهم الله بالأمر بقتال أهل الكتاب كما قال تعالى يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس إلى قوله حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة فعزم صلى الله عليه وسلم على قتال الروم لانهم أقرب الناس اليه وأولاهم بالدعوة إلى الحق لقربهم إلى الاسلام ولما أراد ﷺ الخروج حث الناس على النفقة والحملان فجاؤا بصدقات كثيرة فكان أول من جاء أبو بكر الصديق رضي الله عنه فجاء بماله كله أربعة آلاف درهم فقال صلى الله عليه وسلم هل أبقيت لأهلك شيئا قال أبقيت لهم الله ورسوله وجاء عمر رضي الله عنه بنصف ماله فسأله هل أبقيت لهم شيئا قال نعم نصف مالي وجاء عبد الرحمن بن عوف رضي الله

للاوس وانهم المراد بالأنصار وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز أن يكون المراد بالاوس الذين كرهوا ذلك طائفة منهم وان تلك الطائفة قتلوا من بعث به إلى دورهم وما عدا ذلك تعاطى قتله علي والزبير والله أعلم ولم يقتل من نسائهم إلا امرأة واحدة أخرجت من بين النساء يقال لها نباتة وقيل مزنة كانت طرحت رحى على خلاد بن سويد رضي الله عنه فقتلته بارشاد زوجها لانه أحب أن لا تبقى بعده فيتزوجها غيره وقد أسهم ﷺ لخلاد بن سويد هذا وقال ان له أجر شهيدين وأسهم لسنان بن محصن وقد مات في زمن الحصار وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت لم يقتل من نسائهم يعني بني قريظة إلا امرأة واحدة قالت والله لعندي تتحدث معي وتضحك ظهرا و بطنا أي وكانت جارية حلوة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالها في السوق أي لانها دخلت على عائشة و بنو قريظة يقتلون إذ هتف هاتف باسمها أين نباتة قال أنا والله قالت عائشة فقلت لها ويلك مالك قالت أقتل قلت ولم قالت لحدث أحدثته أي وفي لفظ قتلني زوجي فقالت لها عائشة كيف قتلك زوجك قالت أمرني أن ألقي رحى

عنه بمائتي أوقية اليه صلى الله عليه وسلم وتصدق عاصم بن عدى بسبعين وسقا من تمر وجهز عثمان رضى الله عنه ثلث الجيش حتى كان يقال ما بقيت لهم حاجة حتى كفاهم شنق أسقيتهم قال ابن اسحق أنفق عثمان رضى الله عنه فى ذلك الجيش نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها وروى عن قتادة انه قال حمل عثمان رضى الله عنه فى جيش العسرة على ألف بعير وسبعين فرسا وروى الامام أحمد والبيهقى عن عبد الرحمن بن سمرة رضى الله عنه قال جاء عثمان رضى الله عنه بألف دينار فى كمه حين جهز جيش العسرة فنثرها فى حجره صلى الله عليه وسلم فرأيت رسول الله ﷺ يقلبها فى حجره ويقول ماضر عثمان ما عمل بعد اليوم وجاء فى رواية عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما ان الذى جاء به عثمان رضى الله عنه عشرة آلاف دينار قال بعضهم يمكن ان الالف جاء بها والعشرة بعث بها وجاء فى هذه الرواية زيادة ان الدنانير صبت بين يديه ﷺ فجعل صلى الله عليه وسلم يقول بيده ويقلبها ظهر البطن ويقول غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت وما هو كائن إلى يوم القيامة ما يبالى عثمان بعدها ففيه بشارة عظيمة بان الله غفر له الذنوب أى سترها عنه فمنعه منها ببركة دعائه له ونفقته فى سبيل الله فليس يبالى بما عمل إذ لا يقع منه إلا الخير وفى بعض الروايات قال ﷺ اللهم ارض عن عثمان فانى عنه راض وروى البيهقى عن عبد الرحمن بن خباب رضى الله عنه قال خطب ﷺ فحث الناس على جيش العسرة فقال عثمان على مائة بعير باحلاسها واقتابها ثم نزل مرقاة أخرى من المنبر فحث الناس فقال عثمان على مائة بعير أخرى باحلاسها واقتابها ثم نزل مرقاة أخرى فحث فقال عثمان على مائة بعير أخرى باحلاسها وأقتابها قال فرأيت رسول الله (٣٦٨) ﷺ يقول بيده هكذا يحركها كالمتعجب وقال ما على عثمان بعد هذا اليوم أو قال بعدها وأرسل صلى الله عليه وسلم إلى أهل مكة وقبائل العرب يستنفرهم وجاء البكاؤن يستحملونه أى يطلبون منه ما يركبون عليه فقال ما أجد ما أحملكم عليه وهم سالم بن عمير الأنصارى وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب الأنصارى والعرباض بن سارية السلمى وهرم بن عبد الله بن رفاعة الأنصارى وعمرو بن عنمة الأنصارى وعبد الله بن مغفل المزنى وآخرون عليه غيرهم وهم الذين قال الله فيهم ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا أن لا يجدوا ما ينفقون ومنهم قوم أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه ففى البخارى عن أبى موسى رضى الله عنه انه أرسله أصحابه إلى النبى ﷺ يسأله الحملان فقال والله لا أحملكم وفى رواية وما عندى ما أحملكم عليه فرجع حزينا إلى قومه ثم جاء النبى ﷺ ذود من الابل فبعث اليه وأعطاه إياها واستخلف ﷺ على المدينة على بن أبى طالب رضى الله عنه وخلفه أيضا على أهله وعياله فارجف به المنافقون وقالوا ما خلفه إلا استثقالا له وتخففا فأخذ على رضى الله عنه سلاحه ثم أتى رسول الله ﷺ وهو نازل بالجرف فقال يا نبى الله زعم المنافقون انك انما خلفتنى لانك استثقلت منى وتخففت منى فقال كذبوا ولكن خلفتك لما تركت ورائى فارجع فى أهلى وأهلك أفلا ترضى يا على أن تكون منى بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبى بعدى فرجع إلى المدينة وفى رواية فقال على رضى الله عنه رضيت ثم رضيت ثم رضيت قال أهل السنة ان هرون عليه السلام إنما كان خليفة فى حياة موسى عليه السلام حين ذهب إلى الميقات فدل ذلك على تخصيص خلافة على رضى الله عنه بحياة النبى ﷺ فقط فلا حجة فيه للشيعة على ان الخلافة لعلى وانه أوصى له بها وكفرت الروافض جميع الصحابة بتقديم غيره زاد بعضهم فكفر عليا لكونه لم يقم لطلب حقه ولا حجة لهم فى الحديث المذكور ولا متمسك لهم به لانه إنما قال هذا حين استخلفه بالمدينة فى هذه الغزوة فالحديث إنما دل على ان عليا رضى الله عنه خليفة على أهل النبى ﷺ مدة غيبته بتبوك كما كان هرون عليه السلام خليفة عن موسى عليه السلام فى قومه مدة غيبته عنهم للمناجاة وقد استخلف صلى الله عليه وسلم فى مرات أخر غير على رضى الله عنه فيلزم أن يكون

على أصحاب محمد كانوا تحت الحصن مستظلين فى فيئه فأدركت خلاد بن سويد فشدخت رأسه فمات وأنا أقتل به وفى لفظ آخر انى كنت زوجة رجل من بنى قريظة وكان بينى وبينه كأشد ما يتحاب الزوجان فلما اشتد أمر المحاصرة قلت لزوجى يا حسرتى على أيام الوصال كادت أن تنقضى وتتبدل بليالى الفراق وما أصنع بالحياة بعدك فقال زوجى انك صادقة فى دعوى المحبة تعالى فان جماعة من المسلمين جالسون فى ظل حصن قال الزبير بن بطا وهو بفتح الزاى وكسر الباء الموحدة فألقى عليهم حجر الرحا لعله يصيب واحدا منهم فيقتله فان ظفروا بنا فانهم يقتلونك بذلك ففعلت قالت فانطلق بها فضرب عنقها فكانت عائشة رضى الله عنها تقول والله ما ألقى عجبا منها طيب نفسها وكثرة ضحكها وقد عرفت انها تقتل وكان فى بنى قريظة الزبير بن بطا وهو جد الزبير ابن ابنه عبد الرحمن وهو بفتح الزاى وكسر الموحدة كاسم جده وقيل بضم الزاى وفتح المثناة وهو قول البخارى فى التاريخ وكان شيخا كبيرا وكان قد من على ثابت ابن قيس فى الجاهلية يوم بغاث وهى الحرب التى كانت بين الاوس والخزرج قبل قدومه صلى الله

مستحقا للخلافة ولما سئل على رضى الله عنه فى زمن خلافته هل أوصى لك النبى صلى الله عليه وسلم بالخلافة قال لا ولو أوصى لى بها لقاتلت عليها حتى لو لم يبق معى إلا سيفى وردائى ولو أوصي له بها لما بايع أبا بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم وقول الرافضة ان ذلك كان منه تقية كذب وزور فانه كان رضى الله عنه ذا قوة وشجاعة وقد توفرت عشيرته من بنى هاشم فكانوا أهل قوة ومنعة فيلزم الرافضة نسبته للجبن والذل وحاشاه الله من ذلك ورضى عنه وكرم وجهه ولما ارتحل صلى الله عليه وسلم عن ثنية الوداع متوجها إلى تبوك عقد الالوية والرايات فدفع لواءه الاعظم لأبى بكر رضى الله عنه ورايته العظمى للزبير رضى الله عنه ودفع راية الاوس لأسيد ابن حضير وراية الخزرج للحباب بن المنذر ودفع لكل بطن من الانصار وقبائل العرب لواء أو راية أى لبعضهم لواء ولبعضهم راية وسار بالناس وهم ثلاثون ألفا وقيل أربعون ألفا وقيل سبعون ألفا وكانت الخيل عشرة آلاف وقيل اثنى عشر ألفا ووقع له صلى الله عليه وسلم فى هذه الغزوة كثير من الأخبار بالمغيبات وغيرها من المعجزات وخوارق العادات وسيأتى ان شاء الله التعرض لكثير منها وتخلف جماعة من المنافقين منهم عبد الله بن أبى ابن سلول بعد ان كان قد خرج بقومه وعسكر بهم أسفل من ثنية الوداع ثم قال يغزو محمد بنى الأصفر أى وهم الروم مع جهد الحال والحر والبلد البعيد إلى مالا طاقة له به يحسب محمد أن قتال بنى الأصفر معه اللعب والله لكأنى أنظر إلى أصحابه مقرنين فى الحبال يقول ذلك ارجافا برسول الله صلى الله عليه وسلم وبأصحابه ثم رجع بقومه وتخلفوا واجتمع جمع من المنافقين فى بيت سويلم اليهودى فقال بعضهم أتحسبون جلاد بنى الاصفر كقتال العرب بعضهم بعضا والله لكأنى بهم يعنى الصحابة غدا مقرنين فى الحبال يقولون ذلك إرجافا وترهيبا  للمؤمنين والجلاد الضراب بالسيوف فأوحى الله إلى النبى صلى الله عليه وسلم اجتماع القوم وما قالوا فقال لعمار بن ياسر رضى الله عنهما أدرك القوم فاسألهم عما قالوا فان أنكروا فقل بلى قلتم كذا وكذا فانطلق اليهم عمار فقال ذلك لهم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون إليه وقالوا إنما كنا نخوض ونلعب وقال ﷺ للجد بن قيس ياجد هل لك فى جلاد بنى الأصفر قال يارسول الله أو تأذن لى فى التخلف ولا تفتنى فوالله لقد عرف قومي انه مامن رجل بأشد عجبا بالنساء منى وانى أخشى ان رأيت نساء بنى الاصفر أن لا أصبر فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قد أذنت لك فأنزل الله تعالى فيه ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى ألا فى الفتنة سقطوا والفتنة التى سقطوا فيها هى التخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والرغبة عنه وفى رواية انه لام الجد على مقالته ولده عبد الله وقال له والله ما يمنعك إلا النفاق وسينزل الله فيك قرآنا فأخذ نعله وضرب به وجهه فلما نزلت الآية قال له ألم أقل لك فقال له اسكت يالكع فوالله لأنت أشد على من محمد وفى رواية أن الجد لما امتنع واعتذر بما تقدم قال للنبى ﷺ ولكن أعينك بمالى فأنزل الله تعالى قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم والمحققون على أن الجد بن قيس تاب من النفاق وحسنت توبته رضي الله عنه وعاش إلى خلافة عثمان رضى الله عنه وقال بعض المنافقين لبعض لا تنفروا فى الحر فأنزل الله تعالى وقالوا لا تنفروا فى الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون وجاء المعذرون من الأعراب وهم الضعفاء والمقلون ليؤذن لهم فى التخلف فأذن لهم وكانوا اثنين وثمانين رجلا وقعد آخرون من المنافقين بغير عذر وإظهار علة جراءة على الله ورسوله وقد عناهم الله تعالى بقوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله وتخلف جمع من المسلمين منهم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع من غير عذر وكانوا ممن لا يتهم فى إسلامهم وستأتى قصتهم إن شاء الله تعالى وكان ممن تخلف أبو خيثمة الأنصارى رضى الله عنه فلما ان سار ﷺ ومضت أيام دخل أبو خيثمة على أهله فى يوم حار فوجد امرأتين له فى عريشين لهما فى حائط قد رشت كل منهما عريشتها وبردتا فيها ماء وهيأتا طعاما وكان اليوم



عليه وسلم المدينة وكان الظفر فيها للأوس على الخزرج آخرا كما تقدم أخذه فجز ناصيته ثم خلى سبيله فجاء ثابت رضى الله عنه للزبير فقال له يا أبا عبد الرحمن هل تعرفنى قال فهل يجهل مثلى مثلك قال إنى أردت أن أجزيك بيدك عندى قال إن الكريم يجزى الكريم وأحوج ما كنت إليك اليوم وعبد الرحمن هذا هو الذى تزوج امرأة رفاعة وشكته للنبى ﷺ بأن الذى معه كهدبة الثوب وأحبت طلاقه لها ثم أتى ثابت رضى الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله إنه كان للزبير على منة وقد أحببت أن أجزيه بها فهب لى دمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو لك فأتاه فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وهب لى دمك فهو لك فقال شيخ كبير لا أهل له ولا ولد فما يصنع بالحياة قال ثابت فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله بأبى أنت وأمى امرأته وولده فقال هم لك قال فأتيته فقلت قد وهب لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلك وولدك فهم لك فقال أهل بيت بالحجاز لا مال لهم فما بقاؤهم على ذلك قال فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله ماله قال هو لك فأتيته فقلت له قد أعطانى رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك فهو لك فقال

يومئذ شديد الحر فلما دخل نظر الى امرأتيه وما صنعتا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحر وأبو خيثمة فى ظل بارد وطعام مهيأ وامرأة حسناء ماهذا بالنصف ثم قال والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فهيآلى زادا ففعلتا ثم قدم ناضحه فارتحله وأخذ سيفه ورمحه ثم خرج فى طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أدركه نزل بتبوك وقد كان أبو خيثمة أدرك عمير بن وهب فى الطريق بطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فترافقا حتى دنوا من تبوك فقال أبو خيثمة لعمير ان لى ذنبا فلا عليك أن تتخلف عني حتى آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعل فلما دنا أبو خيثمة قال الناس هذا راكب مقبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن أبا خيثمة فلما دنا ونظروه قالوا يارسول الله هو والله أبو خيثمة فلما أناخ أقبل يسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى لك يا أبا خيثمة وأولى لك كلمة تهديد وتوعد ثم أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له بخير ولما مر صلى الله عليه وسلم بالحجر ديار ثمود سجا ثوبه على رأسه واستحث راحلته وقال لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا إلا وأنتم باكون خوفا أن يصيبكم ما أصابهم وانما سجا ثوبه على رأسه لأن الغطاء يتبعه الفكر والاعتبار فكأنه أمرهم بالفكر فى أحوال توجب البكاء من تقدير الله عز وجل على أولئك بالكفر مع تمكينه لهم فى الأرض وامهالهم فيها مدة طويلة ثم ايقاع نقمته بهم وشدة عذابه وهو سبحانه مقلب القلوب فلا يأمن المؤمن أن تكون عاقبته مثل ذلك ونهى صلى الله عليه وسلم الناس أن يشربوا من مائها شيئا وأن يتوضؤا به للصلاة وأن يعجن منه عجين وأن يحاس به حيس وأن يطبخ به طعام والعجين الذى عجن به أو الحيس الذى فعل به يعلفونه الابل والطعام الذى طبخ به يلقى ولا يأكلوا منه شيئا ثم ارتحل صلى الله عليه وسلم بالناس ولم يزل سائرا بهم حتى نزل على البئر التى كانت تشرب منها الناقة وأخبرهم صلى الله عليه وسلم أنها تهب عليهم الليلة ريح شديدة وقال من كان له بعير فليشد عقاله ونهى الناس فى تلك الليلة عن أن يخرج أحد منهم وحده بل معه صاحبه فخرج شخص وحده لحاجته فخنق وخرج آخر فى طلب بعير له ندفاحتملته الريح حتى ألقته في جبل طيء فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ألم أنهكم أن يخرج أحد منكم إلا ومعه صاحبه ثم دعا للذى خنق فشفى والذى ألقته الريح بجبل طيء أرسلته طيء له صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستخلف على عسكره أبا بكر الصديق رضى الله عنه يصلى بالناس واستعمل على حرس العسكر عباد بن بشر فكان يطوف فى أصحابه على العسكر وأصبح الناس يوما ولا ماء معهم وحصل لهم من العطش ما كاد يقطع رقابهم حتى حملهم ذلك على نحر ابلهم ليشقوا أكراشها ويشربوا ماءها فعن عمر رضى الله عنه خرجنا فى حر شديد فنزلنا منزلا أصابنا فيه عطش حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقى على كبده وفى لفظ على صدره فشكوا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له أبو بكر يارسول الله قد عودك الله من الدعاء خيرا فادع الله لنا فقال أتحب ذلك قال نعم فرفع يديه صلى الله عليه وسلم فلم يرجعهما حتى أرسل الله سحابة فمطرت حتى ارتوى الناس واحتملوا ما يحتاجون اليه وذكر بعضهم أن تلك السحابة لم تتجاوز العسكر وأن رجلا من الأنصار قال لآخر متهم بالنفاق ويحك قد ترى فقال انما مطرنا بنوء كذا وكذا فأنزل الله وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون أى وتجعلون بدل شكر رزقكم تكذيبكم حيث تنسبون المطر للأنواء وقيل إنه قال له ويحك هل بعد هذا شىء قال سحابة مارة وفى لفظ أنهم لما شكوا اليه شدة العطش قال لعلى لو استسقيت لكم فسقيتم قلتم بنوء كذا وكذا فقالوا يانبي الله ما هذا بحين أنواء فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بماء فتوضأ ثم قام فصلى فدعا الله تعالى فهاجت ريح وثارت سحابة فمطروا حتى سال كل واد فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل يغترف بقدحه وهو يقول هذا نوء كذا فنزلت الآية وضلت ناقته صلى الله عليه وسلم يوما فقال رجل من المنافقين الذين خرجوا معه ان محمدا يزعم أنه نبي وأنه يخبركم بخبر السماء وهو لا يدرى أين

أى ثابت أما أنت فقد كافأتنى وقد قضيت الذى عليك مافعل بالذى كان وجهه مرآة مضيئة تتراءى منها عذارى الحى كعب بن أسد أى سيد بنى قريظة قلت قتل قال فما فعل بسيد الحاضر والبادى أى من يحملهم فى الجدب ويطعمهم فى المحل حيي بن أخطب قلت قتل قال فما فعل بمقدمتنا بكسر الدال مشددة إذا شددنا وحاميتنا إذا فررنا عزال بالعين المهملة وتشديد الزاى ابن سموأل بالسين المهملة مفتوحة ومكسورة قلت قتل قال فما فعل المجلسان بكسر اللام محل الجلوس وبفتحها المصدر يعنى بنى كعب بن قريظة وبنى عمرو بن قريظة قلت قتلا وفى لفظ قتلوا قال فانى أسألك ياثابت بيدك عندى إلا ألحقتنى بالقوم فوالله ما بالعيش بعد هؤلاء من خير أأرجع إلى دار قد كانوا حلولا فيها فاخلد فيها بعدهم لا حاجة لى فما أنا بصابر لله افراغة دلو ناضح أى مقدار الزمن الذى يفرغ فيه ماء الدلو وفى رواية فتلة دلو ناضح بالفاء والتاء المثناة فوق وقيل بالقاف والباء الموحدة أى مقدار ما يتناول المستسقى للدلو حتى ألقى الأحبة قال ثابت فقدمته فضربت عنقه أى وقيل إن ثابتا رضى الله عنه قال له ما كنت لاقتلك

ناقته فقال صلى الله عليه وسلم ان رجلا يقول كذا وكذا واني والله لا أعلم الا ما علمني الله وقد دلني الله عليها انها في شعب كذا وكذا قد حبستها شجرة بزمامها فانطلقوا حتى تأتوني بها فذهبوا فوجدوها كذلك فجاؤا بها قيل وقع نظير هذا في غزوة بني المصطلق وان الواقعة تعددت وقيل انه من الاشتباه على بعض الرواة ولما قال صلى الله عليه وسلم ان رجلا يقول كذا وكذا الخ جاء بعض الصحابة إلى رحله وقال لمن في الرحل والله لعجب في شيء حدثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مقالة رجل قال كذا وكذا وأخبر الله نبيه ﷺ به فقال له بعض من في الرحل هذه المقالة قالها فلان قبل ان تأتي بيسير يعني شخصا حاضرا في رحله فقال يا عباد الله في رحلي داهية وما أشعر أخرج أي عدو الله من رحلي ولا تصحبني فيقال انه تاب ويقال انه لم يزل على شر حتى هلك وتباطأ جمل أبي ذر رضي الله عنه لما به من الاعياء فتخلف عن الجيش فاخذ متاعه وحمله على ظهره ثم خرج يتبع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشيا فادركه نازلا في بعض المنازل وقبل مجيئه قالوا له تخلف أبو ذر يارسول الله ابطأ به بعيره فقال دعوه فان يكن فيه خير فسيلحقه الله بكم وان يكن غير ذلك فقد أراحكم الله منه ولما أشرف على ذلك المنزل ونظره شخص فقال يارسول الله هذا رجل يمشي على الطريق وحده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن أباذر فلما تأمله القوم قالوا يارسول الله هو والله أبو ذر فقال رسول الله ﷺ رحم الله أبا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده وكان كما قال صلى الله عليه وسلم فقد مات وحده بالربذة رضي الله عنه سكنها في خلافة عثمان رضي الله عنه بسبب اختلاف وقع بينه وبين بعض الصحابة في بعض ألفاظ القرآن وتفسير بعض من معانيه فخشى عثمان وأبو ذر رضي الله عنهما اتساع الامر فاستأذن أبو  ذر عثمان رضي الله عنهما أن يسكن الربذة فاذن له فبقي بها حتى توفي وحده كما أخبر صلى الله عليه وسلم وعن المغيرة ابن شعبة رضي الله عنه قال لما كنا بين الحجر وتبوك ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته بعد الفجر وتبعته بماء فابطأ حتى أسفر الناس بصلاة الفجر ولم يأتهم رسول الله ﷺ فقدموا عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه فصلى بهم فانتهى رسول الله ﷺ بعد ان توضأ ومسح خفيه الى عبدالرحمن بن عوف وقد صلى ركعة فصلى رسول الله ﷺ مع عبدالرحمن ركعة ثم قام وأتى بالركعة الثانية وقال لهم بعد فراغه أحسنتم أو أصبتم ثم قال لم يتوف نبي حتى يؤمه رجل صالح من أمته وهذا لا ينافي انه ﷺ صلى خلف أبي بكر رضي الله عنه بل قال ابن عباس رضي الله عنهما لم يصل النبي ﷺ خلف احد من أمته الا خلف أبي بكر والمراد صلاة كاملة فلا ينافي صلاته ركعة خلف عبدالرحمن بن عوف ولم ينقل انه ﷺ صلى خلف احد غير أبي بكر وعبدالرحمن بن عوف رضي الله عنهما وتقدم انه ﷺ كان يستخلف أبا بكر رضي الله عنه على عسكره يصلي بالناس فلعل ذلك في بعض الايام فلا ينافي صلاة عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه بهم في هذا اليوم أو انه كان يصلي مع أبي بكر رضي الله عنه بعض القوم ومع النبي ﷺ بعض لكثرة القوم فلما تأخر ﷺ في قضاء الحاجة صلى عبدالرحمن رضي الله عنه بالذين كانوا يصلون مع النبي ﷺ والله أعلم ولما نزلوا بتبوك وجدوا عينها قليلة الماء فاغترف رسول الله ﷺ غرفة بيده من مائها فمضمض بها فاه ثم بصقه فيها ففارت عينها حتى امتلأت وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ما قال بلغ رسول الله ﷺ ان في الماء قلة أي ماء عين تبوك وقد قال لهم انكم تأتون غدا ان شاء الله عين تبوك وانكم لن تنالوها حتى يضحي النهار فمن جاءها فلا يمس من مائها شيئا حتى آتي وأمر مناديا ينادي بذلك فجئناها فاذا العين مثل الشرك تبض من ماء وقد سبق اليها أربعة وقيل رجلان من المنافقين ومسا من مائها فسبهما رسول الله ﷺ لما بلغه ذلك ثم انهم غرفوا من تلك العين قليلا قليلا حتى اجتمع شيء في شن فغسل رسول الله ﷺ وجهه ويديه ومضمض ثم أعاده

فقال لا أبالي من قتلني فقتله الزبير بن العوام رضي الله عنه ولما بلغ أبا بكر رضي الله عنه مقالته ألقى الاحبة قال يلقاهم والله في نار جهنم خالدا فيها مخلدا قال في الاصل وذكر أبو عبيدة هذا الخبر وفيه فقال رسول الله ﷺ لك أهله وماله ان أسلم أي ولم يسلم فكان أهله وماله من جملة الفيء وكان القتل لكل من أنبت ومن لم ينبت يكون في السبي قال عطية القرظي رضي الله عنه كنت غلاما فوجدوني لم أنبت فخلوا سبيلي أي عن القتل وكان رفاعة قد أنبت فارادوا قتله فلاذ بسلمى بنت قيس أم المنذر وكانت احدى خالاته ﷺ أي خالات جده عبدالمطلب لانها من بني النجار فقالت بابي أنت وأمي يارسول الله هب لي رفاعة فوهبه لها أي فاسلم وقرت عين سعد بن معاذ رضي الله عنه بقتل بني قريظة حيث استجاب الله دعوته فانه سأل الله تعالى لما أصيب بالسهم في الخندق وقال لا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة كما تقدم أي وفي بعض الروايات ان دعاءه رضي الله عنه بذلك كان في الليلة التي في صبيحتها نزلت بنو قريظة على حكم رسول الله ﷺ على ما تقدم عن بعض الروايات

فيها فجرت العين بماء كثير وفى رواية فجعلوا فيها سهاما دفعها اليهم فجاشت بالماء وقال صلى الله عليه وسلم لمعاذ رضى الله عنه يامعاذ يوشك ان طالت بك حياة ان ترى ماهنا قد ملىء جنانا أى بساتين فرأى ذلك وروى ابن عبد البر عن بعضهم قال انا رأيت ذلك الموضع كله حوالى تلك العين جنانا خضرة نضرة وقبل قدومهم تبوك بليلة نام رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يستيقظ حتى كانت الشمس قيد رمح وقد كان قال لبلال رضى الله عنه اكلأ لنا الفجر فاسند بلال ظهره الى راحلته فغلبته عيناه ثم قال له ﷺ ألم أقل لك يا بلال اكلأ لنا الفجر وفى رواية ان بلالا قال لهم ناموا وأنا أوقظكم فاضطجعوا ولم يستيقظوا الا بحر الشمس فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بلال أين ماقلت قال يارسول الله ذهب بى مثل الذى ذهب بك وفى رواية أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك وقال صلى الله عليه وسلم للصديق رضى الله عنه ان الشيطان صار يهدى بلالا للنوم كما يهدى الصبي حتى ينام ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا وسأله عن سبب نومه فاخبر بما قاله النبى صلى الله عليه وسلم للصديق فقال الصديق رضى الله عنه للنبى أشهد أنك رسول الله ثم انتقل صلى الله عليه وسلم غير بعيد ثم صلى الصبح قضاء وفى منصرفه صلى الله عليه وسلم من تبوك قال أبو قتادة رضى الله عنه بينا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قافل من تبوك وأنا معه اذ خفق خفقة وهو على راحلته فمال على شقه فدنوت منه فدعمته فانتبه فقال يا أبا قتادة هل لك فى التعريس أى النزول للنوم فقلت ماشئت يارسول الله قال انظر من خلفك فنظرت فاذا رجلان أو ثلاثة فقال ادعهم فقلت أجيبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاؤا فعرسنا وفى رواية قال أبو قتادة فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير حتى ابهار الليل وانا الى جنبه فنعس فمال عن راحلته فدعمته من غير ان أوقظه حتى اعتدل على راحلته ثم سار حتى اذا تهور الليل مال ميلة أخرى فدعمته حتى اعتدل على راحلته ثم سار حتى اذا كان من آخر السحر مال ميلة هى أشد من الميلتين الاولتين حتى  كاد يسقط فدعمته فرفع رأسه فقال من هذا قلت أبو قتادة قال متى كان هذا مسيرك معى قلت مازال هذا مسيرى منذ الليلة قال حفظك الله بما حفظت به نبيه صلى الله عليه وسلم وذكر بعضهم ذلك عند منصرفه من خيبر فيحتمل تعدد ذلك أو انه من الاشتباه على بعض الرواة قال أبو قتادة رضى الله عنه ثم قال رسول الله ﷺ هل ترى من أحد يعنى من الجيش قلت هذا راكب ثم قلت هذا راكب آخر حتى اجتمعنا وكنا سبعة وفى رواية خمسة برسول الله ﷺ فمال رسول الله ﷺ عن الطريق ثم قال احفظوا علينا صلاتنا فنمنا حتى خرج الوقت وكان أول من استيقظ رسول الله ﷺ والشمس فى ظهره فقمنا فزعين ثم قال اركبوا فركبنا فسرنا حتى ارتفعت الشمس ثم دعا بميضأة كانت معى فيها شىء من ماء فتوضأ منها وبقى فيها شىء وفى رواية جرعة من ماء ثم قال لى احفظ علينا ميضأتك فسيكون لها نبأ فصلى بنا رسول الله ﷺ الفجر بعد طلوع الشمس أى بعد ان ارتحلوا فى رواية ارتحلوا فان هذا منزل حضرنا فيه الشيطان وفى البخارى عن عمران بن حصين رضى الله عنهما قال كنا فى سفر مع النبى صلى الله عليه وسلم وانا لنسير حتى كنا فى آخر الليل وقعنا وقعة ولا وقعة أحلى للمسافر منها فما ايقظنا إلا حر الشمس وكان النبى ﷺ اذا نام لم يوقظه احد حتى يكون هو يستيقظ لانا لاندرى مايحدث له فى نومه أى من الوحى فكانوا يخافون من ايقاظه قطع الوحى فلما استيقظ عمر رضى الله عنه ورأى ما أصاب الناس أى من فوت صلاة الصبح كبر ورفع صوته بالتكبير فمازال يكبر ويرفع صوته بالتكبير حتى استيقظ النبى ﷺ وفى رواية ان الصديق استيقظ أولا ثم لازال يسبح ويكبر حتى استيقظ عمر ولا زال يكبر حتى استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما استيقظ شكوا اليه الذى أصابهم أى من فوات صلاة الصبح فقال ﷺ لاضير ارحلوا فارتحلوا فسار غير بعيد ثم نزل فدعا بالوضوء فتوضأ ونودى بالصلاة فصلى بالناس وعن بعض الصحابة رضى الله عنهم قال وبعد ان صلينا وركبنا جعل بعضنا يهمس الى بعض ما كفارة ماصنعنا من تفريطنا فى صلاتنا فقال النبى ﷺ ماهذا الذى تهمسون دونى فقلنا يانبى الله تفريطنا فى صلاتنا قال أما لكم فى أسوة ثم قال ليس فى النوم تفريط إنما التفريط على من لم يصل الصلاة حتى يجىء وقت الأخرى وقد اختلفت الروايات

---

أى ويجوز أن يكون رضى الله عنه دعا بذلك مرتين وفى لفظ فدعا الله ان لا يميته حتى يشفى صدره من بنى قريظة ويمكن أن يكون صاحب الهمزية رحمه الله أشار الى سب بنى قريظة له صلى الله عليه وسلم ونهى بعض أشرافهم لهم عن نقضهم العهد الذى كان بينهم وبينه صلى الله عليه وسلم الذى سببه حيى ابن أخطب لعنه الله واغترارهم بالاحزاب بقوله

وتعدوا إلى النبى حدودا * كان فيها عليهم العدواء
واطمأنوا بقول الاحزاب اخوا * نهم اننا لكم أولياء
ويوم الاحزاب اذ زاغت الابصار فيه وضلت الآراء
وتعاطوا

فى حكاية هذه القصة فرواها بعضهم فى غزوة خيبر و بعضهم فى الحديبية و بعضهم فى تبوك فاختلف العلماء فى توجيه ذلك فذهب بعضهم الى تعدد القصة و بعضهم حمل ذلك على الاشتباه من الرواة وجزم بعضهم بانها فى غزوة تبوك واستشكل هذا النوم بقوله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الأنبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا وأجيب بأن القلب إنما يدرى المعانى المتعلقة به لا ما يتعلق بالعين كرؤية الشمس وطلوع الفجر وأجيب أيضا بانه صلى الله عليه وسلم كان له نومان نوم تنام فيه عينه وقلبه ونوم تنام فيه عينه فقط و ينبغى أن يكون هذا الثانى أغلب أحواله وان الأنبياء مثله فى ذلك ثم ان أكثر الجيش كان قد تقدم وما بقى معه صلى الله عليه وسلم الا سبعة أو خمسة كما تقدم فقال صلى الله عليه وسلم لمن كان معه ماترون الناس يعنى الجيش فعلوا قالوا الله ورسوله أعلم فقال لو أطاعوا أبا بكر وعمر رشدوا وذلك ان أبا بكر وعمر رضى الله عنهما أرادا ان ينزلا بالجيش على الماء فابوا ذلك عليهما فنزلوا عند زوال الشمس على غير ماء بفلاة من الأرض لا ماء بها وقد كادت أعناق الخيل والركاب تنقطع عطشا فقال صلى الله عليه وسلم أين صاحب الميضأة قيل هو ذا يا رسول الله قال جئنى بميضأتك فجاء بها وفيها شىء من ماء وفى رواية دعا رسول الله صلى عليه وسلم بالركوة فافرغ مافى الاداوة فيها ووضع أصابعه الشريفة عليها فنبع الماء من بين أصابعه وأقبل الناس فاستقوا وفاض الماء حتى رووا وروت خيلهم وركابهم قال بعضهم وواضح ان هذا العطش غير المتقدم الذى دعا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل المطر وفى كلام بعضهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حصل للقوم العطش أرسل نفرا من أصحابه وفيهم على والزبير رضى الله عنهما لكن تقدم ان عليا رضى الله عنه تخلف فى غزوة تبوك فان صح ارساله مع النفر فلعله لحق النبى صلى الله عليه وسلم أو ان ذلك كان فى غزوة أخرى بعث صلى الله عليه وسلم أولئك النفر لطلب الماء وأمرهم أن يستمرضوا الطريق وأعلمهم ان عجوزا تمر بهم فى محل كذا على ناقة معها سقاء فقال لهم اشتروا منها ماءها باعز وهان وائتوا بها مع الماء فلما بلغوا ذلك المكان اذا بالمرأة ومعها السقاء وفى رواية اذا بامرأة سادلة رجليها بين مزادتين فسألوها عن الماء فقالت أنا وأهلى أحوج اليه منكم فسألوها



وتعاطوا فى أحمد منكر القو * ل ونطق الاراذل العوراء

كل رجس يزيده الخلق السو * ء سفاها والملة العوجاء

فانظروا كيف كان عاقبة القو * م وما ساق للبذى البذاء

وجد السب فيه سما ولم يد * ر اذا لميم فى مواضع باء

كان فيه قتله بيديه * فهو من سوء فعله الزباء

أو هو النحل قرصها يجلب الحتف اليها وماله انكاء

أى ولما انقضى شأن بنى قريظة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ولكنكم تغزونهم فكان كذلك وتقدم انه ﷺ قال ذلك بعد انقضاء الاحزاب وانفجر جرح سعد بن معاذ أى الذى فى يده وسال الدم واحتضنه صلى الله عليه وسلم فجعلت الدماء تسيل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات منه وحمل الى منزله ولم يعلم ﷺ بموته فاتى

ان تاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الماء فابت وقالت هذا الساحر وفى رواية الذى يقال له الصابىء وخير الأشياء أن لا آتيه فشدوها وثاقا وأتوا بها رسول الله ﷺ فقال لهم حلوا عنها ثم قال لها أتاذنين لى فى الماء ولتصيبن ماءك كما جئت به قالت شأنكم فقال لأبى قتادة رضى الله عنه هات الميضأة فقربت اليه فحل السقاء وتفل فيه وصب فى الميضأة ماء قليلا ثم وضع يده فيه ثم قال ادنوا فخذوا فجعل الماء يفور ويزيد والناس يأخذون حتى ما تركوا معهم اناء الا ملؤه وأرووا ابلهم وخيلهم وبقى فى الميضأة ثلثاها والميضأة هى الاداوة التى يتوضأ منها وهذا السياق يدل على ان هذا عطش ثالث لأن الثانى وضع صلى الله عليه وسلم يده فى الركوة التى صب فيها من الميضأة وفى هذا وضع يده فى الميضأة بعد ان لم يجدوا فى الميضأة شيئا وفى رواية ان تلك المرأة أخبرته صلى الله عليه وسلم انها مؤتمة أى لها أيتام فقال للقوم هاتوا ما عندكم فجمعوا لها من كسر وتمر ثم قال لها اذهبى واطعمى هذا عيالك وفى رواية أيتامك وصارت تعجب ممارأت ولما قدمت على أهلها قالوا لها لقد احتبست علينا فقالت حبسنى انى رأيت عجبا أرأيتم مزادتى هاتين فوالله لقد شرب منهما قريب من سبعين نفرا وملؤا من القرب والمزاد والمطاهر مالا أحصى ثم هما الآن أوفر منهما يومئذ فاما ان يكون ذلك الرجل أسحر أهل الأرض أو هو نبى كما يقول فكان الصحابة يغزون على من كان حولها ممن لم يسلم ويتركونها وقومها فكان الناس يقولون ما رأينا امرأة أدخلت على قومها من البركة مثل ما أدخلت هذه المرأة على قومها وفى صحيح مسلم لما كان يوم غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة بحيث صارت التمرة الواحدة تمصها جماعة يتناوبونها فقالوا يا رسول الله لو أذنت لنا فننحر نواضحنا فاكلنا وادهنا فقال عمر يا رسول الله ان فعلت فنى الظهر ولكن ادعهم بفضل أزوادهم وادع الله لهم فيها بالبركة لعل الله ان يجعل فى ذلك البركة فقال ﷺ نعم فدعا بنطع فبسطه ثم دعاهم بفضل أزوادهم فجعل رجل يأتى بكف ذرة ويجىء

الاخر بكف تمر ويجيء الآخر بكسرة حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة ثم قال لهم
خذوا فى أوعيتكم فاخذوا حتى ماتركوا فى العسكر وعاء الاملؤه وأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم أشهد أن لا إله إلا الله وانى رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة وفى رواية الاوقاه الله النار وتقدم نظير
ذلك فى الرجوع من غزوة الحديبية ولامانع من التعدد أو هو من خلط بعض الرواة ولعل هذا كان بعد ان ذبح لهم طلحة بن عبيد
الله جزورا فأطعمهم وسقاهم فقال له ﷺ أنت طلحة الفياض وسماه يوم أحد طلحة الخير ويوم حنين طلحة
الجود لكثرة انفاقه على العسكر وعن بعض الصحابة قال كنت فى غزوة تبوك على نحى السمن فنظرت الى النحى وقد قل مافيه
وهيأت للنبي ﷺ طعاما فوضعت النحى فى الشمس ونمت فانتبهت لخرير النحى فقمت فاخذت رأسه بيدى فقال
ﷺ وقد راى ذلك لو تركته لسال الوادى سمنا وعن العرباض بن سارية رضى الله عنه قال كنت مع رسول الله ﷺ
بتبوك فقال ليلة لبلال رضى الله عنه هل من عشاء فقال والذى بعثك بالحق لقد نفضنا جربنا فقال انظر عسى ان تجد شيئا
فاخذ الجرب ينفضها جرابا جرابا فتقع التمرة والتمرتان حتى رأيت فى يده سبع تمرات ثم دعا بصحفة فوضع التمر فيها ثم وضع يده
على التمرات وقال كلوا باسم الله فاكلنا ثلاثة أنفس وأحصيت أربعا وخمسين تمرة أعدها عدا ونواها فى يد الاخرى وصاحباى يصنعان
كذلك فشبعنا ورفعنا أيدينا فاذا التمرات السبع كما هى فقال يا بلال ارفعها فانه لا يأكل منها أحد الا نهل منها شبعا فلما كان من
الغد دعا بالتمرات فوضع ﷺ يده عليهن ثم قال كلوا باسم الله فاكلنا حتى شبعنا وانا لعشرة ثم رفعنا
أيدينا واذا التمرات كما
هي فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لولا انى
أستحيي من ربى لاكلنا
من هذه التمرات حتى
نرد الى المدينة من آخرنا
فاعطاهن غلاما فولى
وهو يلوكهن ولما وصل
صلى الله عليه وسلم تبوك
أرسل خالد بن الوليد رضى
الله عنه فى أربعمائة
فارس الى أكيدر بن عبد
الملك النصرانى وكان
ملكا عظيما من قبل هرقل بدومة الجندل وذلك حصن وقرى بينها وبين الشام خمس ليال وقال له انك ستجده
ليلا يصيد البقر فانتهى اليه خالد وقد خرج من حصنه فى ليلة مقمرة الى بقر يطاردها هو وأخوه حسان فشدت عليه خيل خالد
فاستأسروا أكيدر وقتلوا حسانا وكان عليه قباء من ديباج مخوص بالذهب فاستلبه خالد وبعث به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قبل قدومه فجعل المسلمون يلمسونه بايديهم فيعجبون منه فقال صلى الله عليه وسلم أتعجبون من هذا فوالذى نفسى بيده
لمناديل سعد فى الجنة أحسن من هذا وهرب من كان معهما فدخلوا الحصن وأغلقوه ثم أجاز خالد أكيدر من القتل حتى يأتى به
رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان يفتح لخالد دومة الجندل وصالحه على ألفى بعير وثمانمائة فرس وأربعمائة درع وأربعمائة رمح
ففتح الحصن فدخله خالد وأخذ ماصالحه عليه وخمسه ثم قدم باكيدر على النبي صلى الله عليه وسلم فحقن صلى الله عليه وسلم دمه
وصالحه على الجزية وخلى سبيله وكان هرقل مقيما بحمص وفى هذه الغزوة كتب له صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام وسيأتى
ذلك ان شاء الله تعالى فى مكاتباته صلى الله عليه وسلم وأتاه صلى الله عليه وسلم وهو بتبوك صاحب ايلة ومعه أهل جرباء تأنيث
أجرب بمد ويقصر وهى قرية بالشام وأهل أذرح بالذال المعجمة والراء المضمومة والحاء المهملة مدينة هناك وأهدى صاحب ايلة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم بغلة بيضاء فكساه رسول الله صلى الله عليه وسلم بردا فصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم على اعطاء
الجزية بعد ان عرض عليه الاسلام فلم يسلم وكتب له ولاهل ايلة كتابا صورته بسم الله الرحمن الرحيم هذا أمنة من الله ومحمد النبي
رسول الله ليحنة بن رؤبة وأهل ايلة سفنهم وسيارتهم فى البر والبحر لهم ذمة الله تعالى ومحمد النبي صلى الله عليه وسلم ومن كان

جبريل النبي صلى الله عليه وسلم من الليل معتجرا بعمامة من استبرق فقال يا محمد من هذا العبد
الصالح وفى لفظ من هذا الميت الذى فتحت له أبواب السماء واهتز له العرش وفى رواية عرش
الرحمن أى فتحت له أبواب السماء لصعود روحه واهتز العرش أى تحرك فرحا بذلك وقال النووى
اهتزاز العرش هو فرح الملائكة بقدوم روحه وفيه أن هذا لا يحتاج اليه الا لو كان تحرك العرش
مستحيلا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا يجر ثوبه الى سعد بن معاذ فوجده قد
مات وعن سلمة بن أسلم بن حريش رضى الله عنه قال دخل رسول الله ﷺ ومافى
البيت أحد الا سعد مسجى فرأيته يتخطى وأومأ صلى الله عليه وسلم الى قف فوقفت ورددت
من ورائى وجلس صلى الله عليه وسلم ساعة ثم خرج فقلت يا رسول الله مارأيت أحدا ورأيتك
تتخطى فقال ماقدرت على مجلس حتى قبض لى ملك من الملائكة أحد جناحيه (أقول) قد وقع
له صلى الله عليه وسلم نظير ذلك عند تشييعه لجنازة ثعلبة بن عبد الرحمن الانصارى رضى الله
عنه فانه صار يمشى على أطراف أنامله فلما دفن قيل يا رسول الله رأيناك تمشى على أطراف أناملك
قال والذى بعثنى بالحق ماقدرت ان أضع قدمى من كثرة ما نزل من الملائكة لتشييعه وقصته
مذكورة

معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر فمن أحدث منهم حدثا فانه لايحول ماله دون نفسه وأنه لطيبة لمن أخذه من الناس وأنه لايحل أن يمنعوا ماء يردونه ولا طريقا يريدونه من بر أو بحر وكتب لأهل أذرح وجرباء ماصورته بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب محمد النبي ﷺ لأهل أذرح وجرباء انهم آمنون بأمان الله وأمان محمد ﷺ وأن عليهم مائة دينار فى كل رجب وافية طيبة والله كفيل بالنصح والاحسان إلى المسلمين وصالح أهل مينا على ربع ثمارهم وأقام ﷺ بتبوك بضع عشرة ليلة وقيل عشرين ليلة ولم يلق كيدا وفر الناس من أهل الكتاب وغيرهم رعبا منه صلى الله عليه وسلم عند سماعهم بمسيره فكان من الحكمة فى هذه الغزوة ماحصل من إغاظة الكفار وظهور عز المسلمين وفضيحة المنافقين واذلالهم واستشار صلى الله عليه وسلم أصحابه فى مجاوزة تبوك فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه يارسول الله ان كنت أمرت بالسير فسر فقال رسول الله ﷺ لو أمرت بالسير لم أستشركم فيه فقالوا يارسول الله ان الروم جموعا كثيرة وليس بها أحد من أهل الاسلام وقد دنونا وقد أفزعهم دنوك فلو رجعنا هذه السنة حتى ترى ويحدث الله أمرا وأخرج البيهقى عن عبد الرحمن بن غنم أن اليهود قالوا له ﷺ وهو بالمدينة ياأبا القاسم ان كنت صادقا أنك نبي فالحق بالشام فانها أرض المحشر وأرض الأنبياء فصدق ماقالوا فغزا تبوك لايريد الا الشام فلما بلغ تبوك أنزل الله عليه آيات من سورة بنى إسرائيل وان كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها الآيتين فأمره الله بالرجوع إلى المدينة وقال فيها محياك ومماتك ومنها تبعث فرجع ﷺ فقال جبريل سل ربك فان لكل نبي مسئلة وكان جبريل له ناصحا وكان النبي ﷺ له مطيعا قال فما تأمرني أن أسأل فقال جبريل قل رب أدخلني مدخل صدق



الآية ثم انصرف صلى الله عليه وسلم قافلا إلى المدينة وبنى فى طريقه عشرين مسجدا وكان فى بعض الطريق ماء قليل جدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبقنا إلى ذلك الماء فلا يستقين منه شيئا حتى نأتيه فسبق اليه نفر من المنافقين فاستقوا الماء الذى فيه فلما أتاه رسول الله ﷺ وقف عليه فلم يجد فيه شيئا فقال من سبقنا إلى هذا الماء فقيل له فلان وفلان فقال أولم أنههم أن يستقوا منه شيئا حتى آتيه ثم لعنهم ودعا عليهم ثم نزل فى موضع الماء ومسحه بيديه ودعا بما شاء أن يدعو به فجرى الماء وصار له حس كحس الصواعق فشرب الناس واستقوا حاجتهم منه فقال رسول الله ﷺ لئن بقيتم أو بقى منكم أحد لتسمعن بهذا الوادى وقد أخصب مابين يديه وماخلفه أى وهذا خلاف عين تبوك التى تقدم له فيها مايشبه هذا حيث قال لمعاذ يامعاذ يوشك ان طالت بك حياة ان ترى ماهنا ملىء جنانا لأن تلك العين كانت عين تبوك وهذا عند منصرفه من تبوك وأجمع رأى من كان معه من المنافقين وهم اثنا عشر رجلا وقيل أربعة عشر وقيل خمسة عشر رجلا على أن يؤذوا رسول الله ﷺ فى العقبة التى بين تبوك والمدينة فقالوا اذا أخذ فى العقبة دفعناه عن راحلته فى الوادى فأخبر الله رسوله ﷺ بذلك فلما وصل الجيش العقبة نادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يسلك العقبة فلا يسلكها أحد واسلكوا بطن الوادى فانه أسهل لكم وأوسع فلما سمع المنافقون النداء أسرعوا وتلثموا وسلكوا العقبة وسلك الناس بطن الوادى وسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة وأمر عمار بن ياسر رضى الله عنهما أن يأخذ بزمام ناقته ﷺ وأمر حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما أن يسوق من خلفه وفي دلائل النبوة للبيهقى عن حذيفة رضى الله عنه قال كنت ليلة العقبة آخذ بزمام ناقة رسول الله ﷺ أقودها وعمار بن ياسر يسوقها أو أنا أسوقها وعمار يقودها أى يتناوبان ذلك فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير فى العقبة اذ سمع حس القوم قد غشوه فنفرت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سقط بعض متاعه فغضب رسول الله ﷺ وأمر حذيفة أن يردهم فرجع حذيفة اليهم وقد رأى غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه محجن فجعل

مذكورة فى السيرة الشامية ولما حملوا نعش سعد رضى الله عنه وكان جسيما وجدوا له خفة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان له حملة غيركم أى من الملائكة لقد نزل سبعون ألف ملك شهدوا سعدا أى جنازته ومنهم جملة ماوطئوا الأرض إلا يومهم هذا وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال كنت ممن حفر لسعد رضى الله عنه قبره فكان يفوح علينا المسك كلما حفرنا قبره من تراب وجاء لو كان أحد ناجيا من ضمة القبر لنجا منها سعد ضم ضمة ثم فرج الله عنه وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال لما دفن سعد رضى الله عنه ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبح رسول الله ﷺ فسبح الناس معه ثم كبر فكبر الناس معه فقالوا يارسول الله لم سبحت أى وكبرت قال لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره حتى فرجه الله عنه وجاء أن بعض أهل سعد رضى الله عنه سئل ما بلغكم من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أى فى سبب تضايق القبر على سعد كما يرشد اليه جوابهم بقولهم فقالوا ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال كان يقصر فى بعض الطهور من البول

يضرب وجوه رواحلهم ويقول اليكم اليكم يا أعداء الله فاذاهو بقوم ملثمين وفى رواية أنه ﷺ صرخ بهم فولوا مدبرين فعلموا
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلع على مكرهم به فانحطوا من العقبة مسرعين إلى بطن الوادى واختلطوا بالناس فرجع حذيفة
رضى الله عنه فقال له رسول الله ﷺ هل عرفت أحدا من الركب الذين رددتهم قال لا كان القوم متلثمين والليلة مظلمة وفى
رواية أن حذيفة رضى الله عنه قال عرفت راحلة فلان وفلان قال هل علمت ما كان من شأنهم وما أرادوه قال لا قال انهم مكروا
وأرادوا أن يسيروا معى فى العقبة فيزحمونى ويطرحونى منها إلى الوادى وأن الله أخبرنى بهم وبمكرهم وسأخبركما بهم فاكتماهم
ولما أصبح ﷺ جاء اليه أسيد بن حضير فقال يارسول الله مامنعك البارحة من سلوك الوادى فقد كان أسهل من العقبة فقال أتدرى
ما أراد المنافقون وذكر له القصة فقال يارسول الله قد نزل الناس واجتمعوا فمر كل بطن أن يقتل الرجل الذى هم بهذا وان أحببت
فبين أسماءهم والذى بعثك بالحق لا أبرح حتى آتيك برءوسهم فقال انى أكره أن يقول الناس إن محمدا قاتل بقوم حتى إذا أظهره
الله بهم أقبل عليهم يقتلهم فقال يارسول الله هؤلاء ليسوا بأصحاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أليسوا يظهرون الشهادة ثم
جمعهم ﷺ وأخبرهم بما قالوه وما أجمعوا عليه فحلفوا بالله ماقالوا ولا أرادوا الذى ذكر فأنزل الله يحلفون بالله ماقالوا ولقد
قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا الآية * وقال صلى الله عليه وسلم للمسلمين عند انصرافهم من تبوك
ان بالمدينة أقواما ماسرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم قالوا يارسول الله وهم بالمدينة قال نعم حبسهم العذر ولما
قرب صلى الله عليه وسلم من (٣٧٦) المدينة خرج الناس لتلقيه وقد كان المنافقون الذين تخلفوا بالمدينة يخبرون عن
النبي صلى الله عليه وسلم أخبار السوء يقولون ان محمدا وأصحابه قد جهدوا فى سفرهم وهلكوا فلما بلغتهم سلامة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وبان كذبهم ساءهم ذلك وأنزل الله ان تصبك حسنة تسؤهم الآية وخرج مع الناس لتلقيه صلى الله عليه وسلم النساء والصبيان
والولائد وصعدت المخدرات على الأسطحة يقلن

طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا * مادعا لله داعى
أيها المبعوث فينا * جئت بالأمر المطاع

وقد ذكر بعضهم هذا عند مقدمه إلى المدينة
ولامانع من تعدد ذلك ولما أشرف ﷺ على المدينة قال هذه طابة وهذا أحد جبل يحبنا ونحبه والمحققون على أن ذلك حقيقة
ولامانع منه بأن يخلق له المحبة كتسبيح الحصا وحنين الجذع وقيل المراد يحبنا أهله ونحبهم ولما دخل المدينة قال العباس بن
عبد المطلب رضى الله عنه أتأذن لى يارسول الله ان امتدحك قال قل لا يفضض الله فاك فقال

من قبلها طبت فى الظلال وفى * مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر * أنت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد * ألجم نسرا وأهله الغرق
تنقل من صالب إلى رحم * إذا مضى عالم بدا طبق
وردت نارا لخليل مكتتما * فى صلبه أنت كيف يحترق
حتى احتوى بيتك المهيمن من * خندف علياء تحتها النطق
فنحن فى ذلك الضياء وفى النو * ر وسبل الرشاد نخترق

ولما دنا من المدينة تلقاء عامة الذين تخلفوا فقال رسول الله ﷺ
لأصحابه لا تكلموا رجلا منهم فأعرض عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى ان الرجل ليعرض عن أبيه وأخيه
وقد كان تخلف من المنافقين بضعة وثمانون رجلا وتخلف أيضا كعب بن مالك رضى الله عنه وكان من الخزرج ومرارة بن الربيع
وهلال بن أمية رضى الله عنهما وكان من الأوس ولم يكن الثلاثة من أهل النفاق فأما المنافقون فجعلوا يحلفون ويعتذرون فقبل
رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرهم وعلانيتهم واستغفرلهم ووكل سريرتهم إلى الله تعالى وأما الثلاثة فأرجاهم وأخر أمرهم

بعض التقصير وهذا قد يخالف مافى الخصائص الصغرى وخص ﷺ بأنه لا يضغط فى قبره
وكذلك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يسلم من الضغطة صالح ولا غيره سواهم وكذا مافى التذكرة
للقرطبي الا فاطمة بنت أسد ببركته ﷺ أى حيث اضطجع صلى الله عليه وسلم فى قبرها ويحتاج
للجمع بينه وبين مافى الخصائص وجاء عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت يارسول الله ما انتفعت
بشىء منذ سمعتك تذكر ضغطة القبر وضمته فقال ياعائشة إن ضغطة القبر على المؤمن كضمة الأم
الشفيقة يديها على رأس ابنها يشكو اليها الصداع وضرب منكر ونكير عليه كالكحل فى العين
ولكن ياعائشة ويل للشاكين الكافرين أولئك الذين يضغطون فى قبورهم ضغطا يقبض على الصخر
أى وحينئذ يكون المراد بالمؤمن الذى هذا شأنه الذى لم يحصل منه تقصير فلا ينافى ماتقدم عن سعد
فليتأمل وقد روى البيهقى رحمه الله أنه صلى الله عليه وسلم حمل جنازة سعد بن معاذ رضى الله عنه
بين العمودين وبه استدل أئمتنا على أن ذلك أفضل من حمل الجنازة بالتربيع الذى اعتاده الناس
الآن ومشى صلى الله عليه وسلم أمام جنازته ثم صلى عليه وجاءت أمه رضى الله عنها ونظرت

ينتظر أمر الله فيهم وأنزل الله فيهم وآخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم والله عليم حكيم نزلت هذه الآية فى أول أمرهم ونزل فى آخر أمرهم عند قبول توبتهم وعلى الثلاثة الذين خلفوا الآية وكان كعب بن مالك رضى الله عنه يحدث عن تخلفه وصاحبيه فى غزوة تبوك قال كعب رضى الله عنه لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة غزاها قط الافى غزوة تبوك غير أنى تخلفت فى غزوة بدر ولم يعاتب صلى الله عليه وسلم أحدا ممن تخلف عنها انما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد عير قريش حتى جمع الله بينهم و بين عدوهم على غير ميعاد وقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين توافقنا على الاسلام وما أحب أن لى بها مشهد بدر و إن كانت بدر أذكر فى الناس وكان من خبرى حين تخلفت عنه فى غزوة تبوك أنى لم أكن قط أقوى منى ولا أيسر منى حين تخلفت عنه فى تلك الغزوة والله ماجمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتهما فى تلك الغزوة ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الاورى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حر شديد واستقبل صلى الله عليه وسلم سفرا بعيدا ومفاوز واستقبل عدوا كثيرا فجلا للمسلمين أمرهم ليتاهبوا أهبة غزوهم وأخبر الناس بوجههم الذى يريدون والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير لايجمعهم كتاب حافظ يريد بذلك الديوان قال كعب فقل رجل يريد أن يتغيب الاظن أن ذلك يخفى مالم ينزل فيه وحى من الله تعالى وغزا صلى الله عليه وسلم حين طابت الثمار والظلال فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه فطفقت أغدو لكى أتجهز معهم فارجع ولم أقض شيئا وأقول فى نفسى أنا قادر على ذلك اذا أردت فلم يزل يتمادى بى ذلك حتى استمر الناس بالجد فاصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غاديا والمسلمون معه ولم أقض شيئا فهممت أن أرتحل فادركهم فيا ليتنى فعلت ثم لم يقدر لى ذلك فطفقت اذا خرجت فى الناس  بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزننى أن لا أرى لى اسوة الا رجلا مغموصا عليه فى النفاق أو رجلا ممن عذره الله من الضعفاء ولم يذكرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس فى القوم بتبوك ما فعل كعب بن مالك فقال رجل من بنى سلمة يارسول الله حبسه حب برديه والنظر فى عطفيه فقال له

اليه فى اللحد وقالت أحتسبك عند الله وعزاها رسول الله ﷺ وهو واقف على قدميه على القبر فلما سوى التراب على قبره رش عليه الماء ثم وقف صلى الله عليه وسلم ودعا ثم انصرف وناحت عليه أمه فقال ﷺ كل نائحة تكذب الانائحة سعد بن معاذ أى فانه رضى الله عنه موصوف بكل مايقال فيه من الاوصاف الحسنة بخلاف غيره و بعث صاحب دومة الجندل الى رسول الله ﷺ بجبة من سندس كاسيا فجعل أصحاب رسول الله ﷺ ورضى عنهم يعجبون من تلك الجبة فقال رسول الله ﷺ لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة أحسن يعنى من هذا ومن المعلوم أن المنديل أدنى الثياب لانه معد للامتهان فثيابه رضى الله عنه فى الجنة أعلى وأغلى وقد وهب ﷺ تلك الجبة لعمر بن الخطاب رضى الله عنه ونزلت توبة أبى لبابة رضى الله عنه على رسول الله ﷺ وهو فى بيت أم سلمة رضى الله عنها قالت أم سلمة فسمعت رسول الله ﷺ من السحر يضحك قالت فقلت مم تضحك يارسول الله أضحك الله سنك قال تيب على أبى لبابة قالت قلت

 معاذ بن جبل رضى الله عنه بئسما قلت والله يارسول الله ماعلمنا عليه الا خيرا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كعب فلما بلغنى ان رسول الله ﷺ توجه قافلا من تبوك طفقت أتذكر الكذب وأقول بم أخرج من سخط الله غدا واستعنت على ذلك بكل ذى رأى من أهلى فلما قيل ان رسول الله ﷺ قد أظل قادما زاح عنى الباطل حتى عرفت انى لم أنج منه بشىء أبدا فاجمعت على الصدق فاصبح رسول الله ﷺ قادما وكان اذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون يعتذرون اليه و يحلفون له فقبل منهم علانيتهم و بايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم الى الله تعالى حتى جئت فتبسم تبسم المغضب ثم قال تعال فجئت أمشى حتى جلست بين يديه فقال ماخلفك ألم تكن قد ابتعت ظهرك قلت يارسول الله انى لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت انى ساخرج من سخطه بعذر لقد أعطيت جدلا ولكن والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عنى يوشك ان الله يسخطك على ولئن حدثتك حديث صدق تجد على فيه انى لأرجو فيه عفو الله والله ما كان لى من عذر ما كنت أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنك فقال رسول الله ﷺ أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضى الله فيك فقمت وثار رجال من بنى سلمة فاتبعونى وقالوا ما علمناك أذنبت ذنبا قبل هذا لقد عجزت أن تكون اعتذرت الى رسول الله ﷺ بما اعتذر اليه المخلفون فقد كان كافيك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم ومازالوا يؤنبوننى حتى كدت أرجع الى رسول الله ﷺ فاكذب نفسى قال ثم قلت لهم هل لقى هذا معى أحد فقالوا نعم لقيه معك رجلان قالا مثل ماقلت وقال لهما النبى ﷺ مثل ماقال لك قلت من هما قالوا مرارة بن الربيع وهلال بن أمية فذكروا رجلين صالحين قد شهدا بدرا فقلت لى فيهما اسوة ومضيت حين ذكروهما لى ونهى رسول الله ﷺ عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه وتغير علينا الناس حتى أنكرت فى نفسى الارض فما هى بالارض التى أعرف فلبثنا

على ذلك خمسين ليلة فاما صاحباى فاستكانا وقعدا فى بيوتهما يبكيان وأما أنا فكنت أشد القوم وأجلدهم فكنت أخرج فاشهد الصلاة وأطوف فى الاسواق فلا يكلمنى أحد وآتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة فاقول فى نفسى هل حرك شفتيه برد السلام أم لا ثم أصلى قريبا منه وأسارقه النظر فاذا أقبلت على صلاتى نظر الى واذا التفت نحوه أعرض عنى حتى اذا طال على ذلك من جفوة المسلمين مشيت حتى تسورت حائط لابى قتادة وهو ابن عمى وأحب الناس الى فسلمت عليه فوالله ما رد على السلام فقلت يا أبا قتادة أنشدك بالله هل تعلمنى أحب الله ورسوله قال فسكت فعدت فناشدته فقال الله ورسوله أعلم ففاضت عيناى وتوليت فبينا أنا أمشى فى سوق المدينة اذا نبطى من نبط أهل الشام ممن قدم بطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدل على كعب ابن مالك فطفق الناس يشيرون له حتى جاءنى فدفع لى كتابا من ملك غسان وكنت كاتبا فقرأته فاذا فيه أما بعد فانه بلغنا ان صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا بضيعة فالحق بنا نواسك قال فقلت حين قرأته وهذه الرسالة أيضا من البلايا فالقيتها فى التنور فسجرتها حتى اذا مضت أربعون من الخمسين واستلبث الوحى فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتينى فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعتزل امرأتك قال فقلت الحق بأهلك فكونى معهم حتى يقضى هذا الامر قال فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ان هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره أن أخدمه قال لا ولكن لا يقربنك فقالت والله مابه حركة الى شىء فوالله مازال يبكى منذ كان من أمره ما كان الى يومه هذا قال كعب فقال لى بعض أهلى لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أهلك قال قلت ومايدرينى مايقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب قال فلبثت بعد ذلك عشر ليال حتى كمل لنا



خمسون ليلة من حين نهى عن كلامنا قال ثم صليت الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا فبينا أنا جالس على الحالة التى ذكرها الله تعالى عنا قد ضاقت على الارض بما رحبت وضاقت على نفسى اذ سمعت صارخا أوفى على سلع يقول باعلى صوته ياكعب ابن مالك أبشر فقد تاب الله عليك فخررت ساجداً لله تعالى وعلمت

أفلا أبشره يارسول الله قال بلى ان شئت فقامت على باب حجرتها قيل وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب وهو لا يناسب ما تقدم فى قصة الافك فقالت يا أبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك قال فثار الناس اليه ليطلقوه فقال لا والله حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يطلقنى بيده الشريفه وقيل المبشر له عائشة رضى الله عنها فلما مر صلى الله عليه وسلم على أبى لبابة خارجا الى صلاة الصبح أطلقه وجاء ان فاطمة رضى الله عنها أرادت اطلاقه فابى فقال رسول الله ﷺ فاطمة بضعة منى أى وظاهر هذا انه رضى الله عنه كان يبر باطلاق سيدتنا فاطمة رضى الله عنها له فليتأمل وقد أقام مربوطا ست ليال أى أو سبع ليال قيل سبع عشرة ليلة وقيل خمس عشرة ليلة وعليه اقتصر فى الامتاع وكانت تأتيه امرأته أو بنته فى وقت كل صلاة فتحله للصلاة وكذا اذا أراد حاجة الانسان ثم يعود فيربط بالعمود حتى كاد يذهب سمعه و بصره ولا مانع ان امرأته و بنته كانتا تتناوبان فى ذلك أى وجاء انه رضى الله عنه قال للنبى ﷺ من تمام توبتى أن أهجر دار قوم أصبت

انه قد جاءنى فرج قال وآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بتوبة الله تعالى علينا حين صلاة الفجر فذهب الناس فيها يبشروننا فذهب قبل صاحبي مبشرون وركض رجل الى فرسا ومعه ساع من أسلم وهو حمزة بن عمرو الاسلمى رضى الله عنه وأوفى رجل على الجبل وكان الصوت أسرع الى من الفرس وجاء فى رواية ان الذى ركض الفرس هو الزبير بن العوام رضى الله عنه وفى رواية فلما جاءنى الذى سمعت صوته يبشرنى نزعت ثوبى له فكسوته اياهما ببشارته والله ما أملك غيرهما يومئذ واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلقانى الناس فوجا فوجا يهنوننى بالتوبة يقولون يهنيك الله بالتوبة عليك حتى دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم حوله الناس فقام طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحنى وتلقانى والله ماقام لى رجل من المهاجرين غيره ولا أنساها لطلحة فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبرق وجهه من السرور قال أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك قال قلت أمن عندك يارسول الله أم من عند الله قال بل من عند الله وكان صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار وجهه حتى كان وجهه قطعة قمر قال وكنا نعرف ذلك منه فلما جلست بين يديه قلت يارسول الله انما نجانى الله بالصدق وان من توبتى أن لا أحدث الا صدقا ما بقيت قال فوالله مازلت فى صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومى هذا وانى لارجو أن يحفظنى الله فيما بقي وجاء فى رواية قلت يارسول الله ان من توبتى أن أنخلع من مالى صدقة الى الله ورسوله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك قال فانزل الله لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة حتى بلغ انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قال كعب والله ما أنعم الله على بنعمة قط بعد أن هدانى للاسلام أعظم فى نفسى من صدق رسول الله أن لا أكون

كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوا ان الله عز وجل قال للذين كذبوا حين نزل الوحى شر ما قال لاحد فقال سبحانه وتعالى سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين وفى رواية عن كعب رضى الله عنه فاجتنب الناس كلامنا فلبثت كذلك حتى طال على الأمر فما من شىء أهم إلى من أن أموت فلا يصلى على النبى ﷺ أو يموت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكون من الناس بتلك المنزلة فلا يكلمنى أحد منهم ولا يصلى ولا يسلم على قال وأنزل الله توبتنا على نبيه صلى الله عليه وسلم حين بقى الثلث الأخير من الليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند أم سلمة رضى الله عنها وكانت أم سلمة محسنة فى شأنى معتنية فى أمرى فقال رسول الله ﷺ يا أم سلمة تيب على كعب فقالت يا رسول الله أفلا أرسل اليه أبشره قال إذن يحطمكم الناس فيمنعونكم النوم سائر الليل حتى إذا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر أذن صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا وذكر بعضهم فيمن تخلف عن غزوة تبوك أبا لبابة رضى الله عنه وانه ربط نفسه بسارية المسجد وأنزل الله توبته فى قوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم والصحيح أن قصة أبى لبابة إنما كانت فى غزوة بنى قريظة لما استشاروه فى النزول على حكم النبى ﷺ فأشار لهم إلى عنقه يعنى انه الذبح قال فما برحت قدماى من موضعهما حتى علمت انى خنت الله ورسوله فذهب وربط نفسه بسارية من سوارى المسجد حتى نزلت توبته وتقدمت القصة بتمامها فى غزوة بنى قريظة وان الله أنزل فى ذنبه يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون الآية وأنزل فى توبته وآخرون اعترفوا بذنوبهم الآية ولما رجع ﷺ من تبوك قبل أن يدخل المدينة جاءه جماعة من المنافقين وسألوه أن يأتى مسجدهم ليصلى فيه وهو مسجد الضرار الذى بنوه لاضرار المسلمين وتفريق



كلمتهم وجماعاتهم فدعا صلى الله عليه وسلم بقميصه ليلبسه ويأتيهم فأنزل الله عليه والذين اتخذوا مسجدا ضرارا الآية إلى قوله والله يشهد إنهم لكاذبون لا تقم فيه أبدا فدعا صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشن ومعن بن عدى ابن عامر بن السكن ووحشيا وقال انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه واحرقوه فخرجوا مسرعين حتى أتوا بنى سالم بن عوف وهم رهط مالك بن الدخشن فقال مالك انظرونى حتى آتيكم بنار فدخل عند أهله فأخذ من سعف النخل فأشعله ثم خرجوا يشتدون حتى دخلوا المسجد وفيه أهله فحرقوه وهدموه وتفرق عنه أهله وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتخذوا ذلك الموضع كناسة تلقى فيه الجيف والقمامات وقدم صلى الله عليه وسلم من تبوك فى رمضان سنة تسع وبعد قدومه ﷺ وجد عويمر العجلانى امرأته حبلى فقذفها بشريك بن سحماء فلاعن بينهما صلى الله عليه وسلم فى المسجد بعد العصر وقصتهما طويلة فى الصحيحين وغيرهما (سرية أبى سفيان والمغيرة ابن شعبة رضى الله عنهما) وكانت هذه السرية بعد أن رجع ﷺ من تبوك وذلك انه وفد عليه صلى الله عليه وسلم ثقيف مسلمين بعد رجوعه من تبوك وستأتى قصة وفدهم فأرسل صلى الله عليه وسلم أبا سفيان والمغيرة بن شعبة رضى الله عنهما لهدم اللات بالطائف فذهبا فى بضعة عشر رجلا فهدموها حتى سووها بالأرض وفى رواية أن المغيرة أراد أن يقدم أبا سفيان فى هدمها فأبى ذلك أبو سفيان عليه وقال ادخل أنت على قومك فلما دخل المغيرة علاها ليضربها بالمعول أى الفأس العظيم التى يقطع بها الصخر وقام قومه دونه يحمونه خشية أن يرميه أحد بسهم وخرج نساء ثقيف من الحجال حسرا أى مكشوفات يبكين على الطاغية وكانوا يظنون انه لا يمكن هدمها لانها تمنع من ذلك وفى رواية وأراد المغيرة أن يسخر بثقيف فقال لأصحابه لأضحكنكم من ثقيف فلما علا على الطاغية ليهدمها ألقى نفسه وفى لفظ أخذ يرتكض فصاحوا صيحة واحدة فقالوا أبعد الله المغيرة قتلته الربة وقالوا والله لا يستطيع هدمها فوثب وقال لهم قبحكم الله إنما هى لكاع حجارة ومدر فاقبلوا عافية الله واعبدوه ثم أخذ فى هدمها فهدمها إلى أن كسر بابها وهدم أساسها وأخرج ترابها لما سمع سادنها يقول ليغضبن الأساس فليخسفن بهم ثم أخذوا حليتها وكسوتها وما فيها من طيب وذهب وفضة واقبلوا حتى دخلوا عليه ﷺ فحمد الله على نصره وإعزاز دينه والله أعلم

﴿ سرية جرير بن عبد الله

فيها الذنب وفيه انه تقدم انه عاهد الله على ذلك قال وان انخلع من مالى فقال عليه الصلاة والسلام يجزيك الثلث ان تتصدق به أى ولم يأمره ﷺ أن يهجر تلك الدار والجمع بينه وبين ما تقدم من انه عاهد الله أن لا يطأ تلك الدار ممكن ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن زيد الانصارى بسبايا بنى قريظة إلى نجد فابتاع لهم بهم خيلا وسلاحا قال وفى لفظ بعث سعد بن عبادة إلى الشام بسبايا يبيعهم ويشترى بهم سلاحا وخيلا أى فاشترى بذلك خيلا كثيرا قسمها رسول الله ﷺ على المسلمين واشترى عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما جملة من السبايا فجعلت تلك الجملة من السبايا قسمين جعلت الشواب على حدة وجعلت العجائز على حدة ثم خير عبد الرحمن ابن عوف عثمان بن عفان فأخذ العجائز وأخذ عبد الرحمن الشواب وجعل عثمان رضى الله عنه على كل واحدة منهن شيئا ان أتت به عتقت فكان المال يوجد عند العجائز ولا يوجد عند الشواب فربح

البجلي رضى الله عنه﴾ إلى ذى الخلصة بفتح المعجمة واللام بعدها مهملة وذو الخلصة اسم بيت كان فيه صنم لقوم جرير وكانت هذه السرية قبل وفاته صلى الله عليه وسلم بنحو شهرين قال جرير رضى الله عنه قال لى النبي ﷺ ألا تريحنى من ذى الخلصة فقلت بلى فانطلقت فى خمسين ومائة فارس من أحمس وكانوا أصحاب خيل وكنت لا أثبت على الخيل فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فضرب فى صدرى وقال اللهم ثبته واجعله هاديا مهديا فما وقعت عن فرس بعد وكان ذو الخلصة بيتا فى اليمن لخثعم وبجيلة يقال له الكعبة فانطلق اليها فكسرها وحرقها ثم بعث إلى رسول الله ﷺ فقال رسول جرير والذى بعثك بالحق ماجئت حتى تركتها كانها جمل اجرب فبارك فى خيل أحمس ورجالها خمس مرات وروى الطبرانى عن جرير قال بعثنى النبي ﷺ إلى اليمن أقاتلهم وأدعوهم أن يقولوا لا إله إلا الله قال الحافظ ابن حجر والذى يظهر انه غير بعثه إلى الصنم ويحتمل انه بعثه إلى الجهتين على الترتيب ويؤيده ماوقع عند ابن حبان فى حديث جرير انه صلى الله عليه وسلم قال له يا جرير انه لم يبق من طواغيت الجاهلية إلا بيت ذى الخلصة فانه يشعر بتأخير هذه القصة جدا وقد شهد جرير حجة الوداع فكان ارساله بعدها فهدمها ثم توجه إلى اليمن ولما رجع بلغته وفاة النبي ﷺ وحكى بعضهم أن موضع ذى الخلصة صار مسجدا جامعا لبلدة يقال لها العبلات من أرض خثعم والله أعلم ﴿سرية أسامة بن زيد رضى الله عنهما﴾ إلى ابنى بضم الهمزة وسكون الباء الموحدة وفتح النون فألف مقصورة وهى ناحية بالبلقاء من أرض الشام وهى آخر السرايا كما ان غزوة تبوك آخر الغزوات لما كان يوم الاثنين لأربع ليال بقين من صفر سنة احدى عشرة من الهجرة أمر ﷺ بالتهيء لغزو الروم فلما كان من الغد دعا أسامة بن زيد فقال سر إلى موضع قتل أبيك فاوطئهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش فاغز صباحا على أهل ابنى وحرق عليهم واسرع السير لتسبق الاخبار فان أظفرك الله عليهم فاقل اللبث فيهم وخذ معك الأدلاء وقدم العيون والطلائع معك فلما كان يوم الأربعاء بدا به ﷺ وجعه فحم وصدع فلما أصبح يوم الخميس عقد



صلى الله عليه وسلم لأسامة لواء بيده ثم قال اغز بسم الله وفى سبيل الله فقاتل من كفر بالله فخرج بلوائه معقودا فدفعه إلى بريدة وعسكر بالجرف فلم يبق أحد من المهاجرين الاولين والانصار إلا اشتد لذلك وتهيأ للخروج منهم أبو بكر وعمر وابو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبى وقاص رضى الله عنهم فتكلم قوم وقالوا يستعمل رسول الله ﷺ على المهاجرين الاولين والانصار هذا الغلام وكان سن أسامة سبع عشرة سنة وقيل تسع عشرة سنة وقيل عشرين فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالتهم فغضب غضبا شديدا فخرج وقد عصب رأسه بعصابة وعليه قطيفة فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس فما مقالة بلغتنى عن بعضكم فى تاميرى أسامة ولئن طعنتم فى امارته فلقد طعنتم فى امارة أبيه من قبله وايم الله ان كان لخليقا بالامارة وان ابنه من بعده لخليق بالامارة وان كان من أحب الناس الى وانه لمظنة لكل خير فاستوصوا به خيرا فانه من خياركم ثم نزل فدخل بيته وذلك فى يوم السبت لعشر خلون من شهر ربيع الأول سنة احدى عشرة وجاء المسلمون الذين يخرجون مع أسامة يودعون رسول الله ﷺ ويخرجون إلى المعسكر بالجرف وثقل رسول الله ﷺ فجعل يقول انفذوا بعث أسامة واستثنى أبا بكر وأمره بالصلاة بالناس فلا منافاة بين من روى ان أبا بكر رضى الله عنه كان من ذلك الجيش ومن روى انه تخلف لانه كان من جملة الجيش أولا ثم تخلف لما استثناه صلى الله عليه وسلم وأمره بالصلاة بالناس وبهذا يرد قول بعض الرافضة طعنا فى أبى بكر رضى الله عنه انه تخلف عن جيش أسامة وانه ﷺ لعن المتخلف عن جيش أسامة لما علمت ان تخلفه كان بأمر منه صلى الله عليه وسلم لأجل صلاته بالناس وفيه اشارة إلى انه الخليفة بعده واما اللعن الذى ذكروه فلم يرد فى حديث فلما كان يوم الأحد اشتد برسول الله ﷺ وجعه فجاء أسامة رضى الله عنه فطاطا فقبله ﷺ وهو لا يتكلم ثم جعل يرفع يديه إلى السماء ثم يضعها على أسامة قال أسامة فعرفت انه يدعو لى ثم رجع أسامة إلى معسكره ثم دخل عليه ﷺ يوم الاثنين فقال له اغد على بركة الله فودعه اسامة وخرج إلى معسكره وأمر الناس بالرحيل فبينما هو يريد الركوب وفى رواية سار حتى بلغ الجرف فارسلت اليه امرأته فاطمة بنت قيس تقول لا تعجل فان رسول الله ﷺ ثقيل فأقبل وأقبل معه عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنهما وانتهوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد توفى حين زاغت الشمس فدخل المسلمون الذين عسكروا بالجرف إلى المدينة

عثمان مالا كثيرا (اقول) ويحتاج إلى الجمع وقد يقال ان كان المراد بالسبايا فى قصة سعد بن عبادة وعثمان وعبد الرحمن سبايا بنى قريظة فيكون قسموا ثلاثة أقسام قسم أعطى لسعد بن زيد وقسم اعطى لسعد بن عبادة وقسم اشتراه عثمان وعبد الرحمن ووقع الفداء فى سبايا بنى قريظة وحينئذ يكون المراد بقول القائل وبعث سعد بن زيد بسبايا بنى قريظة أى بجملة منهم وبعث سعد بن عبادة بسبايا أى بسبايا بنى قريظة أى بجملة منهم وان كان المراد بالسبايا فى قصة سعد بن عبادة غير سبايا بنى قريظة فالأمر ظاهر ويدل لهذا الثانى اسقاط بنى قريظة منه ثم رأيته فى الامتاع اسقط قصة سعد بن زيد الانصارى واقتصر على سعد بن عبادة حيث قال ولما سبيت السبايا والذرية بعث رسول الله ﷺ بطائفة

ودخل بريدة بلواء أسامة معقودا حتى أتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فغرزه عنده فلما بويع لأبى بكر رضى الله عنه أمر بريدة أن يذهب باللواء الى بيت أسامة وأن يمضى أسامة لما أمر ولما اشتهرت وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهر النفاق وقويت شوكة أهله وقويت نفوس أهل النصرانية واليهودية ومن كان يرغب فيهم وصارت المسلمون كالغنم المطيرة فى الليلة الشاتية وارتدت طوائف من العرب وقالوا نصلى ولا ندفع الزكاة وكل ذلك ظهر قبل أن يتوجه جيش أسامة فعند ذلك كلم الناس أبا بكر رضى الله عنه أن يمنع أسامة من السفر وقالوا كيف يتوجه هذا الجيش الى الروم وقد ارتدت العرب حول المدينة فأبى أبو بكر رضى الله عنه ان يمنع أسامة من الخروج وقال والله الذى لا إله إلا هو لو جرت الكلاب بأرجل أزواج رسول الله ﷺ ما أرد جيشا وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حللت لواء عقده وفى لفظ والله لأن تخطفنى الطير أحب الى من أن أبدأ بشىء قبل تنفيذ أمر رسول الله ﷺ يعنى تنفيذ جيش أسامة وفى رواية ان أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال لعمر ارجع الى خليفة رسول الله واسأله يأذن لى ان أرجع بالناس فان معى وجوه الناس ولا آمن على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وثقله وأثقال المسلمين أن يتخطفهم المشركون وقالت الأنصار لعمر رضى الله عنه فان أبى أبو بكر رضى الله عنهما ان يمضى الجيش فأبلغه منا السلام واطلب اليه أن يولى أمرنا رجلا أقدم سنا من أسامة فقدم عمر الى أبى بكر رضى الله عنهما فاخبره بما قال أسامة فقال أبو بكر والله لو تخطفتنى الذئاب والكلاب لم أرد قضاء قضى به رسول الله ﷺ قال عمر رضى الله عنه فان الأنصار أمرونى ان أبلغك أنهم يطلبون أن تولى رجلا أقدم سنا من أسامة فوثب أبو بكر رضى الله عنه وكان جالسا فأخذ بلحية عمر رضى الله عنه وقال ثكلتك أمك وعدمتك يا ابن الخطاب استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأمرنى أن أنزعه فخرج عمر رضى الله عنه الى الناس فقال امضوا ثكلتكم امهاتكم مالقيت اليوم بسببكم من خليفة رسول الله ﷺ خيرا ولعل الذين قالوا ذلك (٣٨١) من الأنصار ولم يكونوا استعموا من النبي صلى الله عليه وسلم الانكار على من طعن فى ولاية أسامة رضى الله عنه ولا بلغهم أوجوزوا ان الصديق يوافق على ذلك حيث رأى فيه مصلحة وسيدنا عمر رضى الله عنه يكون جوز ذلك أيضا ثم كلم أبو بكر رضى الله عنه أسامة فى عمر

الى الشام مع سعد بن عبادة رضى الله عنه يبيعهم ويشترى سلاحا هذا كلامه والله أعلم ونهى رسول الله صلى الله عليه سلم أن يفرق بين الأم وولدها أى فى السبايا الاعم من بنى قريظة وقال لا يفرق بين أم وولدها حتى يبلغ قيل يارسول الله وما بلوغه قال تحيض الجارية ويحتلم الغلام وكان إذا وجد الولد الصغير ليس له أم لم يبع من المشركين أى مشركى العرب ولا من يهود وإنما يباع من المسلمين أى وكانت أم الولد الصغير تباع من المشركين هى وولدها من العرب ومن يهود المدينة () قال فى الامتاع وكان يفرق بين الأختين إذا بلغتا ومقتضاه أنهما إذا لم يبلغا لا يفرق بينهما وأئمتنا معاشر الشافعية لم يحرموا الا التفرقة بين الأصول والفروع إذا لم يميزوا وهو محمل قوله ﷺ من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين احبته يوم القيامة ولعله لم تصح تلك الرواية عند امامنا الشافعى رضى الله عنه واصطفى ﷺ لنفسه منهم ريحانة بنت عمرو وهو شمعون مولى رسول الله صلى الله عليه

رضى الله عنه ان يأذن له فى التخلف ليستعين به الصديق رضى الله عنه فى مشورته وأمر الخلافة ففعل وكان استئذان أبى بكر لاسامة تطييبا لقلبه فلما كان هلال شهر ربيع الآخر سنة احدى عشرة خرج أسامة رضى الله عنه فى ثلاثة آلاف فيهم ألف فرس وودعه أبو بكر رضى الله عنه بعد ان سار الى جانبه ساعة ماشيا وأسامة رضى الله عنه راكب وعبد الرحمن بن عوف يقود براحلة الصديق رضى الله عنه فقال أسامة ياخليفة رسول الله اما ان تركب واما ان أنزل فقال والله لست بنازل ولست براكب ثم قال له الصديق استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك ثم ان اسامة سار الى أهل أبنى فشن عليهم الغارة أى فرق الناس عليهم وكان شعارهم يامنصور امت فقتل من قتل وأسر من أسر وحرق منازلهم وحرث أرضها فازال نخلها وأجال الخيل فى عرصاتهم ولم يقتل من المسلمين أحد وكان أسامة رضى الله عنه على فرس أبيه وقتل قاتل أبيه وأسهم للفارس سهمين وللراجل سهما وأخذ لنفسه مثل ذلك فلما أمسى أمر الناس بالرحيل وأسرع السير وبعث مبشرا الى المدينة بسلامتهم وخرج أبو بكر فى المهاجرين والأنصار ممن لم يكن فى تلك السرية يتلقون أسامة ومن معه وسروا بسلامتهم ودخل أسامة واللواء بين يديه حتى انتهى الى باب المسجد فدخل فصلى ركعتين ثم انصرف إلى بيته وكان فى خروج هذا الجيش نعمة عظيمة فانه كان سببا لعدم ارتداد كثير من طوائف العرب أرادوا ذلك وقالوا لولا قوة أصحاب محمد ﷺ ماخرج مثل هؤلاء من عندهم فثبتوا على الاسلام وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه حتى بعد ان ولى الخلافة اذا رأى أسامة رضى الله عنه قال السلام عليك أيها الأمير فيقول أسامة غفر الله لك يا أمير المؤمنين تقول لى هذا فيقول لا أزال أدعوك ماعشت الأمير مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت على أمير وقد كان أسامة رضى الله عنه يدعى حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن حبه وفى الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم كان يأخذ أسامة والحسن رضى الله عنهما فيقول اللهم أحبهما فانى أحبهما وفى حديث المخزومية التى سرقت وأراد ﷺ قطع يدها فلم يجسر احد ان يكلمه صلى الله عليه وسلم

غير أسامة بن زيد رضى الله عنهما فكلمه فقال ﷺ أتشفع فى حد من حدود الله ومناقبه رضى الله عنه كثيرة توفى بالمدينة أو بوادى القرى سنة خمس أو أربع وخمسين وهو ابن خمس وسبعين سنة والله أعلم ومما ينبغى ان يلحق بالغزوات والسرايا بعوثه ﷺ ﴿ بعث الصديق رضى الله عنه ﴾ بعث صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضى الله عنه فى السنة التاسعة يحج بالناس وأما فى السنة الثامنة فامر عتاب بن أسيد رضى الله عنه ان يحج بالناس وكان أميرا على أهل مكة كما تقدم فى قصة فتح مكة فخرج أبو بكر رضى الله عنه فى ثلثمائة رجل من المدينة وبعث ﷺ معه بعشرين بدنة قلدها وأشعرها بيده الشريفة وساق أبو بكر رضى الله عنه خمس بدنات ثم تبعه على رضى الله عنه على ناقة رسول الله ﷺ القصواء بفتح القاف والمد وقيل بالضم والقصر فقال له أبو بكر رضى الله عنه استعملك رسول الله ﷺ على الحج قال لا ولكن بعثنى أقرأ براءة على الناس وأنبذ الى كل ذى عهد عهده وكان العهد بين رسول الله ﷺ وبين المشركين عاما وخاصا فالعام ان لا يصد أحد عن البيت إذا جاءه ولا يخاف أحد فى الأشهر الحرم والخاص بين رسول الله وبين قبائل العرب الى آجال مسماة وكانت عادة العرب ان لا ينبذ العهد الا من كان قريبا ممن أراد النبذ فلذلك بعث ﷺ عليا رضى الله عنه ولم يكتف بأبى بكر رضى الله عنه فمضى أبو بكر فحج بالناس قيل كان الحج ذلك العام فى ذى القعدة للنسىء الذى كانوا يصنعونه والصحيح أنه كان فى ذى الحجة وجاء فى رواية انه بعد ان توجه أبو بكر رضى الله عنه من المدينة نزلت سورة براءة فقيل له ﷺ لو بعثت بها أبا بكر فقال صلى الله عليه وسلم لا يؤدى عنى الا رجل من أهل بيتى ثم دعا عليا رضى الله عنه فقال اخرج بصدر براءة وأذن فى الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى فقرأ على بن أبى طالب براءة يوم النحر وقال لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان لأنهم كانوا يحجون مع المسلمين ويرفعون أصواتهم بقولهم لاشريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك وكانوا يطوفون عراة بالليل وليس على رجل منهم ثوب ويقول الواحد منهم أطوف بالبيت كما ولدتنى أمى ليس على شىء من الدنيا خالطه الظلم وكان لا يطوف من أراد الثياب منهم الا بثوب (٣٨٢) من ثياب الحمس وهم قريش يستعيره أو يكتريه وإذا طاف بثوب من ثيابه ألقاه بعد طوافه فلا يمسه [وقيل كانت المرأة تلبس درعا مفرجا وقد كانت امرأة تطوف وهى عارية ويدها على قبلها وهى تقول

اليوم يبدو بعضه أو كله * فما بدا منه فلا أحله

وفى ايجاب ستر العورة أنزل الله تعالى يا بنى آدم خذوا زينتكم الآية وفى رواية لما لحق على أبا بكر رضى الله عنه قال له أمير أو مأمور قال بل مأمور فكان على رضى الله عنه فى تلك السفرة يصلى خلف أبى بكر الى ان رجع إلى المدينة وفى ذلك رد على الرافضة قبحهم الله فانهم زعموا ان النبى صلى الله عليه وسلم عزل أبا بكر رضى الله عنه عن امارة الحج بعلى وقد تواتر أن أبا بكر رضى الله عنه لم يعزل وانه حج بالناس وكان على من جملة رعيته فى تلك السفرة ويصلى خلفه إلى ان رجعوا الى المدينة وفى حديث جابر رضى الله عنه فى هذه القصة قام أبو بكر رضى الله عنه فخطب الناس فحدثهم عن مناسكهم حتى إذا فرغ قام على رضى الله عنه فقرأ على الناس براءة وجاء فى رواية أنه فعل ذلك بمكة يوم التروية وفعل مثله يوم عرفة ثم يوم النحر ثم يوم النفر فيحمل على تعدد وقوع ذلك وبذلك يجمع بين الروايات وكان هلاك رأس المنافقين عبد الله بن أبى ابن سلول فى السنة التاسعة فى ذى القعدة وجاء ابنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان أبى احتضر فاحب ان تشهده وتصلى عليه قال ما اسمك قال الحباب فقال بل أنت عبد الله الحباب اسم الشيطان وكان من فضلاء الصحابة رضى الله عنه وكان يحمل أمر أبيه على ظاهر الاسلام وقد ورد ما يدل على أنه إنما جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وسأله ان يعطيه قميصه يكفن فيه أباه بعهد من أبيه بل جاء فى رواية الطبرانى وعبد الرزاق عن قتادة قال أرسل عبد الله بن أبى الى النبى صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه قال أهلكك حب يهود فقال يا رسول الله إنما أرسلت اليك لتستغفر لى ولم أرسل اليك لتوبخنى ثم سأله ان يعطيه قميصه يكفن فيه فأجابه وفى رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما لما مرض ابن أبى جاءه صلى الله عليه وسلم فكلمه فقال قد فهمت ما تقول فامنن على فكفنى فى قميصك وصل على فأعطاه القميص ثم لما أراد صلى الله عليه وسلم ان يصلى عليه وثب اليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقال يا رسول الله أتصلى عليه وقد قال يوم كذا وكذا كذا وكذا وعدد عليه أشياء مثل قوله لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا وقوله ليخرجن الاعز منها الاذل وفى رواية فقام عمر رضى الله عنه فأخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أتصلى عليه وقد نهاك ربك ان تصلى عليه وكان عمر رضى الله عنه فهم ذلك من قوله تعالى ما كان للنبى والذين آمنوا ان

---

وسلم من بنى النضير وكانت متزوجة فى بنى قريظة ولعله مراد من قال انها كانت من بنى قريظة أى وكانت جميلة وأسلمت بعد ان أبت الاسلام ووجد صلى الله عليه وسلم فى نفسه أى غضب بسبب ذلك أي بسبب عدم اسلامها ولم يظهر ذلك ثم لما أسلمت سر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقد جاء لما أبت ريحانة الاسلام عزلها صلى الله عليه وسلم ووجد فى نفسه لذلك وأرسل الى ثعلبة بن شعبة وكان ممن نزل من حصون بنى قريظة فى الليلة التى صبيحتها نزلت بنو قريظة على حكم سعد بن معاذ أى على ما

يستغفروا للمشركين فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انما خيرني الله بين الاستغفار وتركه فقال استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم وسأزيد على السبعين قال عمر رضى الله عنه انه منافق فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لم ينزل عليه نهى صريح بتركه ذلك ولم يأخذ بقول عمر رضى الله عنه اجراء له على ظاهر حكم الاسلام واستصحابا لظاهر الحكم ولا كرام ولده الذى تحقق صلاحه واستئلافا لقومه فانه جاء انه رجع جملة منهم عن النفاق ذلك اليوم لما رأوا عبد الله يسأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يكفنه فى قميصه وأن يصلى عليه وصلى عمر مع النبي صلى الله عليه وسلم وترك رأى نفسه واطال صلى الله عليه وسلم فى تلك الصلاة وأكثر من الاستغفار لعبد الله بن أبى وعن مجمع بن جارية رضى الله عنه قال ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أطال على جنازة قط ما أطال على جنازة عبد الله بن أبى من الوقوف وفى حديث ابن عباس ومشى معه صلى الله عليه وسلم حتى قام على قبره حتى فرغ منه وانما فعل ﷺ ذلك لكمال شفقته على من تعلق بطرف من الدين ولتطييب قلب ولده الرجل الصالح ولتألف الخزرج لرياسته فيهم فلو لم يجب ابنه وترك الصلاة عليه قبل ورود النهى لكان سبة على ابنه وعارا على قومه فاستعمل ﷺ أحسن الأمرين فى السياسة الى أن كشف الله الغطاء وقيل انما أعطاه قميصه مكافأة له فان عبد الله بن أبى أعطى قميصه للعباس رضي الله عنه حين أسر يوم بدر كما تقدم ثم أنزل الله تعالى على النبي ﷺ ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون فكان فى ذلك تأييد لرأى عمر رضى الله عنه فهى من الآيات التى جاءت موافقة لرأيه رضى الله عنه وكان نزولها بعد فراغه ﷺ من أمره على الصحيح وقيل بعد فراغ الصلاة وفى الصحيح من حديث ابن عباس رضى الله عنهما فصلى عليه ثم انصرف فلم يمكث الا يسيرا حتى نزلت وروى الطبرانى عن قتادة قال ذكر لنا انه ﷺ قال وما يغنى عنه قميصى من الله وانى لارجو بذلك ان يسلم الف من قومه فما صلى رسول الله ﷺ على منافق بعده حتى قبضه الله وفى شرح القسطلانى على البخارى أسلم ألف من الخزرج لما رأوه يستشفع بثوبه صلى الله عليه وسلم ويتوقع اندفاع العذاب عنه والله سبحانه وتعالى أعلم (٣٨٣) (البعث إلى اليمن) بعث ﷺ أبا موسى الاشعرى ومعاذ بن جبل رضى الله عنهما إلى اليمن قبل حجة الوداع فى السنة العاشرة وقيل فى التاسعة عند منصرفه من تبوك وقيل عام الفتح سنة ثمان كل واحد منهما على مخلاف واليمن مخلافان والمخلاف بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة بلغة أهل اليمن الناحية ويقال له الكورة بضم الكاف والاقليم والرستاق وكان جهة معاذ العليا الى صوب عدن وكان من عمله الجند بفتح الجيم وفتح النون بلدة باليمن وله بها مسجد مشهور إلى اليوم وكانت جهة أبى موسى السفلى وقال لهما النبي صلي الله عليه وسلم يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا وفى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ انك ستأتى قوما أهل كتاب فاذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله الا الله وأن محمدا رسول الله فان هم أطاعوا لك بذلك فاخبرهم ان الله قد فرض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة فان هم أطاعوا لك بذلك فاخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فان هم أطاعوا لك بذلك فاياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب وروى الامام أحمد عن معاذ رضى الله عنه قال لما بعثنى ﷺ إلى اليمن قال قد بعثتك إلى قوم رقيقة قلوبهم فقاتل بمن أطاعك من عصاك وروى الامام أحمد أيضا وأبو يعلى انه ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن خرج يوصيه ومعاذ راكب ورسول الله صلى الله عليه وسلم يمشى تحت ظل راحلته فلما فرغ قال يا معاذ انك عسى أن لا تلقاني بعد عامى هذا ولعلك أن تمر بمسجدى وقبرى فبكى معاذ رضى الله عنه لفراقه وروى ابن عساكر انه ﷺ مشى معه ميلا ومعاذ رضى الله عنه راكب لامره صلى الله عليه وسلم له بذلك قال الحافظ ابن حجر واتفقوا على ان معاذاً رضى الله عنه لم يزل على اليمن إلى أن قدم فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه ثم توجه إلى الشام فمات بها واختلفوا هل كان معاذ واليا أو قاضيا فقال ابن عبد البر انه كان قاضيا وقال الغسانى انه كان أميرا على المال وحديث ابن ميمون فيه التصريح بانه كان أميرا على الصلاة وهذا يرجح انه كان واليا وقد جاءت أحاديث كثيرة فى فضله رضى الله عنه منها أعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل ومنها معاذ بن جبل امام العلماء يوم القيامة ضبطه بعضهم بكسر همزة امام وبعضهم بفتحها وأما أبو موسى فقدم على النبي ﷺ فى حجة الوداع والتقى به بمكة واستدل العلماء على ارساله انه كان عالما فطنا حاذقا ولولا ذلك لم يوله النبي ﷺ الامارة ولذلك اعتمد عليه عمر ثم عثمان ثم على رضي الله عنهم وأما الخوارج والروافض فنسبوه إلى الغفلة وعدم الفطنة لما صدر منه فى التحكيم بصفين والحق انه لم يصدر منه ما يقتضى وصفه بذلك وغاية ما وقع منه انه اداه اجتهاده

فى بعض الروايات وأسلم هو واخوته أسيد وأسيد وأسد وابن عمه واحرزوا دماءهم وأموالهم وليسوا من بنى قريظة وانما هم من بنى هذيل فذكرله ﷺ ذلك فقال سعد فداك أبى وأمى هى مسلمة أى ظنا منه أنها تسلم فخرج حتى جاءها ولا زال يقول لها اسلمى يصطفيك رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه فأجابت إلى ذلك وأسلمت فبينما هو ﷺ فى مجلس من أصحابه اذ سمع

إلى أن يجعل الأمر شورى بين من بقى من الصحابة من أهل بدر لما شاهد من الاختلاف الشديد بين الطائفتين بصفين فآل الأمر إلى ما آل اليه والله سبحانه وتعالى أعلم ﴿ بعث خالد بن الوليد ﴾ بعث النبى صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد رضى الله عنه إلى اليمن قبل حجة الوداع فى ربيع الأول سنة عشر وقيل فى ربيع الآخر وقيل فى جمادى الأولى سنة عشر إلى بنى عبد المدان بفتح الميم بوزن سحاب اسم صنم وعبد المدان الذى نسبت القبيلة اليه هو جدهم الاعلى واسمه عمرو بن يزيد بن قطن بن زياد بن الحرث ابن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحرث ويقال لتلك القبيلة بنو الحرث وهم بنجران موضع باليمن سمى باسم نجران بن زيد بن سبأ فأمر ﷺ خالدا أن يدعوهم إلى الاسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثا قال فان استجابوا فاقبل منهم وان لم يفعلوا فقاتلهم فخرج حتى قدم عليهم فبعث الركبان يضربون فى كل وجه ويدعون إلى الاسلام ويقولون أيها الناس اسلموا تسلموا فاسلموا ودخلوا فيما دعوا اليه فاقام خالد يعلمهم الاسلام والكتاب والسنة ثم كتب إلى النبى ﷺ يعلمه بذلك فكتب اليه صلى الله عليه وسلم أن يقدم اليه وفدهم فقدموا فأمر عليهم قيس بن الحصين فرجعوا إلى قومهم فى بقية شوال أو صدر ذى القعدة وسيأتى فى الوفود مزيد لذلك ان شاء الله تعالى ﴿ بعث على بن أبى طالب رضى الله عنه إلى اليمن ﴾ بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب رضى الله عنه إلى اليمن فى شهر رمضان سنة عشر وعقد له لواء وعممه بيده وقال له امض ولا تلتفت فقال على رضى الله عنه يارسول الله ما أصنع قال إذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك وادعهم إلى قول لا إله الا الله فان قالوا نعم فمرهم بالصلاة فان أجابوا فلا تبغ منهم غير ذلك والله لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس أو غربت وروى أبو داود وغيره من حديث على رضى الله عنه قال بعثنى النبى ﷺ إلى اليمن فقلت يارسول الله تبعثنى إلى قوم أسن منى وأنا حديث



السن لا أبصر القضاء قال فوضع يده صلى الله عليه وسلم فى صدرى وقال اللهم ثبت لسانه واهد قلبه وقال يا على اذا جلس اليك الخصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر فانك اذا فعلت ذلك تبين لك القضاء قال على والله ما شككت فى قضاء بين اثنين فخرج على رضى الله عنه فى ثلثمائة فارس فلما انتهى إلى تلك الناحية فرق أصحابه فاتوا بنهب غنائم ونساء وأطفال وكانت الغنائم نعاوشاء ثم لقى جمعهم فدعاهم إلى الاسلام فأبوا ورموا المسلمين بالنبل والحجارة وخرج منهم رجل من مذحج يدعو الى المبارزة فبرز اليه الاسود ابن خزاعى فقتله الاسود وأخذ سلبه ثم صف على رضى الله عنه أصحابه ودفع لواءه إلى مسعود بن سنان الاسلمى فقتل منهم عشرين رجلا فتفرقوا وانهزموا فكف عن طلبهم قليلا ثم لحقهم ودعاهم إلى الاسلام فأسرعوا وأجابوا وبايعه نفر من رؤسائهم على الاسلام وقالوا نحن على من وراءنا من قومنا وهذه صدقاتنا فخذ منها حق الله وجمع على الغنائم فجزأها خمسة أجزاء فكتب فى سهم منها لله وأقرع عليها فخرج أول السهام سهم الخمس وقسم على أصحابه بقية المغنم ثم قفل على رضى الله عنه فوافى النبى صلى الله عليه وسلم بمكة قد قدمها للحج سنة عشر وجاء فى بعض الروايات انه ﷺ بعث عليا الى اليمن وذلك فى رمضان سنة عشر فاسلمت همدان كلها فى يوم واحد فكتب بذلك اليه صلى الله عليه وسلم فخر ساجدا لله ثم جلس فقال السلام على همدان وتتابع أهل اليمن على الاسلام لكن قوله فى التاريخ سنة عشر وهم لان بعث على الى همدان لم يكن سنة عشر انما كان سنة عشر بعثه إلى بنى مذحج وأما بعثه الى همدان فكان سنة ثمان بعد فتح مكة فيكون بعث على رضى الله عنه إلى اليمن حصل مرتين وفى البخارى عن البراء قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع خالد الى اليمن ثم بعث عليا بعد ذلك مكانه فقال مر أصحاب خالد من شاء منهم ان يعقب معك فليعقب ومن شاء فليقبل فكنت فيمن عقب معه فغنمت أواقى ذوات عدد زاد الاسماعيلى فلما دنونا من القوم خرجوا الينا فصلى بنا على وصفنا صفا واحدا ثم تقدم بين أيدينا فقرأ عليهم كتاب رسول الله فأسلمت همدان جميعا فكتب على الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامهم فلما قرأ الكتاب خر ساجدا ثم رفع رأسه وقال السلام على همدان وكان البعث بعد رجوعهم من الطائف وقسمة الغنائم بالجعرانة فهذا صريح فى ان البعث الاول كان فى اواخر سنة ثمان وانه الى همدان وأما الثانى فكان فى رمضان سنة عشر الى مذحج

وقع نعلين خلفه فقال ان هاتين لنعلا مبشرى باسلام ريحانة فكان كذلك واخبره انها أسلمت فسر ﷺ بذلك واستمرت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى فى ملكه اختارت بقاءها فى ملكه على العتق والنكاح أى فقد خيرها ﷺ بين ان يعتقها ويتزوجها أو تكون فى ملكه يطؤها بالملك فاختارت أن تكون فى ملكه قال بعضهم والاثبت عند أهل العلم انه أعتقها وتزوجها وأصدقها اثنتى عشرة أوقية ونشا وأعرس بها فى المحرم سنة ست بعد أن حاضت حيضة وضرب عليها الحجاب فغارت عليه فطلقها تطليقة فأكثرت من البكاء فراجعها ولم تزل عنده ﷺ حتى ماتت مرجعه من حجة الوداع سنة عشر فدفنها بالبقيع ووجوب استبرائها بحيضة يدل لما قاله فقهاؤنا ان من ملك أمة وطئها غيره وطأ غير محرم لا يحل له تزوجها قبل استبرائها وان أعتقها وتقدم ان قريظة والنضير اخوان من أولاد هرون على نبينا وعليه وعلى سائر الأنبياء أفضل الصلاة والسلام

﴿ تم الجزء الثانى ويليه الجزء الثالث أوله غزوة بنى لحيان ﴾